

**THE BOOK WAS  
DRENCHED**

UNIVERSAL  
LIBRARY

**OU\_190537**

UNIVERSAL  
LIBRARY



شِعْرَاءُ الْأَنْدَلُسِ

# ديوان ابن زيدون

رَسَائِلُهُ أَخْبَارُهُ شِعْرُ الْمَلِكَيْنِ

« ابن زيدون عبقرى زمانه قصر الحسنون عن إحسانه  
أخذ الروم في الحزيرة عنه ومثوا في خياله واقفانه . »  
« شوقي »

شَرِّحَ وَضَبَّطَ وَتَصَنَّفَ

كامل كيلانى و عبد الرحمن خليفه

الطبعة الأولى

١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م - رقم ٤٧٤

كل الحقوق محفوظة

طبع بطبعة

مُصْطَفَى الْبَابِي الْحَلْبِي وَأَوْلَادُهُ بِمِصْرَ

وباشطعته محمد امين عمران





# فهرس

## مقدمة ديوان ابن زيدون

صفحة		صفحة	
١٧	ابن جهور - بنو عباد	٨	تصدير
٢٧	المناهج الأدبية	١٠	مقدمة الديوان
٣٠	نشأة ابن زيدون	١٠	تحريف للديوان
٣٣	بحترى العرب	١٠	أمثلة من التحريف
٣٧	شاعرية ابن زيدون	١٢	أثر التحريف
٤٢	لماذا سجن ابن زيدون	١٣	لماذا بدأت بهذا الديوان
٤٤	حساد ابن زيدون	١٥	تنفيذ المعركة
٥٠	حب ولادة	١٦	رسائل ابن زيدون وأخباره
٥٥	أدب ابن زيدون	١٧	إلمامة
		١٧	ملوك الطوائف

## فهرس ديوان ابن زيدون

صفحة		صفحة	
٣٨	جواب كتاب	١	في السجن
٣٩	في العزل	٤	ذكرى أيام الوصال
٤٠	في مدح ابن جهور	٩	في مدح ابن جهور
٤٩	بعد خسارة يوم في السجن	١٢	ذكرى ولادة
٥٤	من قصيدة صنعها بطليوس	١٣	بعد الفرار من السجن
٥٧	في العزل	١٩	في مدينة بطليوس
٥٨	بين صديقين	٢٢	يوم بوصول ساعة
٥٩	دعوة	٢٣	في عيد الأنصبي
٦٠	قال في الوزير الشيخ أبي الحزم	٣٤	في طرطوشة
٦٠	وصال	٣٥	إلى الوزير أبي عبد الله

صفحة	صمعة
١١٩	٤١ وقال معانا من قصيدة
١٢٠	٦١ موقف وداع
١٢٢	٦٢ وقال أيضا بمدح أما الوليد بن -هور
١٣٠	٦٦ مداعبة
١٣٦	٦٨ جوب الناس واستحسن
١٣٩	٦٩ في مدح ابن -هور
١٤٠	٧٤ عاب
١٤٨	٧٥ رثاء فتاه
١٤٩	٧٦ في الغزل
١٥٠	٧٧ تهنئة
١٥٢	٧٨ تهنئة فصد
١٥٣	٧٩ في مدح ابن -هور
١٥٨	٨٢ شكر
١٦٥	٨٩ شعاعة
١٦٧	٩١ هدية تعاح
١٦٨	٩٢ لا يهنا الثمت
١٦٩	٩٨ أترع الكأس
١٧٠	٩٨ لا حيلة في الحب
١٧٤	٩٩ في مدح ابن -هور
١٧٧	١٠٥ الى ابن -هور
١٨٤	١٠٦ مجلس أبي علي
١٨٨	١٠٧ جواب
١٩٢	١٠٨ كن كيف شئت
١٩٥	١٠٩ حنين
١٩٧	١١١ في الغزل
٢١٦	١١١ في بعض مجالس الأنس
٢٢٣	١١٢ شكوى وألم
	١١٨ جواب

صفحة		صفحة	
٢٦٥	قسم	٢٢٣	الى حبيب
٢٦٥	خداع الأمانى	٢٢٤	فى ملح أبى المظفر
٢٦٦	فى العزل	٢٢٩	ذكرى قرطبة وأيام الصبا
٢٦٦	الى هاجر	٢٣٦	الى ابن عبدوس
٢٦٦	دعاء محب	٢٤١	مدح ابن جمهور وشكر باديس
٢٦٧	أنت حبي	٢٤٣	اسم من أحب
٢٦٧	ما الذى أنكره ؟	٢٤٤	الى أبى العطاء
٢٦٧	شوق بعد ساوان	٢٤٧	بين ابن زيدون والمعتمد
٢٦٨	أسر الهوى	٢٤٨	الى المعتمد
٢٦٨	مذرة	٢٤٨	جواب للمعتمد
٢٦٨	وصف الكأس	٢٤٩	جواب آخر للمعتمد
٢٦٩	غاية المحين	٢٤٩	وقال للمعتمد يستهديه خرا
٢٦٩	صفح المدف	٢٥٠	وقال مجاوبا المعتمد
٢٦٩	لا يأس	٢٥٣	وقال
٢٦٩	عتب	٢٥٣	وهل
٢٧٠	تجننى الحبيب	٢٥٤	مهنته
٢٧٠	لا يأس فى الحب	٢٥٧	ذكرى ولادة
٢٧٠	بقية المسواك	٢٥٨	الى ولادة
٢٧١	غرور المي	٢٥٩	الى أبى حفص بن برد
٢٧١	صلنى	٢٥٩	ليل أنس
٢٧١	شكوى ضائعة	٢٦٠	دواء
٢٧١	وفاء المحب	٢٦١	حسبى رضاك
٢٧٢	عذر الحبيب	٢٦٢	عودى الى الوصال
٢٧٢	حذر العاشق	٢٦٣	أبو القاسم
٢٧٢	قناعة المحب	٢٦٣	وقال
٢٧٣	كيم السلو	٢٦٤	آلام المحب
٢٧٣	أنت المي	٢٦٤	كيف السلو

صفحة		صفحة	
٣١١	الى المعتمد	٢٧٣	بقاء على العهد
٣١٣	صرحى الحب	٢٧٤	أين وفاؤك
٣١٢	ذكرى قرطبة	٢٧٤	صرح الحب
٣١٣	رسائل ابن زيدون وأخباره وشعر الملوك	٢٧٥	وفاء المحب
٣١٤	الرسالة الهزلية	٢٧٥	أنت حسبي
٣٣٣	الرسالة الجدية لابن زيدون	٢٧٥	الى هاجر
٣٤٦	رسالة الى المظفر	٢٧٦	لا سبيل الى السلو
٣٥٥	رسالة الى ابن ملحة	٢٧٦	أنت الحياة
٣٥٧	رسالة الى المعتضد	٢٧٦	ذكرى معاهد قرطبة
٣٥٨	رسالة من قرطبة	٢٧٧	غدر الحبيب
٣٦٠	من رسالة	٢٧٨	اصنع ما شئت
٣٧٠	شعر المعتضد	٢٧٨	أمنية
٣٧٧	شعر المعتمد	٢٧٨	فعمسى فداؤك
٣٧٩	ابن عمار	٢٧٨	دين الحب
٤٠١	معارضات الشعراء لابن زيدون	٢٧٩	وفاء
٤٠١	معارضة أبق بكر	٢٧٩	فى سبيل الهوى
٤٠١	معارضات أمير الشعراء	٢٧٩	صلة المحب
٤٠٩	صفحات من كتاب الفخيرة	٢٨٠	مقيم على العهد
٤٢١	صفحات من كتاب نفع الطب	٢٨٠	آلام المحب
٤٢٣	ابن جهور	٢٨١	المعصيات والألغاز
٤٢٥	جهور	٢٨١	الى المعتمد
٤٢٥	بنو عباد	٢٩٩	الى المعتمد على الله
٤٢٦	صفحات من كتاب العينى	٣٠١	جواب
٤٢٧	ملوك الطوائف	٣٠٣	الى المعتمد
٤٣٠	دراسة الدكتور أحمد زكى لابن زيدون	٣٠٦	جواب على بيت مطير
٤٣٨	دراسة الأستاذ السكندرى » »	٣٠٧	البيت المطير
٤٤٢	دراسة الأستاذ علام سلامه » »	٣٠٧	حل البيت المطير
٤٤٣	دراسة الأستاذ أحمد زكى اشا » »	٣٠٨	جواب على بيت مطير
٤٥٥	فهرس التوافى		

## مقدمة ابن زيدون

# تصدير

لحضرة صاحب السعادة أمير الشعراء

يَا ابْنَ زَيْدُونَ مَرْحَبًا      قَدْ أَطَلَّتِ النَّعِيْبَا  
إِنَّ دِيْوَانَكَ الَّذِي      ظَلَّ مِرًّا مُحَجَّبًا  
يَشْتَكِي الْيَتَمَ دُرَّةً ،      وَيُقَامِي الشَّرُّبَا  
صَارَ - فِي كُلِّ بَلَدَةٍ -      لِلْإِلْيَاءِ مَطْلَبَا  
جَاءَنَا « كَامِلٌ » بِهِ      عَرِيًّا مُهَذَّبَا  
تَجِدُ النِّصْرَ مُنْجِيًّا      وَتَرَى الشَّرْحَ أَعْجَبَا

\*\*\*

أَنْتَ فِي الْقَوْلِ كُلِّهِ      أَجْمَلُ النَّاسِ مَذْهَبَا  
يَا بِي أَنْتَ هَيْكَلًا      - مِنْ فُنُونٍ - مَرْكَبَا  
شَاعِرًا أَمْ مُصَوِّرًا      كُنْتَ، أَمْ كُنْتَ مُطْرِبًا؟  
تُرْسِلُ اللَّحْنَ كُلَّهُ      مُبْدِقًا فِيهِ مُغْرِبَا  
أَحْسَنَ النَّاسِ هَاتِفًا ،      بِالْفَوَانِي مَشْبَبَا  
وَتَزِيلُ التَّوَجِيهَ      - نَ النَّدِيمَ الْمُقْرَبَا  
كَمْ سَقَاهُمْ بِشْمِرِهِ      مِدْحَةً أَوْ تَعْتِبَا  
وَمِنَ اللَّحْرِ مَا جَزَى      وَأَذَاعَ الْمَنَاقِبَا

\*\*\*

وَإِذَا الْمَجْنُونُ هَاجَهُ      - لِمَعَانَاتِهِ - أَبَى

وَرَأَاهُ رَذِيلَةَ لَا تُنْكِي التَّأْدُبَا  
مَا رَأَى النَّاسُ شَاعِرًا فَاضِلَ الْخُلُقِ طَيِّبَا  
دَسَّ لِلنَّاشِقِينَ - فِي زَنْبِقِ الشَّعْرِ - عَقْرَبَا

\* \*

جَلَسَتْ فِي الْخُلْدِ - جَوْلَةً هَلْ عَنِ الْخُلْدِ مَنْ نَبَا ؟  
صِفْ لَنَا مَا وَرَاءَهُ مِنْ عُيُونٍ وَمِنْ رُبَى  
وَنَعِيمٍ وَنَضْرَةٍ وَظِلَالٍ مِنَ الصَّبَا  
وَصِفِ الْخُورَ مُوجِزًا - وَإِذَا شِئْتَ - مُطْنِيًا «

\* \*

قُمْ تَرِ الْأَرْضَ - مِثْلَ مَا كُنْتُمْ أَمْسٍ - مَلْعَبَا  
وَتَرَى الْعَيْشَ لَمْ يَزَلْ - إِبْنِي الْمَوْتِ - مَأْرَبَا  
وَتَرَى ذَاكَ - بِالَّذِي عِنْدَ هَذَا - مُعَذَّبَا

\* \*

« إِنَّ مَرْوَانَ عُصْبَةٌ يَصْنَعُونَ الْعَجَائِبَا  
طَوْقُوا الْأَرْضَ مَشْرِقًا - بِالْأَيْدَى - وَمَغْرِبَا  
آلَةُ أَطْلَعَتْكَ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ كَوْكَبَا  
أَنْتَ لِلْفَتْحِ تَنْتَمِي وَكَفَى الْفَتْحُ مَنْصِبَا  
لَسْتُ أَرْضَى بِغَيْرِهِ لَكَ جَدًّا وَلَا أَبَا «

« شوقي »



# مقدمة

## ١ تحريف الديوان

كان أيسر ما في هذا الديوان نسخه وضبطه وشرحه : فقد أنشأنا ما كأبدناه فيه من عناء التحريف كل عناء آخر كأبدناه فيه ، وقد وفق السامع أيما توفيق في تشويه محاسن هذا الديوان الفد ، وتحريف أبياته ، وطمس غوره وشيويه .

وقد كما قرأ القصيدة عدة مرات ، وكأنا - لشدة ما فيها من تحريف واضطراب - أمام طلسم غامض لاسيل إلى حله ، ثم لا يلبث الصبر أن يذلل من العقبات ما كنا نوقن باستحالة تذليله ، وكانت تمرينا لذة الفوز والانتصار - كلما اجتزنا عقبة - أن يقتحم أخرى حتى انتهينا من هذا الديوان ونحن لانكاد نصدق بأننا قد اجتزنا هذه المعارة الخفيفة ، ورفضنا عن ذلك المسجم الرائع كثيرا من الهضاب والكثبان المتراسة فوقه .

وما نزعنا أننا قد برأنا هذا الديوان من كل عيب ، ونزهناه عن كل تحريف ، ولكننا نجروا فزعنا أننا لم نأل جهدا في تبرئته من كل عيب وتزييه عن كل تحريف ، فإذا مد عن خاطرنا معنى أولق بذهتنا كالل في تصحيح بيت أو تجلية غامض فهو الذهن الانساني يحلق ثم يسقط ، ويدع ثم يسخف ، ويهتور القص والكالل ، أقوى ما يكون رغبة في توكي الابداع والكمال .

## ٢ - أمثلة من التحريف

فلما إن نسخ هذا الديوان وضبطه وشرحه كانت أيسر ما لقيناه من العناء وهذا الكلام ربما لمح فيه القارئ الخالي بالذهن نوعا من الزهو والخيلاء ، ولكنه الحقيقة التي لا أثر للعالة فيها ، ولو أننا أردنا أن نسر ذلك ما أصلحناه من تحريف أو تشويه . لا اضطررنا إلى ذكر أكثر أبيات الديوان ، وقد أشرفنا إليها في مواضع من الكتاب ، فليجتزئ بذكر القليل منها عن الكثير ، ليري القارئ المصنف مقدار ما جسي السامع على شعر هذا الشاعر العظيم ، ونحن لانرى في مثل هذا العمل إلا أنه زكاة يؤديها الأديب للأدب العربي الزاخر بأروع الحوارج النفسية وأسمى المعاني الرائعة .

وليجل القارئ نفسه أمام هذا البيت مثلا .

« لم يدع مني شئ من جلد مع أني لم أرل ثبت العرر . »

والبيت التالي :

« كأننا لم يواليا زمان لين الأخدع . »

أوقوله في نفس القصيدة : « وأف المحل لا يجمع . »

أوقوله في قصيدة أخرى :

« حياه هو الليل ادلم ظلامه . »

أوقوله :

« زمن كما لون الرضا ع يشوق ذكره العظيم »

أوقوله : « لم أدع حظي منها بالحل . »

أوقوله :

« فما ابنك إلا عدل نفسك إن يسر الجسم لا للنفس منك مقام »

في قصيدة لم يرد فيها ذكر اسمه شاتا :

فإذا قرأ البيت الأول قراءة صحيحة . قلت :

« لم يدع مني سقاي جلدا مع أي لم أزل نت المر »

والبيت الثاني :

« كأننا لم يؤالما زمان لين الأخدع »

والشطر الثالث : « وأف المحل لا يجمع »

والبيت الرابع :

« جده هو الليل ادلم ظلامه »

والبيت الخامس :

« زمن كما ألوف الرضا ع يشوق ذكره العظيم »

والبيت السادس :

« لم أرغ حظي منها بالحل »

والبيت السابع :

« فما افك إلا عدل نفسك ان يسر فالجسم لا للنفس منك مقام »

فإذا أضفت إلى هذا العاء عاء آخر هو بعض تكملة الأبيات الناقصة بما يلائمها، ظهر لك

أننا لم تكن مغاين في وصف ما كابدناه من المشقة والتعب .

ومن أمثلة ذلك قوله : « . . . . في جواركم ذليل . »

وقد أتمناه بما يلائم المعنى قلنا : « [ جناحي ] في جواركم ذليل »

وقوله :

« . . . . شافعا لأيديك التي بعضها يفوق الشتاء »

وقد أعماه وأصلحناه كما يلي :

« [فتقبله] شافعا لأبيك لك التي بعضها يفوق التناء »  
وانما اجتازنا بهذه الأمثلة القليلة لأن القصة - كما يقول شيخ المعرة - تدل على الشجيرة .  
ولأن الديوان كله مائل بين يدي القارى فلا حاجة بنا إلى الاقتصار في ذكر الأمثلة .

### ٣ .. أثر التحريف

وكثير مما يرويه أساتذة الأدب في المدارس من شعر ابن زيدون محرف أو مشوه ، فمن ذلك ما أثبتته الأستاذ علام سلامة في مذكراته المطبوعة لطلبة دار العلوم :

« ريت ملك كأن الله أنشأ مسكا وقد أنشأ الله الورى طينا . »

والبيت في وصف ولادة . وصوابه . « ريب ملك » ، وقد أكثر شعراء الأندلس - ومنهم ابن زيدون - من هذا التعبير ، والرواية التي أخذ بها الأستاذ علام هي رواية نصح الطيب الذي لا يقل تحريفه وتصحيحه عن تحريف الديوان وتصحيحه . وقد أثبتنا هذا البيت كما يلي :

« ريب ملك كأن الله أنشأ مسكا وقد أنشأ الورى طينا »

وبهذا يظهر جلال أسلوب ابن زيدون وروعة أدائه .

وقد روى بعض الأدباء البيت التالى لابن زيدون هكذا :

« سون من الأيام خس قلعنها أسيرا ، وإن لم يد شد ولا قط . »

وصوابها « سون من الأيام خس قلعنها » فإن سون من الأيام أو سنين من الليالي أو سنين من الساعل لا معنى لها - ويؤيد هذا الرأى قول ابن زيدون نفسه من قصيدة أخرى في رسالة لابن جهور :

« أفصبرا مئين خسا من الأيام ؟ » .

وقد وقع في هذا التحريف الأستاذ أحمد زكى باشا ثم تابعه في ذلك الأستاذ أحمد السكندرى .

وظن الأستاذ زكى باشا أن ابن زيدون قد سجن مرتين ، الأولى خمس سنوات ، واستدل

على ذلك بالبيت الأول ، والثانية خمسائة يوم ، واستدل على ذلك بالبيت الثانى .

أما الأستاذ السكندرى فقد قرر أن ابن زيدون سجن خمس سنوات (١) ، وهو لم

يسجن إلا خمسمائة يوم كما يدل على ذلك شعره .

(١) قال الأستاذ السكندرى :

« لست ابن زيدون في السجن سبع سنين ، ولكن كم كان مفتها ؟ متى كان مبدؤها ؟ »

أما الأول فيجبنا هو عليه بقوله من قصيدته الطائية الديمة :

« سنون من الأيام - حسر قلعنها - أسيرا ، وإن لم يد شد ولا قط »

وأما الثانى فيجبنا هو أيضا عليه بقوله من قصيدته الرائية التي كتبت بها من السجن الى ألى الحرم

جهور : « لم يطرد شايي كبرة وأرى برق المتعباهلى في عارض الشعر »

وقد جنى تحريف النسخ على أدباء العربية وشعرائها جناية لا تصغر فاضطربت بسببه آيات البلاغة ودقائق البيان وعزف الكثيرون عن أدبهم بعد أن رأوا ما فيه من الخلط والتشويه والتعريف ولا دهم على ذنوب لم يجترعوها وآخذوهم ببيوب لا يد لهم فيها :

« وذنّب جرّء سفهاء قوم وحل بغير جازمه العقاب »

ولا يزال رجال الأدب وأساتيده الأفاضل مسؤولين عن إصلاح هذه الزواجر وتنظيم هذه الكنوز الغيسة وردّها إلى الصواب، حتى يظهر جلال الأدب العربي وروعته وتبرأ ذم القدماء مما لحق آثارهم الأدبية من الخلط والتشويه .

## ٤ — لماذا بدأت بهذا الديوان

كانت فكرة موفقة سديدة تلك الفكرة التي خطرت ببال الأستاذ الكبير الدكتور «أحمد ضيف» مدرس الأدب العربي بالجامعة المصرية القديمة حين طلب إلى عام ١٩٢٢ أن أترجم لطلبة الجامعة الفصل الرابع الذي كتبه الأستاذ المستشرق «نيكلسون» عن الأدب الأندلسي وتاريخه ، فقد كان من آثار تلك الفكرة أنني نشطت إلى إلقاء تلك المحاضرات التي أظهرتها للقراء في ذلك العام بعنوان « نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي (١) » ووعدت في مقدمة ذلك الكتاب بالعودة إلى البحث .

فل التلاميذ إذ عهد الصبا كنت ولشبية فحسن غير مهتمراً

ونحن نعلم أن إقطاع دعوة برأمية من قرطبة كان سنة اثنين وعشرين وأربعمائة ، وبم أن قد ولد ابن زيدون في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة فإذ كان هذا خدمته في دولة آل حوور وهو في الثانية والعشرين من عمره وإذا فهدا أنه بث بهذه القصيدة في بدا اعتقاله كما هو الظاهر إذ قد صرح فيها بأنه يبلغ الثلاثين ، كانت مدة خدمته لأحد حوور لا تزيد على سبعين وكان هذا اعتقاله في نهاية سنة أربع وعشرين وأربعمائة أو أول خمس وعشرين وأربعمائة .

لست أن رددت في السجى خمس سبعين استسلمت فيها أبا الحرم حوورا واستسلم عندده بأنه أي الوليد محمد بن حوور ، وكان أليفه وصديقه من قبل وشجيره من الرؤساء ووجوه قرطبة لو بث إليه والهم شكواه مدة قصائد أبدعها ووسائل استعمل فيها بهذه لما ألان له فلما اه

(١) وقد جاء في مقدمة ذلك الكتاب ما يلي

طلب إلى حضرة الدكتور أحمد ضيف ، أن أترجم الفصل التاسع من كتاب « تاريخ آداب العرب للأستاذ نيكلسون » ، لأنني في الجامعة المصرية ، وهو الفصل الذي أفردته من كتابه المنع ، بالكلام على تاريخ الأدب العربي في أسبانيا .

لم أكد أقرأ هذا الفصل حتى بدا لي خطره وقلته وعرضت لي عدة ملاحظات على بعض ملابغ فيه ولم أكد أخرج من مناقشة هذا الموضوع حتى اتسع أمدني مجال البحث وشغني على مواصلة مراقبته من الأخص الشديد الذي يكاد يمس كل مطلع على الكتب العربية التي تناوالت السلام في هذا الموضوع وما علمته من الحاجة الملحة إلى كتاب ييسر على طلبة الأدب الأندلسي وغيرهم من المتعلمين به ، قليلا مما يحكبونه من ماء البحث في الأسفار العربية المنهضة المهوشة ويحفظ وتهم الثمين من الضائع .



ورأيت أن واجب الأمانة يقضى على أن أدرس ابن زيدون كما درست المحترى لينسى لي أن أنسه .

وما كدت أبدأ في درس ابن زيدون ، شعره وثره ، وأقصى أخباره وأخبر عصره ، حتى رأيت مراعاتي وأدهشني ما رأيت ، لقد كنت أستخدم عليه اسم شاعر عادي فصرت أستقله الآن اسم شاعر كبير وكنت أكرهه لكلفه بالصنعة التي بغضت إلينا أكثر شعراء ذلك العصر وأفدلت علينا أكثر الأدب العربي ، فلذا بي أحب هذا اللون الرائع من الصنعة المحبة التي تتزج بالفس وتبين على القلب وتحب فيها أشد الناس بغضا لها ، وقد عرف ابن زيدون كيف يتخذ من الصناعة والديع أدوات للاقتنان في الأداء والتعبير والابداع في تصوير أروع المعاني الساحرة وأدق الخواج النفسية ، وإذا بها نفس تطرب إلى الجبال وتغن في التعبير عنه ، وطبعة سمحة صناع لالتواء فيها ولا تكلف ، وقد صدق القائل : « كل طعام يتناوله الصحيح يتقلب إلى محبة » ، وكل طعام يتناوله المريض يتقلب إلى مرض » وهكذا كرهنا المقلدون في الصنعة والبديع ، كما حبب إلينا المدعون كثيرا من ألوان الصنعة والديع .

الحق أن ابن زيدون ساحر ياتي حلاب يتخذ من الصنعة وسيلة للروعة والدقة وحسن الأداء ، كما يتخذ المصور الماهر من مختلف الألوان والأصاغ - وسيلة للتعبير عن أدق وأخفى الأسرار والبعثات .

ولا أكنتم اقارئى أخى من أدب أعداء الصنعة اللفظية ، ولكنى من أشد أنصارها إذا جاءت عن هذه الطريق .

ولقد أراد بعض الكتاب أن يعيب على ابن زيدون وأما تول فرانس أنهما من رجال الأساليب ، ونسوا أن الأسلوب العالي هو غاية تخلف دونها اللفظ ، وأن طول المراتة والدرس تخلف من صاحبها الكاتب الحاذق والشاعر اللق ولكنها أعجز من أن تخلف الكاتب الموهوب والشاعر العبقري أو تلهما الأسلوب العالي الذى يحاول بعض الأدباء أن يزرى به ويحقره .

## ٥ تنفيذ الفكرة

ولم أكد أبدأ في قراءة ديوانه ونسخه حتى أكبرت الرجل وفتت بشعره وسجرت ببيانه الرائع وإن قطع على إعجابى وقتى ما اعتوره من التحريف والقشويه - وهما من جبايات الفساح على الأدب العربى - ولكنى اعترت المضى في هذه الطريق الوعرة وصممت على اجتياز هذه المفازة التى لأعلام فيها ولا صوى (١) نترشد بها في السير ، ثم شغلنى أعمال الكثيرة عن المضى فيها لما تتطلبه من عناء لاتعمله معنى المهوكة ، وفراغ من الزمن يضيق عنه وقتى المزدحم بالفروض والواجبات .

(١) الصوى - ثلاث الطريق التى يطلق عليها اسم « Milestones »

ولم يكن من اليسير على أن أظهر بأديب تنغمه الخبرة على الأدب العربي إلى التضحية بصحته ووقته في عمل مضن شاق لا يفهم منه القارئ العادي إلا أنه حين سهل لا يتجاوز شرح ديوان شاعر وضطه .

ولكن صديق الأديب العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن خليفة تقدم إلى مظهر إلى استعداده لمعاونتي في هذا العمل والبرمى في هذه المغامرة .

ولصديقي الفاضل ولع شديد بدرس الأدب العربي، وغيره نادرة على اللغة العربية، وحرص بالغ على كسوز البيان العربي، وصبر لا يشركه فيه إلا القليل من الأدباء المخلصين، وعزيمة لا تعرف للتردد والتكوص معنى، وهذه هي الصفات التي كنت ولا تزال أشدها فيمن يتصدى لمثل هذه الأعمال المضيئة .

وكان صديقي عند حسن ظني به، فقد كان يقضي معي الساعات العوال دائما لا يكل ولا يني ولا يفرغ عزمه إلا ربحا يتجدد، ويهود إلى أقوى مما كان عليه نشاطا وهمة، وهكذا مضينا معترزين في شرح الديوان وضطه وإصلاح تحريفه حتى أظهرناه للقارئ في هذا المظهر الأبيق .

## ٦ - رسائل ابن زيدون وأخباره

ولما كان التحريف قد لحق نثر ابن زيدون كما لحق أشعاره وان خفت عناية الأدباء وتعاضلهم وشروهم عنه التحريف في الرسالتين الجديدة والمزولة فقد رأينا أن نثبت كل ما وقع لنا من نثر ابن زيدون وشعره وأخباره كما أثبتنا ما وصل إلينا من شعر « المعتد » و « المعتضد » و « ابن جهور » وبعض المعاصرين لابن زيدون كابن عمار وغيره، وأنعمناهم بدراسات الأدباء المعاصرين قيمة للبحث .

وقد اتسع النطاق حتى ضاقت صفحات هذا الديوان - على كثرتها - فاضطرت إلى فصل سفين عنه وإخراجهما مستقلين ليعاونا القارئ على درس هذه العسكرة من كل وجوها. وسأعود - إن شاء الله - كتابا يظهر بعد انتهاء طبع هذا الديوان الحافل . بعنوان « ابن زيدون - أدبه وعصره » وكتابا آخر بعنوان « ملوك الطوائف »، يشاؤل مساهم الكلام في عصر ابن زيدون الذي عاش فيه، حتى لا ينطق علينا قول المتنبي :

« ولم أر في عيوب الناس عيبا كقص القادريين على التمام »

فلذا انتهيت من ذلك بدأت في إظهار ديوان « ابن حديس » في الحلقة الثانية من سلسلة شعراء الأندلس، إن ساعدت الظروف وكان في الأجل جيدة .

كامل كيلاني

# المستأمن

## ١ - ملوك الطوائف (١)

ابن جهور - بنو عباد

منذ سنين عديدة قلص ظل السلطة العامة عن الولايات الاسلامية ، وأصبح أمرها يسدها ، ولم يكن تفكك السلطة أمراً مرغوباً فيه عند أهل تلك الولايات عامة ، فقد ذهب بهم التفكير إلى أبعد مداه جزعاً من المستقبل وأسفاً على الماضي . ولم يستفد من هذا الانحلال في البلاد إلا ملوك الافرنج وحدهم . وكان من نتائج هذا الانحلال أن انقسم قواد البربر جنوب الجزيرة فيما بينهم ، وحكم الصقالبة الشرق ، وصار مائتي بعد ذلك نها مقبلاً بين الطائفتين المتوئمتين على الحكم ، وآخرين من بقايا الأسر العريقة ممن منحت لهم الفرصة وساعدتهم على الثبات أمام ضربات «عدو الرحمن الثالث والمنصور» التي كانت مصوبة إلى الأرسطوقراطية ، وانتهى الأمر بأن تكون من المدينتين الكبيرتين : قرطبة ، واسبيلية . حكومتان شورتان ، أما قرطبة فقد حدث بعد إلغاء الخلافة أن اجتمع كبار أهلها وعمدوا إلى إسناد السلطة التنفيذية إلى «ابن جهور» الذي عرف عند الجميع بالجدارة والاستحقاق لتقلد هذا المنصب والاضطلاع بالحكم فرفض بإذى أدى به ، هذا المركز السامي الذي عرض عليه ، وبعد إلحاح من جماعة المنتحين له ، رضى بقول هذا المنصب ، ولكن على شريطة أن يكون عضواً من أسرته زميلين له في مجلس الشورى ، وهما : محمود بن عباس ، وعبد العزيز بن حسن ، فأجابته الجماعة إلى ما طلب ، ولكن على شرط أن يكون لهدين الاثنين صوت استشاري .

وقد حكم الصغير الأول الحكومة الشورية الجديدة بطريقة عادلة رشيدة ، وإليه يرجع الفضل في أن أهل قرطبة لم يعودوا يشكون شيئاً من المظالم التي كانت تقع عليهم من قسوة البربر . فكان أول ما وجه إليه نظره أن صرفهم عن الخدمة ، واحتفظ ببنى

---

(١) ارجع إلى ما نشرناه في آخر الدويان للأستاذ « نيكسون » « من ٤٢٧ » أما هذا الفصل فهو علامة دوزي وقد غلناه من كتاب « ملوك الطوائف » الذي ظهره قريباً إن شاء الله .



ايغورين « Beni - floren » وحدهم ، وهم الذين يستطيع أن يعتمد على ولائهم وطاعتهم ، واستبدل بالآخرين الذين سرحهم من البربر حرسا وطبيا . وكان يظهر بظهر من يريد استقرار نظام الحكم الجمهوري ، فكان إذا طلب إليه تنفيذ أمر يقول : « ليس من شأني أن أقرر أمرا هو من اختصاص مجلس الشورى ، وما أنا إلا منفذ لأوامره وقراراته . »

وكما وردت عليه قصة أو كتاب رسمى يكون موجها إلى شخصه أبى تسلمه وأمر بتوجيهه إلى مجلس الوزراء . ولم يكن ليصدر قرارا قبل عرضه على مجلس الشورى ، أضف إلى هذا أنه لم يكن يتظاهر التمسك بمظهر الحاكم ، فهو - بدلا من أن يقوم بقصر الخلافة - نقي مقابله يمكنه المتواضع الذي اعتاد سكناه دائما . وكانت العقيدة في نزاهته ثابتة قوية لا تخضع حولها الشكوك والريب ، وقدر فضيلته مع هذا - أن يكون بيت المال في داره ونحت إمرته ، فمهد بحراسته إلى أكبر الناس مقاما وأكثرتهم احتراما في المدينة . ومع حبه - في الحقيقة - للبلد ، قضت عليه المصلحة ألا يرتكب عملا غير شريف ، ولما كان مقتصد ابل وحريصا حرصا يكاد يصل به إلى درجة الخل فقد أثرى حتى صار أغنى رجل في قرطبة ، ولكنه في الوقت نفسه بذل من الجهد والمجهود ما وفّر به اليسر والرخاء على الناس كافة .

وكان يذل ما في وسعه لتحسين العلاقات الودية بينه وبين الممالك المجاورة ، وقد كتب له النجاح في ذلك . فلم يمض وقت طويل حتى توطد الأمن ، وأمنت السبل ، وانتشرت التجارة والصناعة وهطلت أسطر المواد الغذائية . وأمّ قرطبة طوائف كثيرة من السكان أعلدوا بناء الأحياء التي دمرها البربر أو أحرقوها حيما أوقهوا الذهب واللب في المدينة . وعلى الرغم من هذه الأعمال التي قام بها ، فإن قرطبة - عاصمة الخلافة القديمة - لم تسترد مكائنها السياسية ، ومنذ ذلك الحين بدأت اشبيلية - التي صنعى بتاريخها عناية خاصة - تبرز الشأن الأول في المركز السياسي .

كانت اشبيلية - منذ أمد بعيد لا تزال - مرتبطة الحظ بقرطبة متأثرة بما يجري من الحوادث فيها ، متأسية بالعاصمة حاصعة الملوك الدولة الأموية على التعاقب ثم لدولة بني جود ، ومن جراء ذلك كان للتورة التي وقعت في قرطبة أثرها السيئ في اشبيلية ، فقد تار القرطيون على فاسم بن جود وطردوه ، فحول هذا الأمير على الالتجاء إلى اشبيلية حيث يقيم بها ولده ، ومعهما حامية من البربر تحت قيادة محمد بن زيري من قبيلة بني ايغورين .

وأرسل إلى الاشبيليين يأمرهم باخلاء مائة مسكن لجنوده القادمين معه . وقد ترك هذا الأمر أثرا سيئا في نفوس أهل إشبيلية هذا إلى ما عرف عن جنود فاسم الذين هم أقفر أباء جنسهم من أنهم من كبار اللصوص . وقد أظهرت قرطبة للاشبيليين أن من الممكن أن يتحرروا من هذا الير الذي يضجون بالشكوى منه . فعولوا على أن يحدوا حذر قرطبة ، إلا أن خوفهم من حامية البربر المقيمة بين ظهرانيهم حال بينهم وبين تحقيق أمانيهم ، وبعد

جهود مجح فاضى المدينة «أبو القاسم بن عباد» فى كسب قائد الحامية وضمه إلى جانبه بعد أن صرح له بأنه من الهين السهل أن يصحح ملكا على اشبيلية ، فأعلن حينئذ محمد بن زيرى استعدادة لمساعدته ، وسارع القاضى بمقابلة وين قائد بربر «قرمونة» محالفة تقلدوا السلاح - على أثرها - ضد ولى قاسم وحاصروا قصره .

ووصل قاسم إلى أبواب اشبيلية التى كانت مغلقة ، وحاول أن يجتذب سكان المدينة إليه بلوعود الخلافة ، ولكنه أخفق فى هذه المحاولة ، ولما أوجس حيلة من نفسه على ولديه الدين كما معرض للهلاك داخل المدينة ، قطع على نفسه عهدا أن يحل - هو ومن معه من الجند - عن أراضي اشبيلية ، إذا ما أسلموا إليه ولديه وأموالهما وممتلكاتهما ، فضمن له الاشبيليون تنفيذ هذا الشرط ، وعلى أثر ذلك انسحب قاسم وعاد أدراجه ، وتم منحت للقاضى أول فرصة ليرضى حامية البربر . ولما حصلت المدينة على حريتها اجتمع سكانها ليختاروا حاكما يولونه عليهم ، إلا أن الخواطر فى هذه الحال لم تكن هادئة والفوس لم تكن مطمئة خشية أن تمخض الحوادث عن ثورة ، أو أن يجد بنو جود الكرة عليهم ، وحينئذ لا يتوانون لحظة عن معاقبة المجرمين النافرين ، ولهذا لم تبد من أحد منهم أية رغبة قط فى أن يأخذ على عاتقه تحمل عبء المسؤولية عما وقع .

وافضى عاينهم على أن يلقوا عبء المسؤولية على عاتق القاضى وحده الذى حسدوا ثروته واستشعروا سرورا خفيا فى أعماق قلوبهم بدنو الساعة التى تصادر فيها هذه الثروة الطائلة .

فعرضوا على القاضى أن يتولى حكم المملكة ، وكان - مع ما يجيش بصدرة من مطامع وآمال - حكما حازما ، فرفض فى إياه أن يتولى الحكم فى وقت غير مناسب . ولم يكن القاضى متعيل السبب بالسلالات العريقة ، إلا أنه امتاز بحيازته أكر ثروة ، قد كان يملك ثلث أرض اشبيلية ، وفوق ذلك «مذكات» له . ميزة سامية من الاعتبار نظرا لمواهبه العلمية ، وكان يهوزه أن يضم إلى هذه المؤهلات أن تدج أسرته ضمن السلالات العريقة القديمة . وقد تم له ذلك - فيما بعد - - تريجا ، وكان يدرك أنه فى حاجة ماسة إلى وجود عدد من الجند تحت إمرته ، وليس لهذا العدد وجود ، ولم يشك فى أن الاستقرارية العظيمة الجيدة فى اشبيلية لابد أن تنور على صعلوك مثله غير معروف النسب ، يسمو مكانه إلى تسم ذروة الخلافة ، ولم يكن ثمة شيء غير هذا فى الواقع ، وقد وقع هذا حقيقة عندما أوشك بنو عباد أن يؤسسوا الخلافة لأنفسهم . وثمة زعم آل عباد أنهم من سلالة ملوك «لحم» الذين كانوا يحكمون الحيرة قديما قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم) وكان الشعراء الذين يريدون إشباع بطونهم يتحنون الفرص للإشادة بهذا السبب العريق المزعوم ، على أنه لم يوجد ما يبرر هذا الزعم ، لأن بنى عباد والمتزلفين إليهم ومن يتقنهم لم يستطيعوا أن يقيموا الدليل على ذلك ، وكل ما برط هذه الأسرة بملوك الحيرة أنها تنسب إلى قبيلة نغم الحمية التى ينسب إليها ملوك الحيرة . ولكن فرع أسرة آل عباد الذى

تسلسل منه آبائهم لم يقطن - على ما يظهر - الحيرة بناتا ، ولكنهم كانوا يقيمون أخيرا بالعريش الواقعة على حدود مصر وسوريا في قسم يُسمى « Emese » .

وعلى الرغم من أن آل عباد بذلوا ما في استطاعتهم كي يصلوا نسبهم بأولك الحيرة فانهم لم يستطيعوا أن يصعدوا به إلى أبعد من نعيم والد عطف ، وكان عطف هذا على رأس كتيبة من جنود ايميز وقد رحل الى أسانبا مع بلج حيث أعطيت لجنود ايميز أراض على مقربة من اشبيلية وأقام على ضفاف الوادي الكبير ، وقد انحدر عن أصل هذه الأسرة فروع فيما يقرب من سبعة أجيال أخرجت بطاء من ظلمة الماضي أناسا صالحين عاملين مقتصدین ، واسماعيل والد القاضي هو عنوان مجدها وهو الذي خطب بينه في الصحيفة الذهبية لنلاء اشبيلية اسم عاد (١) . ولا غرو فقد كان اسماعيل من حملة الأقلام والسيوف ، وكان رجل فقه ودين كما كان رجل حرب وطعان ، فقد تولى قيادة فرقة في حرس هشام الثاني ، ثم صار - فيما بعد - إماما لمجلس قرطبة الكبير ، ثم قاضيا لاشبيلية ، واشتهر بالفقه والذكاء والورع وإرشاد العامة ، وإسداء النصيح للسلطة ، وكانت شهرته في النزاهة تربو على شهرته في غير ذلك من الأمور ، فهو على الرغم من انتشار الفساد والرشوة كان يتورع عن أن يقبل هبة من سلطان أو وزير ، وكان كريما الى أبعد غايات الكرم ، وقد لقي القرطبيون منه كرم الضيافة ، وحسن العشرة ، فجعلته كل هذه المزايا والصفات حريا أن يحرز أكر ألقاب النبل والسؤدد في العرب .

وقيل العهد الذي نحن بصدده توفي الى راحة الله في غضون سنة ١٠١٩ .  
وربما كان ابنه أبو القاسم محمد يماثله علما وأدبا وإن كان لا يداينه خلقا وفضلا ، فقد كان أنانيا ذا أثره وطمع و صلف وتكبر وإنكار للجميل ، وقد حدث على أثر وفاة أبيه أن طمع في أن يخلفه في منصب القضاء ، وأمكن القوم آثروا عليه غيره ، فقدم بالرجاء الى قاسم بن حود فقال - بفضل قاسم - مصعب القضاء الذي كان يؤمله . وقد يرى المتتبع للحوادث فيما بعد كيف كان نكرانه لهذا الجيل .

وفي مفتتح هذا العهد الذي نحن بصدده - أثار نبلاء اشبيلية وأصحاب الرأي فيها على أبي القاسم قاضي اشبيلية أن يتنوّأ عرش المملكة ، ولما أدرك الغاية التي يرمون اليها أظهر لهم أنه لا يستطيع أن يقبل هذا الشرف الذي يولونه إياه إلا بشرط أن يشرك معه في الحكم أفرادا بعينهم هو نفسه على أن يكونوا وزراءه وأعوانه في الاضطلاع بأعباء الحكم بحجة أن هؤلاء الأشخاص الذين يشركهم معه في الرأي ستألف منهم هيئة شورية تقوم على تدبير المملكة بحيث لا يصدر إلا عن رأيهم ، ولا يتخذ أى قرار بدون مشاورتهم ، فقبل الاشبيليون ما اشترطه القاضي من أن يكون حكمه على قواعد الشورى فلا يحكم بمفرده ، وطلبوا إليه إنفاذا ما اذنته من تعيين أولئك الزملاء والأعوان ، فعين بعض كرام الأسر العريقة مثل ابن حجاج وآخرين كانت تسمو إليهم الأنظار وتزعمهم العيون من نصرائه الذين أنجبهم العصر ،

(١) وكان عاد الجد الثالث لإسماعيل .

وأطلعهم كواكب في سماء مصر ، كأبي بكر الزبيدي العالم النحوي الشهير مؤدب هشام الثاني ، وبعد أن تم له ما أراد من ذلك انصرف همه الى تكوين جيش للملكة ، رفع أعطيات وأرزاق الجند ، فانضوى تحت لوائه كثير من العرب والبربر ، ثم اشترى عددا كبيرا من الممالك ودرّبهم على القتال وجرّد منهم حملة على النبال ، وهي في الكثير الغالب كانت موجهة الى أسراء آخرين ، وقد حاصر قصرين في شمال فيزي أنشأ متقابلين على صخور يفصلهما سور وأطلق عليهما اسم الأخوين وهما معروفان الآن باسم «الأفوين» وكان يقطنهما اسبانيون مسيحيون كان أسلافهم قد عقدوا معاهدة مع موسى بن نصير ، والظاهر أن هذين القصرين لم يكونا في العصر الذي تحدث عنه في حيازة ملك ليون ولا في حيازة أمير مسلم ، ولذلك استولى القاضي عليهما وأرغم الذين كانوا يدافعون عنهما - وهم زهاء ثلاثمائة فارس على - الانضواء تحت لوائه ، وبذلك زادت نواة جيشه فبلغت خمسمائة فارس ، وتمعّج لديه من الجند ما يكفي للاغارة على الممالك المناخلة له ، إلا أن حالته هذه لم تكن لتمكّه من صدّ هجمات قوية جديدة ضدّ اشبيلية ، وهذا ما وقع له سنة ١٠٢٧ ، ففي هذه السنة جاء الخليفة الجودي يحيى بن علي وأمير بربر قرمونة محمد بن عبد الله وحاصرا اشبيلية ، ولما كان في منتهى الضعف بحيث لا يستطيع المقاومة طويلا أخذ الاشبيليون يفاوضون يحيى وأعلوا أهم مستعدون للاعتراف بسيادته عليهم على شرط ألا يدخل البربر مدينتهم فقبل يحيى هذا الشرط ولكنه شرط عليهم - ضمنا لوأتمهم وإخلاصهم - أن يرسل بعض أعيان ونبلاء اشبيلية أولادهم ليكونوا عند رهائن يضمن بها ولاء الاشبيليين ، فلم يستطع أحد منهم أن يقدّم ابنه خشية من البربر الذين يقضون على حياته لأقل شبهة ، والقاضي وحده هو الذي لم يتردد في إجابة الطلب إذ أرسل الى يحيى نجله عباد. ولعلم الخليفة بما للقاضي من الجاه والنفوذ اكتفى بقبول ابنه رهينة لديه ، وبفضل هذا العمل المجيد الدال على الاخلاص للبلاد ازدادت مكانة القاضي عند الاشبيليين عامة ، وأصبح - منذ ذلك الحين - لا يخشى شيئا لامن جانب الشعب ، ولا من جانب الخليفة الذي اعترف بسيادته شكلا وخيل إليه أن الفرصة السانحة قد أمكته من الانفراد بالحكم .

ولما كان قد أبعد من مجلس الحكم مثل ابن حجاج وغيره ولم يبق معه سوى زميلين ثم رأى أن يصرفهما عن خدمته ، ونفى زبيدي ، وعين رجلا من خواص اشبيلية اسمه « حبيب » رئيسا للوزارة ، ولم يكن حبيب هذا من رجال المبادئ إلا أنه مع هذا كان ذكيا مخلصا بكل معاني كلمة الاخلاص لولاه ، مصرفا الى مصلحته .

وعلى أثر ذلك أراد القاضي أن يزيد في رقة المملكة بالاستيلاء على باجة ، وقد حلت أخيرا هذه المدينة المصائب في غضون القرن التاسع عشر من جراء الحرب التي نشبت بين العرب والفاطميين . إذ نهبت وخرب البربر جزءا منها ، وعاثوا فيها سلبا ، وأحرقوا ماصادفوه في طريقهم ، وكان في نية القاضي إعادة تشييد ماخرب منها ، ولكن لما انفصل بعد الله بن الأفطس أمير « باداجوز » عزم القاضي ، جود جيوشه تحت إمرة ابنه محمد « الذي خلفه فيما بعد باسم المظفر » وتم استيلاء هذه الجيوش على باجة في الوقت الذي جاء فيه اسماعيل بن القاضي بجيش اشيلية وجيش حليف أبيه أمير قروونه ، فبدأ حصارها في الحال وأمر فرسانه بالسلب والنهب في القرى الواقعة بين ابغورا والبحر ، وعلى الرغم من المدد الذي جاء من ابن طيفور ، فان محمدا كان سيء الحظ كثيرا إذ بعد أن فقد نجدة فرسانه المحاربين وقع أسيرا بين يدي أعدائه وأرسل الى قروونه .

زادت هذه الاتصارات في حاسة القاضي وحليفه الأمير ، فلم يكتفيا بالأغارة على باداجوز وحدها بل أغارا على قرطبة أيضا فاضطرت حكومتها أن تستخدم للدفاع كثيرا من بربر ولاية سيدونا .

وبعد فترة من الزمن أبرم القاضي وحليفه صلحا أو سمه - إن شئت - هدنة مع الافتازيد وحينئذ أطلق محمد من الأسر رضا القاضي ( مارس سنة ١٠٣٠ ) ولما أبلغه أمير قروونه نأيا اطلاق سراحه عرض عليه أن يرج في طريقه على اشيلية ، وبإعاض القاضي شكره ، ولكن محمدا لفرط اشمئزازه من القاضي ، قال لأبي البربر : « إني أؤثر أن أظل سجينك على أن أقوم بما أشرت به علي » ، فاذا كنت مدينا لغيرك باطلاق سراحى ، وكان على أن أشكر قاضى اشيلية وهاء لهذا الحق ، فاني أفضل أن أبقى حيث أنا سجين » فاحترم الأمير شعوره وأرسله الى باداجوز مشيعا بما يليق برجل عظيم مثله من واجب الاجلال والتكريم .

وبعد بضع سنين أى في سنة ١٠٣٤ انقم عبد الله بطريقة قد تعتبر غير شريفة وثأر لنفسه من تلك الشدائد التي نالته ، وذلك بأن أباح للقاضى أن تمر بأرضه جنوده بقيادة امه اسماعيل وهي ذاهبة في طريقها للأغارة على مملكة ليون ، ولما كان اسماعيل وجنوده في مغنق لا يبعد كثيرا عن الحدود الليونية باغته جيش الافتازيد فقتل من جنود اشيلية مقتلة عظيمة ، وقتل فرسان ليون فلول الجيش عند لياذهم بالفرار ، وأقلت اسماعيل من هذه المذبحة ومعها نفر يسير من رجاله ، وفيما كان موليا وجهه شطر مدينة لشبونة الواقعة على حدود مملكة أبيه من الجهة الشمالية الغربية تحمل هو ومن معه أشد آلام الحرمان من حاجات المباشرة الضرورية .

ومنذ هذه الآونة صار القاضي المحصم الأكلد لأمر « باداجوز » وليس لدينا معلومات تفصيلية عن

المعارك التي دارت بعد ذلك بين أمير «بلاد جوز» وخصمه، وعلا ريب فيه أن هذه الحروب لم يكن لها نتائج ذات شأن عظيم لأسبانيا المسلمة ولم تترك فيها أثرا يضارع مآثرها أحداث آخر سنتناولها فيما يلي. قلنا ان القاضي اعترف بسيادة الخليفة الجودي يحيى بن علي ولكن هذا الاعتراف عبارة عن تعهد غير مجد وقد بقي كذلك مدة طويلة فقد قام القاضي بحكم أشبيلية بلا سلطان عليه ولا رقابة وكان يحيى من الضعف بحيث لا يستطيع أن يلزمه بالمحافظة على حقوقه وقد تدلت هذه الحال تدريجا اذ وفق يحيى لأن يضم حوله جميع أمراء البربر تقريبا ، فأصبح من الآن بحق زعيم عامة الحزب الافريقى بعد أن كانت هذه الزعامة فيما مضى اسمية ، ولما كان معسكره العام في قرمونة التي طرد منها محمد بن عبد الله فقد أصبحت جيوشه تهدد قرطبة وأشبيلية في آن واحد ، وقد أوحى هذا الخطر الخيف المحدث الى القاضي بفكرة وطنية لها خطرها بقيمتها لو لم يشبها الحرص والطمع والأمانية والجشع.

فقد رأى من الضروري أن يجتمع العرب والصقالبة تحت راية حاكم واحد حتى لا يعزو البربر الذين اتحدوا الاملاك التي سقى لهم غزوها .

وهذه هي الوسيلة التي تجعل اللاد بمنجاة من حلول مثل ما حلّ بها من المصائب من قبل ، وكان القاضي يشعر من أعماق نفسه بهذه الضرورة ، فقويت عنده الرغبة في أن يتألف حزب قوى كبير يندمج فيه جميع العناصر المعادية للحزب الافريقى ، وهو في الوقت ذاته يمتنى أن يكون رئيسه ، ولم تكن العقبات التي عليه أن يذللها لنيل تلك الغاية بخافية عليه . فقد كان يدرك أن ملوك الصقالبة وأمراء العرب ، وشيوخ قرطبة يمحرون في كرامتهم اذا ما حاول أن يبسط سلطانه عليهم ، على أن شيئا من ذلك لم يبط همته ولم يجعل اليأس يتسرب إلى نفسه .

ولما كانت المصادقات تستخدمه ، فهو سيتمكن الى حد ما من الوصول الى الغاية التي يرمى اليها ، والمشروع الذي يعمل على تحقيقه ، وسنرى فيما بعد على أى نحو يتم له ذلك .

أسلفنا أن الخليفة النعمان «هشام الثاني» فر من القصر في عهد سليمان الثاني . قلنا ان أكثر الظواهر تدلّ على أنه مات في آسيا مجهولا غير معروف . ومع هذا فقد بقي الشعب غير مصدق بوفاة تعلقه المقرط بالدولة الأموية التي درت عليه أخلاف اليسر والرخاء ، وكسته حلل الشرف والمجد ، وكان عامة أفراد الشعب يتلقون الاشاعت التي كانت ترد اليهم من الخارج منبهة ببقائه على قيد الحياة باهتمام وشغف ، وهناك أفراد كانوا يزعمون أنهم واقفون على تفاصيل حياته بآسيا فقد أشاع بعض أولئك الزاعمين أنه رحل أولا إلى مكة وبعده خريطة مملوءة بالقود والفانس ، فسله الزنوج الذين كانوا يرفقته مامعه ، وأنه استمر يومين لا يتذوق طعاما ولا شرابا ، إلى أن رأى رجلا يصنع الفخار فرق له ورثي لحاله ، ففرض عليه أن يجهن له الصلصال على أن يعطيه في اليوم درهما ورغيفا ، فربما صانع الفخار أن يعطيه الأجر سلفا إذ قد مضى عليه يومان لم

يناول فيهما طعاما و بعد لأى استطاع هشام على كسل وفترة فى العمل أن يكسب قوت يومه ، إلا أنه أت من هذه الحالة فهرب ، وسار مع قافلة ذاهبة الى فلسطين ، ووصل الى اورشليم ، وهو فى أشد حالات الاملاق ، وهناك بينا هو يتنقل فى بعض طرق المدينة إذ وقف على حانوت حصرى ، وأخذ ينظر الى عمله بإتباء شديد ، فسأله الحصرى : هل تعرف هذه الصناعة ؟ فأجابته بحزن كلا ، وأنا آسف لأنه لا سبيل الى العيش وكسب ما أسد به الرتمق ، فقال الحصرى : اذن فابق معى لحاجتى اليك فى احضار الخبززان ، ولك أجرك ، فقبل مسرورا وبقى عند الحصرى الى أن حنق الصناعة وما زال على هذه الحال بضع سنين ، وقد أذاعوا بعد ذلك أنه عاد الى أسبانيا فى سنة ١٠٣٣ وزل ماقيه ثم تحوّل عنها الى المربه ، فوصل اليها سنة ١٠٣٥ فاضطر الأمير زهير الى إبعاده خارج حدود مملكته ، فرحل الى كالاتراها وثمة التى بها عصا التسيار .

هذه الرواية التى صادفت راجا وقبولا من الشعب لا تستحق على ما يظهر أن تنال شيئا من الثقة ، والذى وقع حقيقة هو أنه فى العهد الذى كان فيه يحيى يهتد إشبيلية وقرطبة ، كان فى كالاتراها رجل حصرى اسمه خلف يشبه تمام الشبه الخليفة هشاما الثانى ، ولكن لم يتم دليل على أنه هو بعينه ، وقد نفى الأمويون شيعة هشام ومعهم ابن حيان وابن حزم المؤرخان ما دار حول هشام المزعوم من الروايات والاراجيف وعدوه ضربا من الحيلة السياسية والخداع والقحة ، وان كان من مصلحتهم لو أمكن الوقوف لهشام على أثر ، ولم يتوقف خاف حين طرق سمعه كثيرا أنه شبيه هشام عن ادعاء أنه هو نفسه الخليفة هشام الثانى ، وقد جارت هذه الحيلة على أهالى كالاترا ، لان خلفا لم يكن معروف النسب عندهم ، والأغرب من هذا أنهم دخلوا فى طاعته ، وثاروا على أميرهم اسماعيل بن دهمان - نون أمير طليطلة فجاء هذا وحاصره ولم تطل مدة مقاومتهم ، وأخرج هشاما المزعوم من المدينة فهذا نائر الأهلئ ، وعادوا الى الكينة والمضروع .

ولم ينته دور خلف عند هذا الحد ، بل رجع عودا على بدء حين علم قاضى اشبيلية بخبره وعلم القائدة التى يجيها من وراء ذلك الرجل اذا هو أحضره الى إشبيلية ، وكان الذى يهمه إنما هو استغلال الموقف بقطع النظر عن شخصية الرجل ، كما كان يسره كثيرا أن يراضى الناس أنه هشام ، ليستطيع أن يكون باسمه حزبا ضد البربر ويكون هو بصوان كونه رئيس الوزراء زعيم روح هذا الحزب ، ولهذا بادر الى دعوة الخليفة المزعوم الى إشبيلية ، ووعده بتعزيده اذا شجح فى اثبات شخصيته ، ولما حضر الحصرى الى اشبيلية قدمه القاضى الى ناء هشام بالقصر ، فصرحن جميعون تقريبا بأنه هو بعينه الخليفة السابق ، وعول القاضى على قولهم ، وبعث الى شيوخ اشبيلية وأسماء العرب والعقاله يعلمهم بأن هشاما الثانى عنده ، ويدعوهم الى حمل السلاح معه دفاعا عن حقوقه ، ومؤازرة لقضية الخلافة وقد كل الله هذا المسى

بالنجاح ، واعترف بسيادة هشام محمد بن عبد الله أمير قرمونة المخالوع الذي لجأ إلى اشبيلية ، وعند العزيز أمير بلنسية ، ومجاهد أمير دانية ، وجزر بليار ، وأمير ترنوزا ( طرطوشة ) .  
وعلم عامة الشعب في قرطبة علما مقروبا بالسروور أنه لا يزال على قيد الحياة ، إلا أن كبيرهم أبا الحزم بن جمهور كان أقلمهم تصديقا للخبر حرصا على الحكم ، فلم ينخدع ، ولم تجده هذه الحيلة إلى نفسه مسافا ، ولكنه لم يجد سبيلا إلى مقاومة إرادة الشعب ، ومخالفة ميوله ، ورأى ضرورة اتحاد العرب والصقالبة تحت راية حاكم واحد ، لأنه كان يخشى في ذلك الحين أن يهاجم البربر قرطبة ، فلهذه الأسباب لم يناقض أغراض مواطنيه ، وسمحت نفسه بأن تتجدد البيعة لهشام الثاني من جديد .

وكان من نتيجة هذه الحوادث أنه بينما كان الحزب العربي الصقابي يتسلح ضد يحيى ، كان هذا محاصرا لإشبيلية ، مجدا في تخريب ما ينصل بها من العمران ، موطنا النفس على الانتقام الهائل من القاضى الحائن ، ولكن الملتعين حوله من بربر قرمونة الذين أكرههم على الانضمام تحت رايته - كان هواهم مع هشام الثاني خليفتهم السابق ، وكانت المخابرة بينهم وبينه سائرة ، وفي أكتوبر سنة ١٠٣٥ ذهب فريق منهم خفية إلى إشبيلية ، وأبلغوا القاضى ومحمد بن عبد الله أنه من السهل ساعته يحيى لأنه لا يكاد يفتق من السكر ، ولم يدع القاضى وحليفه هذه الفرصة تمر دون أن يستفيدا منها ، وهنا وجه القاضى ابنه اسماعيل ومعه محمد بن عبد الله على رأس الجيش الاشبيلي ، وعند ما أرخى الليل سدوله كن اسماعيل مع أكثر الجند في كمين ، وأرسل كوكبة لماوشة قرمونة ليغري يحيى بالخروج إلى ظاهرها وقد نجح في خطته هذه ، إذ كان يحيى حين بلعه محيى ابن عباد على رأس جيش ثملا ، فنهض وكان متكئا على سريره وصاح قائلا : « يا لها من فرصة سعيدة ، هذا ابن عباد مقبل لزيارتي ، والآن أيها الجند ، خذوا أسلحتكم واستطوا جيادكم قل ضياع الوقت ، وخروج في ثلاثة آلاف فارس ، وكان النبيذ قد لعب برأسه فلم يتمل ربنا يحيى جنده و ينظم خططه ، يضاف إلى ذلك أن ظلام الليل الخالك كان يحجب عنه كل شيء ، وفوجئ الاشبيليون منه بهذا الهجوم الماغت فقايلوه من جانهم بجحد وعنف ، وأخذوا يتقهقرون بنظام نحو المكان الذى كن فيه اسماعيل ، ومن هذه اللحظة سعى يحيى إلى حنقه بنفسه ، فان اسماعيل اقتض عليه بكل قوات الجند ، واضطره إلى التقهقر ، وقتل يحيى نفسه في المعركة ، وكاد يأتي القتل على أكثر رجاله لو لم يحل محمد بن عبد الله دون ذلك ، وقاله : « إن أغلب هؤلاء المساكين من بربر قرمونة الذين أكرههم هذا الطاغية على الدخول في خدمته مع كراهتهم واحتقارهم له . » فأبقى عليهم وأمر جنده بترك تعقبهم وخف محمد بن عبد الله إلى قرمونة على ظهر جواده ليسترد ملكه ، وأراد أنزوج يحيى الذين استولوا على أبواب المدينة أن يحولوا بينه وبين الدخول لولا أن ساعده الأهالى على دخولها من نفرة ، وسار إلى قصر الامارة وسلم نساء الأمير يحيى إلى بنيته ، واستولى على ما في القصر من كنوز وقائس « نوفمبر سنة ١٠٣٥ »



وقد أحدث نبأ وفاة يحيى سرورا عظيما في اشييلية وقرطبة ، وعند ما وصل الخبر الى مسلمع القاضى خرو ساجدا شكرا لله ، وحذا حذوه جميع من كانوا حوله ، والآن أصبح القاضى لا يخشى شيئا من جانب اليهوديين ، وقد نودى بادر بن احدى اشقاء يحيى خليفة في ماله ، وقد كان يعوزه الوقت الكافى الذى يستطيع فيه أن يكسب بقوة نفوذه ، وما يقدره من وعود ، قلوب زعماء البربر ، ليجعلهم في صفه ، ولهذا لم يعد فى استطاعته أن يخضع الجزية بعد أن نادى الزنوج فيها بان عمه محمد ، خليفة .

ولما رأى القاضى أن الظروف خدمته ، هم بأن يقيم هو وهشام الثانى المزعوم بقصر الخلافة فى قرطبة ، إلا أن بقلة ابن جهور ، وتصميمه على عدم التخلّى عن الحكم ، وقفا حجر عثرة فى طريقه ، فقد نجح فى اقناع أهل قرطبة أن الخليفة المزعوم لم يكن سوى رجل مكر مخادع وأن اسم هشام قد أتى من الامامة ، وعرف أن القاضى عند محبة بهشام الى قرطبة سيلقى أبوابها معلقة فى وجهه ، وثمة لا يستطيع التغلب على مدينة منيعة حصينة مثلها ، فيضطر أن يعود من حيث أتى .



وعول فى بداية الأمر على أن تسكر جيوشه عند الأمير الصقلي ، وهو الأمير الوحيد الذى أبى الاعتراف بهشام الثانى ، ذلك الأمير هو زهير أمير المرية ، ومد أراد الخليفة فهم أن يهون على الأمير ، واقطعه عدة أملاك بدأ زهير يناصر اليهوديين ، ولما نودى بادر بن حامية بادر بالاعتراف به ، ولما صار الآن مهتدا من القاضى عقد محالفة مع حيوس القرناطى ، ثم زحف جيش إشبيلية ، وذهب لمقابلته بجنوده وجنود حليفه إذ اضطره إلى التقهقر . ومن المحقق أن القاضى قد بالغ فى الاعتداد بقوته ، ولم يحسب حساب أعدائه ، وكان عليه أن يخشى يحيى الوقت الذى تغزو فيه جيوس المرية وغرطاة بدورها إشبيلية . وكثيرا ما خدمته محاسن الصدف التى شادت أن يخلصه أحد أعدائه من عدوه الآخر .

## ٢ - المناهج الأدبية<sup>(١)</sup>

كل ما يكتب في هذا العصر إنما هو محاولات أولية ترمى الى المثل الأعلى الذى نشده جميعا ، ولا يزال الأدب العربى وتاريخ الأدب العربى فى أشد الحاجة الى جهود الأدباء للتواصل وتنظيمه وتمحيصه وإصلاح تحريفه والكشف عن الاغلاط الكثيرة التى ألحقها به الفساح . ولازال كل جهد يبذل فى إزاحة الستور عن هذه المناجم الغنية مفتقرا الى جهد آخر يشد أزره ويساعده .

قد كنا الى عهد قريب لانكاد نؤمن بأن فى العربية كلها شاعرا واحدا يجارى المشهورين من شعراء الغرب . فلما انصرف الأدباء والعلماء الى الدرس والتحقيق والبحث والتحليل ، اكتشف الشباب نخبة من فادة الفكر العربى الممتازين ، ولا زلنا نطمح فى إزاحة الستور عن بنية اعلام الفكر العربى القدماء .

وقد كان من الطبيعى أن يصبح نهضتنا وهى فى أولها ما يصحب كل نهضة أخرى من العلو والاسراف فى بعض الواحى ، وفى نهضنا الأدبية عيب جوهرى نخشى أن يعوق سيرها حينئذ من الزمن نحن فى أشد الحاجة الى الاتماع به واسطاله بأقصى ما فىنا من قوة ، ذلك العيب الجوهرى هو أن أكثر من يكتب فى تاريخ الأدب العربى ينقسم قسمين : فريق من المحافظين الجامدين وفريق من المجددين السريعين .

يأتى الفريق الأول الا أن يتقيد بالنصوص القديمة ويأخذ بآراء القدماء فى النقد والادب بالغة مابلغت من الاضطراب والفساد من غير أن يعنى نفسه بعونها وتمحيصها ولا يكاد يردد الا عبارات محفوظة و (كلاسيكيات) قدأبلاها الدهر ولا يكاد يجرو على استخلاص نتيجة واحدة من محوثة الطويلة واطلاعه الواسع ، فامرؤ القيس أكبر مزاياءه أنه دلف واستوقف ، وبكى واسنكى ، وذكر الحبيب والمنزل فى شطرييت واحد وذلك فى قوله :

« قها نك من ذكرى حيب وه نزل      بسقط الهوى بين السخول غومل »

والباغة الديانى قد بز الشعراء بقوله :

« فاك كالليل الذى هومدركى      وان خلت أن المنأى عك واسع »

الى آخر هذه العوارب التى حان الوقت لاراحتها بعد أن أنهكها طول الاستعمال وكثرة الاستشهاد والتكرار .

الفريق الثانى من غلاة المجددين أو -على الأصح- دعاة التجديد ، لا يبالون بالنصوص ولا يمتنون أنفسهم بدرس الموضوع الذى يتصدون لبحثه ، وربما اكتفى بعضهم بالخلاص المدرسية النافهة فى الحكم على الشعراء والأدباء والأدب العربى كله . فالعرب - فى رأى أحدهم - لم يطرقتوا نوعا بعينه من الشعر ، لأنه لم يقرأ هذا النوع فى تلك

(١) ثبت فيما يلى بعضا من رسائلنا عن ابن زيدون ، توبرا للقراء .

الخلاصات المدرسية ، وهذا الشاعر لا يسمو الى مرتبة الفحول لأن الآيات القليلة التي قرأها في تلك الخلاصات لا تبرر وضعه في مصاف الممتازين والنوابغ .

وهم لا يرون اذا تصدوا للكتابة إلا وسيلة واحدة للطرافة والابداع وهي الخيال ، فهم لا يبالون اذا أعوزتهم النصوص أن يخلقوا تاريخ الشاعر خلقا ، وأن يدججوا حياتهم في حياته وينحلوه قنصهم وما يتخيلونه في قوسهم من مزاياء قراهم مخفون من الشاعر صورة هي أصدق مرآة نستشف فيها نفوسهم .

فاذا كان أحدهم حليعا تلمس شاعرا مشهورا بالخلاعة ولم يعن نفسه بشرح أسباب خلاعته مقدار عنايته بتبرير الخلاعة والتدحج بها ، واذا كان أحدهم حاقدا تلمس شاعرا مشهورا بالحق ، ولم يعن بالأسباب التي أحفظته على معاصريه عنايته بتبرير هذه الخلطة فيه .

ولست أسكر على اللاحث أن يتصدى لتحليل أية نفس إنسانية ماجنة أو جادة ، راضية أو ساخطة ، ولكنني أنكر عليه أن يخلق التاريخ خلقا ليؤيد رأيا - صالحا كان أو فاسدا - فان أمانة المؤرخ ودقته هما أول واجبه نحو الحقيقة والانصاف .

اما أن يصبر هوى أو يجري وراء خيال أو يطنق لنا - بلاروية ولأناة - نظريات مغلوطة وآراء فاسدة خاطئة تنقعها بلاروية ولا تدبر ، فذلك أضّر على الحقيقة من أولئك الجامدين الذين لا يهتمون بالأدب خطوة واحدة .

وقد بلغ من تهوس وشطط بعض دعاة التجديد أنهم أسكروا كل خيال عربي - لماذا ؟ لأنهم سمعوا أن أحد المستشرقين قال : « إن العرب ضيقوا الخيال وإن سمة الخيال وعمق الفكر وقف على الآريين » .

فإن الرومي مثلا واسع الخيال . لالأنهم اقتنعوا بسعة خياله ، بل لأن جدّه رومي . والمعري لا خيال له وإن كان خياله أوسع من خيال ابن الرومي - لماذا ؟ لأنه عربي فقح ، ولكن المعري هو صاحب رسالة الغفران التي قد آتت من آيات الخيال العربي ، فإذا يقولون فيها : الأمر غاية في اليسر ، ليس في رسالة الغفران كلها خيال وإنما هي كتاب أنشاء المعري في جغرافية الجنة والنار .

ومن اليوم إلى أن يظهر للمعري جد رومي تنق رسالة الغفران كتاب جغرافية ، ومتى ظهر له جد آرى أصبحت « رسالة الغفران » كتابا من أروع كتب الخيال .

هكذا يحكمون من غير أن يحاسوا نفوسهم على ما يقولون . وقد حاولا جهدا أن تدلس لابن زيدون جدا آريا تقدم به الى هذه الفئة لتكبر من مواهبه وخياله ، فلم يظفر بذلك .

على أن في ابن زيدون مزنة قد تشفع له عند هؤلاء المقتونين بالقرب وما عمت إلى الغرب . فقد نشأ ابن زيدون في بلاد الأندلس : وهي في صميم أوروبا ، فهو شاعر أوروبي البيئة وقد مدحه كثير من المستشرقين ، ولعل هذا يشفع له عند هؤلاء المقلدين .

أما الشباب المنصف الذي لا يبنى إلا بالحقائق ، فانا نتقدم إليه بديوان ابن زيدون ورسائله ،  
وسيرى فيها أمثلة من الابداع والافتنان ، ونماذج من الروعة والاحسان ، وصفحات رائعة  
من صفاء الديباجة وسحر البيان - وكلما تقرر بأن درس ابن زيدون سيكون أكبر حافز  
على درس غيره من نقول الأدب العربي والبيان العربي .  
وما أجدر الباحثين أن يتوخوا الانصاف فان آفة الرأي الموهى ، وأكثر الناقدين لا يفسد  
عليهم بحوثهم إلا التحيز ونسب الجادة وإرضاء النزوات الفكرية الطائشة . وفي يقيني أن  
الناقد كالمقاضى يجب أن يتوخى النزاهة التامة ، ويسمو بنفسه عن مزالق الأهواء ، ولا يألو  
جهدا في البحث عن الحقيقة ، أما أن ينقلب الناقد محاميا للدفاع أو نائب اتهم - كما يفعل أكثر  
الكتاب - فذلك ما لا نرضاه له ، ولعل أكبر عقاب يناله هو فقدان الثقة بما يكتب .

### ٣ - نشأة ابن زيدون

ولد ابن زيدون في قرطبة سنة ٣٩٤ هـ في زمن النحلة العاصمية ، في أول عهد المظفر ابن المنصور بعد سنة واحدة من موت المنصور بن أبي عامر . وهو من أسرة مجيدة من بني غزوم (١) ، وهو أحد ثلاثة تسموا بابن زيدون وهم :

١ - أبوه : عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون وكنيته أبو بكر ، وكان فقيها بقرطبة وكان قاضيا وعالما مشهورا وأديبا واسع الثقافة .

وقدمات (٢) سنة ٤٠٥ هـ ، وترك ابنه وسنه حينئذ إحدى عشرة سنة وهكذا أصاب ابن زيدون اليم وهو صغير .

٢ - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون صاحب هذا الديوان الذي بين يدي القارئ وكنيته أبو الوليد .

٣ - ابنه أبو بكر بن زيدون الذي تولى بعد وفاة أبيه وزارة المعتمد بن عباد وقتله يوسف بن تاشفين ، بعد أن استولى على ملك بني عباد سنة ٤٨٤ هـ .



وكان ابن زيدون صاحب هذا الديوان أشهر هؤلاء الثلاثة وقد كرس حياته للدرس والتحصيل وساعده نوعه ومواهبه على ذبوع صيته وشهرته وهو لم يتجاوز العشرين من سنه ، وكان عصره أزهى عصر أدبي في الأندلس وقد تلمذ على أساتيد الأدب في زمنه وألم من كل علم بطرف ، وفرض الشعر وسبق فيه وهو في العشرين من عمره ، واشترك في الفتنة القوطية ، وقام بصيب كبير في تلك الثورة التي اندلعت نيرانها في قرطبة .

وكان ابن زيدون من زعماء تلك الفتنة التي زلزلت دولة بني أمية ودولة بني جود والعلويين ، وانتهى الأمر بالقضاء عليهم جميعا وقيام ملوك الطوائف على اقاضهم . وكانت سه وقت الثورة ثمانيا وعشرين سنة (٣) .

(١) بطن من قريش ، وهم عشيرة خالد بن الوليد .

(٢) مات أبوه بمدينة البيرة ، وقتل جثته الى قرطبة فدفن بها ، ومما وصل إلينا من رثاء الشعراء فيه قول بعضهم :

«أي دكن من الراحة هـ ما وجوم من المكلام غضا  
حلوه من بلدة نحو أخرى ليوافوا به ثراه الأريضا  
شحن السحاب ماء صيفا ليدأوى به مكثا سريرا»

(٣) بدأت الثورة سنة ٤٢٢ هـ وكانت ولادته في سنة ٣٩٤ هـ فتكون منه حينئذ ٢٨ عاما . وتدخل ملك بني أمية في الأندلس ٦١٢ سنة وثلاثة وأربعين يوما . وقد انقسمت ملك الأندلس بعد

فقربه اليه ابن جهور (١) وأعلى قدره ثم لم يلبث أن منحه لقب « ذى الوزارتين » . وكانت بين ابن زيدون وابن عبدوس منافسات كثيرة لاشتراكهما في حب ولادة ، فأخذ يكيد له ابن عبدوس هو وأصحابه الملقون على ابن زيدون عند أبي الحزم حتى غيروا عليه قلبه وسجنوه بتهمة التآمر على قلب الملك واعادته الى بنى أمية كما سنفضل ذلك في رسالة خاصة .

وقد أنشأ ابن زيدون في سجنه كثيرا من القصائد الرائعة والرسائل البليغة التي يراها القارى في ديوانه . وحاول أن يستعطف بها ابن جهور متوسلا اليه تارة بإبنة أبي الوليد وتارة بغيره من أصدقائه ، فلم تلقى شكواه أذنا صاغية . على أن السجن لم ينس ابن زيدون حبه ولادة فظم فيها نغبة من أروع قصائده ، ولا ينس من عفو أبي الحزم ، لجأ الى الفرار من السجن ، ولم ينس ولادة التي كان يهيم بحبها ، ولكنها أغفلته واشتغلت عنه بحب ابن عبدوس (٢) على أن ابن زيدون لم ينسها طول حياته ، وما زال يظم الأشعار متغزلا بها ، شديد الحنين الى أيام وصالتها وظل حبها المعين للفرار الذي لا ينضب ، وما زال يلهمه أروع خواطره الثائرة وعواطفه المتأججة ، وكان من أكثر الأسباب في وصول ابن زيدون الى مرتبة الرعاية بين شعراء الغزل الممتازين .

سقوط الدولة الأموية الى تسع عشرة مملكة منها ، قرطبة ، وإشبيلية ، وحلب ، وقرمونة ، والحرب ، والجزيرة الخضراء ومرسية وبانسية ، ودابية ، وطرطوشة ، ولاردة ، وسرسطة ، وطليلة ، وباجة ، ولشونه الخ

قال ابن حزم : كانت طرطوشة وسرسطة وفرافعة ولاردة وقلة أبوب في يد بني هود . وبليسية في يد عبد الملك بن عبد العزيز . ولشونه في يد بني زري . من جهة الشمال - في يد بني زري . وطليلة في يد بني ذى النون . وقرطبة في أيدي أمراء جهور . وإشبيلية في يد بني عباد . ومالقة والجزيرة الخضراء في يد بني برزال من البربر . والمرية في يد زهير الماسري ثم ابن صهاح . ودانية وأعمالها والخواثر العربية في يد مجاهد الماسري . وبليوس وبابرة وشتقرين ولشونه في يد بني الأفلح . وأصبح كل امرئ وما اختار من الألقاب والأسماء ، حتى أن للسجن ، لما جلس على كرسى الخلافة ، قال للسلطان أحمد بن : « ارموا كيف شئتم وارتمسوا ما أحببت من المخطط » فسمى بالوزارة في أيامه - معددة وشاة - أرادله الدائرة ، وأقامت الطائفة ، صلا عن زحاح الكتاب والحكمة .

(١) هو أبو الحزم بن جهور الذي استولى على المملكة بعد خلع الجند آخر خلفاء بني أمية ، ولم يتحول عن داره الى قصر الخلافة ، وجعل الأمر شورى ، وسلس الأمور بمحرمه وحسن تدبيره ، وكانت مدته في الحكم أربع عشرة سنة وبنمة أشهر ، ثم خلفه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور الذي مات في شوال سنة ٣٤٢ هـ

(٢) وفي ذلك يقول ابن زيدون .

وأكرم بولادة ذخر المديح لو فرقت بين بطار وعطار  
قالوا : أبو طاهر أشقى بلمها قلت : العراشة قد تدن من النار  
عجرتونا بأن قد صار يخلفها فيمن نحب ، وما في ذلك من طار  
أكل شهى أصبنا من أماليه بصا وبضا فصحا عه لنار

ولما مات أبو الحزم عاد ابن زيدون الى قرطبة وانضم الى أبي الوليد وقام بالسفارة بين وبين ملوك الطوائف فأعجبوا به وتمنوا استئثارهم به لبراعته وحسن سيرته وتمكن من دولة ابن جمهور وابتم له الحظ ثانية حتى أفسد الحساد مصلح ، وخشى ابن زيدون أن يلقى من الابن ما لقي من الأب من النكال والسجن ، ففر هاربا من قرطبة . وظل ينتقل في أرجاء الأندلس من رنده إلى باداجوز إلى اشبيلية أخيرا حيث اتصل بعباد بن محمد صاحبها الملقب بالمتضد (١) ولم يكن يخفى أدبه وشهرته ومكاته عليه فحش له وبش وألقى اليه مقاليد ورارته ، وبعد أن مات المتضد حاول الوشاة وعلى رأسهم ابن عمار أخلع صديقا المعتمد أن يغيروا قلبه عليه وأن يدسوا له عنده فلم يفلحوا ، وأقصاهم المعتمد بن عباد عنه وقرّب اليه ابن زيدون وأعلى مكاته عنده وظل ابن زيدون يزين له غزو قرطبة حتى ملكها عنوة بفضل تدير ابن زيدون وسعة جلته ، وانتقل المعتمد وابن زيدون إليها وجعلها عاصمة ملكه .



ولما وقعت الثورة ضد يهود اشبيلية ، انتهز ابن عمار وابن مرتين وأنصارهما هذه الفرصة لأقصاء ابن زيدون عنهم تخلصا من منافسته ، فزينوا للمعتمد أن يوفده إلى اشبيلية لشدة تعلق أهلها به واستغلال حبهم في تسكين الاضطراب وتهدة الخواطر ، وكان المعتمد يعلم ما يكره أهل اشبيلية لابن زيدون من الحب وما له عندهم من المكانة والخطر . وكان ابن زيدون مريضا فاضطره المعتمد الى السفر ، فلم يستطع إلى مخالفته سيلا ، ولم يلبث أن اشتدت به الحمى وألح عليه السقم فلحق به أسرته . ولكن الشيخوخة والمرض تكاثفا عليه فأهلكاه في ١٥ رجب سنة ٤٦٣ هـ فحزن عليه أهل اشبيلية أشد الحزن ودفن فيها باحتفال مهيب . وقد مكث في خدمة آل عباد تسعة عشر عاما ، ولوطال عمره قليلا لأفزع حساده ومنافسوه في تغيير قلب المعتمد عليه والتسكيل به كما أفعلوا في مثل ذلك من قبل ، ولكن الموت أهداه من دسائسهم وكيدهم وورجه من شرهم .

---

(١) استطاع المتضد أن يصلب على كل ماواجهه من القنات وبذل أقصى ما يبدل داعية من الجماعة حتى صلبه الجوع وسلم له الملك وكان أكبر من يناوته من التخليق وأشدهم حيله مساجاة و هو يزال الذين كانوا يبرونه وأعمالها من نواحي اشبيلية ، فلم يزل يصرف الجبة تارة - كما يقول المراكشي - ويجهز الحيرش أخرى الى أن استسلم ففرق كلتهم ، وشقت منتظم أسرهم ، وحامهم عن جميع تلك البلاد ، وصفت له أموره .

## بمحتري المغرب

« وبقول «ض أدانا : إن ابن زيدون بمحتري زماننا، وصدقوا

لأنه هذا حذو الوليد في بعض قصائده » « ابن دمام »

قلت في فصل سابق : إنني ترددت في شياخة « نيكسون » حين وصلت إلى قوله :

« وقد أطلقوا على ابن هاني لقب متبني الغرب ، كما أطلقوا على ابن زيدون لقب بمحتري

الغرب . »

وقد قلت حينئذ :

« ولما كما لم يدرس ابن زيدون دراسة تمكنا من الحكم عليه حكما صحيحا ، فانا نترك

مناقشة القسم الثاني من هذه التسمية ونكتفي الآن بالكلام على القطعة الأولى وهي تشبيه

ابن هاني بالمتبني لاستطاعتنا الكلام في هذا الموضوع . »

والآن بعد عشر سنوات أستطيع أن أقرر مستوقفا : أن هذه التسمية صادقة في تفصيلها

وإجمالها ، وأن من يدرس ابن زيدون والبحتري يطلق على ابن زيدون لقب بمحتري المغرب ، ولو

لم يعرف أن القدماء قد أطلقوا عليه ذلك اللقب ، فكلاهما رائع الظم سحر الأداء ، وأكثر العصور

الشعرية التي أبدعها جذرة بأن نال أعز مكان في أرقى المتاحف الشعرية .

ولقد يسر علينا ما لقينا من الجهد والعناء في اظهار هذا الديوان أن به من الصور الشعرية

الرائعة والبيان الساحر الغلاب ما يفخر به الأدب العربي والشعر العربي في أزهى عصورهما

وأفخرها ، فقد كان ابن زيدون في سموه وافتنانه - وما أكثر سموه وافتنانه - مثالا رائعا

للساعر المدع القادر المتصرف بفنون القول وأساليب البيان .

وأحب أن أصرح القاري أنني كدت أنسرع في الحكم حين عرضت لهذه التسمية في

كتابي « نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي » ، فأقررت أن في هذه التسمية كثيرا من الاسراف

والمبالغة ، وقد كنت حينئذ متشعبا بروح البحتري مأخوذا بسحر بيانه ، وكنت لا أكاد أصدق

أن شاعرا - كابن زيدون - جدير أن يوضع معه في ميزان أو يشركه في إحسان .

ولكنني رأيت أن من الظلم والغبن أن أفاضل بين شاعرين درست أحدهما دراسة مستفيضة

ولم أقرأ لثانيهما إلا عشرات من الأبيات و بضع صفحات من المتر ، فأرجأت الحكم حتى أتم الدرس .

وهذه حالة نفسية تعرض لأكثر المشتغلين بالأدب في هذا العصر ، وهي آفة من الآفات

التي تفسد على الباحثين بحوثهم ، فإن أكثرهم لا يتورع في الحكم على شاعر لم يدرسه ولم يبن

بقراءة آثاره وتقصى أخباره ، بأنه شاعر ممتاز أو سخي ، وبعضهم يكتفي بالمختصرات المدرسية

والمختارات الشائعة المقتضبة فيصدر الأحكام السريعة على الشعراء والأدباء وربما عكف

أحدهم على درس شاعر ولم يدرس غيره ، فراح يملأ الأرض تمجيده له ويسرف في اظهار مزاياه

وتفضيله على جميع شعراء العربية حتى ليقول أحدهم في وصف بعض الشعراء :



« فهو الشاعر من فرعه إلى قدسه وهو الشاعر في جيده ورديته ، وهو الشاعر فيما يحتفل به وما يليقه على عواهنه » إلى أن يقول « فما تحرك حركة الاكلان للعقوبة فيها أرفى نصيب » (١) وقد كان المرحوم الشيخ محمد شريف سليم شارح ديوان ابن الرومي ، يرى بعد أن درسه دراسة مستفيضة أن ابن الرومي أشعر شعراء العربية . وأكثرتهم قصرنا بضون القول وكان الباعث له على ذلك أنه عكف على درسه زما طويلا فظهرت له مناياه الماهرة فحسب أن أحدا من الشعراء مهما سما لن يصل إلى مكانة ابن الرومي .

وهؤلاء اللاحثين عندهم في إصدار هذه الأحكام وإن لم ينصفوا الحقيقة، فإن كل شاعر من هؤلاء النحول يترجم لنا عن حضارة هائلة ويخلق بنا في أجواء ساحرة نفسنا - حين يخلق فيها - كل شاعر سواء ، فالمحتري والمتنبي والمعري وابن الرومي وابن زيدون وابن جديس وأضرابهم يكاد يعبك واحد منهم ويغلاّ نفسك جلالا وروعة إذا اقتصرت على درسه وحده . ولكك بعد ذلك جدير ألا تحكم بتفضيل أحد هؤلاء على الآخرين والأزراء بهم لأنك لم تدرسهم جميعا دراسة مستفيضة .

وأذكر بهذه المناسبة أمي كنت في مجلس يضم صفوة من رجال الأدب الممتازين كانوا يناقشون في الأدب فقال أحدهم :

« إن سيد كتاب العربية وإمام البيان العربي هو ابن المقفع » ثم راح بطوبه ويخلع عليه كل عبارات الثناء ، فقال له الآخر : « أما أنا فقلت من رأيك ، فإن أبا العرج الاصبهاني بنثره المجهز قد بزل كل كتاب العربية » فقال الثالث : « ابن أنس من عند الجيد الكاتب فهو سيد هؤلاء جميعا » فابرى له الرابع قائلا :

« الحق أن امام البيان العربي هو الجاحظ » ثم سألوني رأيي فقلت :

« بل سيد كتاب العربية هم هؤلاء جميعا وأضرابهم ولكن كل واحد منكم عكف على دس كاتب من هؤلاء خيل إليه أن أحدا لا يدانيه بلاغة وسحرا »

وهذا مثال لا يزال يتكرر ولا زلنا نرى في كل يوم باحثا يأبى إلا أن ينتصر لنا بة بینه ويفضله على جميع الناس ، وفي هذا ما فيه من الاسراف والمبالاة وظلم الحقيقة .

وما رأيك في قروي لم يغادر ريفه الحقيقة طول عمره ، فلما سافر إلى مدينة كبيرة ورأى ما فيها من قصور فخمة وحدائق غناء وظن أن هذه المدينة الكبيرة - التي جمت ألوان الحضارة والترف وجلالت السرور - هي أجمل مدن العالم ، وليس من الضروري أن يزور الانسان كل المدن الشهيرة ، فله أن يكتفي بواحدة أو أكثر ، ولكن من الضروري لمن يريد المقارنة بينها وبين سائر المدن أن يزورها ويعرفها جميعا .

كذلك ليس من الضروري أن تقرأ كل شعراء العالم ، ولكن من الضروري الاقتضال أحدا من الشعراء عليهم جميعا من غير أن تقرأهم جميعا .

ماذا ، بل أنت اذا توخيت الانصاف والشفقة والفراسة عاجز - بعد طول الأناة والدرس - عن البتّ في تفضيل شاعر من الفحول على آخر ، وإن النصف النزيه ليرتدّد في أن يجزم بتفضيل قصيدة رائعة على أخرى كما يتردد في تفضيل حسناء بارعة في الجلال على شبيبتها ، ورحم الله الأعرابي الذي طلب إليه أن يفاضل بين نوعين من الحلوى ، فظلّ يتذوق أحدهما تارة ، ويتذوق الثاني تارة أخرى ثم يعود إلى الأول ويرجع الى الثاني ثم هل :

« إنني كلما أردت أن أحكم لاحدهما أدلى الآخر بحجته »

وليس في قدرة ناقد غربيّ - نزيه أن يسخط شاعرا خلا كشكسبير وإن كان في قدرته أن ينتقده ويظهر عيوبه .

أما عندنا فعلى العكس من ذلك ، لا يتحرج كاتب عن تسخيف شاعر فحل كالنبي أو إنكار شاعرية المعري أو تحقير واهب ابن الرومي أو ابن زيدون أو ابن جديس أو البحتري الى آخر هؤلاء الفحول .

ثم ماذا ، عندنا من يجرؤ على إنكار شاعرية عصر بأكله كمصر ملوك الطوائف (١) الذي يعدّ أزهي عصر أدبي في الأندلس ، بل عندنا متهوسون يجرؤون - فيزعمون بلاحيطة أو مبالاة - أن ينكروا الأدب المصري كله في جميع عصوره المختلفة ، وعندنا آخرون ينكرون روعة الأدب العربي في شتى لغاته وعصوره من غير أن يحسموا أنفسهم قراءة شيء من آثار هؤلاء أو أولئك .

وما كنا لنعرض لمناقشة أمثال هؤلاء المتسرعين في الحكم لولا أن عدواهم كادت تسرى إلى أكثر شبانا وبعض شيوخ الأدب واعلام الفكر عدما .

وقد ساعدت الخلاصات المدرسية التي كتبها مدرسو الآداب عندنا على إصدار هذه الأحكام السريعة ، فإن أحدهم ليكتب كتابا يعرض فيه لتاريخ أدب اللغة في جميع عصوره ويقتبس من أحكام القدماء ما شاء من غير أن يقرأ ديوان شاعر واحد بأكله ، ومن غير

(١) ومن هذه الأحكام قول أديب من هذا الطراز المريب في هذا العصر الذهبي - عصر ملوك الطوائف - الذي لا يكاد يعرف منه غير اسمه :

« دلكم عصر الاسراء والترف . عصر تزيع فيه الأبحار والبصائر فكل مما وراء انمشور والطوامر تهيج للناس في ذلك العصر فتعريد الحواس ، وبعوت الحب المظري فترح في رفاته ديدان المهورات . وتاميك عصر تكون فيه البهائم أصدق حياً من الناس ، لأن البهائم لا تنب بالحب ولا تفسد في مثل هاته المصور يأخذ الناس من كل شيء . بأيسره ، ويقتنون من كل مطلب بأقربه إلى الحسن وأيسره . لا يكون الجمال فيها إلا صيغة في البعرة تلصصها الألسنة حتى تزول ثم تعجبها بمافا ، ولا تكون البهائم والأمواه إلا مجالس دراب وسمراوح هواء ، ولا الطيعة بكثا ورياحينا وأثمارها إلا طفسة مطررة بمختلف الألوان والأشكال ، ولا التشر إلا بهرجا برافاً لو صور بمرأ سويأ لالت منه التيون مالا تال الفرس وما الأخلاق والرودة والعرف إلا آدابا يسطح عليها المارقون ليدوم لهم صفو المجلس ، ثم ماشاء المعاصر مد ذلك من غي وشنار ، وما طالب له من حبت واستهتار لا يشيته ذلك ولا يتحدق في آدابه . »

ان يدرس عصره ويتقنى أخباره ، وهو لو فعل لما استطاع إصدار فصل واحد من كتابه .  
وعندنا أن الخلاصات المدرسية لا يمكن كتابتها الا بعد أن يستوفى الباحثون درس  
العصور والشعراء والأدباء ويقطع كل منهم لشاعر بعينه أو كاتب بعينه ، فيدرسه من جميع  
واحيه ، فإذا تمّ ذلك كله أمكن اختصار بحوثهم المستفيضة في صفحات قليلة للناشئين .  
وقد تكاثفت فئة من أعلام الباحثين في العصر الحديث كـ (قلنا على درس المتنبي وابن الرزمي  
والمرعي ، وظفروا بنتائج باهرة أقنعت كثيرا من الشباب المصنف بأن عندنا من الشعراء من  
نباهي بهم ونعجز مقتطعين ولا نتردد في مقارنتهم بأكبر شعراء الغرب .

وما كان في قدرة اسان أن يفهم جلال شعراء الغرب وكتابته ويقدره واهمهم الممتازة  
وعبقرياتهم الفذة لو لم يحرص القاد والشرائح والباحثون لتجلية كل غامض وتوضيح مسامح  
انجماهم الفكرية ، ولئن يقتنع الشباب العربي بأن أدبا زاخر بالشعراء الدحول الذين  
لا يتخلعون عن أكبر شعراء الغرب ، الا بعد أن يتصدى أدباؤنا وباحثونا لتحليل آثار القديماء  
وتنظيمها وشرح غامضها وإزاحة الستور عن مناحي المقربة فيها وتقديم ثمار جهودهم الناضجة  
للشباب العربي ، وثمّ يرى شاسا أن هذه العقول العربية الكبيرة التي استوعبت أرقى  
الحضارات في أزهي العصور وعبرت عن أخفى الخواج الفسية وأدقّ الاحساسات وأروع  
الأفكار وأعق الآراء ، حدية بالانصاف والاقبال عليها والتمتع بسحرها الفائق .

وسيرى الشاب الذي نعلق عليه أكبر الآمال في ديوان ابن زيدون بحترى المغرب ، إذا  
درسه بناية وأناة . ولم يكتف بتصفحه والمروء به . على عادته - مرورا سريعا ، أن ابن زيدون  
كان جديرا بما بذلنا من عاء وجهه ، وأنه جدير بمعاودة الكرة لدرسه دراسة مستفيضة  
في رسالتنا التي أفردناها لتحليل أدبه وعصره والتدبيرة على دقائقه ومزايده والالمام بعصره الزاهي .  
وبعض الناس يفضلون الحترى على ابن زيدون ، لأن ابن زيدون كان يحب به ،  
وهو رأى محدود عليهم . فان إعجاب ابن زيدون بالبحترى كأعجاب المرعي بالمسيبي ، إعجاب عظيم عظيم ،  
ولو تقدّم ابن زيدون زمنه على زمن البحتري لعان البحتري بشعره ، واتخذ منه مثلا يسج  
على منواله وإماما يهتدى به في مه الزائع .

## شاعرية ابن زيدون

« ابن زيدون مبقى زمانه صر المحنون من إحسانه  
أخذ الروم - في الجريرة - منه وشمسوا في خياله واضانه »  
« شوق »

لكل شاعر من النحول طابع خاص يمتاز به شعره فإذا امتاز المعرى بالفلسفة في شعره وامتاز المتنبي بالحكمة ، وامتاز ابن الرومي بالوصف على المعاني النادرة ، وامتاز أبو العتاهية بلزهديات ، وأبو نواس بالخرجات ، والبحتري بحسن النظم ، وأبو تمام بالصناعة وابن جديس بالوصف فإى ميزة امتاز بها شعر ابن زيدون ؟

ميزة ابن زيدون التي تكاد تقوده من شعراء العربية هي الفن . فهو شاعر فنى قبل أن يكون فيلسوفا أو حكما أو غوصا على المعاني أو وصفا .

الفن وحده هو الذى أ كسب ابن زيدون زعامة الشعر في عصره ، وأغرى حول الشعراء في زمنه وبعد زمنه بمحاكاته والانضواء تحت رايته . فهو شاعر الفن الذى أبدع أمير الشعراء في وصفه حين قال :

« بأبى أنت هيكلا من فون مركبا »

وإنك ترى صورته الفنية قد وصلت الى الذروة ، وقلما اشترك ابن زيدون مع شاعر آخر من المعحول فى معنى من المعاني إلا بزه ابن زيدون بخته ، وأمجزه ببيانه الساحر المحجب . حتى البحتري الذى كان القاد بلقون ابن زيدون به ، كثيرا ما اشترك معه ابن زيدون فى صور شعرية وتوقفت صور ابن زيدون على صور البحتري .  
وإعما خصصا البحتري بالله كره ، لأن البحتري هو المثال الذى اختاره ابن زيدون ونحا نحوه حتى غلب عليه اسم بحتري المغرب .

ومن الجيب أن ابن زيدون قد اشترك مع البحتري فى عدة صور شعرية - كما اشترك مع غيره من الشعراء - فكان ماذا ؟

كانت الصور الكلامية التي يبدعها الشاعران جديدة أن توضع فى أرقى المتاحف حين يشتركان فى غرض واحد ، ولكن الصور التي أبدعها ابن زيدون جديدة بالجائزة الأولى فى أغلب الأحيان .

قال البحتري :

رجال عن الباب الذى أما داخله	« ولما حضر ناسدة الاذن آخرت
أقابل بدر التم حين أقابله	فأفضيت من قرب - إلى ذى مهابة
أنا يبيه ، واهتز لظمن عامله	كما انتصب الرمح الردينى . ثقفت
ونم سناه واستهلت منزله	وكالبدر ، وافيناه ، تم سعوده
تنزعنى القول الذى أنا قائله	وسلمت ، فاعتاقت جنائى هيبه
إلى يشر آنستنى عجايله	فلما تأملنا الطلاقة ، وانثنى

دفوت قبيلت الديو من يد امرئ\*  
صفت - مثل ما تفصل للدام - خلاله  
و قال ابن زيدون :

« فلما قضينا ما عانا أداؤه  
قرنا بحمد الله جدك ، إنه  
وعدنا إلى القصر الذي هو كعبة  
إذا نحن طالعناه والأفق لا يس  
رايناك في أعلى المصلى كأنما  
ولما حضرنا الأذن والمهر خادم  
وصلنا وقلنا الديو منك في يد  
لقد جدت حتى ما بنفس خصاصة

كريم عياه سباط أنامله  
ورقت - كما روق النسيم - شباته »

وكل بما يرضيك داع فلهف  
لأوكد ما يحظى إليه ويرلف  
يضاديه منا ناظر أو مطرف  
عجاجته والأرض بلبليل ترجف  
تطلع من محراب داود يوسف  
تسير فيمضي ، والقضاء مصرف  
بها يتلف المال الجسم ويخلف  
وأمنت حتى ما بقلب تخوف »

فأى الصورتين يفضل القارئ ؟

الحق ان الانسان ليحار في تفضيل إحدى الصورتين على الأخرى ، فقد كادنا نصلان الى أقصى درجات الكمال . ونجلى إبداع الشاعرين فيهما إلى أقصى حد ، ولكن النصف لا يلبث بعد طول الزوبة والأناة ، أن يؤثر تلك الصورة الشعرية التي أبدعها ابن زيدون بحترى المغرب على صورة صاحبه بحترى المشرق .

وقد وفهم كثير من القاد المعاصرين في خطأ شنيع حين تسرعوا في الحكم على ابن زيدون بأنه مقلد في أكثر معانيه غير مبتدع ، وحسبه لذلك فخصاح العسكر لا ينفد بشعره إلى الأعماق ، وقد عاب بعض المتسرعين في الحكم مثل ذلك على أناتول فرانس ، وعبروه بأنه كاتب أسلوب لا أكثر ، كما عبروا ابن زيدون بذلك ، ونسوا أن الفن - كما يقول أناتول فرانس - ليس في الإبداع والاختراع بقدر ما هو في حسن التأليف ودقة الانسجام . وكثيرا ما نتخذ أناتول من الحوادث التافهة وسيلة إلى خلق قصة رائعة . وإنما يمتاز الشاعر على الشاعر - إذا اشتركا في معنى من المعاني - بما يبدعه أحدهما من الألوان وما يوفق إليه من التعبير عن ظلال المعاني ودقائقها .

فان أمهات المعاني - كما قلت في كتابي « صور جديدة من الأدب العربي » مشتركة بين الناس - على اختلاف لغاهم وأزمانهم وبيئاتهم وأجناسهم - واماك لو حاولت أن تعبد لأكثر المعاني أشاها لما أعياك ذلك . وربما قلت المعنى تحسب أنك اقررت به ثم عثرت على شبهه - بعد عام أو عامين - في شعر قديم أو حديث عربي أو غربي وقد بما قال عنترة :

« هل غادر الشعراء من مترم ؟ » وذلك أن النفس الانسانية - على اختلاف نزعاتها وشئ أحساسها وشعورها - تكاد لا تختلف في الشعور بأمهات المعاني ، ونجمة توارد الخواطر . وإنما يمتاز الشاعر على الشاعر بالاعتنان في أداء هذه المعاني ، وروعة الأداء وحسن

التعبير عن دقائقها وظلالها والابداع في صوغ الخواجا النفسية والصور الشعرية المشرقة بالحياة والقدرة على تهيئة الجو الرائع الذي تخلفه شاعريته وعرض معانيه في أبهى صورها وأجل حلها . ولنضرب للقارئ مثلا واحدا من أمثلة عدة لا يتسع لها المقام :

لعل كثيرا من الناس يدركون من أمثلة الحياة ونظمها أن ما يضرب واحدا قد ينفع الآخر . هذا معنى شائع ميسور لكل متأمل وليس للسرقة مجال فيه . وقد افق كثير من الشعراء في صوغه فظهرت في ذلك ميزاتهم ومواهبهم وتجلت قدرتهم على الخلق والابداع .

وقد صاغه المتنبي في أبسط صوره فقال : « مصائب قوم عند قوم فوائد . »  
وتناوله ابن الرومي من قبله فجاءه في صورة أخرى وهي قوله :

« فاشقني انما هجاؤك عندي فحركات تزيد في السراء

وعمال أن يسعد السعداء الله هر الا بشقوة الأشقياء . »

فلما طرقه المعري جلاه في أبدع صوره وأجلها فقال :

« وسخط الطاء بما نالها تولد منه رضى الحابل . »

فقل لنا - من ذلك المعنى الشائع المطروق - صورة رائعة دقيقة مشرقة بالحياة وأظهر لنا - ريشة المصور الفطن - نظية يوقعها القدر وسوء الحظ - ونكد الطالع في حالة الناس فتدرك أن حينها قد اقترب وأن هلاكها وشيك ، وصيادا يراها - في هذه الحال من الألم والسخط - فيرى فرصة ثمينة نادرة بات يحلم بها طويلا .

ولقد أحسن الجرجاني حين دل في ضمن فصل طويل يحب أن يرجع القارئ اليه في كتابه : « وقد يتعاضل مدعو هذه المعاني - بحسب مراتبهم - فنشترك الجاعة في الشيء المتداول وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتب يستحسن أو تأكيد يوضع موضعه أو زيادة اهتدى اليها - دون غيره - فيريك المتذلل في صورة المبتدع والمخترع . »

وقد ضرب الجرجاني لذلك أمثلة كثيرة ثم قال :

« ولم يبق عليك الا أن تحترس من التفریط - كما احترست من الإفراط - فلا تكن كمن يرى السرقة لاتهم الا باجتماع اللفظ والمعنى ونقل البيت جملة والمصراع تاما ، بل لا يعرف إلا من يفعل فعل عبد الله بن الزبير بأبيات معن بن أوس . »

إلى أن قال بعد كلام طويل :

« والسرقة - أي ذلك الله - داء قديم وهيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه . »

ومن أجل ما أورده في ذلك الفصل قوله :

« ومتى انصفت علمت أن أهل عصرنا - ثم العصر الذي بعدنا - أقرب فيه الى المعذرة وأبعد من المذمة ، لأن من تقدمنا قد استغرق المعاني وسبق اليها وآتى على معظمها ، وانما يحصل

على بقايا لما أن تكون تركت رغبة عنها واستهان بها أول بعد مطلبها واعتياص مرامها وتعتذر الوصول إليها .

ومتى أجهد أحدا نفسه وأعمل فكره وأتعب خاطره وذنه في تحصيل معنى - بظنه غريبا مبتدعا ونظم بيت يحسبه فردا عثرتا ، ثم تصفح عنه السواوين - ثم لم يحظ أن يجده بعينه أو يجد له مثالا يقض من حسنه .

ولهذا السبب أحظر على نفسي ولا أرى لعيري بت الحكم دلي شاعر بالسرقة . وقد أحسن أحمد بن أبي طاهر في حجة البحري لما ادعى السرقة في قوله : -

« والشعر طرقي أنت راكبه فنه منشعب أو غير منشعب

وربما ضم بين الرك منهنجه وألقى الطنب العالي على الطنب »

فاذا شئت أن نمثل لك من شعر ابن زيدون بما يؤيد هذا الرأي ، عرضنا لك نجمة موجزة من أقوال رجال البيان في بعض المعاني التي طرقها ابن زيدون . قال معاوية : « السرو التفاضل » وقال المتنبي : « ليس العبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتقاي »

وقال زهير :

« ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرّس بأنياب ويوطأ بمنهم »

وقال بشار :

« اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربهم  
ففس واحداه أوصل أحاك ، فانه مقاروف ذنب صرة ومجانبه »

وقال أحد الشعراء :

« ومن يتنع جاهدا كل عشرة يجدها ، ولا يسلم له الدهر صاحب »  
وفل آخر :

« اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ان برّ عندك فيها قال أو جفرا

فقد أجلك من أرضاك ظاهره وقد أطاعك من عصيك مستترا »

الى آخر ما ملوه في هذا المعنى وهو كثير عجزت منه بما ذكرنا ، فهل ترى في كل ما ملوه أروع من قول ابن زيدون :

« إن السيادة بالأغضاء لابسة بهاءها وجمال الحسن في الخفر »

ألا ترى أن فتى ابن زيدون قد غلب فنون هؤلاء المحول الأفتاد وتوق عليهم في هذه الصورة الرائعة ؟

وانظر الى ذلك البيت الرائع الذى طمنا تفتينا به وحسبنا فانه قد تخطى به درجات الكمال والابداع حين قال :

« يزيدك وجهه حسنا اذا ملازته نظرا »

وقد أخذه ابن الرومى فقال في « وحيد » المغنية :

« ليت شعري ، اذا أعاد الينا كرة الطرف مبدئاً ومعيداً  
أهـى شيء لانسأـم العين منه ؟ أم لها كل ساعة تجديد ؟  
بل هي العيش لا يزال بهـى استهـ رضىـ على غرائبا ويـيد »  
انظر كيف تطفـل ابن زيدون في نظمه وتحويره اذ في أى صورة مشرقة بالحياة رائعة الحسن  
صاغه ذلك الشاعر العـقري فقال :

« حسن أمانين لم تستوف أعيننا غاياته بأمانين من النظر . »  
ومن اليسير على كل انسان أن يقرر أن حبيبه قد هجره وأنه لا يزال باقيا على عهدـه .  
ولكنه ليس من اليسير عليه أن يؤدبى هذا المعنى كما أداهـ المجنون يقول :

« وأدبـتني حتى اذا ما فتنتي بقول يحل المصـم سهل الأباطـح  
تأبـت عني حين لالى حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانـح »  
ولا أن يقول مثل قوله أيضا :

« ألبس وعدتني يا قلب أنى اذا ما تبـت عن ليلى توب  
فها أما تأبـت عن حب ليلى فمالك كلما ذكـرت تذوب . »  
أو يقول كما قال ابن زيدون :

« كان التجارى بمحصن الود مـد زمـن ميدان أنس جـوينا فيه أطلاقا »  
فالآن أحد ما كنا لهدكو سلوتم وبقينا نحن عشاقا (١) ؟ »

تلك صور فية تنخلع دوما الرقاب ولا يحسن أن يقولها إلا شاعر فنى موهوب ، ولا تزال  
أهميات المعانى كأصول لأنواع لا تكاد تختلف في جلتها وإن اختلفت في دقاتها وتفاصيلها ، وإنك  
لترى ألف حسناء فترى في وجه كل منهم ملاحظة من الحسن لا توجد في الأخرى ، ولا يزال  
الرسام يتفنن في التعبير عن أسرار الوجوه ويدع ماشاء ابداعه ، ولا يزال اللحن الواحد يؤديه  
ألف مغن بارع فتحس نفسك لكل صوت سحرا خاصا يختلف عن الآخر .  
وما يزيد أن نخص ابن زيدون بالابداع في كل مهانيه دون سائر الشعراء ، فقد تختلف عنهم  
وقصر في بعض قصائده كما يقصر الفحول أحيانا . الشعر كما يقول ابن الرومي كالشجر :

« ركب فيه اللحاء والحشب اليا بس والشرك بينه الثمر . »

ولكن الانصاف يقضى عليك - إذا تصدبت للتفضيل بين الشعراء - أن تقارن بين روائعهم  
وبدائعهم ، أما ما يقولونه عفو الخطر ، أو في ساعات الكلال والضعف ، فليست جديرا أن تحكم به  
على شاعريتهم ، فقد تخرج الشجرة الممتازة إلى ثمارها الشهية الغضة ثمرة جفة فلا ينقص ذلك  
من قيمتها . وما يزيد أن نتصور لابن زيدون وأن نمدحه وانكسـا نريد أن ننصفه ولا نظامه .

(١) هاتت ذا ترى صورتين رائعتين لمنى واحد ، هل تستطيع أن تعمل إحداهما من الأخرى ؟ ألا ترى  
أن كل واحدة من هاتين الصورتين مستقلة عن الأخرى وكل الاستقلال وإن كانا ثمران من مـى واحد ؟  
الأثرى إلى الصدق الذى يشتمل في كل صورة بينهما ؟ أليست كل واحدة من هاتين الصورتين ملكا  
لشاعر لا ينازع فيها الآخر ؟



## لماذا سجن ابن زيدون ؟

لانتكاد قرا تاريخ ابن زيدون في أى كتاب من كتب الأدب وتصل إلى هذا الفصل من تاريخ حياته حتى قرا هذه الجلة بنصها أو معناها .

« ثم سجنه ابن جمهور لسبب وشاية أعداء ابن زيدون به » .

ولكن كيف وشى به أعداؤه فأحفظوا عليه قلب ابن جمهور وأى وشاية هى ؟ ذلك مايقف أمامه ، وورخو الأدب من غير أن يتعرفوا له حلا .

وقد حاول بعضهم أن يعلل ذلك بانتماس ابن زيدون فى حب ولادة وقلوا ان ابن عبدوس وأحزابه وشوا به عند ابن جمهور فسجنه لأن أبا الحزم بن جمهور - فى زعمهم - رجل وريح يؤثر القوى والزهد ولا يقبل أن يرى إلى جانه خليعا ماجنا كإبن زيدون ، ونسى هذا الفريق من مؤرخى الآداب أن ابن عبدوس نفسه كان مغسما فى حب ولادة وكان أكثر من ابن زيدون خلاعة ومجوناً إن كان لابد من هذا التمييز الذى ارتضاه مؤرخو الآداب ، فليس من الانصاف أن يطلق اسم الماجن المستهتر على مثل ابن زيدون ، فقد كان اذا قورن بغيره من شعراء عصره وشعراء العصور الأخرى أبعد عن هذه الصفة انى ألقبها به ، ومؤرخو الآداب ، ولم يكن أبو الحزم بن جمهور متنبلا ورعا منقشفا كما حاولوا أن ينعونا به ، فقد كسر دنان الخمر حين ولى أمور الناس ، وهذا يدل على حزم وبعد نظر ولا يدل على تقشف وزهد وورع .

وما كان أبو الحزم ليسى الى وزيره الذى خاض إلى جانبه مار الثورة القرطية وكان يلعبها بلاغته ويهديها ببيانه والذى كان لا يستغنى عه أبو الحزم بن جمهور ، قول ليس أبو الحزم الذى الأربب الذى شاد ملكا موطد الأساس بين الزعزاع والفتن - من العفلة بحيث يأبه لأمثال هذه الصفائر ، انما كان يعنى أبا الحزم بن جمهور أن يثبت ملكه ولا يهنيه بعد ذلك أن يكون ابن زيدون ملاكا طاهرا أو شيطانا فاجرا .

وقد سجن ابن زيدون وزير ابن جمهور وكان معرضا للقتل وسجن ابن عمار وزير المعتمد وقتل وسجن غيرهما من الأدياء والشعراء الذين استوزرهم ملوك الطوائف ، فاذا شئت أن تبحث عن أسباب سجنهم وقتل أكثرهم ، فلن تجد لذلك الاسباب واحدا وتهمة لايتعداها من شاء أن يدس أو يكيد وهى التهمة التى تقضى ملوك الطوائف وتقضى مضاجعهم وتقسيم كل يد أسلمت إليهم ، هذه التهمة هى التآمر على قلب الملك والطمع فيه .

ولقد كان ابن عمار أخلص صديق للمعتمد وكان المقرب الأمين عنده وكان أعز عليه من نفسه على حد تعبير المعتمد ، ولكنه طمع فى الملك فنسى المعتمد كل شئ الا سجنه وقتله والانتقام منه .

ولم تأخذ المعتمد رجة بأحد أولاده حين عرف أنه يطمع فى ملكه ، فقتله حنقا عليه .

ولقد كان ابن زيدون شاباً في مقتبل عمره وكان قريب عهد بالثورة التي دعا إليها آل جهور .  
 وكان أقرب شيء إلى هذه النفس الشابة الفتية المتوقدة عزماً وحمية ، والتي ظفرت بالوزارة  
 في مستقبل حياتها السياسية أن قطعهم إلى ما هو أبعد من الوزارة .

وقد كان ابن زيدون كثير السفارات وكان موقفاً محبوباً من ملوك الطوائف ذائع الشهرة  
 في عصره ، وكان قويا شديداً النكاية والسخرية بخصوصه ، ولم يكن لهم طريق يسلكونها  
 للانتقام منه إلا السكيد له - على أسلوب ذلك العصر - عند ابن جهور بأنه غير مخلص  
 لعهد ولا أمين لأمره .

وما تبرىء ابن زيدون من تهمة التآمر فإنه هو نفسه لم يفتصل منها تنصلاً وانحاضاً صريحاً ،  
 بل نحن لانرى في تصديقها حرجاً فقد كانت الظواهر كلها تؤيدها ولا تنهيا .

ولقد فرّ ابن زيدون من سجن أبي الحزم ثم عاد بعد وفاته إلى ابنه أبي الوليد وبذل له  
 النصيحة كما بذل لأبيه ، وظهر عنده بأعلى مكانة ، ولكن تهمة ذلك العصر فرت به من جديد  
 وكاد - لولا فراره - يسجن من جديد ويقضى بقية عمره في السجن .

وقد اتصل بالمتعبد وحاول خصومه أن يدسوا له فلم يفلحوا ولمامات المتعبد أعادوا  
 الكرة وأرادوا أن يغيروا عليه قلب المتعبد فأخفقوا ، وقرعهم العتد أشدّ قرع وما زال  
 ابن زيدون الوثى الأمين المخلص للعتد ، حتى قربت منيته وقرب نجاح أعدائه في تغيير قلب  
 المتعبد عليه ، ولوطال عمره قليلاً لأصابه من نكال المتعبد وانتقامه ما أصابه من أبي الحزم  
 وما كاد يصيبه من أبي الوليد بن جهور . ولكن المنية أخذته من شرورهم وأحقادهم كما أسلفنا .  
 على أن سجن ابن زيدون قد ترك في نفسه الفتية الوثابة أثراً لا يوصف . وألمه الحكمة  
 والأناة والصبر وعلمه مداراة الناس ومجاملة الخصوم ، وأقنعه بأن معاداة الرجال غير مأمونة  
 العواقب وأن السهام « قلما اعتورت غرضاً إلا كفته حتى يهيى ما شئت من قوته » فلم يدخر  
 جهداً فيما بعد في اكتساب رضى العامة والخاصة ، حتى أحوه - الاقليل ممن دفعهم الحسد  
 والفيرة وهؤلاء لاحيلة لأحد في اكتساب رضاهم وسل سخائهم وأحقادهم - وقد مات فساك  
 أهل أشبيلية وجزعت لفقده جبهة معاصريه . ولا تزال أشعاره ورسائله التي نظمها في سجنه  
 آيات فذة من البيان العالى والشعر المميز . ولا زال قوله :

« لا يهنئ الشامت المرتاح خاطره      أنى معنى الأمانى ضائع الخطر  
 هل الرياح بنجم الأرض عاصفة      أم الكسوف لغير الشمس والقمر »

وقوله :

« ولا يغبط الأعداء كوني في السجن      فاني رأيت الشمس تحصن بالدجن  
 وما كنت الا الصارم المضرب في جفن      أو اللث في غاب أو الصقر في وكن  
 أو العلق يخني في الصوار ويخبا »

إلى آخر هذه القصائد الفذة التي كتب لها الخلود . مثالا عالياً للشعر الرائع والبيان الساحر

## حساد ابن زيدون

كان من الطبيعي أن يلقي أديب مثقف وشاعر مجيد وسياسي مدرب كابن زيدون موصل في مقبل شبابه الى أرقى الدرجات كثيرا من المنافسين والحساد ينعمون على أدبه وتقوّه ويفارون من قرّبه الى الملوك الذين أکبروا فضله وأدبه فقرّبوه منهم وحاطوه برعايتهم، وقد لقي ابن زيدون في قرطبة جماعة من المنافسين وعلى رأسهم الوزير الأديب أبو عامر بن عبدوس ، فأكادوا له حتى أحفظوا عليه أبا الحزم جهور فسجنه كما أشرنا الى ذلك في فصل سابق . ثم قرّ من السجن وعاد فأنصل بأبي الوليد بن أبي الحزم ، فلم ينقطع كيد المنافسين حتى غيروا عليه قلب الابن كما غيروا عليه قلب أبيه من قبل ، فقرّ ابن زيدون خوفا من السجن ومازال ينتقل بين ملوك الطوائف حتى استقرّ به البوى في اشبيلية فلقى من كيد الحساد وعنتهم مثل ما لقي في قرطبة ، ولكن مدائحهم الخالدة التي مدح بها المعتضد والتي تعدّ من مفاخر الشعر العربي وروائعه ، وحسن سياسة ابن زيدون وبعد نظر المعتضد قللت على كيد المنافسين وأرغمت أنوفهم وأحلته في المكان الأوّل كما يقول من قصيدة رائعة :

« وأرغم في برى أنوف عصابة      لقاءهم جهنم وأعينهم شرر »

« اذا ما انثنى في البست عاقد حبة      وفام سماطا حمله في الصدر »

فلمامات المعتضد أعادوا الكرة وجعوا جوعهم للكيد له عند المعتمد ولكن المعتمد صدّهم أشنع صدّ قرّبه اليه ، فلم ينس له ابن زيدون هذه اليد وفي ذلك يقول :

« يطيل العدا في التاجي خفية      يقولون لا تستفت قد قضى الأمر »

ثم ما زالوا يكيدون له حتى أقصوه عن قرطبة الى اشبيلية منتهزين فرصة مرضه فسار اليها مرغما حيث لقي حتفه . وأفلح كيد ابن عمار وأصحابه في التخلص من منافسة ابن زيدون . ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائده في أبي الحزم وأبي الوليد والمعتضد والمعتمد من الشكوى الصارخة من كيد الحساد الذين تطوّعوا لا يذائنه وأرهقوه بدسائسهم المنوالية ، والحسد داء قديم وكملقي الأدباء والشعراء المتنازرون منه ما تنص عليهم حياتهم وأقض مضاجعهم .

وقد لقي المتنبي قبله في مجلس سيف الدولة من حسد أبي فراس وابن خالويه ، ثم لقي عند كافور الاخشيدى من حسد ابن حنّابة ، ثم لقي في بغداد من حسد الوزير المهلبى الذي أغرى به الشعراء والأدباء كالحاتمي وابن سكرة وغيرهما ، ما أقلق باله وفاداه الى حتفه .

وقد كان يبلغ المتنبي بعد أن ترك سيف الدولة تشفيح حساده به عنده ، فيقول :

« رأيتمكم لا يصون العرض جاركم      ولا يدرك على مرعاكم اللين

جزاء كل قريب منكم ملل      وحظ كل غريب عنكم خفن . »

الى آخر مقال .

وكان يبلغ ابن زيدون عن ابن جهور بعد اتصاله بالمتنشد ما يسوءه في نفسه وقرابته  
بقربة فيقول :

« بنى جهور أحرقم بجفائك      فؤادى فما بال المدائح تعبق  
تعدوني كالغبر للورد إنما      تليب لكم أنفاسه حين يحرق »  
وقوله :

« قل للوزير وقد قطعت بحدسه      زما فكان السجن منه ثوابي :  
لا تخش في حقى بما أمضيته      من ذاك في ولا توق عتابي  
لم تخط في أمرى الصواب موقفاً      هذا جزاء الشاعر الكذاب . »  
وقوله :

« من مبلغ عنى البلاد اذا نبت      أن لست للنفس الألوף يباخ  
أما الهوان فصنت عنه صفحة      أغشى بها حدّ الزمان الشارع  
فليغرم الحظ للمولى أنه      ولّى فلم أتبعه خطوة تابع  
ان العنى هو القناعة لا الذى      يشتف نطفة ماء وجه القانع »  
الى آخر مقال .

وقد كان لهذه المافات أثرها العظيم في اجداد الشاعرين واطهار أروع ما قاله من الشعر ،  
وصدق القائل :

« لولا اشتعال النار فيما جاورت      ما كان يعرف طيب عرف العود »  
وما كاد المعتمد يتولى الأمر بعد أبيه المعتضد حتى نشط الدساسون والمفسدون لمحاربة  
ابن زيدون فرموا اليه برقعة فيها قصيدة طويلة أولها :  
« يأبها الملك العلى الأعظم      اقطع ويريدى كل بلغ ينثم  
واقسم بسيفك داء كل منافق      يبدى الجليل وضد ذلك يكتم »  
فكان رد المعتمد على ذلك قوله :

« كذبت مناكم صرّحوا أوججموا      الدين أسقن والسجبة أكرم  
ختم وروثم أن أخون ، وربما      حاولتم أن يستخف يلم (١) . »

(١) وفيما يقول

« وأردتم فنيق صدر لم يثق      والسرى في ثمر الحور تحطم  
وزحتم - بحالكم - لجرب      مزال يثبت للمعال فيهم  
أنى رجوتم غدور من جربتم      منه الوفا . وظلم من لا يظلم  
أنا لكم لا الذى بشر غرسه      عتدى ولاسى الصيمة يهدم  
كلوا ، والامار قبوا لى بطنه      باقى الدية بمثلها يهطم »

وقد عرف ابن زيدون كيف يشكر له هذه اليد في قصيدته الرائعة التي يقول فيها :

« وأرى المسامح كالسيوف تادرت      شأو المضاء ، فنثن ومصم  
ولكم تسامى بالرفيع نصابه      خطر ، فناصبه الوضع الألام »  
وفيا يقول ويبدع :

« قل للبعاة المنبضين قسيمهم      سترن من تصميه تلك الأسهم  
أسررتهم ، فرأى نجي عيوبكم      شبحان ، مدلول عليها ملهم  
وعبأتم - للفسق - ظفر سعاية      لم يعدكم أن رد وهو مقل  
ونبذتم التقوى وراء ظهوركم      فدا ببيضكم التقي الأكرم  
ما كان حلم « محمد » ليحيله -      عن عهده - دغل الضمير مذم »  
وفيا يقول بعد أن أغراه بأعدائه :

« فرق عوت ، فزأرت زائرة زاجر      راع الكليب بها السبتي الضخم  
يألت شعري هل يعود سفهمهم      أم قد حاء النوح ذاك المسكم  
لى منك - فليذب الحسود تظلياً -      لطف المكانة والمحل الأكرم  
وشغوف حظ ليس يفتأ يجتلى      غص الشباب وكل حظ بهرم . »  
الى آخر هذه القصيدة الرائعة :

وقلما تخلو قصيدة من قصائد من مناسبة يخلقها خلقا ، ويتطرق منها الى الشكوى والألم من حساده ومنافيه وما لقيه من كيدهم وعنتهم .  
ومن أروع ما فله في ذلك ، قوله من قصيدة :

« كان الوشاة وقد منيت بأفكهم      أساط يعقوب وكنت الدنيا »  
الى أن قال :

« أنا سيفك الصدى الذى مهما نشأ      تعد الصقال اليه والتنديا »  
وقوله :

« إيه « أبا الحزم » اهتل غرة      ألسنة الشكر عليها فصاح  
لا طار بي حظ إلى غاية      ان لم أكن مك صريش الجناح  
عتاك - بعد العتب - أمنة      مالى على الدهر سواها اقتراح  
لم يثنى عن أمل ماجرى      قد يرقع الحرق وتؤسى الجراح »  
وقوله :

« ماجل بعدك لحظى فى سنا القمر      إلا ذكرتك ذكر العين بالثر »  
إلى أن قال :

« حسن أفانين لم تستوف أعينا      غاياته بأفانين من النظر . »  
إلى أن قال :

محض العيان الذى يغنى عن الخبر  
 برق المشيب اعتلى فى عارض الشعر  
 وللشبية غصن غير مهتصر  
 نار الأسمى ومشبي طائر الشرر  
 انى . معنى الأمانى ضائع الخطر  
 أم الكسوف لغير الشمس والقمر  
 قد يودع الجفن حد الصارم الذكر  
 عن كشف ضرتى فلا عتب على القدر  
 غيرى - يحماني أوزارها وزرى  
 ولم آت من تجنيه على حذر . »

ردّ الصبا بعد إيفاء على الكبير  
 كلاهما العلق لم يوهب ولم يعر  
 لا عذر منها سوى أنى من البشر  
 بهاءها وبهاء الحسن فى الحفر . »

« من يسأل الناس عن حاله ، فشاهاها  
 لم تطلو برد شباني كبرة وأرى  
 قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كتب  
 ها انها لوعة فى الصدر فادحة  
 لايهنى الشامت المرتاح خاطره  
 هل الرياح بنجم الأرض عاصفة ؟  
 إن طال فى السجن إيداعى فلا عجب  
 وإن يثبط - « أبا الحزم » الرضى - قدر  
 ما للذنوب - التى جاني ككاثرها  
 من لم أزل من تأنييه على ثقة  
 إلى أن قال :

« لاته غنى فلم أسألك معذفا  
 واستوفر الحظ من نصح وصاغية  
 هبنى أسأت فكان العلق سيئة  
 ان السيادة بالأغضاء لابسنة

وقال :

« ولو أننى أسطيع كى أرضى العدا  
 شريت ببعض الحلم حظا من الجهل . »  
 إلى أن قال :

« جواد إذا استنّ الجياد الى مدى  
 ثوى صافنا فى صرط الطون يشتكى  
 تملر فاستولى على أمد الخصل  
 بتصهاله ماناله من أذى الشكل . »  
 إلى أن قال :

« أعدك للجلى وآمل أن أرى  
 بنعمائك . وسوما وما أنا بالفضل . »

ثم قال :

« أتت زعم الواشون ما ليس مزعما  
 وأصدى إلى إسعافك النافع الجنى  
 « ولو أننى واقعت عمدا خطيئة  
 فلم أسترحب « الفجار » ولم أطلع  
 وانظر إلى قوله :

« فديتك كم أنى التواغر من عدا  
 عفا عنهم قدرى الرفيع فأهجرأ  
 قراهم - لنيران الفساد - ثقاب  
 وبانيهم خلقى الجيمل فهابوا »

وقد تسمع الليث الجحاش نهيها  
إذا راق حسن الرض أوفاح طيبه  
إلى أن قال :

« فأنت الحسام العضب أصدى منته  
وما السيف مما يستبان مضاه  
وقوله :

« لا تستجز وضع قدرى بعد رفضك  
إلى أن قال :

« ظن العدا إذا أغبت - أنها انقطعت  
لابأس بالأمر - ان ساءت مبادئه  
إلى أن قال :

« كم غرة لي تلقها قلوبهم  
إذا تأملت حبي عتب غشم  
تلك العرائن لم يصلح لها شم  
أودعت فعماك منهم شرمفترس  
لازال جدك بالاعداء يصرعهم

وما أروع قوله معتذرا عن هجره ابن جهور : « وهو يرى ويسمع أن بالحضرة قوما لا يحصرهم  
العد ، تحمل سقطاتهم وتفتقر فواتهم وتقال عثراتهم وما أعلم أنهم يدلون بوسيلة الا شاركهم  
فيها ولا يمنون بذريعة ينفردون دوني بها » الخ .

وقوله :

« أرى نبوة لم أدر سرّ اعتراضها  
جفاء هو الليل ادلم ظلامه  
هب العزل أخشى للولاية غاية  
فقيم أرى ردّ السلام إشارة  
أناس هم أخشى للذعة مقولى

وقوله :

« ألا هل أتى التيان أن قتاهم  
وأن الجواد الفات الشاوصافن  
وأن الحسام العضب ثاو بجفنه

وقوله :

« مثنون من الأيام خنس قطعنها أسيرا ، وان لم يبد شد ولا قسط . »

وقال :

« وما زال يدنيني ، ويثني قبوله هوى سرف منه وصاغية قفط . »

وفال :

« عدا اسمعه عني فأصنى الى عدا لم في أدبي كلما استمكنوا عطا  
بلغت المني إذ قصروا قلوبهم مكان أحقاد أسودها رقط . »

وقوله :

« ومثلي قد تهفوه نشوة العبا ومثلك قد يغفو ، وما لك من مثل  
واني لتنهائي نهائ عن التي أشاد بها الواشي ويعقلني عقلي . »

الى أن قال :

« وما كنت بالمهدي الى السودد الخنا ولا بالمسيء القول في الحسن الفعل . »  
الى أن قال :

« هي النعل زلت بي ، فهل أنت مكذب لقليل الأعادي انها زلة الحسل . »  
الى أن قال :

« ألا إن ظني - بين فعليك - واقف وقوف الهوى بين القطيعة والوصل . »  
الى أن قال :

« وأين جواب عنك ترضى به العلا اذا سألتني بعد السنة الحفل . »  
إلى آخر ما أبدعته هذه العبقرية الجبارة ، من الافتتان البارع ، في صورها الشعرية التي لاتساقى .



## ٤ - حب ولادة

تمرّ شتى الحوادث بالإنسان فينساها ولا تكاد تترك في نفسه أثرا يذكر، على أن لبعض الحوادث أثرا لا يمحي، حيث تمرّ الأيام والشهور والسنون وهو باق في ذهنه يؤثر فيه أعمق الأثر، ويطلع نفسه بطابع خاص، ومن الحوادث التي أثرت في نفس ابن زيدون وشعره ونثره أكبر الأثر، حادثان : حب ولادة . وحبه زهاء عشرين .

فأما حب ولادة فقد ألهم نفسه إلهاباً وأكسبها شاعرية خصبة ففاضت بأعذب الشعر وأبدعت في ضروب الغزل ما شاء لها أن تبدع، وأخرجت لنا أروع قصائده الغزلية، وألممته أسمى ألوان الحيال العالي والغزل الرقيق . كقوله :

« ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك »

وقوله :

« أما مني نفسي، فأنت جميعها ياليتني أصبحت بعض منك  
يدنو بوصولك حين شط مزاره وهم أكاد به أقبل فاك »

وقوله :

« كان التجارى بمحض الودّ مذمّن ميدان أنس جرينا فيه أطلاقاً  
فالآن أجد ما كنا لعمدكم سلوتم وبينا نحن عشافا »

وقوله في نفس القصيدة :

« لا سكن الله قلباً عن ذكركم فلم يطربجنّح الشوق خفافا »

وقوله من قصيدة أخرى :

« باليل طل، لأنتهى إلا بوصول قصرك  
لو كان عندي قرى ما بت أرمى قمرك »

وقوله :

« بيني وبينك ما لو شئت لم يضع سرا إذا ذاعت الأسرار لم يذع »

وقوله :

« بتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفت ما قينا »

إلى أن يقول :

« ماحقنا أن تمرّوا عين ذى حسد بنا ولا أن تسروا كاشحنا فينا »  
« غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نفص فقال الدهر آمينا »  
« فأنحل ما كان معقوداً بأنفسنا وأنبت ما كان موصولاً بأيدينا »

وقوله :

« لاستجدن - في عشقها - زمنا ينسى سوائف أيامي وأزمانى »

حتى تكون لمن أحيت خاتمة نسخت - في جها - كفرا بإيمان «  
وقوله :

« إن ساء فعلك بي ، فما ذنبي أنا ؟ حسب المتيم انه قد أحسننا  
لم أسل حتى كان عذرك - في الذي أبديته - أخفى وعذري أينما  
ولقد شكوتك - بالضمير - الى الهوى ودعوت - من حق - عليك فأما  
منبت نفسي - من وفائك - ضلة  
وقوله :

« أغابته عني وحاضرة مـى أنادبك - لما عيل صبرى - فاسمعي  
أنى الحق أن أشقى بحك أو أرى حريقا بأنفاسى ، غريقا بأدمى  
ألا عطفة نجيا بها نفس عاشق ؟ جعلت الردى منه بمرأى ومسمع  
صلىنى - بعض الوصل - حتى تبينى حقيقة حالى ، ثم ماشئت فاصنى «  
وقوله :

« قد كان - فى شكوى الصبا - راحة لو أننى أشكو إلى من يرحم  
وقوله :

« لما اتصلت اتصال الحب بالكبد ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد  
ساء الوشاة مكافى منك واتقنت - فى صدر كل عدو - جرة الحسد  
فليسخط الناس لأهد الرضى لهم ولا يضع لك عهد آخر الأبد  
لواستطعت - اذا ما كنت غائبة - غصنت طرفى فلم أنظر الى أحد «  
وقوله :

« ياليل خبر : اننى التذ عنه خبرك  
بأنه قل لى : هل وفى ؟ فقال : « لا . بل عذرك »

وقوله :

« لئن فاتنى منك حظ النظر لأكتفين بساع الحسب  
وان عرضت غفلة للرقب ب غسبي تسليمة تختصر  
أحاذر أن تتظنى الوشا ة ، وقديستدام الهوى بالحذر  
واصبر مستيقنا انه سيحظى - بنيل المنى - من صبر «

وقوله :

« أشمت بي فيك العدا وبلغت - من ظلمى - المدى  
لو كان يملك فدية - من حبك القلب - افتدى  
كنت الحياة لعاشق - مذحت - أيقن بالردى

لم يسأل عنك ولو سلا لعذرتك ، فبك اقتدى «

وقوله :

أرسلتني - في أحاديث الهوى - مثلاً  
الا خلعت عليها - بالضي - حلال  
وليكف طرفك اني بعض من قتلا  
لأقضى ماعشت سلوانا ولا مللا  
وجه السرور به جذلان مقبلا  
يهدى الى - تفاريق المنى - جلا  
بلغت يا أملى - من دهرى الأملا «

« أبدت لي - من أمانين القلى - عبراً  
لم تبق جارحة بالمجر من جسدى  
فليغن كفك اني بعض من ملكت  
ولقضى ماشئت - من هجرو من صلة -  
سقى لعمدك والأيام تقبلى  
إذ الزمان بليغ في مساعدي  
ان كان لى أمل الا رضاك فلا

وقوله :

فكلما قيل فيه : « قد قضى » تاباً  
- يوم الزيارة - أن القلب قد ذاباً  
فان أكلمه عنكم سؤلة يابى  
لا عذب الله الا عاشقاً تاباً «

« انى لأعجب من شوق يطاولى  
كم نظرة لك في عيني علمت بها  
قلب يطيل مقامانى لطاعتكم -  
ماتوبى بنصوح - من عجتكم

وقوله :

تدار علينا - للجون - مسدام  
ترف وامواه السرور جام  
يشب لها - بين الضلوع - غرام  
دووع كما خان الفريد نظام  
اذا هز للخطب المم - حسام . «

« معاهد هو لم تزل في ظلالها  
زمان رياض العيش خضر نواضر  
فان بان منى عهدها ، فلوعة  
تذكرت أيامى بها فتادرت  
ومحبة قوم كالمصاييح كلهم

الى أن قال :

« محل غنينا بالتعاضى خلاله فأسعدنا ، والحادثات نيام  
فما لحقت تلك اللبالبى لامة ولا ذم - من ذاك الحبيب - ذمام «

وقوله : وهو بطليوس من قصيدة رائعة :

« إن قرت العين بأن أؤوبا لم آل أن أسترضى الغضوبا  
حسبى ان أحرم الغيبا قد يدفع المذنب أن يتوبا «

وقوله :

« لم ينجنى منك ما استشعرت من حذر هيات كيد الهوى يستهلك الحذرا  
ما كان حبك الا فتنة قدرت هل يستطيع فنى أن يدفع القدرا «

وقوله :

« ما لذى ضرك لو سر بمآك الحزين

وتلطف لصب حينه فيك يحين «

وقوله :

ماضر لوألك لى راحم بهنيك يا سؤلى وبيايىنى  
وعلى أنت بها عالم انك بما أشتكى سالم  
تضحك فى الحب وأبكى أنا الله - فيما يفتنا - حاكم  
أقول لما طار عنى الكرى قول معنى قلبه هائم  
ياناعما أبغظنى حـ هب لى وقادا أيها النائم «

وقوله :

« هلاجعت - فدنك نفسى غاية لا تفسدن ما قد تأكد يفتنا  
للعتب أباغها بجهد الجاهد - من صالح - خطرات ظن فاسد  
حاشاك من تضيع ألف وسيلة شجى العدو لها بذنب واحد  
ان أجنه خطأ فقد عاقبتنى ظلماً بأبلغ من عقاب العائد «

وقوله :

« علام اطمئتك دواعى القلى ؟ وفيم ثمتك نواهى العذل ؟  
ألم الزم الصبر كما أحف ؟ ألم أكرر الهجر كى لأمل ؟  
ألم أرض منك بغير الرضى وأبدي السرور بما لم أتل ؟  
ألم اغتفر موبقات الذنوب بعدما أتيت بها أم زل ؟  
ومساء ظنى فى أن بسىء فى الفعل حسنك حتى فعل  
على حين أصبحت حسب الضمير ولم تغمى لك الأمانى بدل  
وصانك منى وفى أبى لعلنى العلاقة أن يبتذل «

وقوله :

« عليك السلام سلام الوداع وداع هوى مات قبل الأجل  
وما باختيار تسليت عنك ولعنتى مكره لا بطل  
ولم يدر قلبى كيف التزوع إلى أن رأى سيرة هامثل «

إلى آخر هذه القصيدة التى تخلق بك فى جو العباس بن الأحنف ، حتى ليخيل إليك أنها من شعره قد ألحقها بديوانه الحافل بهذه الروح الحائرة القلقة .

« يامن غدوت به فى الناس مشهرا قلبى عليك يقاسى الهم والفكرا  
إن غبت لم ألقى إنسانا يؤنسنى وإن حضرت فكل الناس قد حضرا

وانظر إلى قوله وقد حاجته الذكرى الى قرطبة :

« سقى الله أطلال الأحبة بالحى وحاك عليها ثوب وثى منمنا  
وأطلع فيها للأزاهير أنجما فكم رقت فيها الخرائد كلدى  
إذ العيش غص والزمان غلام »

وما أروع قوله فى تلك الموشحة الساحرة :

« أهيم بجبار يمز وأخضع شذا المسك من أurdانه يتضرع  
إذا جئت أشكوه الجوى ليس يسمع فما أنا فى شئ من الوصل أطمع  
ولا أن يزور المقتنين منام »

الى أن يقول :

« قل لزمان قد تولى نعيمه ورث - على مر الليالى - رسومه  
وكم رقى فيه - بالعى - نسيمه ، ولاحت - لشارى الليل فيه نجومه  
عليك من الصب المشوق سلام »

وقوله فى ذكرى قرطبة وولادة ومجالس أنه :

« أقربطه العراء ، هل فىك مطعم وهل كبد حوى لينك تنقع  
وهل للياليك الجيدة مرجع إذ الحسن مرأى فىك واللهم مسمع  
واذ كنف الدنيا لديك موطأ »

« أليس عجباً أن نشط النوى بك فأحيا كأن لم أنس قمع جنابك  
ولم يلتئم شعبي خلال شعابك ولم يك خلقي بدؤه من ترابك  
ولم يكتفى - من نواحيك - منشأ »

الى أن يقول :

« معاهد أبكها لمعد تصرما أغص من الورد الجوى وأعما  
لسا الصا فيها حبرا منمنا وقدنا إلى اللذات جيشا عرمرما  
له الأمن رده والعداوة مربأ »

وقوله :

« أخواتنا للواردين مصادر ولا أول إلا سيتلوه آخر  
وإنى لأعتاب الزمان لناظر فقد يستقبل الجدد ، والجدد عائر  
ونحمد عقبى الأمر ما زال يشأ »

وما أبدع قوله :

« وان بلادا هنت فيها لأهون ومن رام مثلى بالذنية أدنا . »

الى آخر هذه القصائد الفذة التى يفخر بها الأدب العربى والبيان العربى . والثى كان  
الباعث الأول على نظمها الجيب وصوغها المعجز هو حب ولادة .

## هـ - أدب ابن زيدون

قلما يظفر الانسان بأديب عربي يحمل لواء الزعامة في النظم والنثر، فان أغلب ما نشاهده أن يدع الأديب في أحد النوعين إبداعا يغطي على إبداعه في الآخر، أما ابن زيدون فانك تقرأ نثره فلا تكاد تصدق أن شعره ينسأى إلى مثل هذه المرتبة العالية، فإذا عدت إلى شعره أنساك إبداعه روعة ما قرأت من نثره، وهكذا لا تكاد تقرأ قطعة مختارة من شعره أو نثره حتى تملأ نفسك بهجة وسرورا وينسبك سحرها كل شيء آخر. وليس من الانصاف أن تقول إنه شاعر ممتاز فحسب أو نثر ممتاز فقط، وما أجدرنا أن نصفه فقول إنه زعيم من زعماء البيان العربي.

لقد قضى ابن زيدون حياته بين البرس والتحصيل والتجارب والاختصار والاتصال بكبار ساسة عصره ودهاتهم، وصهر قلبه حب ولادة كما أسلفنا، وحينئذ إلى وطنه، وأثر في نفسه الشاعرة الحساسة ما لمنازات به الأندلس من جمال التربة وصفاء الجو، ولقي من السعادة والتمتع بالحسن أشبه وأعذب مألقي محبة، ثم لقي من لوعة الصدا والهجران أشقى وأمرأ مألقي إنسان:

« حسن أمانين لم تستوف أعينا غايانه بأمانين من النظر »

ولقد نعم بصولجان السلطة والقوة حينما من الدهر ثم شقي بالسجن بين الأشرار والمجرمين زمنا غير قليل، ولقي من كيد المنافسين والحساد كما أسلفنا ما لم يلقه أحد. فلا غرو أن تتضافر كل هذه العوامل القوية على خلق الشاعر العظيم. وأنت إذا درست أدب ابن زيدون دراسة مستفيضة رأيته خليقا بأن يقول كما قال فيلسوف المغرب:

« ماصر في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طرف »

ولقد ترى في أدبه أمثلة من ثقافة المعري وسعة اطلاعه وتمكنه من اللغة، ومحافظة على أساليبها، كما ترى فيه أمثلة من صناعة أبي تمام ونظم البحتري واسترسال ابن الرومي وقوة أداء المتنبي.

وإنك لتقرأ أكثر غزله فيخيل اليك لسهولته أنك تحلق في أجواء العباس بن الأحنف والشريف الرضي والمجنون، ثم تقرأ اخوانياته فيخيل اليك لاسترساله وافتتانه في ضروب القول، أنك تقرأ ابن الرومي وهو يخاطب أبا القاسم التوزي بهمزيته المشهورة، ثم تقرأ رسائله فيخيل إليك أنك تقرأ رسائل الجاحظ في براعة الاستخفاف والنهك أو رسائل المعري في سعة الاحاطة وكثرة الاستنهاد، والولوع بالأمثال.

وقد كان ابن زيدون زعيم شعراء عصره في الأندلس فلا غرو أن يكون أدبه أصدق مرآة يتجلى فيها أدب هذا العصر الزاهي وثقافته.

وقد كان يجمع - إلى حسن رويته - قوة الدلالة وسرعة البديهة ، وقلما يتفق لأديب عمق التفكير مع دلاقة اللسان ، فقد روى صاحب نفع الطيب محدثا عن دلاقة ابن زيدون : أن ابنته توفيت ، وبعد الفراغ من دفنها ، وقف للناس عند منصرفهم من الجنائز ليشكر لهم ، فقيل ، إنه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد ، قال الصفدي : « وهذا من التوسع في العبارة والقدرة على التفنن في أساليب الكلام ، وهو أمر صعب إلى الغاية » إلى أن قال - بعد أن قارن بينه وبين واصل بن عطاء في تجنبه الراء ، وأما ابن زيدون فأقول في حقه : « أقل ما كان في تلك الجنائز - وهو وزير - ألف رئيس ممن يتعين له أن يتشكر له ويضطر إلى ذلك فيحتاج في ذلك إلى ألف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الغاية لاسيما من محزون فقد قطعه من كبده : « ولكنه صوب القول إذا انبرت سحائب منه أعقبت بسحائب . » ومهما كان في هذا الخبر من الاسراف ، فإن بعضه كاف في الدلالة على فضله . وكان ابن زيدون إلى ذلك إماما من أئمة عصره حتى قال بعض الأدباء فيه : « من لبس البيضاء وتحنم بالعقيق وقرأ لأبي عمرو وثقه للشافعي وروى شعر ابن زيدون ، فقد استكمل الظرف » .

كامل كيلاني



## في السجن<sup>(١)</sup>

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة الفياضة بالألم واللوعة والحزن ،  
وهو في السجن ، وبعث بها إلى صديقه الوزير الكاتب  
أبي حفص بن برد »

مَا عَلَى ظَنِّي بَأْسٌ <sup>(٢)</sup>	يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَيَأْسُو <sup>(٣)</sup>
رُبَّمَا أَشْرَفَ بِالْمَرْءِ	عَلَى الْآمَالِ يَأْسُ
وَلَقَدْ يُنَجِّيكَ إِغْفَا	لَوْ يُزِدِيكَ <sup>(٤)</sup> احْتِرَاسُ
وَالْمَحَازِيرُ سِهَامٌ	وَالْمَقَادِيرُ قِيَاسُ <sup>(٥)</sup>
وَلَكُمْ أَجْدَى <sup>(٦)</sup> قُعُودُ	وَلَكُمْ أَكْثَى <sup>(٧)</sup> التَّعَاسُ
وَكَذَا الدَّهْرُ <sup>(٨)</sup> - إِذَا مَا	عَزَّ نَاسٌ - ذَلَّ نَاسٌ
وَبُنُو الْأَيَّامِ أَخِيَا	فَ مَرَّاةً وَخِسَاسُ <sup>(٩)</sup>

(١) جاء في ثلاث العيان :

١ وله عند فقد الوفاء من آلامه ، يخاطب أبا حفص بن برد ، وقد حار ولم يجد هادياً ، وصار رهيناً  
يرجو هادياً ، وعلم أن الناس متقلون ، وعلى من أغلب الدهر متقلون ، لا يديهم في الشدة إخوانه ، ولا  
ينهم من دوى المقلوبة زهر ولا انتشاء .

ما على ظني بأس يجرح الدهر ويأسو

قد ذكرت بترتيب يخالف هذا الترتيب الذي نقله عن نسخ الفيدوان .

(٢) ويروي : « ما على ظني بأس » . (٣) ينادي . (٤) وفي رواية : « وبؤذك احتراس »  
(٥) جمع قوس : من يعقوب وأبي عبيد فهو على فعال ، وأصله قواس يلبث الواو ياء لمساوية الكسرة ،  
شاهده قول المائل :

« ووتر الأساور القياس صفدية تتزعزع الأغاسا »

(٦) أفي : أو أفاد . (٧) أحقق ولم يغز - يقول : كثيراً ما يكون القعود عن المطلب سبباً في  
نظر والفوز والسعي سبباً في الإحفاق والحرمان ، وقد تهافت الشعراء على هذا للمي كثيراً ، ومن أحسن  
أجاء فيه قول بن زريق :

والسعي في الرزق والأرزاق قد قسمت بي ألا إن بي بالره بصعره

(٨) في رواية : « وكذا الحكم » .

(٩) الناس أخفاف : أي مختلفون ، شريف وخسيس . قال أحد الأعراب : « الناس أخفاف وشقي الشيم »



نَلْبَسُ الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ مُتَعَةً ذَاكَ اللَّبَاسُ <sup>(١)</sup>  
يَا أَبَا حَفْصٍ وَمَا سَأَلَكَ فِي فَهْمِ إِيَّاسٍ <sup>(٢)</sup>  
مِنْ سَنَاءٍ <sup>(٣)</sup> رَأَيْكَ لِي فِي غَسَقٍ <sup>(٤)</sup> الْخَطْبِ أَقْبَسُ  
وَوَدَّادِي لَكَ نَصٌّ <sup>(٥)</sup> لَمْ يُخَالَفْهُ قِيَّاسُ <sup>(٦)</sup>  
أَنَا حَزِيزَانُ وَلِلْأَمْرِ وَضُوحُ وَالتَّبَاسُ  
مَا تَرَى فِي مَعْشَرٍ حَا لُوا عَنِ الْعَهْدِ وَخَاسُوا <sup>(٧)</sup>  
وَرَأَوْنِي سَامِرِيًّا <sup>(٨)</sup> يُتَّقَى مِنْهُ الْمَسَاسُ  
أَذُوبٌ هَامَتَ بِلَحْيِي فَأَنْتَهَاشُ <sup>(٩)</sup> وَأَنْتَهَاشُ  
كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ حَا لِي وَلِلذَّيْبِ أَعْدِسَامُ <sup>(١٠)</sup>

(١) يشير إلى قوله تعالى : « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

(٢) هو القاضي إياس بن معاوية بن إياس الزنبي ولي النعمان في زمن عمر بن عبد العزيز ، وكان يضرب به المثل في الألمية :

والألمى الذى يجل بك الظن كأن مد رأى وقد سما

وإياس هذا هو من علماء الحريري بقوله في اللقمة السابعة « فإذا ألميت ألمية ابن عباس ، وفراقى فراسة إياس » وعناه أبو تمام في قصيدته البيئية بقوله :

اندم عمر في سباحة حاتم في حلم أحف في دكاء إياس

(٣) من صوة رأيك (٤) طلبة (٥) الس : السند المقطوع صحته والتعيين على شيء ، وهو في عرف الفقهاء ، مقطوع صحته فلا يخالفه قياس ، فكأنه يقول : إن ودادي مسد إليك ، أو هو موقوف عليك ، أو متعين لك ، وقد استعمل الشاعر لعطى النفس والقياس في السمر ، وهما من مصطلحات الفقهاء على عادته في ذلك ، وهو يشير بذلك إلى اصطلاح الفقهاء إذ يعتبرون النفس والقياس من مآخذ الأحكام الشرعية ، والأول صريح مع القرآن أو الحديث ، والثاني إلحاق قضية - لا س فيها - بقضية أخرى منصوصة لاشتراكهما في حكمة الأولى (٦) وفي رواية : القياس

(٧) حابوا (٨) السمرى : عظيم من بني إسرائيل عبد العجل . قال الكشاف : هو وب في الدنيا بقوله لا شيء أعلم منها وأوحش ، وذلك أنه منع من مخالطة الناس منأ كلباً ، وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يماش الناس به أنفسهم ، وإذا من أحد أو رحلا أو امرأة حم الملى والممسوس ، فتعاشى الناس وتحاموه ، وكان يصيح في الناس « لا مساس » .

(٩) الانتهاش النش : الأحد بالأسفاس ، وإليه : الأخذ بمعصم الأستان ، وفي رواية : فانتهاش وانتهاش (١٠) طلب الصيد بالليل ، ومعنى الأبيات أن أعداءه كالذئاب لا ينون من نيش لجه ، متظاهرين بالتودد له والاشفاق عليه ، فهم يأكلون من لحمه متجسسين ، كما يجس النش ليتعرف مواطن مريسته .

\*  
\*  
\*

إِنْ قَسَا الدَّهْرُ فَلَمَّا      مِنْ الصَّخْرِ أَنْجَسَ (١)  
وَلَنْ أَمْسَيْتُ غُبُو      مَا فَلَنْغَيْتُ اخْتِبَاسُ  
يَلْبُدُ (٢) الْوَرْدُ السَّبْتَى      وَلَهُ بَعْدُ أَفْتِرَاسُ

\*  
\*  
\*

فَتَأْمَلْ كَيْفَ يَنْشَى      مُقَلَّةَ الْمَجْدِ النَّمَاسُ  
وَيُفَتِّ الْمِسْكُ فِي التَّرْبِ      بِ قِيَوَاطَا وَيُدَاسُ

\*  
\*  
\*

لَا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرَدًا      إِنْ عَهْدِي لَكَ آسُ (٣)  
وَأَذِرْ ذِكْرِي كَأَسَا      مَا أَمْتَطَلْتُ كَفَّكَ كَلَسُ  
وَأَغْتَنِمْ صَفْوَ اللَّيَالِي      إِنَّمَا الْعَيْشُ اخْتِلَاسُ  
وَعَمَى أَنْ يَسْمَحَ الدَّهْرُ      مَرُّ فَقَدْ طَالَ الشَّمَاسُ (٤)

(١) أى تشقق ينزع منه الماء ، وفى القرآن الكريم : « وإن من المجبرة لما يتجر منه الآثار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء. » (٢) يلسق بالأرض ملارماً حريسه لا يبرحه والورد من أسماء الأسد ، والسبق الجرى ، ومنه فى صفة أبى لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قول الصباغ :  
حزى الله خيراً من إلمم وبارك      يد الله فى داك الأديم للمزق  
وما كب أحس أن تكون وفاته      بكى سبتى أروق العين مطلق  
والسبتى النمر أيضاً ، وفى الدخيرة لابن بسام قوله : يلد الورد السبتى البيت ، كقول النابغة :  
وقلت يا قوم ان البيت مقبى      على برائته الوثبة العيادى  
وأخذ ابن الرومى فقال :

سكنت سكوتاً كان وهناً لوثبة      عماس كذاك البيت لوث يلد

(٣) يقول : لا يكن عهدك كالورد فى سرعة الذبول ، فاب عهدي دائم كالأس ، وبغير هذا المعنى قول  
المبسر ابن الأحنف :

ولكنى شبت بلورد صدها      وليس يدوم الورد والأس دائم

(٤) وفى رواية ثانية : « وقد طال الشمس » ومعنى الرواية الأولى : أن صيان الدهر وتعمده قد طال .

## ذكرى أيام الوصال<sup>(١)</sup>

« كتب ابن زيدون هذه القصيدة الغدّة ، يتحسر فيها على  
انقضاء أيام الوصال ويشكو فيها ما يحسه من الوجد المبرح  
والألم القاسى ، وقد بحث بها إلى حيثه «ولادة بنت المستكفي»  
أديبة الأندلس الغدّة ، يسعها ويتلف على أيام  
الوصال السابقة »

أَضْحَى الثَّنَائِي بِدِيْلًا مِنْ تَدَانِيْنَا      وَنَابَ<sup>(٢)</sup> عَنْ طَيْبِ لَقِيْنَا بِجَافِيْنَا  
أَلَا<sup>(٣)</sup> وَقَدْ حَانَ صُبْحُ الْيَنِّ صَبَحْنَا      حِينَ فَقَامَ بِنَا لِلْحَيْنِ نَاعِيْنَا  
مَنْ مُبْلَغُ الْمَلْبِسِيْنَا بِاتِّزَاحِهِمْ      حُزْنَا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَنْتَلِي وَيُتْلِيْنَا  
أَنَّ الرِّمَانَ الَّذِي مَارَالَ يُضْحِكُنَا      أَنْسَا بِقُرْبِهِمْ قَدْ عَادَ يُنْكِيْنَا  
غِيْظَ الْعِدَامِيْنَا تَسَاقِيْنَا الْهُوَى فَدَعَوْا      بِأَنْ تَقْصَ<sup>(٤)</sup> فَقَالَ الدَّهْرُ آمِيْنَا  
فَانْحَلَّ مَا كَانَ مَمْقُودًا بِأَنْفُسِنَا      وَأَنْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِيْنَا  
وَقَدْ نَسَكُونُ وَمَا يُخْشَى تَفَرُّقُنَا      فَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِيْنَا

(١) جاء في ولائد الغنيان :

« ولم يزل يروم دفن ولادة بدمع ، ويأح دمه دونها ويهدر ، لسوء أثره في ملك قرطبة ووالياها ، وقائم  
كان ينسبها إليه ووالياها ، أحدثت به جور عليه ، وسددت أسنهم إليه ، طامئ من لثامها ، وحب  
منه عيها ، كتب إليها يستدري عهدها ، ويؤكد ودها ، ويعتد من رفاقها بالخلط الذي غشبه ، والامتحان  
الذي حشيه ، وبطها أنه ماسلا عنها بحمر ، ولا خبا ما بين صلوة لها من ملتبجر ، وهي قصيدة ضربت  
في الابداع بهم ، وطلعت في كل خاطر ووهم ، وترعت متزعاً قصر عنه حب وابن الجهم »

وقد عارض هذه القصيدة كثير من الشعراء - من قداما ، ومحدثين - وقد أثبتنا شيئاً من ذلك في غير هذا  
المكان من الكتاب فليرجع إليه من شاء . (٢) رواية الهيوآن « نان » .

(٣) لمة في هلا ، والحين الهلاك ، واللى هلا صبغنا الهلاك صبغة يوم الفراق - كأن الهجر واللوت  
في نظر الشاعر سيال مادام كلامها بعده عن محبه وهوواه بل اللوت أروح لأنه فراق اضطرار ، أما  
الهجر فانه عن اختيار (٤) غصّ بالما ، شرق به أو وقف في حلقه .

\* \*

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَمْ تُنْثَبْ<sup>(١)</sup> أَعَادِيكُمْ هَلْ نَالَ حَظًّا مِنَ الْعُثْيِ أَعَادِينَا  
لَمْ نَمْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ رَأْيَا وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا  
مَا حَقَّقْنَا أَنْ تُقَرُّوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ بِنَا وَلَا أَنْ تَسْرُوا كَاشِحًا فِينَا

\* \*

كُنَّا نَرَى الْيَأْسَ تُسَلِّبُنَا عَوَارِضُهُ وَقَدْ يَمْسِنَا فَمَا لِلْيَأْسِ يُغَيِّرُنَا<sup>(٢)</sup>  
بِنْتُمْ<sup>(٣)</sup> وَبِنَا فَمَا أَبْنَلَّتْ جَوَانِحُنَا شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَا قِينَا  
نَكَاذُ حِينَ تَنَاجِيكُمْ صَمَاثُرُنَا يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَمْسَى<sup>(٤)</sup> لَوْلَا تَأْسِبُنَا<sup>(٥)</sup>  
حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَقَدَتْ سُدُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ يَبِضًا لِيَالِينَا  
إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَقَ مِنْ تَأَلَّفِنَا وَمَرَبَعُ اللَّهِوَ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا  
وَإِذْ هَصَرْنَا<sup>(٦)</sup> فَنُونَ<sup>(٧)</sup> الْوَصْلِ دَانِيَةً قِطَافُهَا فَجَنِينَا مِنْهُ مَا شِينَا  
لِيُسَقَّ<sup>(٨)</sup> عَهْدُكُمْ عَهْدَ السَّرُورِ فَمَا كُنْتُمْ لِأَزْوَاجِنَا إِلَّا رَيَاحِينَا  
لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا إِنْ طَالَمَا غَيَّرَ الثَّأْيُ الْمُحِينَا

(١) أعتبه أعطاه العتي أي أرواه ، يقول : لئن لم ترض أعداءكم ، فهل أنتم كذلك لم ترضوا أعداءنا ،  
(٢) كنا نعلم أن اليأس يسلي ، فإنا لم نأسأكم بزيادنا ولو ما يكف ، وفي هذا الموضع يقول المجنون :

أليس وعدتي يا قلب اتى إذا ما نيت عن ليلى تتوب  
بها أنا تائب عن حب ليلى فإلك كلما ذكرت فذوب

(٣) بدتم وبدنا (٤) الحزن (٥) التمزى

(٦) حصر النفس : إماتته (٧) ضروبه وأنواعه أو الفنون جمع فن ، وهو النمن وما تشعب منه ، فنى السان (قال أبو الهيثم : الفنون تكون فى الأخصان ، والأخصان تكون فى الشب ، والشـمب تكون فى السوق ) فكان الشاعر استمار الوصل أفنا ما يصرها أى يميلها إليه كلما أراد انطاف زهرها ، واحتناء ثمرها (٨) أى سقياً لهدمكم عهد السرور أى بإبدال الثانى من الأول لتبينته وتمريغه

وَاللهِ مَا طَلَبْتُ<sup>(١)</sup> أَهْوَاؤَنَا بَدَلَا مِنْكُمْ وَلَا أَنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا

\* \*

يَلْسَارِي الْبَرْقِ قَادِ<sup>(٢)</sup> الْقَصْرِ وَأَسْقِي بِهِ  
وَأَسْأَلُ هُنَالِكَ هَلْ عَنَى<sup>(٣)</sup> تَذَكُّرُنَا  
وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ نَحْيَيْنَا  
فَهَلْ أَرَى الدَّهْرَ يَفْضِينَا مُسَاعِفَةً  
مَنْ كَانَ حِرْفَ الْهَوَى وَالْوَدَّ سَقِينَا  
إِلْفَا تَذَكُّرُهُ أَمْسَى يُهْنِينَا  
مَنْ لَوْ عَلَى الْقُرْبِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا  
مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيًّا تَقَاضِينَا<sup>(٤)</sup>

\* \*

رَيْبُ مُلِكٍ كَانَ اللهُ أَنْشَأَهُ  
أَوْ صَاغَهُ وَرِقًا<sup>(٥)</sup> مَخْضًا وَتَوَجَّهُ  
إِذَا تَأَوَّدَ آدَتُهُ رَفَاهِيَةً  
كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظِلًّا<sup>(٦)</sup> فِي أَكِلَتِهِ<sup>(٧)</sup>  
كَأَنَّمَا أَثْبَتَ فِي صَخْرٍ وَجَنَّتِهِ  
زُهرُ الْكَوَاكِبِ تَعْوِيذًا وَثَرِينًا<sup>(٨)</sup>  
مِسْكًا<sup>(٩)</sup> وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طِينًا  
مِنْ نَاصِعِ التَّبَرِّ إِبْدَاقًا وَتَحْسِينًا  
تَوْمُ الْعُقُودِ وَأَدَمَتُهُ الْبُرَى لِينًا<sup>(١٠)</sup>  
بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحَايِنَا

(١) وفي رواية : « ما اطرفت » اسعدت ، بدلا طريقا ، يسم أنه ما استحدثت هوى حديثا بعد هوى أجباه ، (٢) باكره بالماء أول النهار

(٣) حل شغل من بالله يذكرنا كما شغلنا تذكره .

(٤) المص في الزيارة أن تكون كل أسبوع ، والمقصود هنا اللذة . يقول الشاعر :

إنا لم نغف الصل من الدهر غما ، ولكننا تقاضيناها بالخارج . فهل ترى الدهر - بعد هذا - يسفنا بالقاء ؟

(٥) ليس هذا المحبوب معلوما من طين أو تراب كسائر البصر كلا ، وإنما هو طينة من المسك ولا زال الشراء المحوون يتفالون فيمن يحوون إلى الآن ، حتى قال بعضهم أخيرا المحووجه :

أت روحانية لا تدعي أن هذا الحسن من طين وماء

(٦) فضه ، يريد أن الله أبدعه ناصع البياض وتوجه بشعر ذهبي (٧) يقول إذا هي آدته أي أثقلته وشق حملها عليه (توم) أي لآل العقود وجرحه (البرى) أي الخلائيل ، وذلك لرفاهته

(٨) مرضة (٩) جمع كلة : وهي سقر إريق يبق من البعوض

(١٠) يعني أن جماله استمرار زهر الكواكب لتكون زينة له ، وتعويله من هيون ساسديه

مَا ضَرَّ أَنْ لَمْ تَكُنْ أَكْفَاءَهُ شَرَفًا      وَفِي الْمَوَدَّةِ كَافٍ مِنْ تَكَاثُفِنَا

\* \*

يَا رَوْضَةَ طَالَمَا أَجْنَتْ لَوَاحِظِنَا      وَرَدًّا جَلَاهُ الصَّبَا غَضًّا وَلَنْسِرِنَا  
وَيَا حَيَاةَ تَمَلُّينَا <sup>(١)</sup> بِزَهْرَتَيْهَا      مُنَى ضُرُوبًا وَلَدَاتِ أَفَانِينَا  
وَيَا نَعِيمًا خَطَرَنَا مِنْ غَضَارَتِهِ <sup>(٢)</sup>      فِي وَشِي <sup>(٣)</sup> نَعْنَى سَحْبَنَا ذَيْلُهُ حِينَا  
لَسْنَا نُسَمِّيكَ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً      وَقَدْرُكَ الْمُعْتَلَى عَنْ ذَلِكَ يُفْنِينَا  
إِذَا انْفَرَدْتَ وَمَا شُورِكَتَ فِي صِفَةٍ      فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِضَاحًا وَتَبْيِينَا

\* \*

يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبْدِلْنَا بِسِدْرَتِهَا      وَالْكَوْثَرِ الْعَذْبِ زُقُومًا وَغَسَلِينَا  
كَأَنَّكَ لَمْ تَبِتْ وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا      وَالسَّعْدُ قَدْ غَضَّ <sup>(٤)</sup> مِنْ أَجْفَانِ وَأَشِينَا  
مِرَانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ يَكْنُمُنَا      حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصَّبْحِ يُفْشِينَا <sup>(٥)</sup>  
لَا غَرَوْ فِي أَنْ ذَكَرْنَا الْحُزْنَ حِينَ تَهَتَّ      عَنْهُ التَّهْنِى وَتَرَكْنَا الصَّبْرَ نَاسِينَا  
إِنَّا قَرَأْنَا الْأُمْنَى يَوْمَ النُّوَى سُورًا      مَكْتُوبَةً وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا

(١) تَمَتُّا وَلَمَعْنَا

(٢) فَضَرَتْهُ وَخَفَضَهُ      (٣) وَ نَمَى كَالثُوبِ الْمَادِي الْوَشْيُ أَيْ الْفَتْشُ .

(٤) أَنَامَهُ مَا لَمْ يَبْشُرْ بِنَا

(٥) قَالَ ابْنُ بَسَامٍ : وَهُوَ مَعْنَى مَعْهُورٍ وَهُوَ فِي الشَّرِّ كَثِيرٌ ، قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

أَزُودُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَشْيُ وَيَبَاضُ الصَّحُّ يَنْفِرُ بِي

عَلَى أَنَّ أَبَا الطَّيِّبِ أَجَادَ وَكَرَّهَهُ فِي مَوَاصِعَ مِنْ شَعْرِهِ كَقَوْلِهِ :

لَا تَلْقُ إِلَّا بَلِيلَهُ مِنْ تَوَاصُلِهِ فَالْشَّيْءُ نَمَامَةٌ وَالْبَلِيلُ قُوَاد

وَكُلٌّ مِنْ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ ، لِحَوَالِ اللَّيْلِ دَارَ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ : « الْبَلِيلُ أَحَقُّ لِلَّيْلِ »

قَوْلُ : وَلَمْ تَرَفِ فِي هَذِهِ الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ بَسَامٍ أَدَقُّ وَأَعْرَفُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ زَيْدُونَ :

« سِرَانٌ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ » الْح

أَمَّا هَؤُلَاءِ فَلَمْ يَمْدِدْ بِمَنْتَهَلِهِ  
لَمْ يَجْعُفْ أَفَقَ جَمَالِ أَنْتِ كَوَكْبُهُ  
وَلَا اخْتِيَارًا تَجَنَّبْنَاهُ عَنْ كَتَبِ  
نَاسِي عَلَيْكَ إِذَا حُثَّتْ مُشَمَّشَةٌ<sup>(١)</sup>  
لَا أَكُوْسُ الرِّاحِ تُبْدِي مِنْ شَمَائِلِنَا  
دُوبِي عَلَى النَهْدِ مَا دُمْنَا مُحَافِظَةٌ  
فَمَا اسْتَعَضْنَا خَلِيلًا مِنْكَ يَحْبِسُنَا  
وَلَوْ صَبَا<sup>(٢)</sup> نَحْوَنَا مِنْ غُلُوْمٍ مُطْلَعٍ  
أَبْنَى وَفَاءَ - وَإِنْ لَمْ تَبْدُلِي صِلَةً -  
وَفِي الْجَوَابِ مَتَاعٌ إِنْ شَفَعْتَ بِهِ  
عَلَيْكَ مِنَّا سَلَامٌ اللَّهُ مَا بَقِيَتْ

(١) قل ابن اسام : « وهذا معي متداول من أشهره قول القائل :

ربى إذا ما ازددت من شربه ربا تناك الرى ظمنا

کالھر - اُروی مایکون النی من شربها - أعطش ما کاتا

ولابن الرومي فيما ياسبه من عيس الوحوه :

« يا ربّ ربي مات بدمي عجباً بين ثيابك

بروی ولا یناک من شره والّا یروک وینک «

(۲) لم یجئہ عن کتب ای قرب اختیاراً ، ولکن صرحنا علی کرہ منا شواظہا .

(٣) مزووجة : أى نمرز لفيائك من مجلسنا إذا حثت الشمول المزووجة (٤) دوى عاظمة على

المعهد مادامنا محافظين فالحرّ النصف يجرى كما حوزى

(٥) مال (٦) أخفيت الشيء أخفيه سترته ، وخفيته أخفيه تأتي بمعنى سترته ، ومعنى أظهرته ،

وعلى ذلك فقولہ « غفها » أى سترها « فتخينا » بمع أوله أى طهرنا ، وشاهد خفاء يخيه بمعنى

أظهره . قوله :

فان تكتبوا السر لا نخفه وإن تبشوا الحرب لا نقمد

وقوله تعالى في قراءة « أكاد أخفيها » بالفتح أى أظهرها .

## في مدح ابن جهور<sup>(١)</sup>

مَا لِلْمُدَامِ تُدِيرُهَا عَيْنَاكِ      فَيَبِيلُ فِي سُكْرِ الصَّبَا عِطْفَاكِ  
هَلَّا مَزَجْتَ لِأَشَقِيكِ سُلَافَهَا      يَبْرُودُ ظَلَمِكَ أَوْ يَعْذِبُ لَمَّاكِ<sup>(٢)</sup>  
بَلْ تَمَاعَلِيكَ وَقَدْ عَمَضْتُ<sup>(٣)</sup> لَكَ الْهُوَى      فِي أَنْ أَفُوزَ بِمُحْظَوَةِ الْمِسْوَالِ<sup>(٤)</sup>  
نَاهِيكَ ظُلْمًا أَنْ أَصْرَّيَ الصَّدَى<sup>(٥)</sup>      بَرَحًا<sup>(٦)</sup> وَنَالَ الْبُرءُ عُوْدُ أَرَاكِ

\* \*

وَاهَا لِمُطْفِكِ وَالزَّمَانُ كَأَنَّمَا      صُبِنَتْ غَضَارَتُهُ<sup>(٧)</sup> يَبْرُدُ صَبَاكِ  
وَاللَّيْلُ مَهْمَا طَالَ قَصَرَ طَوْلُهُ      هَاتِي وَقَدْ غَفَلَ الرَّقِيبُ وَهَاكِ  
وَلَطَّالَمَا أَعْتَلَّ النَّسِيمُ فَخِثُهُ      شَكْوَايَ رَمَتْ فَاقْتَضَتْ شَكْوَاكِ  
إِنْ تَأَلَّى سِنَةَ النَّوْمِ خَلِيَّةً      فَلَطَّالَمَا نَافَرَتْ فِي كِرَاكِ<sup>(٨)</sup>  
أَوْ تَحْتَيَّ بِالْهَجْرِ فِي نَادَى الْقَلَى      فَلَكُمْ حَلَّتْ إِلَى الْوِصَالِ حُبَاكِ<sup>(٩)</sup>

\* \*

أَمَّا مَنَى نَفْسِي فَأَنْتِ جَمِيعُهَا      يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ بَمَنْزِلِ مَنْكَ  
يَدْنُو بِوَصْلِكَ حِينَ شَطَّ مَزَارُهُ      وَهَمُّ أَكَادُ بِهِ أَقْبَلُ فَالِكِ

(١) تصدى كثير من الشعراء المعاصرين لمعارضة هذه الصيغة وقد ذكرنا طرفا من ذلك في غير هذا المكان من الكتاب بليرجع اليه من شاء .

(٢) الظلم : ماء الأسان أو يريقها ، والى : سمره و الشمة (٣) أخلطت

(٤) يقول : ماضرك - بعد أن أخلطت لك الهوى ، ومحضتك الحب أن أفوز منك بمحظ السواك .

(٥) العطش الشديد (٦) مشقة وشدة (٧) بهجة . يقول الشاعر : ما أحسن عطملك

فما مضي والزمان كأنما صبت بهجة بما كسبت أنت به من برد الشباب (٨) يقول أن تمنادى اليوم

الآن غالية غير مبالية بي ، فكثيراً ما أسهدك الهوى ، وعاديت و نومك (٩) احبني بالتوب اشتغل

والحبي كهدي جمع جوبة مثقلة الماء ، فكان الشاعر يقول : إن نجلسى في نادى البغض (القلى) محبوبة

أو مشتملة بمحبة الهجر ، فكثيراً ما دعت إلى الوصال ، وحلت لأحله حباك .



وَأَنْتَ تَجَبَّنْتَ الرَّشَادَ بِغَدْرَةٍ لَمْ يَهْوِ فِي النَّفْسِ غَيْرُ هَوَاكِ (١)

\* \*

لِلْجَهْوَرِيِّ أَبِي الْوَلِيدِ خَلَاتِقُ  
مَلِكُ يَسُوسُ الدَّهْرَ مِنْهُ هُذَّبُ  
تَذِيرُهُ لِلْمَلِكِ خَيْرٌ مِلَاكِ (٢)  
جَارِي أَبَاهُ بَعْدَ مَا فَاتَ الْمَدَى  
فَتَلَاهُ بَيْنَ الْفَوْتِ وَالْإِذْرَاكِ  
شَمْسُ النَّهَارِ وَبَدْرُهُ وَنُجُومُهُ (٣)  
يَسْتَوْضِعُ السَّارُونَ زَهْرَ كَوَاكِبِ  
مِنْهُمْ تُنِيرُ غِيَابَ الْأَحْلَاكِ (٤)  
بُشْرَاكِ يَا دُنْيَا وَبُشْرَانَا مَعًا  
هَذَا الْوَزِيرُ أَبُو الْوَلِيدِ فَتَاكِ (٥)

\* \*

تَلْفِي السِّيَادَةِ ثُمَّ إِنَّ أَضْلَلْتَهَا (٦)  
وَمَتَى فَقَدْتَ السَّرَّو (٧) فَهَوَ هُنَاكِ  
وَإِذَا تَمَيَّتَ بِوَاحِدٍ جُمِعَتْ لَهُ  
فَرَقُ الْمَحَاسِنِ فِي الْأَنَامِ فَذَاكِ  
صَمَصَامُ بَادِرَةٍ وَطَوْدُ سَكِينَةٍ  
وَجَوَادُ غَايَاتِ وَجِذْلُ حَكَاكِ (٨)

(١) المعنى لنس وقعت في المعنى بسبب غدركِ في قاتلي أنا لم يوقس في النفس غير هواكِ .

(٢) ملاك الأمر : مكر المم ، أي قواه الذي يملك به .

(٣) الفرقد والهاك من الجيوم البيرة (٤) هم المشرشدين برأيهم إذا دحت الحوادث أمثال

التجوم الزهر للسايرين في ظلمات الليل البهيم (٥) وجاء بعد هذا البيت عجز بيت ناقص هكذا : -

(وصفت جادك واستطلت حاك)

(٦) ذهبت منك ونمت ، والحطبة للدنيا في قوله « بشراك يا دنيا » .

(٧) المروءة والعرف والوصف على فعل يقال سرو يسرو فهو سري (٨) الدائرة المدة ، والجذل

أصل صخرة قطع رأسها أو عود ينصب في المعطن لتحك به الأبل الجربي يقال هو جدل حكاك ، وم جذل

حكاك ، ومعنى قوله الحساب بن المدر الأصارى يوم سقيفة بني ساعدة « أنا حديثها المحكك ، وعديها المرجب »

أي إنه يشتق برأيه وعلمه وغماريه في الأمور كما تشتق الأبل الحرقى بهذا الجذل ، ومعنى اليب أنه مصمم

كالسيف في الضرب ثابت كالطود في الحلم سباق إلى الفنايات مجرب يقتنى برأيه صلب لا يبلل مكسره .

طَلَقُ يُفْنَدُ فِي السَّمَاحِ ، وَجَاهِلٌ مَنْ يَسْتَشْفِئُ النَّارَ بِالْمَحْرَالِ (١)

\* \*

صَنَعَ (٢) الضَّيِيرَ إِذَا أَجَالَ يَمْهَرِقُ (٣) يُعْنَاهُ فِي بُهْلٍ وَفِي إِيشَاكِ (٤)  
نَظَمَ الْبَلَاغَةَ فِي خِلَالِ مَطْوَرِهِ نَظَمَ اللَّالِي الثُّومَ فِي الْأَسْلَاكِ  
نَادَى مَسَاعِيَهُ الزَّمَانُ مُنَافِسًا أَحْرَزَتْ كُلَّ فَضِيلَةٍ فَكَفَاكِ  
مَا الْوَرْدُ فِي جَنَاهُ سَاعَرَهُ النَّدَى مُتَحَلِّيًا إِلَّا يَمْنَعُ حُلَاكِ  
كَلًّا وَلَا الْمِسْكُ النَّوْمُ (٥) أَرِيحُهُ مُتَمَطِّرًا إِلَّا بَوْمِهِ (٦) ثَنَّاكِ  
الْهَوُذُ ذِكْرُكَ لَا غِنَاهُ مُرْجِعُ يَفْتَنُ فِي الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْسَاكِ (٧)  
طَارَتْ إِلَيْكَ بِأَوْلِيَايَاكِ هَزَّةٌ تَهْفُو لَهَا أَسْفًا قُلُوبُ عِدَاكِ (٨)

\* \*

يَأْتِيهَا الْقَمَرُ الَّذِي لِسَنَائِهِ (٩) وَسَنَاءَهُ تَعْنُو السَّبْعُ فِي الْأَفْلَاكِ  
فَرَحَ الرِّيَاسَةِ إِذْ مَلَكَتْ هِنَانَهَا فَرَحَ الْعُرُوسِ بِصِحَّةِ الْإِمْلَاكِ (١٠)

(١) الخشبة التي تحرك بها البار ، والمعنى أنه باس الوحه سمح وأن الكرم طيبة به وليس يزيده

تفيد الجاهلين إلا تماديا وكرمه كالبار يزيدها المحرك اشتغالا

(٢) يقال لسان صغ ، وشاعر صنع ، وبلغ صنع ، إذا كان حاذيا ماهرًا ، والمعنى أنه كاتب رائع البيان

سيان رويته وإسراعه (٣) صحيفة (٤) إسراع

(٥) صيفه مبالغة من تم للمك سطح ، والأريج تومع ريح المسك

(٦) الوسم : العلامة والثناء والمدح - يخاطب على لسان الزمان في هذا البيت والذي قبله مسامي المدوح

متهنا أن الورود في مجاه ليس متحليًا إلا بعض حلاها ، وأن المسك في سطوع أريجه لم يكن متمطرًا إلا من

السامي بالثناء (٧) ما الهو إلا ذكر تلك السامي لاغناء مرجع يطلق في البناء صوته ويمسك .

(٨) طارت : أسرعت ، والحطاب السامي ، والهزة تحرك في نشاط وارتياح ، والمعنى أسرعت إليك أيتها

للسامي مواكب بالأولياء ، وقد خفت لها حزناً فلوب الأعداء

(٩) السناء بالذ الرفعة وبالضم الضوء (١٠) عهد التكلم

مَنْ قَالَ إِنَّكَ لَسْتَ أَوْ حَدَّثَ فِي النَّهْيِ وَالصَّالِحَاتِ فَذَانِ <sup>(١)</sup> بِالْإِشْرَاكِ  
قَلَدَنِي الرَّأْيَ الْجَمِيلَ فَإِنَّهُ حَسْبِي لِيَوْمِي زِينَةً وَعِزًّا  
وَإِذَا تَحَدَّثْتَ الْحَوَادِثُ بِالرَّثَا شَزْرًا إِلَى قَتْلٍ لَهَا إِيَّاكَ <sup>(٢)</sup>  
هُوَ فِي ضَمَانِ الْعَزْمِ يَعْبَسُ وَجْهُهُ لِلخَطْبِ وَالْخُلُقِ النَّدَى الضَّحَّاكَ <sup>(٣)</sup>

\* \*

وَأَحْمَ دَارِي تَضَاعَفَ عِزُّهُ لَمَّا أَهِنَ بِمَسْحَقٍ وَمَدَاكِ  
وَالدَّجْنُ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ حَاجِبُ وَالْجَفْنُ مَثْوَى الصَّارِمِ الْفَتَّاكِ  
هَنَاتِكَ مَحْتُوكِ أَلَيْ لَوْ أَنَّهَا شَخْصٌ أَحَاوَرُهُ لَقُلْتُ هَذَاكَ  
دَامَتْ حَيَاتُكَ مَا أَسْتَدْمَتُ فَلَمْ تَزَلْ تَحْيَا بِكَ الْأَخْطَارُ بَعْدَ هَلَاكِ

### ذكرى ولادة <sup>(٤)</sup>

وَدَّعَ الصَّبْرُ مَحِبَّ وَدَّعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا أَسْتَوْدَعَكَ  
يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخَطَا إِذْ شِيمَكَ  
يَا أَخَا الْبَذْرِ سَنَاءَ وَسَنَا حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَمَكَ  
إِنْ يَطْلُبُ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بَتُّ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ

(١) أى مداك الذى قال لك لست أوجد بهما قد دان بالشرك

(٢) إذا الحوادث تحدث بالطر إلى بمؤخر عينها ، قل لها حذار (٣) هو أى ذلك الذى تهم الحوادث أن تنظر إليه شزراً فى ضمان عزم المدحوح العابس فى وجه الحوادث وفى ضمان خلقه الندى أى الدخلى الضاحك عن ثمر الأمان .

(٤) جاء فى فلأبد العيان :

ولما رحل عنه من كان يهواه ، وفاقاه بينه ونواه ، فسأيره قليلا وماشاه . وهو يدعوهم ألم الفراق حتى غشاه ، فاستعمل الوداع ، وفى كبده ما فيها من الاصداق ، فأمام يومه بحالة اللجوء ، وبات ليلته نافر المحجوع ، يردد الفكر ، ويحمد الذكر . فقال :

وندعز صاحب فجع الطيب هذه الأبيات الأربعة إلى ولادة .

## بعد الفرار من السجن<sup>(١)</sup>

« بعد أن فرّ ابن زيدون من السجن أرسل يخاطب ولادة ويستنهض الأديب أبا بكر للشفاة ويستنزل أبا الحزم ابن جهور وكان ابن زيدون غنياً بقرطبة . فقال : « . . . . . » وبلغني أنك أحد الاعمى لي ، ومن أمثالهم : « ويل للشجي من الخلى » ، وهان على الأملس<sup>(٢)</sup> ما لاقى القدر<sup>(٣)</sup> وعلمت أن العاجز من لا يستد<sup>(٤)</sup> ، فالمرء يهجز لا محالة ، ولم أستجز أن أكون ثالث الأذلين - العبر والود<sup>(٥)</sup> .

وتذكرت أن الفرار من الظلم ، والحرب مما لا يطلق من سنن المسلمين ، وقد قال تعالى على لسان موسى : « فررت منكم لما خفتكم »

فنظرت في مفارقة الوطن ، فقدمنا ضاع الفاضل في وطنه ، وكسد الطغي في معدنه ، كما قال :

أضيق في معشري وكم بلد يكون عود الكباء<sup>(٦)</sup> من حطبه  
فاستخرت الله في إنقاذ العزم ، وأنا الآن حيث أمنت بفض الأمن  
إلا أن التي لم يرفع ، ومادة البني لم تقطع :

شَحَطْنَا وَمَا بِالذَّارِ نَأْيٌ وَلَا شَحَطٌ      وَشَطَطٌ يَمْنَنُ نَهْوَى الْمَزَارُ وَمَا شَطَطُوا<sup>(٧)</sup>

(١) جاء في تلاد الطيان :

وله عند مراره ، وغروجه من مراره ، وقد أقام بقرطبة متولياً يخاطب ولادة ويستنهض الأديب أبا بكر الشفاة ويستنزل أبا الحزم بن جهور

(٢) الصحيح الطهر . (٣) اتقى بظهوره فرحه ، أى أن السلم الظاهر لا يحسن ألم أخيه للفروح الطهر . (٤) يشير إلى اليقين للمهورين :

« ليت حسداً أعزتنا مانعاً وشمت ألسنا مما نجد  
واستدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستد »

(٥) يشير إلى قول القائل :

ولا يقوم على ضمير يراد به إلا الأذلان غير الخلى والود  
هذا على الحذف مربوط بمرتبة وإذا يشع فلا يرى له أحد

وابن زيدون يرى أنه جدير ألا يقيم على الخلل ، وأن يخلص من الضيم بكل ما في وسعه ، والله ذو الشفوى إذ يقول : « ولكن تساهرة لاقيم بي على الضيم إلا ربنا أعوذ »

(٦) عود البخور أو ضرب منه (٧) شحطت النار : تصطت بجمع الجن شحطاً وشحوطاً وشططت تشط بالضم يمتد . يقول : قربت دار من أموى ، ودنا بزلها . إلا أنه قرب في غاية البعد لاستحالة اللقاء .

أَحْبَابَنَا أَلَوْتَ بِحَادِثِ عَهْدِنَا      حَوَادِثُ لَاعَقْدُهُ عَلَيْنَا وَلَا شَرَطُ<sup>(١)</sup>  
لَمَتْرُكُكُمْ إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي قَضَى      بِشَتِّ جَمِيعِ الشَّمْلِ مِنَّا لُمُتْطُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَمَّا الْكَرَى مُذَلِّمٌ أَرْزَكُمُ فَهَاجِرُ      زِيَارَتُهُ غِيبٌ وَإِلْمُهُ قَرَطُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا شَوْقُ مَقْتُولِ الْجَوَانِحِ بِالصَّدَى      إِلَى نُطْفَةٍ زَوْفَاءَ أُضْمَرَهَا وَقَطُ<sup>(٤)</sup>  
بِأَبْرَحَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَدُونَنَا      أُدِيرُ اللَّيْلَ عَنْهُ الْقَتَادَةُ وَالْخَرْطُ<sup>(٥)</sup>  
وَفِي الزَّبْزَبِ الْإِنْسِيَّ أَحْوَى كِنَاسُهُ      نَوَاحِي صَبِيرِي لَا الْكَتِيبُ وَلَا السَّقَطُ<sup>(٦)</sup>

قال هذه القصيدة عند مراده من السجن واحتماله بقرطبة ، يخاطب بها ولاة من كث و هو لا يمكنه أن يدنو من دارها ، أو يغف لزارها ، مشقاً أن يقع مريسة في يد من يمدو عليه أو يسطو ، ملازماً غيابه لا يشترك ولا يخلو ، بجلاء الأديب « أبا بكر » حوماً من أبيه والقرى ، مستطناً من أبي الزوم ابن جهور التي ، شاكياً إليه قرط إسائه ، إلى عصاة السوء من أهله ، راجياً أن يجره من شيعته ، على سابي مادته ، وأن يغنصه بالشفا ، سد طول البث والفراره ، وأن يسطه بطلته ، وتتمس كرجته مان أن يغس من غصه ذلك الضبط ، وأمره إلى من يده القضي والبسط .

(١) أَلَوْتَ : ذهبت ، والمعد أوكد المهود ، والمضى ذهبت بمجدي عهدنا حوادث تجري صروفها على غير ملتوي ونريد ليس يتنا وبينها عهد بؤكده ، ولا خرم نعهدده (٢) الشَّتْ : التفرق ، والجميع : المجتمع ، والشمل : الاحتاج . يقال جمع الله شملك ، أى مالئت من أدرك ، وقرق الله شمله أى ما جمع من أمره ، ومشتط : أى جائر بها حكمه وقضى (٣) الكرى : اليوم ، وزيارته غيبٌ : أى يزور يوماً بعد اغضائه أياماً ، ومسه « زرعاً ، تردد حباً » والاللم مصدر ألّم به راره غما ، والخرط :

يجمع فسكون الحين . يقال آتبه في الخرط ، أى في الحين بعد الحين  
(٤) الجوايح : حنايا الصابغ للطفة على القالب ، والطفة : الماء الصافي وتجمع على طفف ، والوقط : حفر في الصخر يجمع فيها ماء السماء .

(٥) مأبرج مأشدة برحا وشعه وغذايا من شوقي ، أدبر للى عنه : أى ما أطال للى بتركه والاصراف عنه من قولهم ، أدار ملائنا عن الأمر إذا طلف منه تركه . قال الشاعر :

يديروني من سالم وأدبرم      وحلة بين العين والأف سالم

والقتادة شجرة صغيرة ذات ثيابان مجتمعة كل نصيب منها ملآن ما بين أعلاه وأسفله شوكا كالابر ، وخرط القتادة اجتذاب شوكها من أعلى إلى أسفل مسارار اليد مقبوضة على أعضائها ، وفي اللقل « من دون ذلك خرط القتاد » (٦) الزرب : السرب من الظباء أو القطيع من بئر الوحش ، والانسى : مقابل الوحى أحوى و شفته حرة مناربة إلى السواد ، والكتلى : مستقر من الشجر للظباء كالبيت للإنسان والبحر تستكن فيه من الحر ، والكتيب الرمل المهدوب ، والسقط : مثلث القاء الرقيق من الرمل حيث انقطع مسطه

غَرِيبٌ فَنُونِ الْحُسْنِ يَرْتَاحُ دِرْعُهُ      مَتَى ضَاقَ ذَرْقًا بِاللَّيِّ حَازَهُ الْمَرْطُ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ فُؤَادِي يَوْمَ أَهْوَى مُودَعًا      هَوَى خَافِقًا مِنْهُ بِحَيْثُ هَوَى الْقُرْطُ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا مَا كِتَابُ الْوَجْدِ أَشْكَلَ سَطْرُهُ      فَمِنْ زَفَرَتِي شَكْلٌ وَمِنْ عَبْرَتِي نَقْطُ<sup>(٣)</sup>  
أَلَا هَلْ أَتَى الْفَتَيَانَ أَنَّ فَتَاهُمْ      فَرِيْسَةٌ مِنْ يَنْدُو وَهَزَّةٌ مِنْ يَسْطُو<sup>(٤)</sup>  
وَأَنَّ الْجَوَادَ الْفَائِتَ الشَّائِرَ صَافِنُ      تَحْوَنُهُ شَكْلٌ وَأَزْرَى بِهِ رِبْطُ<sup>(٥)</sup>  
وَأَنَّ الْحَسَامَ الْمَضْبَّ ثَاوٍ بِجَفْنِهِ      وَمَا ذِمٌّ مِنْ غَرِيْبِهِ قَدْ وَلَا قَطُ<sup>(٦)</sup>

\* \*

عَلَيْكَ (أَبَا بَكْرٍ) بَكَرْتُ بِهِمْ      لَهَا الْخَطَرُ الْعَالِي وَإِنْ نَالَهَا حَطُ<sup>(٧)</sup>  
أَبِي بَعْدَ مَا هَبَلَ التُّرَابُ عَلَى أَبِي      وَرَهْطِي فَذَا حِينَ لَمْ يَبْقَ لِي رَهْطُ<sup>(٨)</sup>  
لَكَ النِّعْمَةُ الْخَفَرَاءُ تَنْدَى ظِلَالُهَا      عَلَى وَلَا جَحْدُ لَدَيَّ وَلَا غَمَطُ<sup>(٩)</sup>

(١) الدرع : القميص ، والدرع : كساء من خز ونحوه يؤخذ به ، والقميص : يحوز التهدين والحصر ،  
واللرط : يحوز الردف ، والردف : تميل ، والحصر : تميل (٢) أهوى مال إلياب حانيا يظهره في حال  
توديعه ، وهوى القرط ، وهو ما يعلق في شعبة الأذن ، سقط متديلا هوى مؤاده منه خلفا  
(٣) أسكل سطره من أشكل عليه الأمر انحطط ولم يكن ، والشكل والنقط : صيد الكتاب بحركات  
الأعراب ، وإجماعه يظهر معناه . يقول إذا أشكل على من أهوى كتاب الوجد أرفضه له بما أصحده من  
زعران ، واسمعه من عبرات (٤) الفتيان يريد بهم تيات قرطبة ، والتهزة : الصيد للعرض لمن  
يسطو عليه ويغتصمه (٥) الشاؤ : العاية ، والصانف : الذي يقوم على ثلاث وفي سبكه يده الرابع  
تخوموه تحوته : تنقصه ، وهو قوله تعالى : « أَوْ يَأْخُذُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ » ، وشاهد قوته بغير تنقصه قول لبيد :  
عدافرة قميص بالرداء تخونها زولي وارتمالي أي تنقص لها وشعبها  
وشكل العاية : شدتها إنما يحبل وأزرى ه : ألهاه وخرقه (٦) الحسام : الصيد : السيف القاطع ، وثاؤ : مقبم :  
يريد أنه كالصيد لاسد في حبه ، وما عيب من غريبه : أي حديثه ، وهو القطع طولاً ولاقط ، وهو القطع عرضاً .  
(٧) بدأ مخاطب الأديب (أبا بكر) وبسبب هـ ، ويذكر يده عنده . يقول : إن لي همة عالية  
لها خطرهما بكرت بها عليك وتحت لك قديما ، وإن نالها إلا أن انحطاط بعد علو .

(٨) أنت أبي بعد فقد أبي وأنت وحدك رهطى حين لم يبق لي رهط . (٩) غمط الجمة غمطاً لم  
يشكرها أي لك عدى الجمة الخضراء التي تظلي ، والتي ملأت ألتكرها ولا أنكرها وأكبرها ولا أحقرها

وَلَوْلَاكَ لَمْ تَتَّقِبْ زِنَادُ قَرِيحَتِي      فَيَتَّيَبَ الظَّلْمَاءُ مِنْ نَارِهَا سِقْطُ<sup>(١)</sup>  
وَلَا أَلَفْتُ أَيْدِي الرَّيِّعِ بَدَائِي      فِنْ خَاطِرِي تَقْلَمُ وَمِنْ زَهْرِهِ لَقَطُ<sup>(٢)</sup>  
هَرِمْتُ وَمَا لِلشَّبَبِ وَخَطُ بِغَفَرِي      وَكَأَنَّ لِشَبَابِ الْهَمِّ فِي كِبْدِي وَخَطُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا أَوْلَ سُوهُ الْحَالِ نَفْسِي فَأَذْ كَرْتِ      مِنَ الرُّوضَةِ الْفَنَاءِ طَاوَلَهَا الْقَضُ<sup>(٤)</sup>  
مِثُونَ مِنْ الْأَيَّامِ حَسَنُ قَطْعَتِهَا      أُسِيرًا وَإِنْ لَمْ يَبْدُ شَدُّ وَلَا قَطُ<sup>(٥)</sup>  
أَتَتْ بِي كَمَا مِصْنَ الْإِنَاءِ مِنَ الْأَذَى      وَأَذْهَبَ مَا بِالثُّوبِ مِنْ دَرَنِ مَسْطُ<sup>(٦)</sup>  
أَتَذْنُو قُطُوفُ الْجَنَّتَيْنِ لِمَعْشَرِ      وَغَايَتِي السَّدْرُ الْقَلِيلُ أَوْ الْخَمَطُ<sup>(٧)</sup>

(١) لم تتق: أي لولاك لم تظهرنار ، فربحي الشبهة بالزناد في الإبراء ، ويتب الظلماء يأتي عليها ويلاشها ، والسقط : مثل الماء ساكني العين ما سقط من النارين الزدين . يقول : لولاك لم تذق فربحي فظهر عند اقتناعها ناز تتبب الظلماء . (٢) النظم : نظم الحب والسك ، والقط : القاططه - أي ولولاك (أبا بكر) ما ألفت بدائي يد الرّيع ، فهو يقط من عائن الزهر ما أنظله في سك الحاطر . (٣) الوخط : وثو الشب ، واختلاط بياضه بسواد الرأس ، وللحرق : وسط الرأس ، وهو موضع مرق الشعر من الجبين إلى الفروة ، واللى لم أشب هيب الكبرة ، ولكن شبت شب اله . (٤) يقول أن مطاولة سوء الحال فيه ذكرته بحال الروضة الفناء طال عليها أمد القسط . (٥) القسط : ما قطف الأسير ، وهو أن يجمع بين يديه ورجليه يحمل أو نحوه ، واللى أنه قطع جملة يوم خرطة أسيراً ، ولكن بلا قيد ولا غل لأنه كان مختصاً بمواردا عن الأنظار .

(٦) اللوس : السلس ، ويبس الثوب : غسل بالأصابع ، وسط الثوب : به ثم تحريكه لاستخراج مائه والفرس : الفوسخ ، واللى حاد في أيام الخوف والاحتفال عند نهايتها لمسؤول الدب كما غسل الاتاء من الأذى ، والثوب من الدرن . (٧) السدر : السق ، والخط : كل ثوب أخذ من الحرارة طمعا لم يمكن أكله - يشير بهذا إلى قصة الجبين في قوله تعالى - فأرسلنا عليهم سيل العرم ويدلهم بمنتهى جبين ذواتي أكل حط وأتل وشى . من سدر قليل - ووصف السدر بالقة لكونه أحسن في فيها بدوا ، والعرم بفتح دكر ، والسكر : بكسر مكرون ، والسقاء : بضم طح ففتح مشيد النون كلها - كما يؤخذ من اللسان والكشاف - أسماء السد يبي لجس ماء السيود والأمطار ويترك فيه ثمرات توسع عليها أبواب لاطلاق الماء على حسب ما يحتاجون إليه في شربهم ، وقد ورد ذكر للسقاء في بعض قصائد الديوان . يمثل في هذا البيت حاله بحال سبأ إذ أعرصوا عن الشكر ، فغرب الله جنتهم بسيل العرم وأبدلها عنها الخط ، والأثل والثليل من السدر ، ومعنى البيت : أبغض غيري بالنعم ولا أكاد أظفر بالثقة الحظير .

وَمَا كَانَ عَلَيَّ أَنْ تَعْرِفَنِي الْمُنَى  
أَمَّا وَأَرْتَنِي النِّجْمَ مَوْطِيءُ أَخْصَى  
وَسُبَّطِلَ الْمُتَبَيُّ إِذَا قُلْتَ قَدْ أُنَى  
وَمَا زَالَ يُذْنِبُنِي وَيُذْنِي قَبُولُهُ  
وَنَظْمُ ثَنَاءٍ فِي نِظَامٍ وَلِأَيَّةٍ  
عَلَى خَصَرِهَا مِنْهُ وَشَاحٌ مُفَصَّلُ  
عَدَا سَمْعُهُ عَنِّي وَأَصْنَى إِلَى عِدَى  
بَلَمْتُ الْمَدَى إِذْ قَصَرُوا - فَعَلُّوهُمْ

وَالْفَرِّ فِي الْمَشْوَاهِ مِنْ ظَنِّهِ خَبُطُ<sup>(١)</sup>  
لَقَدْ أَوْطَأْتُ خَدِّي لِأَخْصَى مِنْ خَطُّو<sup>(٢)</sup>  
رِصَاهُ تَمَادَى الْقَتَبُ وَأَتَصَلَ السُّخْطُ<sup>(٣)</sup>  
هَوَى مَرَفٍّ مِنْهُ وَصَاحِيَةٌ قَرَطُ<sup>(٤)</sup>  
تَحَلَّتْ بِهِ الدُّنْيَا لِأَلَيْتِهِ وَسَطُ<sup>(٥)</sup>  
وَفِي رَاسِهَا تَاجٌ وَفِي جِيدِهَا سِنَطُ<sup>(٦)</sup>  
لَهُمْ فِي أَدِيمِي كُلَّمَا اسْتَمَكَّنُوا عَطُ<sup>(٧)</sup>  
مَكَانٍ أَسَاوِدُهَا رُفُطُ<sup>(٨)</sup>

(١) المر: الذي لم يحرب الأمور، وفي النسل: «هو يحبط خط عشواه» يضرب قدي بركب رأسه، ولا يهتم لما فيه أمره، كاللذات العشواء التي تحبط بينها كل ماسرت به لوء بصرها، والعشواء: هيا ظلة الليل لا للقاء، يريد أن ظله حله على الاقترار بالي، تخط لمرارته في عشواه من طله أي في ظله وليس. (٢) أما حرف الاستفتاح بمعنى ألا، ولتحقيق الكلام الذي يتلوه بمعنى حقا، والأحصى ما على أنعم القى لا يلقى لأرس عند الوطء. يقول: حقا لقد أوطأت خدي لكل واطئ في حال أنها أرني فيما مضى النجم موطئ أخصى (٣) التبي: الرضا، والعتب: السخط، ورواية: «لقد أنى» (٤) صاعية الرجل من يلم به ويعصى مجلسه من أهله وحاشيته، ومرط يريد بهذا أنهم يخرطون عليه في القول أي يبرفون، واللى وما زال يقرب منه هوى متجاوز حد الاعتدال ويعد قبوله حاشية مسرفة في القول. وقد جرى في هذا البيت على أسلوب القبح والفخر للرتب، وهو يرى أن مدحوه مسرف في هواه فهو يذنبه لذلك وإن حاسديه يبرفون في الوشاية به فهو يشبهه لما يسمه من وشايتهم المتكررة (٥) أي وما زال يقرب منه سلم ثناء أجهده في نظام ولاية كآله النقد التمس نحت به الدنيا كل لؤلؤة مه جديرة أن تكون واسطة العقد لغلتها.

(٦) أي على حصر الولاية من ظله وشاح متصل، وفي رأسها تاج مرصع، وفي جديدها سبط من لؤلؤ (٧) الأديم: الجلد، والقط: شق الثوب طولا أو عرضا من غير إبقاء، واللى صرف ابن حمود سمعه على وأسمى إلى أعداء كلما تمكنوا من عرض قنوه كما يتد الأديم وشقوه كما يشق الثوب. (٨) اللدى: الباية، والأسنان: الأحقاد، والأساود: الحيات، والرفط: جمع رطاف، وهي التي في لونها سواد وبياض، واللى بلغت الباية التي قصروا عنها فكن في قلوبهم من الأساود ما يشبه الحيات الرط التي تنفذ السموم الفاتكة.



يُؤْلُونِي عَرْضَ الْكَرَاهَةِ وَالْقَلَى وَمَا دَهَرُهُمْ إِلَّا النَّفَاسَةُ وَالْفَسْطُ<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ وَصَّوْنِي بِأَتِي لَسْتُ أَهْلَهَا وَلَمْ يُنَفِّ أُمَّتَالِي بِأُمَّتَالِهَا قَطُ<sup>(٢)</sup>  
فَرَزْتُ فَإِنْ قَالُوا الْفِرَارُ إِزَابَةٌ فَقَدْ فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَبْطُ<sup>(٣)</sup>  
وَإِنِّي لَرَاجٍ أَنْ تَعُوذَ كِبْدُهَا لِي الشَّيْئَةُ الزَّهْرَاءُ وَالْخُلُقُ السَّبْطُ<sup>(٤)</sup>  
وَحِلْمُ أَمْرِي تَعْفُو الذُّنُوبُ لِعَفْوِهِ وَتُعْنِي الْخَطَايَا مِثْلَ مَا تُعْنِي الْخَطُ<sup>(٥)</sup>  
فَا لَكَ لَا تَحْتَمُسْنِي بِشَفَاعَةِ يُلُوحُ عَلَى دَهْرِي لِيَسْتَبَهَا عِلْطُ<sup>(٦)</sup>  
بَنِي بَنَسِيمِ الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ نَفْعُهَا إِذَا شَمَشَ الْمِسْكُ الْأَحْمَ بِهِ خَلْطُ<sup>(٧)</sup>  
فَإِنْ يُسْعِفِ الْمَوْتَى فَتُعْنِي هَنِيئَتُهُ تُنْقَسُ عَنْ نَفْسِ الطَّبَّ بِهَا ضَنْطُ<sup>(٨)</sup>  
وَإِنْ يَأْبَ إِلَّا بَضَ مَسْطُوطٍ فَضْلِهِ فَنِي يَدِ مَوْتَى فَوْقَهُ الْقَبْضُ وَالنَّسْطُ

(١) وفي رواية: الفسط والقي يعطوني أسبل منهم ناحية الكراهة والفس ، وليس منهم أبد الدهر ( إلا العاسة ) من مس عليه بالقي ، مس به وكره أن يصل إليه ، و ( الفسط ) : من فسط الرجل فسطه فسطاً من داب ضرب حسده ، ومن معانيه أيضاً تعي الوصول إلى لمة فبهرك من غير أن تروى به .  
(٢) أي جيلوني مبروفاً بالعمة والصمة للميه التي لست متأهلاً لها ، ولقي ما هي أي اجلي بها أمثال فيما مضى .  
(٣) إزابة : سبب في الزينة والفك والالهام ، وللمي مروت من السح ، فان ملوا إلى في الفرار ما يصلح متها ، فقد فرّ موسى من القبط حين اندرأوا به وهوا بجلته بشير إلى قوله تدال حكاية من موسى عليه السلام : « دبروت منكم لما خفتكم »

(٤) السبط : السهل . (٥) للبيس : للذكاة بوسم بها البعير ، والعلط : الوسم عرساً في المني يقول : لماذا لا أرضى هي وتنعني شفافتك لأنك بها على دهرى وأخذه وأدغمه في معاه دغمة بينة الأثر بخط أو خطين أو خطوط . (٦) المنبر : الطيب للمروء ولونه أسود ، وطلقي المنبر أيضاً على الزعفران ، وهو المراد هنا ، والورد حرة تقرب إلى صفة حسنة ، وشمش : مزج ، والأحم : الأسود من كل شيء ، أي نبي صبح هذه الشفاعة برائحة الزعفران الورد إذا جرج بالملك الأسود .

(٧) نفس : ترج ، وأطّ بها - وفي رواية : الط بها - لازماً . قال أبو اللاد :  
أطوا ما تهبج وتابوه ولو أمروا به لتحبوه

أي لازم للناس التبع عباداً منهم حين نهم الله به ولو أكرم به لنفهم عنادهم إلى تنكبه، ضط : أي ضيق

في مدينة بطليوس <sup>(١)</sup>

يَا دَمْعُ صُبْ مَا شِئْتَ أَنْ تَصُوبَا <sup>(٢)</sup>  
وَيَا فَوَادِيَّ أَنْ تَذُوبَا

إِذِ الرِّزَايَا أَصْبَحَتْ ضُرُوبَا <sup>(٣)</sup>  
لَمْ أَرِ لِي - فِي أَهْلِهَا - ضَرِيْبَا <sup>(٤)</sup>  
قَدْ مَلَأَ الشُّوقُ الْحَشَا نُدُوبَا <sup>(٥)</sup>

فِي الْقَرْبِ إِذْ رُحْتُ بِهِ غَرِيْبَا  
عَلِيلَ دَهْرٍ سَاكِنِي تَمْزِيْبَا <sup>(٦)</sup>  
أَذَنْ <sup>(٧)</sup> الضُّعْفَى إِذْ أَبْعَدَ الطَّيْبَا <sup>(٨)</sup>

✽ ✽

لَيْتَ الْقَبُولَ <sup>(٩)</sup> أَحَدَتَتْ هُبُوبَا  
رِيحُ يَرْوُحُ عَنْهَا قَرِيْبَا <sup>(١٠)</sup>  
بِالْأَفْقِ الْمُهْدَى إِلَيْنَا طِيْبَا <sup>(١١)</sup>

(١) مدنته كبيرة من مدن الأندلس تقع غربي قرطبة. وهذه الأرحورة تذكرنا بالأرحورة المدمورة : « دع المطايا تسم الجنوب » الخ (٢) اسك يا دمي ما شئت أن تنسك ، والأصل في الصوب نزول المطر ، والعمل صاب يموت والأمر صب . قالوا : وكلّ نازل من علوة إلى أسفل فقد صاب ، ومنه قوله « كأنهم صابت عليهم سحابة » . (٣) أصنافا . وفي رواية : إذ الرزايا (٤) نظيراً أو مثيلاً . قول : اسك يادمع هـ صبت عليك ألوان من المصائب والآلام لم تصب على أحد من المرزوقين . (٥) آثار المروح إذا لم ترتفع من الجبل ، ومنه قول الفرزدق : ومكبل ترك الحديد بساقه نذبان من الرسفك في الأحبال

(٦) أمرضى دهر قد حشمى دلّ الاغتراب وسامى سوء الدواب . (٧) وفي رواية : أهي الضى (٨) قرب البحر من الدمام في وقت أبعد فيه هي الطيب . (٩) ما يستحبك بين يديك من الريح إذا وقلت في القبة . (١٠) أي يكون رواح ما تحمله الريح من المطر قريبا ، والعهد هنا مناه للمطر الأول الذي يليه الوسمي . (١١) أي متملا بالأفق التي طللت أهدى إلينا من ناحية الحب طيبا .

تَعَطَّرَتْ مِنْهُ الصَّبَا جُيُوبًا

مُيَزِدُّ حَرِّ الْكَدِّ الْمَشْبُوبًا<sup>(١)</sup>

\* \*

يَا مُتَّبِعَا إِنْسَادِهِ<sup>(٢)</sup> التَّأْوِيَا

مُشَرِّقَا وَنَ سَمِّ التَّغْرِيبَا

أَمَّا تَمِمتَ اللَّقْلَ الْمَضْرُوبَا

أَرْسِلْ حَكِيمًا<sup>(٣)</sup> وَأَسْتَشِرْ لَيْبَا

\* \*

إِذَا أَتَيْتَ الْوَطْنَ الْحَبِيبَا

وَالْجَانِبَ الْمُسْتَوْضَحَ<sup>(٤)</sup> الْعَجِيبَا

وَالْحَاضِرَ<sup>(٥)</sup> الْمُنْفِصِحَ الرَّحِيبَا

فَحَيَّ<sup>(٦)</sup> مِنْهُ مَا أَرَى الْجَنُوبَا

(١) يطلُّ ذلك الطيب الذي تطمرت منه جيوب الصبا كبدًا مشوهة فيها جراح الشوق. وفي الأصل «الشوب»

(٢) الاقصاد سير الليل كله لانه ليس فيه ، والتأويب : سير النهار كله لانه سريع فيه .

(٣) وفي رواية : أرسل حليما .

(٤) للبحوث عنه أو الذي يستوحشه الزاكن أي يستقره ويستكنه بأن يصح كله على هيبه في الشمس

لينظر هل يراه . (٥) الحاضر : ضد البادى . (٦) مرتبط بالأيات قبله . يقول : ليها

لواصل سير الليل كله بغير النهار كله معرفا قد ملَّ السير إلى الجانب الغربي أي مرسك في حاجة ،

ومتبع للتل للمهور :

إذا كنت في حاجة مرسلًا فارسل حكيمًا ولا تومس

وإن طلب أمر طبعك التوى مشاور ليلا ولا تصب

ذلك أنك إذا أتيت ذلك الوطن المحبوب ، والجانب للأهل والحاضرة المنسجمة على مما قد ترى الجنوب

حيث بهم الحبيب ، وقوله : ما رأى جهة معتزلة وحدث هكذا وحرر .

مَصَانِعُ ١) تَجْتَدِبُ ٢) الْقُلُوبَ  
 حَيْثُ أَلِفْتُ الرَّشَّاءَ الرَّيْبَا ٣)  
 مُحَالِفًا ٤) فِي وَصْلِهِ الرَّيْبَا  
 كَمْ بَاتَ يَذْرِى ٥) لَيْلُهُ الْغَرِيْبَا  
 لَمَّا أَتَتْهُ فِي سُكْرِهِ قَضِيْبَا  
 تَشْدُو ٦) حَاكَمَ حَلِيْلُهُ تَطْرِيبَا  
 أَرْسَفُ مِنْهُ اللَّبْسِمُ الشَّيْبَا ٧)  
 حَتَّى إِذَا مَا أُعْتِنَ لِي مُرِيْبَا ٨)  
 سَبَابُ أَفْقِي هَمٌّ أَنْ يَشِيْبَا  
 بَادَرْتُ سَعِيَا ، هَلَنْ رَأَيْتَ الدَّيْبَا ؟ ٩)

(١) دير وأبوية وصور . قال ليد :

بلينا وما تلى السحوم الطوالع وتقى العيار بمعدنا وللصانع

(٢) تجذب . (٣) الرشا : الذى إذا قوى وتحرك وهى مع أمه ، والربيب : للربيب من قولهم

سى مربوب ورىب . وفى رواية : اليبيا

(٤) من المحالفة بمعنى عدم للمواصلة أو من قولهم جاءه ملائ خلاف صاحبه ومخالفته إذا أتى بهنده محالفاً له .

(٥) يذرى يخال من قولهم دريت الذئب أى احتلت له وختلت حتى أصيده ، وللمريب : الشديد السواد

ومعنى الآيات تلك دور ومصانع تجذب القلوب إليها ألف فيها الرشا القريب فى حجر السعة محالفاً أى آتياً  
 فى غلظة الربيب ، فكثيراً ما يلت محالفاً ليه الشديد السواد ليصيب منه غرّة ويجلس منه غفلة .

(٦) تعنى ، استعار تشدو الحلم لوسوسة الخلق (٧) أرسف : كالأصر وأضرب مصارع رشف

للماء والريق ونحوهما رشفاً ، وهو للسّ والتقىل وعرب الماء قليلاً قليلاً ، وللبيس ، والمقبل ، والشلب :  
 صفته مأخوذ من الشب وهو برد وعذوبة فى الأستان . قل ذو الرمة :

لمياء فى شفتيها حوة لسى وفى اللثات وفى أليها شنب

(٨) اعتن : اعترض ، ومربيا : ذاريب . (٩) يقول فى هذا البيت والآيات قبله : بتّ ناعما

ليلي بالعتاق والتشيل حتى إذا اعترضني ملوأي من سواد أفق وشك أن يفصحه ضوء الصبح بادرت الطريق  
 أسمى ، هل رأيت القتب ، يريد : هل رأيت القتب فى خفته وسرعة عدوه وفراره وهنى : أنه قد فرّ فرار القتب .

هَصَرْتُهُ <sup>(١)</sup> خُلُوَ الْجَنَى رَطِيًّا

\* \*

أَهَاجِرِي أَمْ مُوسِي تَأْنِيًّا  
مَنْ لَمْ أَسِغْ مِنْ بَعْدِهِ مَشْرُوبًا <sup>(٢)</sup>  
مَا صَرَّهُ لَوْ قَالَ لَا تَثْرِيًّا <sup>(٣)</sup>  
وَلَا مَلَامَ يَلْحَقُ الْقُلُوبَا  
قَدْ طَالَ مَا تَجَرَّمُ الذُّنُوبَا <sup>(٤)</sup>  
وَلَمْ يَدْفَعْ فِي الْمُنْذِرِ لِي نَصِيًّا

\* \*

إِنْ قَرَّتِ اللَّيْنُ بِأَنْ أَوْبَا <sup>(٥)</sup>  
لَمْ آلْ أَنْ أَمْتَرَضِيَ النُّفُوسَا  
حَسْبِي أَنْ أُحَرِّمَ الْمَنِيَّا  
قَدْ يَنْفَعُ الْمَذِيبَ أَنْ يَتُوبَا

يوم بوصل ساعة

بِاللَّهِ خُذْ مِنْ حَيَاتِي  
كَيًّا أَنَا لَ بِقَرَضٍ مَا لَمْ أَتْلُ بِشَفَاعَةٍ

(١) أملت له إلى وعظمت على وهو جواب لما .

(٢) حل هذا الحبيب الذي خصصت بمرأته ولم أحد بعده سماعا لفرار إلى حلقى هاجري أو موسى

لوما وثريا . (٣) أي ضرر عليه إذا هو قل المدر وس اللام والعتاب .

(٤) كثيرا ما ادمى على ذنوبها لم يفعلها (٥) يقوله في هذا البيت والذي سده : إن قرأت العين بالروح إلى الوطن بذات حمدي في استمدائه ، وكما أني أن أحرّم على نفسي ترك هذا الوطن وأتوب  
هد تنفع توبة للذنب .

## في عيد الاضحى<sup>(١)</sup>

« لما حلّ ابن زيدون من المعتضد بالمكان الذي حلّ ، واتكث  
عقد شدائده وانحلّ ، تسلت نفسه من شجونها ، وحثت إلى صفا  
« ولادة » وحجونها ، وقد كرها وما تناساها ، وعلودته لوعنها  
وأساها ، وحنّ إليها حنين من حبل بينه وبين ما يشتهي ، وقنع  
بأهداء تحية تبلغ إليها وتنهي . فقال يتغزل فيها ويمدح المعتضد<sup>(٢)</sup> : »

أَمَا فِي نَسِيمِ الرِّيحِ عَرَفْتُ مُعْرِفُ      لَنَا هَلْ لِدُنَاتِ الْوَقْفِ بِالْجَزْجِ مَوْقِفُ<sup>(٣)</sup>  
فَنَقْضِي أَوْطَارَ اللَّيْلِ مِنْ زِيَارَةِ      لَنَا كَلَفُ مِنْهَا بِمَا تَسْكَفُ<sup>(٤)</sup>  
صَمَانُ عَلَيْنَا أَنْ تَزَارَ وَدُونَهَا      رِقَاقُ الطُّبَا وَالسَّمْهَرَى الْمُتَقَفُ<sup>(٥)</sup>  
وَقَوْمٌ عِدَى يُبْذُونَ عَنْ صَفَحَاتِهِمْ      وَأَزْهَرُهَا مِنْ ظُلْمَةِ الْحَقْدِ أَكَلَفُ<sup>(٦)</sup>  
غِيَارَى يُبْذُونَ الْفَرَامَ جَرِيرَةَ      بِهَا وَالْهُوَى ظُلْمًا يَغِيظُ وَيُؤَسِفُ<sup>(٧)</sup>

(١) هو الاضحى سنة ٤٤٥ هـ . وهذه القصيدة من ضمن قصائده التي يمدح بها المعتضد ، وقد ذكر  
طرمّا منها ابن بسلام في النونية ، وقد بسّ أبايتها ، وذكر طائفة منها كذلك صاحب فلاح المقيان في  
ضمن ما ذكره من طرف ابن زيدون وأحارده ، وطرده وأشعاره . (٢) فلاح المقيان .  
(٣) أما استفهام فيه معنى التثنية ، والمعرف : الرخ الطيب ، والجرج : منمط الوادي ، ولوقف : السوار  
- من الحاج وغيره - قال حراون البود الخيري :

كوف الحاج من ذكي منك تحية به من المين الذخار

أو هو التخلخل من العسة وغيرها . وللمنى : لب لنا في جوب النسيم طيب رائحة يعرفها هل المحوبة  
واقفة بمكان وقومها من منمط الوادي فنفسي الخ . وفي رواية : يعرف .

(٤) للمنى : هل لها وقعة بالمضى فنفسي حاجت النفس من زيارة لا ولع بما يتجشمه من مشقة التفرغ لها .  
(٥) الطبا : جمع طلبة ، وهي حد السب ، والسهمري : الرمح ، وللتقف : للسوى بالتفاف ، وهي  
خشة فيها خرق توضع فيه الرماح لتسوية ما اوج منها ، أى نحن ضلوس على أغصان أن تزار ، ودون  
زيارتها ظا السبوف الرقيقة ، وأسنة الرماح الملبدة ، وفي بسن السخ حرز علينا أن تزار .

(٦) أى ودون الوصول إليها أصلاً قوم ممدون يظهر ما يغفونه من الصداوة والفرط وحوهم - م ،  
واللرق للضىء من تلك الوجوه أكلف أى به كلف وسواد من ظلة الحقد .

(٧) غيارى وغيارى - ببح النين وضما - كسكارى وسكارى جمع غيران من غار الرجل على امرأته  
بحار غير ، والجريرة : الذنب والجانبة يجنبا الرجل على شبه أو يجرها على غيره ، وؤسف : كينضب  
وزناً ومعنى ، ومنه قوله تعالى « فلما آسفونا انتقمنا منهم » .

يَوْدُونَ لَوْ يَفْنَى الْوَعِيدُ زَمَانَنَا وَهَيْهَاتَ رِيحِ الشَّوْقِ مِنْ ذَاكَ أَغْصَفُ<sup>(١)</sup>  
يَسِيرُ لَدَى الْمُشْتَاكِ فِي جَانِبِ الْهَوَى نَوَى غُرْبَةٍ أَوْ يَجْهَلُ مُتَعَسِّفُ<sup>(٢)</sup>  
هَلِ الرُّوعُ إِلَّا غُرَّةٌ نَمَّ تَنْجَلِي أَمِ الْهَوَلُ إِلَّا غُمَّةٌ نَمَّ تُكْشَفُ<sup>(٣)</sup>  
وَفِي السَّيَرَاءِ الرَّقْمِ وَسَطًا قِيَابِهِمْ بَعِيدُ مَنَاطِ الْقُرْطِ أَحْوَرُ أَوْطَفُ<sup>(٤)</sup>  
تَبَايَنَ خَلْقَاهُ ، فَمَبْلٌ مُنْعَمٌ تَأَوَّدَ فِي أَغْلَاهُ لَذَنُ مُهْفَهَفُ<sup>(٥)</sup>  
قَلْعَانِكَ الْمَرْجَجِ مَا حَازَ مِرْرُ وَلِلْغُصْنِ الْمُهْتَزِّ مَا صَمَّ مِطْرَفُ<sup>(٦)</sup>  
حَبِيبُ إِلَيْهِ أَنْ نُسَرَّ بِوَضْلِهِ إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ وَتَهْنَأُ وَنُسْفُ<sup>(٧)</sup>  
وَلَيْلَةٌ وَافَيْنَا الْكِتِيبَ لِمَزْعِدِ سُرَى الْآيْنِ لَمْ يَمْلَمْ لِمَسْرَاهُ مَرْحَفُ<sup>(٨)</sup>

(١) الوعيد : التهديد والتخويف ، والرمال : الفاتح للمضى في أمر الزيادة والزم عليه ، وأغصف : امتلأ من صفات الرغ تصف بالكسر معنى طاف أى شديدة تضيء بما سرت عليه من تراب ونحوه ، أى يودون لو يصرقوا تهديدهم مما أرمته من أسرار تلك الحياء التي حارون عليها ، وهيهات أن يصرقوا من ذلك صارف ، فإن ربح للشوق أشد مصيبا بما لم نأجته من تهديدهم ووعيدهم .

(٢) قول يسير علينا في جانب الهوى الاقتراب والاندساق المحامل .

(٣) الروع : الخوف ، والغمرة : الشدة .

(٤) السيرة : تكرار نوع من الرود يعطله حرر كالسبور ، ويقال ثوب رقم إذا رقم أى كتب عليه شيء ، أو اسم الناحر ، ومناط القرط مطقة ، وأحور : وصف من حور العين . وهو شدة سواد القلة في شدة ياضها ، وأوطف . طويل شعر أهداب العين ، وفي الأصل أوطب ، وللمعنى أن حبيبه لقي نكس تلك الحلة السيرة التهمة تقيم وسط قبال الأعداء وهي سيدة مبهوى القرط أى طومة العنق ، في هذا حور ، وفي أهدابها وطف . (٥) عبل : أى ردف ضمت تلم ، وهنم : من العمة والراحة ، وعدم الالتفات في محل البيت لتوفر الخدم ، ولزم ذلك العبالة والامتلاء ، وتأوَّد : تلى ، ولقد أى ضمن لين ، ومهفوف أى خمر دقيق ناعل ، يقول : تباينت خلقة أسفله وأغلاه ، مردف تليل وخصر نخيل .

(٦) العائم : من الرمال ما تنقد وارتفع ، وفي الأصل : العائم . وللتأثر : معروف وهو ما يشد على الوسط ، وللطرف - وهو مثله للهم - من ثياب الحر ما جل في طرفه طمان ، ويجمع على مطارف ، أى فككيب للرج محواه للتدريج ، والغصن للهتز ما سمه الطرف . (٧) وافينا الكتيب : أى توافينا

على موعد في الكتيب ، والسرى : السير بالليل ، والآين : الأعياء والتعب ، والمزحف النابت وهو من الزحف وهو المعنى قليلا قليلا ، أو المراد به هنا أثر المعنى وهو مزحف الحية ، وهو أثر السيليا في الرمل قال الشاعر :

كَانَ مَزَاحِفَ الْحَيَاتِ فِيهِ قَبِيلُ الصَّحْحِ آثَرُ السَّبَالِ

تَهَادَى أَنَاةَ الْخَطْوِ مُرْتَاعَةَ الْحَشَا      كَمَا رِيحٌ يَغْفُورُ الْفَلَاحَ الْمُتَشَوِّفُ<sup>(١)</sup>  
فَمَا الشَّمْسُ رَقًّ الْقَيْمِ دُونَ إِيَاجِهَا      سَوَى مَا أَرَى ذَلِكَ الْجَبِينَ الْمُتَنَصِّفُ<sup>(٢)</sup>  
فَدَيْتُكَ أَنَّى زُرْتِ نُورُكَ وَاصْبَحْ      وَعِطْرُكَ نَحَامٌ وَحَلِيكَ مُرَجِفُ<sup>(٣)</sup>  
هَيْبِكَ أَعْتَرَزْتَ الْحَى وَأَشِيكَ هَاجِعُ      وَفَرْعُكَ غَرِيبُ وَلَيْسُكَ أَغْضَبُ<sup>(٤)</sup>  
فَأَنَّى أَعْتَسَفْتَ الْهَوَلَ خَطْرُكَ مُذْمَجُ      وَرِدْفُكَ رَجْرَاجٌ وَخَصْرُكَ مُخْطَفُ<sup>(٥)</sup>  
بَلَجُجْ ، تَهَادَى الْحُبُّ فِي الْمَعْشَرِ الْعِذَا      وَأُمُّ الْهَوَى الْأَفْقُ الَّذِي فِيهِ نُشْتَفُ<sup>(٦)</sup>  
وَأَنْ تَتَلَقَّى السَّخَطَ - عَائِنَ - بِالرَّضَى      لَغَيْرِ أَنْ أَجْنَى مَا يُرَى حِينَ يَلْطَفُ<sup>(٧)</sup>  
كَفَاً مِنَ الْوَصْلِ التَّجِيَّةِ خُلْسَةً      قَيَّوْنِي مَرْفُءٌ أَوْ بَنَانُ ، مَرْفُءُ<sup>(٨)</sup>

(١) تهادى أصله تهادى أى تفرق وتماثل وسكون ، وأناة الخطو : متتدة الخطو وصفها بالمصدر ، وهو الأناة بمعنى الأثارة ، ومرتاعة الحشا : متفرقة القلب ، وريح : مزج واجب ، واليغور : الأبي والمتشوف : للتطلع . وفى بعض النسخ المنصرف ، وهو الذى يرفع رأسه ويعد مصره لينظر إلى السى .

(٢) إبانة الشمس - بالكسر والفتح - حسنها وسودها ، وإداه من الشمس أما ، قال أبو العلاء :

وسى العالم من مصه لولا إياه لم يكن سحت

أى لولا الشمس لما كان الممر ، وللصف : الذى على الصيب وهو الحمار ، أى لست الشمس بمنزلة الصيب الذى يرمى حسنها وسودها إلا ما أراه ذلك الحمار من حس يبدو من خلال الصيب .

(٣) وفى بعض الروايات : قبيك وهو مصدر منصوب لسانته عن العمل والتقدير سألت الله ففعلك من قوله تعالى « من الجن ومن السماء قبيك » أى حفيظ ، وللمتأمل قبيك الله مثل عمر كقوله ، وهو مصدر منصوب أيضاً ناب عن العمل تقديره عمر كقوله بالتشديد ، ومعناه هنا : ملازمك ، ومرحب : من أرحب إذا تحرك واضطرب ، ويصح أن يكون من أرحف البناء للجهول فهو مرحف ، وفى بعض النسخ بدل قبيك فديك . (٤) هيك : يقال هيك فلتك ، وهيك فلتك كذا ، ولا يقال هب أنك فلتك ، ولا هي أنك فلتك ، والمعنى اسعى واعدى ، واعتزرت الحى : حش وجزت به على غير علم ، وفركك غريب : شرك شديد السواد ، وأغضب حالك السواد ، يقال ليل أغضب إذا ألبس ظلامه .

(٥) مدمج : داخل بمه فى بعض ، ومخطف : ضامر يقال فرس مخطف الحشا : أى ضامره .

(٦) نشفت : نهض ، والمعنى أسرى بلجج فقد تهادى إلى حب من أهواه بين المصدر المعاد ، وقصد الهوى :

المكان الذى فيه أمقت وأهيس . (٧) للمنى وبلجج أى أن تعمل السخط ، وقد هنا نارا صاحب

غيرة يشتد جفاؤه وغلظته ، حين يظن لطفه وورقه . (٨) البنان : اللطيف الذى طرف بالحناء .



خَلِيلِي مَهْلًا لَا تَلُومَا فَلَانِي فَوَادِي أَلَيْفُ الْبَيْتِ وَالْجَنِّمُ مُذْنَفٌ  
فَأَعْنَتْ مَا يَلْقَى الْمُحِبُّ لِمَا جَاءَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمُبِّ حِينَ يُعْتَفُ  
وَإِنِّي لَبَسْتُهِنِي الْبَرْقُ صَبُوءَ إِلَى بَرْقٍ مَعْرِ إِنْ بَدَا كَأَدَّ يَخْطَفُ  
وَمَا وَلَمِي بِالرَّاحِ إِلَّا تَوَهُمٌ لِظْلَمٍ بِهِ كَالرَّاحِ لَوْ يُتَرَشَّفُ<sup>(١)</sup>  
وَتَذَكِّرُنِي الْعِقْدَ الْمُرْنَ مَجَانَهُ مُرْنَاتٍ وَزُقِي فِي ذُرَا الْأَيْكِ تَهْتِفُ<sup>(٢)</sup>  
فَقَابِلَ مَنْ أَهْوَى طَوَى الْبَذَرِ هَوْدَجُ وَلَا صَانَ رِيمَ الْفَقْرِ خِذْرُ مُسَجَفُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَا قَبْلَ «عَبَّادٍ» حَوَى الْبَخْرَ مَجْلِسُ وَلَا حَمَلَ الطَّوْدَ الْمُظْلَمَ رَفَرَفُ<sup>(٤)</sup>

(١) الظلم به : أى بالشر فى البيت قبله . قال فى الحسان ، والظلم : الماء الذى يجرى وظهر على الاسفل من صماء الاول لان الريق كالبرند حتى يتحول لك منه سواد من شدة البرق والصفاء ، قال كعب بن زهير :  
تعلو غوارب دى ظلم إذا ابتست كأنه ينهل بالراح معلول  
لو يترشف : لو هنا لاسى ، وى بسى السخ إذا يترشف ، والترشف : من الماء قليلا قليلا . قال ابن بسام :  
«أراه بت أى الطب : وما شرق بالماء إلا تذكرنا لما به أهل الحبيب تزول  
(٢) المرن : اسم قائل من الأركان ، وهو الصوت الحزين ، والجان : حب يتخذ من صغار الأولاد ، أو  
من العسة أمثال الأولاد ، ولورق : جمع ورقاء وهى الجملة التى لونها بين السواد والفسفرة وهى ما تسمى  
فى عرف أهل مصر ديلممة ، وى مثل هذا يقول الشاعر المحسن حسان بن المهدي :  
..... ثم حاحى حاتم ورق بالدمية هب

والأيك : جمع أيكة ، وهى الشجر الكثير للثلب ، وتهتف : تنوح . (٣) المودج : ما ترك فيه  
المرأة يكون مقبلا وغير مقبب ، وى بعض النسخ بدل ما ضم ، والزم : الطي الخالص البياض ، والمخدر  
للصعب : ما على كل مدخل أو نافذة من موافقه سمعا أى ستران بينهما مشقوق كالصراحين .  
(٤) ( ولا قل عاد ) هو للمصنف بالله أبو عمر عاد بن الطاهر للزبد بالله أبى القاسم محمد بن إسماعيل  
قاضى اشبيلية ينتهى سبه إلى النعمان بن للمدر آخر ملوك المامية ، وهو صاحب قرطبة وأشبيلية وما والاها  
من جزيرة الأندلس ، ولى لذلك بعد وفاة أبه الطاهر محمد بن إسماعيل القاضى سنة ٤٣٢ هـ . وكان هو  
وابنه للمعتد أوسع ملوك الطوائف ملكا ، وأشدهم بأسا ، وأكثرهم عبيدا وعددا ، وكان للمعتد فيما  
ذكره ابن بسام صاحب البخيرة قطب رحى الفتنة ، ومنتهى حاية الحمة فى بلاد الأندلس ، وإلى سياسته يعزى  
السبب فى تلك الحروب الطاحنة التى انتهت بين ملوك الطوائف واستعان بعضهم على بسى فيها بالمدو الذى  
انتهز فرصة منظمهم ، وتفرق كلهم فصل على إزالة ملكهم ، وإخراج المسلمين من بلادهم - والرفرف -  
الفرش والوط ، وكل ما أعد لجلوس ، وى التذليل للبرز ، متكئين على روفر خضر ، وهو جمع رفره  
ورفر جمع الجميع . قال ابن بسام : وهذا البيت للفطلى بجملة حيث يقول فى ابن أبى طاهر :  
وكيف أسوى بالبر والبحر مجلس وفام بسبه الراسيات سرر

هُوَ الْمَلِكُ الْجَمْدُ الَّذِي فِي ظِلَالِهِ      تَكْفُ صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ وَتُصَرَّفُ<sup>(١)</sup>  
 مُهَامُ يَرِينُ الدَّهْرُ مِنْهُ وَأَهْلُهُ      مَلِكٌ قَمِيهِ كَاتِبٌ مُتَقَلِّبٌ  
 يَنْقِيهِ بِمِرْقَاهُ مَرِيرٌ وَمُنْبَرٌ      وَيَحْمَدُ مَسْعَاهُ حُسَامٌ وَمُصْصَفٌ  
 رَوِيَّتُهُ فِي الْحَادِثِ الْإِذْ لِحَظَةٌ      وَتَوْقِيْمُهُ الْجَالِي دُجَى الْخَطْبِ أَخْرَفُ<sup>(٢)</sup>  
 يَذِلُّ لَهُ الْجَبَّارُ خِيفَةً بِأَسِيهِ      وَيَمْنُو إِلَيْهِ الْأَبْلُجُ الْمُتَغَطِّرُ<sup>(٣)</sup>  
 حِذَارُكَ - إِذْ تَبْنِي عَلَيْهِ - مِنْ الرَّدَى      وَذُونُكَ فَاسْتَوْفِ الْمُنَى حِينَ تُنْصَفُ  
 سَتَمَتُّهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِالتَّوَسَّى      كِتَابٌ تُرْجَى أَوْسَافُنُ تُجَدَّفُ<sup>(٤)</sup>  
 أَغْرُ مَتَى نَدْرُسُ دَوَاوِينَ نَجْدِهِ      يَرْقُنَا غَرِيبٌ مُجْمَلٌ أَوْ مُصَنَّفُ<sup>(٥)</sup>  
 إِذَا نَحْنُ قَرَضْنَاهُ قَصْرَ مُطْنِبٍ      وَلَمْ يَتَجَاوَزْ قَايَةَ الْقَصْدِ مُسْرِفُ<sup>(٦)</sup>

(١) الحمد : قال في اللسان : والحمد إذا ذهب به مدح المدح له معنيان مستحيان ، أحدهما : أن يكون مصوب الجوارح ، شديد الأمر والمخلق غير مسرّح ولا مضطرب ، والثاني : أن يكون شره جدا غير بسيط ، لأن سوسة الشعر هي القالة على سمور العجم من الروم والفرس ، وحمودة الشعر هي العالبة على شعور العرب ، فإذا مدح الرجل بالحمد لم يخرج عن هذين للمعنيين ، الخ ما قال في الجمد على كلا الاعتبارين المدح أو الذم فأنزله ، وللمنى هو الملك المجتمع المخلق الذي ليس له ولا مسرّح في الأوصاف ، أو الجمد السر ، أو الكريم الذي في طله وكفه تكلم غير الحوادث وصروف الدهر وتردها عن أن تصد للمستظللين طله بالسوء .

(٢) الاد العظيم ، والوقيع : ما يكتنه الملك في السكاب من حل قصيرة ، وأحرف قصيرة ، لا غاذ أو امره ، وإصاء ، شؤون دولته ، وللمنى همكبره في الحوادث العظيم المطلق العنان سريع لا يحتاج إلى تريث ، وعدم تعجل ، وتوقيفه الكاشف طلبة المطوب كانت قليلة حامية لمحمول ما يريد إغاذه .

(٣) الأبلج : الأبيض ، والمتطرب : السيد السرى المختل في مشيته .

(٤) ستتمتهم : ستخارهم ، والتوى : الهلاك ، وترسى : تساق وتسير ، وتحدف تدفع بالمجاهد .

(٥) أفرّ كريم الأفعال وأصمها ، وندرس : أى متى نرض أغصا على قراءة ماسطر في دفاثر مجده ، يرقنا : أى يهيجنا الخ ، وفي الأصل : « متى ندرس » ، والقريب : الفاضل البعيد عن الفهم ، والمجمل : المحتاج إلى التفسير والبيان ، والمصنف : المميز بعه من يس ، وللبين خفاؤه وإحاطه .

(٦) قرظناه : من القرظ وهو اللدح والثناء ، وأصله من تهرظ الجلد أى دهنه بالقرط ، والطب : للسهب التوسع في العول ، والتصد : التوسط والاعتدال .

وَأَرْوَعُ لَا الْبَاغِي أَخَاهُ مُبْلَغُ  
مُحِرُّ الْقَوَى لَا يَمْلَأُ الْخَطْبُ صَدْرَهُ  
لَهُ ظِلُّ نَعْنَى يَذْكُرُ الْهَمُّ عِنْدَهُ  
جَجِيمٌ لِمَا صِيهِ يُشَبُّ وَقُودُهُ  
مَحَاسِنُ ، غَرْبُ الذَّمِّ عَنْهَا . مُفْذَلُ  
تَنَاهَتْ فَعَقْدُ الْمَجْدِ مِنْهَا مُفْصَلُ  
طَلَّاقَةٌ وَجْهِهِ فِي مَضَاءِ كَمَثَلِ مَا  
عَلَى السَّيْفِ مِنْ تِلْكَ الشَّهَامَةِ مَيَّسَمُ  
مَسْجَايَا لَيْلٍ وَالْأَهْ كَالْأَرَى نُجْتَى  
يُرَاقِبُ مِنْهُ اللَّهُ « مُعْتَصِدٌ » بِهِ

مُنَاهُ وَلَا الرَّاجِي نَدَاهُ مُسَوِّفُ (١)  
وَلَيْسَ لِأَمْرِ قَالَتِ يَتَلَهَّفُ (٢)  
ظِلَالُ الصَّبَا بَلْ ذَاكَ أُنْدَى وَأَوْزَفُ (٣)  
وَجَنَّةُ عَذْنٍ لِلْمُطِيعِينَ تَرْفُ (٤)  
كَهَامُ ، وَشَمْلُ الْمَجْدِ فِيهَا مُؤَلَّفُ (٥)  
سَنَاءُ وَبُرْدُ الْفَخْرِ مِنْهَا مُغَوِّفُ (٦)  
يَرُوقُ فِرْنْدُ السَّيْفِ وَالْحَذُّ مُرْهَفُ (٧)  
وَفِي الرُّوضِ مِنْ تِلْكَ الطَّلَاقَةِ زُرْخُفُ (٨)  
تَعَوُّدُ لَيْلٍ عَادَاهُ كَالشَّرَى يُنْقَفُ (٩)  
يَدُ الدَّهْرِ يَقْسُو فِي رِضَاهُ وَيَرَأْفُ (١٠)

- (١) الأروع : الذي يروى حسنة ، ويحدث مرآة ، ومعنى سائر البت ليس الذي معنى له مثلاً يبالغ فيه ، وليس الذي يروح نداء مؤجراً عطوفاً . (٢) المار : الخيل الذي أحيد دله ، والقوى : طاقاته يريد أنه مستحكم يتوكل وليس روحاً صامئاً يملأ الهول صدره مرهافاً وبأسى على ما طافه ظمأً وتحمراً . (٣) الهم : الشجع الكبير اللطيف ، مع أن الشجع الهم يذكر عند احتلاله مثل معناه الوارف أنه في ظل الشاب الذي للمتدلى في ظل سماه أكثر نداوة ووروداً وادباً . (٤) ترلف : تهرب ، وفي التنزيل العزيز « وَأَرْوَعُ الْخُتَمِ » أي غريب . (٥) الغرب : الحد ، مثل : فيه كسور ، وكهام . كليل ناب عن الضريبة لا يمتنع . (٦) الساء : الرمية ، ويرد مغوف : رقيق من سح اليمن . (٧) فرند السيف : وجهه ومأذنه الذي يمر فيه وطرائفه ، والمعنى : يملو وجهه ماء كفرند السيف للفرق ، مع مضاء . هزم كنهه للرهب في التصميم والقطع ، وفي رواية : « طلاقة بحر » (٨) ميسم أثر وعلاء . وفي الأصل : « من تلك الطلاقة مطرف » (٩) الأرى : الليل ، والقوى : الحطال ، وينقف : أي يبتلى لأخذ ما في داخله قال امرؤ القيس :  
كأنى فعاد اليب يوم تحلوا لدى سمرات الحى ناظف حنظل
- (١٠) يد الدهر : مدى الدهر ، قال أبو العلاء :

يأبينا عشا حياة بلا ردى — يد الدهر — أومتامتا بلا نهر  
ومعنى البت أنه يرى ويبس دائماً في سبيل مرصاة الله وحده ، ويقال أيضاً يد الحياة ، قال أبو العلاء :  
لو كان لي أمر يطاوع لم يثن ظهري الطريق — يد الحياة — مجم

قَتَلَ لِلْمُلُوكِ الْحَاسِدِينَ مَتَّى أَدْعَى سِبَاقَ النَّتِيقِ الْفَائِتِ الشَّأْوَ مُقْرِفٌ<sup>(١)</sup>  
 أَلَيْسَ « بَنُو عَبَادِ » الْقِبْلَةَ الَّتِي عَلَيْهَا لِأَمَالِ الْبَرِيَّةِ مَعَكَفٌ<sup>(٢)</sup>  
 مُلُوكٌ يَرَى أَحْيَاؤَهُمْ فَغَرَّ دَهْرُهُمْ وَيَخْلَفُ مَوْتَهُمْ ثَنَاءً مُخْلَفٌ<sup>(٣)</sup>  
 بِهِمْ بَاهَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءُ فَأَوَّجُهُ شُمُوسٌ وَأَيْدِي مَنَ حَيَا الْمُنْزِنِ أَوْ كَفٌ<sup>(٤)</sup>

\* \*

أَشَارَحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مُعَمَّسٌ وَتُجْزِلُ حَظَّ الْحَمْدِ وَهُوَ مُسْقِفٌ<sup>(٥)</sup>  
 لَقَمَرُ الْيَدَا الْمُسْتَدْرِجِيكَ بِرِزْمِهِمْ إِلَى غُرَّةٍ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ تُكْسَفُ<sup>(٦)</sup>  
 لَكَالُوكَ صَاعَ الْغَدْرِ لَوْمْ سَجِيَّةً وَكَيْلَ لَهُمْ صَاعُ الْجَزَاءِ الْمُطْفَفُ<sup>(٧)</sup>  
 لَقَدْ حَاوَلُوا الْعُظْمَى الَّتِي لَا شَوَى لَهَا فَأَعْجَلَهُمْ عَقْدٌ مِّنَ الْهَمِّ مُخَصَّفٌ<sup>(٨)</sup>

(١) النتيق : التنجيب الكريم من الخيل ، والشأو : الناية ، والمقرف : المهجن وهو الذي أمه بردوة وأبوه عربي أو بالعكس . (٢) معكف مصدر ميمي بمعنى المكوف أى إقامة وملازمة .

(٣) أى بنو عبادة ملوك يرى الناس أعيانهم مفرقة الزمان ، ويخلف من بعد مواعيد ذكر حسن وثناء موروث يتحدث به الناس ، وشأنه الخلف عن السلف .

(٤) الحيا : الطير ، والرد : السحاب ، وأوكف : أهطل وأعزر واللقى : فاخرت بهم الأرض السماء فوجوههم أبهى طلعة من النيرات ، وآثار نعمهم ، ومنزل أينهم أقرر وأعمال من السحب الماطلات .

(٥) ممس : ملابس ملتحون جهة مظلم لا يدري من أين يؤتى له ، وسقف : نازل من أسف للظائر إذا دنا من الأرض ، واللى : يا من جعالت المجيدة أبنت على المجد وحل كونه حامضا متلبسا ، وأجزل بأكثرارك المجيدة حظ الحمد على حين حظ غيرك منه خفي ، وجواب النداء في الأبيات بعده .

(٦) لمرالدى : قسم بيمانهم متكباً للإشارة إلى إحسانهم فيما حاولوا ، المستدريج : أى الذين حاولوا في زعمهم أن يندرجوا بك قليلا قليلا على غرة ، وبأخذك على غفلة إلى ما تكاد له الشمس تكسف لبرائهم ، وهول ما أفتنموا عليه . (٧) لكالوك : أى لك كالوك من لؤم سببهم صاع الغدر ، وكتهم صاع الجراء والسقوة على غدرهم ، والمطفف : في الأصل للفرس اللبخوس من طفف الكيل قصه وخسه ، وقد يستعمل بمعنى الوافي وهو المراد هنا .

(٨) لقد حاولوا العظمى : أى التتكا العظمى ، التي لا شوى لها : أى التي لا تصيب الأطراف ولكن تصيب اللقائل ، وأعجلهم عقد : أى رأى وتغير من حكم وعزمك ، عصف : محكم شديد لا خلل فيه .



وَلَمَّا رَأَيْتَ الْمَدْرَ هَبَّ نَسِيمُهُ      تَلَقَّاهُ إِعْصَارُ لِبَطْشِكَ حَرْجَفُ<sup>(١)</sup>  
 أَظَنَّ الْأَعَادِي أَنَّ حَزْمَكَ نَأْمٌ      لَقَدْ تَمَدُّ الْقَسْلُ الطَّنُونُ قُتْخِلُ<sup>(٢)</sup>  
 دَوَاعِي قِاقِي أَنْذَرْتِكَ بِأَنَّهُ      سَيَاشِرِي وَيَذَوِي الْمُضَوُّ مِنْ حَيْثُ يُشَافُ<sup>(٣)</sup>  
 تَحَمَّلْتَ عِبَهُ الدَّهْرِ عَنْهُمْ وَكَلَّمَهُمْ      بِنُعْمَاكَ مَوْصُولُ التَّنْعَمِ مُتَرَفُ<sup>(٤)</sup>  
 فَلَنْ يَكْفُرُوا التَّنْعَى فَلَمَّا دَيَّارُهُمْ      بِسَيْفِكَ قَاعُ صَفْصَفِ الرَّسْمِ تُنْسَفُ  
 وَطَى الثَّرَى مَثْوَى يَكُونُ قُصَارُهُمْ      وَإِنْ طَالَ مِنْهُمْ فِي الْأَدَاهِمِ مَرْسَفُ<sup>(٥)</sup>  
 وَبُشْرَاكَ عِيدُ بِالْمَرْوَرِ مُظْلَلُ      وَيَا لِحَظِّ فِي نَيْلِ الْغَى مُتَكَنَفُ<sup>(٦)</sup>

(١) النسيم : الريح نهب هبوبا - جيا ، والأعصار : الريح الشديدة التي تهب من الأرض ، وتجر العاصف مبرقع كالعمود إلى نحو السماء ، وهي التي تسمى بالروسة ، وفي اللؤلؤ « إن كنت رجلاً فقد لاقيت إعصاراً » يضرب لفرحل يأتي نده في الساقلة والقوة ، والحرجب : البارد وصف بها الأعصار. وفي الأصل « حرجب » (٢) القسل : الرذل الذي لا أحق ، والمعنى لم يتخفى طي الأعادي أن تدبيرك نام من كينهم وغدوهم وكثيراً ما تعد الضنون إلى الأوفال مغفلهم .

(٣) ياشري العصور : أي يضرب عليه ورم وفروح تخرج إلى الكي ، ويدوي : يدل ويسير ، ويشاف أي تكوي شامة أي فرجة لندف بالكي . وكانت تشيل لعل طائر ، ثم دها العاق والفر مكات كالمصو الرسخ به الله فلم يكن من معالجه الكي لاستئصال سأمه ، وفي رواية « يدوي العصور » (٤) أي كمينهم مؤونه « نسي » وحلت عنهم السوء ، فكلمهم في طل معاك دهم التهم والترف .

(٥) قصارهم : يئال - صرك وقصارك وقصارك أن تعمل كذا أي عابك ، والأداهم : القيود لسوادها جمع أدهم وتسمى بالأسود أجباً ، والمرسف : مصدر مبيى من الرسفان وهو مشى القيد ، أي أن هؤلاء الأعداء سيكون ما لهم أن يموتوا في الحبس ، بعد أن تطول عليهم مدته .

(٦) اقتبل إلى ذكر مطهر من بظاهر الدولة عد حروج الملك لمسلالة العيد ، وترتب الملكة في ذلك على ما يؤخذ من صح الأعشى أن يادى في طامة الله ، وأهل الأسوار إلى العيد يخرج أهل كل ساعة بظاهر الله ، ويسعى أهل كل سوق ناجية ، متجولين بأحسن الخياب ، وكل منهم مكتب موسا أو مقلد سيبا ، ومع أهل كل سوق علم بمحض بهم ، عليه ركة أهل تلك الساعة بما يناسبهم ، ويكر لللك بالركوب فيرك وهو يبه وبهارة فارسان ، وممك بركاية رحلان مفلحان سيبين ، ويركب المسكر منه مينة وميسرة ، ويصطف الناس صفوا يعمون قدمه ، والمولج خلفه مفلنون به ، والأعلام منشورة وراءه ، والطبول خلفه حتى يمشي العيد ، ثم يعود فيصرف طاءه الشعب وعد السباط فيحضر طامعه حوامه وأحيان مملكته ، ومعنى البيت أنه يعبره بالبدن : يله السرور ، ويكنمه الحظ يلوغ إلى .

بَشِيرٌ بِأَعْيَادِ تَوَافِيكَ بَعْدَهُ      كَمَا يَنْسُقُ النُّظُمَ الْمُوَالِي وَيَرْصُفُ<sup>(١)</sup>  
تَجَرَّدَ فِيهِ سَيْفُ دَوْلَتِكَ الَّذِي      دِمَاهُ الْعِدَى دَأْبًا بِرَيْرِيهِ تُطْلَفُ<sup>(٢)</sup>  
هُوَ الصَّارِمُ الْمَضْبُ الَّذِي الْعَزْمُ حَذَهُ      وَجَلِيَّتُهُ بَذَلُ النَّدَى وَالْمَعْفُ<sup>(٣)</sup>  
هُمْ أَمَّا تَمَّا لِلْمَلِكِ إِذْ هُوَ يَافِعُ      وَتَمَّتْ لَهُ آيَاتُهُ وَهُوَ مُخْلَفُ<sup>(٤)</sup>  
كَرِيمٌ يَعُدُّ الْحَمْدَ أَنْفَسَ قَنِيَةٍ      فَيُتَوَلَّى بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَيُشَفِّ<sup>(٥)</sup>  
غَدًا بِخَيْسِ يُقْسِمُ النَّعِيمُ إِنَّهُ      لَا خُفْلَ مِنْهَا مُكْفَهَرًا وَأَكْثَمُ<sup>(٦)</sup>  
هُوَ النَّعِيمُ مِنْ رُزْقِ الْأَسِنَّةِ بَرْقُهُ      وَلِلطَّبْلِ رَعْدُ فِي نَوَاحِيهِ يَقْصِفُ

\* \*

فَلَمَّا قَضَيْنَا مَا عَنَّا أَذَاؤُهُ      وَكُلُّ مَا يُرْضِيكَ دَائِعٌ فُلْهِفُ<sup>(١)</sup>  
قَرْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ حَمْدَكَ إِنَّهُ      لَا وَكَذْ مَا يُخْطِي لَدَبُهُ وَيَزِلُّ<sup>(٢)</sup>

(١) ينسق النظم : أى يجمع بينه ويحمله على طريقة طام واحد ، ويرصف : أى يصف ويصفى ، وللمنى هذا المد شعر أعاد تأتى بعده على دمه وترتيبه .

(٢) يبريه : ينجديه ، وتطاف : تهدر من دوله ذهب دمه طاماً أى هدراً .

(٣) اللام الابع الذى شارب الاحلام ، واضطرب : الذى احتل بالاس فيه معصم . يقول قد احتلم وأفرك ، ومعنى يقول غير مدرك ، وللمنى بما هيته إلى الملك وهو دون الاحلام ، وتمت له علاماته ورسومه وعيذاته ، وهو مشكوك فى احتلامه .

(٤) الجيش : الجيش الجرار التام الفرق من المقدمة والليمة والذرة والطب والماق وأراد به الاسكر السائر فى دوك الملك عند خروجه لصلاة الصلوة ، واليم : السحاب ، وأجمل : أى أكثر منها احتشاداً واحتشاداً فى حال كونه ( مكهراً ) أى مظلم أسود لما على الجند من الفروع والسلاح ، وأكثم : أى أكثر كثافته وتراكم من السحاب لعدة الزحام وكثرة العدد وأعاد السبر فى قوله ( منها ) على اسم مؤنثاً صراحة للمنى . (٥) أى طأ أدبنا ما أحيا أذاؤه من صلاة العيد : وكل الناس دأب فلعن فى الصلاة بما يرضيك ، وحوابلما يأتى بمد .

(٦) يحطى : أى يوجب الخطوة والتعجيل ، وزل : يرب ، وللمنى : ولما انتهينا من صلاة العيد جئنا بى حمد الله والثناء عليك لأنه أبلغ فى بلوغ الخطوة لديه ، والزل إلى إليه .

وَعُدْنَا إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي هُوَ كَعْبَةٌ يُعَادِيهِ مِنَّا نَازِلٌ أَوْ مُطَرَفٌ (١)  
فَلَمَّا نَحْنُ طَالَعْنَاهُ وَالْأَفْقُ لَابَسٌ حَاجَّتَهُ وَالْأَرْضُ بِالْحَيْلِ تَرْجُفُ (٢)  
رَأَيْنَاكَ فِي أَغْلَى الْمَصَلَى كَأَنَّمَا تَطَلَّعَ مِنْ عِجْرَابِ دَاوُدَ يُوسُفُ (٣)  
وَلَمَّا حَضَرْنَا الْإِذْنَ وَالْدَّهْرُ خَادِمٌ نُشِيرُ فَيَمْنِي وَالْقَضَاءُ مُصَرَّفُ (٤)  
وَصَلْنَا فَقَبَّلْنَا النَّدَى مِنْكَ فِي يَدٍ بِهَا يَتَأَفُّ الْمَالُ الْجَسِيمُ وَيُخْلَفُ

\* \*

لَقَدْ جُدْتَ حَتَّى مَا يَنْفَسُ خِصَاصَةً وَأَمَنْتَ حَتَّى مَا يَبْقَلُ نَخْوَفُ

(١) يعاديه : أى يباكره ويندو عليه فى أول النهار ، والمطرف : الذى يديم النظر فى النصر من حب وإعجاب ، وهو فى الأصل الذى أساء طرده أى مینه عود يهود نأ يثت طرده والى ، ولا يفس طرده أو هو اسم رجل من طرف الذى احتاره ، ما الشاعر :

أطرف أبكارا كأن وحوها وجوه عذارى حرت أن تهما

(٢) طالعه : أى القصر ، والمعاجة : ماثيره سناك الحيل من البار ، وترج : تصطب .

(٣) المصلى : المكان المهد لصلاة العيد ، وتطلع : طلع وأحرف عليهم من عراب ، وروى عن الزجاج قوله تعالى « وهل أتاك نأ الخضم إذ تسوروا الحراب إذ دخلوا على داود » قال : الحراب أربع بيت فى الدار ، وأرفع مكان فى المسجد ، والى : رأياك حين هودنا إلى القصر ومطالسا إياه مصرفا بأعلى المصلى من غرفة قصر كائنا أرق من عراب داود فى يوم نكه وعبادته وجه يوسف رائما فى حسنه وحاله .

(٤) قال ابن بسلم :

وقوله ولما حضرنا الاذن البيت مع الذى سده أرى أبا الوليد احتدى يبه حنو الوليد فى آيات أنشدنا لحسنا ومن أحسن ما قيل فى الحب :

ولما حضرنا سدة الأذن أغرت رجال من الباب الذى أما داحه  
ماضيت من قرب إلى دى مائة أفايل بدر أتم حين أفايه  
كما انتصب الرمح الرضى ثقفت أنايسه واهتز لظمن حاله  
وكالبدر واحة لم سعوته وتم بناء واستهت ماله  
وسلت فاعتافت حنائى هبة تنازعى أقول الذى أنا قائله  
وما دأ لنا لطلالة واقى إلى يغير آسنى عايه  
دونت قبل البدى من يداسى كرم عياه سباط أمامه  
صفت مثل ما يصفو الدمام خلاه ورقت كما روق النسم شياه

وقول ابن زيدون وصلا هبلنا الندى من يد اسرى معى طبع ولفظ صحيح ، إلا أنه كما تراه لست يبتلى بقرى ويقول بسن أدينا إذ ابن زيدون بقرى زمانا وسدقوا لأنه حذا حنو الوليد فى بسن قصائده .

وَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الدَّهْرِ جَانِبٌ      وَلَا ذَكَ مُقْتَادٌ وَلَا لَانَ مَقْطِفٌ  
لَكَ الْخَيْرُ، أَنَّى لِي بِشُكْرِكَ نَهْضَةٌ؟      وَكَيْفَ أَوْدَى قَرَضَ مَا أَنْتَ مُسْلِفٌ؟<sup>(١)</sup>  
أَفَدَّتْ بَيْنَهُمِ الْحَالِ مِثْقَى غُرَّةٍ      يُقَابِلُهَا طَرْفُ الْجَمُوحِ فَيَطْرَفُ<sup>(٢)</sup>  
وَبَوَّأَتْهُ دُنْيَاكَ دَارَ مُقَامَةٍ      بِحَيْثُ دَنَا ظِلٌّ وَذُلَّلَ مَقْطِفٌ<sup>(٣)</sup>

\* \*

وَكَمْ نِعْمَةٍ أَلْبَسَتْهَا سُندُوسِيَّةٌ      أَسْرَبَلُهَا فِي كُلِّ حَيْفٍ وَالْخَفِ  
مَوَاهِبُ قِيَاضِ الْيَدَيْنِ كَأَنَّمَا      مِنَ الْمُزْنِ تُحْمَرَى أَوْ مِنَ الْبَصْرِ تُعْرَفُ  
فَإِنْ أَكَّ عَبْدًا قَدْ تَمَلَّكَتْ رِقَهُ      فَارْقَعَ أَخْوَالِي وَأَسْفَى وَأَشْرَفُ<sup>(٤)</sup>

(١) نهضة : أى منافقة وقدرة أى كيف يكون لى القدرة على القيام بشكرك ، ومسلم : اسم فاعل من أسلفه أى أقرضه ، وفى رواية : « قرض ما أب مسلم »

(٢) للمنى اكسبت سواد الحال من غرة يبتاه واحدها طرف الطلوح ، الذى يند بحره إلى الفى ، يطرّف أى يثبت فيها نظره من قولهم فلان مطروف المني بطلان إذا كان لا ينظر إلا إليه .

(٣) أى أرلنى وأحقى من ديك الشبهة بدار القمامة حة دنا ظلها وذلك قطوفا .

(٤) فان أك بما أوليتى من ثم عدأ سرفوا لك فانى أهد اتناى إليك بالودعه والرق اسى أحوالى وأرسمها وأقرمها ، قال أبو الطيب انتهى « ومن وجد الاحسان بيدا تمينا » .

ولذكر - بمناسبة هذه القصيدة الصدا ، القى قالها ابن زيدون بحترى العرب فى التصداقة بمناسبة عيد الأضفى - فصبده بحترى الفرق التى قالها فى الموكل بمناسبة عيد المطر - ليرى القارى صورتين فلوب بينها اتحاد الأرض والشامره وان امتلعت التنافيه والبحر :

الله مكن الخليفة حمر ، لكما يحسنه الخليفة جعفر  
سمى من الله اسطفله معامبا والله ررق من يشاء ويقدر  
عالم أمير المؤمنين ، ولا ترل تعطى الريادة - فالبناء - وتشكر  
عن فوانيك السرى ، فلقى فيها للقل على الفنى والمكثر

\*\*\*

والرصم - وأت أضل صام - وبسنه الله الرسية تدار  
عاسم يوم المطر عينا ، إنه يوم أمر - من الرمان - معمر  
أظهرت من الملك فيه بمحفل لب ، يحاط الدين فيه وينصر



## في طرطوشة (١)

قَرِيبٌ بِأَفْصَى الشَّرْقِ يَشْكُرُ الصَّبَا (٢)  
تَحْمَلُهَا مِنْهُ السَّلَامُ إِلَى الْغَرْبِ  
وَمَا ضَرَّ أَنْفَاسَ الصَّبَا فِي أَحْتِمَالِهَا  
سَلَامٌ هَوَى يُهْدِيهِ جِسْمٌ إِلَى قَلْبِ (٣)

حلنا الجبال تسير فيه ، وقد غدت  
فالليل تصل ، والمواسم تدعى ،  
والأرض خضرة تبتدئ ثقلها ،  
والشمس مائة تودد لأصحبى  
حق طلت ضوء وجهك ، فاعلمت  
وافق بك الدطرون ، فاصبح  
يجدون رؤيتك التي فاروا بها  
دعكروا لظلمتك التي هلكوا  
حق استبث إلى الصلي لا ساء  
ومثيت مشية حاتم متوابع  
فتر أن مشتاقا تكف فوق ما  
عددا يسير بها العديد الأكر  
والبحر تلح ، والأسفة ترهر  
والحوّ معكر الحوالب أعبر  
طورا ، وبطونها الصالح الأكر  
تلك الدنى ، وانحما ذلك العثير  
يوى ذاك بها ، وعين تغلر  
من أسم الله الاق لا تكمر  
لما طلت من الصعوب وكبروا  
نور الهدى يسدو عليك وبطهر  
فه لا يرمي ، ولا يتكبر  
في وسعه لى إليك المسج

❦

أملت من فصل الخطاب بحكمة  
ووقفت في برد التي مدكرا  
ومواعظ شفت الصدور من الذي  
حق اتد علم المحول وأحلمت  
صلوا وراءك آحدن بصحة  
فاسلم بمنفرة الاله علم يزل  
الله أعطاك الحب في الوزى  
ولأت أملا القبول لهم  
تنتهي عن الحق للبين وتخبر  
بأنه تسدر تارة وتبر  
يتادها وشـ فاقها مسدر  
نص الروى واحتدى للتعبر  
من دهم وبذمة لا تمر  
يهب الذنوب لمن يشاء ويضر  
وحاك بالعسل الذي لا يكر  
وأجل قدرا في الصدور وأكبر

(١) هي مدينة أقصى الشرق من الأندلس على البحر الأبيض المتوسط ، وهي من أعمال بلنسية . قالوا :  
وكانت مقنة العمارة ، وهي من العرس البحرية التي يفتاتها التجار ويسافرون منها إلى سائر الأمصار ، وقد  
استولى عليها الانرنج وعلى جميع حصونها في سنة ٥٤٣ هـ . (٢) ربح الصبا ، وهي التي تب من  
الشرق ، وتقابلها الجبور . (٣) ليت الصبا تحتمل أعاسها سلا من جسم في الشرق إلى غزاهه الثاني  
هذه في الغرب ، وقريب من هذا للمي قول عبد الرحمن الداخل « صقر قریش » .

إن جسي كما علت مألوس وقزادى وساكنيه بأرض  
قدرد الله بالفراق علينا نفسي واجتماعنا سوف يفضي

## إلى الوزير أبي عبد الله<sup>(١)</sup>

« لم ترل الأيَّام تَدْنِي » ابن زيدون « وتعلده ، وتسووه وتسعده ،  
وتقذفه إلى كل نازح ، وتطوف أمه بين اللاعبين الملهج ، حتى  
أحلتها « بلنسية » وهلال ذكائه كما أقر ، وغصن نباهته يانع قد أثمر ،  
وبنو عبد العزيز غرر ملكها ، ودرر سلكها ، يفيضون بحور الودي ،  
ويومعون في كل مستدى ، خل منهم محلّ الجيا في الكؤوس ،  
ودقع منهم موفج الشاء في النفوس ، وأقام بين مبرة توأصله ، ومسرة  
تغازله ، ومكارمة تفاديه ، وعجالة كراخ القطر وغاديه ، فلهما جعل ،  
وحصل ما حصل ، تذكر بعد رهة ذلك العيش ولا ر عمره قد  
صوح ، وغصن سه قد دوح ، فلم يجد إلا له طيبا ، ولم يهصر غير  
فنه عصا رطيا ، فكتب إلى ابن عبد العزيز<sup>(٢)</sup> :

رَاحَتٌ فَصَحَّ<sup>(٣)</sup> بِهَا السَّقِيمُ      رِيحٌ مُعْطَرَةٌ الدَّسِيمُ  
مَقْبُولَةٌ      هَبَّتْ قَبَوُ<sup>(٤)</sup>      لَا<sup>(٥)</sup> فَهِيَ تَتَبَوُّ فِي الشَّمِيمِ<sup>(٦)</sup>  
أَفْضِيضُ مِسْكٍ أَمْ بَلَدٌ      حَبِيبٌ لِرِيَّاهَا<sup>(٧)</sup> نَعِيمٌ<sup>(٨)</sup>  
بَلَدٌ حَبِيبٌ أَفْقُهُ      لِفَتَى يَحُلُّ بِهِ كَرِيمٌ

- 
- (١) هو الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز . (٢) فلان المديان .  
(٣) وفي رواية « راح لها السقيم » راحت أي بردت وطابت ، وراح لها السقيم من قولهم : « راح  
للأمر يراح » إذا أخذته أريحية وزخفة ونشاط ، أي فارتاح لطيبها السقيم .  
(٤) القبول : ريح الصبا لأنها تقابل الدبور أو لأن النفس تميلها .  
(٥) أي أن ريح الصبا تحمل معها عطرا تنضم منه طيب الشدى .  
(٦) لريحها الطيبة . (٧) يقول لمن نسيم بلنسية للشذى الذي تستروح النفس إليه مذهباً عليها .



أَيُّهَا أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ دُعَاءُ مَقْلُوبِ الْعَرِيمِ (١)  
 إِنَّ عَيْلَ صَبْرِي مِنْ فِرَا قِكَ فَالْعَذَابُ بِهِ أَلِيمٌ (٢)  
 أَوْ أَتَبَعْتُكَ حَيْنَهَا نَفْسِي فَأَنْتَ لَهَا قَسِيمٌ (٣)  
 ذِكْرِي لِمَهْدِكَ كَالشَّهَادَةِ (٤) سَرَى فَبَرَّحَ بِالسَّلِيمِ  
 مَهْمَا ذَمَّمْتُ فَا زَمَا نِي فِي ذِمَامِكَ بِالْقَدِيمِ (٥)  
 زَمَنْ كَمَا لَوْ الرِّضَا عَشُوفٌ ذِكْرَاهُ الْفَطِيمِ (٦)  
 أَيَّامٌ أَعْقَدُ نَظْرِي بِذَلِكَ الْمَرْأَى الْوَسِيمِ (٧)  
 فَارَى الْقُوَّةَ غَفْنَةً فِي ثَوْبِ أَوْ أَوْ حَلِيمِ (٨)  
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حُبَّكَ مِنْ فَوَادِي بِالْمُسْتَعِيمِ (٩)  
 وَلَنْ نَحْمَلَ عَنْكَ لِي جِسْمٌ فَعَنْ قَلْبٍ مَقِيمِ (١٠)

- (١) أيها : بكسر الهمزة بمعنى ردف من الحديث ، وبفتحها معنى اكتم واستكت ، أو لتجديد معنى هيبات ، أي مد دعاء منسوب للعريم ، والعريم : الأسر الهامى العظيم ، والمعن هيبات يحذى دعائي وأنا من غلاته الحادثات على نسبه . وفي الأصل : « مقلوب العريم »
- (٢) لي المدد إذ ضحرت هراقله وعيل صبرى هذا اشتد في الألم لمدادك .
- (٣) القسيم : شطر الشيء المقسوم ، أي أنت شطر نفسي الثاني فلا هي لي عك .
- (٤) وفي الأصل : « كالمداد »
- (٥) العلم : الحق والحرمة ، والمعنى مهما رحمت : من عهد الزمان النادر من آدم ذلك العهد الحميد الذي قدسه لك وهدت به قربةك ورحمتك .
- (٦) وهذا كان في ذلك العهد المحبوب سميت ذكريات سارة أس إليها كما يحسن اللطيل للفظوم إلى مهد الرضا العريم . وفي الأصل « ومن كالون الرضا » (٧) أيام نعم نظري برؤيه بحبك البهي .
- (٨) الأوتاه : الكبير الأتوه إشعاعاً ورفقاً ، قالوا : « وهو الكبير التضرع والدعاء أو الحزن والبكاء أو هو الزعيم الرقيق » والمعنى : أرى القوة - في هوانها - معترقة بالخشية والضعف والحلم ، وفي الكتاب الكريم : « إن إبراهيم لحلم أوامه ميب » (٩) الصميم : المحس أو الجمال .
- (١٠) وإذا رحل عنك جسمي فإن قلبي لم يرحل عنك ولم يحل من حبك فهو ثابت مقيم عندك .

قُلْ لِي بِأَيِّ خِلَالٍ مَرَّ وَكَ<sup>(١)</sup> قَبْلُ أَفْتَنُ أَوْ أَهْمُ<sup>(٢)</sup>  
أَعْبَجِدُكَ الْقَمَمَ<sup>(٣)</sup> الَّذِي نَسَقَ الْحَدِيثَ مَعَ الْقَدِيمِ<sup>(٤)</sup>  
أَمْ ظَرَفِكَ الْخُلُوعُ الْجَنَى أَمْ عِرْضِكَ الصَّافِي الْأَدِيمُ  
أَمْ بَرِّكَ الْمَذْبُوحُ الْجَمَا م، وَبِشْرِكَ الْفَضُّ الْجَمِيمُ<sup>(٥)</sup>  
أَمْ بِالْبَدَائِعِ كَاللَّآ لِي مِنْ تَعْيِيرٍ أَوْ تَقْظِيمٍ  
وَبَلَاغَةٍ إِنْ غَدَّ أَهْلُهَا فَأَنْتَ لَهُمْ زَعِيمٌ  
فَقَرُّ نَسُوخٍ بِهَا الْمُدَا مُ إِذَا تَكَرَّرَهَا النَّدِيمُ<sup>(٦)</sup>  
إِنْ أَشْمَسَتْ تِلْكَ الطَّلَا قَةُ قَالَتْ دَى مِنْهَا مُقِيمٌ

\* \*

إِنَّ الَّذِي قَتَمَ الْخُلُوعَ ظَ حَبَاكَ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ  
لَا أَسْتَرِيدُ اللَّهَ تُفْسِي فِيكَ ، لَا بَلْ أَسْتَدِيمُ  
فَلَقَدْ أَقَرَّ الْمَيْنَ أَنَّكَ غَرَّةُ الزَّمَنِ الْبَهِيمِ  
حَسْبِيَ الثَّنَاءُ لِحُسْنِ بَرِّ كَ مَا بَدَا بَرَقُ قَشِيمِ<sup>(٧)</sup>  
ثُمَّ الدُّعَا بِأَنْ تَهْنَأَ طُولَ عَيْشِكَ فِي نَعِيمِ  
ثُمَّ السَّلَامُ تُبْلَغْنَهُ فُقَيْبٌ ، مُهْدِيهِ سَلِيمِ<sup>(٨)</sup>

- 
- (١) السرو : الصل والسماء في الرواة . (٢) إني لا أدري أي خلال صلتك جدير بالاشارة والتشويه ، وأي مزاجك حدير بأن يهيم به طاركك وحقق (٣) الشامل .  
(٤) انتظم المجد الحديث ، والمجد القديم . (٥) الجلم - جمع جة بتشديد الليم - الماء الكثير المجمع ، يقال : جت البئر جوما ، إذا اجتمع ملؤها وارتفع بعد نزح ما فيها ، قال زهير :  
« ولما وردت الماء زرقا جامه وسمن عصى الحاضر التخم »  
والجليم : التبت الكثير . (٦) كلمات تمذبح بها الجمر إذا ردها القديم .  
(٧) شام البرق : نظر إليه أين يقصد وأين يطر ، وفي الأصل : « لحسن بركك » .  
(٨) وفي رواية : « ثم السلام تبلننه بقلب مهديه السليم »

## جَوَابُ كِتَابِ

« كتب إليه الوزير أبو بكر بن الطيحي :

أبا الوليد وما شطت بنا الدار

وقلّ منا ومك اليوم زوّار

وبينا كل ما تدر به من ذم

والعسا ورق حصر ونوّار

وكل عب وإعاب جرى له

« واقع حلوة عندي وآثار

فادكر أذاك بخبر - كلما لعت

به الليالي - فان الدهر دوائر »

جوابه بهديها في ظهور رقعته :

لَوْ أَنَّنِي لَكَ فِي الْأَهْوَاءِ مُخْتَارُ      لَمَا جَرَتْ بِالَّذِي تَشْكُوهُ أَقْدَارُ

لَكِنِّهَا فِتْنٌ فِي مِثْلِ غِيَبِهَا      تَعْنَى الْبَصَائِرُ إِنْ لَمْ تَعْمَ أَبْصَارُ<sup>(١)</sup>

فَأَحْسِنِ الظَّنَّ لِأَتَرْتَبَ بِعَهْدِ فَتَى      تَعْقُو الْمُهْودُ وَتَبْقَى مِنْهُ آثَارُ

لَوْ كَانَ يُعْطَى الْمَتَى فِي الْأَمْرِ يُمَكِّنُهُ      لَمَا أَغْبَكَ - يَوْمًا - مِنْهُ زَوَارُ<sup>(٢)</sup>

فَلَا يَرِيْنُكَ فِي ذِكْرِ الصَّدِيقِ بِهِ      مَنْ لَيْسَ يَجْهَلُ أَنَّ الدَّهْرَ دَوَارُ

(١) لو كان لي الخيار مما تهواه ونحوه لما جرى القدر بما يسوءك وبينك على الشكوى ، ولكنه قدر

لا سبيل إلى رده ، وقته تصل في غيابه المول وتسمى الأصار .

(٢) لو كان الأمر بيدى لما تحملت عن زيارتك يوما واحدا .

## في الغزل

وَضَحَّ الْحَقُّ الْمُبِينُ      وَتَوَّ الشُّكَّ الْبَقِينُ  
وَرَأَى الْأَعْدَاءَ مَا غَرَّ      تَهُمُّ مِنْهُ الظُّنُونُ  
أَمَلُوا مَا لَيْسَ يُمْنَى      وَرَجَّوْا مَا لَا يَكُونُ  
وَتَمَنَّوْا أَنْ يَخُونُ      الْهَمْدَ مَوْلى لَا يَخُونُ <sup>(١)</sup>  
فَإِذَا الْغَيْبُ سَلِيمٌ      وَإِذَا الْوُدُّ مَصُونٌ <sup>(٢)</sup>

\* \*

قُلْ لِمَنْ دَانَ بِهَجْرِي      وَهُوَ أَلَى دِينِ  
يَا جَوَادًا بِي      إِنِّي بِكَ وَاللَّهِ صَنِينُ  
أَرْخَصَ الْحُبُّ قُودَادِي      لَكَ وَالْمَلِيقُ <sup>(٣)</sup> تَمِينُ

\* \*

يَا هِلَالًا تَنَرَا      وَأَهْلُ نُفُوسٍ لَا عِيُونُ  
حُبًّا لِلْغَلْبِ يَقْسُو      مِنْكَ وَالْقَدُّ يَلِينُ <sup>(٤)</sup>  
مَا الَّذِي ضَرَّكَ لَوْ سُرَّ      بِمَرَاكَ الْحَزِينُ  
وَتَلَطَّفْتَ لِمَصَبٍ      حَيْثُ <sup>(٥)</sup> فِيكَ يَحِينُ  
فُوجُوهُ اللَّفْظِ شَتَّى      وَالْمَعَاذِيرُ قُنُونُ <sup>(٦)</sup>

(١) وفي رواية : وتمنوا أن يخون ال حبد مولى لا يخون  
(٢) خطاب ظن الأعداء وظهر أني لم أكن لولاي عهداً ، وأن إخلاصي ووفائي لها سليمان وودي له لا يخبر  
(٣) الغيب ، وفي رواية : « والعلق التمين » .  
(٤) وفي رواية « والمطرب يلى » . (٥) هلاكه . (٦) سقى .

## في مدح ابن جهور

هل بمدح الوزير الأجل محمد بن جهور بن محمد بن جهور :

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّقِيقَ شَبَابُ      فَيَقْعُرُ عَنْ لَوْنِ الْحَبِّ عِتَابُ <sup>(١)</sup>  
 عَلَامَ الصَّبَا غَضُّ يَرِفُ رَوَاوُهُ      إِذَا عَنَّ مِنْ وَصْلِ الْحِسَانِ ذَهَابُ <sup>(٢)</sup>  
 وَفِيمَ الْهَوَى غَضُّ يَشِفُ صَفَاوُهُ      إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ عَنْهُ ثَوَابُ <sup>(٣)</sup>  
 وَمُسْتَعْفَى بِالْوَصْلِ إِذْ تَرَبَّعُ الْحِمَى      هَلَا كُلَّمَا قَطْنَا الْجَنَابَ جَنَابُ <sup>(٤)</sup>  
 تَفَنُّنُ النَّوَى تَمْدُو الْهَوَى عَنْ مَرَارِهَا      وَدَاعَى الْهَوَى نَحْوَ الْبَيْدِ مُجَابُ <sup>(٥)</sup>

(١) ألم تعلم أن حبيب شامع الحب إذا حى دما هو فصاره شبابه ، وأن للشباب لحسه في الأعين ولما فيه من القزوه والخلة يعتبر شعبا في تحديق العذوة وتزليلها من لوم عيب إلى عاب حميف يلفظ مدله على القلب ، وإذا كان للشباب حبر شامع الحسان فما أـمرهم بالانصرار عن اللوم ، وما أبدع قول علقمة :

فان تسألوني بالنساء ، فالحى حسير بأدواء النساء طيب

إذا شاب وأنس للمرء أول ما له فليس له في ودع صيب

يردون نراء المال حث وحده وصرخ النياب عندهم بحج

(٢) غس : طرى ناعم ، يرف رَوَاوُهُ : يترقب فيه ماء الحسن ، والرواء الحسن ، ومضى اليه : وما تيمة الشباب ونصاره الصبا إذا احققا في ترفيع الحسان ومجوا عن اكتساب ودع .

(٣) محض : حاس لا شائبة فيه ، وعن من شعوف الماء أى يمدى ما وراه أى وفيه حبا خالص لا يشوب صغاه كدر إذا لم يكن من الحسان مثوبة صه وحزاء عليه .

(٤) للربح : للوسع الذى يتزولون به زمن الربيع ، والحى : موضع فيه كلاً يحبه أهله من أن يرطه فيجرهم ، وتطنا : من القبط وهو صميم الصيف يقال تطنا بمكان كذا أى أقنا فيه زمن الصيف وللقبط والصيف معنى واحد ، والجناب الأول ما قرب من محبة القوم أى قفنا في المكان القريب من الحى واتخذناه مصيفاً لنا ، والجناب الثانى اللابحة ، أى رب حساء تحصى بوصولها كلاً اتخذنا جانب الحى مصيفاً لنا وكانت لها ناحية الحى سكناً في زمن الربيع ، وفي هذا البيت جناس متكلف كما ترى .

(٥) لظن مسافة الحمى وبينها تصرف تنسى عن زيارتها والحال لأن دأى الهوى القى ينادى من ناحيتها بحجاب العذرة .

وَقُلْ لَهَا نِصْوَةٌ بِرَى نَحْضَةُ الشَّرَى      وَبَهْدَاهُ غُفْلُ الصَّخْصَحَانِ تَجَابُ (١)  
 إِذَا مَا أَحَبَّ الرَّكْبُ وَجْهًا مَفْضُولًا      فَهَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَخْبُ رِكَابُ (٢)  
 عَرُوبُ الْأَحْتِ مِنْ أَعَارِبِ حِلَّةِ      تَجَاوَبُ فِيهَا بِالصَّيْهِلِ عَرَابُ (٣)  
 غِيَارَى بْنِ الطَّيْفِ الْمَأْوِدِي الْكَرَى      مُشِيحُونَ مِنْ رَجْمِ الظُّنُونِ غِضَابُ (٤)  
 وَمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ يُسْنَى وَصَلَهَا      طِمَاحٌ - فَلَنْ لَمْ يُقْنِنَا - فَضِرَابُ (٥)  
 أَلَمْ تَذَرْنَا لَا زَاحُ لِرِيَّةِ      إِذَا لَمْ يُمْلَعْ بِالنَّجِيعِ خِضَابُ (٦)  
 وَلَا نَفْثُ الْمِطْرِ النُّومِ أَرِيحُهُ      إِذَا لَمْ يُشْمَعْ بِالْعَبَاجِ مَلَابُ (٧)

(١) المصو: للهبول والراد به البير الذي أساء السفر أى أمره ، ويرى نغصه الرى : أى أوجع له الحبر بالليل ، والهباء : العلة لا يهتدى فيها ، وغفل : أى لا علامه بها ولا أثر يعرف ، والصخصحان : للتورية الجرداء ، أى ولد لهذه المحبة ثابته سمر أساء السفر ولاة مجهولة لا أثر بها لصارة والطرق تحاب وتطع سيرا لأحلبها . (٢) فى معنى هذا البيت قول الشاعر :

وكت إذا ما جئت لىلى أزورها      أرى اليد تطوى لى ويدو يديها

(٣) للمروب : اللطمة لروحها للتحفة إليه ، والأاحت : ظهرت أولوت بطرف شيء من مكان بعيد والأعريب : الأعراب ، والحلة : مجتبع البيوت ، والعراب : الجبل الثرى ، والمعنى : روعة من طاعة زوجها واتحب إليه بحيث لا تنسب إلى غيره . قد لوحث بطرف منديل أو نحوه من ناحية الحلة التى ينزل بها أولئك الأعرب البيورون حيث ارتبطوا خيولهم وركبوا رماحهم .

(٤) غيارى : جمع غيران من البيرة وهى الحب والأعنة . يعال رجل غيران على أهله وكذلك غيران والأبقى غيرى ، وللشيخ : الحذر المجد للمرع إليك لمدامنة الموت أو الباع من الحرم ، ومنه قوله .

أب لى همى وأبى بلانى      وأحدى الحمد بأهمى الريح

وقدأبى على للكروه مى      وضربى هامة البطل للشيخ

(٥) مى : أى سهل ويسر ، ومنه نسى له كذا أى سهل ويسر ، وقال الشاعر :

وأعلم فلما أس بالطن أنه      إذا الله سى فقد شى يسيرا

والمعنى : وأبى بعة ولوم عليها فى أن يسجل الطريق إلى وصلها عطاعة بالرماح فإن لم تمن فصاربة بالسيوف (٦) زراح : كخلاف من قولهم فلان يراح المعروف إذا أحدث له أريحية وحقة ، ويلمع أى يلون بلون النجيع أى الدم ، يقول نحن لا سترج لوصول الفانيات إذا لم تدفع عنه من دم الأعداء .

(٧) النوم : مبالغة فى القم كى به عن سطوح الزامحه ، والأريج : ما يهوح من العطر ، ويشمئع : يخلط ، والمعباج : العبار ، ولللاب : كحساب المطر ، أى لا سترج إلى اشتاق عطرهم للساطع الأريج إلا بعد امتناع الحسام ، واختلط ما تثيره سنابك الخليل من القرباب ، بما يهوح من رائحة اللاب ، والمعنى أنه لا يجب أن يظهر ذلك اللذائذ إلا إذا اغتمصها اغتمصا بمجد السيب . فهو لا يسجل الرية إلا بأهم ولا يمشق المطر إلا مشوقا بنهار الهيباء .



وَكَمْ رَاسِلَ الْغَيْرَانِ يُهْدِي وَعِيدَهُ      فَارَاعَهُ إِلَّا الطَّرِيقَ جَوَابُ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ يَقْنِنَا أَنْ الرِّبَابَ عَقِيلَةً      نَسَانَدُ سَمْعَهُ دُونَهَا وَرِبَابُ  
وَأَنْ رُكِرَتْ حَوْلَ الْخُدُورِ أَسِنَّةُ      وَخَفَتْ بِقُبِّ السَّاجِمَاتِ قِيَابُ<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْ نَذَرَ الْحَيَّانِ غَيْبَ الشَّرَى بِنَا      أَكْرَرْتَ عُظَالِي أَوْلَمَادَ كَلَابُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَيْلَةَ وَاقْتَنَّا تَهَادَى فَمَنْتَرَى      أَيْسُمُو حَبَابُ أَوْ يَسِيبُ حُبَابُ<sup>(٤)</sup>  
يُعَذِّبُهَا عَضُّ السَّوَارِ عِصْمٍ      أَبَانَ لَهَا أَنَّ النَّعِيمَ عَذَابُ  
لَا بَرَحْتُ مِنْ شَيْحَانٍ حُطَّ لِنَائِمُهُ      إِلَى خَفِيرٍ مَا حُطَّ عَنْهُ نِقَابُ<sup>(٥)</sup>  
ثَوَى مِنْهُمَا نَفَى النِّجَادِ مُشِيعٌ      نَجِيدٌ وَمَيْلَاهُ الْوُشَاحُ كَمَا بُ<sup>(٦)</sup>

(١) الصبران : وصف من الميرة ، والطروق : طروى المي بالليل ، وى التمتع لموسل وهم  
البيور يقول ابن الرومي .

ألا ربما سؤت الميور وساءنى . وبت كلانا من أجبه على وحر  
وملت أبواها عذاباً كأنها . يابغ حر حبت لؤلؤ البحر

(٢) الف : جمع ماء . وأنف والأف السامر من الخيل ، ومضى هذا البيت والذي قبله لم يصرنا من زيارة  
هذه المحبوبة التي كفى ضيا . لرب أن تاسد هاتك القليلتان وتماوتا دون لوصول إليها .

(٣) نذر به كمرح طله فخره وعطال وكلا ضم أولهما يومك من أيام العرب ، أى لو علم بمرانا  
إليها عدان الحيات لكان لنا معهما يومان كبوى عطال وكلا فى الصهرة والمول .

(٤) يسو : أى يرتفع فباطر إليه من سيد يبتغينه وحاب - بالفتح - توج الماء وطرافه التي كأنها  
الوشى أو النسيج وبالضم الحبة ، وسبو إليها حباب بالفتح وهو الماء فى تداعيه وتوجهه وإحداثه طرائق

كطرائق النسيج وهو تمثيل لاحتلال الخطا فى اللقى ، وللمنى : وادكر لبة واداعصبة منك أقل نخونا  
حبيب أو تذاب البناحية . يقول : لقد كمالا ندرى أنكون ليلتنا لبة أس وانفراط بقرب الحبية ، أم

لبة حرب وضراب بنزو أهداء الأما ، وسمو الحباب : به إشارة إلى قول امرئ القيس :

سموت إليها - بمد ما دام أهلها - سمو حباب للماء . حالا على حال

(٥) لأمرحت : لقد أفرطت فى الحذر وتوقع موائمة العدو ومشايخه ، وللشجان : البيور الحذر على  
الحريم ، والخمر : المياه ، والقام : قرجل ، والقباب : للزراء ، يقول : لقد وضمت القتام عن وجهي وتمتعت

بجيب لم ربع عه وجهه غلب لبرط حائه . ولقد كنت - لى ذلك - دائم الحذر والتوقع لموائمة العدو .  
(٦) ثوى : أدم ، ونى السجاد : بكسر أولهما أى على العرش والوسائد ، وللشبع : كظم الشجاع ،

والنجد : الأسد - وهو يرمى بذلك سه - وميلاء الوشاح : بريد أن وشاحها به ميل وانحدار لنهود ثديها  
وضمور كشيحها ، والكساب : كسحاب التي كبت ثدياها - وهو يرمى بها حينته - وفى معنى هذا البيت

يقول الطمراني : وبنا على وهم القيور يصمنا جميعاً حواشى بردها وردائنا

وكانت إساءات القبال كثيرة . فما برحت حق شكرنا القبالا

يُمَلِّكُ مِنْ إَغْرِيسٍ ثَمَرٍ يَعْلَهُ غَرِيضٌ كَمَا الْمَزْنُ وَهُوَ رُضَابٌ<sup>(١)</sup>  
إِلَى أَنْ بَدَتْ فِي دُحْمَةِ الْأَفْقِ غُرَّةٌ وَتَفَرَّ مِنْ جُنْحِ الظَّلَامِ غُرَابٌ<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ كَادَتْ الْجُوزَاءُ تَهْوِي فَخَلَتْهَا ثَنَاهَا مِنَ الشَّعْرَى الْمَبُورِ جَنَابٌ<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّ الثَّرْيَا رَايَةً مُشْرِعٌ لَهَا جَبَانٌ يُرِيدُ الطُّغْيَانُ ثُمَّ يَهَابُ<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّ سُهَيْلًا فِي رِبَاوَةِ أَفْقِهِ مُسَيِّمٌ نُجُومٍ حَانَ مِنْهُ إِيَابُ<sup>(٥)</sup>  
كَأَنَّ الشَّمَا قَانِي الْحُشَاشَةِ شَفَهُ صَنَى فَخُفَاتُ مَرَّةٍ وَمَتَابُ<sup>(٦)</sup>  
كَأَنَّ الْعَصْبَاحَ اسْتَقْبَسَ الشَّمْسُ نَارَهَا فَجَاءَ لَهُ مِنْ مُشْتَرِيهِ شِهَابُ<sup>(٧)</sup>  
كَأَنَّ إِيَاةَ الشَّمْسِ بِشْرَيْنِ «جَهْوَرٍ» إِذَا بَدَلَ الْأَوَالَ وَنَهَى رِغَابُ<sup>(٨)</sup>  
هُوَ الْبِشْرُ شِمْنَا مِنْهُ بَرَقَ نَهْمَاةٍ لَهَا بِاللَّهَى فِي الْمُتَعَفِّينَ مَصَابُ<sup>(٩)</sup>

(١) ملل : أى يكرر من التعليل وهو حى الثمرة مرة بعد مرة ، ومه قول امرئ القيس :

بليت لها سيري وأرغى زمانه ولا تمنى من حاك الملل

والأفريس : الطلع جعل ما ناله مكررا من ثقلها ينزله إفريس أى حلو تكرر جده ، ويمه أى يسقيه مكررا ، والغريس : ما الأسنان ، والرصاب : الرق الرشوف ، ملوا : وهو الرقيق مادام فى المم .

(٢) الدحمة : سواد الليل ، والكرة : بانى الصبح ، شبه الصبح فى استعجاله الفسى بمن يطير غرابا ، ويطير هذا قول ابن المعتز :

كأما وصو- الصبح يستحل الفسى يطير غرابا ذا قوادم حوت

(٣) الجوزاء : نجم يقع فى جور السماء أى وسطه ، والشعري : شريان «إصبعها» الشعري للجهور وهى كوكب يطلع صد الجوزاء وسميت الصور لأنها - كما يقال - عبرت السماء عرضاً ولم يعبر السماء مرءا غيرها وهى التى عبدا طائفة من العرب فى الحاملية ، وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « وأنه هو رب الشعري » أى التى تبدونها « والثانية » السيماء تقول العرب فى أحاديثها لأنها لمحضت من مكانها على الصور ، وثانها : قطعها ، والجباب : الحاية والنفاء .

(٤) سهيل نجم ، وراوة عنه ما ارتفع مه ، ومسيم : اسم فاعل من أ- ام الاى أى أزلها ، شبه سهيلا فى انحداره آخر الليل وراء النجوم راء حان مه رجوع ورواح .

(٥) إياة الشمس : بكسر الهمزة وفتحها صوابا وحسنا .

(٦) اللهى : المصم المطايا ، والمتى : كالماتى حال العمل والجود ، وللمصاب : بالفتح نزول

للطر مصدر ميمي من صاب الطر يصبوب إذا نزل .

جَوَادُ مَنَى اسْتَمَجَلَتْ أَوَّلَى هَيَاتِهِ  
فَنِيَّ عَنِ الْإِنْسَانِ دَرْ نَوَالِهِ  
إِذَا حَسَبَ النَّيْلَ الرَّهِيدَ مُنِيلُهُ  
عَطَايَا يُصِيبُ الْحَاسِدُونَ بِحَمْدِهِ  
مَوْطَأُ أَكْنَافِ السَّمَاحِ دَنَتْ بِهِ  
فَرْزُهُ تَرَزُّ أَكْنَافُ غَنَاءِ طَلَّةِ  
زَعِيمُ الْمَسَاعِي أَنْ تَلِينَ شَدَائِدُ  
مَهْيَبُ يُغْمَضُ الطَّرْفُ مِنْهُ لِأَذِنِ  
لِأَبْلَجِ مَوْفُورِ الْجَلَالِ إِذَا أَحْتَبَى  
وَذَى تُذَرِّبُ يَمْذُو الْعِدَا عَنْ قِرَاعِهِ  
إِذَا هُوَ أَمْضَى الْعَزَمَ لَمْ يَكْ هَفْوَةٌ

كَفَاكَ مِنَ الْبَعْرِ الْخَضَمُ عُبَابُ  
إِذَا اسْتَنْزَلَ الدَّرَّ الْبَكِيَّ عَصَابُ<sup>(١)</sup>  
فَالْعَطَايَةُ الْحِسَابِ حِسَابُ<sup>(٢)</sup>  
عَلَيْهَا ، وَلَمْ يُحِبُّوا بِهَا فَيُحَابُوا  
خَلَائِقُ زُهْرُ إِذَا أَنَا فَنَصَابُ<sup>(٣)</sup>  
أَرَبْتُ بِهَا لِلْمَكْرَمَاتِ رَبَابُ<sup>(٤)</sup>  
يُمَارِسُهَا أَوْ أَنْ تَلِينَ صِعَابُ  
مَهَابَتُهُ دُونَ الْحِجَابِ حِجَابُ<sup>(٥)</sup>  
عَلَا نَظَرَهُ مِنْهُ وَعَزَّ خِطَابُ  
غِلَابُ فَهَمَّا عَزَّةُ فَنِيْلَابُ<sup>(٦)</sup>  
يُورُزُ عَنْهَا فِي الْأَنَامِلِ نَابُ<sup>(٧)</sup>

(١) العانة البسوس : هي التي لا تدر إلا على الابل اس بأن يقال لها « بس بس » تكبأ لها ، والمبرالين ، والكي العانة التي قل لبها ، والصاب : بالكسر شد على العانة لتدر . يقول : إن نواله قريب ميسور لا يحكمك شقة ولا يحوجك إلى إلحاف . (٢) حسب : عد ، والحساب : بالكسر بمعنى الكثيرة الكافية صفة لعطايه ، ومنه قوله تعالى « عطاء حساباً » أى كافي ، واللى : إذا عد العطاء العليل عليه ومعطيه ليعبه ما لعطايه الكثيرة الكافية عد ولا إحصاء .

(٣) يقال دل موطأ الأكاف : كعظم أى سهل دمت الأخلاق سمح كريم ، والصاب : كالصعب الأصل ، واللى : أنه سهل حوالب السباح يحرقه مك ويدنو به ذلك دماؤه وأخلاقه وإن علا نعبه وسما أصله

(٤) النباء : الكثيرة الشجر ، والعلقة : الروضة بها الطل ، وأربت : من أرب بالمكان إذا زمه والرباب السحاب . (٥) يقول إن ابن جهور مهيب يضى من مهابه ومع حدا فهو يس طرفه حياه ، وهذا قريب من قول الفرزدق :

« يضى حياه ، ويضى من مهابه فلا يكلم إلا حسين بينهم »

(٦) دو تدرأ : يضم أوله أى صاحب عدة وقوة على دفع أعدائه من نعه ، وغلاب : أى مغالبة ، وعزه : غلبه ، وحلاب : من خلبه إذا خدعه ، وى للتل « إذا لم تلب ماغلب » .

(٧) يقول إذا مضى المزم لم يك امتناؤه حقوة يضى عليها أنامه نغماً وميظاً .

عَزَائِمُ يَنْصَاعُ الْعِدَا عَنْ مُرَّهَا      كَمَا رَهَيْتَ يَوْمَ النَّضَالِ رِهَابُ<sup>(١)</sup>  
صَوَائِبُ، رِيَشُ النَّصْرِ فِي جَنَابَاتِهَا      لَوَامُ، وَرِيَشُ الطَّائِشَاتِ لُعَابُ<sup>(٢)</sup>  
حَلِيمٌ تَلَاقَى الْجَاهِلِينَ أَنَاتُهُ      إِذَا حَلِمُ عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ عِقَابُ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا عَثَرَ الْجَانِي عَقَا عَفْوٌ حَافِظُ      يَنْعْنَى لَهَا فِي الْمَذْبُونِ ذِقَابُ<sup>(٤)</sup>  
شَهَامَةٌ نَفْسٍ فِي سَلَامَةِ مَذْهَبِ      كَمَا الْمَاءُ لِلرَّاحِ الشَّمُولِ قَطَابُ<sup>(٥)</sup>  
« بَنَى جَهْوَرٌ » مِمَّا فَخَرْتُمْ بِأَوَّلِ      قَسِرَ مِنْ الْمَجْدِ التَّلِيدِ لُبَابُ<sup>(٦)</sup>  
حَطَطْتُمْ بِمَجْدٍ أَسْلَنْطَحَتْ سَاخَةُ الْمَلَأِ      وَأَوْقَتَ لِأَخْطَارِ السَّنَاءِ هِضَابُ<sup>(٧)</sup>  
بِكُمْ بَاهَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ فَأَوْجُهُ      شَمُوسٌ وَأَيْدٍ فِي الْمُحُولِ سَحَابُ<sup>(٨)</sup>

\* \*

أَشَارَحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مُعَمَّرٌ      وَطَامِرٌ مَعْنَى الْحَمْدِ وَهُوَ خَرَابُ<sup>(٩)</sup>  
مُحْيَاكَ بَذَرٌ وَالْبُدُورُ أَهْلَةٌ      وَيُمْنَاكَ بَحْرٌ وَالْبُخُورُ ثِمَابُ<sup>(١٠)</sup>  
رَأَيْتَكَ جَارَكَ الْوَرَى فَعَلَبْتَهُمْ      لِذَلِكَ « جَرَى الْمَذْكِيَاتِ غِلَابُ »<sup>(١١)</sup>

- (١) الاصباح الروحوع أي روح الأعداء مما أسره من المزامير حوما ورحبة كما رعت يوم الصال وهاب أي لصال رلقة جمع رعب كل . (٢) صواب : صفة المزامير في البيت لا يريد أنها عوام صائبة كالسهم ، والعباب : ريش السهم إذا لم يستدل فاذا اعتدل فهو لوام . (٣) وهذا قريب من قول المتنبي : « ترفق أيها اللول عليهم فان الرق بالجان عتاب »  
(٤) القباب : بالسكر خيط يشد به ذب البعير فلا يخطر به أي يحركه يمياً وشملاً فيلاً راكبه ، أي أنه بما يسديه إلى الخنقة من عسى يمتهم من الوقوع في الذنب كما يمنع القباب ذب البعير عن تلويث راكبه بمخثراته  
(٥) قطاب : بالسكر مزاج . (٦) معس : خفى مشقة ، ونعنى : المنزل .  
(٧) ثياب : بالسكر جمع ثوب وهو المدير . أو هو سبيل الوادي ، وجمعه ثياب ، قال ابن دريد : « والناس فضاض ثياب وأضي » ويجمع أيضاً على ثيابان ، قال الحريري : وأحياه إلى ذكرها في مقاماته : « أيجور الوضوء من ماء الثيبان » قليل : « وهل أحسن منه تمران »  
(٨) والمذكيات — وللمذكيات بالضميف — الجبل التي بلغت تمام السن ونهاية الشباب وفي اللث : « جرى للمذكيات غلاب » أي أن تغالب الجري غلابا .

فَقَرَّرْتُ بِهَا مِنْ أَوْلِيَاكَ أَغْنِيَنَّ وَذَلَّتْ لَهَا مِنْ حَاسِدِيكَ رِقَابُ

\*\*\*

فَتَحَّتْ الْمُنَى مِنْ بَعْدِ الْهَامِنَا بِهَا وَقَدْ صَاحَ إِفْلِيدُ وَأَنْهَمَ بَابُ (١)  
مَدَدَتْ ظِلَالُ الْأَمْنِ تَحْضُرُ تَحْتَهَا مِنَ الْعَيْشِ فِي أَعْدَى الْبِقَاعِ شِعَابُ (٢)  
حَتَّى سَأَلْتُ فِيهِ الْبَغَاتِ جَوَارِحُ وَكَفَّتْ عَنِ الْبَهْمِ الرِّتَاجِ ذَنَابُ (٣)  
فَلَا زِلْتُ لَسَعَى سَعَى مِنْ حَفْظِ سَعِيدِ نَجَاحُ وَحَفْظُ الشَّائِيهِ تَبَابُ  
فَأَنَّكَ لِلدِّينِ الشَّعِيبِ لِمَلَامُ وَإِنَّكَ لِلْمَلِكِ النَّثَى لِرِثَابُ (٤)  
إِذَا مَشَرُّ الْهَاهُمْ جُلَسَاوَهُمْ فَلَهُوْكَ ذِكْرُ وَالْجَلِيسِ كِتَابُ (٥)  
تُعْزِيكَ عَنْ تَهْرِ الصِّيَامِ الَّذِي أَتَقْضَى فَإِنَّكَ مَقْبُوحُ بِهِ قَصَابُ  
هُوَ الزُّورُ لَوْ تُعْطَى الْمُنَى وَضَعُ الْمَصَا لِيَزْدَادَ مِنْ حُسْنِ الثَّوَابِ مُنَابُ  
شَهْدَتْ لِأَذَى مِنْكَ وَاجِبَ فَرْجِهِ عَلِيمُ يَمَا يُرْضَى الْإِلَهِ تِقَابُ (٦)  
وَجَاوَزَتْ يَنْتَ اللَّهُ أَنْسَا بِمَعَشَرِ خَشَوْهُ فَعَرُّوا رُكْمًا وَأَنَابُوا  
لَقَدْ جَدَّ إِخْبَاتُ وَحَقُّ تَبْتَلُ وَبَالَغَ إِخْلَاصُ وَصَحَّ مَتَابُ (٧)

(١) إيهام : الباب إعلانه ، و باب : مهم أى مطلق ، والامليد : الملتاح .

(٢) أهدي : أعمل لتعميل من عديت الأرض يقال أرض عداة وهي الطيبة القربة الخامة من الررع البعيدة من ماء الأنهار والحدائق ، والشعاب : جمع شعف بالكسر وهو الطرق والجبل وصيل الماء ، بقوا ، أنه مد طلال الأمن على الالاد النائية ، وحمل المصعب يمتد إلى الجهات البعيدة من مياه الأنهار .

(٣) البغات : صنف الطير ، البهم : واحدتها بهيمة بالفتح وهي أولاد السان والمز والبر . وهذا البيت من أبجد ما قرأته في وصف استناب الأمن . (٤) الشعيب : للتمرق ، والنثى : العاسد من قأى يثأى فهو ثأ كمر إذا عدا ، ورتاب : جمع رؤبه وهي القطعة من الحب يشعب بها الاتاء ويسد بها ثمة الجنة (٥) يشير إلى قول للنبي : « وخير جليس في الزمان كتاب »

(٦) التقاب : بالكسر التام بالأمور .

(٧) الاخبات : مصدر اخبت إلى ربه اطمان إليه وتخضع وتواضع ، والتبيل : الانقطاع إلى الله تعالى .

سَيَخْلُدُ فِي الدُّنْيَا بِكَ مَفْخَرٌ      وَيَحْسُنُ فِي دَارِ الْخُلُودِ مَأْبُ  
وَبُشْرَاكَ أَغْيَادُ سَبَنِي أَطْرَاها      كَمَا أَطْرَدْتَ فِي السَّمْعَرِيِّ كِمَابُ  
تَرَى مِنْكَ سَرَّوَالْمَلِكِ فِي قَشَفِ الثَّقَى      فَيَبْزُقُهَا مَرَأَى هُنَاكَ مُجَابُ  
قَابِلٍ وَأَخْلَفَ إِعْمَا أَنْتَ لَابِسُ      لِهَذِي أَلْيَالِي الثَّرَّ وَهِيَ ثِيَابُ  
قَدَيْتِكَ كَمْ أَلْقَى الْفَوَاعِرَ مِنْ عِدَا      قِرَاهُمْ - لِيَرِانَ الْفَسَادِ - ثِقَابُ (١)  
عَفَا عَنْهُمْ قَدْرِي الرَّفْعُ فَأَهْجَرُوا      وَبَيْنَهُمْ خَلَقِي الْجَيْلُ فَمَا بُوا  
وَقَدْ تَسْمَعُ أَيْتَ أَخِخَاشُ نَهَيْقَهَا      وَتُعْلِي إِلَى الْبَدْرِ التَّبَاحِ كَلَابُ  
إِذَا رَاقَ حُسْنُ الرُّوضِ أَوْفَاحَ طَيْمِهِ      فَمَا ضَرَّهُ أَنْ طَلَّ فِيهِ ذُبَابُ  
فَلَا بَرَحَتْ تِلْكَ الْغَنَائِرُ نَهْيًا      أَفَاجِ لَهَا بَيْنَ الضُّلُوجِ لِعِصَابُ (٢)  
يَقُولُونَ شَرِقْ أَوْ فَعَرَبْ صَرِيعةً      إِلَى حَيْثُ آمَلُ الثَّقُوسِ نَهَابُ (٣)  
فَأَنْتَ الْحَسَامُ الْمَضْبُ أَصْدَى مَتْنُهُ      وَعُطِّلَ مِنْهُ مَضْرَبُ وَذَبَابُ (٤)  
وَمَا السَّيْفُ مِمَّا يُسْتَبَانَ مَضَاوُهُ      إِذَا حَازَ جَفْنُ حَدُّهُ وَقِرَابُ  
وَأَنَّ الَّذِي أُمِلْتُ كُدَّرَ صَفْوُهُ      فَأُضْحَى الرِّصَا بِالسَّخَطِ مِنْهُ يُشَابُ  
وَقَدْ أَخْلَفْتُ مِمَّا ظَنَنْتُ تَحَايِلُ      وَقَدْ صَفَرْتُ مِمَّا رَجَوْتُ وَطَابُ  
فَنَ لِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ عَلَيْهِمُ      إِذَا لَجَّ بِالْخَضَمِ الْأَلَدُ شَنَابُ  
لِيُخْرِجَهُمْ إِنْ لَمْ تَرِذْنِي نَبْوةً      يُسَاهُ الْفَتَى مِنْ مِثْلِهَا وَيُرَابُ

(١) انموذج : جمع فاعره من مرفاه إذا ضعه أراد بها الخواص ، والتقاب : ما اتقت به الباروا واشتمتها  
به من سمار البیدان . يقول : نسي دأوك ، كم ألقى الكوارث من أعداء خيئة دوى مكر خو في تدبير  
الفتن ، ودعاء في نصب للفرار . (٢) لصاب : بالكسر من لصب الجلد بالاهم لرق به من شدة  
الجزال يريد ان ما يحملونه من ضنن له قنع في صدورهم كذفع الأفاعي سبب لهم الجزال .  
(٣) الصرعة : الزمعة وقطع الأسر ، والتهاب : بالكسر القنم جمع نهب .  
(٤) مضرب السيف : بالفتح والكسر ، وذبابه : بالضم حده .

فَقَدْ تَتَمَشَّى صَفْحَةَ الْمَاءِ كُذْرَةً      وَيَنْطُو عَلَى صَوْنِهِ النَّهَارِ صَبَابٌ <sup>(١)</sup>  
سُرُورُ الْغِنَى مَالٌ يَكُونُ مِنْكَ حَسْرَةً      وَأَرْنَى الْمُنَى مَالٌ يُثْلِيكَ صَابٌ <sup>(٢)</sup>  
وَإِنْ يَكُ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ مُؤْمِلٌ      فَأَنْتَ الشَّرَابُ الْعَذْبُ وَهُوَ مَرَابٌ  
أُبْعُورُ مِنْ جَارِ السَّمَاءِ كَيْنَ جَانِبٌ      وَيُغْمِزُ فِي ظِلِّ الرَّيِّعِ جَنَابٌ <sup>(٣)</sup>  
قَائِنٌ ثَنَاهُ يَهْزُمُ الدَّهْرُ كَبْرَةً      وَجَلِيَّتُهُ فِي الْغَابِرِينَ شَبَابٌ  
سَابِكِي عَلَى حَظِّي لَدَيْكَ كَمَا بَكَى      رَيْعَةٌ لَمَّا صَلَّ عَنْهُ ذَوَابٌ  
وَأَشْكُو بُؤْسَ الْجَنْبِ عَنْ كُلِّ مَضْجِعٍ      كَمَا يَتَجَاوَى بِالْأَسِيرِ ظَرَابٌ <sup>(٤)</sup>  
فَتَقِ بِهَزْزِ الشَّعْرِ وَأَصْفَحْ عَنِ الْوَرَى      فَلَيْتَهُمْ - إِلَّا الْأَقْلَ - ذُبَابٌ  
وَلَا تَعْدِلِ الْمُشِينَ بِي فَأَنَا الَّذِي      إِذَا حَفَرَ الْمُقَمُّ الشَّوَارِدُ قَابُوا  
يُثُوبُ بَيْنَ الْمَذَاحِ مِنِّي وَاحِدٌ      جَمِيعُ الْخِصَالِ لَيْسَ عَنْهُ مَنَابٌ  
وَرَدْتُ مَعِينَ الطَّمْعِ إِذْ زِيدَ دُونَهُ      أَنَسُ لَهُمْ فِي حَجَرَيْنِهِ لُؤَابٌ <sup>(٥)</sup>  
وَتَحَدَّنِي عِلْمٌ تَوَالَتْ قُنُونُهُ      كَمَا يَتَوَالَى فِي النِّظَامِ سِيخَابٌ <sup>(٦)</sup>  
فَمُدَّ بِي يَفْضَاهُ يَصْدَعُ صِدْقُهَا      فَإِنْ أَرَا جَيْفَ الْمُدَاةِ كَذَابٌ  
وَحَاشَاكَ مِنْ أَنْ تُسْتَمِرَّ مَرِيرَةٌ      لِمَهْدِكَ أَوْ يَخْنِي عَذْبُكَ صَوَابٌ <sup>(٧)</sup>

(١) غشا خطو : ستر وأغشى سحاب رقيق يذو الفخذ .

(٢) الأرى : العسل ، والماب : شعر مر واحدته صابه .

(٣) سور : من أمور المكان إذا بدت منهورة ، ويمز : أى سلب ومنه اللراء للأرض الصلبة .

(٤) الطرب : كسكب ما ساء من المجاهرة وحده ضربه والطم طراب بالكسر .

(٥) ديد : فناء المجهول منع ، والمهرة : مع سكوك الحاجة ، ولواب : فاقم عطش ، واللى : أنه طبع على الشعر . وورد معين الطمع في حين أن فيه من الشراء حبس من وروده لله في حابيه لواب أى عطش

(٦) اللجد : كخط الذي حرب الأمور وقاسها حقه وطلعت التجار وملكه اللجد بالالف المبهمة ، والسخاب : بالكسر السحاب .

(٧) المرير : والمررة الحبل ، والاستمرار إحكام ذله ، يقول حاشاك أن أدموك إلى إصلاح حادث من همدك ، أو يخني عليك وجه الصواب .

## بعد خمسمائة يوم في السجن

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة في مدح ابن جهور واستعطافه ، وقد وردت في آخر رسالته الجدية التي بعث بها إلى ابن جهور <sup>(١)</sup> بعد أن مهد لتلك القصيدة بقوله مخاطبا ابن جهور :

وإنك إن سئيت عقد أمري تيسر <sup>(٢)</sup> ، ومتى أعتذرت <sup>(٣)</sup> في فك أسرى لم يتنفر ، وعلمك عيظ بأن المعروف ثمرة النعمة ، والشفاعة زكاة المروءة ، وفضل الجاه تعود به صدقة <sup>(٤)</sup>

وإذا امرؤ أهدى إليك صنعة من جاهه ، فكأنها من ماله  
لعل ألقى الصاب بذراك <sup>(٥)</sup> ، وتستقر في النوى في ظلك ، وأستأنف  
التأدب بأدبك ، والاحتمال على مذهبك ، فلا أوجد للحاسد مجال  
لحظه <sup>(٦)</sup> ، ولا أدع قاذح مساغ لفظه ، ولغة ميسرك من إطلابي <sup>(٧)</sup>  
بهذه الطلبة ، واشكائي من هذه الشكوى بصنعة تصيب منها  
مكان المصنع ، وتستودعها أحفظ مستودع ، حسبما أنت خليق له ،  
وأنا منك سرى به ، وذلك بيده ، وهين عليه .

ولما تواتر غرر هذا النثر واتسقت <sup>(٨)</sup> درره ، فوز عطف  
غلاوته ، وجر ذيل خيالاته <sup>(٩)</sup> ، علرضه النظم ماهيا ، بل كأيده  
مداهيا ، حين أشفق من أن يعطفك استعطافه ، وتميل بنفسك  
الطافه ، فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالعائدة له ، وما زال

(١) وقد أنهت هذه الرسالة في مكان آخر من الكتاب بطرحها إليها أنمازى إذا شاء .

(٢) ان يبرت ما تقدم من أمري تيسر وسهل . (٣) قبل العذر .

(٤) قال الشاعر :

قد صب العول أن الشفة على الصديق والمدود صده  
وأوصل العالم عند الله من ساعد الناس بفضل الجاه  
ومن أطك البائس لللهوا أمانه الله إذا أخيا

(٥) و كمنك . (٦) فلا يجد الحاسد سبيلا إلى القمأة في وعته بالعزالي وأنا منكوب .

(٧) أسعاني وأتاني ما أبغيه . (٨) انتظمت . (٩) كبره ورحوه .



يستد النمن العليل ، وانماطر الكليل حتى زف إليك عروسا  
مجلوة في أنوابها ، منصوصه <sup>(١)</sup> بحليها وملابها <sup>(٢)</sup> وهامى القميدة

المهوى في طلوع تلك النجوم . والمنى في هبوب ذاك النسيم .  
مرنا عيشنا الرقيق الحوائى لو يدوم السرور للنسيم  
وطر ما اتقى إلى أن تقضى زمن ما دماثة <sup>(٣)</sup> بالنسيم <sup>(٤)</sup>  
إذ ختام الرضا المسوخ منك . ومزاج الوصال من نسيم  
وعريض الدلال <sup>(٥)</sup> غص <sup>(٦)</sup> جنى الصبوة <sup>(٧)</sup> نشوان من سلاف <sup>(٨)</sup> النسيم  
طالما تافر المهوى <sup>(٩)</sup> منه غر <sup>(١٠)</sup> لم يطل عهد جيده بالنسيم <sup>(١١)</sup>



أيها المؤذي بظلم الليالى لبس يورى بواجب من ظلم <sup>(١٢)</sup>  
قمر الأفق - إن تأملت - والشمس لها يكسفان دون النجوم

(١) مرموعة .

(٢) لللاب : الحبران . قال الشاعر : « كاللفة الصغراء ما ك عيرها بملابها »

(٣) دماثة : عهد . (٤) لم يقضى لنا ودر من السرور تلك الحياة السامة والعيش الرغد

حتى تولى ذلك الزمن غير مدموم العهد . (٥) ودك الدلال الطيف الحس .

(٦) الغص : الطرى ، « ناعم : الناضر . (٧) الهوى : (٨) حر .

(٩) تافر الهوى : قاله . (١٠) لم يجر الأمور .

(١١) التميم : جمع تميمه ، وهو العود : جمع عودة . أى المهرجات ونحوها مما يلقى على الصبي لبس

منه الدين ، وقد أنكر الاسلام ذلك ، وفي هذا يقول القائل :

وإذا لآتية اشبهت أطفالها القيت كل تيمية لا تمنع

ومع ذلك لايت : أى حبيبه قد طوى الهوى وجافاه لأنه غير حدث لا يزال قريب العهد بالتمام ، وهو

لا ينفك كالزبال النافر لمرارته وحدثة عهد .

(١٢) أيها المحب بما تدره لى الببال من كبد ، رويدك لا تخفى بذلك طالت بحاق يومى على دهرى

لأننى لفتت منه الظلم دائما .

وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحَوِ بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوِ الْعَظِيمِ<sup>(١)</sup>

\* \*

بَوَّأَ اللَّهُ «جَهْورًا» شَرَفَ السُّو  
دِدِ فِي السَّرْوِ<sup>(٢)</sup> وَالْأَبَابِ الصِّمِيمِ<sup>(٣)</sup>  
وَأَحَدُ سَلَمِ الْجَمِيعِ لَهُ الْأَمْدُ  
رَءَاكَ الْخُصُوصُ<sup>(٤)</sup> وَفَقَّ الْعُمُومُ<sup>(٥)</sup>  
قَلَدُ الْقَمَرِ<sup>(٦)</sup> ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ  
وَأَكْتَنَى جَاهِلٌ بِبِلْمِ الْعَلِيمِ<sup>(٧)</sup>  
خَطَرُ يَقْتَضِي الْكَمَالَ يَنْوَعِي  
خُلُقِي بَارِعٍ وَخُلُقِي وَسِيمِ<sup>(٨)</sup>

\* \*

أَيْهَا ذَا الْوَزِيرُ هَا أَنَا أَشْكُو وَالْعَصَا بَدَأَ قَرَعَهَا لِلْحَلِيمِ<sup>(٩)</sup>

(١) أكثر الشعراء من ذكر هذا المعنى في صور مختلفة ، وكانوا يذكرونه بمعنى هذه الألفاظ ، وقد ذكره أبو تمام بأسلوب آخر فقال :  
لا تكثرى عطل الكريم من المعنى فالسيل حرب المكاث العالي  
ومنه قول أبي العلاء :

والحطب يباح الخليل وكم شكا نأ على ، ما شكاه قنبر

(٢) الرودة . (٣) المعنى : الحالى . (٤) الخصوص : الخاصة ، قال الشاعر :

البلغ حليلى عند هند فلا رلت قريباً من سواد الخصوص

(٥) انظر الخاصة والعامة على تسليمه مقاليد الأمور (٦) القمر : الضم والفتح ، انتهى لم يحرب الأمور

(٧) سلم الجميع مقاليد أمورهم إليه ، واتفق طائفتهم وحاصتهم على الاعتراف له بالفضل وأولو العلم عرفوا

بالعلم فعله ، ثم عليهم في ذلك الجاهلون ، واكتفى القمر الجاهل بيلم الخبير المجرب ، قالوا : وابن ريدون ينظر من طرف حتى إلى قول البحترى :

ودود الفضل يحمون على فضلك من بين سيد ومسود

عرف المألوث فضلك بالمدح وقال الجاهل بالتقليد

(٨) خطر : شرف وارتفاع قدر ، وعلو منزلة ، يقتضى الكمال : يستلزم الكمال ولوع العاية

لما أحرزه من جهالة السجاي ، ووسامة الخلفة .

(٩) والعصا بده قرعها للحليم : تصيين للثقل العربي المجهور : « إنَّ العصا قرعت لدى الحليم » وهم

يضربون هنا للثقل لذلك المعنى إذا نبهته انتبه .

مَا عَنَّا أَنْ يَأْتَفَ السَّائِقُ الْمَرْ  
وَبَقَاهُ الْحُسَامُ فِي الْجَفْنِ يَنْدِي  
أَفْصَبَتْ مِثِينَ خَمْسًا مِنَ الْأَيَّامِ  
وَمَعْنَى مِنَ الْغَنَى بَهَنَاتٍ  
سَقَمٌ لَا أَعَادُ فِيهِ وَفَى الْمَا  
نَارُ بَنِي سَرَى إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ أَظَاهَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ<sup>(١)</sup>  
بَطَّ فِي الْمَتْنِ مِنْهُ وَالْطَّيْمِ<sup>(٢)</sup>  
مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالنَّصِيمِ  
مَ ، نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ  
نَكَاتٌ بِالْكُلُومِ فَرَحَ الْكُلُومِ<sup>(٣)</sup>  
يُدِ أَنْسُ يَنْفِي يَبْزُهُ السَّقِيمِ<sup>(٤)</sup>  
نَارُ بَنِي سَرَى إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ أَظَاهَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ<sup>(٥)</sup>

\* \*

بِأَبِي أَنْتَ - إِنْ تَشَاءُ - تَكُ بَرْدًا وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ<sup>(٦)</sup>

(١) السابق : العرس ، المربط : اسم مكان - بكسر اللين وفتحها - والسق في الخيل : الكرم ، والطويم : تمام الحس فيها يشبه نفسه - وهو على هذه الحال من الاعتقال - بالماضي الذي سُمِّى مكانه الذي ربط فيه - لطفه وكرمه ، وقد وجد هذا البيت في ديوانه على هذه الصورة :

..... يَأْتِ الْمَرْطُ فِي الْمَتْنِ مِنْهُ وَالطَّيْمِ

مَا كَلَّمَهُ مِمَّا وَرَدَ فِي الرِّوَايَاتِ الْآخَرَى .

(٢) للمي : المحبوس من التمية وهي الحبس الذليل ، والسي : الرض لللازم ، والمات : جمع حة وهي اشتداد أو كسبها من الأشياء ، وسكات : أي فطرت الخرج قبل أن يبرأ أدمته ، والكولم : الحراحت واللي : ومحبوس من المرض لللازم بسبب أشياء. ألب فرح حراحتة بخرأنت أخرى ، يريد أن هذه السجن أسبب إليه هذه المرض فهو في عجبين ، يعني ألم شديد .

(٣) أي سرس لا يهون من به - وأما والجبن - طأء دون عيادة من يرورن ما يمكن وهي شمانى لو أمكن ذلك (٤) أي نار بي وضئ استمر لظاهي حنة الدعة والراحة والأس مأصب كالصرم : أي كابل في السواد بعد الاحترار ، وفيه تليج إلى صة أصحاب الجنة للدكورة وموله تعالى في سورة القلم « إِيَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ » الآيات ١٧ : ٢٢ وهم نوم كانت لأبهم هذه الجنة فكان يأخذ منها قوت سنته ويصدق باليق ، فلما مات رأى بوه أن يستأثروا بما فيها لأصهم ويعلمهم فخلوا لصرمتها مصبحين ، أي ليقطن ثمارها مبكرين في الصبح خفية عن أمين للساكنين « مطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبح كالصرم » أي احترقت صارت في السواد كصفحة الليل .

(٥) أديك ألب أيها للدوح باني ، إذ تشاء تكن تلك النار التي سرت إلى حة الأمن برداً وسلاماً فلا تحرق كنار إبراهيم إذ نفض فيها نأسر نمرود فكانت برداً وسلاماً طله لم يخرق ، وفيه تليج إلى قوله تعالى « لَنَا يَنْارُ كَوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمِ » .

لِلشَّمِيعِ الشَّاهِدِ ، وَالْحَمْدُ فِي صَوْبِ الْحَيَا لِلرَّيَّاحِ ، لَا لِلْغُيُومِ (١)  
وَزَعِيمٌ بِأَنْ يُدَلَّلَ لِي الصَّبَّ مَتَابِي إِلَى الْهَمَامِ الرَّعِيمِ (٢)  
وَوِدَادٌ يُغَيِّرُ الدَّهْرُ مَا شَاءَ ، وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ  
وَتَنَاهٍ أَرْسَلْتُهُ سَلَوَةَ الظَّأِ عَنِ عَن شَوْقِهِ وَلَهُوَ الْمُقِيمِ (٣)  
هُوَ رِفْخَانَةُ الْجَلِيسِ - وَلَا فَخْرَ - وَفِيهِ مِزَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ  
لَمْ يَزَلْ مُضِيًّا عَلَى هَفْوَةِ الْجَا فِي مُصِيفَا إِلَى أَعْتِدَارِ الْكَرِيمِ  
وَمَتَى يَبْدَأِ الصَّبِيحَةَ يُؤَلِّفُكَ تَقَامُ الْخِصَالِ بِالتَّعِيمِ (٤)

(١) أى شمع الشاهد والحمد لا للشعوى إليه ، كما ان الحمد في نزول للريح التي تزلزل بين اليوم فيزل للطر بسببها لا لشمس الغيوم ، وهو كقول الحنفي :

حار حدى وللرياح الوافي تحلب البيت مثل حد اليوم

(٢) كميل تذليل ما استصعب تدليه رحوى إلى الهمام الرئيس . وقد ورد في بعض النسخ البيت التالي بعد هذا البيت :

أمل برغم الحفاء إليه وهو ثبت للقام ماضى الزم

(٣) أى مدح أرسلته صار على ألسنة الناس سبيل للتل إذا تلاه القاصم على به من شوقه إلى وطنه وحبته إلى أمه ، وإذا تلاه المقيم كان فيه طوه وأسه .

(٤) أى متى يبتدئ الخيل تفرك خصاله التامة ، وتحبك أخلاقه الكامة على المطالبه بتكميم ما جردك به من معروف ، وتكبل ما شرع به من صنع يرد - صارة أوضح - أن ماله عليه من لصة متدأة ، ويد سابقة يمت في قه أملا قويا في إتمام تلك النعمة بأنجاز ما وعد به ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

هذا سحاب أنت سقت حمامه فطيك - بمد الله - ليس حمامه

إن اجلاء العرف مجد باسقى والمجد - كل المجد - في استقامه

وتريب منه قول المتنبي :

ولم أرى في عيوب الناس شيئا كقص القادرين على التمام

وقول الغالب :

إذا أسديت مكرمة فاقم ذات البسر يحط بالتمام

## من قصيدة صنعها بيطليوس<sup>(١)</sup>

« قال هذه القصيدة عند فراره من السجن والتجائه إلى بى عاد بإنتيلية سنة ٤٤١ هجرية ، وكان قد وافاه الفطر بالأخصى وهو على حله من الدكرى والشوق إلى معاهد قرطبة ، كان يخرج إليها في العيد ، ويصرع بتأثرهما ، ويلهو بمحاسنها مع من يهوى ، وقد أذكي تذكرها في فؤاده لاصح الشوق ، وبه كاس الوجد ، فأخذ يذكرها معهداً معهداً ، ويسف ما حلته في صه من الأثر ، وبين ما أثارته دواهي الدكرى في نده من العصابة والأسى والشوق ، ويقول صاحب قلائد المتقال في هذه الأماكن التي يذكرها به : - « هذه معاهد لبي أمية سمت بها ليال وأياماً ، وظلت فيها الحوادث ضمه نياماً ، فهاهنا ( يفرق العقاب ) وشاموا به برقاً يدو من ثقاب ، ولعمروا ( بحوى الرصاة ) ، وطعموا عيشاً تولى البحر حلاله وزفافه ، وأسدوا صبح الصباح ، وحصدوا أس ( مجلس ناصح ) ، وعموا ( بالمرء ) ، وصمدوا من نبأ صاحب ( الرواء ) حتى رحلهم الموت ضها وقوضهم ، وهوضهم منها ما عوضهم إلى آخر ما قال » .

خَلَيْتُ لَا فِطْرُ بَسْرُ وَلَا أَضْحَى      فَمَا حَالُ مَنْ أُمْنَى مَشَوْقًا كَمَا أَضْحَى  
لَنْ شَاقِي ( شَرَقُ الْعُقَابِ ) فَلَمْ أَزَلْ      أَخْصُ بِمَحْوُضِ الْهَوَى ذَلِكَ السَّفْعَا<sup>(٢)</sup>  
وَمَا أَنْفَكُ جُوفِي ( الرِّصَافَةَ ) شُعْرَى      دَوَاعِي ذِكْرِي تُعْقِبُ الْأَسْفَ الْبَرْخَا<sup>(٣)</sup>

(١) بيطليوس : بحتين وسكون اللام ، وباء مصومة ، وسين مهمة مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ملرده على نهر « آنه » غربي قرطبة كما في معجم البلدان . (٢) العقاب : بالضم العلم الضخم والمخرة العظيمة في عرض الجبل اسم موضع قرطبة ، ومحوض الهوى : خالصة .

(٣) ( حوى الرصاة ) : الجوى يضم الجيم الواسع الجوف . قال في اللسان وشى حوى أى واسع الجوف ، ودلا حوى : أى واسعه ، و ( الرصافة ) : ضم صفتح اسم لمعدة مواضع منها بالأندلس موضعان أحدهما بلدة صيرة عند مليلية ينسب إليها الرفاء الأندلسى الرافق الشاعر المشهور والأخرى وهي التي ذكرها هنا عند قرطبة أنشأها عبد الرحمن النخائل أولك الملوك الأندلس من بى أمية وسماها رصافة جده هشام بن عبد الملك بن مروان التي كانت بالشام كما يؤخذ من ابن خلكان خلا من كتاب ليانوت الجوى اسمه « الشترق وضما المخلص صما » ، والبرج : بفتح فسكون العذاب والشدة وصف به الأسف بمبالغة والمراد أنها تعقب أسفاً مبرحاً شديداً .

وَيَهْتاجُ (قَصْرُ الْفَارِسِيِّ) صَبَابَةً      لِقَلْبِي لَا تَأْثُلُو زِنَادَ الْأُمِّي قَدَمًا<sup>(١)</sup>  
وَلَيْسَ ذَمِيمًا عَهْدُ (تَجَلُّسٍ نَاصِحٍ)      فَأَقْبَلَ فِي قَرَطِ الْوُلُوعِ بِهِ نُصْحًا  
كَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْ لَدَى (عَيْنِ شَهْدَةٍ)      نَزَالَ عِتَابٍ كَانَ آخِرُهُ الْفَتْحَا<sup>(٢)</sup>  
وَقَائِمٌ جَانِبَهَا التَّجَبُّي فَإِنْ مَشَى      سَفِيرُ خُضُوعٍ يَنْتَنَّا كَذَّالِصِّلَحَا<sup>(٣)</sup>  
وَأَيَّامٌ وَصِلَ (بِالْعَقِيقِ) اقْتَضَيْتُهُ      فَلَا يَكُنْ مِيعَادُهُ الْمِيدَ فَالْفِصْحَا<sup>(٤)</sup>  
وَأَصَالَ لَهْوِي فِي مُسْنَاةٍ مَالِكِ      مُعَاطَاةً نَذْمَانٍ إِذَا شِئْتُ أَوْ سَبَحَا<sup>(٥)</sup>  
لَدَى رَاكِدٍ يُصِيبُكَ مِنْ صَفْحَاتِهِ      قَوَارِيرُ خُضْرٍ خِلَتَهَا مُرَدَّتْ صَرَحَا<sup>(٦)</sup>

(١) يقول : تثير ذكرى قصر الفارسي قلبي صبابة لا تفر من قدح رقاد الحزن ، والزناد ما يقدح به النار

(٢) يعني أنه عبأ لهويته في هذا المكان جيش عتاب أحرز به نصراً عليها وقتها .

(٣) التجبى ادماؤها عليه دنبا لم يفعله ، والسفير الصلح بين القوم ، وللمى أن هناك وقائع جابها ادماؤها الذنوب عليه كان خضوعه فيها رسول سلام لتوكيد الصلح بينهما . (٤) يقال اقميت الهجرن أى قبضته وأخذته ، والفصح بالكسر جسد النصارى ، وللمى أن أيلما معلومة من السنة كنت أحصل فيها (بالعقيق) على الوصل واقضيه في ميعاده كما يقتضى أى يمس الترميم دينه ، فإن لم يكن ذلك الانقضاء موعده العيد فالصبح . (٥) الأصال : جمع أصيل وهو ما جدد النصر إلى المغرب ، والسنة : سنة

يبنى في وسط الوادى لاحتجاز الماء ورد ما لا يعل منحه ومنعه من الجرى في طريقه للعتاد ، له أبواب تفتح لإطلاق الماء بحسب الحاجة ، ومع الترميم . قال في الصحاح ، « والسنة العرم لا وادله من لفظه » ، وللمى أنه يذكر تلك الأيام التي كان يلهو بها مع الأمليل في تلك السنة لللكية مرة بمعاطاة الراح إذا شاء ، وأخرى بالسبح والعمود في الماء ، وهذا مما ثبت أنهم كانوا يبنون (المراتان) لاختصاف الأرض وإمداد البرك بالماء بعد تمليته . (٦) قال بعض القسرين في قوله تعالى ( قيل لها ادخلى الصرح ) . الصرح : بلاط اتخذ لها من قوارير ، ومن معاني الصرح الساحة أيضا ، فكانه أراد تشبيه ماء السنة الراكدة في خضرته واسوائه بزجاج أخضر مرد (بالشديد) أى ملس صرحا أى ساحة مستوية من زجاج .

مَعَاهِدُ لَدَاتٍ وَأَوْطَانُ صَبَوَةٍ      أَجَلْتُ الْمُتْلَى فِي الْأَمَانِي بِهَا قِدْمًا<sup>(١)</sup>  
 الْأَهْلَ إِلَى (الْزَهْرَاءِ) أَوْبَةً نَازِحَ      تَقْصَى تَنَائِبَهَا مَدَامِعُهُ تَرْحًا<sup>(٢)</sup>  
 مَقَاصِيرُ مُلْكٍ أَشْرَقَتْ جَنَبَاتُهَا      فَخِلْنَا الْمِشَاءَ الْجَوْنَ أَثْنَاءَهَا صُبْعًا<sup>(٣)</sup>  
 يُمَثِّلُ قُرْطَيْنَا لِي الْوَهْمُ جَهْرَةً      فَتَقْبُتُنَا فَالْكَوْكَبُ الرَّحْبَ فَالسَّطْحَا<sup>(٤)</sup>  
 عَمَلُ أَرْتِيَا حِ يَذْكُرُ الْخُلْدَ طَبِيبُهُ      إِذَا عَزَّ أَنْ يَصْدَى الْفَتَى فِيهِ أَوْ يَضْحَى<sup>(٥)</sup>

(١) القيد : كسر فككون واحد الباء التي كانوا يستقون بها الخور ، وكانت يداح للبر عشرة ثلاثة منها فعل ، وسمة من دوات الاصاء ، وكان للعل أوفرها خطاه سمة أجزاء من الخور ، فإذا أطل مخرج القيد يدح والمريضة ، وأخرج للعل باسم أحد المتخلفين كان هو العائر بأكثر الأنعام وأوفر الخطوط . يقول : هذه معاهد لدات قضيت بها من اللات ، وبلغ فيها من الأمان ما حصل قدس بها للعل . (٢) الزهراء من عمت أمه الدنيا أثنائها أبو الخور عد الرحمن ابن محمد بن عداقة بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عدي بن مروان بن الحكم الأموي للعل بالنصر أحد ملوك أمية بالأندلس بالقرط من قرطبة في سنة ٣٢٥ هـ والساعة بينها وبين قرطبة ستة أميال تقريباً ، وطول الزهراء من القرق إلى الغرب ٢٧٠٠ ذراع ، وعرضها ١٥٠٠ ذراع ، وعدد السواري التي فيها ٣٠٠ سارية ، وأوابها نحو ١٥ ملا ، وكان الناصر يعق على عمارتها ثلث حابه ملاد الأندلس التي كانت تلج في ذلك الوقت نحو ستة ملايين من الدنانير ، وهي من أحسن مناره الدنيا وأجدها ، وقد أكثر أهل قرطبة في وصفها وما قاله الشعراء فيها ، ولهم في ذلك أصانيف ، والأوبة : الرجوع ، والنزاح : اللحد ، وتقصى أحد وتلوه حله من فرجه ، وهي المانع ها ، والنزح : من نزح الشعر ، وهو استنفاف ملها ، ورأيت في مس النسخ ( قصت مايبها مدامه سبعا ) (٣) للقصودة : ناجية من الناء على جبالها تنصر على اللك ، أو على صاحب النار ، أو هي النار الواسعة المحسنة ، وتجمع على مفاصر ومفاصير ، والجنان : جمع جنه كسدة وسعدات ، وفي اللسان مايفيد اختلاف المعنيين في إسكان اللون وتحتها في الفرد ، وتل عن ابن جى قوله : وقد غرى الناس بقلوبهم ، أنا في ذراك وحبك بفتح اللون قال والصواب إسكان اللون ، واستفهم على ذلك يقول أبو صفرة البولاني :

فما نظمة من حـ مزل تهادت بها حنينا الجوى والليل داس

بأجلب من فيها وما دقت طمها ولكي بها ترى العين فارس

والجون هنا الأسود ، ولعل أن تلك المقاصير أسبغت نواحيها بالمصباح والسر ، فحبنا المشاء في داخلها مصباحا

(٤) يمثل له الوم هذه للواضع من الزهراء كانه براها جهرة (٥) في مس للنسخ عن بدل من

وفي بعضها يثنى بدل يصدى ، ولعلها مصحة عن يبرى ، والأنشبه بالصواب ما هنا ، ومسى للبت أن

هَذَا الْجَمَامُ الرُّزْقُ تَنْدَى حِفَافَهَا      ظِلَالُ عَهْدِ الدَّهْرِ فِيهَا فَتَى سَمْعَهَا<sup>(١)</sup>  
تَوَوَّضْتُ مِنْ شَذْوِ الْقِيَانِ خِلَالَهَا      صَدَى فَلَوَاتٍ قَدْ أَمَارَ الْكَرَى صُبْحَهَا<sup>(٢)</sup>  
وَمِنْ خَلِي الْكَأْسِ الْمَغْدَى مُدِيرَهَا      تَقَحُّمُ أَهْوَالٍ تَحَلَّتْ لَهَا الرُّغْنَا  
أَجَلٌ إِنْ لَيْلِي قَوْقُ شَاطِئِ نَيْطَةٍ      لَأَقْصُرُ مِنْ لَيْلِي بِأَنَّهُ فَالْبَطْعَا<sup>(٣)</sup>

### في الغزل

عَلَامَ صَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ وَصُولٍ      فَدَيْتُكَ وَأَعْتَزَّتْ عَلَى ذَلِيلٍ<sup>(١)</sup>  
وَفِيمَ أَيْفَتْ مِنْ تَعْلِيلٍ صَبٍّ      صَبِيحِ الْوُدِّ ذِي جِنَمٍ عَلِيلٍ  
فَهَلَا عُدَّتِي إِذْ لَمْ تُعَوِّذْ      بِشَخْصِكَ بِالْكِتَابِ أَوِ الرَّسُولِ<sup>(٢)</sup>  
لَقَدْ أَغْيَا تَلَوُّنُكَ أُخْيَالِي      وَهَلْ يُغْنِي أُخْيَالُ فِي تَلَوِّهِ<sup>(٣)</sup>

الزهراء محل ترناج النفس إليه يذكر طيه حة المله حيث يتنجح أن يمدى للفق أى يعطش أو يصحى أى يبرز الشمس ، وبمبه الإشارة إلى قوله تعالى « إِنَّكَ لَا تَجْعَلُ فِيهَا وَلَا تُصْحِي » ولا شك أن الجوع ، والعمرى ، والظلمة ، وعدم السكن أركان الفناء فى هذه الحياة وبدونها يكون العم والراحة والسعادة ، وأن الشخص فى الحياة الدنيا متى طلب هذه الأشياء بخلافه فى دار العم والملة ، وقد تومرت له فى الزهراء أسباب الراحة والعم فادكره ذلك جنة الملة .

(١) الحمام : جمع حة ، وهى مكان احتياج الماء ، والرزق : صفة للجمام بمعنى المياه المحتمة ، وخافها : حوانها وما لطيف بها من حوها ، واللى هناك فى الزهراء البرك ذات الأمواه الرزق تظللها حافها وحولها ظلال بلية ندية (٢) أى أدركت من سماع صوت اللينيات خلال تلك النواحي الآمة بأواع الطرب سماع صدى هذه الفلوات الخفية يتردد فيها صنع العاديات من الخيل يطير النوم من العين (٣) نيطه وآه : نهران (٤) يقول : لماذا قطعت حل مح دائم الوصال لك ولماذا تكبرت على عكك الحامض القليل .

(٥) حلاصتى بالكتاب أو الرسول إذ لم يكن من حادثك أن توردنى بشخصك .

(٦) من أجل ما قرأته فى هذا الذى قول الملبس بن الأخف :

لو كنت طابة لكنك لوعى      أمل رضاك وزورت غير صادق

لكن مقلت طيسلى من حجة      صد لالول خلاف صد العائب

وقرب منه قول ابن الرومى :

ولكنكم كنتم تريدون حة      فهاجكم أدنى حباب إلى الصد

أردت صلاح القليل بالبد فابترى      لنا ظلمكم فاستند القليل بالبد



## بين صديقين

« كتب اليه ذو الوزارتين أبو عامر معانا :  
تاعدنا على قرب الجوار  
كأننا صدنا شحط المزار  
تطلع لي هلال الهجر بدرا  
وصار هلال وصلك في سرار  
وشاع شنيع وصلك لي وهجرى  
فهل كان ذلك في استنار  
أجعل أن ترى عني صورا  
وأصح مولعا دون اصطبار  
ولما أن هجرت وطال غفري  
عقرت هموم نفسي بالعقار  
وكننت أزيد سمعك من عتابي  
ولكن عافني قرب الخمار  
فراع مودتي واحفظ جولرى  
فان الله أوصى بالجوار  
وزرني منعما من غير أمر  
وآنس موحشا من عقردار  
بخاويه ابن زيدون : »

هَوَايَ - وَإِنْ تَنَاءَتْ عَنْكَ دَارِي -  
كَيْفَ هَوَايَ فِي حَالِ الْجَوَارِ  
مُعِيمٌ لَا تَمْسِيرُهُ عَوَادِ  
تُبَاعِدُ بَيْنَ أَحْيَانِ الْمَزَارِ  
رَأَيْتُكَ قُلْتَ : إِنَّ الْوَصْلَ بَذْرُ  
مَتَى خَلَّتِ الْبُدُورُ مِنَ السَّرَارِ (١)  
وَرَأَيْتُكَ أَنْتَنِي جِلْدُ صَبُورُ  
وَكَمْ صَبْرٍ يَكُونُ عَنْ أُصْطِبَارِ (٢)

(١) متى أمرت أن الوصل بدر فأت حليق أن تلم أن لا تدرك - لات شقى هو إذا اكتمل نموه في وسط الشهر لحقه الهلاك في آخره .

(٢) إن صبري ليس طيبا ولكنى انكفاه اضطرارا إليه لأنى لا أجد مندوحة عنه .

وَلَمْ أَهْجُزْ لِمَتِّبٍ غَيْرِ أَتَى أَضْرَّتْ بِي مُعَاوَرَةُ الْمُقَارِ  
وَأَنَّ الْخَمَرَ لَبَسَ لَهَا خِمَارَهُ <sup>(١)</sup> مُتَبَرِّحُ بِي ، فَكَيْفَ مَعَ الْخِمَارِ <sup>(٢)</sup>

\* \*

وَهَلْ أُنْسَى لَدَيْكَ نَعِيمَ عَيْشِي كَوْنِي اخَذَ طُرَزَ بِالْعِذَارِ  
وَسَاعَاتِي يَحُولُ اللَّهُوْ فِيهَا تَجَالَ الطَّلَّ فِي حَدَقِ الْبَهَارِ <sup>(٣)</sup>  
وَإِنْ يَكْ قَرَّ عَنْكَ الْيَوْمَ جِسْمِي - قُدَيْتَ - فَمَا لِقَلْبِي مِنْ قَرَارِ <sup>(٤)</sup>  
وَكُنْتُ عَلَى الْبِعَادِ أَجَلَ عِلْقِي <sup>(٥)</sup> لَدَيْ ، فَكَيْفَ إِذَا صَبَحْتَ جَارِي <sup>(٦)</sup>

## دعوة

« كتبها إلى ذي الوزيرين أبي عاصم يدعو به إلى زيارته »

طَابَتْ لَنَا لَيْلَتُنَا الْخَالِيَةِ فَلْتُنْسِنَاهَا هَذِهِ النَّالِيَةِ <sup>(١)</sup>  
أَبَا الْمَعَالِي نَحْنُ فِي رَاحَةٍ فَأَنْقُلْ إِلَيْنَا الْقَدَمَ الْمَالِيَةِ  
لَيْلَتُنَا عَاطِلَةٌ إِنْ تَتَبَّ عَنَّا ، فَوَزَنَّا كَيْ تَرَى حَالِيَةِ  
أَنْتَ الَّذِي لَوْ نُشْتَرَى سَاعَةٌ مِنْهُ يَذْهَبْ لَمْ تَكُنْ خَالِيَةِ

(١) سورة . (٢) إذا كانت الممرات لا سكر فيها تبرح بي فما بالك بها إذا أسكرت .

(٣) البهار : نبت طيب الرائحة . (٤) إذا كلال جسمي قد قرَّ قراره بعيداً منك فإن قلبي لا يزال

يهو إليك . (٥) الملق : النفيس ، قال الشاعر :

« أَيْتَ الْبَيْنِ أَنْ سَكَبَ عِلْقُ » يس لا يبار ولا يباع

(٦) إليك - مع البعاد الذي ينسى الآلاف - كنت أجمل مخلوق لدى ، فكيف أنساك وقد زادني الجوارح جانيك

(٧) لقد طابت ليلة أمس بمرورك منا لمذكورها ، ولينسا ما بضرنا من الضرور في ليلتنا التالية ما لمعنا

## قال في الوزير الشيخ أبي الحزم

«بَنِي جَهْوَرٍ» أَحْرَقْتُمْ بِحَقَائِكُمْ جَنَانِي وَلَكِنَّ الْمَذَامِحَ تَعْبِقُ<sup>(١)</sup>  
تَعْدُوَنِي كَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ<sup>(٢)</sup> إِنَّمَا تَطْيِبُ لَكُمْ أَنْفَاسُهُ<sup>(٣)</sup> حِينَ يُحْرِقُ

\* \*

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَقَدْ قَطَعْتُ بِمَدْحِهِ زَمَنًا فَكَانَ السَّجْنُ مِنْهُ تَوَابِي  
لَا تَخْشَى فِي حَقِّي عِمَا أَمْضَاتُهُ مِنْ ذَلِكَ فِي وَلَا تَوْقٍ عِتَابٍ<sup>(٤)</sup>  
لَمْ تُخْطِ<sup>(٥)</sup> فِي أَمْرِ الصَّوَابِ مُوَفَّقًا هَذَا جَزَاهُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ

## وصال

وَشَادِنِ أَسْأَلُهُ قَهْوَةً<sup>(٦)</sup> فَجَادَ بِالْقَهْوَةِ وَالْوَرْدِ<sup>(٧)</sup>  
فَبَتُّ أَسْقَى الرَّاحِ مِنْ رِيْقِهِ وَأُجِنْتُ الْوَرْدَ مِنْ الْخُذِّ

(١) حق : الطيب يسق من ما فرح عبت رائحته زمانا ، يقول بالرغم من أنكم أحرقتهم فؤادي بنار  
الحباء ، وقابلتم شكواي بعدم الإصغاء ، فإن يدعى باق فيكم ملازم لكم ملازمة الطيب صاحبه .  
(٢) الزعفران لونه . (٣) ما يمت عنه عدد الاحراق من الروائح الطيبة ، واللى : تحملوني  
في عداد ما يحرق من الطيب الذى ليس لكم من إحراره إلا طيب أنفاسه . قال ابن سلام عند إيراده  
هذين البيتين ، وأراه توارد مع أنى طي بن رشيق اللبرواني حيث يقول :  
أراك أتمت أحك الله وحسبك مقت وضدى مفع  
وأنى طيبك وقد سؤنى كما طيب العود من أحرته  
وأخذه مما من قول أبي تمام :

لولا اشتغال النار بها حاورت ما كان يعرف طيب عود العود

(٤) لا تخش فى حق لوما بما أنذته فى من حكم السجن ولا تتوق كتابى لأنى أنا الحق باليوم والكتاب  
(٥) أبدل الهزة من الياء وحدها الحارم كما يحذفها من اللعل وأسله لم تحلى ، يقول : لم تعد فى  
أمرى الصواب وقد وفقت فى حكمك على بالسجن بعد أن انقضت زمانا لمسك ، وهذا حواء من يكسب  
فى شعره ودمع من لا يعق اللدح ، وقريب من هذا الجباء قول ابن الرومى :

إذ كنت من جمل حق غير معتبر وكنت من رد مدعى غير مثب

فأطلى عن الطرسى الذى كذبت فيه الصبيغة أو كفارة الكذب

(٦) حراً : يسى حر ريقه . (٧) أى ورد وحته .

## وقال معاتباً من قصيدة أولها

بَنَيْتَ فَلَا تَهْدِمِ وَرِشْتَ <sup>(١)</sup> فَلَا تَبْرِي  
أَرَى نَبْوَةً لَمْ أَذْرِ مِرَّ أَعْرَاضِهَا  
جَفَّاهُ هُوَ اللَّيْلُ أَذْلَهُمْ ظَلَامُهُ  
فَلَا كَوْكَبٌ لِلْعُذْرِ فِي أَفْقِهِ يَسْرِي <sup>(٢)</sup>  
هَبِ الزَّلْزَلُ أَضْحَى لِلْوِلَايَةِ قَايَةً  
فَمَا غَايَةُ الْمَوْفَى مِنَ الظَّلِّ أَنْ يُكْرِي <sup>(٣)</sup>  
فَقِيمَ أَرَى رَدَّ السَّلَامِ إِشَارَةً  
نُسُوحُ بِي إِزْدَاءَ مَنْ شَاءَ أَنْ يُزْرِي <sup>(٤)</sup>  
أُنَاسٌ هُمْ أَخْشَى لِلذَّغَعِ مِقْوَلِي  
إِذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّا قَمَلَتْ لَهُمْ مُضَرٌ <sup>(٥)</sup>  
فَإِنْ عَاقَتْ الْأَقْدَارُ فَالْنَفْسُ حُرَّةٌ  
وَإِنْ تَكُنِ التَّعْبَى فَأَحْرَبَهَا أُخْرَى

### موقف وداع

وَلَمَّا التَّعَيْنَا لِلْوَدَاعِ غُدِيَّةً  
وَقَدْ خَفَقَتْ فِي سَاحَةِ الْقَصْرِ رَايَاتُ  
وَقُرْنَتِ الْجُرُودُ التَّنَائِي <sup>(١)</sup> وَصَفَّقَتْ <sup>(٢)</sup>  
طُبُولٌ وَلَا حَتَّ لِلْفِرَاقِ عَلَامَاتُ  
بَكَيْنَا دَمَا حَسَى كَأَنَّ عِيُونَنَا  
بِجَرْمِي الدُّمُوعِ الْحُمْرِ فِيهَا جِرَاحَاتُ  
وَكُنَّا تُرْجَى الْأَوْبَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ  
فَكَيْفَ وَقَدْ كَانَتْ عَلَيْهَا زِيَادَاتُ

- (١) من ريش صديقه كساه وأصلح له . (٢) من البرد : وهو الشفاء من المرض .  
(٣) أرى جوة لم أدرم اعتراضها أي منها الود من أن يسير في طريقه الأول ، وقد يكسف طعنه  
لي من الهم والحزن بسبب ذلك أن أعرف سر تلك النبوة والخطوة .  
(٤) جاء كالميل اشتد ظلامه فلم يسر في أهله كوكب عذر واضح . وفي الأصل :  
« جاء هو الليل اذهب ظلامه »  
(٥) أكرى : الطل بكري شمس ، واللى : هب الزلزل أضحى حقة ماويله من عمل فلا يبهي أن تكون  
غاية ما أوفى على من طلاك ورمائك أن يكرى أي يتبس . (٦) معي لبيت : في أي ذب أراك تشير  
بالسلام إشارة تسبح ونحو لمن شاء أن يزري في الإزداء في والتعير لشأن .  
(٧) اضراء : طاميد ونحوه أمراء به فهو مضر أي مضر ، يقول : أولئك الزارون على المحزون لشأن  
أناس هم أحوف الناس من لسان لو لم تكن مما ضلته معي قد اضربتهم في وأهزتهم بالرأية على .  
(٨) الجياد السكرية . (٩) دقت الطبول إيذاناً بالسير .

## وقال أيضا يمدح أبا الوليد بن جهور

هَلْ عَهْدَنَا الشَّمْسُ تَعْتَادُ الْكِلَانَ <sup>(١)</sup> أَمْ عَهْدَنَا الْبَدْرُ يَحْتَابُ <sup>(٢)</sup> الْحُلَانَ  
أَمْ قَصَبُ الْبَابِ يَمْنِيهِ الْهَوَى أَمْ غَزَالُ الْقَفْرِ يُصْبِيهِ الْفَزَلُ <sup>(٣)</sup>  
خَرَقَ الْعَادَاتِ مُبْدَى صُورَةٍ حَشَدَ <sup>(٤)</sup> الْحُسْنِ عَلَيْهَا فَاحْتَفَلَ <sup>(٥)</sup>  
مُشْرَبُ الصَّفَقَةِ مِنْ مَاءِ الْعَبَا مُشْنَعُ الْوَجْهَةِ مِنْ صَبْغِ الْحَجَلِ  
مَنْ عَذِيرِي <sup>(٦)</sup> مِنْهُ إِنْ أُغْنِيَهُ <sup>(٧)</sup> نَمِي الْعَهْدَ وَإِنْ عَادَتْ مَلْ

(١) مع كله بالكسر ، وهي سفر رقيق يحاط كالت يترق فيه من الموس ونحوه ، وتقدم هذا للمنى عند قوله في القصيدة البونية :

كأله الشمس ظفرا في أكلته بل ما تحلى لها إلا أحيانا

(٢) يحتاب بليس من قومهم : احتاب القبيص إذا لسه ، وساعده قول ليد :

سلك إذا دقن اللوامع بالنسج واحتاب أردية الراب اكلمها

أى لبست الاكلم أردية الراب ، والحل بالضم جمع حلة أثبت أن من يهواه سمس وآته بدر على الحقيق ، وتجنب من احتجاب السمس في الكلال ، واجيباب أى لبس الصدر الحلال ، وأنكر أن يكون ذلك موهودا في العادة . (٣) يمني به : يهواه ، وصحبه : يشوقه ويدعوه إلى الصا والحين إلى من يحب ، والبول : ممارسة النساء ومهادتهم ، أى ولم يهوا أيضا أن الهوى يهيم قبيد الان ، وأن المغازلة تنمو فزال اقمير إلى الصا فيحين إلى من يهوى . (٤) احتفع .

(٥) احتشد واحتج : أى أتى بالمدحرات ذلك الذى طلع عليها بصورته العائسة الجامعة لصور الحسن ، الحامقة بأبواب الحلال .

(٦) يقال من عذيري من ملان أى من صيرى ، ويقال : عذير : دلال النصب أى هات عذرا له ، ومنه قول في الاصح المدونى :

عذير المنى من عدوا في كانوا حية الأرض

منى بعض على بسى فلم يرعوا على بسى

أى هات عذرا فيما فعل بعضهم يعض من البنى ، والقتل ، والتباعد ، والتنافس ، ولم يرجع بعضهم على بسى بسد ما كانوا حية الأرض التي يعضوها كل أحد ، ويقال عذيري من ملان أى من ينفذنى ، ومنه قول الآخر :

عذيري من الانسان لا يذ جمعوه صفالى ولا يذ كست طوع يديه

وإنى لمشتاق إلى طلق صاحب يروق ويصفو وإن كدورت عليه

(٧) من الحب في الزارة ، أى حبه زائرا يوما وتركته يوما أو أكثر يقال : « زرجا تردد حبا » وفي اللسان : « الفب في الزيادة مال الحسن في كل أسبوع »

قَاتِلْ لِي بِالتَّجَنُّيْ، مَالَهُ لَيْتَ شِعْرِي أَحْلَلْتُ مَا أَسْتَحِلُّ ؟

\* \*

أَيُّهَا الْمُخْتَالُ<sup>(١)</sup> فِي زِينَتِهِ أَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْحَمَالِ<sup>(٢)</sup> فَخَلْ<sup>(٣)</sup>  
لَكَ إِنْ أَدْلَلْتَ<sup>(٤)</sup> عُدْرَتَهُ وَاصْحُ كُلُّ مَنْ سَاعَفَهُ<sup>(٥)</sup> الْحُسْنُ أَدْلُ  
سَبَبُ الشَّقَمِ الَّذِي بَرَّحَ بِي حِمَّةٌ كَالشَّقَمِ فِي تِلْكَ الْمَقَلِ<sup>(٦)</sup>  
إِنْ مَنْ أَضْحَى أَبَاهُ « جَهْوَرٌ » قَالَتِ الْآمَالُ عَنْهُ فَقَعَلْ<sup>(٧)</sup>  
مَلِكٌ لَدَّ جَنَى الْعَيْشِ بِهِ حَيْثُ وَرَدُ الْأَمْنِ لِلْعَادِي عِلَلِ<sup>(٨)</sup>

(١) ذو الخيلاء المبالغ بنسبه للزينة وجماله .

(٢) الحال له معان كثيرة منها الخيلاء ، وهو المراد هنا ، وقد أورد صاحب اللسان عن ابن برى  
أحياناً في معاني الحال ، والماسب منها لما نحن فيه قوله :

وَإِذَا أَنَا خَذِلْتُ لِمَوَى أُمِّي الصَّبَا وَلَقَمَزِلُ لِلرَّيْحِ ذِي الْقَهْرِ وَالْحَالِ

أَيُّ الْخِيَلَاءِ . (٣) أَيْ كُنْ دَا خِيَلَاءَ وَزَهْوٍ وَتَكَبُّرٍ ، مَنْ خَلَّ بِخَالٍ بِمَعْنَى اخْتَلَّ ، وَمَنْ بَتَ الْحَمْسَةِ :  
فَالْهَيْكَلُ سَيِّدُنَا سَدَّتَا وَإِنْ كُنْتَ لِلْخَالِ طَاهِبٌ مَخْلُ

مَعْنَاهُ : إِنْ فَطَلْتُ مَا يَوْجُ فَكَ السِّيَادَةِ عَلَيَا سَدَّتَا ، وَإِنْ حَاوَلْتُ أَنْ تُسَوِّدَنَا لَجَرْدِ الْكُفْرِ وَالْإِخْتِيَالِ  
فَاذْهَبْ فَاحْتَلْ مَا شِئْتَ أَنْ تَحْتَلَّ ، فَالْكُفْرُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُسَوِّدَنَا حِينَئِذٍ ، وَمَعْنَى الْيَتِ الَّذِي نَحْنُ بِمُصَدِّهِ :  
أَيُّهَا الْمُخْتَالُ الزَّهْوُ صُلَاةٌ وَكِبَرُ زِينَتِهِ وَجَمَالِهِ كُنْ دَا خِيَلَاءَ وَطَرٍ وَاعْجَبْ فَأَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ لِمَرَطِ جَمَالِكَ .  
(٤) يَقَالُ أَدْلُ عَلَيْهِ وَتَدَلُّ : انْهَضْ وَاحْتَرَأْ وَتَحَمَّى فِي شَيْءٍ مَوْسِعٍ تَحْنُ .

(٥) سَاعَدَهُ وَوَاتَاهُ وَأَسْعَفَهُ نَجَاتُكَ أَسَابَهُ لَيْدِهِ ، وَمَعْنَى الْيَتِ : إِنْ أَمْرَطَتْ فِي الدَّالَةِ عَلَى تَقَةِ بِعَيْنِ  
كَ ، وَاحْتِدَادَا بِسَاعَةِ الْحُسْنِ وَمَوَاتَاتِهِ فَكَ فِي الْإِدْلَالِ عَذْرٌ وَاصِحٌ .

(٦) يَقُولُ : أَنْ سَبَبَ الْمَوِيَّ وَالشَّقَمِ نَقَى لَشَدِيدِ تَبَرُّجِهِ وَأَذَاهُ فَنُورٌ فِي لُحْطِ تِلْكَ الْعِيُونِ الصَّحِيحَةِ  
لِلرَّضَى ، وَهَذَا مَعْنَى مَطْرُوقِ الْقُثْرَاءِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ مَلَابَهَ فِي مَرَضِ الْعِيُونِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِّ :

طَلِمَ بِجَمَاعَتِ الصَّدُورِ مِنَ الْمَوِيَّ سَرِيعَ بَكَرِ الْهَضْبِ وَالْقَلْبِ حَازِعَ

وَبِجَرَحِ أَحْثَانِي مَعْنَى رَمِيَّةٍ كَالْأَنْتِ مِنَ السِّيفِ وَالسِّيفِ فَاطْلِعَ

(٧) بِمَعْنَى أَنْ « ابْنَ جَهْوَرٍ » : إِذَا قَالَتْ الْآمَالُ لَهُ قَوْلًا صَدَقَ قَوْلُهَا فَهُوَ .

(٨) عَرَبٌ بِمَعْنَى عَرَبٍ .

أَحْسَنَ الْمُحْسِنِ مِنَّا فَجَزَى . ثَلُ مَا لَجَّ مِثْيُ . فَأَخْتَمَنَّ (١)  
سَمِيَهُ فِي كُلِّ بَرٍّ مِثْلُ (٢) . إِذْ مَسَاعِي مَنْ يُنَاوِيهِ (٣) . مِثْلُ (٤)  
لَا يَزَلْ مِنْ حَاسِدِيهِ مُكَبَّرُ . أَوْ مُقِلُّ ، سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلُ (٥)

\* \*

« يَا بَنِي جَهْوَرِ ، أَلَدُنَا بِكُمْ . حَلَيْتَ أَيَّامَهَا بَعْدَ الْعَطَلِ (٦)  
إِنَّمَا دَوَّشْتَكُمْ وَلِسِطَةً (٧) . أَهْدَتِ الْحُسْنَ إِلَى عِقْدِ الدُّوَلِ  
نَحْنُ مِنْ نَفْعَائِكُمْ فِي زَهْرَةٍ . جَدَّدَتْ عَهْدَ الرِّيعِ الْمُقْتَبِلِ (٨)  
طَابَ كَأَنُورُ (٩) . لَنَا أَتْنَاءُهَا . فَكَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ بِالْحَمَلِ (١٠)  
زَهَرَتْ أَخْلَاقُكُمْ فَأَبْسَمَتْ . كَأَنِّيَسَامِ الْوَرْدِ عَنْ نُورِ طُلُوعِهَا

(١) أحسن المحسن ما لجواه وكافاه على إحسانه ، كما تكررت إساءة للسبي . فاحتلها معوا منه وكرما .

(٢) أي كائنات السائر يتبع في الناس ذكره . ويحمد أثره .

(٣) يعاينه ويعاينه . (٤) جمع مثال ، أي أمتة وصور يقول أن سامي المدوح في صلة الناس بأنواع البر والاحسان أصبحت مضرب الأمثال ، في حين أنه سامي أعدائه للناوئين له سورجاعة أمدك - كآرى -

لم يتبع لها ذكر ولم يعرف عنها أثر . (٥) يدعو استمرار حاسديه على الاكثار أو الاكلال من لومه على ما يحبه على رده وسهم من ويلات ، ويذله بهسم من عقوبات ويقول « سبق السيوف العدل » أي فلامى يوم أكثر الأعداء منه أم أطوا ، وهو مثل مشهور يضرب للأمر الذي مات فلم يمكن تداركه . (٦) مصدر عقلت المرأة كفرح لم يكن عليها حلى ، وهو ضد « حليت » .

(٧) هي الذرة التي في وسط العقد وتمتد أحس حويرة فيه .

(٨) يقول : نحن قد حققنا من سناكم في بهجة من الرمان ، وضرة من الحياة ، - جدت لنا عهد الربيع ضد استقبال أيامه ، وتجدد أوانه ، والربيع عند العرب ريمان . الربيع الذي فيه النور والكلأ ، والربيع الذي تدرك فيه الثمر . (٩) شهر ، وهو اثنان : كانون الأول ، وكانون الثاني .

(١٠) الحمل : برج من بروج السماء .

\* \*

أَيُّهَا الْبَحْرُ الَّذِي مَهَّمَا تَقِضُ بِالْبَدَى (١) يُمْنَاهُ فَالْبَحْرُ وَشَلْ (٢)  
مَنْ لَنَا فِيكَ يَتِيْبٍ وَاحِدٍ تَحْذَرُ الْآمِنُ إِذَا الْفَضْلُ كَمَلُ (٣)  
شَرَفُ تَغْنَى عَنِ الْمَذْحِ بِهِ مِثْلُ مَا يَغْنَى عَنِ الْكُحْلِ الْكَحْلُ (٤)

\* \*

أَنَا غَرَسْتُ فِي ثَرَى الْعَمِيَاءِ لَوْ أَبْطَأْتُ سُقْيَاكَ عَنْهُ لَدَبْلُ  
لِي ذِكْرُ بِالَّذِي أَسَدَيْتُهُ نَابَهُ وَدَّ حَسُوْدُ لَوْ خَمَلُ (٥)  
فَلَيْمْتُ بِالْأَدَاءِ مِنْ حَالٍ فَتَى أَذْبَتُهُ سِيَرُ النَّاسِ الْأَوَّلُ  
فَوَعَى الْحِكْمَةَ عَنْ قَائِلِهِمْ : « الزَّمِ الصَّحَّةَ يَلْزَمَكَ الْعَمَلُ »

\* \*

أَقْبَلْتُ نَعْمَاكَ تُهْدِي نَفْسَهَا لَمْ أَرْغُ (٦) حَطَى وَنَهَا بِالْحَيْلِ  
فَقَبِلْتُ الْيَدَ (٧) مِنْ بَطْنِ يَدٍ ظَهَرُهَا - الدَّهْرُ - حَمَلٌ لِلْقَبْلِ  
كَلْنَا بُلُغَ مَا أَمَلَهُ قَابَلُغَ الْعَايَةِ مِنْ كُلِّ أَمَلِ  
وَإِذَا مَا رَامَكَ الدَّهْرُ فُفْتُ وَإِذَا رُمْتَ الْأُمَانِي فَنَلْ

(١) الكرم . (٢) ماء قليل يجلب من حل أو صخرة .  
(٣) يقول من لنا بمن بعدك عيا واحدا فانا نحن نحمد عليك وقد كنت فناءك حيون الحاسدين ، وهو نظير قول الآخر :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى هيب يوفيه من السنين

(٤) الكحل : حركة أو تسود مواضع الكحل من العين خفة ، أى شرف لتسمى بسبه من الملح كما تستنى العين للكحول خفة عن التكحل بالكحل صناعة . (٥) أسديج : أعطته ، والذكر النابه : الغريب للذئب . وهو خلاف الحامل . (٦) لم أطلب وفى الأصل : « لم أَدع » .  
(٧) الجبل .



## مداعبة

« كتبها إلى أبي عبد الله بن القلاس البليوس »

بداعبه بها »

أَصِخْ لِمَقَالَتِي وَأَسْمَعْ وَخُذْ - فِيمَا تَرَى - أَوْ دَعْ  
وَأَقْصِرْ - بَعْدَهَا - أَوْ زِدْ وَطِرْ - فِي إِثْرِهَا - أَوْ قَعْ

\* \*

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يُعْطِي بَعْدَ مَا يَمْنَعُ  
وَأَنَّ السَّعْيَ قَدْ يُكْذِبُ<sup>(١)</sup> وَأَنَّ الظَّنَّ قَدْ يَخْذَعُ  
وَكَمْ ضَرَّ أَمْرًا أَوْ تَوَهَّمَ أَنَّهُ يَنْفَعُ

\* \*

فَإِنْ يُجْدِبُ مِنَ الدُّنْيَا جَنَابُ طَالَمَا أَمْرٌ  
فَمَا إِنْ غَاضَ لِي صَبْرٌ وَمَا إِنْ فَاضَ لِي مَدْمَعُ  
وَكَأَنَّ رَامَتِ الْأَيَّامُ مُمْ تَرْوِيحِي فَلَمْ أَرْتَعْ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا ضَاقَتْنِي الْجُلَى تَجَلَّتْ عَنْ فَتَى أَرْوَعِ<sup>(٣)</sup>  
عَلَى مَا قَاتَ لَا يَأْمِي وَمِمَّا نَابَ لَا يَحْزَعُ  
تَدِبُ إِلَى مَا تَأَلَوُ عَقَارِبُ مَا تَنِي تَلْسَعُ

(١) يغشى ، وقد كرر هذا المعنى في سبئته فقال :

« ولكم أجسدى قبود ولكم اكدى التمس »

(٢) حاولت الأيام أن تخيبي فلم أخف .

(٣) أى أن المصائب لاتزال منه متالا ، ضاوت من صافه الهم لا اترل ، ، والجلى : الأمر العظيم والحادث المروع ، والأروع : الذكى الحديد القواد الحى النفس ، والمعنى : إذا تزلت بي جلى الحوادث تكشفت من فنى حاضر العقل حديد الدواد ، وى الأصل « صابنى » من صاب السهم القرمطس بمعنى أصاب وهى لفه قليلة لا نطق أن ابن زيدون يلجأ إلى استعمالها مع غرابة مادته .

كَأَنَّا لَمْ يُؤْخَذْنَا زَمَانُ لَيْنٍ الْأَخَذَغُ (١)  
 إِذِ الدُّنْيَا - مَتَى تَقْتَدُ أَيْ سُرُورَهَا - يَتَّبِعُ (٢)  
 وَإِذْ لِلْحِطِّ إِفْبَالٌ وَإِذْ فِي الْعَيْشِ مُسْتَمَعٌ  
 وَإِذْ أَوْتَارُنَا تَهْفُو وَإِذْ قَدْ دَاخُنَا تُرَعُ (٣)  
 وَأَوْطَارُ الْمُنَى تُفْضِي وَأَسْبَابُ الْهَوَى تَشْفَعُ  
 فَمِنْ أَدْمَانَةٍ (٤) تَعْطُو (٥) وَمِنْ قُمْرِيَّةٍ تَسْجَعُ  
 أَعِدْ نَظْرًا فَإِنَّ الْبَغْدَ حَىِّ مِمَّا لَمْ يَزَلْ يَصْرَعُ  
 وَلَا تُطْعِمِ أَلْسِنَتِي تُغْوِيكَ، فَهَيَّ لِنَبِيهِمْ أَطْوَعُ (٦)  
 قَبْلُ - إِنْ أَتَى - خَطْبًا وَأَنْفُ الْفَعْلِ لَا يَقْرَعُ (٧)

- (١) يقول : إني مولع الآن بالكيد والاساءة إلى ما ساءت تلك الأيام التي ألب فيها ، منا الزمن للوأي ، حين كنا أخوين متآلفين ، وفي الأصل : « كأنا لم يولينا » .  
 (٢) وفي الأصل : « إذ الدنيا » ، « أي سُرورها » . (٣) تَعْلًا .  
 (٤) الأدمان - بالفتح - شجر الحبة ، وفي أكبر من القول وأصغر من الشر ، الأدمان : بضم فسكون قالوا إنه جمع إدماء كحمراء وفي الطبعة الخالصة البيضاء ، قال ذو الرمة :  
 من المؤلغات الزمل أدماء حرة شعاع الضحى في منها يتوسح  
 وصح بعض الامويين أن أدمانة مفرد تكسامة وإذن هي مراد لأدماء ، وتطاولوا : تتطاول إلى الشر لتتناول منه . (٥) تميل .  
 (٦) دع غواية هذه المذاكرة فلها أطوع لسواها أعدائك وما سيك ولن تستطيع أن تغلب على كيدهم وغوايتهم ، وفي الأصل : « هي لبنيهم أطوع » .  
 (٧) قرع الألف رمز الهوان ، قالوا : وغص الألف بالضرب لأنه عمل الأئمة والكبير والشهم .  
 والعرب تقول في أمثالها : « أنف الفحل لا يقرع » وفي تهو : فخطب الكفء .  
 والأصل طل الأبل إذا ضرب وجهه من اللقاة التي يريدون تتاجها منه .  
 قالوا : وقتل به أبو سفيان بن حرب حين طاعه زواج النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ابنته أم حبيبة قال :  
 « ذاك الفحل لا يقرع أخه » .  
 وفي الأصل : « وأنف الفحل لا يقرع » يقول : إن العظيم لا يهن عزه أمام المخطوب والكوارث ، ويكون ذلك في هذا عزاء وتصلب أي خطب إن أنك بعدد رجب ، غير واحد على تلك المرأة الخادرة التي لا قيمة لها ولا خطر .

وَلَا تَكُ مِنْكَ تِلْكَ الدَّارُ بِالرَّأْيِ وَلَا الْمَسْمَعِ  
فَإِنْ قُصَّارَكَ الدَّهْلِيَّزُ، حِينَ سَوَّاهُ فِي الْمَضْجَعِ<sup>(١)</sup>

### جَرَّبَ النَّاسَ وَأَمْتَحَنَ

خُنْتُ عَهْدِي وَلَمْ أَخُنْ بِمَتَّ وَدَى بِلَا ثَمَرِ  
قَائِلًا : « هَلْ مُرِيدُ رَاجِحًا ؟ ثُمَّ مَن يَزِنُ »<sup>(٢)</sup>  
عُدَّتِي كُنْتُ لِإِزْمَا نِ ، فَقَدْ حُلْتُ وَالزَّمَنُ<sup>(٣)</sup>  
أَرْخِصَ الْبَيْعَ كَيْفَ شِئْتَ وَذَرْنِي ، لَتَنْدَمَنَّ<sup>(٤)</sup>  
سَوْفَ تُبْنَى بِفَيْرِنَا ، جَرَّبَ النَّاسَ وَأَمْتَحَنَ

(١) وتأس تلك الدار التي كانت ذكريتها بحث آلامك وأحزالك ، فليس لك أمل في اكتساب ودها ، وقصارى ما تميل إليه أن تكون في المحلّيز حين ينعم غيرك بالمصنع .

(٢) مت عهدي رحيماً مع صدق ودادي لك ، وأخفت تدال عليه في السوق زاهداً فيه باحاً ممن يشتره بأبجس الأمان . (٣) كنت عدتي التي أحلّوب بها الزمن فأصحت حرباً على أت والزمن . وقريب من هذا المعنى وأدق منه وأروع قول ابن الرومي :

« تحذتكمو دروا لیساً : تمنوا سهام المدا هي فكمتم لهاها  
وقد كنت أرحو منكم خير ناصر على حين حلال المين لهاها »

إلى أن يقول :

« بقفوا وقفة للمنور عن بنجوة وحلوا نبال المدا ونبالها »

وقول الماتلأ :

« واخوات حبهو دروا فكانوها ، ولكن للأماي وحبهو مهاما صاببات فكانوها ، ولكن في مؤادي وقلا : « قد صفت منا قلوب لفصدقوا ، ولكن عن ودادي »

(٤) ازهد في ودی كما شئت فوالله لتندمن على زهادتك في ، وما أحل قول ابن الرومي .

« واربا بودی أن یزال فانی فی غیر ذاك من الأمور أرضی لیاك لا تستل ما أرخصته بطرا ، فأفلى منه ما لا أرضی سترى - مؤاسترتی وطلبتی - ألی سألهم عن ذاك وعمرهم »

## في مدح ابن جهور

« قلها في مدح أبي الخزم بن جهور  
أحد ملوك الطوائف »

هَذَا الصَّبَاحُ عَلَى سُرَاكِ رَقِيًّا      فَصَلِّي بِفَرَعِكَ لَيْلَكَ الْغَرِيْبَا <sup>(١)</sup>  
وَلَدَيْكَ - أَمْنَالِ النُّجُومِ - فَلَا تَدُ      أَلِفَتْ مَمَاءُكِ لَبَّةً وَتَرِيَا <sup>(٢)</sup>  
لِيَتَّبِعَ عَنِ الْجُوزَاءِ قَرَطُكَ كَلَّمَا      جَنَحَتْ تَحْتُ جَنَاحَهَا تَقَرِيَا <sup>(٣)</sup>  
وَإِذَا الْوَشَاحُ تَعَرَّضَتْ أَثْنَاوُهُ      طَلَعَتْ ثُرَيَّا لَمْ تَكُنْ لِنَقِيَا <sup>(٤)</sup>

(١) سراك : سيرك ليل ، الريب : الشديد السواد يقول كاد السباح يعضك فصي سواد الليل بسواد  
شعره ، أليس شعره كالليل ، قال ابن بسام :  
قوله : « فصل جرك ليلته الغريبا » من قول أبي الطيب :  
« كسفت ثلاث دوائف من شعرها في ليلة ما رت ليل أرسا »  
وينظر إلى قول المرعي :

« يود أن طلام الليل دام له وزيد به سواد القلب والصر »

والتهامي :

« وتود لو حطت سواد قلوبها وسواد أعينها سواد هذا »

وقال محمد بن حاتم :

قد أطلقوا بهمج منها جرحهم فتكورت شمس النهار نصبها  
واستأفوا بشتاتها مجرا ، ظو عقدوا نواصيها أمادوا السحب

(٢) الابه بوزن الابه البحر - والقرب : واحد ترائب الصدر ، وهي موضع القلافة منه - واللي ليدك  
قلافة شبيهة بالنجوم تسكن سماء البحر والصدر ملك كما تسكن الحوم السماء - وأمثال النجوم بالنصب حال  
من قلافة الكره مقدم عليه ، وهو الذي سوغ مجيء صاحب الحال نكره ، قال ابن مالك :  
« ولم يتكرر غالبا ذو الحال إن لم يتأخر » ومن شواهد قوله : « وما لام عسى مثلا إلى لام »  
فقطها بالنصب حال من لأم الكرة ، ويحوز أن يكون أمثال مبتدأ خبره ليدك وتلاذ بدلا منه .  
(٣) الجوزاء : نجم يمتد في جور السماء أي وسطه ، شبه قراطها بالجوزاء وجنت أي مالت مرة  
كانها طائر يمتد جناحه . يقول أبي عن الجوزاء قراطك إذا مالت مغربة لتب في الأفق .

(٤) الوشاح : أدوم ينسج حريرا ويرصع بالجوهر وتشد الرائحة بين ثيابها وكشدها وتشد الثياب إذا  
تعرضت أي سارت معوجة بالوشاح للمعوجة أمثاله - وأثناء الوشاح ما أنش منه ، قال اسرؤال القيس :  
إذا ما أنش في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح للصل  
أي أوجت ولم تستقم في سيرها أعوجاج ما أنش من الوشاح على جارية اتشدت به .

وَلَهَامَا أُبْدَيْتِ إِذْ حَيَّتِنَا كَفَاهِي الْكَفَّ الْخَضِيبُ خَضِيبَا

\*  
#

أُطِينَتَ ، دَفَوَى الْبَرَاءَةِ شَأْنَهَا أَنْتِ الْعَدُوُّ فَلِمَ دُعِيتَ حَبِيبَا<sup>(١)</sup>  
مَا بَالُ خَدِّكَ لَا يَزَالُ مُضَرَّجًا يَدَمٍ وَلَحْظُكَ لَا يَزَالُ مُرِيًّا<sup>(٢)</sup>  
لَوْ شِئْتِ مَا عَذَّبْتِ شُجْعَةَ عَاشِقٍ مُسْتَعْذِبٍ فِي حُبِّكَ التَّعْذِيبَا  
وَلَزُرْتِهِ - بَلَّ عَذْبَتِهِ - إِنَّ الْهَوَى مَرَضٌ يَكُونُ لَهُ الْوِصَالُ طَبِيبَا  
مَا الْمَجْرُ إِلَّا الْبَيْنُ لَوْلَا أَنَّهُ لَمْ يَشْخُ فَاهُ بِهِنَّ الْغُرَابُ نَعِيمَا<sup>(٣)</sup>

(١) يا منية بقل العاشقين يا محضرة الكعب بدمهم أنت العدو فكيف دعوتك تلك حياء .

(٢) مثله قول الحمصي :

« عيناك قد اعتربا بدمي وعلى خديك توردته »

(٣) شعا فاه بشعره : دمه ، والعيب والفتاب : صوت الغراب ، وانفى : ما الهجر إلا البين إلا أن الغراب في هذه المرة - لم يفتح فاه ليندونا بذلك الهجر المعبى ، والعيب ندير الغراب عند العرب ، ويسمون الغراب الأبقع غراب آتية ، هل عترة :

« طلع الذين فراقهم أتوقع وحرى بينهم الغراب الأبقع »

وقال نازية الدياني :

« زعم الأحة أن رحلتهم فدا وذاك تناب الغراب الأسود

لا سرحا يند ، ولا اهلا به إن كان تمرق الأحة في حد »

وقال فليس ابن فديح :

« الا يغراب اليب ، قد نزلت بالني أحذر من لى فهل أنت واقع

ولمك لو أبنتها : قبلى اسلمى بكت حذرا وأرسل منها المدامع »

وقد المعرى : « نى من الفرن ليس على شرع يحبرنا أن التنبؤ إلى صنف

أسدله في صريره ، وقد امتزت صحابة موسى سد آياه التبع »

وقال في رثاء الغريب المرتضى :

« من شاعر لا ين طاف نصيدة رثى الغريب على روى الفتاف »

إلى آخر هذه الأبيات التي لاحظ بها إلى تفصيلها .

وقد شد أحد الشعراء : انتهى باللائمة على من ذهب هذا الذهب الخالص في ذم الغراب ، وبرأه من تهمة

التفريق ، قال :

والناس يلحون غراب البين لما جهلوا

وهل غراب البين إلا ناقة أو جمل

وما على طهر غراب البين تطوى الرحل

وَلَقَدْ قَضَىٰ فِيكَ التَّجَلُّدُ نَحْبَهُ      فَتَوَىٰ وَأَعْقَبَ زُفْرَةً وَنَحْيَا  
وَأَرَىٰ دُمُوعَ الْيَمِينِ لَيْسَ لِفَيْضِهَا      غَيْضٌ إِذَا مَا الْقَلْبُ كَانَ قَلِيًّا

\* \*

مَالِي وَلِلْأَيَّامِ لَجَّ مَعَ الْمَصَابَا      عُدْوَانُهَا فَكَسَا الْعِذَارَ مَشِيْبَا  
عَقَّتْ هِلَالُ السَّنِّ قَبْلَ تَمَامِهِ      وَذَوَىٰ بِهَا غُصْنُ الشَّبَابِ رَطِيْبَا  
لَا أَلَمْ بِي مَا لَوْ أَلَمْ بِشَاكِنِي      لِأَنْهَالَ جَانِبُهُ فَصَارَ كَثِيْبَا<sup>(١)</sup>  
فَلَنْ تَسْمِي الْحَادِثَاتُ فَقَدْ أَرَىٰ      لِلْجَفْنِ فِي الْمَضْبِ «الطَّرِيرُ يُدَوِّبَا»<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْ نَحِيْتُ لِأَنْ أَضَامَ «وَجَهْوَرُ»      نِعَمَ النَّصِيرِ لَقَدْ رَأَيْتُ حِيَا  
مَنْ لَا تُعْدِي النَّائِبَاتُ لِجَارِهِ      زَحْفًا وَلَا تَحْمِي الضَّرَاءَ دَيِّبَا<sup>(٣)</sup>  
مَلِكُ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهُ مُوَفَّقٌ      مَا زَالَ أَوَابًا إِلَيْهِ مُنِيْبَا  
يَأْتِي رِضَاءُ مُعَادِيَا وَمُوَالِيَا      وَيَكُونُ فِيهِ مُعَاقِبَا وَمُثِيْبَا  
مُتَمَرِّسٌ بِالْدُّهْرِ يَقْعُدُ صَرْفُهُ      إِنْ قَامَ فِي نَادِي الْخُطُوبِ خَطِيْبَا

- (١) للمنى : لقد نزل بى ملو رل مجمل شامق لسط جابه صار كتيبا ميلا أى رمل قد هيل واضر - وهو مأخوذ من قوله تعالى « يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا »
- (٢) لئسى : أى تجتنبى مكروها من قولهم سامه حسفا إذا أولاه إياه وأراد به عليه - والجفن : التمدد - والمضب : السيف - والطير : القاطع - والندوب : جمع نوب بنصحن وهو فى الأصل أثر الجرح فى الجسم إذا لم يرمح من الجلد - وأراد به هنا أثر الصداقى يلو رند السيف لطول مكته فى التمدد - والمنى فلان يبرنى طول اللكت فى السجى فان السيف يصدأ بطول اللكت فى الجفن .
- (٣) تسمى : بالتضيق تحضر وسرع فى العدو - وزحفا من زحف الجيش - والضراء : من قولهم فلان يهوى الضراء إذا مضى مستخيا فيما يولرى من القجر - والديب : مصدر ديب القمل والشبح معنى على هيئته للمنى : نعم النصير جهور من لا تسرع التناثبات إلى جاره رحا ولا تدب إليه مستطية .

لَا يُوسَمُ الرَّأْيُ الْفَطِيرُ بِهِ وَلَا  
تَأْبِي ضَرَائِبُهُ الضُّرُوبَ تَفَاسَةً  
بَسَامُ تَغْرِ النَّشْرِ إِنْ عَقَدَ الْحَبَا  
مَلَأَ النَّوَاطِرَ صَامِتًا وَلَرُبَّمَا  
عَقْدُهُ تَأَلَّفَ فِي نِظَامِ رِيَاةٍ  
يَنْشِيُ التَّجَارِبَ كَهَلُمُ مُسْتَعْنِيَا  
وَإِذَا دَعَوْتَ وَلِيَدَهُمْ لِعَظِيمَةٍ  
يَعْتَادُ إِذْ سَالَ الْكَلَامُ قَضِيًّا<sup>(١)</sup>  
مِنْ أَنْ تَقِيسَ بِهِ النَّفُوسُ ضَرِيًّا<sup>(٢)</sup>  
فَرَأَيْتَ وَضَاحًا هُنَاكَ مَهِيًّا<sup>(٣)</sup>  
مَلَأَ السَّمَاعَ سَامِعًا وَنَحِيًّا<sup>(٤)</sup>  
نَسَقَ اللَّالِي مَنْجِيًا وَنَحِيًّا  
بِقَرِيحَةٍ هِيَ حَسْبُهُ تَجْرِيًّا  
لَبَّاكَ وَرَفَاقَ السَّمَاحِ أُدِيًّا<sup>(٥)</sup>

(١) الرأى الفطير : ما به عجة وأصله من احتياز المعين قبل أن يجتم - والتضيب : للفتض من قولهم اقتضب الخطبة والكلام أى أرسها من غير إعداد وتهية - والمعنى : أنه لا يسم بسمه المعجزة فى الرأى ولا يرسل الكلام مفتضا مرتعلا من غير إعداد له ورياسة عليه .

(٢) ضرائبه : سبائاه - والضروب : جمع ضرب وهو التل والتجيه كالضرب ، أى تمنع سبائاه أن يكون له أمثال وأشياء نفاسة بذلك الخلال الكريهة أى ضاها وأاء من أن تقيس به النفوس ضربا وشيها (٣) الحيوه : كدرة وسدرة تجمع على حيا كدرف وسدر ، والاحتيا أن يضم الجالس رجليه إلى بطنه ويضمهما مع ظهره بثوب وقد يمتحي يديه ، وهو يوم مقام إسناد الظهر إلى حائط أو نحوه ، أى أنه كثير الانشغال فى طلائفه ويتر أن جلس محتيا فنظرت منه وساح الجبين مشرق الطمة مهيا .

(٤) المعنى : أنه ملأ النواطر - روعة وهية فى حال صمته وللسمع حكمة ويانا سامعا من الناس ومجيا قال ابن سمام :

قوله : « ملأ النواطر صامتا » من قول ابن زيدون أيضا :

سألناها واحمل بكاك حوايا نحمد الشوق سائلا ومجيا

وينظر أيضا إلى لفظ هذا البيت دون صفاء قول أبى الطيب :

فذاك حسدك الرئيس واسكوا وذاك خالفك الرئيس الأكبرا

خلفت صفاتك فى الميوس كلامه كالخط يملأ مسمى من أبصرا

ويلمح أيضا هذا البيت قول أبى نواس - على ما فسره بضم الناس -

« ألا فاسقى حرا وقل لى : من الحمر » وهذا التعبير فيه أضغف الوجوه ، وبيت بن شرف أشبه من هذه

كلها بيت ابن زيدون ، وهو قوله يمدح صاحب القديوان :

سل عما وقلقى به وانظر إليه نجد سلء للسمع والامواه وللقل

(٥) لبك : أجاك - ورفاق السباح : يريد أن سباحه يفرق أى يجرى كالإله جريا مهلا - وأديا :

لها أريا بلأه المهمة أى حاتلا .

هَمُّ تَنَافُسِهَا النُّجُومُ وَقَدْ تَلَا فِي سُودَدٍ مِنْهَا الْعَقِيبُ عَقِيبًا  
وَتَحَاسِنُ تَنْدَى رَقَاتِنُ ذِكْرِهَا فَكَأَدُ تَوْهَمِكَ اللَّدِيحِ نَسِيبًا <sup>(١)</sup>  
كَالْأَسِيخِ أَخْضَرَ نَضْرَةً، وَالْوَرْدِ أَخْمَرَ بَهْجَةً، وَالسَّكِّ أَذْفَرَ <sup>(٢)</sup> طِيْبًا  
وَإِذَا تَفَنَّنَ فِي اللِّسَانِ ثَنَاؤُهُ فَافْتَنَّ لَمْ يَكُنِ الْمُرَادُ غَرِيبًا <sup>(٣)</sup>  
غَالِيًا بِمَا فِيهِ فَغَيْرُ مَوَاقِعٍ سَرَفًا وَلَا مَتَوَقِّعٍ تَكْذِيبًا <sup>(٤)</sup>

\* \*

كَانَ الْوُشَاءُ وَقَدْ مُنِيتُ بِإِفْكِهِمْ - أَسْبَاطَ يَعْقُوبٍ وَكُنْتُ الْذَّيْبَا <sup>(٥)</sup>  
وَإِذَا الْمَنَى يَقْبُولُكَ الْغَضُّ الْجَنَى هَزَّتْ ذَوَائِبُهَا فَلَا تَثْرِيَا  
أَنَاسِيْفُكَ الصَّدَى الَّذِي - هَمَّا تَشَاءُ تُعِدُّ الصَّقَالِ إِلَيْهِ وَالتَّذْرِيَا <sup>(٦)</sup>  
كَمْ صَاقِي مِنْ مَذْهَبٍ فِي مَطْلَبٍ فَتَنِيَّتُهُ فُسُحُ الْمَجَالِ رَحِيَا  
«وَرَهَا» جَنَابُ الشُّكْرِ - حِينَ مَطَرَتُهُ بِسَحَابِ النَّعْمَى - فَرَدَّ خَصِيْبَا <sup>(٧)</sup>

(١) قال ابن بلام :

قوله : « فكأد توهمك للديح نسيباً » من قول أبي تمام :

(٢) أذفر : ذكى طيب الريح .

طاب بك اللديح والد حق فاق وصف البيار والنشيبا

(٣) إذا تفنن : أى أطرده مدحيه فى اللسان - فافتن : أى أخذ فى فود وضروب من المدح لم يكن

مراد اللادح غريباً لأنه يستعمل فى صفاته بقول .

(٤) مواقع : مدان ، والمتوقع : للتنظر - والمعى : بالغ مادحه بما فيه من الصعات فلم يكن مدانياً  
إفراطاً ولا متغرفاً تكديبا .

(٥) منيت بليت - والملك الكذب والتحديث بالباطل ، يريد أنه يرى مما أبلى به من إفكهم براءة

الذئب من دم ابن يعقوب .

(٦) التذريب : التعديد .

(٧) وجد هذا البيت فى الأصل وفى غيره من اللطائف ناصفا ، والزائدة بمطيا السياق .



\* \*

فَتَهْنَأُ الْأَعْيَادَ عَادَةً لِأَبْسٍ      نَبِيلِي الدَّرِيسَ فَبَسْتَجِدُّ قَشِيْبَا<sup>(١)</sup>  
وَمَتَى سَعَيْتَ لِتَنْزِاحِ مُتَعَدِّرٍ      فَوَجَدْتَهُ سَهْلَ الْمَرَامِ قَرِيْبَا<sup>(٢)</sup>  
وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْقَدْرُ الَّذِي      لَا تَسْتَطِيعُ لِحُكْمِهِ تَعْقِيْبَا

### عتاب

أَحِينَ عَلِمْتَ حَظَّكَ مِنْ وِدَادِي      وَلَمْ تَجْهَلْ تَحُكَّ مِنْ فُؤَادِي  
وَقَادَنِي الْهُوَى فَانْقَدْتُ طَوْعًا      وَمَا مَكُنْتُ غَيْرَكَ مِنْ قِيَادِي  
رَضِيتَ لِي السَّقَامَ لِأَنَّ جِسْمِي      كَحَلَّتِ الطَّرْفَ مِنْهُ بِالشَّهَادِ<sup>(٣)</sup>

\* \*

أَجَلْ عَيْتِكَ فِي أَسْطَارِ كُتُبِي      تَجِدُ دَمْعِي مِزَاجًا لِلْعِدَادِ<sup>(٤)</sup>  
فَدَيْتُكَ إِنِّي قَدْ ذَابَ قَلْبِي      مِنَ الشُّكْوَى إِلَى قَلْبِ جَمَادٍ

- (١) يقال تنهأ الطعام ونهأ به كما يقال تعلق الشيء وتعلق به - أي تنهأ بالأعياد غير محال مادامك فيها من إبلاء الثوب الدريس أي الخلق ، ولبس القشيب أي الحديد ، وهذا طبع قوله في البيت .  
فأبل وأخلف إنما أنت لاس لهدى أقبال القز وهي ثياب
- (٢) ومتى سميت لعل الأصل ولكم سميت الب - والذي يظهر أن هذه الأبيات التي غنمت بها هذه القصيدة ومعها شيء من التعريف بطيهر .
- (٣) يقول : « أحب أيقنت أني لا أمل أحداً علك من قلبي وعلت أني أسير هواك حزني على ذلك الاحلاس في الحب سقاماً وتعباً . وما أمل قول المهنون :
- وأديني حتى إذا ما فتنني يقول يحل العزم سهل الأبطال  
تأديت عسي حين لال حيلة وعادرت ما غادرت بين الجواع
- (٤) تأمل في سطور الكتب التي أبحث بها إليك تجد دمي محتلاً بدمادها .

## رثاء فتاة

« قال يرثي ابنة المعتضد المتوفاة قبل وفاته بثلاث »

مَرَكَ الدَّهْرُ وَسَاءَ قَافِرٌ شُكْرًا وَعِزًّا (١)  
 كَمْ أَفَادَ الصَّبْرُ أَجْرًا وَأَقْضَى الشُّكْرُ نَمَاءً (٢)  
 أَنْتَ إِنْ تَأَسَّ عَلَى الْفَقْدِ الْفَقَا وَاجْتَبَاءً (٣)  
 فَاسْلُ عَنْهُ غَيْرَةً وَأَحْسِلِ الرَّثَاءَ إِبَاءً (٤)  
 أَيُّهَا « الْمُعْتَضِدُ » الْمَنُصُورُ مَلَيْتَ الْبَقَاءَ (٥)  
 وَتَزِيدَتِ مَسْعَ الْأَيَّامِ عِزًّا وَعِلَاءً (٦)  
 إِنَّمَا يُكْسِبُنَا الْحُزْنَ نُهُنَا لَا غَنَاءَ (٧)  
 أَنْتَ طَلَبْتَ أَنْ دَاءَ الْمَوْتِ قَدْ أَغْيَا الدَّوَاءَ (٨)  
 فَتَأَسَّ (٩) إِنْ ذَاكَ الْخُطْبَ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ  
 وَمَسِيئَتِي الْمَلَأَ الْأَعْلَى إِذَا مَا اللَّهُ شَاءَ

\* \*

حَبْدًا هَدَى عَرُوسٍ دَفْنَهَا كَانَ الْمَدَاءُ  
 غَمَرَتْ حِينَهَا وَمَاءَ الْمَزْنِ شَكْلَيْنِ سَوَاءُ

(١) افن : الهم من فوهم ميت حياتي أي لرمته ، قال عنترة :

فأجبتها إن اللياسة منهل لا يد أن أسقى بذلك النهل  
 فاني حيائك لا أبالك واطلى أي امرؤ ساموت إن لم أقل

واللي : مرك الدهر وساءك فاشكره على أن مرك وتمر بذلك مما ساءك .

(٢) زيادة . (٣) الاجباء : الاصطماء .

(٤) ملئت البقاء : متحك الله بالبقاء . (٥) اللاء : الرمة .

(٦) إنما يكسبها الحزن ألما لا فائدة فيه ولا حموى منه .

(٧) أنت ظالم خير بأن داء الموت لا دواء له . (٨) اصبر .

نُمُّ وَلَتْ قَوَجَدْنَا أَرْجَ (١) الْمِسْكِ ثَنَاءَ  
جَمَعَتْ تَقْوَى وَإِخْبَا تَا (٢) وَقَضَلَا وَذَكَاهُ  
سَتَوَّى مِنْ جَاهِ الْكَوْثَرِ الْمَذْبِ رَوَاهُ (٣)  
حَيْثُ تَلَقَّى الْأَنْبِيَاءُ الشُّهَدَاءُ الشُّهَدَاءُ

\* \* \*

هَانَ مَا لَاقَتْ عَلَيْهَا أَنْ غَدَتْ مِنْكَ فِدَاءَ (٤)  
عُثِمُ أَحْبَابِكَ أَنْ تَبْقَى وَإِنْ تُمُوتُوا فَنَاءَ (٥)  
فَالْبَسِ الصَّنْعَ مُلَاءَ وَأَسْحَبِ السَّعْدَ رِدَاءَ (٦)  
وَرِثِ الْأَعْدَاءَ أَمَّا رَهُمُ وَالْأَوْلِيَاءَ (٧)

### في الغزل

مَا صَرَّ لَوْ أَنَّكَ لِي رَاحِمُ وَعِلَّتِي أَنْتَ بِهَا خَالِمُ  
يَهْنِيكَ يَا سَوْوَلِي وَيَا مُبَغْتِي أَنْكَ مِمَّا أَشْكِي سَالِمُ (٨)  
تَضَحَّكَ فِي الْحُبِّ وَأَبْكِي أَنَا اللَّهُ - فِيمَا يَنْتَنَا - خَالِمُ  
أَقُولُ لِمَا طَارَ عَنِّي الْكَرَى قَوْلَ مَعْنَى قَلْبُهُ هَائِمُ  
« يَا نَانَمَا أَيْةَ ظَنِّي حُبُّهُ هَبْ لِي رُقَادًا أَيُّهَا النَّاسُ » (٩)

(١) طيب . (٢) الاخبات : الخشوع . (٣) سترى من ماء الكوثر .

(٤) هون عليها حطب الموت أنها اخذتك بنفسها من الردى .

(٥) إن أحبابك ليهون و بقاتك أكبر موز لهم ولو اخذوك بأصهم .

(٦) الللاء والللاءة : الرطة ذات لفيق ، واللى : ارطى و حلل للمروف والسعادة .

(٧) وجهك لله أعمال أعدائك وأسمائك .

(٨) من أبديع ما قرأناه و هذا المسمى قول للعريف الرضى :

« أحوذ عليك - إذا امتلأت من الكرى - أنى أبيت بليقة لللسوع ،

(٩) يقول : « ليس من العداة أن نام وأسر ، فانم على بالكرى بعد أن يغلى جبرك » .

## تهنئة

« وقال يهنئ المعتضد وقد شرب دواء »

أَمَحَدَتَ عَاقِبَةَ الدَّوَاءِ      وَنِلْتَ عَاقِبَةَ الشِّفَاءِ  
وَخَرَجْتَ مِنْهُ مِثْلَمَا      خَرَجَ الحُسَامُ مِنَ الْجِلَاءِ  
وَبَقِيتَ لِلدُّنْيَا قَانِتَ      دَوَاوُهَا مِنْ كُلِّ دَاهٍ  
وَوَرِثْتَ أَعْمَارَ الْمَدَى      وَقَسَمْتَهَا فِي الْأَوْلِيَاءِ <sup>(١)</sup>  
يَاخِيزَ مَنْ رَكِبَ الْجَيَا      دَ وَسَارَ فِي ظِلِّ اللُّوَاءِ  
وَأَجْتَالَ يَوْمَ الْحَرْبِ قُدَّ      مَا وَاحْتَبَى يَوْمَ الْحِبَاءِ <sup>(٢)</sup>  
بُشْرَاكَ عَقْبِي صِحَّةٍ      تَجْرِي إِلَى غَيْرِ انْتِهَاءِ  
فِي دَوْلَةٍ تَبْنَى بَقَا      الدَّهْرُ آمِنَةً الْفِتَاءِ  
وَمَسَرَّةٍ يُفْضِي بِهَا      زَمَنٌ كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ  
وَأَشْرَبَ فَقَدْ لَدَّ النَّسِيمُ      وَرَقَّ سِرْبَالُ الْهَوَاءِ  
لِتَرَى بِكَ الْبَهْوَ الْمُطِلَّ      يَمِيسُ فِي حُلَلِ الْبَهَاءِ  
وَبَقِيتَ مَفْدِيًا بِنَا      إِنْ نَحْنُ جُزْأْنَا فِي الْفِدَاءِ <sup>(٣)</sup>

(١) قوله : « وقسمتها في الأولياء » يذكرنا قول العباس الأحف :

لو كنت هذا الحريد      لغذفيه حكي أو ضاني  
لطلنته لجمته      من كل أرض أو سماء  
قسمته بيني وبينه      من حبيب نفسي بالسواء  
حسني إذا ما حيد      ساء ، والأمور إلى انتهاء  
مات الهوى - من بعدنا -      أو طاش في أهل الوفاء

(٢) أجال : من إجابة القدامح في البسر ويناسبه قدام أي فار بالظفر والصر على الأعداد ، واجبال في الحرب وجال بمعنى واحد ويناسبها قداما بضمين - وللتخفيف بالإسكان في مثله جائز - ومعناه جال في الحرب يحضى قدام أي إلى الأمام ، والحباء : بالكسر المعطاء .  
(٣) فذلك أعمارنا إن كان يقبل ما هذا الفداء .

## تهنئة بفصد

« وقال بهنيه بفصد »

لِيَهْنِكَ أَنْ أُمَحَّدْتَ عَاقِبَةَ الْفَصْدِ      فَدَّهِ مِنَّا أَجْمَلُ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ  
وَيَا عَجَبًا مِنْ أَنْ مَبْضَعٌ قَاصِدٍ      تَلَقَّيْتَهُ لَمْ يَنْصَرِفْ نَاقِيَ الْخَدِّ  
وَمِنْ مُتَوَلَّى فَصْدٍ يُمَنَّاكَ كَيْفَ لَمْ      يَهْلُهُ عُبَابُ الْبَحْرِ فِي مُعْظَمِ الْمَدِّ  
وَلَمْ تَنْشَأْ الشَّمْسُ الْمُنِيرُ شُعَاعَهَا      فَيُخْطِئَ فِيمَا رَأَتْهُ سَنَنَ الْقَصْدِ

\*\*\*

سَرَى دَمُكَ الْمَهْرَاقُ فِي الْأَرْضِ فَاسْتَسْتِ      أَقَانِينَ رَوْحِي مِثْلَ حَاشِيَةِ الزُّرْدِ  
فِيصَادُ أَطَابِ الدَّهْرِ فَالْقَطْرُ فِي التَّرَى      كَمَا طَابَ مَالُهُ الْوَرْدِ فِي الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ  
لَقَدْ أَوْفَتْ أَلَانِيَا بِمَهْدِكَ نُصْرَةً      كَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَهَا كَرَمَ الْعَهْدِ<sup>(١)</sup>  
لَدَى زَمَنِ غَضٍّ أَبْيَقَ فِرْنَدُهُ<sup>(٢)</sup>      كَيْفَ لَمْ يَرِنْدِ الْوَرْدِ فِي خَجَلَةِ الْخَدِّ  
تُسَوِّغُ مِنْهُ الْعَيْشُ فِي ظِلِّ دَوَالَةٍ      مُقَابَلَةً الْأَرْجَاءِ بِالْكَوْكَبِ السَّعْدِ

\*\*\*

فَهَبْ إِلَى الْأَذَاتِ مُؤَمِّرَ رَاحَةٍ      تُجْمِثُ بِهَا<sup>(٣)</sup> النَّفْسَ الْفَاسِدَةَ لِلْكَدِّ<sup>(٤)</sup>  
وَوَالِ بِهَا فِي لَوْلُورٍ مِنْ جَنَابِهَا<sup>(٥)</sup>      كَجِيدِ الْفَتَاةِ الزُّوْدِ فِي لَوْلُورِ الْعِقْدِ  
وَإِنْ تَدْعُنَا لِلْأَنْسِ - عَنْ أَرْجِيحَةٍ -      فَفَدِّ يَا نَاسُ الْمَوْتِ إِذَا أُرْتَاحَ بِالْعَبْدِ

(١) يقال روى بالهد أو بالهد وكلاهما بمعنى واحد قال تعالى « وأودع بهد الله » ومعنى البيت لقد همدتك الدنيا على الصرة وودت بالهد ولم تنفضه مكانك قد طمأنتها الوفاء وكرم العهد .

(٢) أبين الروى . (٣) ترتاح بها .

(٤) نعم : يقال حمت وأحمها هو أى تركها لتتجمع ما عاقده ، والمضى : انشغل إلى الأذات مصلا الراحة لليلة ، وترك نفسك لتتجمع ما عاقده من قوتها لتسألت الكد والعمل لمهام الدولة .

(٥) الجانب : الحاجة وما قرب من علة الغوم .

## في مدح ابن جهور

- مَا طَوَّلُ عَذْلِكَ لِلْمُحِبِّ بِنَافِعِ      ذَهَبَ الْفَوَادُ فَلَيْسَ فِيهِ بِرَاجِعِ<sup>(١)</sup>  
 فَتَدَّتْ حِينَ طَمِعَتْ فِي سُلُوَانِهِ      هِنَاهَاتٍ لَا ظَفَرُ هُنَاكَ لِطَامِعِ<sup>(٢)</sup>  
 فَذَعِيهِ خَيْثُ يَطْوِلُ مَيْدَانُ الصَّبَا      كَيْمَا يَجُرُّ بِهِ عِنَانُ الْخَالِعِ<sup>(٣)</sup>  
 مَاذَا يَرِيكَ مِنْ فَتَى عَزِّ الْهَوَى      فَعَنَّا لِنُخَوِّتِهِ بِذِلَّةٍ خَاصِعِ<sup>(٤)</sup>  
 هَلْ غَيْرَ أَنْ مَحْضَ الْوَفَاءِ لِنَاذِرِ      أَوْ غَيْرَ أَنْ صَدَقَ الْوَصَالُ لِقَاطِعِ<sup>(٥)</sup>  
 لَمْ يَهْوَ مَنْ لَمْ يُمْسِ قُرَّةَ عَيْنِهِ      سَهْرُ الصَّبَابَةِ فِي خَلِيِّ هَاجِعِ<sup>(٦)</sup>  
 وَاهَا لِأَيَّامٍ خَلَّتْ مَا عَثَرُهَا      - فِي حِينِ ضَيَعَتِ الْعُهُودُ - بَضَائِعِ<sup>(٧)</sup>  
 زَمَنْ كَمَا رَاقَ السَّقِيطُ مِنَ النَّدَى      يَسْتَنُّ فِي صَفَحَاتٍ وَرْدٍ يَانِعِ<sup>(٨)</sup>  
 أَيَّامٍ إِنْ عَتَبَ الْحَبِيبُ - لِهَفْوَةٍ -      شَفَعَ الشَّبَابُ فَكَانَ أَكْرَمَ شَافِعِ<sup>(٩)</sup>

- (١) العذل : اللوم ، والمضى : لا تمديه فليس العذل مانع مما ذهب فؤاده مع من يهواه فليس يرجعه كثرة اليوم والتعب . (٢) فتدت : أى نسبت إلى الكذب ودفع الرأى حين تطمعين في سلو محب يمد كل البد أن يظفر طامع في سلوانه بطائل .  
 (٣) الخالع : من خلع الفرس عذاره ألقاه عن نفسه فمدا بشره ، وهو مثل يضرب لمن أطلق من قيده ، يقول : اتركه وشأنه في الهوى حيث يقع له مجال الصبا ، وسراح الشاب ، كي يطلق لنفسه العنان في اللهو والراح . (٤) ماذا يريك : ماذا تكرهينه ويسوءك من فتي ، أو أى شيء يحملك منه في ربه وشك ، وعما : خضع وأطاع ، والنخوة : العظمة والكبر ، وهذا البيت يذكر ما بهول الفريضة الرضى : « لو حيث يستمع الحرار وقعنا لعجبنا من هزه وحضومي »  
 (٥) مصاه : هل يعرف غير محس الوفاء لمن قدر ، وحسن الصلة لمن حذر .  
 (٦) لم يذق طعم الهوى من لم يكن سهر الصبابة في خلى نائم حبيبا إلى غسه ، وقررة لعيه .  
 (٧) واهما : كلمة يتصحب بها من طيب الشيء وحسنه ، والمضى : ما عهدت لك الأيام التي تروق بهجتها بصالح عندي في حين ضيعت أنت كل الجهود .  
 (٨) راق : أعجب ، والسقيط : ماسقط من الندى على الزهر ، ويستن : ينصب كالدمع في صفحة الورد  
 (٩) قريب من هذا المعنى قوله في مطلع بآيته :

أما علمت أنت الشفيع شباب      فيقصر عن لوم المحب صواب  
 علام الصبا نحن يرف رواؤه      إذا من وصل الحسان ذهاب

مَالِي وَلِدُنِيَا غُرِزْتُ مِنَ الْمُنَى      فِيهَا يِبَارِقَةُ السَّرَابِ الْخَادِعِ  
مَا إِنَّ أَرَاكَ أَرْوَمُ شُهْدَةً عَاسِلٍ      أَنْحَى مُجَابَّتَهَا يَابِزَةً لَاسِعٍ<sup>(١)</sup>

\* \*

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الْبِلَادِ إِذَا نَبَتْ      أَنْ لَسْتُ لِلنَّفْسِ الْأَلُوفِ يَبَاخِعِ<sup>(٢)</sup>  
أَمَّا الْهَوَانُ فَصُنْتُ عَنْهُ صَفْحَةً      أَغْشَى بِهَا حَدَّ الزَّمَانِ الشَّارِعِ<sup>(٣)</sup>  
فَلَيْزُغِمِ الْخَطَّ الْمُوَلَّى أَنَّهُ      وَلَّى فَلَمْ أَتْبِعْهُ خُطْوَةً<sup>(٤)</sup> تَابِعِ  
إِنَّ الْغَنَى لَهُوَ الْقَنَاعَةُ لَا الَّذِي      يَشْتَفُ نُظْفَةً مَاءٍ وَجْهَ الْقَانِعِ<sup>(٥)</sup>

\* \*

اللَّهُ جَارُ « الْجَهْوَرِيِّ » فَطَالَمَا      مَنِيتُ<sup>(٦)</sup> صَفَاءَهُ<sup>(٧)</sup> الدَّهْرِ مِنْهُ بِقَارِعِ

(١) شهدة : بالعم والفصح واحدة الشهد وهو الصل مادام لم يصبر من شمه ، والعاسل : الذي يشتار الصل أى يأخذه من الخلية ، والمجاجة : ما يجبهه الجمل من الصل ، وبين « عاسل » و « لاسع » حاس القلب ، والمعنى : مارلت أظلم من الدنيا أملا يحكى مجاجة طائل حتمها إبرة لاسع .

(٢) نبت : لم يوافقه المقام بها قال : « وإذا نبلك منزل فتحول » ، ولابع : مزق نفس وقائلها مما والمعنى : من يبلغ عى ساكى تلك اللاد التي نرحت عنها مع سدة تعلق بها أن لسب بقائل نفس أسفا ومما على موارفتها إذا نبت فى ولم تواضى الاقامة فيها ، وى موى التحول من منزل الصبح قول شار : إذا أمكرتنى لجة أو مكرتها خرجت مع البازى على سواد

أى على بقية من سواد الليل .

(٣) الشارح : من شرع نحوه حد السيف أو الزمخ وأشرعه سنده له وهو ظهير قول الآخر :

نرضى للظمان إذا التقيأ وحوها لا نمرضى للسباب

(٤) بالضم ما بين القدمين وتجمع على خطا وخطوات .

(٥) النظمة الماء : التقليل ، ويشتمها : يضربها عن آخرها ، يقال اشتب فى شربه إذا أتى على آخر ما فى الإناء فلم يثر ، والمراد هنا أنه يريقها كلها عند السؤال ، والفتاح : السائل ، وفى الكتاب الموزن « وأطعموا القانع والمتم » وهو من قنع - بالفتح - قنونا إذا سأل ، لامن قنع - بالكسر - قناعة إذا رضى ولم يرق ماء وجهه بهذا السؤال ، يقول أن الغنى عى النفس بالقناعة لا عى المال الذى يستنزف فيه السائل ماء وجهه ، وبشتب آخر قطرة من حياته .

(٦) ابتليب .

(٧) الحبر العريض الأملس ويجمع على صفا .

مَلِكٌ دَرَى أَنَّ الْمَسَاعِيَ مُنْمَعَةٌ      فَسَعَى فَطَابَ حَدِيثُهُ لِلْسَّامِعِ  
 شَيْمٌ هِيَ الزَّهْرُ الْجَنِيُّ تَبَسَّمتْ      عَنْهُ الْكَمَامُ فِي الضَّحَاءِ <sup>(١)</sup> الْمَاتِعِ  
 أَغْرَى مُنَافِسَهُ لِيُذْرِكَ شَاوُهُ      فَشَاءَ بِالْبَاعِ الطَّوِيلِ الْوَاسِعِ <sup>(٢)</sup>  
 ثَبَتُ السَّكِينَةَ فِي النَّدَى كَأَنَّمَا      تِلْكَ الْحَبَا لِيَقْتِ بِهَضْبٍ مَتَالِعِ <sup>(٣)</sup>  
 عَذْبُ الْجَنِيِّ لِلْأَوْلِيَاءِ فَإِنْ يَهْجِ      قَالِمٌ يَا بِي أَنْ يَسُوغَ لِحَارِجِ

\* \*

يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَاطَ الْهُدَى      لَوْلَاكَ كَانَ حَمَى قَلِيلَ الْمَاتِعِ  
 أُنِسَ الْأَنَامُ إِلَيْكَ فِيهِ ، فَهَمُّ بِهِ      مِنْ قَائِمٍ أَوْ سَاجِدٍ أَوْ رَاكِعِ  
 مُتَبَوِّثُونَ جَنَابَ عَيْشٍ مُوْتِقٍ      مُتَفَيِّثُونَ ظِلَالِ أَمْنٍ شَانِعِ  
 فَلْتَضْرِبَنَّ مَعَهُمْ بِأَوْقَرِ شِرْكَةٍ      فِي أَجْرِهِمْ مِنْ مُوتِرٍ أَوْ شَافِعِ  
 خَيْرُ الشُّهُورِ اخْتَرْتَ عِنْدَ طُلُوعِهِ -      خَيْرَ الْبِقَاعِ لَهُ بِأَسْعَدِ طَالِعِ <sup>(٤)</sup>

(١) النهار دل اهتمامه بقليل وزمنه بعد زمن الضحى .

(٢) المرتفع .

(٣) الشَّوْ : الطلق والشوط والماية ، وشَاءَ : سبقه .

(٤) الندى : المجلس ، والها : بالغم والكسر جمع حبه وهي أن يجمع الجالس ساقيه إلى بطنه يديه أو يجمع ظهره وساقيه بثوب ، والاحتباء من طادة العرب وهو يمتنع الجالس من السقوط ويعتنيه عن الجدار الذي يسد إليه ظهره ، وليت : لمت وطويت حوله كما تطوى السامه ، واللقى : أنه وقور في مجله راسط الجأش كأنما شدت تلك الحبا منه على طود من الصخر تتحدو عنه مسايل الماء .

(٥) يقول إن شهر العياد وهو خير الشهور قد اختارت له خير البقاع عند طلوعه بأسعد طالع .



## شكر

« وقال أيضا وقد أباح له المعتضد التنزه مع

حرمة في إحدى جناته . »

فَمَرَّ نِي لَكَ الْإِيَادِي <sup>(١)</sup> الْبَيْضُ      نَشَبُ <sup>(٢)</sup> وَافِرٌ وَجَاءَهُ عَرِيضُ  
كُلُّ يَوْمٍ يَجِدُ مِنْكَ أَهْتِيَالُ <sup>(٣)</sup> ،      هَهُنَا سُكْرِي عَلَيْهِ غَضُّ عَرِيضُ <sup>(٤)</sup>  
بَوَّأْتَنِي <sup>(٥)</sup> نَعْمَاكَ جَنَّةَ عَذْنٍ      جَالٌ فِي وَصْفِهَا فَضْلُ الْقَرِيضُ  
مُجْتَنِي مُدْنٍ ، وَظِلُّ بَرُودٍ ،      وَلَنَسِيمُ - يَشْنِي النُّفُوسَ - مَرِيضُ <sup>(٦)</sup>  
وَمِيَاهُ قَدْ أَخْجَلَ الْوَرْدَ أَنْ مَا      رَضَ تَذْهِيئُهُ لَهَا تَقْضِيضُ  
دُلْمَا غَنَّتِ الْحَمَامُ قُلْنَا :      « مَعْبَدُ - إِذْ شَدَّ - أَجَابَ الْقَرِيضُ » <sup>(٧)</sup>

(١) النعم . (٢) النشب : اللال والمغار . (٣) هم .

(٤) العريض : ماء الطر ، وكل أبس طري ، والشي : أي أطهر منك كل يوم سم جديد أياه منك

شكر حديد . (٥) أحتي أو أزلتي أو أسكنتي .

(٦) يعد الحنة التي أله فيها ممدوحه بأن قلوبها دانية وطلها ظليل واسمها عليل يشي النفوس .



## (٧) معبد والعريض

هذان من أعلام اللوسقي العربية وقد كانا متعاصرين ، وقد ذاع صيتهما حتى أصبحا مضرب الأمثال في أحاديث البناء والافتخار ، وقد كان معبد يقدر نوع العريض ويشيد به ، كما يدل على ذلك قصة صارفهما التي ترك لسعد روايتها بأسلوبه المتع ، قال :

« خرجت إلى مكة في طلب لقاء العريض ، وقد بلى حسن شأنه في الحة :

وما أس ملأ شيء لا أس شادنا      بكة مكحولاً أسبلا مدامعه

وقد كان يلقي أنه أول لحن منه ، وأن الحن نه أن يبنه لأنه متن طاعة منهم فانطلقوا من مكة من أجل حسنه وفي هذا التمهيد ما يدل على تصورهم واحتقادهم في ذلك العصر ، فقد سحرتهم ألحان العريض ففسوا إليها الصبرات وأنشأوا حولها الأساطير .

قال مريد :

ظنا قدمت مكة سألت عنه فذلت على منزله فأتيته ، فخرج الباب ، فساكني أحد ، سألت بعض الجيران  
 هل في الدار أحد ؟ فقال لي : نعم فيها القريض ، قلت : إني قد أكثرت دق الباب فما أجابني أحد  
 قالوا : إن القريض هناك ، فرحمت فدفقت الباب ، فلم يجني أحد ، قلت : إن نسي غنائى يوما نسي اليوم  
 فاندفعت مسيت لحى في سمر جيل ، فوافقه ما سمعت حركة الباب ، قلت : بطل سحري ، وسامح سحري  
 وحشت أطلب ما هو صير علي واحشرت نسي ، وقلت : لم يوهي لصف غائى عنده ، فما شعرت إلا  
 صائح يصيح يا مريد للمنى ، اهدم وتلق عى ، سمر جيل الذى تبي فيه ياشق الجيف ، وفى :  
 « وما أس مل أشياء لا أس قولها . . . »

( قال ) فقد سمع شيئا لم أسمع أحسن منه وقصر إلى نسي وعلت فصيلته على بما أحسن من غيه ،  
 وقلت : انه لحري بالاستتار من الناس تنزيها لنفسه وقسطها لغيره وإن مثله لا يستحق الاتidal ، ولا أن  
 تتداوله الرجال ، فاردت الانصراف إلى المدينة راجعا ، فلما كنت غير بعيد إذا بصائح يصيح بى :  
 يا مريد انظر أ تلك فرجعت ، فقال : إن القريض يدهوك ، فأصرع فرحا فدنوت من الباب . فقال لي :  
 آتيت المخلول ، قلت : وهل إلى ذلك من سبيل ، فخرج الباب ففتح ، فقال لي : ادخل ولا تطل الخلوس فدخلت  
 فإذا شمس طالعة فى بيت ، فسلمت فرد السلام ثم قال : اجلس لجلس ، فإذا أنزل الناس وأحسنهم وجهاً  
 وخلفاً وخلقاً ، فقال : يا مريد كيف طرأت إلى مكة ، قلت : جئت مداءك وكيف عرفنى ؟ فقال : بصوتك  
 قلت : وكيف وأنت لم تسمعه قط ؟ قال : لما غنيت عرفتك به وقلت : إن كان مريد فى الدنيا بهذا ،  
 قلت : جئت فذاك فكيف أجتى بجوك : « وما أس مل أشياء لا أس قولها » ، فقال :  
 قد طلت لك تريد أن أسمك صوتى :

« وما أس مل أشياء لا أس شادنا بمكة مكحولاً أسبلا مدامه »

ولم يكن لى ذلك سبيل لأنه صوت قد نبيت أن أغنيه فتنتبك هذا الصوت جواباً لما سألت وفتيت ،  
 قلت : والله ما عدوت ما أردت بهل لك حاجة ، فقال لي : يا أبا عباد لولا ملالة الحديث ومهل إطالة الجلوس  
 لا ستكثر منك فأعز ، فخرجت من عنده وإنه لأجل الناس عدى ورجعت إلى المدينة ، فتحدثت بمحدثه  
 وحببت من فطنته وقيافته ، فما رأيت انساناً إلا وهو أجل منه فى حى .

\*  
 \* \*

ومما نختاره من أخبار مريد الطريفة ما حدث له فى السفينة ، فقد رووا عنه أنه كان قد علم الفناء حارة من  
 جوارى الحجاز تدعى ظليه وهى بتخريجها ، فاشترها رجل من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة  
 وباعها هناك فاشترها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذبحت به كل مذهب وقلت عليه ،  
 ثم ماتت - بعد أن أظنت عنده برهة من الزمان - وأخذ جوارى أكثر غنائها منها ، فكان لمحبته

إياها وأسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وأبن مستقره ويظهر التعصب له والليل إليه والتقديم لعنائه على سائر أهالي أهل عصره إلى أن عرف ذلك منه وبلغ معبداً خبره فخرج من مكة حتى أتى البصرة ، فلما وردها صادف الرجل وقد خرج منها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينة ، وجاء معبد يلتبس سفينة يتحدر فيها إلى الأهواز فلم يجد غير سفينة الرجل ، وليس يعرف أحد منها صاحبه ، فأمر الرجل الملاح أن يجلسه معه في مؤخر السفينة ففعلوا وانحدروا ، فلما صاروا في قم نهر الأيلة تفدّوا وشربوا وأسر جواربه ففنين ومعبد ساكت وهو في ثياب السفر وعليه فروة وخفان غليظان وزى جاف من زى أهل الحجاز إلى أن غنت إحدى الحواري :

بانت سعاد وأمسى حبيلها انصرما واحتلت المور فالأجراع من إضما

( والفناء لمبد ) فلم تجد أداءه فصاح بها معبد : يا جارية إن غناءك هذا ليس بمستقيم ( قال ) فقال له : مولاهم وقد نصب وأنت ما يدريك الفناء ، ما هو إلا أن تمك وتزعم شألك فأسك ، ثم غنت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت « يا بنة الأزدي قلبي كسب . . . » ( والفناء لمبد ) فأخلت يمينه ، فقال لها معبد : يا حارة لقد أخطف بهذا الصوت إحلالاً شديداً . فغضب الرجل وقال له : وبك ما أنت والفناء ، ألا تكفّ عن هذا الفضول . فأسك ، وغنى الجواري ملياً ثم غنت إحداهن :

خليلي عوجاً منكما ساعة مى على الريح قضى حاجة ونودع

( والفناء لمبد ) فلم تصنع فيه شيئاً ، فقال لها معبد : يا هذه أما تعوين على أداء صوت واحد ؟ فغضب الرجل وقال له : ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة ، وأنتم بالله لئن طاودت لأخرجنك من السفينة فأمسك معبد حتى إذا سكنت الجواري سكنت اندفع بين الصوت الأول حتى فرغ منه ، صاح الجواري : أحسن يا رجل فأعده ، فقال : لا والله ولا كرامة ، ثم اندفع بين الثاني ، فقلن لبيدعن : ويعك هذا والله أحسن الناس غناء فله أن يصيده علينا ولو سره واحدة لعنا تأخذه عنه فانه إن فانا لم نعد مثله أبداً فقال : قد سمعتن سوء ردّه هليكن وأنا خائب مثله . وقد أسلفناه الأساءه فاصبرن حتى نذاره ، ثم غنى الثالث فزلزل عليهم الأرض ، فوثب الرجل فخرج إليه وقبل رأسه ، وقال : يا سيدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك ، فقال له : ههيك لم تعرف موسى قد كان ينبغي لك أن تتعب ولا تسرع إلى بسوء العشرة وجفاء القول . فقال له : قد أخطأت وأنا أعتز إليك مما جرى وأسألك أن تنزل إلى وتخط بي ، فقال : أما الآن فلا . فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه ، فقال له الرجل : بمن أخفت هذا الفناء . قال : من بعض أهل الحجاز ، فمن أين أخفك حواريك ، فقال : أخفك عن جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة ، وكانت قد أخذت من أبي معبد وعني بتجريها فكانت تحمل مني عمل الروح من الجسد ، ثم استأثر الله عز وجل بها وبقي هؤلاء الحواري ومن من تعليمها فأنا إلى الآن العصب لمبد وأفضله على المنين جميعاً وأصل صنعه على كل سنة . فقال له معبد : أو لك لأب هو انصرفي ؟ قال : لا ( قال ) فمسك معبد بيده صلته ، ثم قال : فأنا والله معبد وإليك قدمت من الحجاز ووافيت البصرة ساعة نزل السفينة لأفصلك بالأهواز ووافك لأفصرت في حواريك هؤلاء ولأجلن لك في كل واحدة منهن خلفاً من الناضية ، فأكب

الرجل والجواري على يديه ورحليه يلبونها ويقولون : كتننتا نيك طول هذا حتى جفوناك في المحاطبة وأسأنا عمرتك وأن سيدنا ومن تنفى على الله أن نلقاه . ثم غير الرجل زيه وحاله وخلع عليه عدة خلع وأعطاه فروقه ثمانية ديار وطيا وحدايا بملهاه وانحدر منه إلى الأهواز فأقام عنده حتى رضى حتى حواريه وما أخذته ، ثم ودعه واصرف إلى الملباز .

✱  
✱

وقد روى أبو المرحج قصة قلعوم مصد إلى مكة وسماعه من المنين وغناؤه لم فقال :

قال مصد : غيب فأجى غائى وأنجب البلس وذمب لى به صيب وذكر ، صل : لآيين مكة فلا سمعن من المنين بها ولأعنيهم ولأكرفن اليهم ، فابص حارا طرح عليه إلى مكة ، فلما قلمتها بس حارى وسأل من الله بن بن بنسون ، قيل : بقتلنا في بيت اللان لجث إلى منزله بالبلس ففرب الباب ، فقال من هذا ، صل : انظر طاك الله ، فدنا وهو يسبح ويستعبد — كأنه يخلف — ففتح ، فقال : من أنت طاك ، الله ؟ قل : رجل من أهل المدينة . قال : فإحطك ؟ قل : أنا رجل أشتعى الفناء وأرمم أن أرف مهشيتا وقد بلى أن القوم يجمعون عندك وقد أحب أن تنزل في جانب منزلك وتخلطى بهم فانه لا مؤونة عليك ولا عليهم مى ، دلوى شيئا ثم قال : أنزل على بركة الله ( قال ) فقبل فنامى فزول في جانب حجرته ثم جاء القوم حين أصبحوا واحدا بعد واحد حتى اجتمعوا فأكبروني ودلوا : من هذا الرجل . قل : رجل من أهل المدينة محب بشعى الفناء ويطرب عليه ليس عليكم منه عاء ولا مكروه . فرحوا في وكلتهم ثم ابسطوا وشربوا وعزاء لجلت أعج بسائهم وأطهر ذلك لم ويسجهم مى حتى أقنا إيلما وأحدث من هائهم وهم لا يدرون أصواتا وأصواتا وأصواتا ، ثم دل لان صريح : مديك امسك على صوتك :

قل لهد وترها قبل شط النوى فدا

قال : أو خمس شتا ، قل : تطر وصى أن أصنع شيئا . وانفذ فيه دنيته فصاح وصاحوا ودلوا : أحصل فانك الله . قل : فأمسك على صوت كذا فامسكوه على دنيته فازدادوا عجا وصياحا . فلترك أحدنا منهم إلا شتة من فتنائه أصواتا قد تخيرتها ( قال ) فصاحوا حتى غلب أصواتهم وهرموا بى ، ودلوا : لأن أصمن بأداء غائنا عنا منا ، قل : فامسكوا على ولا تمسكوا بى حتى تسموا من غنائى ، فامسكوا على فصب صوتا من غائى فصاحوا بى ثم غنيتهم آخر وآخر فوئبوا إلى وقالوا : نخلب بالله إن لك لصيلا واسما وذكرا وإن لك عينا هائنا لهما عظيما فن أن ؟ قل أنامد فقبلوا رأسى وقالوا : انت علينا وكنا نهاون بك ولا نمدك شيئا وانت أنت . فانت صندهم شهرا أخذ منهم وبأخذون مى ثم انصرفت إلى المدينة .

✱  
✱

ومن الطرف النادرة ماحدث لمعد والأسود .

قال معبد : بى إلى بى أسراء الملباز وقد كان جمع له الحرمان إن اشغى إلى مكة فشخصت ، قال : فقدمت فلامى في بى تلك الأيام واشتدت على الحر والطنس فانتهيت إلى خباء به أسود ، وإذا حباب

جَاوَزَتْ سَمَةً <sup>(١)</sup> مُشَيِّدَةً الْمَبْنَى لِيَرْقِيَ الرِّخَامَ فِيهِ وَيَمِيزُ  
مَرَمَرًا أَوْقَدَ الْفِرْنْدَ <sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ سَلْسَلٌ بِحَرَمِهِ أَوَّلَالُ يَفِيضُ  
وَسَطَهَا دُمْنِيَّةٌ يَرُوقُ أَجْتِلَاهُ الْكُلُّ مِنْهَا وَيَفْتِنُ التَّبَعِيضُ <sup>(٣)</sup>

ماء قد بردت قلت إليه صلت : يا هذا اسمي من هذا الماء ، فقال لا ، قلت : فأذن لي في لكن سامة  
قال : لا ، وأنت نائفتي ولحأت إلى طلبها فاستترت به ، وقلت : لو احدثت لهذا الأمير شيئاً من العناء أقدم  
به عليه ولعلني إن حرّكت لساني أن يبل - حتى رقي بيضف هي بمس ما أجده من العطش. فترمت بصوتي :  
« القصير فالجمل فالحاء بينهما » فلما سمى الأ-ود ما سرت به إلا وقد احتملى حتى ادخلني خاضه ثم قال  
أي مائي أنت وأي ، هل لك في سوقي السلت بهذا الماء اللورد ، قلت : قد منعتي أمل من ذلك وهرة ماء  
تجزئي ( قال ) فسقاني حتى رويب وحده العلام فأقت صعه إلى وقت الرواح ، فلما أردت الراحة قال : أي  
مائي أنت وأي الحرّ شديد ولا آمن عليك مثل الذي أصالك فأذن لي أن أحمل منك قربة من ماء على حق  
وأسي بها منك مكلما عطشت سقيتك وشجتي موتاً ( قال ) قلت : ذلك لك ، موافقه ما فارقتني  
بقبي واهيه حتى بلغت المنزل .

وأخار صمد والعريس طوية متفرقة في كتاب الألفاظ طريح إليها من شاء .

(١) الجنة - بالفتح - العين الحارة للماء يستشفى بها الأعداء ومنه الحديث : « مثل العالم كمثل الجنة  
يأتيها النداء ويتركها الفرداء ، فمنها هي كذلك إذا عار ماؤها وقد اسمع بها قوم وفي أيام يتكلمون أي  
يتكلمون » والجنة مدينة ذات ينابيع معدة حارة واردة بالقرب من مدينة « لوشة » وقد زارها « ابن بطوطة »  
ودخل مسجدها ووصف ما فيها من صيد البر والبحر ، والجنة - أيضاً - اسم لمكان أخرى ذات ينابيع  
مدينة حارة في إقليم « غرناطة » وإقليم مرسية وغير ذلك ، وحة غرناطة ، وأسمى مدينة الجنة عند  
أهل غرناطة .

(٢) الفرند : السيب ووشيه وحوهره ، وهو ما يرى فيه شبه نهار أو مهب نخل ، والفرند : الورد  
الأحمر أيضاً .

(٣) أحد هذا المعنى من قول ابن الرومي في وحيد للمبة :

وغرر بحسنا حال : « معها » قلت : « أراء ، حين وشديد .

يسهل القول : إنها احسن الألفاظ - بقاء طراً ويصعب الحديث »

وفي هذه التسمية يقول :

حادة زائها - من المس - قد ومن الطي مقلتان وحيد

ورهاها من مرعها ومن الحدين ذاك السواد والورد

وهي برد - يحدّها - وسلام وهي العاشقين جد - حيد

مالما سطيه - من وحنها - غير ترشاف ريقها تبديد

مثل ذاك الرساب أففا ذاك الوجود ، لولا الإباء والتصريد

ومها يقول : تتحلل للتأطرين إليها مشق بحسنا وسعيد

عليه - تسكن القلوب وترما ها - وقرية لها حميد

بَشَرٌ نَاصِبٌ وَخَذَ أَسِيلٌ وَحَيًّا طَلَّقَ وَمَرْفٌ غَضِيضٌ  
وَقَوَامٌ كَمَا اسْتَقَامَ قَضِيبُ الْبَابِ إِذْ عَلَهُ <sup>(١)</sup> تَرَاهُ الْأَرْضُ <sup>(٢)</sup>  
وَابْتِسَامٌ لَوْ أَنَّهَا اسْتَنْزَبَتْ فِيهِ أَرَاكَ اُنْسَاقَهُ الْإِغْرِيسُ <sup>(٣)</sup>  
وَالْتِفَاتٌ كَأَنَّمَا هُوَ بِالْإِبْحَاءِ - مِنْ قَرَطٍ لُطْفِهِ - تَمْرِيسُ

\*\*\*

لَمَعَ طَلَّةٌ مِنَ الْعَيْشِ مَا إِنْ لِلْهَوَى عَنْ عَمَلِهَا تَمْرِيسُ  
سَوَّقَتْنِي نَعِيمَهَا فَفَحَّاتٌ لِلْمُنَى - مِنْ سَحَابِهَا - تَرْوِيسُ  
تَابَعْتَهَا يَدُ الْهَمَامِ أَبِي حَمْرٍو فَمَا غَمَرُهَا لَدَيْ مَغْرِيسُ <sup>(٤)</sup>

تمشى صاحبها لا تمسى - من يكون الأوصال - وهي تعبد  
لا تراها هناك تحط عي - لك منها - ولا يدور ويد  
من هدو ولا يس فيه اعطاء ، وس - جو وما به تبليد  
مد في ساو صوتها من كا ف - كأطس طشتها - مدد  
وأرو الدلال والمنح من وراه الشجا ، فكاد بيد  
فتراه يموت طورا ويغيا مستلد - سبطه والنشيد  
فيه وشى وبه حل من الف م مصوع يحال فيه القصيد  
طاب دوها وما ترجع فيه كل شيء لها بذاك هييد  
ثم يبع المصدى ، وهاء هذه يوجد الرور الفعيد  
طها - الدهر - لأم مستريد وفا - الدهر - سامع مستيد  
في هوى منها يحل حليم - راح حله - وهوى رتييد  
ما ماضى القلوب إلا أصابت بهواها من حيث تريد

إلى آخر هذه القصيدة العدة التي اخترى منها بهذا القدر اليسير طريح إليها من شاء في ديوانه ليقارن بين هذه القصيدة وقصيدة ابن زيدون .

(١) طه : سقاء ، والأريس : الزكي القرة الخلق البيت . (٢) للمجب .

(٣) استمرت : بالمتى والصحة ، والامريس : الظلم وكل أيس طرى .

(٤) اليد : النمة ، والتمر : للماء الكثير ، ومغيش : اسم معول من عيش الماء فهو مغيش إذا طر وسب ، أي تابعت تلك اللع من رعد العيش يد معادة إلى « أبي عمرو » لا تزال تسمنا بمحبنا الذي الذي لا ييس مأوّه فليس سببها الزهر الماء ناميا عندى .

مَلِكٌ ذَاكَ عَنِ حِجَى الدِّينِ مِنْهُ مَنْ إِلَيْهِ فِي نَصْرِهِ التَّفْوِيزُ  
وَسَمَاءٌ نَاطِرٌ مِنَ الْمَجْدِ فِي دُنْيَاهُ قَدْ كَانَ كِفَهُ التَّمْيِيزُ<sup>(١)</sup>  
إِنْ أَسَاءَ الزَّمَانُ أَحْسَنَ دَأْبًا مِثْلَمَا بَانَ النَّقِيزُ النَّقِيزُ<sup>(٢)</sup>

\* \*

يَا مُعِزُّ الْهَدَى الَّذِي مَا لَسَمَا هُ إِلَى غَيْرِ صَمْتِهِ تَفْرِيزُ  
يَا مُجَلِّ بِفَاعٍ حَالٍ ، مَكَانُ النَّجْمِ - مَهْمَا يُقَسِّ إِلَيْهِ - حَضِيضُ<sup>(٣)</sup>  
إِنْ أَتَلَ أَيْسَرَ الرِّقَائِبِ فِيهِ يَرْضَ فَوْزَ الْقِدَاحِ مِنْ مِيفِيزُ<sup>(٤)</sup>  
لَوْ يَفَاعُ الْمَجْرَةَ أَعْتَضَتْ مِنْهُ رَاحَ يَدْعُو ثُبُورَهُ الْمُسْتَعِيزُ  
حَظُّ سِنٍ أَمْرِي نَأَى مِنْكَ قَرَعُ وَقُصَارَى بَنَانِهِ تَمْعِيزُ

\* \*

حَسْبِيَ التُّنُجُ وَالْوِدَادُ وَشُكْرُ عَطَّرَ الدَّهْرَ مِنْهُ مِسْكُ فَضِيزُ  
دُمُ مَوْقَى وَلَيْكَ - الدَّهْرُ - حَبِيزُ رُ مَسَاعِيكَ ، وَالْمَدْوُ مَهْزُ  
فَاعِزَاتُ الْمُلُوكِ أَنْكَ مَوْلَا هُمْ حَدِيثُ مَا يَنْتَهَمُ مُسْتَفِيزُ

(١) وتطلع إليك ناظر المجد مد أن كلف ناظره كثرة الدريس . يريد أنه بعد أن زاد من حيرة الدين

سما ينظره في شؤون دينا كان قد صرفه عنها كثرة التعميس والاعراس .

(٢) وقريب من هذا قول الشاعر :

ضدَّان لما استجما حسا والصدَّ يظهر حسنه الغدَّ .

(٣) البياض : ما ارتفع من الأرض . يقول : يامن أحلنى حالا رديما ، إذا قيس إليه النجم - على رفعتي -

عد حضيضا . (٤) المبيض : من أبيض الرجل بهناح اليسر إذا ضرب بها فوقعت مجة متفرقة .

## شفاعة

قال هذه القصيدة يمدح أبا الحزم بن جهور ويحرم بجنابه ويطلب  
شفاعته ، قال ابن بسام :

« كان أبو الوليد من أئمة دولة الجهاورة واصطفتها اصطفا الفرس  
للأساورة ، وقد اخص بأبي الوليد اختصاص الفرع بالنور وارتبطهم  
اربطا الأمانة بالقور ، وأبو الحزم بن جهور - إذ ذاك - رأس الجماعة  
وأصل تلك الأسرة للطاعة من رجل آدمي من عمان وأجرأ من ليت  
خلفا وأدعى من عمرو بن الحفان . وكان ابن زهدون متصلا بانه  
أبي الوليد أطول حبه اتصال أبي زيد بلوليه بن عبة وبينهما  
تآلف أحرما بكميته وطافا وستيا من قصايبها ناطا وابن زيدون  
يمتد ذلك حساما سلولا ويرى أنه يرد به صعب المطوب دلولا إلى  
أن مطلب عند أبيه أبي الحزم ونوسل فاستدع به تلك الأئمة والأسل  
فأشأ إلى حنان صفة ولا كعب عنه سنان صرفه مع استعطائه له  
بكل مقال يحل سقائم الاحقاد واستلطائه إياه بما يرد الصم  
سلس القياد ، فمن يدع ذلك وأمسه قوله :

إيه أبا الحزم احتبل غرة ألسة الشكر عليها نصاح

أَنَا وَالْحَاطِظِ مِرَاضٍ صِحَّاحِ      تُصْبِي وَأَعْطَايَ نَشَاوِي صَوَاحِ  
لِيَاثِنِ بِالْحَسَنِ فِي خَدِّهِ      وَرَدُّ وَأُتْنَاءُ ثَنَائِيهِ رَاحِ  
لَمْ أَنْسَ إِذْ بَاتَتْ يَدِي لَيْلَةً      وَشَاخَةُ اللَّاصِقِ دُونَ الْوِشَاحِ (١)  
أَلَمْتُ بِالْأَلْطَفِ مِنْهُ وَلَمْ      أَجْنَحْ إِلَى مَا فِيهِ بَعْضُ الْجَنَاحِ  
لَأَصِفِيَنَّ الْمُصْطَفَى (٢) « جَهْوَرًا      عَهْدًا لِرَوْضِ الْحَزَنِ عَنْهُ أَتَضَاحِ

(١) قال ابن بسام : قوله : « وشاخة اللاصق دون الوشاح » معنى متداول ، ومن أمره مصرأ

قوله الفصل من أهل وقتنا :

« إن العزيز على حقوقه انه بالرد حل منك ملا يحل

خدي له حسي مكان وشاخه إن الطيل بشكه يتطل »

وقريب من هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

« يا ليت عباس سربال على جدي أو ليني كنف سربالا ليلس »

(٢) وفي رواية ابن بسام : « لأصين المرقضى جهورا »



جَزَاءَ مَارَقَةٍ شَرِبَ الْمُنَى      وَأَذَنَ السَّنَى بِوَشَكِ النَّجَاحِ<sup>(١)</sup>  
يَسْرَتْ أَمَالِي بِتَأْمِيلِهِ      فَا عَدَانِي مِنْهُ فَوْزُ الْقِدَاحِ<sup>(٢)</sup>  
لَمْ أَتِمَّ الْبَرْقَ جَهَامًا وَلَمْ      أَقْتَدِحِ الصَّمَّ بِيَضِ الصَّفَاحِ<sup>(٣)</sup>  
مَنْ مِثْلُهُ - لَا مِثْلَ يُلْنِي لَهُ -      إِذْ فَسَدَتْ حَالُ فَرَزِ الصَّلَاحِ  
يَا مُرْشِدِي جَهْلًا إِلَى غَيْرِهِ      أَغْنَى عَنِ الْمِصْبَاحِ ضَوْءُ الصَّبَاحِ  
رَكِبْتُ مَا تُثْنِي عَلَيْهِ الْحُبَا      يَهْفُو بِهِ نَحْوُ الثَّنَاءِ أَرْتِيَاخِ<sup>(٤)</sup>  
ذُو بَاطِنٍ أَفْبَسَ نُورَ الثَّقَى      وَظَاهِرٍ أَشْرَبَ مَاءَ السَّمَاحِ  
أَنْظُرْ تَرَى الْبَدْرَ سَنَا وَأَخْتَرِ      تَجِدُهُ كَالْمِنْكَ إِذَا مِثَّ فَاحِ<sup>(٥)</sup>

\* \*

إِيَّاهُ « أَبَا الْحَزْمِ » أَهْتَبِلْ غِرَّةً      أَلْسِنَةُ الشُّكْرِ عَلَيْهَا فِصَاحِ<sup>(٦)</sup>  
لَا طَارَ بِي حَظٌّ إِلَى غَايَةٍ      إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْكَ مَرِيضَ الْجَنَاحِ

(١) ره : من ورود الابل رهما ، وهي أن ترد الماء في كل يوم من شامت .

(٢) يسهو يسهو أن يكون بالشديد بمعنى سهل وبالتعريف من يسهو إذا ضرب بقداح اللير -  
واللي على الثاني ضربت بقداح آمالي يسهو علم سدى أن عزت بأومر القداح حطوطا ، وفي رواية ابن بسام :  
« هربت آمالي بتأمله »

(٣) أي لم اطهر البرق ليس فيه مطر ، ولم اقتدح صفا لم يور نارا .

(٤) ركب من الركابة أي الرزاة - واللي : أنه وقور الحوة رزينا يهوى ، ويحرك نحو الملح أريحا  
فيتهز بهد سكور في جملة ووفار .

(٥) مثل اللي ، عيته إذا مره يده في الماء ، غاب من سك ونحوه - يقول اطر تره كالبدر سا وبها  
وأخبره نعمة كالسك فاح شناه وقد ميث أي مرس نايد ، والسك - لا اسحق - فاح شناه ، وقد قال  
للري في هذا اللي وأجاد ما شاء أن يحيد .

« حل البلي سبيد المره فائدة فالحك يزاد من طيب إذا سحا »

(٦) اهبل : اغتم يقال اهبلت فعلته - والفره : بالكسر العلة ، وفي اللؤلؤ « الفره تجلب الفره »  
أي العلة تجلب الرزق - واللي : أسكر أو الحزم في غلة أمدانك من اللام والأموال تطلق الألس  
مصححة بشركك ، وفي رواية ابن بسام : « ألسنة الحر عليها صاح »

هَبَّالَكَ - بَعْدَ الشَّبِّ - أُمْنِيَّةٌ      مَا لِي عَلَى الدَّهْرِ سِوَاهَا أَفْتِرَاحٌ<sup>(١)</sup>  
لَمْ يَفْنِي عَنِّي أَمَلٌ مَا جَرَى      قَدْ يُرْفَعُ الْخَرْقُ وَتُؤْمَسُ الْجِرَاحُ  
فَأَشْحَذُ بِمُحْسِنِ الرَّأْيِ - عَزَمِي يُرْعِ      مَنِ الْعِدَاءُ أَلَيْسَ شَاكِي السَّلَاحِ؟<sup>(٢)</sup>  
وَأَشْفَعُ فَلِلشَّافِعِ نَفْعِي بِمَا      سَنَاهُ مِنْ عَقْدٍ وَثِيقِ النَّوَاحِ<sup>(٣)</sup>  
إِنَّ سَحَابَ الْأَفْقِ مِنْهَا الْحَيَا      وَالْحَمْدُ فِي تَأْلِيفِهَا لِلرَّيَاحِ<sup>(٤)</sup>  
وَقَاكَ مَا تَخْشَى مِنَ الدَّهْرِ مَنْ      تَعَبْتَ فِي تَأْمِينِهِ وَأَسْتَرَاحُ

### هدية تفاح

« وهل في تفاح أهدها إلى المصنذ بالله »

أبي عمرو عباد بن محمد بن عباد »

يَا مَنْ تَزَيَّنْتَ الرَّيَّا      سَةِ حِينَ أَلَيْسَ ثَوْبَهَا  
وَلَهُ يَدٌ يَلْسَنُ الْفَمَا      مُمْ مِنْ أَنْ يُعَارِضَ صَوْبَهَا<sup>(١)</sup>  
جَاءَ تَكَ جَامِدَةُ الْمَدَا      مَ فَخَذُ عَلَيْنَا ذَوْبَهَا<sup>(٢)</sup>

(١) الغني : الرجوع إلى ما يرضى الغائب أي رجوعك بعد الصواب إلى ما يرضى أسسه لا اقترح على الدهر سواها . (٢) قَوْ بِمُحْسِنِ الرَّأْيِ عَزَمِي يَحِبُّ مَنِ الْعِدَا ، أَلَيْسَ عَزَمِي شَاكِي السَّلَاحِ ؟ (٣) سَنَاهُ : سَمِهَ وَسَمَرَهُ - مِنْ عَقْدٍ : أَيِ مِنْ حُلٍّ عَقْدٍ - وَثِيقِ النَّوَاحِ : أَيِ عَسْرِ الْحُلِّ مِنْ أَيِ نَوَاحِيهِ أَتَيْتُهُ ، وَفَرَأْتُ شَاهِدًا عَلَى هَذَا فِي أَمَلِي أَيِ الْقَائِمِ الرَّجِي ، إِنَّ مِثْلَ مَاوَءَ بَنِي سَفِيَالٍ صَرَفَ رُوحَ ابْنِ زُبَاعٍ مِنْ مَهْلِكِ حَيَاةٍ لَمَقَتْهُ عَمَهُ ، وَأَسْرَهُ بِالْدُّومِ عَلَيْهِ فَعَلَّ ، فَأَسْرَ ضَرْبُهُ فَلَمَّا أَحْدَثَهُ السَّيَاطُ قَالَ : « نَعْدُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَهْدِمَ مَيِّ رَكْنَا أَتَ بَنِيهِ ، أَوْ تَضَعُ مَيِّ حَسَنَةَ أَتَ وَفَتْنَهَا » الخ مَا قَالَ ، هَذَا مَاوَءَ . « إِذَا اللَّهُ سَيَّ حُلٍّ عَقْدٍ تَسَرَّ ، حَلِيَاةً » - وَمَعْنَى لَيْتَ أَنَّهُ طَلَبَ شِعَاعَتَهُ ، وَيَبِينُ أَنَّ الشَّاعِرَ عَلَى النَّفْسِ لَمْ يَدْرُسْهُ بِسَبَبِ مَا سَمِهَ وَسَمَرَهُ مِنْ حُلٍّ عَقْدٍ تَسَرَّ مَعْدُ أَنْ تَقْعَدَتْ أَوْلَاغِيهِ وَتَوَقَّعَتْ نَوَاحِيَهُ . (٤) الْحَيَا : الْمَطَرُ - يَرَدُّ أَنَّ الْحَمْدَ لِلشَّاعِرِ لَا لَقَدْ قَبْلَ مَهْلِكِ الشَّاعِرَةِ ، كَمَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ لَلْحَسْبِ الَّذِي مِنْهَا الْمَطَرُ بَلِ الْوَيْحُ الَّذِي تَزِيحُهُ ثُمَّ تَوَلَّى بَنِيهَا تَقَطَّرَ ، وَقَدْ كَرَّرْنَا هَذَا إِلَى بَعْضِ نَصَائِحِهِ هَذَا : الشَّاعِرُ لِلنَّاءِ - وَالْحَمْدُ صَوْبُ الْحَيَا لِرِيَاخٍ لَا لِيَوْمٍ

انظر (ص) من هذا الديوان . وقد سبقه البحرى إلى هذا المعنى فقال وأبدع :

« حارحمدي ، والرياح - القواني تجلب البيت - مثل حمد القنوم »

(٥) نزول المطر . (٦) جيل الندام وهي الخمر نوعين جامدة وهي التمتع ودائبة وهي الزاح وطلب إلى اللذوق أن يعرب عليها ذوقها وهي الزاح الحقيقية .

## لا يهنا الشامت

« قال يمدح أبا الحزم بن جهور وقد كتبها  
إليه من السجن . »

مَا جَالَ بِمَذَكِ لِحْطِي فِي سَنَا الْقَمَرِ      إِلَّا ذَكَرْتُكَ ذِكْرَ الْعَيْنِ بِالْأَمْرِ <sup>(١)</sup>  
وَلَا اسْتَطَلْتُ ذِمَاءَ اللَّيْلِ مِنْ أَسْفِ      إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرَّتْ مَعَ الْقَصْرِ <sup>(٢)</sup>  
نَاهِيكَ مِنْ سَهَرٍ بَرَحَ تَأَلَّفَهُ      شَوْقٌ إِلَى مَا انْقَضَى مِنْ ذَلِكَ السَّهْرِ  
فَلَيْتَ ذَلِكَ السَّوَادَ الْجَوْنَ مُتَّصِلٌ      لَوْ اسْتَمَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ <sup>(٣)</sup>

\* \* \*

أَمَّا الْفَنَى فَعَجَّتْهُ لَحْظَةٌ عَنْ      كَأَنَّهَا وَالرَّدَى جَاءَا عَلَى قَدَرٍ <sup>(٤)</sup>  
فَهَيْتُ مَعْنَى الْهَوَى مِنْ وَحْيِ طَرَفِكَ إِلَى      إِنَّ الْخَوَارَ لَمَفْهُومٌ مِنَ الْخَوَارِ  
وَالصَّدْرُ مَذُورَدَتٍ رِفْهَا نَوَاحِيَهُ      تَوْمُ الْقَلَائِدِ لَمْ تَجْنَحْ إِلَى صَدْرِ <sup>(٥)</sup>

(١) أى لم أحل بلحطى فى نور القمر بعد غيبك هى إلا ذكرتك كما يذكر الراى حين الغىء وداه  
بما يراه من آثاره . (٢) الفناء : بالفتح البقية الباقية من الليل - أى ما تعبت أن يطول ما بقى  
من عمر الليل إلا أسما على ليلة اشتمت على ما يرمع نصرها والشمراء كثيرا ما يسمون ليلة الوصال  
بالصبر ، ومن أبدع ماقرأناه فى ذلك قول الشريف الرضى :

« أَشْكُو الْيَالِ غَسِيرَ مَتَبَةٍ إِمَّا مِنَ الطُّولِ أَوْ مِنَ الْقَصْرِ »

تطول فى هجرهم وتقصى الوصل ، فلا يلتقى على القدر

بأليلة كاد من تقاصرها ستر وبها المشاء بالسحر «

(٣) يبنى أن يصل طلام الليل بما يحيره من سواد القلب والصبر ، ولو لى أى وابته استعار ، ولا  
خفاء أن سويداء القلب - وواد العين من أخص الأشياء وأعزها ، ولكنه يندلجها طوره فى سبيل اسدامة  
الليل وطوله ، وحاء لأن سقم فى البخيرة فى بقه هذا البيت . قوله : « لو استمار سواد القلب والبصر »  
لفظ المرمى حيث يتول :

يود أن طلام الليل دام له وزد فيه سواد القلب والبصر

(٤) العين : بفتحين من عن النوى إذا طهر أملك واعتزس .

(٥) ريفها : هو أن ترد الابل الماء كل يوم - توم القلائد : جمع تومه فالضم وعن المؤلدة ، استمار  
ورود الابل ريفها للارمة الحلى صدرها من غير أن تحنج سد الورود إلى الصدر .

حُسْنُ أَفَانِينَ لَمْ تَسْتَوْفِ أَعْيُنَنَا      غَايَاتِهِ بِأَفَانِينَ مِنَ النَّظَرِ  
وَاهَا لِغَفْرِكَ أَفْرًا بَاتَ يَكْلُوهُ      غَيْرَانُ تَسْرَى عَوَالِيهِ إِلَى الشَّرِّ (١)  
يَقْظَانُ لَمْ يَكْتَحِلْ غَمَضًا مُرَاقِبَةً      لِرَابِطِ الْجَاشِ مِقْدَامٍ عَلَى الْغَيْرِ (٢)  
لَا لَهُوَ أَيْامِهِ الْخَالِي عِزُّ تَجَمُّعِ      وَلَا نَعِيمُ لَيْالِيهِ عِشْتَقَرِ  
إِذْ لَا التَّحِيَّةُ إِيمَاءَ مُحَاسِنَةٍ      وَلَا الزِّيَارَةُ إِمَامٌ عَلَى خَطَرِ  
مَتَى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرُهَا      إِنَّ الْفَرَامَ لَمُعْتَادُ مَعَ الذِّكْرِ

\* \*

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ حَالِي فَشَاهِدَهَا      مَحْضُ الْيَمَانِ الَّذِي يُنْعَى عَنِ الْخَبَرِ  
لَمْ تَطْلُو بُرْدَ شَبَابِي كِبَرَةً وَأَرَى      بَرَقَ الْمَشِيبِ أَعْتَلَى فِي عَارِضِ الشَّمْرِ (٣)  
قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِذْ عَهْدُ الصَّبَا كَثَبٌ      وَلِلْمَشِيبَةِ غُضْنٌ غَيْرُ مُهْتَصِرِ

(١) يكلوه : يحفظه ويغار عليه - وغيران : وصف من النيرة - والعوالى صدور الرماح - الشر : جمع شره بالفهم ومع الطرق وللنافذ للسلوكه أو أراد بها جمع الشره ومع النقرة في الشعر .  
(٢) المرر : جمع غرة بالكسر ومع الغلة ، والمعنى : أنه يشتر غرات الرقيب الساهر طول ليله غيرة وحفاظا ومراقبة ، ويقدم رابط الجأش بالرغم من يقظته وتنبيه ومراقبته لإياه ، ولا يحسم مما اعتزمه من موافاة حبيبه .

(٣) الكبرة : بنتح فسكون كبر السن - والعارض : الحد يقال أخذ الشعر من عارضيه - والمعنى : أن يياض المشيب وخط طارديه قبل أن يخلع برد الشباب وقبل أن يعد من سنه ثلاثين ربيعا ، وأبدع أبو نواس في هذا المعنى أيما إبداع إذ يقول في سجنه :

« وإذا عددت سنى ، كم هم لم أحد      للشيب عنرا في التزول براسي »

« قلوا كبرت فقلت ما كبرت يدي      من أن تسير إلى في بالكلى »

وقال ابن الرومي : « قد شيب الفتي ولس عجبا      أن يرى التور في التفصيل الرطب »

وقال الآخر : « يا من حل لك في شيخ فتى أبدا      وقد يكون شباب غير تيان »

وقال أبو العلاء : ارجع إلى السن فاطر ما تقادما      فاحكم عليه ولا تحكم على الشعر

فكم ثلاثين حولا شيت، ومعت      ستون، والشيب فيها غير مستمر

وليس ذلك إلا صفة جلت      طبعاء، وإن قيل: شاب الرأس قدم.

هَاتِئَهَا لَوْعَةً فِي الصَّدْرِ قَادِحَةً نَارَ الْأَمْنَى وَمَشَبِي طَائِرُ الشَّرِّ (١)

\* \*

لَا يُهْنِي الشَّامِتَ الرُّمَاحَ خَاطِرُهُ أَنَّى مُعْنَى الْأَمَانِي صَانِعِ الْخَطَرِ (٢)  
هَلِ الرِّيَّاحُ بِنَجْمِ الْأَرْضِ قَاصِفَةٌ؟ أَمْ الْكُشُوفُ لِغَيْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ (٣)  
إِنْ طَالَ فِي السَّجَنِ إِيْدَاعِي، فَلَا تَحْجَبُ قَدْ يُودَعُ الْجَفْنُ حَدَّ الصَّارِمِ الذَّكْرِ  
وَإِنْ يُدَبِّطُ - «أَبَا حَزْمٍ» الرِّضَى - فَدَرَّ عَنْ كَشْفِ ضُرِّي فَلَا عَتَبُ عَلَى الْقَدَرِ

\* \*

مَا لِلذُّنُوبِ - الَّتِي جَانِي كَبَائِرِهَا - غَيْرِي - يُحْمَلْنِي أَوْزَارَهَا وَزَرِي (٤)

(١) أي أنها لوعة تدهح نار الأمنى والمزول في صدره ، ومشبى رأسه ما تطاير من شره تلك النار الموقدة فيه ، وحده في الدجيرة لأن بسم قل هذا البيت قوله :

يَا لِرِزَايَا قَدِ شَاهَتَ مِنْهَا عَمْرًا فَمَا اقْرَبَ لِلْكُرُوهِ وَالْعَمْرِ

والعمر القدر الصغير ، فهو يعني لا يشر من المصائب بالمدح الصغير .

وحده صدره في سحق الديوان المحطوطتين هذا البيت ناقصا هكذا :

حوادث استمرصني ما فترت لها غراره . . . . .

ونحن شئنا ما كما وحدناها .

(٢) لا يهين : يقال هناه الأمر أي تهناه به - معني الأمانى : اسم مفعول من الناء وهو التنبه - والمخطر

الشرف والمخلة - والمشي : لا يتهأ الشامت للتلوح للذواد يكون في هاء وصح ساب الأمانى ويكون شامت القدر والمخلة .

(٣) أراد نعم الأرض ما تخم على وجهها من النبات ولم يتم على ساق ومنه قوله تعالى « والجم والشجر يسجدان » وهذا البيت قليل قد قل أي لا ترح أبها الشامت فارجح لا تصف إلا بما له ساق من

الشجر ، والكشوف : لا يكون لغير الشمس والقمر - وهو معني طرقة الشراء كثيرا ، ومنه قول أبي تمام إن الرياح إذا ما أعصف قصف هيدان نحد ولم يبان نازم

ساق نض ونض لا كسوف لها والشمس والبرق منها المحرق ولم

وقرب منه قوله أيضاً :

لا تنكرى صلل الكبريم من الأذى فالسبل حرب للكفكف المال

(٤) الوزر : بالكسر الدب والوزر بضمين للمين ولللبا - والمعي : لأي سبب يحملني ملجئي ومحتصني

تبعة ما جناه غيري من كبائر الذنوب ، وهو نظير قول المرى :

وحرم حره سهاء قوم وحل ينسج جارمه القباب

مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْ تَأْيِيهِ عَلَى تَقَةٍ  
ذُو الشَّيْئَةِ الرَّسْلِ - إِنْ هِجَتْ حَقِيقَتُهُ -  
مَنْ فِيهِ لِمَجْتَلِيٍّ وَالْمُبْتَلَى نَسَقًا  
مُذَلَّلٌ لِمُسَاعِي حُكْمَهَا شَطَطًا  
وَزِيرٌ سَلِمَ كَفَاهُ يُعْنِي طَائِرُهُ  
أَغْنَتْ قَرِيْبَتُهُ مَغْنَى تَجَارِيهِ  
كَمْ أَشْتَرَى بِكَرَى عَيْنِيهِ - مِنْ سَهَرٍ ،  
فِي حَضْرَةِ قَابِ صَرْفِ الدَّهْرِ - خَشْبَتُهُ -  
مُمْتَعٌ بِالرَّيْسِ الطَّلَقِ نَازِلُهُمَا  
مَا إِنْ يَرَاكَ يَبْتَ الثَّبْتَ فِي جَلَدِهِ



قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي وَالنَّجْمَ فِي قَرْنٍ      فَقِيمٌ أَصْبَحْتُ مُنْعَطًا إِلَى الْعَفْرِ (٨)

(١) التأيي : التهل ، والتحي : ادعاء ذنب لم يفعله - أي أنا على ثقة من الحصول على أمثلي ، وإن تأني ، ولا أخش أن يمس إلى ذنبا لم أفعله .

(٢) الشبهة الرسل : الحلق السهل السمح - والمهينة : القنص - والمستحب : مصدر يحمي الاستعجاب أي الاستعزاء يقال استعجبه أي استرأه فأعته أي أراضاه - واليسر : اليسر .

(٣) المجتلي : الناظر ، وللمتلى : المحتر ، والسرور : الفرف أي محتر سرى شريف .

(٤) الساعي الماسر أي مدلل لسماعه أن تستبذ عليه في الحكم وهو العزيز العس النجج الجانب .

(٥) عمدة الرور : مقول القوي .

(٦) يقول انه لألمعته لا يحتاج إلى تحارب وإن بداعته تسمى من روجه ونظرته السرمية تسمى : إطالة الفكر وقد دعماً ظنوا :

الألمى الذى يظن بك الظن - كأن قد رأى وقد سما

(٧) الجبلد : الأرض الصلبة ، أي أنه مدس ساس لللكة وهو دائب على مث الثبات والزرع في أرض لا تلتص لملايتها وإماضة للماء إليها من حيون تنير من الصخر .

(٨) يقول : ما لك أخلت آمالي وبذلك مكانتي العالبة عندك التي كنت تحلى بها فوق ذروة النجم فأتراني إلى حضيض الموان .

أَحِينَ رَفَّ عَلَى الْأَفَاقِ مِنْ أَدَبِي غَرَمْتُ لَهُ مِنْ جَنَاهُ يَانِغُ الثَّمَرِ (١)  
وَسِيْلَةً سَبَبًا - إِلَّا تَكُنْ نَسَبًا - فَهَوَّ الْوِدَادُ صَفَا مِنْ غَيْرِ مَا كَدَّرِ

\* \*

وَبَإْنٍ مِنْ تَنَاهٍ حُسْنُهُ مَثَلٌ وَفَى الْحَاسِنِ مِنْهُ مُعْلَمُ الطَّرِ  
يُسْتَوْدَعُ الصُّحُفَ لَا تَخْفَى نَوَافِهُ إِلَّا خَفَاءَ نَيْسَمِ الْمِسْكِ فِي الْعُصْرِ (٢)  
مِنْ كُلِّ مُخْتَلَةٍ بِالْجَبْرِ رَافِلَةٌ فِيهِ اخْتِيَالُ الْكُمَابِ الرُّودِ بِالْجَبْرِ (٣)  
تُجْفَى لَهَا الرُّوضَةُ الْغَنَاءُ أَفْضَحُهَا تَجَالُ دَمْعُ النَّدَى فِي أَعْيُنِ الزُّهَرِ (٤)

(١) رف البات اعتر - يقول : هل جن انثرت آدابي ومدامحي في الأفاق فاجت يانغ الثمر ، ولم يذكر جواب الاستفهام في البيت بعده لأنه مفهوم من السياق ، وهي عادة مأثومة كما قال الشاعر :

«الآن لما كنت أكل من معي وافتر نابلك عن شاة الفارح  
وتكلمت بك للروءة والفقى وأعنت ذلك بالتمال الصالح»

وقول الغائل :

«أبت لي معي وأبي بلائي وأخمدى الحمد بانش الريح  
وإجشأ على للكرهه عسى وضري حامة البطل للشبح  
وقول - كما حاشأت وحاشت - مكائك تحمدى أو تستعنى»

وربما ذكر الجواب كما ترى في قول ابن الروي :

«الآن حين زارت واستع الورى زارى وأندرك كلب هر ديه  
الآن حين سلت كل مسابى فتركت اسرع حرره تهريبه  
تجكك للتكموت ويأسقى ليطل بكك محجب تسييه»

(٢) أى يستودع ذلك الثناء - للضروب بعينه للثل - بطون الصحف ولا يمكن أن يخفى ما يروح من أروحه إلا إذا حوى روح المسك في العصور .

(٣) أى من كل صفة تختال بما فيها من اللامع الذى سطر به آيات يانه وسر بلاغه اختيال الجارية التي كسب ثيابها بما تلبسه من وفى منور ويردعج .

(٤) أى أنه يصطبغ المحبرة التي يكتب بمدادها آيات بلاغه ويحمر لأجلها الروضة الثناء أفصحها الحياء ، وجالت في أعين أرهاها دموع الندى .

يَا بَهْجَةَ الدَّهْرِ حَيًّا وَهَوًّا - إِنْ قَنَيْتَ  
لِي فِي اعْتِمَادِكَ - بِالتَّأْوِيلِ - سَابِقَةً  
فَقِيمَ غَضَّتْ هُمُومِي مِنْ غَلَا هَمِّي  
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ قَنَاهُ الْعَتَبِ لِي أَسْنَى  
نَذَرْتُ شُكْرَكَ لَا أَنْسَى الْوَفَاءَ بِهِ

حَيَاتُهُ - زِينَةُ الْآثَارِ وَالسَّيْرِ (١)  
وَهَجْرَةٌ - فِي الْهَوَى - أَوْلَى مِنَ الْمَجَرِ  
وَحَاصِنٌ بِي مَطْلَبِي عَنْ وَجْهَةِ الظَّفَرِ (٢)  
إِلَى الْمَذُوبَةِ مِنْ عَتَبِكَ وَالْخَصْرِ (٣)  
إِنْ أَسْفَرْتَ لِي عَنْهَا أَوْجُهُ الْبَشَرِ (٤)

\* \*

لَا تَلَهُ عَنِّي فَلَمْ أَسْأَلْكَ مُعْتَسِفًا  
وَأَسْتَوْفِرِ الْحَظَّ مِنْ نُصْحٍ وَصَاحِيَةٍ  
هَبْنِي جَهْلَتُ فَكَانَ الْعِلْقُ سَبِيَّةً  
إِنَّ السِّيَادَةَ بِالْإِعْضَاءِ لَا بِسَةِ

رَدَّ الصَّبَا بَعْدَ إِيْفَاكَ عَلَى الْكِبَرِ (٥)  
كِلَاهُمَا الْعِلْقُ لَمْ يُوهَبْ وَلَمْ يُعَرِّ (٦)  
لَا عُدْرَةَ مِنْهَا سِوَى أَنِّي مِنَ الْبَشَرِ  
بَهَاةَا وَبَهَاةِ الْحُسْنِ فِي الْخَفَرِ

(١) لمي في هذا البيت ممدوحه وهو لا يزال حيا يرزق ، وقد أخذ هذا للمي - ولم يحسن الأخذ -  
من قول أبي العلاء :

« حال ذى الأرض كانوا في الحياة وهم بعد المات حمال الكعب والسير . »

(٢) حاس : حاد ومال .

(٣) المص : السطح وإطهار الوحدة لمخالفة ارتكيب ، والمعنى : الرضا والروح إلى المنة بعد السخط ،  
والخصر : البرودة ، والمعنى : هل من سبيل بعد المص الشبه بالماء الأسن أى للتغير الذى لا يستغيثه  
شأوه إلى المعنى الشبه بالماء المذهب للارد السائغ شرابه - وقد أحسن أبو العلاء في حمل برد الماء الذى  
يصير به أطيب لشاربه سببا في عبره لا فراطه في الحصر والبرودة وذلك حيث يقول :

« لو انحصرت من الاسكان زرتكم والمص يهجر للارطاف والحصر . »

(٤) الضمير « عنها » حائد إلى المعنى ، واليدى : جمع يدى .

(٥) أى لم أعترف في السؤال ولم أطلب مستجيلا .

(٦) استوفى : استكثر ، وصافية : الاسان خلصته لدين يميلون إليه ويشتون بجله ويطلبون ما عنده  
والعائق : المعنى القيس الذى يمس به لغاسته فلا يوجب ولا يمار ، وقد ورد في ديوان الخاسة قول الشاعر :

« أبيت العن إن سكاك عاقى عيس لا يمار ولا يباع »

« معدة مكرمة طينا بجاع لها العيل ولا تحاج »

سليقة سابين نابلها إذا نبا يمسها الكراع . »



لَكَ الشَّفَاعَةُ لَا تُؤْمِنُ أُعِثَّهَا      دُونَ الْقَبُولِ بِمَقْبُولٍ مِنَ الْمَدَرِ <sup>(١)</sup>  
وَالْبَسَنَ مِنَ النَّمَةِ الْخَضِرَاءِ أَيْكُنْهَا      غَلَا حَرَامًا عَلَى «الآفَاتِ وَالْفَيْرِ» <sup>(٢)</sup>  
نَعِيمَ جَنَّةٍ دُنْيَا - إِنْ هِيَ أَنْصَرَمَتْ -      نَعِمَتْ بِالْخُلْدِ فِي الْجَنَاتِ وَالنَّهْرِ

### أُتْرَعِ الْكَاسُ

أَدْرِهَا فَقَدْ حَسَنَ الْمَجْلِسُ      وَقَدْ آتَى أَنْ تُتْرَعَ الْأَكْوَسُ  
وَلَا بَأْسَ إِنْ كَانَ وَلَّى الرِّيعُ      إِذَا لَمْ تَجِدْ فَقَدَهُ الْأَنْفُسُ <sup>(٣)</sup>  
فَإِنَّ خِلَالَ أَبِي حَاوِي      بِهَا يَخْفُضُ الْوَرْدُ وَالنَّزْجِسُ <sup>(٤)</sup>

### لَا حِيلَةَ فِي الْحَبِّ

بِاتُجِجَلِ الْغُصْنِ الْفَيْتَانِ إِنْ خَطَرَا      وَفَاضِحَ الرِّشْمِ الْوُسْثَانِ إِنْ نَظَرَا <sup>(٥)</sup>  
يَقْدِيكَ مِنِّي حُبٌّ شَانُهُ عَجَبٌ      مَا جِئْتَ بِالذَّنْبِ إِلَّا جَاءَ مُعْتَذِرَا <sup>(٦)</sup>  
لَمْ يُنْجِنِي مِنْكَ مَا اسْتَشْمَرْتُ مِنْ حَذَرٍ      هَيْبَاتُ كَيْدِ الْهَوَى يَسْتَهْلِكُ الْحَذَرَا  
مَا كَانَ حُبُّكَ إِلَّا فِتْنَةً قَدِيرَتَ      هَلْ يَسْتَطِيعُ الْفَتَى أَنْ يَدْفَعَ الْقَدَرَا <sup>(٧)</sup>

(١) المدر : جمع حذره كسدره مصدر كالمدر . (٢) وجد هذا البيت في الأصل ناقصاً هكذا :  
وَالْبَسَنَ مِنَ النَّمَةِ الْخَضِرَاءِ أَيْكُنْهَا      غَلَا حَرَامًا عَلَى الْآفَاتِ . . . . .

ووجد في هامش بعض النسخ كلمة لهذا البيت كله ( والمدري ) وهذه الكلمة : اسمها الآفات لا الآفات  
لخصت كلمة البيت بكلمتين كما ترى إحداهما من هامش بعض الأصول ، والأخرى يسطها السياق .

(٣) أدرك الكأس فقد صفا المجلس وانقضى حسنه من حسن الربيع فلم يعد نحس لربيع قلدا .

(٤) فان خلا أبي حاور تذكرنا بلورد والبرجس وزيينا طيها عنها .

(٥) يقول : « إنك ترى بالعين المورق إن مشيت وترى بالقلبي الغرير الطرف إن نظرت .

(٦) يقدمك الفداء حب أسره عجب ، فالكلمة آتيت ذنباً أي إلا أن يطس لك الأضرار ويغفلها لك خطأ

(٧) كنت أظن أنك تهجرني بعد الوصال وكنت اتلافى كل سبب يؤدي إلى ذلك وأخذت جهدي ألا يقع

ما حفته ولكن القدر لابد أن يمدح حكمه وليس يدفعه حذر . وما أجل قول الشاعر السامع محمود أبي الوفا :

« يا لائمي في الهوى دعي وما حلف      روي له ، ليس أرى في الهوى يدي »

وقول العباس بن الأحمق :

« تسد ولعت حواء ، لك بليسة      على أناسها ، وجلا من الخبل . »

## في مدح ابن جهور

مَرَلَهُمْ حَيْثُ السَّلَاحُ حَمَائِلُ وَمَوَزِدُهُمْ حَيْثُ الدَّمَاءُ مَنَاهِلُ <sup>(١)</sup>  
وَدُونُ الْمَنَى فِيهِمْ جِيَادُ صَوَافِنُ وَمَأْثُورَةٌ يِيضُ وَمُتَمَرٌّ عَوَامِلُ <sup>(٢)</sup>  
لِكُلِّ نَجِيدٍ فِي النَّجَادِ كَأَنَّمَا تُنَاطُ يَمْتَنُّ الرُّمَحُ مِنْهُ الْحَمَائِلُ <sup>(٣)</sup>  
طَوِيلٌ عَلَيْنَا لَيْلُهُ مِنْ حَفِيفَةِ كَأَنَّ صَبَابَاتِ النُّفُوسِ طَوَائِلُ <sup>(٤)</sup>  
كِنَاسٌ دَنَا مِنْهُ الشَّرَى فِي مَحَلَّةٍ بِهَا اللَّيْتُ يَمْعَدُو وَالْفَزَالُ يُعَاوِلُ <sup>(٥)</sup>

(١) للراد : اسم مكان من راد يرود أى ارتاد طلبا للنحلة والسلاح ، والحائل : جمع حيلة ومعى الشجر الكثير المجمع للثقب الذى يتر ما فى داخله ، ولناهل - جمع نهل - وهو موضع النهل وهو العرب أولا يقال شرب حلا بعد نهل يريد أنهم يهلون من دم واردهم ، وللمنى : الذى يرود حى أولئك العرب الاتحاد حيث ممكن الحيلة يرود هناك حائل يكثر فيها السلاح ولشجر الرماح ، ومن يرد متجمعهم يحد مهاهل تهمل فيها الدماء ويتمرض واردها لاسباب الماء .

(٢) الصوافن : من الخيل جمع صافى وهو الذى يقوم على ثلاث ويهي - نيك الرابطة ، ومأثورة صفة السيوف ، يقال سيف مأثور أى فيه أثر بفتح فسكون وهو فرند السيف وحوره وديباجه ، والسمر الرماح ، والموامل : صدورها جمع طامل ، يقول دون ما تنبناه حى منبع بالعامات الجياد حى بئيس السيوف وسمر الرماح .

(٣) نجيد : شجاع ذو نخعة وبأس ، والنجاد : حائل السيف ، وتنط : تلتق ، بنى الرمح : أى بقامة كالرمح فى الطول ، والعرب تمدح بالطول وتدم العملة والفصر ، دل رجل من بني :

«ولما التقي المعان واحتضنا ناهلا وأسباب اللها ناهلا

بين لى أنت القعدة ذلة وإن أعزاه الرجل طواها

دعوا يا لسمد واشتينا لطي أسودالغرى إندامواثرها .»

وقد أجاد أبو العلاء فى مدح القصير ، قال :

«حجب الأيام لطول همه ماحد أوفى به قصر على أضرابه

سهم التقي أسمى مدى من سيحه والرمح ، يوم طناه وضرايه .»

(٤) الحفيظة : الضرب ، والصبابات : جمع صباه ومعى المشق ، والطوائل : جمع طائفة ومعى القزة والتأر

يقول بطول على كل طويل النجاد ليه من حفيظة وقصب علينا ، وكان المشق وصبابات النفوس أوجبت له صدنا طوائل وترات فهو كمن يطلبتنا ليأثر منا .

(٥) الكناس : مأوى الظباء والبراري تستكن فيه من الحر ، والغرى : موضع تنسب إليه الأسود .

أَمَمْتُ الْقِيَابَ الْحُمُرِ وَسَطَ عَرِيْنِهِمْ      لَقَدْ قُصِرَتْ فِيهَا السَّرُوبُ الْعُقَائِلُ<sup>(١)</sup>  
 أَمْجُوبَةٌ لَيْلَى وَلَمْ تُخَصَّبِ الْقَنَا      وَلَا حَجَبَتْ شَمْسُ الضَّحَاءِ الْقَسَاطِلُ<sup>(٢)</sup>  
 أَنَاةٌ عَلَيْهَا مِنْ مَنَا الْبَذَرِ بِسَمٍّ      وَفِيهَا مِنَ الْفُصْنِ النَّصِيرِ شَمَائِلُ<sup>(٣)</sup>  
 يَحُولُ وَشَاخَاها عَلَى خَيْرَ زَانَةٍ      وَتُشْرِقُ فِي «مَوْشِيَّتَيْنِ» الْخَلَاخِلُ<sup>(٤)</sup>  
 وَلَيْلَةٌ وَأَفَنَّا الْكِتِيبَ لِلْوَعْدِ      كَمَا رِيعَ وَسَنَانُ الْمَشِيَّاتِ خَاذِلُ<sup>(٥)</sup>  
 تَهَادَى - أَنْسِيَابَ الْأَيْمِ - يَغْفُو أَنْارَهَا      مِنْ الْوُشْيِ مَرْقُومُ الْعِطَافَيْنِ ذَائِلُ<sup>(٦)</sup>

(١) الرين : «أوى الأسد ، وقصرت : حبت مال تملأ « حور مقصورات في الخيام » أى عوسات في الخيام محدرات على أزواجهن في الخانات ، والسروب : جمع سرب بالكسر وهو القطيع من الطيأ والنساء والطيأ ، والنصوص في كتب الله أنه يجمع على أسراب وسراب ، وقد جمعه هنا على سروب ، والقياس لا يأباه كما في جل وحول وضرس وضروس ، والمقائل : جمع عقيقة وهي من النساء الكريمة المحضرة ، ولعلى أفسم بحياة القباب الحمر وسط هرين حماها والفاي منها من أولئك الأسود امد حانت فيها أسراب المقائل وصف من السروب إلى والخروج لملأنا .

(٢) الضحاء : ارتفع النهار ووقته غف الضحى ملأ صاف النهار ، والقاسل : جمع قسطل وهو الباز الساطع (٣) الاناة : المرأة التي فيها مور من التيام وتأن ، قال الشاعر :

أما تزين اللث إما تلتفت وإن قدمت هلا فأحس بها علا

أى تزين اليد لآسة حلقها ومعلقة بثوب واحد ، والسا : الصوء ، ولانم : ما عليها من أثر الوسامة واخسن ، والنمائل : الطاع .

(٤) وفي الأصل « وتفرق في بردتين الملاحل » وهذه الرواة يحفل وردن اليد ، وقد أبدلناها بلفظة « موشيتين » للوضوعة بين قوسين لأنها بمعنى بردتين منقوشتين ولأنها قريبة منها في رسم الحروف ، لئلا أن يظهر جانب ما أنتهاه هنا .

(٥) روع : مرع لأمر مفاجئ ، ولوسان : الباتر الطرف شبه بالمرأة الوسى من النوم ، والنمليات : جمع عنية وهي آخر النهار ، والمخالد : من حذات الظلية فهي حاذل تخلفت عن صوابها واغرقت ، يقول ما أنس لا أنس ليلنا وادنا في الكتيب لومت حددناه موعدا لقاء مكانات كما ريع ظي فافر العظم افرود من سائر سرب الطيأ ، وقد مرّ العطر الأول من هذا البيت في صيدته الثالثة من (٢٤) من هذا الكتاب إذ قال :

وليلة واننا الكتيب لموعده سرى الأي لم يعلم لسراه مزحف

تهادى اناة الخطر مرتاعة الحشا كما ريع يغفور الغلا للنفرف

(٦) تهادى : أصله تهادى ، وهو معنى في تناقل وتمايل وسكون ، والأيم : والأين الحية ، وهو : يحو والامار : جمع أثر جمه على فعل بالكسر حما قياسا كما في جبل وحيال وجبل وجمال ، قال ابن مالك :

« وفصل أيضا له فقال ما لم يكن في لامة اعتلال . »

قَعِيدُكَ ، أَنَّى زُرْتِ ضَوْءُكَ سَاطِعٌ      وَطَيْبُكَ نَفَاحٌ وَحَلِيكَ هَادِلٌ (١)  
هَبِيكَ أَفْتَرَزْتَ الْحَيَّ وَاشْيِكَ هَاجِعٌ      وَفَرَعُكَ غَرِيبٌ وَلَيْسُكَ لَاقِلٌ (٢)  
فَأَنَّى اعْتَسَفْتَ الْهَوْلَ خَطْوُكَ مُذْمَجٌ      وَرَدَفُكَ رَجْرَاجٌ وَعِطْفُكَ مَائِلٌ  
خَلِيلِي مَالِي كُلُّمَا رُمْتُ مَلَوَةٌ      تَعَرَّضَ شَوْقٌ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ  
أَرَاخُ إِذَا رَاحَ النَّسِيمُ شَامِيَا      كَأَنَّ شَمُولًا مَا تُدِيرُ الشَّمَائِلُ (٣)  
ضَلَالًا تَمَادَى الْهُبُّ فِي الْمَشْرِ الْمَدَا      وَلَجَّ الْهَوَى فِي حَيْثُ تَخْتَشَى الْغَوَائِلُ (٤)

ولم يمتدح فيما راحمه من كتب القصة على هذا الجمع ، والمطاف : بالكسر وللمطاف كل ثوب كالرداء والطيلسان تطلعت أي تردب به ، وسمى صطفا لوموء ، على عطى اللباس وهما ناعيا عنه ، والردوم : ذو الوهي والانتش أو المكبوب عليه رتم البحر ، والفتائل ذو الفيل ، وهو أيضا من الفتائل وهو معنى مغلوب الخطو فيه دفع وعلة شبيهة بعشة الذهب أو اللؤلؤ من حل ، أو هو دنى سريع حفيف في ميس وسرعة وبه يسمى الذهب. وإالة ، واللى الأول هو المقصود هنا ، يقول واحنا الدوعوى تلك الإالة تهادى مشيتها كاسيات الحبة في الرمل نحو ما ركبه من آثار الفنى ، دليل توبها للوضى ، وهو قريب من قول امرئ القيس : « حرجت بها ألقى نحر وراءنا على أنزبا ديل مرط مرحل . »

(١) مبيدك : ممدوحه صوب لياحه من الجمل والتقدير سألت الله حفظك ، وهادل : مرسل مسترخ إلى أسفل (٢ و ٣) مكرران مع قوله فيما تقدم في الغاية :

« هبك افتترت الحى واشيك هاجع ومرتك غريب وليك أهصف  
فأنى اعتست الهول خطوك مذمج وردك رجراج ونصرك عطف »

ولكن بتخير الغاية كما ترى ، واقتدت : «لنن المجمة أنت منهم غرة وغمة فزرتا ، وقد ضمنه معنى خدمت بمداه إلى المفعول بنفسه ، وتقدم تغييره بالبن للهمة بمعنى حب الحى وضفت به سائلة على خبر علم من أهله ، إلا أن هذا يستعمل طالبا في المعترى طالب المروف . قال حاتم الغائب :

« أوقد فان الليل ليل قرّ والريح يا غلام ريح صرّ  
لعلّ أن يصهرها المسر إن حلب صيماً فأنسحر . »

(٢) أراج : كأخف من الارتجاج ، وراج : من الرواج ، والشمول : من أسماه الحر ، والعمائل : جمع العمال بالفتح ومعنى ربح تهب من قبل الغمام عن يسار القبلة ، وفي العمائل والشمول يقول الشاعر :

« ألت سليمى واللىم عليل تخيل لى أن العمال شمول  
كأن الخواص صفت منه قرظا فمسكر أحاق الطي تطول . »

(٤) معنى مكرر بلفظه ولكن بتخير الغاية مع قوله في الغاية المقصودة :

« بلج تَمَادَى الْهُبُّ فِي الْمَشْرِ الْمَدَا وَأَمَّ الْهَوَى الْأَفْقَ الْهَوَى فِيهِ شَفَا . »

كَانَ لَيْسَ فِي نُعْمَى الْهَمَامِ «مُحَمَّدٌ»  
أَغْرُ إِذَا شَمْنَا سَحَابَ جُودِهِ  
يَبْشُرُنَا بِالنَّائِلِ الْفَسْرِ «جُودُهُ»  
لَدَيْنَهُ رِيَاضُ السَّجَايَا أُنَيْقَةُ  
أَتَى فَا تِلْكَ السَّمَاحَةُ بُهْرَةُ  
زَعِيمُ الدَّهَاءِ أَنْ تُصِيبَ مِنَ الْمَدَا  
فَمَا سَيْفُ ذَلِكَ الْعَزَمِ فِيهِمْ عِمْقُودُ  
بَنِي «جَهْوَرٍ» عَشْتُمُ بِأَوْفَرِ غِبْطَةٍ  
تَفَاضَلَ فِي السَّرْوِ الْمُلُوكُ، فَعَلِمْتُهُمْ  
مُسْلٍ وَفِي مَتْنِي أَيَادِيهِ شَاغِلُ (١)  
تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأُسْتَهْلَتْ أَنْكَبِلُ (٢)  
وَقَبْلَ الْحَيَا مَا تَسْتَطِيرُ الْمُخَايِلُ (٣)  
تَعَلَّلُ فِيهَا لِلْمُعْطَايَا جَدَاوِلُ  
وَفِي فَا تِلْكَ الْجِبَالُ حَبَائِلُ (٤)  
مَكَائِدُهُ مَا لَا تُصِيبُ الْجَحَافِلُ  
وَلَا سَهْمُ ذَلِكَ الرَّأْيِ أَفُوقُ نَاصِلُ (٥)  
فَلَوْلَاكُمْ مَا كَانَ فِي الْمَبْشِيِّ طَائِلُ  
أَنَايِبَ رُمُحِ أُنْتُمْ فِيهِ عَامِلُ

(١) - مل: أى صارف من الهوى الذى تحدث عنه فيما سبق من أبيات القصيدة ، ومتى الأيادى : إعادة للمعروف مرتين ما كثر ، والاصباء : من حزور اليسر يهزها الجواد يطمسها الأبرام ، قال اللطائف :

« بَيْتٌ دُوَّعَرَضَهُمْ هَى وَهَلْهُمْ وَلَيْسَ حَمَلُ أَسْرٍ مِثْلُ مَنْ طَا  
أَفَى أُنْتُمْ أَيْمَارِي وَأَسْجُهُمْ مَتْنِي أَيَادِي وَأَكْوَالُجَعَةِ الْأَدْمَا »

ولدت من أحسن أبيات التخلّص من السبب إلى النفع .

(٢) تهلل : اشترق وطهرت عليه أمارات السرور ، واستهال : من استهلال اللط وهو انصبابه بشدة حتى يسمع له صوت ، شه أنامله في الجود بالحباب للتهلل .

(٣) الحيا : المطر ، ما تستطير : مارائدة أو مصدرة ، وتستطير : تنقصر وتم الأمل ، والمخايل : جمع محبة ومع أن ترجو وتغن أن السماء حليلة المطر ، وفي الأصل « يبشرون بالنائل العسر » وسده يبايى وقد أكرنا الشطر بلطف « جوده » الموضوع بين هلالين أخذنا من السياق ، ومعنى البت يبشرون بالبطاء الكثير حوده وقبل استهلال المطر تنقصر محابه وعلاماته في السماء .

(٤) الأتى : التامد الذى يأتى للأمر ، وبهزة : يريد أنه لا يلهى لى السباحة اشتهاراً واقتراضاً إذا صنعت له العزيمة بل يأتى لها ويضئ عليها في كل وقت غير متعين لها العرس ، والحل : العهد والدة والتواصل وعدم التناطح ، والمخائل : جمع حاة ومع للصيد وفي الحديث « الفناء حبايل الشيطان » أى مصايده .

(٥) للمعد والمعداد : سيف تمهى على شكل لاجل يتخذ القضاة لقطع العنق ، والزراعة لقطع مروح البحر ليطوا بما يسقط من ورقها غنمهم وإلهم ، وأفوق : مكسور فوق بالضم وهو حرف السهم وإذا كان في إحدى رمقى السهم أى حرفيه اكسار فذلك السهم أفوق ، والاصل : الداسط النصل وهو حديدة السهم ، والمعنى : أنه ماضى العزيمة صائب الرأى ، وفي الأصل : « أفوق نازل » .

لَنْ قَلَّ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ عَدِيدُكُمْ  
فِدَاؤُكُمْ مَنْ إِنْ تَعِدُهُ ظُنُونُهُ  
مَنَّا كَيْدُ<sup>(١)</sup> فِعْلُ الْخَيْرِ مِنْهُمْ تَكَلَّفُ  
فَإِنْ سُبِرَتْ أَخْلَاقُهُمْ يَتَخَلَّقِ  
لَكَ الْخَيْرُ ، إِنْ قَاتِلٌ غَيْرُ مُقْصِرٍ  
لَعَمْرُكَ سَرَّاءُ الشَّرِّ وَأَفَّاكَ وَفْدُهُمْ  
لَا عَذْرَتَ لِمَا لَمْ يُعْلِكَ مُكْتَنُهُمْ  
نَضَدَتْ رِيَّاحِينَ الطَّلَاقَةِ غَضَّةً  
فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا سَدِيدُ زِرَاعِهِ  
صَمَانٌ عَلَيْهِمْ أَنْ سَيُؤَثَّرُ عَنْهُمْ

فَإِنْ ذَرَارِيَّ الشُّبُومِ قَلَّالُ<sup>(٢)</sup>  
لِحَاقِكُمْ فِي الْمَجْدِ فَالْدَّهْرُ مَا طُلُ  
إِذِ الشَّرُّ طَبَعَ مَا لَهُمْ عَنْهُ نَاقِلُ  
فَكُلُّ خَضِيْبٍ لَا عَمَّالَةَ نَاصِلُ<sup>(٣)</sup>  
فَنَ لِي بِأَسْتَيْفَاءِ مَا أَنْتَ فَاعِلُ ؟  
لَمَّا ذَمَّ مِنْهُمْ ذَلِكَ النَّزْلُ نَازِلُ  
إِذَا عَذَرَ الْمُسْتَقْتَلِ الْمُتَشَاوِلُ<sup>(٤)</sup>  
وَرَفَرَفَتْ مَاءُ الْبِرِّ وَهُوَ سَلَّاسِلُ  
إِلَيْكَ مُقِيمُ الْقَلْبِ وَالْجِسْمُ رَاجِلُ  
عَلَيْكَ ثَنَاءٌ فِي الْمَحَافِلِ حَافِلُ<sup>(٥)</sup>

(١) ألم كثير من الشعراء بهذا المعنى في صور مختلفة نختار منها قول السموأل في لاميته المشهورة :

« تَمِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ هَدِيدُنَا ظَلَّتْ لَهَا : إِنْ الْكَرَامُ قَلِيلٌ

وَمَا قَلَّ مِنْ كَابٍ بِقَايَاهُ مَثَلًا شَبَابٌ تَسَامَى لَعْمَلًا وَكُهُولُ. »

وقول العباس بن مرداس :

« صَاحَاتِ الْعَالَمِ أَكْثَرُهَا فِرَاسًا وَأَمُّ الْبَصَرِ مَقْلَافَةُ تَزُورُ . »

(٢) جمع منكود من بكى لرجل بالبناء المجهول وهو منكود إذا كثرت أسواله وقلَّ خيره .

(٣) خَضِيْبٌ : محضوب ، وماصل : وصف من وصل الشعر ينصل بالضم زال عنه الحضاب ، وهو معنى كثير الورد في كلام الشعراء ، قال زهير .

« وَمَهْمَا تَكُنْ هَذَا أَمْرِي مِنْ خَلْقَةٍ وَإِنْ خَلَقَا نَفَى عَلَى النَّاسِ تَدْلَمُ . »

وقال الآخر : « وَمَنْ يَخْذُ خَيْمًا سِوَى خَيْمِ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيَقْبَلُهُ عَلَى الْفَسْ خَيْمِهِ . »

وقال ذو الأصم المدائني .

« كُلُّ أَمْرٍ صَاحَرٌ يَوْمًا لَيْسَتْهُ وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ . »

(٤) لأعذرت : لقد بدا عذرك واتضح ، والمستقل : السقطي لمكثهم أكثر مما تستلزمه موجبات الضيافة ، والمتنازل : المتباطي الذي أثقل على مضيقه فأله وأصره ، يقول أثبت عذرا لنفسك وانصاحا حين لم تمل ولم تسأم طول مكث سرارة الشعر الوافدين عليك في وقت يعرف فيه المتنازل عذر مضيقه إذا مل مكانه وعده ثقيلًا .

(٥) صمان على هؤلاء الوادين أنه سيؤثر ويروى عنهم ثناء عليك في المحافل حامل بأنواع الحماد والمدائح .

مَسَاجٍ هِيَ الْمَقْدُ انْتِظَامَ مَحَاسِنِ  
تُخْبِرُ بِهَا الْأَمَالُ وَاللَّيْلُ وَابٍ<sup>(١)</sup>  
تَحْمِلُ بِهَا جِيدُهُ مِنَ الدَّهْرِ حَامِلُ  
وَتُخَصِبُ مِنْهَا الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ مَاحِلُ

هَيْئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي بِكَ أَصْبَحْتَ  
تَلْقَاكَ بِالْبَشْرِ وَحَيَاكَ بِالْمُنَى  
لَنْ يَنْصَرِمَ شَهْرُ الصَّيَامِ لِبَعْدِهِ  
رَأَيْتَ أَذَاءَ الْفَرَضِ صَرْبَةً لَا زِمَ  
سَدَنَتْ<sup>(٢)</sup> يَبِيتُ اللَّهُ حُبَّ جَوَارِهِ،  
هَجَرَتْ لَهُ الدَّارَ الَّتِي أَنْتَ آلِفُ  
قَابُ تَتَفَاكَلُ الدِّيَارُ قَطَا لَمَّا  
أَلَا كُلُّ - رَجْوَى فِي سِوَاكَ - عُلاَةٌ  
فَمَا لِعِمَادِ الدِّينِ - حَاشَاكَ - رَافِعُ

لَا مُنْتَهَى الْخُطْبِ الَّذِي أَنَا خَائِفُ  
أَرَى خَاطِرِي كَالصَّارِمِ الْعَصْبِ لَمْ يَزَلْ  
وَمَا الشَّعْرُ مِمَّا أَدْعِيهِ فَضِيلَةٌ  
بَقِيَتْ كَمَا تَبْقَى مَعَالِيكَ إِنَّمَا  
فَمَا نَسْتَزِيدُ اللَّهَ بَعْدَ نِهَايَةٍ  
وَبَلَّغْتَنِي الْحِظُّ الَّذِي أَنَا آمِلُ<sup>(٣)</sup>  
لَهُ شَاخِذٌ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ صَافِلُ  
تَرِينُ ، وَلَكِنْ أَنْطَقْتَنِي الْفَوَاضِلُ  
خَوَالِدُ حِينَ الْعَبَسُ كَالظِّلِّ زَائِلُ  
لِنَفْسِكَ غَيْرَ الْخُلْدِ إِذْ أَنْتَ كَامِلُ<sup>(٤)</sup>

(١) في الأصل «رائد» (٢) وفي الأصل «سدك» (٣) وقد ورد بعد هذا البيت قوله :

« ..... أَلَمْ هُمُ فَمَا أَنَا لَا أَفْعَلُ وَلَا أَنْتَ غَافِلُ . »

وقد أجهله ناصحاً كما ورد بالأصل .

(٤) قريب من هذا المعنى قوله من قصيدة سابقة :

« لَا أَسْتَزِيدُ اللَّهَ فَمَا لِي بِكَ ، لَا بَلْ أَسْتَدِيمُ »

## إلى ابن جهور

« وقال أيضا مع قفاح أهدها إلى ابن جهور . »

أَتَتْكَ يَلَوْنِ الْمُحِبِّ الْحَبْلُ      تُخَالِطُ لَوْنَ الْمُحِبِّ الْوَجِلُ<sup>(١)</sup>  
 عَمَارُ تَضَمَّنَ<sup>(٢)</sup> إِذْ رَاكَهَا      هَوَاهُ أَحَاطَ بِهَا مُقْتَدِلُ  
 تَأْتِي<sup>(٣)</sup> لِلْإِطَافِ تَدْرِجِيهَا      فَنَ حَرِّ شَمْسٍ إِلَى بَرْدِ ظِلِّ<sup>٤</sup>  
 إِلَى أَنْ تَنَاهَتْ شِفَاءَ الْمَلِيلِ      وَأَنْسَ الْمَشُوقِ وَلَهُوَ الْقَزَلُ  
 فَلَوْ تَجَمُّدُ الرِّاحِ لَمْ تَعُدْهَا      وَإِنْ هِيَ ذَابَتْ فَعَمُرُ تَحِيلُ<sup>(٥)</sup>  
 لَهَا مَنَظَرٌ حَسَنٌ فِي النُّفُوسِ      كَذُنَيْكَ لَكِنَّهُ مُنْتَقِلُ<sup>(٦)</sup>  
 وَعَلِمُ يَلْدُ لَبَنٍ ذَافَهُ      كَلْدَةُ ذِكْرَاكَ لَوْ لَمْ يَمِلْ<sup>(٧)</sup>  
 وَرَبَا إِذَا نَفَحَتْ خِلْتَهَا      تُمِلُّ نَتَاءَكَ أَوْ تَسْتَهِلُ<sup>(٨)</sup>  
 يُعْمَلُ مَلْعَسُهَا لِلْأَكْفِ لَيْنَ زَمَانِكَ أَوْ يَمْتَلِ<sup>(٩)</sup>

(١) معنى البيت: أتتك هذه الصالحات بحمرة كحمره عند اللاح عند الحبل، تخالطها صبرة كصبره عند العاشقين عند الوحل . (٢) أى تكفل بأصاح هذه الثمار هواء ممدد متوسط بين الحرارة والبرودة (٣) تأتى للاستمرارية له وأناه من وجهه ، والمعنى : تطفئ ذلك الهواء في تدرج نحوها وصحبها بذلك الألوان الراحية فتقتل منها من حر خمس إلى برد طل حتى تضجت وأبست .  
 (٤) يقول لو أن ذوب الراح تحول إلى جد لم يعد أن يكون ذلك الطراح ، ولو أن جامد الطراح تحول إلى ذوب أحر لم يعد أن يكون حرا حلالا لا إثم على شاربيها .  
 (٥) معنى : أن منظرها حسن يعظم ما في ذيك من ع الحسن إلا أنه حسن منتقل حائل ، وحسن ذيك لا يحول ولا يتقل .

(٦) ولها طعم حلو للذائق ليدرك كلفة ذكرارك في الأسجاع إلا أنه يمل وترديد ذكرارك لا يمل .  
 (٧) ولها ربا : أى ربح طيبة ، عمل : أى على مدحك ، أو تستهل : أى ترفع صوتها بانثاء ، عليك .  
 (٨) يصور مجلس الطراح الناعم للأكف لئن زمانك حتى كأنها تحسه ، أو يمتل أى يضرب نفسه مثلا لئن زمانك .



صَفَوْتُ فَأَذَلَّتْ<sup>(١)</sup> فِي عَرْضِهَا وَمَنْ يَصِفُ مِنْهُ الْهُوسَى فَلْيَدِلْ<sup>٢</sup>  
 قَبُولُكُمَا نِعْمَةٌ غَضَّةٌ وَفَضْلٌ - بِمَا قَبْلَهُ - مُتَّصِلٌ  
 وَلَوْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ نَفْسِي أُخْتَصِرَ<sup>٣</sup> تَ عَلَى أَنَّهَا غَايَةُ الْمُحْتَظِلِ<sup>(٤)</sup>

### مجلس أبي علي

« لما ورد ابن زيدون إشبيلية نزل في دار  
 ذى الوزارتين الكاتب أبى علي بن جبلة وهو  
 بنى فيها مجلسا ، فصنع أياتا فكتبت فيه : »

عُمَرَ مَنْ يَعْمُرُ ذَا الْمَجْلِسَا أَطْوَلَ عُمُرٍ يُبْهِجُ الْأَنْفُسَا  
 وَبَعْدَ ذَا عَوْضَ عَنْ دَارِهِ عَدْنَا وَمَنْ دِيَابِجِهِ السُّنْدُسَا  
 وَوُفَى الْفَوْزَ بِهَا وَالرَّضَى وَوُفَى الْأَسْوَاءَ وَالْأَبْوَسَا<sup>(١)</sup>  
 وَدَامَ عِبَادُ لِعَهْدِ الْهُدَى يَحْرُسُ حَتَّى يُفْنِيَ الْأَحْرُسَا<sup>(٢)</sup>

\* \*

مُعْتَصِدٌ بِاللَّهِ إِحْسَانُهُ جَمٌّ إِذَا مَا الدَّهْرُ يَوْمًا أَسَا  
 الْمَلِكُ النَّمِرُ النَّدَى الْمُقْتَنَى مِنْ كُلِّ سَحْدٍ عِلْقَةُ الْأَنْفُسَا<sup>(٣)</sup>  
 إِنْ رَامَ يَوْمًا وَصَفَ عَلَيَانِهِ مُؤَمَّةٌ مُقْتَدِرٌ آخِرَسَا<sup>(٤)</sup>  
 لَا زَالَ بَذْرًا طَالِمًا نِيرًا يَكْشِفُ مِنْ آمَاتِنَا الْحِنْدَسَا<sup>(٥)</sup>

(١) الادلال التذلل والانساط والجرأة على من تحب باظهار الفاتة عليه ، أى وقتت بما بيننا من الصفاء والود فأمرطت في الفاتة عليك بعرض هذا التفاح الذى يتهدى بجملة الأضياء المحاصون ، ومن صف في الهوى يلمطهر الدلال على من يحبه .

(٢) المحتفل بالمبالغ في الاحماء ، والمعنى : لو كنت حين أردت الاحماء أهديت شئى لاختصرت ، على أنها غاية ما أحصل وأبالغ في تقديمه إليك هدية . (٣) الأسواء : جمع سوء والأبوس جمع بؤس .

(٤) الأحرس : الدهور ، جمع حرس بفتح مسكون وهو الدهر .

(٥) الملك العظيم الاحسان الذى طفر من الثناء بما لم يظفر به غيره من آيات الحمد .

(٦) إذا رام السن للبين أن يصف مجده أضياء الخرس لأنه يحاول بذلك أن يظفر بالمتحيل .

(٧) الطلام .

## جواب

« كتب الوزير الفقيه صاحب الأحكام والأجاس

« أبو طالب بن مكي » يتين وهما :

« يا بعيد الدر موصو

لا بقلبي ولساني

ربما بأعبدك الله

وقادنتك الأمانى . »

فكتب إليه الأبيات التالية : »

لَا أَفْتِنَانْ كَافْتِنَانِي فِي حُلَى الظَرْفِ الْحِسَانِ<sup>(١)</sup>

خَصَّنِي بِالْأَدَبِ اللَّهُ فَأَعْلَى فِيهِ شَانِي

خَاطِرِي أَنْفَدُ - مَهْمَا قَيْسَ - مِنْ حَدِّ السَّنَانِ

\*\*\*

أَيُّهَا الْمُرْسِلُ أَطْيَا رَ الْمَعْنَى لِامْتِحَانِي

هَآكِ كَيْ تَزْدَادَ فِي الْآدَابِ عِلْمًا يُمْكِنِي

قَدْ أَتَيْنَا الطَّبْرَ تَشْدُو بَعْضَ أُنْيَاتِ الْأَغَانِي

بِرِطَانَاتٍ قَضَيْنَا مَا أَقْضَيْنَا مِنْ يَكُنِي

\*\*\*

إِنْ تَفَقَّى الْبُلْبُلُ أَهْتَا جَ غِنَاءِ الْوَرَشَانِ<sup>(٢)</sup>

(١) قال في اللسان : الظرف البراعة ودكاء القلب بوصف به الفتان الأروال والعتيات الزولات ولا يوصف به الشيخ ولا السيد ، وقد وصف الحسان بالظرف بمبالغة ، ويعوز أن يكون بالفهم جمع ظرف ، فانه يجمع على ظرف بضمين ، والاسكان في قوله جئز ، واللى : ليس يعيد أحد - كما أعيد - الافتنان في صوغ تلك الحلى الحسان التي يلجها الطرف والبالغة .

(٢) الورشان : طائر لجه - فيها يقولون - أخف من الحمام ، واللى : أن غناء البلبل يحتاج غناء الورشان يشير بذلك إلى أن شعر صديقه الوزير احتاجه لحرك فيه بواص الشعر كما احتاج غناء البلبل غناء الورشان .

فَتَادَى مِنْهُ يَتَا غَزَلٍ مُنْفَرِدَانِ  
لِحُبِّبٍ فِي حَبِيبٍ عَنْهُ نَاهٍ مِنْهُ ذَائِبٌ :  
« يَا بَعِيدَ الدَّارِ مَوْصُو لَا بِقَلْبِي وَلِسَانِي  
رُبَّمَا بَاعَدَكَ الدَّهْرُ فَأَذْنَتَكَ الْأَمَانِي »

### كن كيف شئت

بَاغَزَلًا أَصَارَنِي مُوْتَقًا فِي يَدِ الْمِحَنِ  
إِنِّي - مُذْهَجَرَتَنِي - لَمْ أَذُقْ لَذَّةَ الْوَسَنِ  
لَيْتَ حَظِّي إِشَارَةٌ مِنْكَ ، أَوْ لَحَظَةٌ عَنِّي<sup>(١)</sup>  
شَافَعِي يَا مُمَذِّدِي فِي الْهَوَى وَجْهَكَ الْحَسَنِ  
كُنْتُ خِلْوًا مِنَ الْهَوَى قَانَا الْيَوْمَ مَرْتَمَنَ<sup>(٢)</sup>  
كَأَنَّ مَرَى مَكْتَمًا وَهُوَ الْآنَ قَدْ عَلَنَ<sup>(٣)</sup>  
لَبَسَ لِي عَنْكَ مَذْهَبٌ فَكَمَا شِئْتُ لِي فَكُنْ<sup>(٤)</sup>

(١) يقول : إني اتقت منك بالحق ، العليل للناقة وأكثى بأن يكون حظي من حرك إشارة أو لفتة سرية  
وقد دار الشراء حول هذا المعنى ، ولعلّ أبعد ما قيل فيه قول جميل ذمية :

« وَإِنِّي لَأَرْضِي مِنْ بَيْتَةِ بَالِدِي لَوْ أَحْصَرَهُ لَوْشِي لَغَرْتُ بِلَابِي  
بَلَا ، وَبَلَا أَسْتَطِيعُ ، وَبَلَالِي ، وَبِالْأَمَلِ لِلرَّحْوِ قَدْ خَالَ آه  
وَبِالْظُّرَّةِ الْعَبِيلِ ، وَبِالْحَوْلِ تَغْضَى أَوَاخِرُهُ - لَا تَنْتَقِ - وَأَوَاتُهُ . »

(٢) الخلو : الخالي . يقول « كنت طليقاً حالياً من إيسار الهوى فصرت اليوم أسيراً مرتبها . »

(٣) يقول : « كان سرى حايماً لا يملكه أحد فأصبح مملواً ، وما أجل قول مرّود في شبهة هذا المعنى  
« وَكَذَلِكَ الْغَطَاءُ فَا نَبَالِي أَصْرَحًا بِذِكْرِكَ أَمْ كُنْتُنَا  
سَائِلِينَ عَنْ ثِمَامَاتٍ يَجْرِي وَبِالنَّارِ الْمَلَمُ يَلْمُ مِنْ عَيْنَا  
وَلَوْ أَنَا قَتَادَى « يَاسَلِيمِي » لَقَالُوا : مَا عَنَيْتُ سَوَى لَيْلِي »

(٤) يقول : « لانيك لي من إيسار حبك فاصنع بي ما أنت صانع . »

### حين

هل رَاكِبٌ ذَاهِبٌ عَنْهُمْ يُحْيِي  
 إِذْ لَا كِتَابَ يُؤَافِيهِ فَيُحْيِي<sup>(١)</sup>  
 قَدْ مِثُّ إِلَّا ذَمَاءٌ فِي يُمْسِكُهُ  
 أَنْ الْقَوَادِ يُلْقِيَاهُمْ يُرْجِي<sup>(٢)</sup>  
 مَا سَرَّحَ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنِي وَأَطْلَقَهُ  
 إِلَّا أَعْيَاذُ أَمْسَى فِي الْقَلْبِ مَسْجُونِ<sup>(٣)</sup>  
 صَبْرًا لَعَلَّ الَّذِي بِالْبُعْدِ أَمْرَضَنِي ،  
 بِالقُرْبِ يَوْمًا يُدَاوِيَنِي فَيَشْفِيَنِي  
 كَيْفَ أَصْطَلِبَارِي وَفِي كَأَنُونِ<sup>(٤)</sup> قَارَقَنِي  
 شَخْصٌ يُدْكَرُنِي قَاهُ وَغَرَّتُهُ  
 لَنْ عَطِشْتُ إِلَى ذَاكَ الرُّضَابِ لَكُمْ  
 قَلْبِي وَهَاتَخُنْ فِي أَعْقَابِ تَشْرِينِ<sup>(٥)</sup>  
 شَخْصُ النَّهَارِ وَأَنْفَاسُ الرَّيَالِحِينَ  
 وَإِنْ أَقَاضَ دُمُوعِي نَوْحٌ بِأَكِيَّةٍ  
 قَدْ بَاتَ مِنْهُ يُسْقِيَنِي فَيُرْوِيَنِي  
 وَإِنْ بَعُدْتُ وَأَضْنَيْتِي الْهَمُومُ لَقَدْ  
 فَكَمَ أَرَاهُ يُغْنِيَنِي فَيُشْجِيَنِي<sup>(٦)</sup>  
 وَأَنْ بَعُدْتُ وَأَضْنَيْتِي الْهَمُومُ لَقَدْ  
 عَهْدُهُ وَهُوَ يُدْنِيَنِي فَيَسْلِيَنِي  
 أَوْ حَلَّ عَقْدَ عَزَائِي نَأْيُهُ فَلَكُمْ  
 حَلَّتْ عَنْ خَصْرِهِ عَقْدَ الثَّمَانِينَ<sup>(٧)</sup>

(١) هل يوافيني رسول من قل من أجه يصعد إلى تحيتهم بعد أن حرمت كتبهم التي كانت تعبد إلى الحياة.

(٢) لقد كنت أحسب في عداد الملوك لولا بقية قلبه من الروح يمشي في الرجاء والامل في لغتهم .

قال ابن الرومي في رثاء ابنه :

« ولقد تزيى القلب سلوته أنى بأن أفكك مرتين . »

(٣) لم ينس دمي إلا ذكريات مؤلمة مسجونة في قلبي فتداني حيناً بعد حين وتطيف بدمي فتطلق

الدمع وتسرعه . (٤) شهر من عهور الشتاء وهو ديسمبر ، قال أبو الللاء :

مضى كانون ما استعملت فيه جم الماء ، فاقدم يا سباط

كتابه أنفس المعرات تسي يكون لمن بالسيف ارتطام

(٥) شهر من عهور السنة الرومية وهو يوافق ١٤ أكتوبر ، وما تمرينان أحدهما في ١٤ أكتوبر

والثاني في ١٤ نوفمبر ، ولعل المراد تمرين الثاني . (٦) في الأصل : مبروي .

(٧) عهد عزائي : العهد ضد الحلق ، والمزاء : الصبر ، والأي : البعد وعهد الثمانين : أحد عقد

الأصابع التي يجمع بها عدد الثمانين والاشارة إلى عهد الثمانين تكون ببط الإبهام والسبابة مما تلاصقتين

بلا مرجة ظاهرة بينهما ، وللي : لئن حل نأى الحبيب وبعدة عقد عزائي وسواني عنه ، مكبراً ما حلت

عن خصره نطاقاً بنفسه في الضيق عهد الثمانين ، وهذا الحصر الذي وصله ابن زيدون يندق في الوهم ،

ويطلف في الحيال والحس إلى حسنة أنا لا صبره على شويه ومثيل حتى ولا في خصور التاحلات الرشيقات



## يَا حُسَيْنُ إِشْرَاقِ سَاعَاتِ الدُّنُوبِ بَدَتْ كَوَاكِبُهَا فِي لَيَالِي بُمْدِهِ الْجُونِ (١)

من بنات أوروبا وباريس في العصر الحاضر عصر العنق والرشاقة ، ودفنة المحصور ، والافراط في تمزيق عقد النطاق .

### عقد الأصابع

لما كانت كلمة « عقد الثمانية » الواردة في بيت « ابن زيدون » هذا لا يبين فيها وجه التعقيد وللملاحظة التي أسند إليها ابن زيدون أحيانا ، إلا أنه يدل ما تدل عليه عقد الأصابع من الأعداد العربية الحساب ، وهو اصطلاح عديم استتمه العرب ، وهذا في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد ثلاثة وخمسين في القفد ، أي بقص أخضر والبصر والوسطى على هيئة حامة تدل على العدد المذكور ، ونحن نستطرد بفتح ما هو مبسوط في بعض كتب الامة والحو مثل هذا للوسوع نقول :

حصلوا للدلالة على الأحكام أصابع اليد اليمنى الأخضر والبصر والوسطى ، واقترنت إلى التسعين الوسطى والسبابة .

فالعدد الدال على الواحد يكون بالصاق الأخضر باطن الكف مع بسط سائر الأصابع ، وعلى الاثنين بالصاق البصر معها كذلك ، وعلى الثلاثة بضم الوسطى إليهما كذلك ، وعلى الأربعة بالصاق البصر والوسطى وحدهما كذلك ، وعلى الخمسة بالصاق الوسطى وحدهما كذلك ، وعلى الستة بالصاق البصر وحدهما كذلك ، وعلى السبعة بالصاق الأخضر وحدهما ممدودة إلى أسفل الكف على شكل يحال شكل الواحد .

وعلى العشرة بوضع ظهر السبابة في وسط باطن أمة الإبهام بحيث يعمل شكل حقة ، ولكن مع انشور رأس الإبهام بقدر صف الأظفار ، وعلى العشرين عمل للموصل الأول من السبابة على ظهر الإبهام بحيث تكون السبابة على شكل الدال ، وعلى الثلاثين بضم رأس باطن السبابة إلى راس الإبهام على هيئة لاقط الابرة ، وعلى الأربعين بوضع باطن أمة الإبهام على ظاهر أصل السبابة مما يلي الكف ، وعلى الخمسين بوضع الطرف الأيمن للإبهام على عز العقدة السلي السبابة بحيث تكون قائمة ، والجانب الأيمن للإبهام معنيا عليها ، وعلى الستين بوضع باطن أمة الإبهام على باطن أمة السبابة ، بحيث تكون السبابة على شكل قوس وتره الإبهام ، وعلى السبعين بوضع حرف ظهر الإبهام على العقدة الوسطى لاطئ السبابة على هيئة راس الحصاة بالحدف « وهو رمي سائر الحصى بعد أحدهما بين طرف السبابة والإبهام » ، وعلى الثمانين « بضمها » ما لاصقين بلا فرجة بينهما كما أسفده في شرح البيت الذي نحن بصدده ، وعلى التسعين بطن السبابة إلى أصلها ووضع الإبهام على ظهر العقدة الوسطى للسبابة كما تتحوى الحية .

وجعلوا للدلالة على الثلاث من أصابع اليد اليسرى السبابة والإبهام طبق ما في اليد اليمنى .

فالمائة في اليسرى كالعشرة في اليمنى ، وللدنان كالعشرين ، وهكذا إلى التسمئة ، والألف في اليسرى كواحد في اليمنى ، والألف كالأثنين ، وهكذا إلى تسمة آلاف ، والعشرة آلاف بضم أعلى السبابة والإبهام بطن لطن ، وتستعمل هذه أصابع اليدين مما للدلالة على الأعداد المركبة من الأحاد والعشرات وللتلات والآلاف بقس الهيئات للتسمة .

(١) أي أن ليالي الوصال تبدو مميّزات لامعات في ليالي الجهاد السود .

وَأَلْفَهُ مَا قَارَقُونِي بِاخْتِيَارِهِمْ      وَإِنَّمَا أَلْهَرُهُ بِالْمَكْرُوهِ يَرْمِينِي  
وَمَا تَبَدَّلْتُ حُبًّا غَيْرَ حُبِّهِمْ      إِذَا تَبَدَّلْتُ دِينَ الْكَافِرِينَ مِنْ دِينِي<sup>(١)</sup>  
أَفْدَى الْحَيِّبَ الَّذِي لَوْ كَانَ مُقْتَدِرًا      لَكَانَ بِالنَّفْسِ وَالْأَهْلِينَ بِفَدْيِي  
يَا رَبِّ قَرَّبْ - عَلَى خَيْرٍ - تَلَاقَيْنَا      بِالطَّالِعِ السَّعْدِ وَالطَّيْرِ الْمَيَّامِينَ .

### في الغزل

أُيُوحِشُنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ أَنْسِي      وَيُظِلُّ لِي النَّهَارُ وَأَنْتَ تَمْسِي  
وَأُغْرِسُ فِي مَحَبَّتِكَ الْأَمَانِي      فَأَجْنِي الْمَوْتَ مِنْ تَمَرَاتِ غَرَمِي<sup>(٢)</sup>  
لَقَدْ جَاوَزْتَ غَدْرًا عَنْ وَفَائِي      وَبَعْتَ مَوَدَّتِي ظُلْمًا يَبْسِي  
وَلَوْ أَنَّ الزَّمَانَ أَطَاعَ حُكْمِي      فَدَيْتُكَ - مِنْ مَكَارِهِهِ - بِنَفْسِي<sup>(٣)</sup>

### في بعض مجالس الانس

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَبِلُ يَكُلُ أُنْسِنَا جَلَالَكَ  
اظْهَرُ إِلَى مُحْتَلَنَاتِنَا<sup>(٤)</sup>      قَدْ زَانَتْ سَاحَتَهُ اخْتِلَالَكَ  
نَهَرُ وَرَوْضُ نَحْنُ يَانْتُهُمَا      تُفِيدُنَا ظِلَالُكَ<sup>(٥)</sup>  
قَدْ فَاضَ فِي هَذَا نَدَا      لَكَ وَنَمَتَ هَذَا خِلَالُكَ .

- 
- (١) إن إيماني بجهنم كإيماني بدي سواء بسواء وليس في مقدور أحد أن يدلي بمن أحب إلا إذا استطاع أن يتغلب من دمي إلى الكفر .  
(٢) يقول : « هل من المدل أن أكثر من الآمال والأمانى فلا أجد من ذلك كله إلا الاحباط :  
(٣) ليت الزمان يقبل حكمي ، اذن لفديتك بنفسي ، وإن كنت لا تجاري بحبي إلا بالقدر .  
(٤) المكان الذي حبا به .  
(٥) وفي الأصل : « لولنا طلالك . » والطلال : ما أظلك من سحب ونحوه ، وطلال البحر : أمواجه ، وللصعود هنا التسميم والراحة ، ولما كانت بلاد العرب في غاية الحرارة وكان الظل نفعهم من أعظم أسباب الراحة جعلوه كناية عن الراحة .

## شكوى وألم !

« قال في مدح ابن جهور »

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَبْكِيَ الْفَقَامُ عَلَى مِثْلِي      وَيَطْلُبَ مَا رَى الْبَرْقَ مُتَّصِلِ النَّصْلِ<sup>(١)</sup>  
وَهَلَّا أَقَامَتْ أَنْجُمُ اللَّيْلِ مَا تَمَّا      لَتَتَدَبَّ فِي الْأَفَاقِ مَا صَاعَ مِنْ تَشْلِي<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْ أَنْصَفْتَنِي - وَهِيَ أَشْكَالُ هِمَّتِي -      لَأَقَعْتُ بِأَيْدِي الذَّلَّةِ لَمَّا رَأَتْ ذُلِّي  
وَلَأَفْزَعَتْ سَبْعُ الثَّرَيَا وَغَاظَهَا<sup>(٣)</sup>      بِمُطْلَعَهَا مَا فَرَّقَ الْدَهْرُ مِنْ شَمْلِي

\* \*

لَعَمْرُ اللَّيَالِي إِنْ يَكُنْ طَالَ تَرْعُهَا      لَقَدْ قَرَّطَسْتُ بِالنَّبْلِ فِي مَوْضِعِ النَّبْلِ<sup>(٤)</sup>  
تَحَلَّتْ بِأَدَائِي وَإِنْ مَا رِبِّي      لَسَاحِحَةٌ فِي عَرَضِ أُمْنِيَّةٍ عَطْلِي  
أَخَصُّ لِفَهْمِي بِأَقْلَى وَكَأَنَّمَا      يَبِيتُ لِدَى الْفَهْمِ الزَّمَانُ عَلَى ذَخْلِي<sup>(٥)</sup>  
وَأَجْنَى عَلَى نَفْطِي لِكُلِّ فَلَادَةٍ      مُفْصَلَةٍ السَّمَطَيْنِ بِالْمَنْطِقِ الْفَصْلِي  
وَلَوْ أَنَّنِي أَسْتَطِيعُ كَيْ أَرْضَى الْعِدَا      شَرِيتُ بِمَعْضِ الْحِلْمِ حَقًّا مِنَ الْجَهْلِ<sup>(٦)</sup>

- (١) الذي في الأصل المتول « أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَبْكِيَ الْفَقَامُ عَلَى مِثْلِي » والمعنى أفتباه ما هو ما غلناه من  
الدخيرة لا ين بسام وهو أدب مما ذكر في الأصل لأنه يريد من الطبيعة أن تكي بكائه ، وتأمر من أصدائه .  
(٢) مثل : أي ما انتقله واستخرجه في حياته من جله ومنصب ومال .  
(٣) غاضها : فبضها أي أخطأها .  
(٤) ترعها : حننها وتر الثوب مصوبة نحوى سهام الصائب ، وقرطس : أي أصاب اترطاس ، وهو  
غرض من أديم يجتهد للضال وتعيد الزمالة .  
(٥) القلى - بالكسر - البمس ، والفحل الثأر ، يريد أن غيره من أهل الجهل نالوا الخطوة والثبري ،  
وهو لونه ، خص بالثلى والبلد وكأنه قد جى على الزمان فبات يطالبه بثأره .  
(٦) الحلم : القتل ، والمط : التعذيب . يقول : لو أستطيع لرضاء العدا وشفاء ما في قوسهم من  
الحقد لاستبدل بدمي بدم من الجهل ، خطا عظيم من القتل .

\* \*

أَمَقْتُولَةَ الْأَجْفَانِ مَالِكٍ وَالْهَامَا      أَلَمْ تُرِكِ الْأَيَّامُ نَجْمًا هَوَى قَبْلِي <sup>(١)</sup>  
 أَعْلَى بُكَاءِ لَسْتِ أَوَّلَ حُسْرَةٍ      طَوْتُ بِالْأُسَى كَشْحَاكَلِي مَضْضِ الشَّكْلِ <sup>(٢)</sup>  
 وَفِي « أُمِّ مُوسَى » عِزْرَةٌ أَنْ رَمَتْ بِهِ      إِلَى الْيَمِّ فِي التَّائِبُوتِ فَأَعْتَبِرِي وَأَسْلِي <sup>(٣)</sup>  
 لَعَلَّ الْمَلِيكَ الْمُجْمِلَ الصَّنْعِ - قَادِرَا      لَهُ - بَعْدَ يَأْسٍ سَوْفَ يُجْمِلُ صُنْعَالِي <sup>(٤)</sup>  
 وَلِلَّهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ وَحَسْبُنَا      بِهِ - عِنْدَ جَوْرِ النَّهْرِ - مِنْ حَكَمٍ عَدَلٍ <sup>(٥)</sup>

\* \*

مُهَامٌ عَرِيقٌ فِي الْكِرَامِ ، وَلَمَّا      تَرَى الْفَرْعَ إِلَّا مُسْتَدًّا مِنْ الْأَصْلِ  
 نَهْوُضُ بِأَعْيَابِ الرُّوءَةِ وَالْثَقَى      سَحُوبٌ لِأَذْيَالِ السِّيَادَةِ وَالْفَضْلِ  
 إِذَا أَشْكَلَ الْخَطْبُ اللَّيْلُ فَإِنَّهُ      وَآرَاءُهُ كَالْخَطِّ يُوضَحُ بِالشَّكْلِ

\* \*

وَذُو تُذْرٍ لِلْعَزْمِ - تَحْتَ أَنَاتِهِ -      كُمُونُ الرَّدَى فِي قَتْرَةِ الْأَعْيُنِ الشُّجْلِ <sup>(٦)</sup>

(١) أم دولة الأساطير ، الهبة فيه اللداء أي يامن أحاطها مور وتكر ، ولوله : القديسة الحزن على مد ولها شها في شدة حرها على عمه الهاوي في غيابة الجبن للراء الشكلى التي لا تفر أحاطها العترة الفرحة من الكاء ، لقد الحبيب .

(٢) الكشج : المخاصرة ، وطوى كشحه على كذا استمر عليه ، واللص : ألم للصبيه ، والشكل - بالضم - فقدان الولد والحبيب : أي لا تكن أسرار فلت أول حرة لارمها وجع مصيه الشكل .

(٣) يخبر بهذا إلى قوله تعالى : « وأوحيا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فأنتهي إلى اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك » أي اعبري بهذه القصة واسمعي .

(٤) لعل للملك للمناد صنع الجليل - فادرا لسنه قدره - سوف يصل على خلاص مد يأس .

(٥) على هذا الب يب وحد في الأصل ناسا هكذا :

..... آل جهور لمتحكم الأسباب مستحمد الجبل

(٦) ذو تدر - بالضم - أي - وعدة وقوة على مداسة أهدائه إذا وجه عزيمته لعل أسكن الردى تح تأيه كونه تح صور الأمين للجبل أي الواسعة جمع نجلاء ، واستعمل العترة بمعنى انكسار جفون العين وضمتها ليعقد بينها وبين الأناة مناسبة وموافقة .



يَرِفَ عَلَى - التَّامِيلِ - لَأَلَاءِ بَشِيرِهِ      كَمَازِفَ لَأَلَاءِ الْحُسَامِ عَلَى الصَّقْلِ (١)  
 مَحَاسِنُ مَا لِلْحُسْنِ فِي الْبَذْرِ عِلَّةٌ      سِوَى أَنَّهَا بَازَتْ مُعْمِلُ فَيَسْتَعْمِلُ (٢)  
 تُعْصِفُ ثَنَائِي مِثْلًا غَصَّ جَاهِدًا      سِوَارُ الْفَتَاةِ الرَّادِ بِالْمَقْصَمِ الْهَذَلِ (٣)  
 وَتَقْنَى عَنِ الْمَذْحِ بِاِكْتِفَاءِ بَسْرُوهَا -      غِنَى الْمُقَلَّةِ الْكَعْلَاءِ عَنْ زِينَةِ الْكَعْجَلِ

\* \*

« أبا الحزيم » إني في عتابك - مائيل  
 همائم شكوى صبحتك هوادلا      على جانب - تأوى إليه الملا - سهل  
 جواد إذا استن الجياد إلى مدى      تناديك من أفنان آداني الهدل (٤)  
 نوى صافنا في تربط الهون يشكي      تخطر فاستنوى على أمد الخصل (٥)  
      بصمها له مائاله من أذى الشكل (٦)

(١) يرف - بالكسر - يرفق ويلا ، أى يلوح لألاء بهمه مع التأميل كما يبدو بريق السبب ولما جنت قصته وتجلوه .

(٢) « عمل معارح أمل : يقال أملاه القول وأمله ألقاه عليه ليكنه ، ومنه قوله تعالى : « ودلوا أساطير الأولين » اكتبتها فهي تملى عليه » وقوله تعالى : « فليبال وله بالعدل » واستعملته الكتاب طلب أن ي عليه على ، أى هذه محاسن للدوح الشبيه بالدر لاجب فيها سوى أنها باز - تملى على الشاعر وهو يكتب ، ويستكتبها ففعله .

(٣) غص ثنائى : أى تجمله بغير كما يحسن الشارب بالماء فلا يمكنه أن يستوى هذه المحاسن كلها أو يسميها وكما يحسن سوارا لفتاة الراد أى التي تزود بيوت حاراتها بالمصم الهدل - بدل الهمزة - أى الدتل فلا يجرى (٤) الهوادل : جمع هادلة ، والهدل : صوت الحمام ، والهدل : جمع أهله ، وهو صفة الأتراك ، يقال : تهدل أقصاف الشجرة أى تدل - يمل شكوى رغبها إليه بالحمام الهوادل تاديه بهديها من أعلى - شجرة الأدب وتدل أنفاسها ، وتهدل أقصافها .

(٥) استن الحداد : مصت على وجهها فى الساق ، ولدى : الناية تخطر : جاء إلى العتبة سرعا ، فاستولى على الحبل : ظف على الزمان - صفت الشاعر نفسه بالسقى على غيره .

(٦) نوى : أقم ، والصان : من الجياد الذى ظم على ثلاثة قوائم وقلب حمار الراحة ، والشكل - بنتج مسكون - شد قوائم الدابة بالشكل - يصف حله فى محبه وما يبينه من الشكوى بحال الهوادل اللقيم على الهون يشكو بصمها ، أى شكله ، قال ابن بطي فى القنيرة : « وقوله نوى صافنا » كقول المتنبي :

« وإن تكن محكمات الشكل تسمى ظهور جرى على يمين تمهال . »

\* \*

أَفِي الْعَذْلِ أَنْ وَافَّتَكَ تَتْرَى رَسَائِلِي      قَلَمٌ تَتْرُكُنْ وَضَعًا لَهَا فِي يَدَيَّ عَذْلٍ  
أَعِدُّكَ لِلْجَنَى وَأَمْلُ أَنْ أُرَى      يَنْفَعُكَ مَوْسُومًا وَمَا أَنَا بِالْفَعْلِ  
وَمَا ذَاكَ وَعْدُ النَّفْسِ لِي مِنْكَ بِالْمُنَى      كَأَنِّي بِهِ قَدْ شِمْتُ بَارَقَةَ الْمَخْلِ (١)

\* \*

أَنْ زَعَمَ الْوَأَشُونَ مَا لَيْسَ مَزْعَمًا      تُعَذِّرُ فِي نَفَرِي وَتُعَذِّرُ فِي خَدْلِي  
وَأَصْدَى إِلَى إِسْأَفِكَ السَّائِعِ الْجَنَى      وَأَضْحَى إِلَى إِنْصَافِكَ السَّابِغِ الظِّلِ (٢)  
وَلَوْ أَنِّي وَافَقْتُ عَمْدًا خَطِيئَةً      لَمَا كَانَ بِدَعَائِمِنِ سَجَائِكَ أَنْ تُمْلِي (٣)  
قَلَمٌ أَسْتَشِيرُ حَرْبَ «الْفِجَارِ» وَلَمْ أُطِيعْ      «سُيْلَةَ» إِذْ قَالَ: إِنِّي مِنَ الرُّسُلِ (٤)

(١) في معنى هذه الأبيات يقول ابن الرومي صاحبها :

« إذا أب أرمم الصنعة مرة فلا تقصر ماء الصنعة بالطل  
ولا تحلف الحسى بسوء ماءه يحشوا أن يحلف الشكر بالعد  
أترضى بأن تكي سهل وإن ترى وما مطلب الحيات عندك بالسهل  
ألم لتشاق للكادم أن ترى مواعيدهم مثل اللوارق في المهل . »

(٢) أمدى : مصارع صدى - بالكسر - أى أعطى ، وأضحى مضارع كل من ضاهى - بالفتح  
والكسر - أى أبرز للشمس ، ومنه قوله تعالى : « وأنت لا تعلم فيها ولا تحصى » واستعمله هنا  
في البروز إلى إصافه السابغ الظل ، لا في البروز إلى الشمس ، وعد هذا البيت وجد في الأصل بمس بيت  
على هذه الصورة :

وحاشاك رام المذهب إبلاغ سمحه هم .....

(٣) وافقت دأيت ، وعمل تهمل ولا تسجل القوة ، أى لو أسي دأيت متممًا لومع في الخطبة لم يكن  
من سجاياك غير العو والامهال .

(٤) يقول : إن عفوى صغيرة لا ينبغي أن تنهم إلى حد أن أكون ككثير حرب الفجار أو كطليح ميلدة  
في دعواه الرسالة ، والفجار : بالكسر بمعنى اللعابة كالقتال وللفاقة ، وسبب حرب الفجار لأن العرب  
جفروا فيها إذ ماثلوا في الأهر الحرم ، وكان العرب قبل ميث النبي صلى الله عليه وسلم أربع فجارات  
أخرها حرب الفجار التي ذكرت في كتب السير ، وكان بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان  
وعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمس أبيها وسنه عفرون سنة ولم يخافن ولكنه كان يميل على  
أهلها أى يرد عليهم نبل عفونهم إذا دعوا ، وأما «سيلة» فكان من جبهه أن وفد مع قومه

وَمِثْلِي قَدْ تَهَفُّوْا بِدَشْوَةِ الْعَبَا  
وَمِثْلُكَ قَدْ يَهْفُو، وَمَا لَكَ مِنْ مِثْلٍ  
وَأَنَا لَتَهَانِي نَهَائِي عَنِ الْبُي  
أَشَادَ بِهَا الْوَاهِي وَيَهْفُلُنِي عَقْلِي <sup>(١)</sup>

\* \*

أَأَنْكُثُ فِيكَ الْمَذْحَ - مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ -  
وَلَا أَقْتَدِي إِلَّا بِنَاقِضَةِ الْفَزْلِ <sup>(٢)</sup>  
ذَمَّمْتُ إِذَا عَمِدَ الْحَيَاةِ وَلَا يَزَلْ  
مُحَرًّا عَلَى الْأَيَّامِ طَعْنُهُمَا الْمَحَلِّي <sup>(٣)</sup>  
وَمَا كُنْتُ بِالْمُهْدِي إِلَى السُّودِ الْخَنَّا  
وَلَا بِمِثْلِي لَا أَتْنِي بِآلَاءِ مُنْعَمٍ  
إِذَا الرُّوضُ أَتْنِي بِالنَّسِيمِ عَلَى الطَّلِّ  
هِيَ النَّعْلُ زَلَّتْ بِي، فَقَالَ أَنْتَ مُكْذِبٌ <sup>(٤)</sup>  
وَهَلْ لَكَ فِي أَنْ تَشْفَعَ الطُّوْلُ شَافِمًا  
لِقِيلِ الْأَعَادِي إِنَّهَا زَلَّةُ الْحُسْلِ <sup>(٥)</sup>  
فَتَنْجَحَ مَيْمُونُ النَّفِيَّةِ أَوْ تُثْلِي <sup>(٦)</sup>

« هي حبيبة » على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما رجع ومن معه من قومه إلى « المدينة » أذيعت  
السوء ، وأنه أشرك مع محمد بالأمر ، واجتمع عليه « بنو حنيفة » وكانوا أرويس ألب مقاتل ، وفي عهد  
الطبيعة « أن بكر » رضي الله عنه أرسل إلى إليه « خالد بن الوليد » على رأس جيش ، وحرث حرب بين  
الله وبين أشبه قتل « سيلة » وتعمرو أصحابه .

(١) نهاية أي عتلى فاسد . تفعله مفعدا ، قال في اللسان : « واليهي العفل يكون واحدا وجمعا ، وفي  
القول العربي : إن في ذلك لآيات لأولئك المنه » اه ، وكان عليه - حيث اعتبره فردا وواحدة إلى نفسه أن  
تورد الفعل من علامة التأنيث إلا أن يكون قد أراد جمع نبيه ، وأن عقله لقوته بثناه هي متعددة ، من التي :  
أي حمة التي ، أشاد بها : أساعها وتد بها ، ويطلق يحس ويمنع .

(٢) ناقصة الفزل ، في الكشف عند قوله تعالى : « ولا تكونوا كالكاف صغرها من بعد قوَّة  
أنكأ » قيل هي ربيعة بنت سعد بن تميم وكانت خرقاء أعمت مغزلا مغز دراع ، وصارة مثل أصع ،  
ومدة عذبة على قدرها فكانت تفزل هي وحواربها من المدينة إلى الطهر ، ثم تأمرهن بيفس ماؤل .

(٣) بماء من أمر الطعام صيره مرا ، والمحل اسم مفعول من حلت العيش أجلسه أي استعطيته .

(٤) الخلة والماءة ، والمحل - الكسر - وله الغنم ، ويكنى القب : « أبا الحسل » .

(٥) تشفع : من قوله شع التور من المدد شعنا صيره روجا ، والطول : القدرة - الفصل ، وتبلى : تبلى  
مصارع أتله بإياه أتبعه ، والمعنى هل لك أن تضم إلى طوك وإصابعك شامسا مك ينفع لي في التخلص من  
السحر فتسمى ماؤلك حاجق في حال كوكك ميسون النقية أو تبلى أي تبلى الاحسان والشفاعة بأمثالها :  
صدا ملك مايعه من البيت ، وقد وجد في الأصل « تبلى » بالياء الموحدة ، وقد فهمنا من السياق أنها تبلى  
لأبلى ليناسب قوله « تشفع » أي تضم .

أَجْرُ أَهْدِ آمِنْ أَحْسَنِ ابْدَأْ أَهْدِ أَكْفِ حُطَّ تَحَفَّ ابْسُطْ اسْتَافِنْ صِنْ أَحْمِ أَصْطَفِخْ أَعْلِ  
مُتَّى - لَوْ تَسَى عَقْدَهَا يَدِ الرِّصَا - تَقَسَّرَ مِنْهَا كُلُّ مُسْتَقْصَبِ الْحَلِّ (٢)

أَلَا إِنْ عَلَى - بَيْنَ فَعْلَيْكَ - وَاقِفٌ <sup>٢٤</sup> وَتُوقِفُ الْهَوَى بَيْنَ الْقَطِيعَةِ وَالْوَصْلِ  
فَإِنْ تُحْمَنْ لِي مِنْكَ الْأَمَانِي فَشِيمَةٌ لِنَاكَ الْفَعَالِ الْقَصْدِ وَالْخَلْقِ الرَّسِيلِ (٣)  
وَالْأَجْنِبَتُ الْأَنْسَ مِنْ وَحْشَةِ النَّوَى وَهَوْلِ الشَّرَى بَيْنَ الْمُطِيعَةِ وَالرَّحْلِ (٤)

سَمِعَنِي مِمَّا ضَمِنْتَ مِنِّي حَافِظٌ <sup>٢٥</sup> وَيُلْقِي لِمَا أُرْخَصْتَ مِنْ خَطَرِي مُغْلِي  
وَأَيْنَ جَوَابُ عَنْكَ تَرْضَى بِهِ الْعُلَا إِذَا سَأَلْتَنِي بَعْدَ أَلْسَنَةِ الْحَقْلِ (٥)

(١) في هذا البيت كما يرى القاري، محاكاة لقول المتنبي، وقد سئل بيتاً يضمن أكثر ما يمكن من الحروف، فقال :

« عش ، اق ، اسم ، سد ، حد ، قد ، صر ، انه ، اسر ، هه ، تسيل »

فقط ، ارم ، ص ، احم ، افر ، اسب ، رع ، زع ، دل ، ان ، مل  
وهذا دواء لو سسك كميته لأني سأك الله فيك ، وقد وصل .  
وحير من هذه اللطافة قول ابن الرومي :

« ألقى ، ورهق ، وأحل متوحي وثابر على إبدار برى وواظ  
لأبني جهواك - وهي سلبية من اقم - ما فيها احتلال لماك . »

(٢) لو تسي : أي تفعل وترا أحكام أمرتك التي بيد للدوح لتفعل منها ما استصحب له .

(٣) تحي : تقدر من مناه الله يمنه فمره ومنه قول الشاعر :

« لا تأمن العروى حل دي حرم إن للنايا توافي كل إصاف  
واسك طريقك فيها - غير محتمم - حق ثلاثي ما يبي لك الذي »

أي يقدر لك القادر ، والتمثال - بالفتح اسم جامع لكل صل حسن ، والقصيدة التوسيط بين طرق الامراط والمعرب ، والرسل - بالكسر - الرقي والتزودة غالب الفعل كداع على رسلك أي على هيئتك وليس مراداً هنا بل المراد الرسل - بالفتح - أي السهل يقال سير رسل أي سهل .

(٤) وإن لم يدر الله حصول تلك الأمان على يدك ولم تمر على طاعتك وخفاقتك في إيفاق مجادتي فأخلق سراي لأضرب في العيان وأحي من وحشة النوى وهول الشرى أنسا .

(٥) وأين جوابك أي بماذا يكون جوابي منك إذا سئلت عما أسديت من معروف أو قدمت من معونة . قال ابن بسام في باب الملوحة والقد : « وأين جوابك ترضى به العلاء » - أحذو من قول الآخر :

« فاختار لك ما أتول فاني لا بد أخبرهم وإن لم أسأل . »

## جواب

« كتب اليه الوزير الكاتب أبو بكر بن القصيرة  
في يوم أحد فيه دواء :

مولاي ضى إلى مطالعة الـ  
بحسنى بقبي الدواء مطالعه  
وكيف ذاك الحس الدكي وقد  
ماشر تلك المداقة النشعه  
ودد لو أننى حصصت بما اسـ  
تشفت منه وحزن منتعه  
أعتقك الله من فظاعته  
أسوع صنع في مثله صنعته  
نصحة تصحب الزمان فتـ  
ليه ونبنى جديدة نصعه  
فأت روح العلاء ساء الـ  
له وسمل الوفاء لا صدعه  
خافوه ابن ريد بن :

قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ فِي الذِي صَنَعَهُ عَارِضُ كَرْبٍ يُلْطِفُهُ رَفْعُهُ  
تَبَارَكَ اللَّهُ إِنَّ عَادَةَ حُسْنَاهُ - مَعَ الشُّكْرِ - غَيْرُ مُنْتَرَعَةٍ

✽ ✽

يَا سَيِّدِي الْمُسْتَجِدَّ (١) مِنْ يَقِي (٢)  
وَأَقَانِي الْعِقْدُ - زَيْنٌ نَاظِلُهُ -  
بَثَّتْ فِيهِ الْبَدِيعُ مُتَقِيًا كَالرَّوْضِ إِذْ بَثَّ فِي الرِّبَا - قِطْعَةً  
بِحُطَّةٍ قَاتَتْ الْحِسَابَ مَعَهُ  
وَالْوَشْيُ لَأَرَامَ حَادِثُ صَنَعَةٍ (٣)

أَزَاحَ كَرْبَ الدَّوَاءِ مَطْلَعُهُ      لَمَّا بَدَا طَالِعُ الشَّرُّورِ مَعَهُ <sup>(١)</sup>  
 كَمْ دَعْوَةٍ - قَدْ حَوَاهُ - صَالِحَةٍ ،      مِنْ أَمَلِي أَنْ تَكُونَ مُسْتَمَعَةً <sup>(٢)</sup>  
 جُمْلَةً مَا نَفْسُكَ السَّرِيَّةُ مِنْ حَا      لِي إِلَى عِلْمِ كُنْهِهِ طُلْعَةٍ  
 أَنْ الدَّوَاءَ انْتَذَتْ عَوَاقِبُهُ      مِنْ نَفْسٍ بَشَعَتْ جُرْعَتَهُ <sup>(٣)</sup>  
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ - لَا شَرِيكَ لَهُ -      إِنْ بَدَأَ الطَّوْلُ مُنْعِمًا شَفَعَةً

### حبيب

وَرَامِشَةٍ <sup>(٤)</sup> بَشَنِي الْعَلِيلَ نَسِيمَهَا      مَضْمَنَةً <sup>(٥)</sup> الْأَنْفَاسِ طَيِّبَةَ الْفَشْرِ <sup>(٦)</sup>  
 أَشَارَ بِهَا نَحْوِي بَنَانٌ مُنْعَمٌ      لِأَعْيَدَ مَكْحُولِ الْمَذَامِعِ بِالسَّخْرِ <sup>(٧)</sup>  
 سَرَتْ نَضْرَةً - مِنْ عَهْدِهَا - فِي عُصُونِهَا      وَعُلَّتْ عَيْنُكَ مِنْ شَمَائِلِ الزُّهْرِ  
 إِذَا هُوَ أَهْدَى الْيَاسِمِينَ بِكَمَاهِ      أَخَذَتْ النُّجُومَ الزُّهْرَ مِنْ رَاحَةِ الْبَذْرِ  
 لَهُ خُلِقَ عَذْبٌ وَخُلِقَ مُحْسَنٌ <sup>(٨)</sup>      وَظَرَفَ كَرَمَ الْعُطْبِ أَوْ نَشْوَةَ الْخَمْرِ <sup>(٩)</sup>  
 يُمَلِّلُ نَفْسِي مِنْ حَدِيثٍ تَلَذُّهُ      كَيْتَلِ الْمُنَى وَالْوَصْلِ فِي عُقْبِ الْهَجْرِ <sup>(١٠)</sup>

(١) لما بدا شرر الجبل ومعه طالع الشرور أنشأ سرارة العواء .

(٢) كم دعوة حواها سرك ادمو الله أن تكون مستجابة .

(٣) كانت طافية الدواء حميدة وإن حرمت غشى من شره .

(٤) في التاموس الرمش : الطائفة من الرمحال ونحوه . وفي شفاء الليل ، رامشه : قال الصولي في ورقة آس لها رأسان . قال أبو نواس :

« لها روامش ينتجون لنا نفل آفانا ، مطاياها . »

(٥) مطهرة . (٦) طيبة : الرائحة .

(٧) رب طائفة من الرمر مطهرة الشئ طيبة الأنفاس قدما إلى من أمواه .

(٨) خلقة حسنة . (٩) يمي أن سحر عييه يفعل في النفس ما يفعله الطيب أو الخمر .

(١٠) العقب : بضمين ، والعقب بضم مكول العاقبة مثل عمرو عسر . قال تمالى : « هو خير ثوبا

وخير عقبا . »

## في مدح ابن جهور

« قال مدح ابن جهور ويذكر جوارالم برعه ، وأملأ  
ضيقه ، وحق إنعامه في طلته ، وإسماؤه بأسيته . »

« جَنَاحِي » فِي جِوَارِكُمُ الْمَذَلِيلُ وَحَدَى فِي رَبَائِكُمُ الْكَائِلُ <sup>(١)</sup>  
نَصِيبٌ مِنْ وَلَايَتِكُمْ كَثِيرٌ وَحَظٌّ مِنْ عِنَايَتِكُمْ قَلِيلٌ <sup>(٢)</sup>  
لِخْتِلَافِ مَنْ حَالٍ مَهْمَا أَجَالَ الْفِكْرَ بَيْنَهُمَا مُجِبِلٌ <sup>(٣)</sup>  
أَتَحْيَا أَنْفُسُ الْأَمَالِ فِيكُمْ وَلِي - أُنْشَاءَهَا - أَمَلٌ قَتِيلٌ <sup>(٤)</sup>  
وَأَعْجَبُ حَادِثٍ نَظَرِي لَدَيْكُمْ إِلَى غَلَلِ النَّجَاحِ وَبِي غَلِيلٌ <sup>(٥)</sup>  
وَقِدْحِي فِي وَدَادِكُمْ مَعْلَى وَبَاعِي فِي أَغْيَادِكُمْ طَوِيلٌ <sup>(٦)</sup>  
وَكَاثِنٌ لِي ثَنَاءَ رَاحٍ يَفْنَى إِلَيْهِ الْعُطْفُ شِدُّكُمْ الْأَمِيلُ <sup>(٧)</sup>

(١) وجد هذا البيت في نسخة الديوان على هذه الصورة .

..... في جواركم الغايل وحدي في رحائبكم الكليل

والشكوة من مدنا كما يطبها السباك .

(٢) يقول : إن حال الخلفاء هذه لإجالة الدار ، فسيب من ولايتكم ونصرتكم وحس لكم كثير ، وحظي من صابكم ونصرتكم قليل .

(٣) يكرر عليهم أن تكون آمال الناس حية سببهم وأمله بينها كالفيل بين الأحياء .

(٤) اللعل : السيل الضعيف الذي يجري في أصول الأشجار فيرونها قبل أن تنضب ، والميل : العطش أي وأعجب ما حدث لي أن أنظر إلى سيل ماء من ناحيتكم فيه تخالي وانتاش آمالي ، وفي طأ شديد ويحال بيني وبين ما يرد علي ويشي غليلي .

(٥) المعنى من فلاح الميسر المعمره ، والفلاح : بالسكر اسم لهم ، وكانت فلاح الميسر عندهم معروفة بعلامات خاصة ، فموتها في خروطة على يدى مثل يجليها ويخرج باسم كل واحد من الأيامين مدحا ، فإن كان غفلا أي لا يصب له هرم صاحبه ، وإن كان من دوات الأصبا ، أحد نصيبه بحسبه ، والذي يخرج له المدح المعلى بعد أكبر فائر بأوفر نصيب لأن له سبعة أسماء ، واثوا بعامرون على جزور يقتسمونها واقدي يخرج لهم من الأصبا ، ووزونه على الفقراء .

(٦) وكمن ثناء ومدح راح يفي إليه مجدكم المتأصل عطفه .

تَنَافِسُهُ الرِّيَاضُ مُنَوَّرَاتٍ تَنَفَّسَ عَنْ نَوَاجِحِهَا الْأَصِيلُ<sup>(١)</sup>  
« أَبَا الْحَزْمِ » الزَّمَانُ - بِأَنْ تُنَدَّى إِذَا عُدْتَ فَوَاصِلَكُمْ - بَحِيلُ<sup>(٢)</sup>  
عَلَوْتَ النَّجْمَ إِذْ مَلَ الْمَسَامِي وَحُزْتَ الْخَصْلَ إِذْ كَلَّ الرَّسِيلُ<sup>(٣)</sup>  
رَأَيْتُ النَّاسَ - مَا أَصْبَحْتَ فِيهِمْ - بَلَاءُ اللَّهِ عِنْدَهُمْ حِمِيلُ  
وَمَاءُ الْعَيْشِ يَنْتَهُمُ فَضِيضُ وَظِلُّ الْأَمْنِ قَوَّتُهُمْ ظَلِيلُ<sup>(٤)</sup>  
وَلَوْ فَقَدُوا - لَافَقَدُوا - حَوَاهِمُ مَرَادٍ مِنْ زَمَانِهِمْ - وَيِلُ<sup>(٥)</sup>  
وَشَاقَ نُفُوسَهُمْ رَسْمُ حُمِيلُ - مِنْ الدُّنْيَا - وَعَهْدُ مُسْتَعِيلُ<sup>(٦)</sup>  
فَخَاصِرُ دَوْلَةٍ تَفْنَى لِلْيَالِي وَلَمْ يُلَمَّ بِسَاحَتِهَا مُدِيلُ<sup>(٧)</sup>  
وَلَا زَالَتْ نِبَالُ الدَّهْرِ تُصْنِي عُدَاتَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّبِيلُ  
أَأَيْتُسُ مِنْ مُسَاعَفَةِ اللَّيَالِي وَأَنْتَ - إِلَى نِهَائَتِهَا - سَبِيلُ؟

- (١) الواح : جمع نالفة وأراد بها أحاس الرياس التي تحملها سمات الأصل مروح منها نصحات طيبة ، يقول إن ذلك الشام الطيب تسميه الرياس وهي - ورات قد تسمى الأصل من نوالها أى ما يروح من طيب روائحها ، ويحور أن يكون من نوالها جمع نالفة الملك . (٢) شاه يئيه حمل له نانيا ، أى يا أبا الحزم الزمان يحيل بأن صدقك نانيا في الفصل إذا عدت فواصلكم .  
(٣) حزت الخصل : أى أحررت الطلبة في الرهان أو أدرك الماية في السق ، والرسيل للماض ، أو للسابق ، وقد جاء في الأصل « المسامي » موحما في مكاتبا « المسامي » كما يرشد إليه المصنف .  
(٤) العيس : الماء العذب الكثير التمتع ، أو ماء السحاب النزر المشرق ، وظل طليل : أى دائم لا ينسخه الصبح . (٥) مراد - بالفتح - اسم مكان من راحت الأبل تروء ، أى اختلط ذهابها وحبشها في الرمي ، والويليل الوحيم الذى لا يئتمرا ، والملى : لو هودوك - لا قدر الله - ولم يستلوا بطل دولتك لاحوامهم من زمانهم رمى ويل فلم يئنا لهم عيش ولم ينهم لهم بال .  
(٦) الرمم ما بقى من آثار النار بعد ارتحال ساكنيها ، والحيل : للتقدم العهد القى مرت عليه أحوال ، وللتحتيل : التنصير ، أى لو هودوك لا - تنوحوا الماقاة ، ولنازعتهم هودهم - إذا استمرهوا فهدك ولم يقوموا بصركك - إلى دنيا تحولت حدثنا إلى بلى ، وسببها إلى هرم ، وتير عهدنا من سعادة وهناء إلى محنة وشقاء . (٧) المحاصرة أخذ الرجل بيد صاحبه إذا ماشاه ، ومنه قوله :  
ثم خصرتها إلى القبة المحضراء تمنى على مرمس مجلس ، والمديل التقلب الذى تنتقل إليه الدولة ، يدور للدوح بقاء الدولة له من غير تحول ولا انتقال .



## إلى المظفر

« كتب إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر محمد بن  
عبد الله بن محمد بن مسلم صاحب بطليوس . »

لِيَبِيضَ الطَّلَى وَلِسُودِ اللَّمَمِ      بِمَقْلَى - مُذْنٍ عَنِّي - لَمْ<sup>(١)</sup>  
فَنِي نَاطِرِي - عَن رَشَادٍ - عَمِي      وَفِي أُذُنِي - عَن قَلَامٍ - صَمَمِ<sup>(٢)</sup>  
قَضَتِ بِشِيَامِي عَلَى الْعَاذِلِينَ      شُمُوسٌ مُكَلَّلَةٌ بِالظُّلَمِ<sup>(٣)</sup>  
فَاسْقَمَتِ لَحَظَاتُ الْعِيُو      نِ إِلَّا لِتُغْرِبَنِي بِالسَّقَمِ  
يُلُومُ الْخَلِيَّ عَلَى أَنْ أَجَنَّ      وَقَدْ مَزَجَ الشَّوْقُ دُمْنِي بِدَمِ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا ذُو التَّذَكُّرِ مِمَّنْ يُلَامُ      وَلَا كَرُمُ الْعَهْدِ مِمَّا يُذَمُّ<sup>(٥)</sup>  
وَإِنِّي أَرَا حُ إِذَا مَا الْجَنُوبُ<sup>✽</sup>      بَ رَاحَتَ بِرِيَا جَنُوبِ الْعَلَمِ<sup>(٦)</sup>

(١) الغلات : ضم الطاء هي الحق والجمع طلى مثل نفاة وتقى ، واللمم : تكسر اللام جمع له - الشعر المجاور شعمة الأذن - لم يفتح اللام - الجول .

(٢) في هذا البيت والذي منه يقول الشاعر أنه عني عن الرشاد وصمم عن اللام وصار في حل حوون مد بان وبعد عنه الحسان يمس الأهاق سود اللمم .

(٣) شمس العرس شموسا وشماسا مع طهره - العرب تقول دوة مكلة ، يعني مخوفة بالبور ، تقول الشاعر : شموس مكلة : أي مجللة بابل الشعر الأسود - وهذا البيت بمثابة التكلفة لوصف حالته في البيت السابق فكأنه يقول وكما عمت عن الرشاد وصممت عن الملاء ، كذلك فقد قضى على هذا الجلال أن أشمس على العاذلين . (٤) الخلي : كعبي الفارغ ، وفي المثل العربي القديم « ويل لأشجى من الخلي » .

(٥) انتقل الشاعر لتبرير حزنه في غرامه وفي دموعه التي صرحت بالدم فازرم لونه بالحمة وقذف في وجوههم بالبرهان الذي ليس وراءه برهان ، فقال : إن بكائي وحزوني ولوعتي كل أولئك لا لوم فيه ولا بأس منه في سبيل الذكرى والحفاظ بالمهد فليس كرم المهد مما يذم ، وفي القرآن الكريم : « وأومأ بالمهد إن المهد كان مستولا »

(٦) أراح - استريح - ريح الجنوب هي المقابلة لريح الشمال - « راح » - من الرواح ، وهو ضد الندو يقول : إنني لكثرة تذكري الأحبة ولكثرة حفاظي بهودهم أستريح إذا ريح الجنوب طادت إلى برائحة أمكنهم المقدسة المحوطة .

وَأَصْبُو لِعِرْفَانَ عَرِفَ الصَّبَا      وَأَهْدَى السَّلَامَ إِلَى «ذِي سَلَمٍ»<sup>(١)</sup>  
وَمِنْ طَرَبٍ عَادَ نَحْوُ «الْبُرُو»      قِ «أَجْهَشْتُ لِلْبَرْقِ حِينَ ابْتَسَمَ»<sup>(٢)</sup>  
أَمَّا وَزَمَانٍ - مَضَى عَهْدُهُ      حَمِيدًا - لَقَدْ جَارَ لَمَّا حَكَمَ  
قَضَى بِالصَّبَابَةِ ثُمَّ انْقَضَى      وَمَا اتَّصَلَ الْأَنْسُ حَتَّى انْتَصَرَمَ<sup>(٣)</sup>  
لَيْلًا نَامَتْ عِيُونُ الْوُشَا      هَ عَنَّا ، وَعَيْنُ الرَّغْفَى لَمْ تَنَمْ<sup>(٤)</sup>  
وَمَالَتْ عَلَيْنَا عُصُونُ الْهَوَى      فَأَجْنَتْ ثَمَارُ الْمُنَى مِنْ أَمَمٍ<sup>(٥)</sup>  
وَأَيَّامُنَا مُذْهَبَاتُ الْبُرُودِ      رِطَاقُ الْحَوَائِصِ صَوَافِي الْأَدَمِ<sup>(٦)</sup>

(١) أسو - أميل - وعرفان - معرفة ، والعرف هو الشدى . يقول : أنى أبنا أميل صبوة وجبا إذا هبت الصا - ريح النفاك - لأنها مطيرة بشدى من يحبه ، ويهوهم يهدى السلام إلى ذى سلم للوضع الذى حلت به الصا لك الشدى المحبوب .

(٢) أجهشت : ارتفع صوتى باكبا ، يقول : كما أنى أسترخ للحبوب إذا طادت برها ريح العلم وأصبو إلى شدى الصا كذك أكنى من طرب يماودنى إذا ابتسم للبرق ولع ، وللمنى و هذه الأبيات أنه يترخ لكل دلم من جهات أحسه لأن فى ذلك نوحا من الكرى . ولا تظن شاعرا لم لك لا ينضم البروق ولم ينش من ربا الصبا والمحبوب .

(٣) انصرم : هو التقطع ، وللمنى أن الزمان الذى مضى حميدا حاد من العدل حين حكم وحل أقل من وسم هذا الزمن - ساعة العدل ، وهو الذى ما كاد يقضى لنا بالصابة والاستمتاع حتى انقضى وشبكا ، وما كادت تنصل أوقات الأنس حتى صرمة عا وحل بينا وسه .

(٤) الوشاة : فى الأصل هم الذين يشنون بالفر والسمايه يذبون الأسرار ، ولإرادتهم هنا المحصوم على الإطلاق والمراد بهن الرضى - حلة السعادة التى ينعم بها المحبوب فى ساطات الوصال ، وكأنك بالعاصر فى هذا البيت شرح يحصل العجوبة التى اصبحت والانس الذى انصرم ، فقال : ليل نامت عيون الوشاة إلى آخر هذا الوصف الذى يتخلص به إلى الدخ فى أبى بكر .

(٥) أحتت ثمار إلى : أى أعطت ، والأد - هو القرب ، يقول : راجه من أمم ، أى من مرب ، يقول أيضا فى تصليل الأنس التى انصرم : ومالت علينا عصون الهوى أى وإلإى طلفتنا هذه المصوب - لجنبا منها ما شئت .

(٦) مذهبات البرود : أى موحاة البرود - جمع برد - بالهبة ، وقوله « رطاق الحوائص » كناية عن رقة وحضرة المش فى تلك الأيام ورفقه ، وكذلك قوله صوافى الأدم ، والأدم هو الحلد . دل للنش :

« فبأيما قدم سعب إلى الملا أدم اللال لأصميك حناء . »

كَأَنَّ « أَبَا بَكْرٍ » الْأَسْلَمِيَّ أَجْرَى عَلَيْهَا فِرْنْدَ الْكَرَمِ (١)  
 وَوَشَّعَ زَهْرَةً ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَا حَازَ مِنْ زَهْرٍ تِلْكَ الشَّيْءِ (٢)  
 هُوَ الْحَاجِبُ الْمُغْتَلِي لِلْعُلَا شَمَائِلَ كُلِّ مُثْنٍ أَشْمِ (٣)  
 مَلِكُ إِذَا سَابَقَتْهُ الْمُلُوكُ حَوَى الْخَصْلَ أَوْ سَأَمَتْهُمْ (٤)  
 فَأَطَوْ لَهُمْ - بِالْأَيْدِي - يَدًا ، وَأَثْبَتَهُمْ - فِي الْمَالِي - قَدَمَ (٥)  
 وَأَرْوَعَ لَا مُغْتَنِي رِفْدِهِ يَحْبِبُ وَلَا جَارُهُ يُهْتَضَمُ (٦)

(١) كأن أبا بكر الأسلمي أجرى حرمه وديباجة كرمه على تلك الليالي والأيام التي نالت منها هيولى الوساة وطلاه غصون الهوى فيها ، وهذا مما يعمل الثمراء كثيرا نحلها من الزلزال والذئب إلى اللدح وهو ما يسيبه علماء الدجج : حسن التخلّص .

(٢) وكان أ. بكر بما أحرز من شقائق ييس كأنها زهر الحرم قد وسح تلك الأيام عما وشحها به من ضرة وحسن .

(٣) شمائيل : جمع شراح أو شعروح - أعلى الحال - كل ميب أشم : أى كل طاب مرتفع . يقول : إن أبا بكر هذا لا يقف في الملاعة حد وهو في سبيلها قد قسم فزا كل ميب ، وعلا هو كل طاب .

(٤) حوى الخصل : أحرز الشيء المعلوم الذى تراها أو عليه في السابق ، أى أحرز نصيبه للفق ، وسأمه : أى مرعه الملوك وخاله منهم أى عابهم ، والمغنى : أن هذا الملك سابقه الملوك في المجد فأحرز دونهم نصيب السبق ، وفرضه في مضمار العدل ففرعهم وغلبهم .

(٥) بالأيدى : الجسم ، وهذا : يريد ناعا ، وهذا البيت توصيح أو تأكيد لآية أو هو بيان للميزات التي بها يغلب هذا الملك أقدار الملوك من أمثاله ويهبطهم .

(٦) الأروع : من يملك شدة وحجارة مطرته أو شجاعة كالأروع ، ودلوا في الأروع : إنه الرجل الكريم الحري النفس الذي الجليل الذي يروك حسنه ، ويهدك إذا رايه ، والمغنى : كالحاق كل من جاء يطلب رعدا وعطاء ومغلا ، قال الأعشى :

« تطوف السماء بأبوابه طواف النصارى ببيت الوثن » .

وقال مسلم بن الوليد :

« ترى السماء عكوا حول حجرته برجون أروع رحب الباك ساعا » .

وقال أبو تمام :

« كم أعطب راحتاه من نشب سلامة المعتبين في عطيه » .

والرشد : العطاء - وقوله لا مغنى - في العاموس اعتمد الأبل اليأس واستمع أحدثه بلسانها فوق التراب مستصيره له ، والرشد هو العطاء ولا حاره يهضم هضم الجار وتهضه يهضم طامه يقول إن هذا الملك أحسن له حسن الخلق هو يجب الناطر إليه بحسه وحاله هيز كما اجتماع له حسن الخلق ، لأنه لا يخبى طالب رعد ولا يظلم جاره .

ذَلُولُ الدَّمَائِ صَعْبُ الْإِبَاءِ      تَقِيفُ الْعَزِيمِ إِذَا مَا أَعَزَّمُ<sup>(١)</sup>  
 سَمَا الْمَجْرَةَ فِي أَفْعَا      فَجَرَّ عَلَيْهَا ذُيُولَ الْهِمَمِ<sup>(٢)</sup>  
 وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهْرَ النُّجُومِ      وَبَارَتْ عَطَايَاهُ وَطَفَ الدَّيَمِ<sup>(٣)</sup>  
 نَهَيْكَ إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْعَجَاجِ      سَرَى مِنْهُ فِي جُنْحِهِ بَذْرُتِمِ<sup>(٤)</sup>

(١) الدماء سهلة الخلق - وقوله تقيف العزيم - تقف إذا صار حذاء حصيداً طناً، وتقيف إذا عظمت فيه هذه القصات، والعزم والعزيمة والعزم واحد، من أن المدح مع ما تقدم من صفات رجوله وسمو فروسته وطوانته ليس بمكبر ولا متعجب، وإنما هو سهل الخلق دمث الطبع ولكن في إياه، كما أنه كثير المدح والمثلة منتفب العزيم إذا ما اعتمد الأمور أو طلب القناس والرحاب.

(٢) المجرة: إحدى كواكب السماء فهذا للمدح قد سما للحرية أي علا إليها وزاد عليها ما لو الهمم التي صلها قوله في الأبيات السابقة لامتني رده يميم ولا حاره يهضم وأنه إذا ساق النواك فليهم، وأنه أطولهم بدا، وأثبتهم مدماً، وليس المجرة من المآثر في الناس ما يعادل ما أثرهم هذا المدح.

(٣) ناصب مساعيه زهر النجوم: أي أن مساعيه ارتفعت حتى ساءت النجوم الزاهرة كالمجرة والنثرة والأكليل، وقوله وطف الديم، وطف: جمع وطء، وهي السحابة للسترخية من المطر، والديم: جمع ديمة، وهي مطر يدوم في سكون بلا رعد، يقول: إن عطايها تبارى السحب للمطره الغائمة بلا حلبة ولا ضوضاء. فكان هذا الدب برهاناً لسايقه، وكأنه يقول: لم لا تعجل على المجرة من هذه صفات مساعيه وسحب مبراته وعطايها.

(٤) الهيك: الشجاع: القوي للناح في الشجاعة لأنه يهيك عدوه فيبلغ منه ما يريد، من ليل العجاج: كل ما ستر منك فقد حشك، والصحاح: العمار للثار واحدة مجامه، وحش القيل - بكسر الميم ويضم - الطائفة من القيل، ودرتم: هو القدر إذا أبدى في ليله تمامه أربع عشرة، يقول: حشك من هذا المدح أنه إذا جن ليل الحرب سرى منه وجه مفرق أو سيف لامع يشبه البدر في ليله التمام يكشف ظلام هذا العجاج، وبين من جبهة النصر والتمور، فهو بعد أن فرغ من إثبات كرم مدوحه، وحش خلفه بما يلو به على مكاة الأجور وزهو بقدره فوق هام الكواكب شرع يثبت له أنه فارس خيل، وكاشف ويل، وأنه لا يسطع بدر كلما ثارت مجاجة الهيجاء، وادهمت الحرب الهوجاء.

فَشَامَ السَّيُوفَ بِهَامِ الْكُمَاةِ      وَرَوَى الْقَنَا فِي نُحُورِ الْبُهَمِ<sup>(١)</sup>  
جَوَادُ ذَرَاهُ مَطَافُ الْعُقَاةِ      وَيُمْنَاهُ رُكْنُ النَّدَى الْمُسْتَلَمِ<sup>(٢)</sup>  
يَبْجُجُ النَّزَالُ بِهِ وَالسُّوَا      لِيَشَاهُ صُورًا وَيَحْزَأُ خَصَمِ<sup>(٣)</sup>  
شَهْدَانَا ، لَا وَقِيَّ فَصْلَ الْخِطَابِ      وَخُصَّ بِفَضْلِ الْإِنْتِهَى وَالْحِكَمِ<sup>(٤)</sup>  
وَهَلْ فَاتَ شَيْءٌ يَمِينَ الْمَكْرُمَاتِ      جَرَى السَّيْفُ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمُ<sup>(٥)</sup>

(١) شام السيوف : معناه أحمدهما أو سلها فهو من الاتحاد ، ولكن يتبين هنا أن يكون معناه أحمدهما في هام الكمأة ، يقال شام المعنى في الشيء ، أدخله فيه أى حمل من رهوس الكمأة أحمدها للسيوف - هام : جمع هامة ، وهي الرأس ، والكمأة : جمع كمي ، وهو العارس للمدح في السلاح والهام : جمع قتاه ، وهي الرمح ، والبهيم : جمع بهيمة ضم الباء وسكون الهاء الشجاع الذي لا يتهدى من أين يؤتى - أو هو الحيش ، فهو يقول : لإدوين ليل الصلح وسرى من ذلك المدح في تلك الحاجة - بدرهم - هناك رأيت كيف يمد السيوف في رؤوس الرماح للمدح في السلاح ، ورأيت كيف تنقى الرماح من دم نحور الشجعان الذين لا تعرف ما يتيم في الحروب .

(٢) يقول : إن ممدوحه جواد وإن في داره مطاف ومثابه العفة من طلاب الرشد والطاعة وإن يده التي كأنها لكثرة ما قبل من صفاء الرقودين أصبحت كالبحر الأسود المستلم الذي يجلبه حجاج بيت الله الحرام .

(٣) الحضم : السيد المحول للطعام . قال في القاموس : هو غاس بالرحل ومن معاينه البحر أيضا - النزال : بالسكر أن ينزل المرغان المعاري من إبلهما إلى جليهما فيساروا ، ويقال : نزال : كقطع ، أى انزل - الواحد والجمع والمؤنث ، والثلاث من أسماء الأسد ، والمصور - كالمصار - وللهمير - أسما . للأسد أيضا ، وقوله « ومحرأ حضم » ، وكذلك قوله في يد سبق في هذه القصيدة نفسها : « ما طولج بالأيدى يدا وأبنتهم في المال قدم »

أجرى فيه المنصوب للنون في الوقت مجرى الرموم والمجرو ، موقف عليه بالسكون ولم يقف عليه بالألف . وذكر النجاة أن اللمة العاشية من لسان العرب قلب التثنية ألما في المنصوب الموقوف عند الوقت نحو رأيت زيدا ، ومحرأ خضما ، وريبة يميزون إحراءه في لوص مجرى الرموم والمجرو ، ذاء الشاعر :

« لأحسدا فم وحسن حديثها فقد ترك بلى بها هاتما دف . »

« وإن ريدون » على نحو ما كان ينبغي له أن يخطر إلى استعمال هذه اللمة التثنية في شعره . ومعنى البيت أن يدعو الحرب تبيح من هذا المدح ليثا حصورا كما أن سؤل رده وعطائه يبيح منه سيذا حول لما يكلف معناه ، لما يسأل كالجبر .

(٤) في هذا البيت الجاس بين صل الخطاب وفضل انتهى ، ومعنى البيت أن المدح حكيم لا في قبا وبكم وفروب اللسان والنطق ولكن لا في طيش وخفة ، وهذا فلما يحتاج إلالمى هيامهم الله لنصرة الحق والخطأ من حوزة الدين ، وجدير بمن يؤتى صل الخطاب وفضل الهى أن شهد له زمه ويعترف له بالزامة . والرياسة والفصل . (٥) يؤكد ما قاله في البيت السابق ، فيقول : هل ترك للمدح أو فات شيئا من للمكرمات يمكن السيف والقلم إمراره من غير أن يجرمه ؟

\* \*

وَمُسْتَعْمِدٍ بِكَرِيمِ الْفَعَا      لِـ عَفْوِكَ إِذَا مَا اللَّئِيمُ أَسْتَدَمَ<sup>(١)</sup>  
شَمَائِلُ شَهْجَرٍ عَنْهَا الشُّمُولُ      وَتُجْنِي لَهَا مُشْحِيَاتُ النَّعَمِ<sup>(٢)</sup>  
عَلَى الرُّوضِ مِنْهَا رُؤُوسُ يَرْوِقُ      وَفِي الْمِسْكِ طِيبٌ أَرِيحُ يُشَمُّ<sup>(٣)</sup>

\* \*

أَبُوهُ الَّذِي قَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ      وَلَا مَ شَعْبَ الْهُدَى فَالْتَأَمَ<sup>(٤)</sup>  
وَلَاذَ بِهِ الَّذِي مُسْتَقْصِمًا      يَذِمُّهُ أَبْلَجَ وَافِي الدَّمَمِ<sup>(٥)</sup>  
وَجَاهِدَ - فِي اللَّهِ - حَقَّ الْجِهَامِ      دِمْنٌ دَانٌ مِنْ دُونِهِ - بِالصَّمَمِ<sup>(٦)</sup>

(١) مستعمد : أى منسوب إلى الحمد ، ويقال فعل القى . فعوا أى من غير تحمل ولا طلب ، واستنم : فعل ما يذم عليه ، واللى فى هذا البيت أنه من طيمته الاستعداد - عموماً - لأنه كريم العمال الذى من شأنها أن تعود على صاحبها بالحمد ، وذلك فى الوقت الذى يصدر فيه لؤم الأؤماء عموماً أيضاً . يقول إن ممدوحه فى الوقت الذى يدعو فيه لؤم الأؤماء رغم لؤمهم وريائهم يظهر كرمه المظري وموله الحية التى ترجمه أيضاً على إحراز المالحد .

(٢) الشمول : من أساء المر - حقى : تهرج ، واللى أن شمائل ممدوحه تنفى من الحر والماء الشجى لأنها يرمى بها تطرب وتحدث فيها فسكر .

(٣) الرواء الحسن - الأريج : الرائحة الطيبة ، يقول : إن هذه الشمائل تلى ورواء الحسن الذى يروق الطائر فى الروس ، وكذلك تلى فيما يقد للماطس فى الأريج الطيب المشوم من المسك .

(٤) قلَّ غرب الضلال : أى تلم حده الذى يشبه حدَّ السيف فى اللضاء ، وقوله - ولأم شعب الهدى فالتأم - مثناه أصح شعب الهدى فاصح ، واللى أن أباه وأب صديق الهدى وفرق حزب الضلال وخصد شوكته .

(٥) الأبلج : هو كل واسع ، ويقال : أبلج الصبح وضع يقول بأبى الممدوح احتسب الدين منه واعتصم بواصح المسكة والى القيم .

(٦) يقول : وإن أباً هذا الممدوح أبى البلاء الحسن فى الجهاد لله وفى مجاهدة من دان من دون الله بالصم ، يعنى أنه طاش لله ولأوليائه عدواً لعدوا أعدائه .

فَلَا سَائِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذَلَّ      وَلَا شَامِخَ الْأَنْفِ إِلَّا رَغَمَ<sup>(١)</sup>  
تَقِيلَ فِي الْعِزِّ - مِنْ - حَيْرٍ -      مَقَاوِلَ عَزُّوا جَمِيعَ الْأَمَمِ<sup>(٢)</sup>  
هُمْ نَعَشُوا الْمُلْكَ حَتَّى اسْتَقَلَّ      وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ<sup>(٣)</sup>  
نُجُومُ هُدًى - وَالْمَعَالِي بُرُوجٌ -      وَأَسَدٌ وَغَى وَالْعَوَالِي أَجَمٌ<sup>(٤)</sup>

\* \*

« أَبَا بَكْرٍ » اسْلَمَ عَلَى الْحَادِثَاتِ      وَلَا زِلْتَ مِنْ رَيْبِهَا فِي حَرَمٍ<sup>(٥)</sup>  
أَنَادِيكَ - عَنْ مِقَةٍ - عَهْدُهَا      كَمَا وَشَتِ الرُّوضُ أَيْدِي الرَّهْمِ<sup>(٦)</sup>  
وَإِنْ يَمُذُّنِي عَنْكَ شَحَطُ النَّوَى      فَحَظِي أَحْسَنَ وَنَفْسِي ظَلَمٌ<sup>(٧)</sup>

(١) رَغَمَ : رَغِمَ يَزُولُ : إِذَا لَمْ يَتْرَكَ مِنْ أَهْدَانِهِ ، سَائِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذَلَّهُ ، وَلَا أَتَمَّ الْأَمَمَ إِلَّا أَرَمَهُ ، وَيُقَالُ رَغِمَ أَمَةٌ بِمَعْنَى أَذَلَّ عَنْ كَرَمِهِ بِمَعْنَى أَرَمَهُ .

(٢) تَقِيلُ أَتَاهُ أَشْبَهَهُ - مَقَاوِلَ وَمَقَاوِلَةٌ وَأَقْيَالٌ وَأَقْوَالٌ جَمْعُ مَقُولٍ كَبِيرٌ أَوْ جَمْعُ تَيْلٍ - لَلْفِكَ مِنْ مَلُوكٍ حَيْرٍ - أَوْ هُوَ مَا دُونَ ذَلِكَ الْأَعْلَى - وَمَعْنَى بِلَا لَأَهِ يَقُولُ مَلْشَاءَ بَعِيدٍ ، وَجَبَتْ فِي الْيَتِّ أَنَّهُ فِي عَزِهِ وَبَعْدِهِ وَمَنَاعَتِهِ أَشْبَهَ أَسَدَهُ وَأَحْدَادَهُ مِنْ مَلُوكٍ وَأَقْيَالٍ حَيْرٍ الَّذِينَ سَادُوا وَغَلَبُوا جَمْعُ الْأَمَمِ .

(٣) بُرُوجُ السَّمَاءِ مَرْوَةٌ - الرُّوحُ : قُبَارُ الْحَرْبِ أَوْ الْحَرْبُ - الْعَوَالِي صُدُورُ الرِّمَاحِ - وَالْأَجَمُ الْبَاضِعُ وَبِضْتَيْنِ وَالْمَحْرُوكُ جَمْعُ أَحَدٍ مَحْرُوكٌ الشَّجَرُ الْكَثِيرُ لِلْفَتْحِ ، وَلِلْمَعْنَى أَنَّ الْمَقَاوِلَ الْأَقْيَالُ أَبَاءَ هَذَا الْمَدْحِ كَانُوا فِي الْمَعَالِي يَشْهَوْنَ الْجُودَ فِي بُرُوجِهَا فِي السَّمَاءِ كَمَا كَانُوا فِي الْحُرُوبِ يَشْهَوْنَ الْأَسَدَ تَهْلِكُهُمْ رِمَاحُهَا أَمَّا الْأَسَدُ .

(٤) يَمُذُّهُ أَنْ : يَلُ فِي هَاهُنَا مِنْ أَحْدَاثِ الْفَجْرِ وَمَصَانِعِهِ ، وَأَنْ يَطْلُ فِي مَوْضِعٍ لَا تَهْتَكُ الْحَادِثَاتُ وَلَا تَصِلُ إِلَيْهِ رَيْبُهَا .

(٥) اللَّفَّةُ : الْحَبَّةُ ، وَالرَّهْمُ : كَمَثَبُ رَحْمَةٍ تَكْتَبَرُ الرِّاءُ وَتَكُونُ الْهَادِ وَهِيَ الطَّرِيقُ الصَّغِيرُ الْبَاطِنُ وَغَالِ رُوضَةٍ مَرْهُومَةٍ ، يَقُولُ النَّاصِرُ : أَنَادِيكَ نَدَاءً صَادِرًا عَنْ مِقَةٍ وَبِحَبَّةٍ عَهْدُهَا فِي الْحَدَّةِ وَالشَّابِ كَمَا تَقُشُّ أَيْدِي الْحَبَابِ لِلطَّرِيقِ ، أَذِيمُ الرُّوضِ الْبَاضِعُ ، بِالْوَاوِ الرِّيحُ الرَّاهِرُ .

(٦) عَدَاهُ مِنَ الْأَمْرِ صَرْفُهُ وَشُدُّهُ ، وَيَمُذُّنِي عَنْكَ : صَرْفِي وَيُشْلِي عَنْكَ ، وَالشَّحَطُ : الْبَعْدُ ، وَالنَّوَى الْإِقْتِرَابُ . يَقُولُ : إِذَا كَانَ الْإِقْتِرَابُ يَشْلِي وَيَصْرِفِي عَنْكَ فَهُوَ لَمْ يَرَحْضَ إِلَّا حَظِي وَلَمْ يَظْلَمْ إِلَّا غَيْسِي فَتَضَرَّرَ هَذَا الْبَعْدُ وَاقَعَ بِي وَحْدِي وَلَيْسَ يَقَعُ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَيْكَ .

وَإِنِّي لِأَصْفِيكَ مَخْضَ الْهَوَىٰ      وَأَخْفِي لِبُعْدِكَ بَرْحَ الْأَلَمِ (١)  
وَعَسِيرُكَ أَخْفَرَ هَهْدَ التَّلَامِ      إِذَا حُسْنُ ظَنِّي عَلَيْهِ أَذَمِ (٢)  
وَمُسْتَشْفِعِي بِي بَشَرَتُهُ      عَلَى ثِقَةٍ - بِالنَّجَاحِ الْأَتَمِ (٣)  
وَقَدَمًا أَفْلَتَ الْمَسِيءَ الْمِثَارَ      وَأَحْسَنْتَ بِالصَّفْعِ عَمَّا اجْتَرَمَ (٤)  
وَعَنْدِي - لِبُشْكْرِكَ - نَظْمُ الْمُقَوِّدِ      تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي الثُّومِ (٥)  
تُجِدُ لِفَخْرِكَ بُرْدَ الشَّبَابِ      إِذَا لَبَسَ الدُّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ (٦)  
نَشْنُ مُعْقَبًا يَيْفَاقُ السُّعُودَ      وَدُمُ نَامِحًا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ (٧)  
وَلَا يَزَالُ الدُّهْرُ أَيْلَافَهُ      لَكُمْ حَشَمٌ وَالْيَالِي خَدَمِ (٨)

(١) نفس الهوى : حاسه - والبرح : الشدة بدعم بهذا البيت معنى حاسه مقول إلى لأصفيك وأصحك الهوى حاسما لاسانبة فيه وإني في مسدك لأسر في معنى بالألم المبرح والبرحة المرة ولكي أحس ذلك في حايا السور وفي موضع الأسرار من الغلوب .

(٢) أذم به : نفس عهده وعصره - الدمام : الحرمة ويجمع على أذمة ويقال - أذم له عليه أي أخذ له ذمة أي حرمة أو اجارة . يقول : إن عيرك ، أما تكر هو الذي يحرر عهد الدمام ويسميه ويسمى به إذا جعل حسن على وطيب ملي له حرمة سدى و أفعلى عليه ذمة .

(٣) يقول : ما دبرت الخشع في لديك بالجاح إلا تم لمطلبه ويل له في هباجك فقد نشعت بآتي لا ترد شعاعه سد أي تكر ولا يجب له راحة لديه .

(٤) قدما أي تديما وأملت ولانا من كذا يعني أعبته منه واحترم أي آتى القرب أو الجرعة والمفتح هو المفتوح يقول وأما صرحت تصل العائر من غفرته وتغمر عن اللغى في حرمة .

(٥) التناسق هو التآلف حات المعود ولآنها والآلي الثوم أي للتشابة ونسى المؤونة الثأمية وبوأم الدوم والؤؤؤ ما تشابه منها يصد الحمر إلى تنوع للمدوح لاقناه مدائحه وشمه الذي يشبه المعود للمدومة للماسفة بوأم اللآلي .

(٦) أحد الثوب سيرة جديدا يعني أن علم هذه المعود للقبعة يحذ ويهد أراد الشاب من انصر بها حديثة في الوقت الذي يلبس فيه الرمن ثوب - الهرم ، أو أن حر المدوح معه هو الذي يطل بكه للمناخ جديدا .

(٧) بقاء : كسحاب الليل ولتغمود به ها للمرهع يبدو للمدوح أن يمش مستصفا بمرصعات السمود وإن يدوم مظللا نالهم أنسللة لواردة .

(٨) حسم الرجل وشحه الذين يسبون له من أمه وعبيده وجيرانه ، والحسم الواحد والجمع والحسم جمع حادم . يقول : لا يزال الحر حاسما لك .



## في نكبة بنى ذكوان

«قال عند نكبة بنى ذكوان وابن حذام  
في سنة ٤٤٠ هـ أربعين وأربعمائة.»

هَلِ النَّدَاءُ - الَّذِي أَعْلَنْتُ - مُسْتَمَعٌ      أَمْ فِي الْمَثَاتِ الَّتِي قَدَّمْتُ مُنْتَفَعٌ <sup>(١)</sup>  
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ حَظِّ يَسُوفُ بِي      كَأَيَّاسٍ مِنْ نَيْلِهِ أَنْ يَحْذِبَ الطَّمَعُ <sup>(٢)</sup>  
تَأْتِي الشُّكُونُ إِلَى تَعْلِيلِ دَهْرِي لِي      نَفْسٌ - إِذَا خُودِعَتْ - لَمْ تَرْضَ خِلَافَ الدَّعِ <sup>(٣)</sup>  
لَيْسَ الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا دَلِيلَ حَجَا      فَلَيْتَهَا دَوْلُ أَيْبَانَهَا مَتَّعُ <sup>(٤)</sup>  
تَأْتِي الرِّزَايَا نِظَامًا مِنْ حَوَادِثِهَا      إِذِ الْفَوَائِدُ فِي أَثْنَانِهَا لَمَّعُ <sup>(٥)</sup>  
أَهْلُ النَّبَاهَةِ أَمْنَالِي لِذَهْرِهِمْ      يَقْصُرُهُمْ دُونَ غَايَاتِ الْمُنَى وَلَمَّعُ <sup>(٦)</sup>

(١) يقول : هل وصل إلى سمعكم ذلك النداء الذي أعلت فيه شكواي ، أم هل مما قدمه من ماثات الفوائد والرسائل غناء ومع ، وهو بهذا الاستفهام يكرر أو تكون - كواه قد سمعت ، وأن تكون فائدة قد سمعت .

(٢) الطمع : ضد اليأس ، وللي : إلى لأعجب من حظ انتد لي في يله تسو - المدح ومطه ، حتى لقد أصبح شبيها - ليأس - طمع يحيدني إليه يريد أن الطمع فيه أحو اليأس به .

(٣) يقول : إن دهرى يطغى بئيل تلك الأمان العبدية ، ولكن نسي لا اسكن إلى هذا التعليل لأنها لاتتخذ إذا خودعت .

(٤) المعنا : العقل والعطش ، معناه أن الركون إلى الدنيا ليس فيه دليل على ذكاء وفطنة من يركن إليها لأنها زائلة متحولة ، وللتمع بها مرور مفتون .

(٥) يقول : إن الرزايا وهذه الدنيا تأتي على سق متتابع من الحوادث التي يخلل سوادها بصيص من لمح الفوائد .

(٦) القصر : الحبس والنع ، والولع : مصدر ولع فلان بكذا إذا لج فيه وحرص عليه ، يعني أن الدهر مولع بالملولة بين الغابة للفرغ وبين بلوغ أمانيه .



لَوْلَا بَنُو «جَهَنَّمَ» مَا أَشْرَقَتْ هِمَمِي      كَمَثَلِ بَيْضِ اللَّيَالِي دُونَهَا الدَّرْعُ <sup>(١)</sup>  
 هُمُ الْمُلُوكُ مُلُوكُ الْأَرْضِ دُونَهُمْ      غَيْدُ السَّوَالِفِ فِي أَجْيَادِهَا تَلْعُ <sup>(٢)</sup>  
 مِنَ الْوَرَى إِنْ يَفُوقُوهُمْ فَلَا تَجِبُ      لِذَلِكَ الشَّهْرُ مِنْ أَيَّامِهِ الْجُمُعُ <sup>(٣)</sup>  
 قَوْمٌ مَتَى تَحْتَفِلُ فِي وَصْفِ سَوْدَدِهِمْ      لَا يَأْخُذُ الْوَصْفُ إِلَّا بَعْضَ مَا يَدْعُ <sup>(٤)</sup>  
 تَجَمَّعَ الْدَّهْرُ فَأَنْصَأَتْ لَهُمْ غُرُرُ      مَاءِ الطَّلَاقَةِ فِي أَسْرَارِهَا دُقْعُ <sup>(٥)</sup>  
 بَاهَتْ وَجُوهُهُمُ الْأَعْرَاضَ مِنْ كَرَمِ      فَكُلَّمَا رَأَى مَرَأَى طَابَ مُسْتَمْعُ  
 سَرَوْ تَزَاحُمُ فِي وَصْفِ الْمَدِيحِ لَهُ      حَاسِنُ الشَّعْرِ حَتَّى يَنْتَهَى قُرْعُ <sup>(٦)</sup>

(١) الدرع : الليالي التي اسودت أو اظلمت وأبيض سائرها ، والبيال البيض هي التي يطلع فيها القمر من أولها إلى آخرها ، أي لولا الجواهر ما أشرقت همتي إشراقاً كالإشراق الليالي البيضاء دونها في البياض الدرع أي الليالي التي أظلمت أو اظلمت .

(٢) غيد جمع أعيد : أي مائل ، والسوالف : جمع سالف ، وهي صفحة العنق مما يلي الأذن ، والطلع : طول العنق واختداده ، يقول : موجهور هم ملوك الأرض لا يدايمهم وللمزلة أولئك الملوك الذي أملوا سواهم ، وهمدوا أعانهم خيلاء وكبرا .

(٣) أي هم من الورى وليس يجبا أن ينفوهم ، كما أن الجمع من أيام النهر ولكنها تنوق سائرهم .

(٤) تحتل : يتابع بريد أنك مهما تبالغ في وصف سوادهم فلا يملك أن تثبت من صفاتهم في السيادة والمجد إلا جزءاً صغيراً مما تدع لكثرة ، ويجرك عن اللاحظة به .

(٥) تجم : عيس وتكررت أيامه ، والانسات : اشتهرت ، والأسرار : جمع سر ، وجمع أيضا عن أسرار ، وهي خطوط في المرة والجلين ، والنفخ : جمع دفعة ، وهي النفقة من اللط ونحوه ، والعي عيس وجه الزمان واسودت جوانب العيش فاشتهرت لهم في أثناء تجمهم غرر يضي يجري في فصوصها ماء الطلابة والهدر متفرقا متسللا .

(٦) جمع قرعه ، وهي الهمة ، أي حتى يسام ويخرج بين جيد الأشعار أيها أدنى وأحسن وأجدر بسن الجوائز .



« أَبُو الْوَلِيدِ » فَدِ اسْتَوْنِي مَتَاقِيَهُمْ فَلْتَفْكَرِيكِ مِنْهَا فِيهِ مُجْتَمِعٌ<sup>(١)</sup>  
هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي سَنَّ الْكَرَامَ لَهُ زُهْرَ الْمَسَاعِي فَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعُ  
مِنْ عِزَّةِ أَوْهَمْتُهُ فِي تَعَاقُبِهَا أَنْ الْمَكَارِمَ إِيصَاكِ بِهَا شَرَعُ<sup>(٢)</sup>  
مُهَذَّبٌ أَخَذَ صَنِيعَهُ أَوْلَيْتُهُ كَالسَّيْفِ بَالِغٌ فِي إِخْلَادِهِ الصَّنْعُ<sup>(٣)</sup>

(١) يعني أن (أ. الو.) استوفى مناب الملوك حتى اجتمع فيه ما تنفرق في غيره منها وغيره. «تاريخ الأشراف» إلى ولهم في النثر «هو خير من تاريخ المعاني» ، يريد أن ما به كالصالحات كثر من الناس ، وأن ما به غيره من الملوك كـ «تاريخ المعاني» كل واحدة منها مائدة وممسك ، وجاء في كتاب المعاني من البيان وتبيين لملاحظ مسحة : « ومن حمل النول في المعاني » وما يجوز فيها من المنافع والراقي ، «تفسير شعر» الأهرامية في شأنها ، وذلك أنها كان لها ابن سيد الأرملة كثير لمصر إلى الناس مع سبع أسر ، ودقة عظم ، «وإن مرة من في الأعراب ، قطع التي أمه وأخذت (شعر) » ذه أنه ، «لقد حلف مدبر مدبر ، ثم وثب آخر فقطع أذنه فأحدث له فودت دية أذه في اللد وحسن الخاء ، ثم وثب بعد ذلك آخر فقطع سمه ، طارأت فأنه صار سديها من الابل والام والماء والكسب بوارح ابها ، حسن رأيا فيه فذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

« أحلف بلروة يوما والمعاني لك خير من تاريخ المعاني »

مثل ابن لا عربي ، ما تاريخ المعاني قال : المعاني قطع ساحورا وتقطع دما الساور مصر أو قافا ، وينشق الولد مصر كل طعة شطاط ، فان كان رأس الشطاط كالطكة صار لحنق ، همارا ، وهو العود لدى يدخل في ألب الحنق ، وإذا مر المهار خذت منه التواء ، والسواخير تكون الكلاب والأسراء من الناس - وهذا إلى على الله عليه وسلم ، « وثنى باس من هاهنا يتحدون إلى حذوهم بالسواخير » - وإذا كانت قفاه بكل شقة منها قوس يدق ، فان كان مرق الشقة صارت سهامها ، فان فرقت السهام صارت حذاه ، ومن سهام صغار ، ولواحدة حظوة وسروه ، فان مرر الحظاء صارت مثارل ، فان فرق المثارل شرب به الشهاب أمداه للصعود للثخوة على أنه لا يجد لها أصلع منها . وقال الشاعر :

« تواعد أطراف التناقض شككه كشكه بالشجب الأمان للثنا »

فإذا كانت المعاني صحيحة سالمة صيها من المنافع الكبار ، وللراعي الأوسط والصغار ، ولا يصحبه أحد ، فإذا مرت فيها مثل الذي ذكرنا وأكثره إلى آخر ما أورده الجاحظ في هذا الباب .

(٢) جمع شرعة بكسر أوله أي شرع وتنازع يجري فيها على سنة الملوك من أماته . يريد أن أباده من الملوك لتنازعهم على سن الكرام بين يملهم من أبائهم أو هموه لكثرة ما أوصوا بها أنها شرائع مثولة .

(٣) الجاحظ في صنعة .

إِنَّ السَّيُوفَ إِذَا مَا طَلَبَ جَوهرَهَا      فِي أَوَّلِ الطَّبْعِ لَمْ يَمْلُقْ بِهَا طَبْعُ (١)  
جَدَلَانْ يَسْتَفْضِحُ الْأَيَّامَ عَنْ شَيْمٍ      كَالرَّوْضِ تَفْضَحُ مِنْهُ فِي الرَّثَا قِطْعُ  
كَالْبَارِدِ الْمَذْبِ لَدَتْ مِنْ مَوَارِدِهِ      لِشَارِبِ غَيْبِ زُبُرِجِ الصَّدَى - جُرْعُ (٢)

\* \*

قُلْ لِلْوَزِيرِ الَّذِي تَأْمِيْلُهُ وَزَرِي      إِنَّ ضَاقَ مُضْطَرَبٍ أَوْ هَالٍ مُطْلَعُ (٣)  
أَصْنَعْ لِمَنْسِ عِتَابٍ تَحْتَهُ مَقَّةُ      وَكَلَّفِ النَّفْسَ مِنْهَا فَوْقَ مَا تَسْعُ (٤)  
مَا لِلْعِتَابِ - الَّذِي أَحْصَفَتْ عَقْدَتُهُ -      قَدْ خَافَرَ الْقَلْبَ مِنْ تَضْيِيعِهِ جَزْعُ (٥)  
لِي فِي الْمَوَالَاةِ أَتْبَاعُ يَسْرُهُمْ      أَنَّى لَهُمْ فِي الَّذِي نُجْزِي بِهِ تَبْعُ (٦)  
أَلَسْتُ أَهْلَ اخْتِصَاصٍ مِنْكَ يُلْسِنِي      جَمَالَ سِيَّاهُ ؟ أَمْ مَا فِي مُفْطَمْعٍ ؟ (٧)

- (١) الطبع : الصدا ، يقول : إذا السيوف في مبدأ طلبها إذا طاب جوهرها لم يملق بها شين الصدا ،  
يعني أن المدح ثابت أوليته غلب جوهره ولم يشته هيب .
- (٢) فيه تشبيه المدح عود اللاء البارد المذبذبة لشاربه منه جرعة أفادت قوة صدره صدقاً  
مريح شديداً .
- (٣) وزري : ملجئ ومعتصم ، ومضطرب اسم مكان من اضطرب وهو السر في الأرض ، ومطلع :  
مكان الاطلاع من معرف حال ، أو مكان الصعود من أسفل إلى أعلى ، وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه  
قال عند موته ، « لو أن لي ما في الأرض جبالاً لأفندت به من حولي للطلع » وهو التشديد . مكان الاطلاع  
أراد به ما يعرف عليه من أمر الآخرة ويطلع عليه عقب الموت .
- (٤) قبل رقيق خطاب كالمس في الأدن ينطوي على قوة ومحة وكاب منك من تحقيق أسبق  
فوق طائفاً .
- (٥) أحصت : أحكمت ، والشفقة : الرادها هنا الرأي والتقدير ، وللمنى : قد كل من السبل وحصاة  
الرأي أن أبادر إلى الفرية وهذا تأني مما لبس إلى ، فما لتوحي قد صيبت ولم تقبل مما حل علي بماخه  
البلوع وعدم الصبر ، وبمازجه اليأس والحزن .
- (٦) يقول : أنا أول الناس في الولاء لكم وفيهمي تبع ، وأتباعي في الموالاة يبرهم أن أكون في  
الجوار تبعاً وتالياً لهم ، بهم دائماً يسمون لاسقاط منزلي وإحاطة مساعي .
- (٧) يقول : أنتكر اختصاصي منك بما يحل علي محلياً بجمال هذا الاختصاص ، فلا يقدم علي من هم تبع  
لي في الولاء والاختصاص ؟ أم هل تنكر أن قبل فيرى أهل لب الصنعة وإسداء الجليل ؟

لَمْ أَوْتِ فِي الْحَالِ مِنْ سَعْيِي لَدَيْكَ - وَنَى      بَلْ بِالْجُدُودِ تَغَيِّرُ الْحَالَ أَوْ تَقَعُ<sup>(١)</sup>  
لَا تَسْجِرْ وَضَعُ قَدْرِي بَعْدَ رَفْعِكَ      قَالَهُ لَا يَرْفَعُ الْقَدْرَ الَّذِي تَضَعُ  
تَقَدَّمْتَ لَكَ نَعْنَى رَادَهَا أَسْلَى      فِي جَانِبِ هُوَ لِلْإِنْسَانِ مُنْتَجِعُ<sup>(٢)</sup>  
مَا زَالَ يُؤْنِقُ شُكْرِي فِي مَوَاقِعِهَا      كَالْمُزْنِ تُؤْنِقُ فِي آثَارِهِ التَّرْعُ<sup>(٣)</sup>  
شُكْرُ يَرْوِقُ وَبُرْضِي طِيبُ طُعْمَتِهِ      فِي طَبِئِهِ فَفَحَاتُ يَنْتَهَا خَلْعُ<sup>(٤)</sup>  
ظَنَّ الْعِدَا - إِذْ أَغْبَتْ - أَنَّهَا انْقَطَعَتْ ،      هَيْبَاتَ أَيْسَ لِمَدِّ الْبَحْرِ مُنْقَطِعُ<sup>(٥)</sup>  
' لَا بَأْسَ بِالْأَمْرِ - إِنْ سَاءَتْ مَبَادِئُهُ      نَفْسَ الشَّقِيقِ - إِذَا مَا سَرَتْ الرَّجْعُ

\* \*

إِنَّا لَأَتَى كُنْتَ مِنْ قَبْلِ أَفْئِصَاحِهِمْ -      مِثْلَ الشَّجَى فِي لَهَا هُمْ لَيْسَ يُنَزَّعُ<sup>(٦)</sup>

(١) ونى : أى مرة وتوان فى السعى ، والجودود : جمع جدد وفتح وهو الخط والاحت والى : لم أوت ولم يذهب سعي عندك تهور ولا تصبرى للثألة والسعى ، ولكن الذى قد بدى من ذلك أمتيق عندك إما هو خطى الذى به يملو الحال ويرتفع ، كما يطير الطائر أو يقع .

(٢) رادها : أى تهدى أول أرسلته فى طلب النعمة ، وارتداد النعمة ، صادف حابيا مرما ، ومراداً لعمائمه ومنتجها .

(٣) الترع : جمع ترعة ، وهى الروضة على المكان المرتفع من الأرض ، يقول : ما زال روس شكرى مرفعا مرفحا مع سها ، معاك ، كالزنى أى السحاب يصعدك على أثر نزول المطر منه الرياس والربى قد أثرت بالون الزهر ، وأبست بأنواع الثمر .

(٤) طب طامه : أى مكسه الطيب الحلال ، والمخلع : جمع خلعه بالكسر ، وهى ما تخلعه من الثياب وتطرعه على آخر ، أى شكر يروى السامع حسه . ويرضى للشاكر ما يشره من طيات المكاسب ، فى طيه مثل صحت الروس بينها وهى أثنائها تخلع عليها حلج ثمينة ، وحلل فاخرة .

(٥) طى العدا أن هذه العطايا والهدايا قد أعبت وتأثرت أليما أنها انقطعت عى ، هيبات أن يتقطع سطاء شبه البحر الذى ليس لمداه انقطاع .

(٦) يقول فى هذا البيت والثنى معه : -

أول الذين كذت - من قبل انتضاح أمرهم وظهور صريح العداوة منهم كالتشجا - مقرنا فى حلوقهم لا يمكن انتراعه ، لم أحط منهم . وهم أعداء ماضون ، إلا بما كنت أحطى به منهم وهم شعبة مسالون ، يريد أن صبيه منهم فى الماين لم يكن سوى للعر والأدى والوبيعة .

لَمْ أَخْظَ - إِذْ هُمْ عَدَا بَادٍ نَفَاتَهُمْ -  
 مَا غَاطَهُمْ غَيْرَ مَا سِيرَتْ مِنْ مِدَحِ  
 كَمْ غُرَّةٍ لِي تَلَقَّتْهَا قُلُوبُهُمْ  
 إِذَا تَأَمَّلْتَ حُسْبَى غَيْبِ غَشْمِهِمْ  
 تِلْكَ الْعَرَانِينَ لَمْ يَصْلُحْ لَهَا شَمُّهُ  
 أَوْ دَعَتْ نِعْمَكَ مِنْهُمْ شَرَّ مُقَرَّبِي  
 لَقَدْ جَزَّيْتَهُمْ جَوَازِي الدَّهْرِ عَنْ مَنِي  
 لَا زَالَ جَذَكَ بِالْأَعْدَاءِ يَصْرَعُهُمْ  
 إِلَّا كَمَا كُنْتُ أَحْظَى إِذْ هُمْ شَيْعُ  
 فِي صَائِكَ الْمِسْكِ مِنْ أَنْفَاسِهَا فَتَعُ<sup>(١)</sup>  
 كَمَا تَلَقَّى شِهَابَ الْمُوقَدِ الشَّمْعُ<sup>(٢)</sup>  
 لَمْ يَخْفَ مِنْ فَلَقِ الْإِصْبَاحِ مُتَصَدِّعُ<sup>(٣)</sup>  
 فَكَانَ أَهْوَنَ مَا نِيلَتْ بِهِ الْجَدْعُ<sup>(٤)</sup>  
 لَنْ يَسْكُرُمُ الْعَرَسُ حَتَّى تَسْكُرُمُ الْبَقْعُ<sup>(٥)</sup>  
 عَقَّتْ فَلَمْ يَفْنِهِمْ عَنْ قَهْطِهَا وَرَعُ<sup>(٦)</sup>  
 إِنْ كَانَ بَيْنَ جُدُودِ النَّاسِ مُصْطَرَعُ

(١) صائك : اسم فاعل من صاك به الملك يصيك أى لصق به ، قال الأعشى :

« ومثلك معية بالشبا ب صاك المير بأحداها . »

وسبأى لصاحب الديوان قوله في « ص ١٣٩ » :

« ثناء جميل كان ثناءه . مسك بأردان المحامل صاك . »

والفتح : معية الملك ، ومسك دومع ذكر الرائحة طيب الأعاس . قال الشاعر :

ومروع صاغ أطرافها علقها ربح مسك ذى فتح

وجاء بالأصل « صايك » بابا . و « كع » بالكاف ولا معنى لها .

(٢) كم غرّة لى واضحة منيرة تطلع عليهم فتتغايا قلوبهم وفى متأجبة مستمرة ، كما يتلقى الشمع عند

الانارة حر الشهاب من موقعه ومشله .

(٣) يقول حي وارجح كفافى الصبح ، وحبهم مفشوش كاذب .

(٤) العرائن : جمع عرئين ، وهو أعلى الأنف عند ماقي المحابين ، أو هو ما صلب من عظم الأنف ،

قال ذو الرمة :

« نلتى القاب على عرئين أربة شها . مارنها بالملك مرثوم . »

والشم : ارتفاع قصبة الأنف وحسنها مع استواء أعلامها وإشراف الأرنبة ، وإذا وصف الرجل بالشم

فإنما يمتنون أنه سيد شريف النفس ذو أمة وشيوخ وحبه ، ويقال هم شم العرائن كناية عن ذلك ، قال

كعب بن زهير :

« شم العرائن أبطال لوسهم سن سج داودى الهيجه اسرائيل . »

والجبدع : القطع البائن فى الأنف والأذن ونحوهما وهو مصدر جدد كمرح فهو أجدد .

(٥) يقول : لقد استنبت نساك فى بقعة خبيثة من نفوس هروب بشمط النمة ونكران الجبل .

(٦) يقول : لأن الدهر جازاهم عن من أسديتوها إليهم ، ففوا على آثارها ولم يتوردوا فى مغطها

والاستنام عن شكرها .

## تهنئة بقران

« وقال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله  
أبا عمرو عبد الله ويهنيه بالناء على السيدة  
بنت الموفق مجاهد رجهما الله . »

أَخْطَبَ فَلَيْكُكَ يَفْقِدُ الْإِمْلَاكَ      وَأَطْلَبُ فَسَعْدُكَ يَضْمَنُ الْإِذْرَاكَ<sup>(١)</sup>  
وَصَلَ النُّجُومَ بِحِطِّ مَنْ لَوْ رَامَهَا      هَجَرَتْ إِلَيْهِ زُهُرُهَا الْأَفْلَاكَ<sup>(٢)</sup>  
وَأَسْتَهْدُ مِنْ أُنْحَى مَرَاتِعِهَا الْمَهَا      فَالْصَّبُّ يَسْنَحُ فِي عَيْنَانِ هَوَاكَ<sup>(٣)</sup>  
يُنَائِيهَا الْمَلِكُ الَّذِي تَذِيرُهُ      أَضْحَى لِمَلَكَةِ الزَّمَانِ مِلَاكَ<sup>(٤)</sup>  
هَذِي اللَّيَالِي بِالْأَمَانِي مَتْمَحَةٌ      فَتَى تَقُلُ « هَاتِي » تَقُلُ لَكَ « هَاكَ »  
فَاعْقِلْ شَوَارِدَهَا إِزَاءَ عَقِيلَةٍ      وَافَتْ مُبَشِّرَةً بِنَيْلِ مُنَاكَ  
أَهْدَى الزَّمَانُ إِلَيْكَ مِنْهَا ثُخْفَةً      لَمْ تَعُدْ أَنْ قَرَّتْ بِهَا عَيْنَاكَ  
شَمْسٌ تَوَارَتْ - فِي ظَلَامٍ مَضِيعَةٍ -      ثُمَّ اسْتَطَارَ لَهَا السَّنَا بِسَنَاكَ<sup>(٥)</sup>

(١) الأعلام : عقد الزواج ، يقول : اخطب فليكنك يومزها الصهر والنسب ، واطلب فسعدك يضمن لإدراك ما تطلب .

(٢) وصل النجوم بحط ملك لو رام زهر النجوم هجرت إليه أفلاكها ، يريد أن يلورام مصاهرة من ارتفع نسبهم من الملوك إلى مستوى زهر السكواك في أفلاكها ، لسانوا إليه من زهر مراتبها ما يرومه ، وتسمو إليه نفسه ، ويختاره نسا وصهرا .

(٣) استهد : أطلب الهداء من هدى المروس يهنيها إليه هداه زفها إليه ، وفي الأصل ( استهو ) وهو من استهوا الشياطين ، ولا معنى له هنا ، أي اطلب من أمنع أعباء العرب وأشدها حماية وحفيظة أن يهدوا إليك من بناتهم الشبهات بألها أي بقر الوحش في اللياس وسواد العيون من تريد وتهوى فإن الصعب يسلس ويتقاد في مناه مرادك وهو الف .

(٤) أي أضحي تديره قوام للملكة ولظاهما التي يعتمد عليه في أمورها .

(٥) مضية : يقال هو بدار مضية كمشية أي بدار ترك وإطراح وإضاعة ، واستطار : انلهم ، والسنا : نالهم الضياء ، أي كانت قبل هذا الأعلام شمساً محتجبة وراء حجب الإهمال والترك ، فاستطار إليها شعاع من سنا وجهك ، فأفرقت وأطارت .

قُرِنتَ يَدْرِ السَّمَّ كَافِلَةً لَهُ      أَنْ سَوْفَ تُتْبِعُ فَرْقَدَيْنِ مِمَّا كَا<sup>(١)</sup>  
 هِيَ وَالْفَقِيدَةُ كَالْأَدِيمِ اخْتَرْتَهُ      فَقَدَدْتَ إِذْ خَلَقَ الشَّرَّكَ شِرَا كَا<sup>(٢)</sup>  
 فَاصْفَحْ عَنِ الرِّزْوِ الْمَعَاوِدِ ذِكْرَهُ      وَأَسْتَأْنِفِ النِّعْمَى قِتْلَكَ بِذَا كَا<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

لَمْ يَبْقَ عُدْرٌ فِي تَقْسَمِ خَاطِرٍ      إِلَّا الصَّبَابَةُ مِنْ دِمَاءِ عِدَاكَ  
 كَفَارُ أَنْعَمِكَ الْآلَى حَلَّتْهُمْ      أَطْوَأَقُهُمْ ، سَيَطَوَّقُونَ ظُلُمًا كَا<sup>(٤)</sup>  
 أُعْرِضْ عَنِ الْخَطَرَاتِ إِنَّكَ إِنْ نَشَأَ      تَكُنِ النُّجُومُ أَسِنَّةً لِقَدَاكَ<sup>(٥)</sup>  
 هُصِرَ النَّعِيمُ بِعُطْفِ دَهْرِكَ فَانْقَى      وَجَرَى الْفِرْدُ بَصْفَحَتِي دُنْيَا كَا<sup>(٦)</sup>  
 وَبَدَا زَمَانُكَ لِأَبْسَا دِيَابَجَةٍ      تَجَلُّوْا لِمَيْنِ الْمُجْتَلِي سِيَمَا كَا  
 دُنْيَا لَزَهْرَتِهَا شُعَاعُ مُذْهَبٍ      لَوْ كَانَ وَصْفًا كَانَ بَعْضُ خُلَاكَ

(١) يقول : قرب هذه العقبة بغير السَّمِّ ضامنة له أن ستبع فرقدين نحما يريد أنها ستعجب أمثال الكواك البرية من الذكور .

(٢) الأديم : الجلد ، وخلق : بلى ، والفرّاك : أحد سبور النمل التي على ظهرها ، يقول : هذه العقبة وزوجتك العقبة كالأديم قطعت منه بلى للفرّاك الذي بلى شرًا كما جديدا ، أي اخترت بدل العقبة ، زوجا أخرى جديدة ، وقد ألف العرب أن يشبهوا المرأة بالنمل ، وجاراهم ابن زيدون في ذلك ، وقد قال الحريري في مقاماته من حوار طويل : « كان لس ظهر نمل ، فقد انتقم وضوءه ببطه » أي إن لس امرأته .  
 (٣) أي فلك النعمى بالجديدة ، عوض من ذلك الرزء بالعقبة ، فاضربصفها عما معاودك من ذكريات تؤلم نفسك وتبسطك على الحزن .

(٤) جمع غلة بالضم ، وهي حد السيف ، يقول : إن الذين طوتهم بأمنك فجمعدوا بها ، ستعجل لهم فدا من سيوفك في أعتاقهم أطواقا يطوقونها .

(٥) أعرض عن كل خثرة تخطر بقلبك ، وتقع في بائك من حبة تدبير الملكة ، فإك منصور على أعدائك ، ولو شئت لتناول نجوم السماء بجملمتها أسنة لرمحك .

(٦) حمل النعمى عطفا كعطف الحسناء تهصره أي تمله إليك فيثنى كما تهصر النسن وتمله نحوك لعلطف عماره ، وجل لدنيا اللدوح التي احتوت النعمى فرندا يجري في صفحتها ماؤه وتترقى دياجته ، فأهطاك صورة ساهرة فأنه لما يصل بالمدوح من دنيا يحفها النعمى .



فَتَمَلَّ في فُرُوسِ الْكَرَامَةِ نَاعِمًا      وَأَعْقِدْ بِعِمْرَتِهِ الشُّرُورِ حُبًّا كَا<sup>(١)</sup>  
وَأَطْلُ - إِلَى شَذْوِ الْقِيَانِ - إِصَاخَةً      وَتَلَقَّ مُتَرَعَّةَ الْكُؤُوسِ دِرَاكًا  
تَحْتَهَا مِثْنَى مِثْنَى قَادَةٍ      شَفَعَتْ بِحُثِّ غِنَاهَا الْإِمْسَاكَا<sup>(٢)</sup>  
مَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي الصُّبُوحِ بِسُحْرَةٍ      قَدْ جَاسَدَتْ أَنْوَارَهَا الْأَخْلَاكَا<sup>(٣)</sup>  
لَكَ أَرْيَحِيَّةٌ مَاجِدٍ - إِنْ تَمَتَّرَضْ<sup>بُحْر</sup>      فِي هَوَى رَاحِكَ - تَسَهِّلْ لَهَا كَا<sup>(٤)</sup>  
مَنْ كَانَ يَمْلُتُ فِي خِلَالِ نِدَائِهِ      ذَمٌّ يَمُضِ خِلَالِهِ رَفْعَلَاكَا<sup>(٥)</sup>  
أُسْبُوعُ أَنْسٍ مُحَدِّثٌ لِي وَحْشَةٍ      عَلِمَا بِأَنِّي فِيهِ لَسْتُ أَرَا كَا<sup>(٦)</sup>  
فَأَنَا الْمُعَذِّبُ فَخِيرٌ أَنِّي مُشْمَرٌ      تَقَّةً بِأَنَّكَ نَاعِمٌ فَهَنَا كَا<sup>(٧)</sup>  
إِنِّي أَقُومُ بِشُكْرِ طَوْلِكَ بَعْدَ مَا      مَلَأْتَ مِنْ الدُّنْيَا يَدَيَّ يَدَا كَا<sup>(٨)</sup>  
بَرَدَتْ ظِلَالُ ذَرَاكَ ، وَأَحْلَوْلَى جَنِّي      نُفْعَاكَ لِي ، وَصَفَتْ جِجَامُ نَدَا كَا<sup>(٩)</sup>  
وَأَمِنْتُ قَادِيَةَ الْعِدَا الْأَقْتَالِ مَذْ      أَغْصَمْتُ فِي أَعْلَى يَفَاحٍ حِمَا كَا<sup>(١٠)</sup>

(١) تَمَلَّ : تَمَعَّ ، يَخَالُ مَلَاكُ اللَّهِ حَبِيبَكَ أَيْ مَتَكَ وَأَطَاعَتِكَ مَعَهُ طَوِيلًا ، وَالْجَاءَ : جَمْعُ حَيَوَةٍ وَهُوَ أَنْ يَجْمَعَ الْحَالِسُ طَهْرَهُ وَسَائِيَهُ بِنُوبٍ أَوْ نَحْوِهِ .

(٢) تَحْتَهَا : أَيْ الْكُؤُوسُ أَصْوَاتُ نَادٍ مِثْنَى مِنْ رَنَاتٍ مِثْنَى مِثْنَى فِي يَدِ غُلَامَةٍ ، سَمَّ إِلَى حَتِّ الْغَنَاءِ بِسَاكِ الصَّوْتِ بِمَدِّ إِطْلَاقِهِ .

(٣) جَاسَدَتْ : حَاطَتْ بِأَنْوَارِهَا سَوَادَ ظِلْمَتِهَا .

(٤) هَوَى رَاحِكَ : أَيْ وَ إِبْنُ هَوَاكَ ، عَرَبُ الرِّيحِ : وَتَسَهَّلَ عَطَّرَ وَالْهَاءُ : جَمْعُ هَوَاةٍ بِالْفَهْمِ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ الْجَزْءُ الْكَثِيرُ .

(٥) مَنْ كَانَ : مِنْ كَالٍ فِي أَثْنَاءِ اللَّتَامَةِ عَلَى الْفَرَاغِ يَطْلُقُ بَعْضُ حُلَاةٍ وَخَصَالَةٍ مَا يَهَابُ وَيُزِمُّ عَلَيْهِ ، تَخْلُوكَ ذِمَّ وَحُشَاكَ عَيْبٌ .

(٦) هُوَ الْأُسْبُوعُ الَّذِي بَاسَ فِيهِ بِهَرُوسِهِ ، وَلَا يَخْرُجُ إِلَى خَلَّتِهِ اقْدَرًا : بِالْبَحْثِ كُلِّ مَا اسْتَدْرَجَتْ بِهِ ، يَخَالُ أَنَا فِي دِرَاكٍ أَيْ فِي كَفِّهِ ، وَالْجَلْمُ : جَمْعُ جَلَّةٍ بِالْفَهْمِ وَهُوَ مَعْظَمُ اللَّاءِ ، وَاللَّسَى : الْمَطَاءُ أَيْ صَفَا صِلَاؤُكَ الْحَبِيبَ لِلْمَاءِ فِي الصَّنَاءِ قَلَمٌ يَكْتَرِبُ مِنْ .

(٧) الْأَقْتَالُ : الْأُمُورُ لِلْسَّائِرِينَ لَهُ وَالتَّجَاعُ مِنْ أَعْدَائِهِ ، وَأَغْصَمْتُ : مِثْلُ احْتَصَمْتُ أَيْ اسْتَمْسَكَتْ وَأَمِنْتُ وَبَلَّغْتُ ، وَالْبِقَاعُ : لِلْكَانِ الرَّصْعِ .

جَهْدَ الْمَقِلِّ نَصِيحَةً تَمْحُوضَةً أَفْرَدَتْ مُهْدِيَهَا فَلَا إِشْرَاكَ<sup>(١)</sup>  
وَتَنَاءَ مُخْتَفِلٍ كَأَنَّ تَنَاءَهُ مِنْكَ بِأَرْذَابِ الْمَحَافِلِ صَاكَ  
وَلْتَدْعُنِي وَعَدُّوكَ الشَّانِي ، فَإِنْ يَرُمُ الْقِرَاعَ يَحْدِ سِلَاحِي شَاكَ<sup>(٢)</sup>

لَا تَعْدَمَنْ<sup>✱</sup> الْحِطَّ غَرَسًا مُطْلِعًا تَمَرَّ الْفَوَائِدِ دَانِيَا لِحَنَاكَ  
وَالنَّضْرَ جَارًا لَا يُحَاوِلُ ثِقَلَةً وَالصَّنْعَ رَهْنًا لَا يُرِيدُ فِكَكَ كَا  
وَإِذَا غَمَامُ السَّعْدِ أَصْبَحَ صَوْبُهُ دَرَكُ الْمَطَالِبِ فَلْيَمِصْ سُقْيَاكَ  
فَالَّذَهُرُ مُفَرِّفٌ بِأَنَا لَمْ نَكُنْ لِنُسْرَمِنْهُ - بِسَاءَةِ - لَوْلَا كَا

### عهد

كَمَا تَشَاءُ فَقُلْ لِي لَسْتُ مُتَقِلًا لَا تَحْشَ مَنِي نِسْيَانًا وَلَا بَدَلًا<sup>(٣)</sup>  
وَكَيْفَ يَنْسَاكَ مَنْ لَمْ يَذَرِ بَعْدَكَ مَا طَعُمُ الْحَيَاةِ وَلَا بِالْبُيُودِ عَنْكَ سَلَا  
أَتَلَفْتَنِي كَلَفًا ، أَبْلَيْتَنِي أَسَفًا قَطَعْتَنِي شَفَفًا ، أَوْرَثْتَنِي عِلَلًا

✱ ✱

إِنْ كُنْتُ خُنْتُ وَأَضْمَرْتُ السُّلُوفَ لَا بَلَفْتُ يَا أَمَلِي مِنْ قُرْبِكَ الْإِيمَانُ<sup>(٤)</sup>  
وَاللَّهِ لَا عَلِقْتُ نَفْسِي بِغَيْرِكُمْ وَلَا اتَّخَذْتُ سِوَاكُمْ مِنْكُمْ بَدَلًا

(١) أهدى إليك نهاية ما يستطيع إهداءه مقلدك ، نصيحة حاضرة أردت مهديها واختصمت به لم تفرك معه فيه غيره .

(٢) الثاني : البعض ، والفراع المقارعة باليوف ، وشاك : السلاح شاك شوكا ظهرت شوكته وحده ، أي أدعى للمازلة ومجالة عدوك الثاني للبص فانه متى يرم ذلك يحدني شاك السلاح مستعدا لمقارعته .

(٣) يقول : إني احتمل منك كل شيء وليس ذلك بمعول عن حبك ولا هو يدأمي إلى نسيانك أو الاقتال عن حبك إلى حب سواك .

(٤) يقول : يا أباي الله يأمي منك وحرمني طعمك وودادك إن كنت فكرت لحظة في السلو عنك .

## مدح ورثاء<sup>(١)</sup>

« قال يمدح المعتد ، ويرى المعتد بلفه . »

هُوَ النَّهْرُ فَأَصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ النَّهْرُ      فَنَ شِمِ الْأَبْرَارِ - فِي مِثْلِهَا - الصَّبْرُ  
 سَتَصْبِرُ صَبْرَ الْيَأْسِ أَوْ صَبْرَ حِسْبَةٍ<sup>(٢)</sup>      فَلَا تُؤْثِرُ الْوَجْهَ الَّذِي مَعَهُ الْوِزْرُ<sup>(٣)</sup>  
 حِذَارُكَ مِنْ أَنْ يُعْقِبَ الرِّزْقَ فِتْنَةً      يَضِيقُ لَهَا - عَنْ مِثْلِ إِيْمَانِكَ - الْعُذْرُ  
 إِذَا أَسِفَ الْكُلَّ الْإِيْبُ فَشَفَّةُ      رَأَى أَفْدَحَ الشُّكْلَيْنِ أَنْ يَهْلِكَ الْأَجْرُ<sup>(٤)</sup>  
 مُصَابُ الَّذِي يَأْمُرُ بِمَيِّتٍ تَوَابِهِ      هُوَ الْبَرْخُ لَا الْمَيِّتُ الَّذِي أَحْرَزَ الْقَبْرُ<sup>(٥)</sup>

\* \*

حَيَاةُ الْوَرَى تَهْجُ إِلَى الْمَوْتِ مَبْعُ<sup>(٦)</sup>      لَهْمُ فِيهِ ابْضَاعُ<sup>(٧)</sup>      كَمَا يَوْضِعُ السَّفَرُ<sup>(٨)</sup>

(١) جاء في ص ٤٧٩ من فتح الطيب ما نعه :

« ولما مات والد للمتمد واسئل مالك ، قال ذوالوزارين ابن زيدون يرى المعتد بمصيدة طوية أولها :

« هو البحر ، فاصبر الذي أحدث البحر      فن شيم الأحرار في مثلها الصبر . »

وقد ذكر صاحب فتح الطيب أكثر أبيات هذه المصيدة وإن اختلفت في قليل من الألفاظ في بعض أبيات المصيدة عن رواية المدحون .

وسمى القارىء تشابها كثيرا بين هذه المصيدة وبين المصيدة الرائية التي قالها ابن زيدون في رثاء الوزير أبي الحرم .

(٢) حبة : احتساب الأجر ، وفي رواية فتح الطيب : « أو صبر وحشة »

(٣) وفي رواية فتح الطيب : « فلا تؤثر الوجه الذي معه الوزر »

(٤) وفي رواية فتح الطيب : « أن يذهب الأجر »

(٥) وفي رواية فتح الطيب : « يأس بموت توابه » (٦) طريق .

(٧) الابضاع : السير السريع . قال أبو العلاء :

« لا وضع لرحل إلا بعد إصباح فكيف شاعرت إسماعيل ولرامى . »

(٨) السفر : السامرون .

فَيَاهَدَى الْمَنَاجِحَ جُحُورَتَ ، فَلَمَّا  
 إِذَا الْمَوْتُ أَضْحَى قَصَرَ <sup>(١)</sup> كُلُّ مُعَمَّرٍ  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الَّذِينَ ضَلُّوا دِمَارُهُ  
 بِحَيْثُ اسْتَقَالَ الْمَلِكُ ثَانِي عِطْفِهِ  
 هُوَ الضَّيِّمُ لَوْ غَيْرُ الْقَضَلِ يَرُومُهُ  
 إِذَا عَنَتَ جُرْدُ الْمَنَاجِيحِ <sup>(٢)</sup> فِي الْقَنَا

هُوَ الْقَعْبَرُ يَهْدِيكَ الصِّرَاطَ أَوِ الْبَحْرَ <sup>(٣)</sup>  
 فَإِنْ سَوَاهُ طَلَّ أَوْ قَصَرَ الْعُمُرُ  
 فَلَمْ يُغْنِ أَنْصَارُهُ عَدِيدُهُمْ دَثْرُ <sup>(٤)</sup>  
 وَجَرَدَ مِنْ أَذْيَالِهِ الْعَسْكَرُ الْمَجْرُ  
 ثَنَاهُ الْمَرَامُ الصَّبْبُ وَالْمَسْلَكُ الْوَعْرُ  
 بِذِلِّ حِجَابٍ لَيْسَ يَصْنَعُهُ قَجْرُ

\* \*

أَنْفَسَ نَفْسٍ فِي لَوْرَى - أَقْصَدَ الرَّدَى  
 أَعْبَادُ يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ ، لَقَدْ عَدَا  
 فَهَلَا عَدَاهُ أَنْ عَلَيْكَ حَلِيَّةُ .  
 وَخَطَرَ عَلَيَّ - لِإِهْدَى - أَفْقَدَ الذَّهْرُ  
 عَلَيْكَ زَمَانٌ مِنْ سَجِيَّتِهِ الْغَدْرُ  
 وَذَكَرَكَ - فِي أُرْدَانٍ أَيَّامِهِ - عِطْرُ

\* \*

غُشِبَتْ فَلَمْ تَقْشَ الطَّرَادَ سَوَاجِحُ ، وَلَا جُرْدَتَ يَبْضُ ، وَلَا أَشْرَعَتَ مُنْمَرُ <sup>(٥)</sup>

(١) الجرح لفتح والضم : المكروه والأمر العظيم ، وقد روى للبرد صاحب الكامل أن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه حين حضرته الوفاة قال في آخر كلمة له : ياهدى الطريق حرت ، إنما هو والله البحر أو البحر وقوله « إنما هو والله البحر أو البحر » يقول : « إن استطرت حتى يضئ لك البحر الطريق أضرت نفسك وإن حبط الغلاء وركبت المشواء هجما بك على المكروه » وضرب ذلك مثلا لعمرات الدنيا وتغييرها أهلها (الكامل : ج ١ ص ٥٠ و ٦٠ و ٧٠)

وجاء في المتن قوله : وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه : إنما هو البحر أو البحر قال : البحر - بالفتح والضم - الهامة والأمر العظيم . أي أن استطرت حتى يضئ القبحر أضرت الطريق ، وإن حبطت الغلاء أنمنت بك إلى المكروه . قال : ويروي البحر بالماء يريد عمرات الدنيا شبهها بالبحر لتغير أهلها فيها .

(٢) قصر : قصارى أو غاية . (٣) دثر : كثير .

(٤) المناجيج : حياض الحبل والأبل . (٥) يبض وسمر : سيوف ورماح .

وَلَا تَنْتِ الْمَحْذُورَ عَنْكَ جَلَالَةً وَلَا غُرُورٌ ثَبَتٌ وَلَا نَائِلٌ غَمْرٌ <sup>(١)</sup>  
لَنْ كَانَ بَطْنُ الْأَرْضِ هَيَّ أَنْسَهُ <sup>ب</sup> بِأَنَّكَ نَاوِيَهُ لَقَدْ أَوْحَى الظُّهْرُ  
لَعَمْرُ الْأُرُودِ الْبَيْضِ فِي ذَلِكَ التَّرَى لَقَدْ أُذِرَجَتْ أَنْشَاءُهَا النِّعْمُ الْخُفْرُ  
عَلَيْكَ - مِنْ أَلْفٍ - السَّلَامُ نَحِيَّةً يُسَمِّكَ الْغُفْرَانُ رِيحَانُهَا النَّفْرُ  
وَقَاهِدَ ذَلِكَ اللَّحْدَ عَهْدُ سَحَابٍ إِذَا اسْتَعْبَرَتْ فِي تَرْبِهِ - أَبْقَسَمَ الزَّهْرُ <sup>(٢)</sup>  
فَقِيهِ عِلَالَةً لَا يُسَامَى يَفَاعُهُ <sup>(٣)</sup> وَقَدَرُ شَبَابٍ لَيْسَ يَعْدِلُهُ قَدَرُ  
وَأَيْضَ فِي طَى الصَّفِيحِ كَأَنَّهُ <sup>ب</sup> صَبِيحَةُ مَأْثُورٍ طَلَقْنَهُ الْأَثَرُ <sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّ لَمْ تَبْرُحْ مَحْرُ الْمَنَايَا تَطْلُبَا إِلَى مُهَجِ الْأَقْيَالِ <sup>(٥)</sup> رَأَاتُهُ الْحُمُرُ  
وَلَمْ يَحْمِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ حِمَى الْهَدَى فَلَمْ يَرْضَهُ إِلَّا أَنْ أُرْتَجَعَ الْغُرُ  
وَلَمْ يَنْتَجِمَهُ الْمُتَفَوُّنُ <sup>(٦)</sup> ، فَأَقْبَلَتْ عَصَايَا كَمَا وَالَى شَأْيَبَهُ <sup>(٧)</sup> الْقَطْرُ

(١) النائل الممر : المطاء الجليل الكثير .

(٢) يدعو الله أن يطرح حذو سحاب تدف ماءها على الأرض فتروى أرحاها تنضرها .

(٣) البعاج : للرفع من الأرض .

(٤) الأثر : مرد السيف ، وروقه ، وهو واحد ليس بجمع ، قال الشاعر :

« حَالَاهَا الصَّيْلُونَ فَأَحْلَصُوهَا حَالًا ، كَلَهَا يَتَى بَأَثَر . »

أى كلما استندك بمرندة . وحقى محط من يقى .

وقال إمرأية :

« فَاذَا رَمَعْتَ فَأَمْتُ مَنِيْبَهُ وَإِذَا انْتَهَبَ مَزْمُوكَ الْأَثَر . »

وقالوا : سبب مأثور ، أى فى مته أثر . وأخذ من الأثر كأن وشبه أثر فيه ، أو مته حديد أنهت  
وشفرته حديد ذكر ، ومد رموا أه السيف الذى يسهل الجن .

(٥) الأيال - جمع قيل - وهو الشجاع .

(٦) ينتجحه للضنن : يهلك ممرقه طالبو الاحسان والدى .

(٧) شأيب : جمع شؤبوب ، وهو الغصنة من اللطخ .

وَلَمْ تَكْتَفِ آرَامَهُ الْمَلِيَّةُ كَأَنَّمَجَى الْغَيْبِ فِي رَأْيِهَا - جَهْرٌ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ يَنْشَدْ لِلْأُمُورِ<sup>(٢)</sup> مُجَلِّيَا إِلَيْهَا كَمَا جَلَّى مِنَ الرِّقَبِ الصَّقْرُ

\* \*

كِلَا لَقَبَى سُلْطَانِهِ صَحَّ قَالُهُ فَبَا كَرَهُ عَفْضُهُ وَرَأَوْحَهُ نَصْرٌ<sup>(٣)</sup>  
إِلَى أَنْ دَعَاهُ يَوْمُهُ قَلْبَابُهُ وَقَدْ قَدَّمَ الْمَعْرُوفَ وَأَسْتَمَجَدَ الدُّخْرُ  
فَأَمْسَى ثَبِيرٌ قَدْ تَمَدَّى لِحْمُهُ مَرِيرٌ قَلَمٌ يَبْهِنُهُ<sup>(٤)</sup> مِنْ هَضْبِهِ إِصْرُ

\* \*

أَلَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْوَصُولُ عِيْدُهُ لَقَدْ رَابَتْ أَنْ يَتَلَوَّ الصَّلَاةَ الْهَجْرُ  
تُعَادِيكَ - دَاعِيْنَا السَّلَامَ - كَعَهْدِنَا قَمَا يُسْمَعُ الدَّاعِي وَلَا يُرْفَعُ السُّرُ  
أَعْتَبَ عَلَيْنَا ذَادَ عَنْ ذَلِكَ الرِّضَى فَنُتَبَّ أَمْ بِالسَّمْعِ الْمُتَلَّى وَقَرٌ<sup>(٥)</sup>  
أَمَا إِنَّهُ شُغْلُ فَرَاغِكَ بَعْدَهُ سَيَنْصَاتُ إِلَّا أَنْ مَوْعِدُهُ الْحَشْرُ<sup>(٦)</sup>  
أَأَنْسَاكَ - لَمَّا بِنَا عَهْدٌ - وَلَوْ تَأَى سَحِيسَ اللَّيَالِي لَمْ يَرَمْ نَفْسِي الدَّكْرُ<sup>(٧)</sup>  
وَكَيْفَ بِنِسْيَانٍ وَقَدْ مَلَأَتْ يَدِي جِسَامَ أَيْيَادٍ مِنْكَ أُنْسَرُهَا الْوَقْرُ

(١) كان لم تكنف فطنته وألمبه مستور الغيب الذي يقبض لها رغم حفاة ولها حليا .

(٢) تشد الأمور : تلتط إليها وتسرع ، وتشنو الرجل تيباً للقتال والحق .

(٣) يشتر إلى طلبه بالمعنى والنصور . (٤) يبهه : يبهظه ، أى يتل عليه حله .

(٥) في رواية فتح الطب :

« أَعْتَبَ عَلَيْنَا ذَاوَمَنَ ذَلِكَ الرِّضَى فَسَمِعَ أَمْ الْحِ . . . »

(٦) يقول : إنك في شغل لن يتخلى إلا إذا جاء يوم المعمر .

(٧) رام برم : فاروق يفرق ، يقول : كيف أنساك ولم يطل صدى بك ولو طال أهد الدهر لم أسك

ولم تهارق نفسي ذكراك .



لَنْ كُنْتُ لَمْ أَشْكُرْ لَكَ الْمِنَّةَ أَنْتِ      تَعْلِيَّتُهَا تَتَرَى لَاؤَبَقِي <sup>(١)</sup> الْكُفْرُ  
فَهَلْ عَلِمَ الشَّلُو الْمُقَدَّسُ أَنْتِ      مُسَوِّغُ خَالٍ صَلَّ فِي كُنْهَهَا الْبِسْكُ <sup>(٢)</sup>  
وَأَنْ مَتَابِي لَمْ يُفِيضْهُ «مُحَمَّدُ»      خَلِيفَتُكَ الْمَدَلُ لِرَضَى وَأَبْنُكَ الْبَرُّ  
هُوَ الظَّافِرُ الْأَعْلَى الْمُؤَيَّدُ بِالَّذِي      لَهُ فِي الذِّي وَلَاءَهُ مِنْ صُنْعِهِ سِرُّ  
رَأَى فِي اخْتِصَامِي مَا زَأَيْتَ وَزَادَنِي      مَرِيَّةَ زَأَنِي <sup>(٣)</sup> مِنْ تَتَائُجِهَا الْفَخْرُ  
وَأَرْغَمَ فِي رِي أَنْوَفَ عِصَابَةٍ      لِقَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَحْظُهُمْ شَزْرُ  
إِذَا مَا أَسْتَوَى فِي الثُّسْتِ عَاقِدَ حَبْوَةٍ      وَقَامَ صِمَاطًا حَفْلِهِ فَلَيْ الصَّمْدُ <sup>(٤)</sup>

(١) لأهلكي (٢) القلو : المصو حمة أتلده . قول : هل علم الأسد لب الطاهر  
أبي أحول أن أُنسج ما لا سبيل إلى استنافسه أي أنه يحاول أن يرغم نفسه على الرضى بما حدث  
ولا يحد إلى ذلك سبيل . (٣) مري .

(٤) استوى : جلس ، ولست : مغرب دشت ومنها بالمعاصرة اليد - كما وُجد من شماء العليل  
وترك هذه اللادة في السان ، وفي التاموس : « القس لفتت ومن الثياب والورى وصدر البيت  
ممرات . واستعملها للوليد لكان منها يجلس كما في اليد التي نحن بمدده ، قال أبو العلاء المعري :  
« من آلة البيت ماعد الوزير سوى تحريك الحنجر في حال إيماء

هو الوزير ولا أدر يشد » مثل العروض له بحر بلاماء .

وورد في القامة الحادية عشرة من مقامات الحريري عد قوله :

« تبصر ودع اليوم وقل لي هل ترى اليوم

فنى لا يجدر انهم إذا مادته ثم . »

وهو ما يعنى الحيلة والجداع ، والتي تب حيلة ، ويحال لأن تم عليه المست في القمار أي لم يعز وورد  
في آخر القامة الثامنة عشرة عد قوله :

« فادرونا بعد أن وخذت منه ، ورايتنا أنه ، كدس عاب صدره ، أو ليل أطل بدره . »

وهو هنا يعنى انجلس وورد في أوله لقامة الثالثة والمصريين عند قوله :

« تركب في إثر النصارى ، حق وايتنا باب الاماره ، وهناك صاحب اللومة . قريبا في دسسته ،  
ومروها بسسته . »

وَفِي نَفْسِهِ الْعَلِيَاءُ لِي مُتَبَوِّأٌ يُنَافِسُنِي فِيهِ السَّمَاءُ كَانِ وَالنَّسْرُ  
يُطِيلُ الْعِدَا فِي التَّنَاجِي خُفْيَةً يَقُولُونَ: «لَا تَسْتَفْتِ، قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ»  
مَضَى نَفْسُهُمْ - فِي عَقْدَةِ السَّعْيِ - صَلَّةً فَمَاذَ عَلَيْهِمْ غُمَّ ذَلِكَ السَّحَرُ  
يَسِبُّ مَكَانِي عَنْ تَوْقِي مَكَانِهِمْ كَمَا شَبَّ قَبْلَ الْيَوْمِ - عَنْ طَوَافِهِ ضُرُوءُ<sup>(١)</sup>

وهو ما يعني المجلس أيضا وورد في آخر هذه القامة عند قوله :

« فلما حضرت الوالي وقد خلا جلوسه ، وانجلي تمبسه ، أخذ يصف أبازيد وفنله ، وبزم الدهر له ، ثم قال : نشدتك الله - ألسنت الذي أحاره المست ؟ قلت : لا والذي أحلك في هذا المست ، ما أنا بصاحب هذا المست ، بل أنت الذي تم عليه المست . » فالجست الأول هو الثوب ، والثاني المجلس ، والثالث هو الثوب أيضا ، والرابع الحيلة .

والحيرة : بضم وكسر أوله ونحجم على جباهي أن يجمع المجالس ظهره وساقيه بثوب أو يديه ، ويقال حل ملان حوته ، وهذا الأمر مما تحمل له الحيا ، والحيرة - بالفتح - الصدر ، والباط : الصف من الناس ، يقال قام اليوم حوله سباطين أي صنيين ، ومعنى بين السباطين أي بين الصنيين ، يقول إنه يسبح لي الجلوس في الصدر إذا استوى في مجلسه ومثل حوله صفان من حله .

(١) أصل اللث : « شب عمرو عن الطوق » وفي رواية أساس البلاغة : « جل عمرو عن

الطوق » ، وفي رواية مجمع الأمثال للبدياني « كبر عمرو عن الطوق » ومعنى البيت :

« لقد جل مكاني عن أن أحاذرهم ، كما حل عمرو عن الطوق . »

قال ابن قتيبة في كتاب المعارف : وعمرو هذا هو عمرو بن هند بن نصر ، ابن أخت جذيمة الأبرش ، وهو الذي كان يقول - إذا حني الكساء بين يدي خاله وهو صبي - :

« هذا جنائي ، وخياره فيه إذ كل جان يته لك فيه . »

وقد زعموا أن الجن استهوته حيناً ، ثم طهر فوجده مأك وعقيل ، قالوا : « فأنسب لها . فأبيا به جذيمة فصر به سرورا شديدا وحكماها صالاة منادته . »

وقد ضربت الأمثال ندماني جذيمة ، فقال متم التوريري حين رأى أحاه :

« وكنا كنسماني جذيمة حقة من السم حتى قيل لن تصدقا

وعشنا بخير - في الحياة - وقبلنا أصاب لنا ما رمط كسرى وتبا

فلما تمرقتا صكائي ومالكا - لطول افتراق - لم نبت ليلتهما . »

وقال أبو خراش الهذلي :

« ألم تعلمي أن قد تفرق قتلنا - خيلا صفاء مأك وعقيل . »

وقد أشار أبو العلاء الممرى إلى ندماني جذيمة إشارة ناعسة في رسالة الغفران ( ج ١ ص ١٣٢ ) فليرجع إليها من شاء ، قالوا : وأصل هذا اللث أن أم عمرو نظفته وألبسته ثياب الملوك وطوقته بطوق في عنقه وأمرته

بزيارة خاله ، قالوا : فلما رأى خاله لحينه والطوق في عنقه ، قال : « شب عمرو عن الطوق » فدعيت مثلا .

قالوا : « وكانت الزباء قتلت خاله فأدرك عمرو وقصير ثأره فقتلها . »





لَكَ الْخَيْرُ، إِنَّ الرِّزْقَ كَانَ غِيَابَةً      طَلَعْتَ لَنَا فِيهَا كَمَا طَلَعَ الْبَدْرُ  
فَقَرَّتْ عِيُونُ كَانَ أَسْخَنَهَا الْبُكَاءُ      وَقَرَّتْ قُلُوبُ كَانَ زَلَزَلَهَا الذُّعْرُ  
وَلَوْلَاكَ أَعْيَا رَأَيْنَا ذَلِكَ النَّأْيَ <sup>(١)</sup>      وَعَزَّ فَلَمَّا يَنْتَعِشُ ذَلِكَ الْعَمْرُ  
وَلَمَّا قَدَمْتَ الْجَيْشَ بِالْأَمْسِ أَشْرَقَتْ      إِلَيْكَ - مِنَ الْأَمَالِ - آفَاقُهَا الْعَمْرُ <sup>(٢)</sup>  
فَقَضَيْتَ مِنْ فَرَضِ الصَّلَاةِ لُبَانَةً      مُشِيَمَهَا نُسْكَتُ وَفَارِطُهَا طُهُرُ <sup>(٣)</sup>  
وَمِنْ قَبْلُ مَا قَدَمْتَ مَتْنِي نَوَافِلِ      يَلَاقِي بِهَا مَنْ صَامَ مِنْ عِيدِهِ فِطْرُ  
وَرُحْتَ إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي غَضَّ طَرْفَهُ      بُعِيدَ النَّسَائِمِ أَنْ غَدَا غَيْرُهُ الْقَصْرُ <sup>(٤)</sup>  
فَدَانَا مَعًا فِي خَيْرِ دَهْرٍ ، صُرُوفُهُ      حَرَامٌ عَلَيْهَا أَنْ يَطُورُهَا هَجْرُ <sup>(٥)</sup>  
وَأَجَلُ - عَنِ النَّأْيِ - الْعَزَاءُ فَإِنْ تَوَسَّى      فَإِنَّكَ لَا الْوَانِي ، وَلَا الضَّرْعُ الْغُمْرُ <sup>(٦)</sup>

(١) النَّأْيُ : البُعد ورأيه إصلاحه ، قال الشاعر :

« يَرَأِ الصَّدْعُ وَالنَّأْيُ رَصِينًا مِنْ سَجَايَا آرَائِهِ وَبِيرٍ »

(٢) قدمت : يقال قدم فلان فلانا يقدمه من باب نصر إذا تقدمه ، قال تعالى : « يَتَذَكَّرُ فِي يَوْمِ الْبَيِّنَاتِ فَأُورِدَهُمُ الْبَارَ » والمعنى : ولما تقدمت الجيوش صبيحة يوم البطر أشرف إليك شمس الأمال من آفاقها الغمر يريد أن الأمال ابتسمت له معرفة ، وقد اغبرت الآفاق حزنا على فقد والده .

(٣) اللبنة : الحاجة يقال قضى فلان لبنته أى حاجته ، والفارط : المتقدم أى قصيت حاجة و تسلك من صلاة الفرض التي شيمها وتلاها لك العيد وسبقها وتقدمها الطهر المسنون والطيب ، وفي رواية فتح الطيب : « فشيما نك وفارطها طهر »

(٤) أى بعد أن عدت من مصلى العيد رحت إلى القصر الذي غض طرفه جاء - بعد أن سما يصره إليك - لأنك تبدلت به نصرا غيره . (٥) لا بطورها : لا غيرها والمسير طائد على القصرين .

(٦) الواني : الضيف ، والضرع : الخاضع الدليل ، والغمر : الذي لم يحرب الأمور ، يقول : تدبر بالصبر وأجل عزاء من اراحل التأوي في قبره ، فانك لت - إذ ألم بك خطب - بالضيف ولا الفرائجاهل الذي لم يحرب الأمور ولم يستبر بصروف الدهر ، وفي الأصل « فانك لا الفاني » وقد أثبتنا هنا رواية فتح الطيب ، قال الشاعر :

أثمة وحلما وانتظارا بهم غدا فها أنا بلواني ولا الضرع النمر

وَمَا أُعْطِيَ السَّبْعُونَ قَبْلُ - أُولَى الْحِجَا مِنْ الْإِزْبِ مَا أُعْطِيَكَ عِشْرُونَكَ وَالْمَشْرُ<sup>(١)</sup>

✱ ✱

أَلَسْتَ الَّذِي إِنْ ضَاقَ ذَرْعُ بِحَادِثٍ تَبَلَّجَ مِنْهُ الْوَجْهَ وَالْتَسَعَ الصَّدْرُ<sup>(٢)</sup>  
فَلَا تَهْضِ الدُّنْيَا جَنَاحَكَ بَعْدَهُ فَنَكَ - لِمَنْ هَاضَتْ نَوَائِبُهَا - جَبْرُ  
وَلَا زِلَتْ مَوْفُورَ الْعَمِيدِ بِقُرَّةٍ لِعَيْنَيْكَ مَشْدُودًا بِهِمْ ذَلِكَ الْأَزْرُ  
فَإِنَّكَ شَمْسٌ - فِي سَمَاءِ رِيَاسَةٍ - تَطْلُعُ مِنْهُمْ حَوْلَهَا أَنْجُمُ زُهْرُ

✱ ✱

شَكَّكْنَا فَلَمْ تُثَبِّتْ<sup>(٣)</sup> الْأَيَّامَ دَهْرِنَا بِهَا وَسَنَ أَمْ هَزَّ أُعْطَافَهَا سُكْرُ؟  
وَمَا إِنْ تَمَشَّتْ مُعَاوَلَةُ الْكَرَى وَمَا إِنْ تَمَشَّتْ - فِي مَفَاصِلِهَا<sup>(٤)</sup> - سَحَرُ  
مِوَى نَشَوَاتٍ - مِنْ مَجَابِيَا مُمْلَكٍ - يَصْدَقُ فِي عَلَيَّانِهَا الْخَبَرُ الْخَبَرُ

✱ ✱

أَرَى الدَّهْرَ - إِنْ يَبْطِشُ - فَأَنْتَ يَمِينُهُ وَإِنْ تَضْحَكِ الدُّنْيَا فَأَنْتَ لَهَا تَفَرُّ  
وَكَمْ سَائِلٍ - بِالنَّيْبِ عَنْكَ - أَجَبْتُهُ هُنَاكَ الْأَيَادِي الشَّفْعُ وَالسُّودُ الْوَرْدُ<sup>(٥)</sup>  
هُنَاكَ التَّقَى وَالْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنُّهَى وَبَذَلُ اللَّهِ وَالْبَأْسُ وَالنَّظْمُ وَالنُّثْرُ

(١) أولي الحجبا : أرباب العقول ، والارزب : العقل والبدعاء والبصر بالأمر ، يقال أرب ككرم أروابة هو أربب أى طائل وجاء فى نفع الطيب « اللب » بدل « الارزب » ، وعشرونك : بالاضافة ، وعشرون إذا أضيف سقطت منه الون لأنه ملحق بجمع للذكر السالم ، يقال : « هذه عشرونك وعشري » بتشديد الياء كلسى ، أى أن ثلاثين حجة أمادتك من الحجبا والفعل ما لم تعطه غيرك السبعون .

(٢) ألسنت الذى إن ضاق ذرعا بمحدث تهمل له وجهك بشرا ، واتسع له صدرك احتمالا وصبرا ، تعة منك بأهلك ستكشف النازلة ، وتدفع الكارثة .

(٣) وفى نفع الطيب : « ظلم نورك » (٤) وفى نفع الطيب : « مماطفتها » .

(٥) أى : هناك الايدى أى النعم المزدوجة للتكررة والجد الغد .

مُهامٌ - إِذَا لَاقَى الْمُتَاجِرَ رَدَّهُ - وَإِقْبَالُهُ خَطْوُهُ ، وَإِذَا بَارَهُ حُضْرُهُ <sup>(١)</sup>  
 عَاسِنٌ ، مَا لِلرَّوْضِ - خَازِنُهُ النَّدَى - رُؤَاةٌ إِذَا نُصِتَتْ حُلَاهَا وَلَا نَشْرُ <sup>(٢)</sup>  
 مَتَى أَنْتَشِيتَ لَمْ تُطَرْ دَارَيْنِ مِسْكَمَا حَيَاءٌ ، وَلَمْ يَفْخَرْ بِعَنْبَرِهِ الشَّخَرُ <sup>(٣)</sup>  
 عَطَاءٌ وَلَا مَنٌ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوًى وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرٌ  
 قَدْ أُسْتَوَفَتِ النِّعْمَاءُ فِيكَ تَمَامَهَا عَلَيْنَا ، فِنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

### إلى ابن ذكوان

« كت إلى الوزير أبي العباس بن حاتم بن ذكوان »

لَسْتُ مِنْ بَابَةِ الْمُلُوكِ <sup>(١)</sup> أَبَا الْعَبَّاسِ ، دَعَهُمْ فَشَأْنُهُمْ غَيْرُ شَأْنِكَ  
 مَا جَزَاهُ الْوَزِيرُ مِنْكَ - إِذَا اخْتَصَّكَ - أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي إِذْمَانِكَ  
 أَتْرَاهُ لَا يَسْتَرِيبُ لِإِمْسَا كَيْكَ سَرْدُ الْعِرَاقِ تَحْتَ لِسَانِكَ <sup>(٢)</sup>  
 مَذْنَهَانَا - عَنِ الْمُدَامِ - أَتَنْهِنَا مَعَ أَنَا نَعُدُّ مِنْ صِبْيَانِكَ .

(١) المتاجر : من المتاجرة وهي المبارزة في القتال والمقاتلة ، قال هيب :

كألفهموا في المهنة هذه القرن الناحر

والخضر : إحضار الفرس وعدوه ، يقول هو ملك همام إذا لاقى عدوه للمتاجر في الحرب والقتال رده منهزما في حال كون إقباله بطيئا وإدباره سهيا .

(٢) نصت : وضعت على الصفة بكسر الليم وفي سرير المروس الذي تنص وتجلى عليه لبة الزفاف ، والنشر : الرامحة الطيبة ، وفي الأصل « ولا يفر » والى أثباته هنا رواية نفع الطيب .

(٣) لم تطر : لم تدمح ، ودارين : ثمر على الخليج الفارسي يجلب إليه الطيب من بلاد الهند ، والقي في مع الطيب « لم يدر » والنشر : ساحل البحر - بين « عمان » و « عدن » - أو هو صنع على ساحل الخليج الفارسي وإلى هذا الصنيع ينسب الأمير الشجري ، وهناك عدة مدن بهذا الاسم كما يؤخذ من « مع البلدان » والمعنى : متى فاح عبر تلك العباس لم تنن دارين على مسكها ولم يخضر الشعر بنبذه .

(٤) من بابة الملوك : من الشروط والوجوه التي تصلح لهم ، ويقال : « هذا شيء من بابك » أي يصلح لك . يقول : « لست من بيتهم » .

(٥) العراق : بالكسر الجبل المحروز على قم السقاء والزق ونحوهما تشبه بجزره الأسنان في السرد ، والاستواء : وجاء في الأصل « سعد العراق » يقول : أترى الوزير لا يقع في الرية لوضعه مسرودة العراق تحت لسانك ، يريد أنه يحقن الحمر من قم رزق مرق أي على فقه عراق .

## إلى المعتمد

« كتب ابن زيدون إلى المعتمد يشوقه إلى تعاطي

الحيا في قصوره البديعة التي منها المبارك والثرى (١). »

فُزْ بِالنَّجَاحِ وَأُخْرِزِ الْإِفْبَالَ      وَخُزِ الْمُنَى وَتَنْجِزِ الْآمَالَ  
وَلِيَهْنِكَ التَّائِيدُ وَالظَّفَرُ الَّذَا      صَدَقَكَ فِي السَّيِّئَةِ الْعَلِيَّةِ - فَالَا  
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي لَوْلَاهُ كَمْ      تَجِدِ الْقَوْلُ النَّاشِدَاتُ كَمَا لَا

\* \*

أَمَّا « الثَّرَيَا » (٢) فَالْثَّرَيَا نَصَبَةً      وَإِفَادَةً وَإِنَافَةً وَجَمَالَا  
قَدْ شَاقَهَا الْإِغْبَابُ حَتَّى أَتَمَّهَا      لَوْ تَسْتَطِيعُ سَرَتْ إِلَيْكَ خِيَالَا  
رَفَقَهُ (٣) وَرُودُكَهَا لَتَنْفَمَ رَاحَةً      وَأُطْلِنَ مَزَارَكَهَا لَتَنْفَمَ بَالَا

\* \*

وَتَمَثَّلِ الْقَصْرَ « الْمُبَارَكَ » وَجَنَّةً      قَدْ وَسَّطَتْ فِيهَا « الثَّرَيَا » خَالَا  
وَأِدِرْ هُنَاكَ مِنَ الْمُدَامِ أَتَمَّهَا      أَرْجَا زَكَا وَأَشْفَهَا جَرِيَالَا (٤)  
قَصْرٌ يُقَرُّ الْعَيْنَ مِنْهُ مَصْنَعٌ      بِهِجُ الْجَوَانِبِ، لَوْ مَشَى لَأَخْتَلَا  
لَا زِلْتُ تَقَرِّشُ السَّرُورُ حُدَاثَهَا      فِيهِ، وَتَلْتَحِفُ النَّعِيمَ ظِلَالَا .

(١) وردت هذه القصيدة في الديوان ولم يكتب لها عنوان ، وقد غلنا هذه الكلمة من مع الطيب .

(٢) يعني قصره المسمى « الثريا » .

(٣) أي اجعل ورودك أياها رضا أي كل يوم ، يقال وردت الأبل رفاها إذا كانت ترد الماء كلما

شادت الورد . (٤) الجريال : الحر ، أو حمرتها وسيأتي تفسيرها في ص « ١٥٥ »

## مدح ورثاء وتهنئة (١)

« وقال أيضا يمدحه ويرثى الوزير الكاتب الأعلى

أبا الحزم أباه رجهما الله . »

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ صَمَمَا الْقَبْرُ      وَأَنْ قَدْ كَفَانَا فَقَدْنَا الْقَمَرَ - الْبَدْرُ  
وَأَنْ الْحَيَا (٢) - إِنْ كَانَ أَقْلَعَ صَوْبُهُ -      فَقَدْ فَاضَ لِلْأَمَالِ فِي إِثْرِهِ الْبَحْرُ  
إِسَاءَةُ ذَهْرٍ أَحْسَنَ الْفِعْلَ بَعْدَهَا ،      وَذَنْبُ زَمَانٍ جَاءَ يَتَّبِعُهُ الْعُدْرُ  
فَلَا يَتَهَنَّ الْكَاشِحُونَ فَمَا دَجَا      لَنَا اللَّيْلُ إِلَّا رَيْثَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ  
وَإِنْ يَكْ وَلِيَّ « جَهْوَر » ، « فَحَمْدُ »      خَلِيفَتُهُ الْعَدْلُ الرِّضَى وَأَبْنَتُهُ الْبَرُّ

\* \*

لَعَمْرِي لَنِعَمَ الْعَلِيقُ (٣) أَتْلَفَهُ الرَّدَى      فَبَانَ ، وَنِعَمَ الْعَلِيقُ أَخْلَفَهُ الدَّهْرُ  
هَزَزْنَا بِهِ الصَّنَمَ (٤) فَالْعَزْمُ حَذَهُ      وَحَلِيقَتُهُ الْعَلِيَا وَإِفْرِنْدُهُ الْبِشْرُ  
فَتَى يَجْمَعُ الْمَجْدَ الْمَفْرَقَ هَمَّةً      وَيُنْظِمُ - فِي أَخْلَاقِهِ - السُّودُودُ النَّثْرُ  
أَهَابَتْ إِلَيْهِ بِالْقُلُوبِ مَحَبَّةً      هِيَ السَّحَرُ لِلْأَهْوَاءِ ، بَلْ دُونَهَا السَّحَرُ  
سَرَتْ - حَيْثُ لَا تَسْرَى مِنَ الْأَنْفُسِ الْمَنَى -      وَدَبَّتْ دَيْبِيَا لِبَسَ يُحْسِنُهُ الْخَمْرُ  
لَبَسْنَا لَدَيْهِ الْأَمْنَ تَنْدَى ظِلَالُهُ      وَزَهْرَةُ عَيْشٍ مِثْلَ مَا أَيْتَعَ الزَّهْرُ  
وَعَادَتْ لَنَا عَادَاتُ دُنْيَا كَانَتْهَا      بِهَا وَسْنٌ أَوْ هَزٌّ أَعْطَاكَهَا سُكْرُ

\* \*

مَلِيكَ لَهُ مَنَا النَّصِيحَةُ وَالْهُوَى      وَمِنْهُ الْأَيَادِي الْبَيْضُ وَالنَّعْمُ الْخُفْرُ

(١) ارجع إلى ص ١٤٠ و ص ١٧٤ . من هذا الديوان .

(٢) المطر . (٣) التنبس . (٤) الحمام .

نُسِرُ وَفَاءَ - حِينَ نَعْلِنُ طَاعَةً - فَمَا خَانَهُ سِرٌّ وَلَا رَابَهُ جَهْرٌ  
فَقُلْ لِلْحَيَارَى: « قَدْ بَدَأَ عِلْمُ الْهُدَى » وَلِلطَّامِعِ الْمَغْرُورِ: « قَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ <sup>(١)</sup> »

\* \*

« أَبَا الْحَزَمِ » قَدْ ذَابَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى - قُلُوبٌ مُنَاهَا الصَّبْرُ، لَوْ سَاعَدَ الصَّبْرُ  
دَجَّ الدَّهْرِ يَفْحَعُ بِالدَّخَائِرِ أَهْلَهُ - فَمَا لِلنَّفْسِ - مُذْ طَوَاكَ الرَّدَى - قَدْرُ  
يَهْوُنِ الرَّزَايَا بَعْدُ - وَهِيَ جَلِيلَةٌ - وَيُعْزَفُ - مُذْ فَارَقْتَنَا - الْحَادِثُ الثُّكْرُ  
فَقَدْ نَاكَ فَقْدَانُ السَّعَابَةِ لَمْ يَزَلْ - لَهَا أَثَرٌ يُبْنِي بِهِ السَّمْلُ وَالْوَعْرُ  
مَسَاعِيكَ حَلَى لِلْيَالَى مُرْصَعٌ - وَذِكْرُكَ - فِي أَرْذَانِ أَيَّامِكَ - عِطْرُ  
فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنَّ الْمَنِيَّةَ غَايَةٌ - إِلَيْهَا التَّنَاضِي طَالُ أَوْ قَصُرَ الْعُمُرُ

\* \*

عَزَاءَ - فَدَتْكَ النَّفْسُ عَنْهُ - فَإِنْ تَوَى - فَإِنَّكَ لَا الْوَائِي وَلَا الضَّرْعُ الْعُمُرُ  
وَمَا الرِّزْوُ فِي أَنْ يُودَعَ الثَّرْبُ هَالِكٌ - بَلِ الرِّزْوُ كُلُّ الرِّزْوِ أَنْ يَهْلِكَ الْأَجْرُ  
أَمَامَكَ - مِنْ حِفْظِ الْإِلَهِ - طَلِيعَةٌ - وَحَوْلَكَ - مِنْ آلَائِهِ - عَسْكَرُ عَجْرُ  
وَمَا بِكَ مِنْ قَفَرٍ إِلَى نَصْرِ نَاصِرٍ - كَفَتْكَ مِنْ اللَّهِ الْكَلَامَةُ <sup>(٢)</sup> وَالنَّصْرُ

\* \*

لَاكَ الْخَيْرُ، إِنِّي وَابِقٌ بِكَ شَاكِرٌ - لَيْتَنِي أَيْادِيكَ أَلَنِي كُفْرَهَا الْكُفْرُ  
تَحْتَايَ الْعِمْدَا - لَمَّا أَعْتَلَقْتُكَ - جَانِبِي - وَقَالَ الْمُنَاوِي: شَبَّ عَنْ طَوْفِهِ عَمْرُو <sup>(٣)</sup>

(١) قريب من هذا قول ابن هاني الأندلسي :

تعمل بنو العباس : « حل فتحت مصر ؟ » قل لبني العباس : « قد قضى الأمر »

(٢) الرماية والحفظ . (٣) ارجع إلى تفسير هذا الليل في ( ص ١٤٥ ) من هذا الكتاب .

يَلِينُ كَلَامُهُ كَانَ يَخْشَنُ مِنْهُمْ وَيَفْتَرُ نَحْوِي ذَلِكَ النَّظْرُ الشَّرُّ

\* \*

فَصَدَقَ ظَنُّنَا لِي وَفِي ، فَإِنِّي لَأَهْلُ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ مِنْكَ وَلَا فَخْرُ  
وَمَنْ يَكُ - لِلدُّنْيَا وَالْوَفْرِ - سَعْيُهُ فَتَقَرَّبَكَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَكَ الْوَفْرِ (١)

### هدية عنب

« وأهدى إلى الوزير الفقيه صاحب الأحكام أبي بكر  
محمد بن محمد بن إبراهيم جده لأتمه عنباً عذارى  
وكتب معه . »

أَتَاكَ مُحِيَّاً عَنِّي أَعْتَذَاراً عَذَارَى دُونَهُ رَيْقُ الْعَذَارَى (٢)  
تَحَالُ الشَّهْدَ مِنْهُ مَسْتَمِداً وَنَفَحَ الْمِسْكَ مِنْهُ مُسْتَعَاراً  
يَرُوقُ الْعَيْنَ مِنْهُ جِسْمُ مَاهُ غَدَا تَوْبُ الْهَوَاءِ لَهُ شِعَارَا  
وَلَوْ لَا أَنَّنِي قَدْ نِلْتُ مِنْهُ - وَلَمْ أَسْكُرْ - خَلَّتْ بِهِ عُقَارَا  
بَقِيَتْ بِهِ وَلَوْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، لَسَكَانَ مِنْ بَرِّي اقْتِصَارَا  
فَأُنْعِمَ بِالْقَبُولِ قَرُبُ نَعْمَى أَعَدْتُ بِهَا دُجَى لَيْلِي نَهَارَا

(١) يقول : إن من كانت طابته من الدنيا لم تقبل عليه وأن ينال القنى فإنه يطعم بهما جيها حين تدينه منك وتقبل عليه .

(٢) المنارى : منصف من العنب يشبه بأصابع المنارى لطوله ، يقول : أناك يعمل تحيى متندراً إليك « عنب عذارى » حلو دونه في الحلاوة ريق المنارى .

## رثاء ابن ذكوان

« قال برني القاضي أبا بكر بن ذكوان . »

أَفْجَبَ لِحَالِ السَّرْوِ كَيْفَ تُحَالُ      وَلِدَوْلَةِ الْعَلِيَاءِ كَيْفَ تُدَالُ <sup>(١)</sup>  
لَا تَفْسَحَنَّ لِلنَّفْسِ فِي شَأْوِ الْمُنَى      إِنَّ أَغْتِرَارَكَ - بِالْمُنَى - لَضَلَالُ  
مَا أُمْتَعَ الْأَمَالُ لَوْلَا أَنَّهَا      تَعْتَقُ - دُونَ بُلُوغِهَا - الْأَجَالَ <sup>(٢)</sup>  
مَنْ سُرَّ - لَمَّا عَاشَ - قَلَّ مَتَاعُهُ      فَالْمَيْشُ نَوْمٌ وَالْمُرُورُ خِيَالُ <sup>(٣)</sup>

\* \*

فِي كُلِّ يَوْمٍ تُنْتَحَى بِرِزْيَةٍ      لِلْأَرْضِ - مِنْ بُرَحَاتِهَا - زَلْزَالُ <sup>(٤)</sup>  
إِنْ يَنْكَدِرُ - بِالْأَمْسِ - نَجْمٌ مُتَاقِبُ      فَالْيَوْمَ أَفْلَحَ عَارِضٌ هَطَالُ <sup>(٥)</sup>  
إِنَّ النَّبِيَّ « جَهْوَر » وَ « مُحَمَّدٍ »      أَبْكَى الْعَمَامَ ، فَذَمُّعُهُ مُشْتَالُ <sup>(٦)</sup>  
شَكْلَانِ - إِنْ حُمَّ الْحِمَامُ - تَجَادَبَا      لِأَعْرَؤَ أَنْ تَجَادَبَ الْأَشْكَالُ <sup>(٧)</sup>

(١) السرو : العرف والسيادة ، يقول : أجب لهذا المجد كيف حال من عهدته وتحول ، واجب لدولة  
العلياء كيف دالت وتبدلت . (٢) يقول : إن أحسن شيء تنتفع به النفس الآمال ، لولا أن  
الآجال ، تموت دون بلوغ الآمال .

(٣) من سره العيش في هذه الحياة الدنيا طبعه أن متاعها قليل ، وأن الناس فيها ينام لا انتباه لهم  
ولا يقظة إلا بعد الموت إذن سرورها خيال ، وغرورها باطل .

(٤) تنتحى : تقصد ، يقال انتحاه إذا قصد ناحيته ، والبرحاء : الشدة .

(٥) ينكدر : يتقصر ويستهبط ، قال تعالى « وإذا النجوم انكدرت » أي تاترت ، والعارض : السحاب ،  
يقول : إن موت أبي بكر القاضي جاء عقب موت اثنين من آل جهور سيذكركما في البيت التالي  
لهذا البيت .

(٦) النبي : كمنى التامع ، من لم يلب ينهه إذا أخبر بموته ، ومثال : من مثل الجمع وغيره استخرجه .

(٧) حم : قدر ، والحمام : الموت ، يقول : « جهور » و « محمد » شكلان متجانسان حم الموت على  
أحدهما فامتنع إليه شكله ، وكذلك الأشكال تتجادب .



\*\*\*

وَلَيْ «أَبُو بَكْرٍ» فَرَّاحٌ لَهُ الْوَرَى      هَوَلٌ تَقَاصَرُ - دُونُهُ - الْأَهْوَالُ  
قَرُّهُوَى فِي التَّرْبِ - تُحْنِي فَوْقَهُ -      لَيْلِي مَا حَارَ التَّرَى الْمُنْهَالُ <sup>(١)</sup>  
قَدْ قُلْتُ - إِذْ قِيلَ السَّرِيرُ يُقْلَهُ -      هَلْ لِلْسَّرِيرِ بِقَدْرِهِ أَسْتِقْلَالُ؟  
الآنَ بَيْنَ لِمَقُولِ زَوَالِهِ      أَنَّ الْجِبَالَ قُصَارُهُنَّ زَوَالُ  
مَا أَتَجَّحَّ الدُّنْيَا ! خِلَافَ مُودَعٍ      غَنَيْتَ بِهِ فِي حُسْنِهَا تَحْتَالُ <sup>(٢)</sup>

\*\*\*

يَا قَبْرَهُ الْمَطَرِ التَّرَى لَا يَبْعَدُنْ      حُلُوٌّ مِنَ الْفَتَيَانِ فِيكَ حَلَالُ <sup>(٣)</sup>  
مَا أَنْتَ إِلَّا الْجَفْنُ أَصْبَحَ طَيْئُهُ      نَصَلٌ عَلَيْهِ مِنَ الشَّبَابِ صِقَالُ <sup>(٤)</sup>  
هَهُنَاكَ نَفَاحُ الشَّمَائِلِ مِثْلَ مَا      طَرَقَتْ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ شِمَالُ <sup>(٥)</sup>

(١) تحنى : نهال فوقه ، والترى : التراب الندى .

(٢) خلاف مودع : أى بعده ، يقال جاء فلان خلاف فلان أى بعده ، قال تعالى « واذن لا يلبثون خلافاً إلا قليلاً » أى خلفك كما في القراءة الثانية ، والمعنى : ما أتمتع الدنيا بعد هذا الراحل للمودع الذى كانت الدنيا به تحتال كالمرس للستفنة بمحاملها عن الزينة ثم أصبحت بعده قبيحة دامية .

(٣) الحلو الحلال : من الفتيان هو الفتى الذى لاربية فيه الموثوق به ، قال الشاعر :  
« ألا ذهب الحلو الحلال الحلال ومن موله حكم وعدل ونائل » .

وقال الآخر :

« رأيت رباطاً حين تم شباباه وولى شبابى ليس فى بره عتب

إذا سكان أولاد الرحل حرازة فأنت الحلال الحلو والبارد العذب . »

والمعنى : يا قبره الشدى المطر ثراه لا يبعدن بك من الفتيان ذلك الفتى الحلو الحلال أى الذى لاشك ولا ربية فى رجولته وفنوته .

(٤) ما أب أيها القبر إلا نحن طوى فيه فتى كمنصل السيف عقل بصقال الشباب .

(٥) هناك أى فى ذلك القبر وورى فتى شمله وطباعه تتمتع بأنواع المطر : بل ما حب بأنفاس الرياض

ريح الشمال .

دَانٍ مِنَ الْخُلُقِ الْمُزِينِ ، نَارِحُ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْهِ مَقَالٌ <sup>(١)</sup>  
شِيمٌ يُنَافِسُ حُسْنَهَا إِحْسَانَهَا كَالرَّاحِ نَافَسَ طَعْمَهَا الْجِرْيَالُ <sup>(٢)</sup>

\* \*

يَا مَنْ شَأَى الْأَمْثَالِ ، مِنْهُ وَاحِدٌ ضُرِبَتْ بِهِ فِي السُّودِ الْأَمْثَالُ <sup>(٣)</sup>  
نَقَصَتْ حَيَاتُكَ حِينَ فَضْلُكَ كَامِلٌ هَلَّا اسْتُضِيفَ إِلَى الْكَمَالِ - كَمَالٌ <sup>(٤)</sup>  
وَدُعْتُ عَنْ عُمْرٍ عُمَرْتُ قَصِيرَهُ بِمَكَارِمِ أَعْمَارِهِمْ طَوَالُ  
مَنْ لِلنَّدَى إِذَا تَنَازَعَ أَهْلُهُ فَاسْتَجْهَلَتْ خُلَمَاءُهُ الْجُهَالُ <sup>(٥)</sup>  
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهُمْ لَقُلَّ مِرَاؤُهُمْ لِأَعْرَفِيهِ - مَعَ الْفَتَاءِ - جَلَالُ <sup>(٦)</sup>

(١) دان : قريب من كل خلق جيد يزيه ، نارح : بعيد من كل فعل فيه عليه لوموه واحدة وهيب ، ولمظه كلفظ قول الشاعر :

« إِذَا أَنْتَ لَمْ تَمَسَّ الْهَوَى مَادَكَ الْهَوَى إِلَى سَمِّ مَا فِيهِهِ هَلِكُ مَقَالُ . »

(٢) جريال الحمر : حمرتها الشديدة ، قال الأعشى :

« وَسَيْفَةٌ مِمَّا تَعْتَقِي بِالِي كَدَمِ الْفَيْحِ سَلْتَهَا حَرْطُهَا . »

وهي سلتها جريالها - أي لونها وحمرتها - أن لونها ظهر على وجهه حين شربها ولكنها حين خرجت منه عند البول خرج بيضاء ، ويطاق الجريال والحرداة على الحمر نفسها ، قال ذو الرمة :

« كَأَنِّي أَحُو حَرِيَالَةً بِأَبْلِي كَيْتَ تَحْتَتِ فِي الْعِظَامِ شَمُولُهَا . »

وقالوا في السلاف - وهو أول ما يجري من ماء الفم من غير عصر ولونه أصفر - إنه أحود من الجريال . قال المتنبي :

« وَلَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الْكَلَامِ سَلَاةً وَسَقَيْتُ مِنَ نَادِمَتِمْ جَرِيَالَةً . »

ومعنى البيت الذي نحن بمسده : ناس إحصاء شديك وخلاص حسنها كما ناس لون الراح طعمها ، حين جئت إلى لغة الطعم حسن اللون .

(٣) وفي الأصل : « يأس شاه . »

(٤) طاحتك الماية في الوقت الذي كل به فضلك ، فهلا نسيء في ممرك حتى تستضيف كمالا إلى كمالك .

(٥) الندى : المجلس ، واستجھلت نسبهم إلى الجهول ، والخلد : أصحاب الأحلام أي العقول .

(٦) لو كنت حاضر مجلسهم لاحتفتم فلم يماروك ويمجادوك إذعانا لأخر فيه مع فناء السن وفار وهيبة .

\* \*

مَنْ لِلْعُلُومِ؟ فَقَدْ هَوَى الْعِلْمَ الَّذِي وَصِيَّتْ بِهِ أَنْوَاعُهَا الْأَغْفَالُ (١)  
مَنْ لِلْقَضَاءِ يَمِزُّ (٢) - فِي أَثْنَائِهِ -  
مَنْ لِلْيَتِيمِ تَتَابَعَتْ أَرْزَاؤُهُ؟ هَلَكَ الْأَبُ الْحَانِي وَصَنَعَ الْمَالُ!  
أَعَزُّ بِأَنْ يَنْعَاكَ نَعَى شِمَاتِهِ لِلْأُولِيَاءِ الْمَعَشَرُ الْأَقْتَالُ (٣)  
جُمِعَتْ رَحَى الْإِسْلَامِ مِنْكَ بِقُطْبِهَا لَيْتَ الْحُسُودَ فِدَاكَ فَهُوَ نِفَالُ (٤)

\* \*

زُرْنَاكَ لَمْ تَأْذَنْ كَأَنَّكَ غَافِلٌ مَا كَانَ مِنْكَ لِوَجِبِ إِغْفَالُ  
أَيُّ الْحَقَاوِةِ رَوْضُهَا غَضُّ الْجَنَى أَيْنَ الطَّلَاقَةُ بِشْرُهَا سَلْسَالُ  
أَيَّامٍ مَنْ يَعْزِضُ عَلَيْكَ وَدَادَهُ يَكُنِ الْقَبُولُ بِشِيرُهُ الْإِقْبَالُ  
مَهْمَا نُبَيْكَ لَا تُرْبِكَ وَإِنْ تَرُزُ رِفْهَا فَمَا لِزِيَارَةِ إِمْلَالُ (٥)  
هَيَّاتَ لَا عَهْدَ - كَمَهْدِكَ - عَائِدُ إِذْ أَنْتَ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ جَمَالُ

(١) العلوم المتروكة لصموية الخوض فيها لإلهي أمثاله من الباحثين .

(٢) يمل ويمتنع فلا يوجد لاشكها حل .

(٣) أعزز : أعظم على نفسى منعاك منى شمانية أى يمز على ويشقى على نفسى أن ينمناك الأتال أى الأعداء منى شمانية لأوليائك وأصفيائك .

(٤) قطب الرضى : الحديدة القائمة فى وسط الرضى السفلى ، وهو الذى يدور عليه طبق الرضى العليا ، جعل للإسلام رضى هو قطبها الذى تدور عليه ، يعنى أن عليه نظام الإسلام ، ومدار الأحكام ، والانتقال ما يوسع تح الرضى من جلد ونحوه لبقى ما سقط عند الطحن من التراب ، وهذا لا يكون إلا فى رضى اليد ، فال زهير . « فتحرككم حرك الرضى بفعلها » ، والمعنى بلج الإسلام قطب العلم ، ورئيسهم ، ولبت الحسود كان فداء لك حرك الموت حرك الرضى فوق حالها أى لبت رضى الموت دارت على حاسدك وشائك .

(٥) نبك : الاغياب أن تزوره يوما وتنبه أى تنقطع عنه يوما أو أياما ، ورهها : هو من ورود الابل ريفها وهو أن ترد الماء كلما شامت الورد ، والمعنى : مهما اعططنا من زيارتك لم ترتب فى ودنا ، وإن زرتناك ريفها وفى كل وقت لم نسأم ولم نمل الزيارة .

فَازْهَبْ ذَهَابَ الْبُرِّ أَعْقَبَهُ الضَّنَى وَالْأَمْنِ وَاقْتِ بَعْدَهُ الْإِبْهَالُ (١)  
لَكَ صَالِحُ الْأَعْمَالِ إِذْ شِيعَتَهَا بِالْبُرِّ سَاعَةً تُمَرِّضُ الْأَعْمَالُ

حَيَّا الْحَيَّا مَثْوَاكَ، وَأَمْتَدَّتْ عَلَى صَالِحِي تَرَاكٍ مِنَ النِّعَمِ - ظِلَالُ (٢)  
وَإِذَا النَّسِيمُ أَعْتَلَّ فَأَعْتَامَتْ بِهِ سَاعَاتِكَ الْفُدَوَاتُ وَالْأَصَالُ (٣)  
وَلَيْتَ أَذَلِكَ - بَعْدَ طُولِ صِيَانَةٍ - قَدَرٌ، فَكُلُّ مَصُونِهِ سَيَذَلُ (٤)

سَيَحُوطُ مَنْ خَلَفَتْهُ مُسْتَبْصِرٌ فِي حِفْظِ مَا اسْتَحْفَظَتْهُ لَا يَأْلُو  
كَفَلَ الْوَزِيرُ «أَبُو الْوَلِيدِ» بِجَبْرِ مِمَّا إِنْ الْوَزِيرَ - لِئَلْهَا - فَقَالَ  
مَلِكٌ مَسْجِيَّتُهُ الْوَفَاةُ فَالَهُ بِالْعَهْدِ - فِي ذِي خُلَّةٍ - إِخْلَالُ  
حَتَمٌ عَلَيْهِ لَمَّا (٥) لِعَثْرَةٍ حَالِهِمْ قَدْ تَعَثَّرُ الْحَالَاتُ ثُمَّ تُثْقَلُ

إِيَّاهَا: بَنِي ذِكْوَانَ - إِنْ غَلَبَ الْأَمْسَى - فَلَكُمْ إِلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ مَالُ (٦)  
إِنْ كَانَ غَابَ الْبَدْرُ عَنْ سَاهُورِهِ مِنْكُمْ وَفَارَقَ غَابَهُ الرَّبَّالُ (٧)

(١) اذهب على رغم منا ذهاب العافية جاء طغيان المرض ، والأمن وافى صده الأجل .

(٢) الحيا : للطير ، والمثوى ، القبر ، وضاعى تراك : أى تراك الضاعى أى البارز للشمس .

(٣) اعتامت : اختارت ، ومنه قول طرفة :

« أرى الموت يعتام الكرم ويسطى حبيبة مال الفاحش للتشدد . »

والنسي : اعتامت أى اختارت الصدوات والأصال ساحت القبر وآثرتها بمرور النسيم الليل .

(٤) أذاك : أهلك ، أى لئن انتهك القدر بعد طول صيانته ، فكل مصون لم تمتد إليه يد القدر

سيذال ويهان يوما من الأيام .

(٥) دواء العائر أن يقيمه الله من عثرته ، وإذا قيل « لالما للعائر » فعناه لاأفاله الله من عثرته .

قال ابن جرير :

« فان عثرت بهما - إن وألقت نسي من هاتا - فقولا : « لالما »

وإن تكن مدتها موصولة بالخلف ، سلطت الأسمى على الأسمى . »

وقال الأخطل :

« فلا هدى الله قيسا - من خلالتهم - ولا لما لبي ذكوان إذ عثروا . »

(٦) الساهور : دائرة القدر ، والربال : الأسد .

## في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله

أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد . »

أَعَرَفَكَ رَاحَ فِي عُرْفِ الرِّيحِ ؟ فَهَزَّ مِنَ الْهَوَى عِطْفَ أَرْتِيحِي<sup>(١)</sup>  
وَذَكَرَكَ مَا تَمَرُّضَ أَمْ عَذَابُ ؟ غَصِصْتُ عَلَيْهِ بِالْمَذْبِ الْقَرَّاحِ<sup>(٢)</sup>  
وَهَلْ أَنَا مِنْكَ فِي نَشَوَاتِ شَوْقِي - هَفَّتْ بِالْمَقْلِ - أَوْ نَشَوَاتِ رَاحِ<sup>(٣)</sup>  
لَتَمَرُّ هَوَاكِ مَا وَرَيْتَ زِنَادُ لَوْصِلَ مِنْكَ طَالَ لَهَا أَقْدَاحِي<sup>(٤)</sup>  
وَكَمْ أَسْقَمْتُ - مِنْ قَلْبٍ صَحِيحٍ - بِسَقَمِ جُفُونِكَ الْمَرْضَى الصَّحَّاحِ

\* \*

مَتَى أَخِفَ الْفَرَامَ يَصِفُهُ جِسْمِي بِالسِّنَةِ الضَّنَى الْخُرْمِ الْفِصَّاحِ<sup>(٥)</sup>  
فَلَوْ أَنَّ الْيَابَ فُحِصْنَ عَنِّي خَفِيتُ خَفَاءَ خَصْرِكَ فِي الْوِشَاحِ

(١) العرف : بالفتح الرائحة الطيبة ، والعرف : بالضم واحد أعراف الرياح وهي أوائها وأطالها ،  
والعطف : الجانب وماتية به إذا عطفت على شيء حنوا وإشماما ، ونحركه إذا هزتك أريحية ، وللمى :  
أمرتك وطيبك سرى إلى أوائل الرياح التي هبت مائجة من ناحية ، حتى نحوك بمنفعة الهوى والارتياح .  
(٢) غصصت : كسهرت الماء وزنا ومعى ، أو وقف في حلقه فلم يسره ، والقراح : الماء الذي لم يخالطه  
غيره ، يقول : وهل ممرض ذكرك أم عذاب شرقت لأحله بالماء المذب الذي لم تشبه شاة لم أسفه ، وفي  
الأصل « وذكرك ممرض أم عداد »

(٣) نشوات : واحدها نشوة ، والنشوة تكون من الريح ومن السكر وهي من السكر أوائها ومقدماته ،  
وهفت بالقل : ذهبت به ، يقال : هفت الريح بالقى تهفو أي ذهبت به ، وللمى . هل أنا من أجل هواك ،  
وبسبب ذكراك ، في نشوات من ربح للشوق أو نشوات من سكر الراح أطارت عقلى وأذهبت لى .

(٤) أنسى بهواك لأن طول اقتداسى زناد الوصل لم يور نارا .

(٥) في الوقت الذي أخفى فيه غرامى عن العادلين يتم على نحو جسمى بالسنة للرض الخرساء المنصحة .

لَقَيْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ حَتَّى رَضِينَا الرُّشْلَ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ <sup>(١)</sup>  
وَرُبَّ ظَلَامٍ لَيْلٍ جَنَ فَوْقِ فَنُبْتُ عَنِ الصَّبَاحِ إِلَى الصَّبَاحِ <sup>(٢)</sup>  
فَهَلْ عَدَّتِ الْعَقَافَ هُنَاكَ نَفْسِي - فَدَيْتُكَ - أَوْجَنَحْتُ إِلَى الْجَنَاحِ <sup>(٣)</sup>

\* \*

وَكَيْفَ أُلْجُ لَا يَنْبِي عِنَانِي رَشَادُ الْعَزَمِ عَنْ غَيِّ الْجِمَاحِ <sup>(١)</sup>  
وَمِنْ سِرِّ ابْنِ «عَبَادٍ» دَلِيلُ بِهِ بَانَ الْفَسَادُ مِنَ الصَّلَاحِ  
هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي بَرَّتْ فَسَرَّتْ خِلَالُ مِنْهُ طَاهِرَةُ النَّوَاجِي  
مُهَامُ خَطَّ - بِالْمِثَمِ السَّوَايِ - مِنَ الْعَلِيَاءِ فِي الْخِطَطِ الْفِسَاحِ <sup>(٢)</sup>  
أَغْرُ إِذَا تَجَمَّعَ وَجْهُ دَهْرٍ تَبَلَّجَ فِيهِ كَالْقَمَرِ اللَّيَّاحِ <sup>(٣)</sup>

(١) لقد تلمعنا من الراشدين حلهم في الوقوف على مكتوم أسرارنا ، حتى أصبحنا نقنع بأن تكون  
أنفاس الرياح بريداً يحملها رسائل الحب والغرام ، وقد أبدع ابن الرومي حيث يقول :  
« أحببى كم لي غموكم من تحية أهلها هبات كل حبوب  
فلا تتركوا رد السلام إذا حرت شبال على نائي المحل غريب . »  
(٢) كثيراً ما أرخى الليل علينا سدوله ، فنبت في ظلامه عن الصباح إلى أن أشرق الصباح وفرب من  
هنا قول أبي تمام :

« رحن والليل قد أقام رواقاً فأقن الصباح فيه عموداً . »

(٣) لم تعد نفسي في تلك الليلة التي سمعت فيها بالحبيب حدود العفاف ، ولم تمل إلى ارتكاب ما يخالف  
طبيعة الحب البريء مما فيه إثم علينا وحتاج ، وفي هذا المعنى يقول ابن المعتز :  
« كم قد خلوت بها وثالثنا التي يحسى على العطشان برد اللورد . »

(٤) في هذا البيت والفتى بهمه تخلص من الغيب إلى المدح حيث يقول : كيف أُلْجُ في الهوى ، وآتمادي  
في التي ، ولا يثنى صان جامي اهتزازي الرشد ، في حال أن لي من سر « ابن عباد » وقوة معه دليل  
صرفته به الرشد من التي ، والصلاح من الفساد .

(٥) خط : اختط الأرض وهو أن يسلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها لينبها ، والخطط :  
جمع خطه بكسر أولهما ، وهي الأرض التي يختطها لنفسه ليبي عليها .  
(٦) اللياح : بكسر أوله الأبيض للتلال .

سَمِيعُ النَّصْرِ لِاسْتِعْدَاءِ جَارٍ  
صَرَائِبُ جَهَنَّمَ - فِي الْمَتَبِ - تُنْتَلَى  
إِذَا أَرَجَ الشَّاهُ الرُّوْعُ مِنْهَا  
هُوَ الْمَبْقَى مُلُوكِ الْأَرْضِ تَدْنَى  
رَأَاهُ اللَّهُ أَجْوَدَ بِالْعَطَايَا  
وَأَفْرَسَ لِلْعَنَابِرِ وَالْمَذَاكِي  
وَأَمْتَعَهُمْ حَتَّى عَرَضِ مَضُونٍ  
فَرَضَ لَهُ الْوَرَى حَتَّى تَأْدَتِ  
« لِمُعْضِدٍ » بِهِ أَرْضَاهُ سَفِينَا  
فَنَ قَاسَ الْمُلُوكَ إِلَيْهِ جَهْلًا  
أَصَمُّ الْجُودِ عَنْ تَقْنِيدِ لَاحٍ<sup>(١)</sup>  
بِأَخْلَاقِي لَدَى الْمُتَبِّ مِلَاحٍ<sup>(٢)</sup>  
فَكَمَ لِلْمِسْكِ عَنْهُ مِنْ أَفْضَاحٍ  
قُلُوبُهُمْ كَأَفْوَاهِ الْجِرَاحِ  
وَأَطْمَنَ بِالْمَكَايِدِ وَالرَّمَاحِ  
وَأَبْهَى فِي الْبُرُودِ وَفِي السَّلَاحِ<sup>(٣)</sup>  
وَأَوْسَعَهُمْ ذُرًّا مَالٍ مُبَاحٍ  
إِلَيْهِ إِتَاوُهُ الْحَيَّ الْقَاحِ<sup>(٤)</sup>  
فَأَقْبَلَ وَجْهَهُ وَجْهَ الْفَلَاحِ<sup>(٥)</sup>  
كَمَنْ قَاسَ النُّجُومَ إِلَى بَرَّاحٍ<sup>(٦)</sup>

(١) الاستعداد : الاستعانة وطلب المساعدة ، والتنفيد : الاوم وتصنيف الرأي ، ولاح : اسم فاعل من لجاه يلجاه إذا لاهه وعذله .

(٢) صرائب : سجايا وطبائع جمع ضريبة ، وجهمة : حاسبة من جهمة إذا استقبله بوجه كرهه ، والمتبى : الرجوع الى ما يرضى العاتب . وفي المثل « لك المتبى ولا أعود » أى لك منى أن أعنتك أى أرميك ولا أعود إلى ما يسهطك .

(٣) أفرس : أصل تفصيل من المراساة فالفتح والفروسة والفروسية وهى الحنفى بركوب الخيل ، وفى المثل : أفرس من ملاعب الأسنة ، وأفرس من طاهر ، وأفرس من بظام ، والمذاكى : الخيل التى أتى عليها بعد تمام السن أى - بلوغها النباهة والشباب - سنة أو سنتان ، وللعنى أنه أحذق للملوك باعتلاء النابر وركوب الخيل وأباهام لباسا ولبوسا فى السلم والحرب .

(٤) الاتاوة : الحراج وكل ما أخذ يكره أو فرض من أموال الجباية ، والمبى القتاح : فى اللسان قوم قتاح وهى قتاح لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم فى الجاهلية سباء أنشد ابن الأعرابي :

« لمر أيمك والأبناء تنسى لنم الحمى فى الحسلى رباح  
أبوا دين الملوك فهم قتاح إذا هجوا إلى حرب أشاحوا . »

(٥) أقبل وجهه : من قولهم أقبته الشيء أى جعلته على قبائه وجهته وللعنى أن سكان الحواضر والبوادر دانوا بالطاعة « للمعتمد » بالله أرضت مولاه مساعيه فأقبل الله وجهه وجه الفلاح أى جعل وجهه يستقبل جهة الفلاح : (٦) إلى أرض ظاهرة .

## وَمُتَّقِدُ الرِّيَاسَةِ فِي سِوَاهُ كَمُتَّقِدِ النُّبُوَّةِ فِي سَجَّاحٍ (١)

(١) هي «سجّاح» بنت الحرث بن سويد بن عفان القلبية، وكانت تسكن الجزيرة في أخوالها من بني قسطنطين، فادعت النبوة وخرحت تريد غزو المدينة في عهد «أبو بكر» رضي الله عنه، وحرث بينها وبين مسلمي قوماً - من بني تميم - حروباً انتهت بهجرها مما اعتزمته من القبل إلى المدينة لنزوها، فاقبلت إلى المدينة وتهايلت مع مسيلة، ثم رجعت إلى موطنها من بلاد الجزيرة وبقيت في أخوالها - من بني قسطنطين - إلى أن علمهم «معاوية» علم المجاعة: وحادثتهم فأسلموا وأسلمت وحسن إسلامهم.

### حروب الردة وقصة سجّاح ومسيلة

وقد كتب المؤرخ «دوزي» كلمة عن مسيلة - «مسيلة» وعن حروب الردة في كتابه القيم: «تاريخ الإسلام» وقد نهرنا بعض صوره في كتاب «مخبرات كامل كيلاني»، ونحن نخبر عن مسيلة بما يلي: كان الوقت صعباً، وكانت الظروف طيبة في المخرج، فقد كان موت النبي صلى الله عليه وسلم - الذي كانه تقوية العرب منذ زمن طويل غارغ الصبر - مؤذناً بالثورة في كل مكان، وقد كنت ترى الثائرين - في حينها ذهبت - واهين دلم الثورة والتمرد، وقد رجعت كفتهم أيما رجلاً حتى لقد طردوا ولأهم من بلادهم، ولم يجد هؤلاء أملاً لهم ملأ إلا المدينة، فهاطلوا عليها من كل صحن يحضون فيها من أذاهم. وكان لا يمر يوم حتى يد على المدينة مني الولاة والسلا للطرودين، وأصحت انتمال الجزيرة للمدينة حينها لحصارها.

كيف يطردونهم «أبو بكر» وليس لديه حش بجاربه به صد أن أرسل جيشه إلى سوريا لفتحها تفتيحاً لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - برغم حجة المسلمين الذين رأوا حطوره الحال، فقد ألحوا عليه أن يصل من تغيد فكرة المتع حينئذ، فقال لهم: «لن أتناه ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ولو أصحت المدينة شعباً نهياً للثائرين وللتدوين ولأبدى من تحقيق مشيئة».

ومن ثم ترى الخطر العظيم الذي، على أنه - على الحقيقة - خطر أقل مما تدل عليه طوامره، فإن قوة الحزم الحقيقية لا تقاس بما لديه من حدة روحه بل بما عنده من قوة معنوية، وبما يصبو إلى تحقيقه من غاية سامية يتطلع إليها وغرض عمار الحرب من أحلها بأذلا في سبيلها للنفس والخيال.

في هي العاية التي يسي إليها الثائرون؟ وأي حافز يدفعهم إلى إضرام هذه الحرب؟ أهو الإيمان وثيق متوشح في أحقاد طلوبهم كإيمانهم الذي كانوا عليه قبل المنة؟ لو كان ذلك لما كان ثمة شك في انتصارهم الحاسم.

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، فأنهم لا يجارون الآن لينصروا دينهم القديم ويؤيدوه، بل هم يهودون على دينهم الجديد لأنهم لا يطمحون أحداً.

وليس هذا السبب القوي الذي يلهب حماسهم ويحفرهم إلى الأنيان بجلائل الأعمال، ولا هو بالسبب الذي يخلق البطولة والأبطال، فقد كان رؤساء القبائل للثورة أحسن شامرين كل الشعور بصفت قوتهم للثورة، ملأ منهم إلى فكرة سخيصة حسوا أنها تغيد إليهم تلك القوة، فادعوا النبوة وخيل إليهم أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم يفتح إلا بهذه الفكرة فأرادوا تعليمه.

ولكنهم نسوا أمراً واحداً - هو سر نجاحه في بث دعوته - ذلك أنه كان مؤمناً بما يدعي إله إيمان المسلمين الجازم. وهذا هو الذي يهزمهم ويبيده لا يتم نجاح.



## أُبْحَرَ الْجُودُ - فِي يَوْمِ الْمَطْلَا - وَلَيْتَ النَّاسُ فِي يَوْمِ الْكَفَاحِ

وكانت تلك اثرة الهائلة تلك الحرب الشمواء - على ما أريق فيها من دماء غريزة إذا قورنت بما آتاه السلون في غزواتهم التي من بابا الاسلام - ظاهرة سحابة مصحكة ، يمثل فيها الانسان - غير قصد - كيف قلبوا تمثيل هذه الرواية الجديدة - التي مثلها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه - مهزلة وعثا !  
ألا ترى إلى مسيلة لدى مثل دور النبي صلى الله عليه وسلم في اليمامة ؟  
ألا ترى إلى ذلك الدجال السوق النمس ، ذلك المشعوذ السح الذي لا يصلح لغير التدجيل وإدخال بعض في زجاجة ضيقة الفوهة ؟ ألا ترى إليه ينشئ - قرأنا سحيفا يقلد به عمداً - صلى الله عليه وسلم - ثم يرخس لأبناؤه في حرب الجور أنى شاءوا ، ولا يكاد يدشر دعوته حتى يصادفه سوء الحظ فتحاصره « سجاح » وتنازعه السوء ؟

أما « سجاح » هذه فقد كانت مسيحية نشأت في « بلاد التهرين » وجاءت بثبت الصورة لنفسها - على رأس جيش عظيم شادا يصنع مسيلة ؟  
ليس أملمه إلا أن يلبأ إلى طريق المسالة - وقد فعل - فأرسل إليها هدايا فاخرة ودعاهها إلى شادته ، وطال بينهما الحوار .

ولما عادت « سجاح » إلى قومها سألوها عن رأيها في « مسيلة » فقال لهم :

« لقد رأيته نبياً حقا فتزوج منه ! »

سألتها النيبون : - « هل أهدى إلينا شيئاً من مهر الزواج ؟ » فقالت : « لا » فقالوا لها :

« طار علينا أن نزوج ببيتنا بلا مهر ! ولن تقبل ذلك بحال ما ! »

فأرسلت إليه بذلك - وكان « مسيلة » حاكماً متحماً - فلما جاءه الرسول لم يأذن له حتى عرف المرش الذي جاء من أخيه فاضلأ إليه وقال له :

« عد إلى قومك فأخبرهم أن « مسيلة بن حبيب » رسول الله قد رفع عن التمييز - من السلوات المحس - صلاة الصبح والمشاء »

ولقد فرح النيبون بذلك وطلوا يتبعونه حتى بعد أن عادوا إلى الاسلام من حديد .

ومن ثم ترى أن هؤلاء التآثرين ليس لهم عتيدة جدية يدافعون عنها ، فلا فرو إذا قهرهم رحل كأبي بكر وبقى الايمان قوى الارادة صلب العزيمة لا يعرف هوانة في لإطام آتوهم ولا رحمة !  
ولو شاء أبو بكر أن يباد - لم تنازل لهم من قليل من مطالبه فكسب بذلك مساعدة كثير من القبائل - أو من جنادهم على الأقل - فقد وعدوه بالمواظبة على إمارة الصلاة المفروضة عليهم على شريعة أن يفهم من إيتاء الزكاة ، ونصحه أعيان المسلمين أن يقبل ذلك منهم فرفض رأيهم بإباء شديد ، وقال لهم :

« إن الاسلام ماتون واحد لا ينجأ ، وليس لأحد أن يأخذ يمينه ويرفض البعض الآخر . »

وندا كان هذا الاصرار الخازم وذلك الحق الشديد على أهل الردة - سبياً في منحه قوة أكثر مما تصور .

ولم يكده ينقضي من انخضاع القبائل المجاورة له حتى بدأ يراجه « طليحة » الذي كان بطلام قبل وقد جاء يدعى الخبوة كريمة ثم جبن عن دخول المعركة فظل يرقب الحرب - وهو بعيد من الميدان - مدترا في عباءته

## لَقَدْ سَفَرْتَ بِمِلَّتِكَ الْيَاكِلَى لَنَا عَنْ وَجْهِ حَادِثَةٍ وَقَاحٍ<sup>(١)</sup>

كأما يؤمل أن ينزل وحى من السماء أو تحدث مبعرة خارقة ، وقد لبث زمناً طويلاً ثم وقعت الهجرة - إذ بدأت تهرم قبيلته أنشع انزواء - وحينئذ صاح في جنده « احنوا حنوى إن استطعتم . » ثم اندبى جواده وأطلق له العنان وأمن في مراده .

❦

وكانت تلك الحركة التي اصطاحها للسلمون معركة مروعة مائة ، وفي الحق أن السماء التي أريقت في هذه الحرب كانت أكثر مما أريق في تلك الحروب الفاحشة التي نشبت - فيما بعد - بين المسلمين والفرس ، ثم بين المسلمين والامبراطورية الرومانية ، بعد اقتراف العرب من المذابح في هذه الحرب « حرب الردة » شنأ لم يهرعها الاسلام قط . كما لو إذا اتهم البدو بقبولهم ونكولها به . لأن الردة حراؤها القتل ، لا هوانة في ذلك ولا رجة ، وقد همت أبو بكر إلى خلع يأمره بقوله - :  
« عليك بإبادة الكفر بالمديد والدار ، ولا تأخذك رجة يمين قط »

❦

ولقد انزعم أصحاب « سيلة » - وكان عددهم زهاء عشرة آلاف مقاتل - ومرتهم للسلمون شرّ ممرّ في ، وغرقت بلاد العرب كلها في الدماء !

ولكن الاسلام قد خرج من تلك المأزق - الناشئة في كل مكان - مؤبداً منصوراً ، ودان به العرب مد ذلك . - طوعاً أو كرها - شدّ أعضهم خذلانهم بوجوب الاعتراف بالدين الاسلامي ، إن لم يكن اعتراف المسلمين للمؤمن فاعتراف الحائث الذي يعرف قوة هذا الدين العظيمة التي لا تحصى معها أية مقاومة .

### بعد النصر

ولم يكاد يتم انتصار أبي بكر حتى وحه هؤلاء البدو الداهيين إلى السماء ، إلى مهاجمة فارس : الامبراطورية الرومانية ، وهذا العمل - عند من ينظر إلى ظواهر الأمور وحدها سراة وتهور ، ولكنه - على الحقيقة - رذالة وقسل .

ولما سار أبو بكر في هذا على خطة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يتبعها ، وحى أن يتدل العرب عن التفكير في خصوصهم ولا يبدع لهم وقتاً كافياً لذلك ، وقد رأى أن خير ما يربطهم بالاسلام لا يكون إلا عن طريق الفتح والانتصارات الحربية وما يجره ذلك من الشنم .

❦

وهكذا انتهت حروب الردة ولم تهم للمرتدين بعدما فاقمة ، هدد كل عقاب الردة القتل ، وس هنا نظام الناس بالاسلام ووقعوا عند هذا الحد .

ومن - إذا استقيا صفوة المسلمين وتواتهم للؤلؤة من المهاجرين والأنصار وبعض من يتولى إليهم بسبب - لم نجد بعد ذلك من يهرق المرائن ويحاليه إلا عندا حاية في الله . أما العرب الذين استوطنوا أفريقيا عند ظلال - حتى مد مضى قرن من الهجرة - لا يهرفون من الاسلام أكثر من أنه دين أتى بجرم الخمر . أما أولئك الذين استوطنوا مصر فاتهم ما محدثوا عن الاسلام أو شلوا به أعضهم قط . وكأثوا لا يدركون إلا أيام الوثنية وعبودها العلية بالقضاء والحسين .

(١) وقاح : سلبة الوجه لاجياء فيها ، يقال رجل وقح الوجه ووقاح الوجه صلبه لاجياء فيه ، والأقي وقاح بغير هاء .

أَلَسْتُ مُصِحِّمًا مِنْ كُلِّ ذَلِكَ ؟ وَمَبْدِي حُسْنِ أَوْجُهِهَا الصَّبَاحُ  
وَلَوْ كَشَفْتُ عَنْ الصَّفَحَاتِ شَامَتِ بُرُوقَ الْمَوْتِ مِنْ بِيضِ الصَّفَاحِ (١)

\*\*\*

وَقَاكَ اللَّهُ مَا تَخْشَى وَوَالَى عَلَيْكَ بِصْنَعِهِ الْمُغْدَى الْمَرَّاحِ (٢)  
فَلَوْ أَنَّ السَّعَادَةَ سَوَّغْتَنَا تَجَارَتَهَا الْمُلْتَمَةُ بِالرَّيَاحِ  
تَجَافَيْنَا عَمِيدَكَ عَنْ نُفُوسٍ - عَلَيْكَ مِنَ الضَّنَى - حَرَى شِحَاحِ (٣)  
نَهْنَأُ فِيكَ بِالْبُرْهَةِ الْمَوْفَى وَتُنْبِجُ مِنْكَ بِالْأَلَمِ الْمَرَّاحِ

\*\*\*

فَدَيْتُكَ كَمْ لِعَيْنِي مِنْ سُمُورٍ - لَدَيْكَ - وَكَمْ لِنَفْسِي مِنْ طَمَاحِ  
أَلَا هَلْ جَاءَ مَنْ فَارَقْتُ أَنَّى بِسَاحَاتِ الْمُنَى رَفْلُ الْمَرَّاحِ (٤)  
وَأَنَّى - مِنْ ظِلَالِكَ - فِي زَمَانٍ نَدَى الْأَصَالِ رَقْرَاقِ الضَّوَاغِي  
تُحْيِيَنِي بِرَيْحَانِ التَّحْنِ وَتُصْبِغُنِي مُعْتَقَةُ السَّمَاحِ (٥)  
فَهَا أَنَا قَدْ تَمَلْتُ مِنَ الْأَيَادِي إِذْ أَتَّصَلَ اغْتِيَابِي فِي أَصْطِلَاحِي

(١) لو كفت هذه الليالي ، وأبنت عن صفحة السر والعناء لنام سيف بأس للمدح  
طلع يروق موت وحلاك تلك الليالي التي طأطأنا بمرضه ، بعد أن أصحنا من كل داء وخلع طبا  
من الرواء والحسن أبهى رداء .

(٢) وقاك الله ما تخشى من طارش المرض وحصك من كل محذور وخوف ، وتمهدك بجبل منه للندى  
المرح أي الذي يجده يسد عليك في أوله التهار ، ويروح في آخره ، فلا يترك ضيقه ، ولا يظف  
عك إحسانه .

(٣) الضنى : السم ، وحرى : عطش ، وشحاح : جمع شحيحة من الشح وهو البخل .

(٤) الرذل : جر الدبل وركننه بالرجل ، يقول : ألا هل أنى من فارقت من خيال « قرطبة » أنى  
أجر ذيل مرح وأرذل في ثياب النعمة وفضارة البش .

(٥) التحن : الحفاوة ، والساح : الجود .

فَإِنْ أَعْجَزَ فَإِنَّ النُّصْحَ تَقَفَ      وَإِنْ أَشْكُرَ فَإِنَّ الشُّكْرَ صَاحِ  
لِمَا كَسَبْتَ قَدَرِي مِنْ سَنَاءِ      وَمَا لَقِيتَ سَنِي مِنْ نَجَاحِ

\* \*

لَقَدْ أَنْفَذْتَ - فِي الْأَمَالِ - حُكْمِي      وَأَجْرَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى اقْتِرَاجِي  
وَهَلْ أَخْشَى وَفُوعًا - دُونَ حَظِّ -      إِذَا مَا أَثَرِ رِيْشِكَ مِنْ جَنَاحِي  
فَمَا أَسْتَسْقِيتُ مِنْ غَيْمِ جَهَامِ      وَلَا أَسْتَرْوِيْتُ مِنْ زَنْدِ شِحَاحِ  
وَوَاصَ لَنِي جَبِيلَكَ - فِي مَغِيْبِي -      وَطَالَتَنِي نَدَاكَ مَعَ اقْتِرَاجِي  
وَلَمْ أَنْفَكْ - إِذْ عَدَّتِ الْعَوَادِي -      إِلَيْكَ رَهْنِ شَوْقِي وَالْتِيَاحِ  
فَعَسَى أَنْتَ - مِنْ مُسْنِدٍ لِنُصْحِي -      وَحَسْبُكَ بِي بِشُكْرِي وَامْتِدَاحِ

## هدية تفاح

« وأهدى إليه تماحا وأراد أن يكتب معه قطعة ،

فدأ بها ثم عرض له غيرها فتركها . »

دُونَكَ الرَّاحَ جَامِدَةً      وَقَدْتَ خَيْرَ وَافِدَةٍ  
وَجَدْتَ سُوقَ ذَوْبِهَا      - عِنْدَ تَقْوَاكَ - كَاسِدَةً  
فَاسْتَحَالَتْ إِلَى الْجُمُودِ      دِ وَجَاءَتْ مُكَابِدَةً

والقطعة التي بعثت هي هذه

جَاءَتْكَ وَافِدَةٌ الشَّمُولُ      فِي الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ  
لَمْ تَحْظَ ذَائِبَةً لَدَيْكَ      وَلَمْ تَنْلِ حَظَّ الْقَبُولِ

فَتَجَامَدَتْ مُخَالَةً وَالْمَرْءُ يَعْجُزُ لَا الْحَوِيلَ<sup>(١)</sup>  
لَوْلَا أَثْقَالُ الْعَيْنِ سُدَّتْ دُونَ بُعَيْتِكَ السَّبِيلَ<sup>(٢)</sup>  
لَهَجَرْتَهَا صَفَرَاءُ فِي يَبْضَاءَ هَاجِرُهَا قَلِيلَ  
الْكَأْسِ مِنْ رَأْدِ الضُّحَى وَالرَّاحُ مِنْ طَفْلِ الْأَصِيلِ  
آثَرَتْ قَائِدَةَ الثَّقَى وَرَغِبْتَ فِي الْأَجْرِ الْجَزِيلِ  
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي مَا فِي الْمُلُوكِ لَهُ عَدِيلُ<sup>\*\*\*</sup>  
يَا مَاءَ مَزْنٍ ، يَا شِمَا بَ دُجْنَةٍ<sup>(٣)</sup> ، يَا آيْتَ غِيلِ  
يَا مَنْ تَحْبِبُنَا أَنْ يَجُوءَ دَ بَيْثِلِهِ الزَّمَنُ الْبَخِيلِ  
بُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةٌ فِي ظِلِّ إِقْبَالِ ظَلِيلِ  
رَقَّتْ كَمَا سَالَ الْعِذَا رُ بِحَايِبِ الْخَدِّ الْأَسِيلِ  
وَتَأَوَّدْتَ كَالْمُفْنِنِ قَا بَلْ عِطْفُهُ نَفْسُ الْقَبُولِ<sup>(٤)</sup>  
يُضَيِّقُ مَقْبَلَهَا الشَّعْيُ وَلَحْظُهَا السَّاجِي الْعَلِيلِ  
فَتَمَلَّهَا<sup>(٥)</sup> فِي الْعِزَّةِ الْقَمَسَاءَ وَالْمُمرِّ الطَّوِيلِ

(١) الحويل : الحيلة ، يقال : احتال احتيالا وحولا وحيلة وحويلا وعالة ، قال دؤاد يمانب زوجه :

« حاولت - حين صرمتي - والره - يبحر لا الخاله  
والمر يلمب باله - نقي والدهر أدورغ من ثماله  
والره - يهكسب ماله بالشح ، يورثه الكلاله . »

وفي المثل للدهور : « المره يعجز لا الخالة » أو « لالعالة » في رواية أخرى ، أي لا تمسك بخارج الأمور  
إلا على الماهر الذي لا يعرف وحوه الخيل . ويقال : احتال وتحيل وتحوّل ، قال أبو الملاء :  
« لا يحببك خذيب - طام في ملا بخطبة ذات منامها وطولها  
فا المظلات - وإن راع - سوى حيل - من ذى مقال على ناس تحولها . »

(٢) يقول : لولا أثقال عيني من ذائبة إلى جامدة لسدت دون ما تنبه من إهداء نفسها إليك السبيل  
لأنك لا تبيح لها أن تزور مجلسك وهي دائبة . (٣) يقال يوم دجنة ، والدجنة : الظلة والغيم المطبق  
الريان المنظم لا مطربه . يقول : إليك نور تندد الديسي والطلقات .

(٤) القول : ربح الصبا ، قالوا وذلك بأنها تقابل الدبور . (٥) انتم بها .

## شكر على زيارة

« قال يشكر المتمد على الله أبا القاسم محمد  
ابن المعتض بالله عباد بن محمد بن عباد ، وقد  
شرفه بالعبادة في بعض عله . »

لَسْتُ بِالْجَاحِدِ آلاءَ الْعِلْمِ كَمَ لَهَا مِنْ أَلَمٍ يُذْنِي الْأَمَلِ  
أَجْتَلِي - مِنْ أَجْلِهَا - بَذَرَ الْمَلَأَ مُشْرِقًا فِي مَنَزِلِي حِينَ كَمَلِ  
حُلَّةُ الْبَسِّ عَيْنِي فَخَرَهَا فَأَعْبَدْتُ تَرْفُلُ فِي أَهْنِي الْحُلَلِ  
رَفَّ بِشَرِّ الْأَفْقِي فِي عَيْنِي لَهَا لَا لِأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ فِي الْحَمَلِ (١)  
مَا أَتَالِي مِنْ زَمَانٍ بَعْدَهَا إِذَا صَحَّ النَّفْسَ - إِنْ جَسَنِي أَعْلَ (٢)

أَيُّهَا الْوَلَى لَقَدْ مُحَلَّتْ مَا لَمْ يَدْعُ فِي وَسْعٍ عَبْدٌ مُحْتَمَلِ  
وَصَحَّ الطُّوقُ الَّذِي حَلَّيْتَنِي قَرَأَتْهُ نَفُوسٌ لَا مَقْلَ (٣)  
أَنَا لَوْ طُوِّقْتُ مِنْهُ بَدَلًا أَنْجَمَ الْجُوزَاءُ لَمْ أَرْضَ الْبَدَلِ  
كَمْ مَرَادِي - مِنْ نَعْمَاتِكُمْ - وَارِفَ الظِّلِّ وَكَمْ وَرِدَ عِلَلِ (٤)  
لَا تَزَلْ دَوْلَتُكُمْ مَبْسُوطَةً بَسْطَةً فِي طَيْبًا قَبْضُ الدُّوَلِ  
وَرَأَى الْمُتَضِيدُ الْمَنْصُورُ مَا أَنْبَأَتْهُ فِيكَ لَيْتَ أَوْ لَعَلْ  
فَسَلِّقَاهُ اللَّيَالِي طَلَقَةً بِتَفَارِيقِ أَمَانِيهِ جُمْلِ (٥)

(١) الحمل : برج في السماء من البروج الربعية ، يقول إن الأفق أشرق بنوره وازدان يبهانه لايهيه الشمس التي حلت في برج الحمل .

(٢) يقول : لا أتألى بعد أن صحت نفسي بزيارته وتعرفته منزلي إن أرض الدهر حسمى .

(٣) يقول : إن إحسانك الذي طوقت به حق قد وضع الدوس لالعيون . وفي الأصل : تهادته من مأى في العىء بمأى بالغ وتماى الخلد إذا مددته ، وقد سبق له هذا المعنى في قوله :

« يا هلالا تراءا » غوس لالعيون . انظر صفحة ٣٩ .

(٤) الطل : الحرب الثاني ويقال علل بعد نهل أى شرب ثان بعد شرب أول أى أنه ورد حياض كرمه

مرة بعد أخرى . (٥) أى سينبئه الدهر جملة أمانيه للفرقة فلا يدع منها شيئا إلا حققه له .

## تهنئة

« وقال يهيه أيده الله بقدم وإبلال » .

إَقْدَمَ كَمَا قَدِمَ الرَّيِّعُ الْبَا كِرُ  
قَسَمًا لَقَدْ وَفَى الْمُنَى وَتَقَى الْأَسَى  
لَيْسَرَ مُكْتَسَبٌ وَيُتَقَى سَاهِرُ  
قَفَلٌ وَإِبْلَالٌ - عَقِيبٌ مُطِيفَةٌ -  
إِنْ أَعْنَتَ الْجَنَمَ الْمَكْرَمَ وَغَكْمَا  
مَا كَانَ إِلَّا كَانْجِلَاءَ غِيَابَةٍ  
فَلْتَقُدُّ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ وَذَاهِبَا  
إِنْ كَانَ أَسْعَدَ مِنْ وَصُولِكَ طَالَعُ  
أَخْصَى الزَّمَانُ نَهَارُهُ كَافُورَةٌ  
قَدْ كَانَ هَجَرَى الشَّعْرَ قَبْلُ - صَرِيحَةٌ (١)  
حَتَّى إِذَا آتَسْتُ أَوْبَكَ بَارِئًا  
عَنِّي قَلْبَتَ إِلَى الْبَلَاعَةِ عِيَّةُ  
لَقَعْتَ ذَهْنِي ، فَأَجْنِ غَضَّ عِمَارِهِ

وَأَطْلَعُ كَمَا طَلَعَ الصَّبَاحُ الزَّاهِرُ  
مَنْ أَقْدَمَ الْبَشْرَى بِأَنْتَكَ صَادِرُ  
وَيَرَّاحَ مُرْتَقِبٌ وَيُوفَى نَاذِرُ  
غَشِيَتْ كَمَا غَشَى السَّبِيلَ الْعَابِرُ (٢)  
فَلَرُبَّمَا وَعِكَ الْهَزْبُ الْخَادِرُ (٣)  
لَيْسَ الْفَرِيدُ نَدْبَهَا الْحُسَامُ الْبَاتِرُ (٤)  
شُكْرُ يُجَاذِبُهُ الْخَطِيبُ الشَّاعِرُ  
فَكَذَلِكَ أَيْمَنْ مِنْ قُفُولِكَ (٥) طَائِرُ  
وَاللَّيْلُ سِنَكُ مِنْ خِلَالِكَ - عَاطِرُ  
حَذَرِي لِذَلِكَ التَّقْدِ فِيهَا عَازِرُ  
صَفَتِ الْقَرِيحَةُ وَأَسْتَنَارَ الْخَاطِرُ (٦)  
لَوْ لَا ثِقَاكَ لَقُلْتُ : إِنَّكَ سَاحِرُ (٧)  
فَالْتَعَلُّ يُحْزِرُ مُجْتَنَاهُ الْآبِرُ (٨)

(١) يقول : قدم من السر ، وإبلال من المرض عقيب علة أطال بك وغشيتك غشيان طار سابل .  
(٢) الوطك : الحمى أو ألها والوعوك المصوم ، والخادر : القاتر الكسلان ، والأسد الخادر : القيم و  
خموده أي الذي لزم مرهته . (٣) يقول : لم يكن المرض إلا فترة عاد بعدها الحسام إلى حلاله وروقه .  
(٤) رحوطك . (٥) الصرعة : للصرعة ، يقال : « هو رجل فوصرعة وصرام » أي ذو هزعة ،  
يقول : إنى مجرت قبل قدومك الشعر هجرا صارما فاطمأ ، وعذري في ذلك واضح وهو ما كنت أحزنه  
من ذلك التقد الذي يتعرض له شعري ، أما الآن فقد صفت القرية لأوبتك بارئاً . (٦) يقول كست اعترمت  
هجراً بشعر حق إذ آتس خاطري لإبلال من سمرك صف فريحتي وشعد فكري ففتحت أمانى طرق الشعر .  
(٧) يقول إنك ألهمت علي بالبيان فساد بليما ولولا أنك بقي لانهمكت بالسحر في ذلك . وفي الأصل :  
« مي وددت إلى البلاغة هينه . »

(٨) يقال لفع اللخنة وألفها وألفح الفعل الباقه أحلها ، وألعت الرخ الشجر والسحاب أحلها ،  
والوابع من الرياح : التي تحمل الندى ثم تمجه في السحاب فاذ اجتمع في السحاب صار مطراً ، يقول إنك :  
لعت ذهني - كما يلفح الزارع اللخنة - فأنى بأحسن الثمر وأشدها ، فأنى أحق بإجتنا الثمر لك فارسه ومتهمه .

كَمْ قَدْ شَكَرْتَكَ غِبْ ذِكْرَكَ - فَأَنْتَشَى مُتَذَكِّرٌ مِثِّي وَغَرَدَ شَاكِرٌ <sup>(١)</sup>  
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي عَلَيَاؤُهُ \* \* \* مِثْلُ - تَنَاقَلُهُ اللَّيَالِي - سَاوَرُ  
يَا مَنْ لَبَزَ الْبَشَرِ مِنْهُ تَهْلُلُ مَا شِيمَ إِلَّا أَنْهَلَ جُودُ هَامِرُ  
أَنْتَ ابْنُ مَنْ تَجَدَّ الْمُلُوكُ ، فَإِنْ يَكُنْ لِلْمَجْدِ عَيْنٌ فَهُوَ مِنْهَا نَاطِرُ  
مَلِكٌ أَعَزُّ أَزْدَانَتِ الدُّنْيَا بِهِ وَأَعَزُّ دِينَ اللَّهِ مِنْهُ نَاصِرُ  
أَبْنَاكَ فِي مَبِجِ الْمَجْرَةِ قُبْسَةٌ فَهَنَّاكَ أَنْكَ لِلنَّجُومِ مُخَاصِرُ <sup>(٢)</sup>  
وَتَلَقَّ - مِنْ مِيتِكَ - صِدْقَ تَقَاوُلِي فَهَمَّا « الْمُوَيْدُ » بِالْإِلَهِ « الظَّافِرُ » <sup>(٣)</sup>

### ابتداء قصيد

« وقال ابتداء قصيد اعتقد إنفاذه إليه وقد طالت  
غيته في بعض أسفاره ولم يكلمه . »

سَاهَدِي النَّفْسَ فِي نَفْسِ الشَّامِلِ فَقَدْ لَفَحَ التَّشْوِيقُ عَنْ خِيَالِ  
إِلَى الشَّيْنِ الْمَرَامِ - إِنْ أَثِيرَتْ حَفِيزَتُهُ - إِلَى اللَّذَنِ ائْتِلَالِ <sup>(٤)</sup>  
إِلَى الْوَضَّاحِ آتَاكَ الْمَسَاحِي إِلَى النَّفَّاحِ أَخْبَارَ الْمَعَالِي  
إِلَى مَلِكٍ هُوَ الْمَعْنَى الْمُجَلَّى بِهِ الْإِشْكَالُ مِنْ لَفْظِ الْكَمَالِ  
إِلَى مَنْ لَا مِثِيلَ لَهُ إِذَا مَا بَدَأَ فِي السَّرْجِ أَوْ فَوْقَ الْإِنْفَالِ  
هَدِيَّةٌ مِنْ - لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ سَنَى مَنَاهُ - هَدَى إِلَيْكَ سُرَى الْخِيَالِ  
فَكَمْ بَوَّأْتَنِي سَاحَاتٍ نَعْنَى عَذَابِ الْوَرْدِ وَارِفَةِ الظَّلَالِ

(١) يقول ما شكرتك غيب ذكرك إلا نلت من لشوة العرح وغردت بالثناء عليك . وفي الأصل :  
« وعربد شاكر . » (٢) تيج المجرة وسطها أو أكل مكان فيها ، وتخاصر : أى تعنى إلى جنبها ،  
يقول : « لقد بنى لك أبوك قبة فخرودة المجرة فهبتا لك هذا المقام الرفيع الذى تخاصر فيه الجيوم وعلينا . »  
(٣) يقول : تنى بفاؤلى فيك فسيحقق الله صدق لفيك وهما للوید والمنصور فيؤيدك وينصر على أعدائك .  
(٤) إلى ذى العزرة القوة إن حاجه مني والخلال الرضية للسعة إذا لاينه سالم ، وريب من هذا  
قول ابن دريد :

« سهل إذا لويت لحد مطن أوى - إذا خوشفت - مرهوب للشذا . »



## إلى أبي القاسم

« كتب إلى أبي القاسم بن رفق »

عَذْرِي<sup>(١)</sup> - إِنْ عَذَلْتُ فِي خَلْعِ عَذْرِي<sup>(٢)</sup> - غُصْنُ أُنْمَرَتْ ذُرَاهُ يَبْدُرِ<sup>(٣)</sup>  
 هَزَّ مِنْهُ الصَّبَا فَقَوَّمَ شَطْرًا - وَتَحَاكَى - عَنِ الْوِشَاحِ - بِشَطْرِ  
 رَشًا أَقْصَدَ<sup>(٤)</sup> الْجَوَانِحَ قَصْدًا - عَنْ جُنُونِ كُحْلَنَ - عَمْدًا - بِسِحْرِ  
 كُيِّ الْحُسْنِ فَهَوَّ يَفْتَنُ فِيهِ - سَاحِبًا ذَيْلَ بُزْدِهِ الْمُسْبِكِ<sup>(٥)</sup>  
 نَحْتَ ظِلِّ - مِنَ الْغَرَارَةِ - فَيَنَّا - نَ وَوُزْقِ<sup>(٦)</sup> مِنَ الشَّيْبَةِ نُفْرِ  
 أَبْرَزَ الْجَيْدِ فِي غَلَائِلَ بِيضٍ - وَجَلَّالَ الْخَدِّ فِي مَجَاسِدِ حُمْرِ<sup>(٧)</sup>  
 وَتَنَتَّ بِمِطْفِهِ - إِذْ تَهَادَى - خَطَرَةُ تَمْرِجُ الدَّلَالِ بِكِبَرِ  
 زَارَنِي - بَعْدَ هَجْمَةٍ - وَالْثَرَيَا - رَاحَةُ تَقْدِرُ<sup>(٨)</sup> الظَّلَامَ بِشِيرِ  
 وَاللُّجَا - مِنْ نُجُومِهِ - فِي عَقُودِ - يَتَلَاثَنَ مِنْ سِمَاكِ وَنَسْرِ  
 تَحَسَّبُ الْأَفْقَ يَنْتَهَا لَا زَوْرَدًا - ثَبَرَتْ - فَوْقَهُ - دَنَائِيرُ تَبَرِ  
 فَرَشَفْتُ الرُّصَابَ أَعَذَّبَ رَشْفِ - وَهَصَرْتُ الْقَضِيبَ الْطَلْفَ هَصْرِ

(١) عذري - جمع عذرة بالكسر - أي مآذير . (٢) هنر : بضم أوله وثانيه جمع هذار وهو

الحياء ، وخلق المصار أي ترك الحياء .

(٣) يقول لاني إذا خلعت هذارى في الهوى فإن مآذيري واضحة نقد فتلى قوامه المياد التي يشبه الثمن

ووجهه اللقي كالمر . (٤) يقال أقصد فلانا : طعنه فلما يخطئه .

(٥) المسكر : المسترسل ، والمسكر كل شيء امتد وطال .

(٦) الورق الملتصق التي يضرب لونها إلى خضرة ، قال جرير المود :

« وكان فؤادي قد صماء ثم هاجني حاتم ورق بالبدنية هتف . »

(٧) المجاسد - جمع مجسد - وهو القميص الذي يلي البدن ، قال ابن الأعرابي : « ولا تخرجن إلى

للساجد بالمجاسد » (٨) تقيس .

وَنَمِينًا بِلَفِّ جِسْمٍ بِجِسْمٍ - لِلتَّصَافِي - وَقَرَجَ ثَمَرٍ بِشَمَرٍ  
يَا لَهَا ! لَيْسَ لَهَا تَجَلَّى دُجَاهَا - مِنْ سَنَا وَجَنَّتِيهِ - عَنْ ضَوْءِ جُفْرِ  
قَصَرَ الْوَصْلُ غُمَرَهَا، وَبَوْدَى أَنْ يَطُولَ الْقَصِيرُ مِنْهَا بِعُمَرَى

\* \*

مَنْ عَذِيرِي مِنْ رَيْبِ دَهْرٍ خُونٍ - كُلَّ يَوْمٍ - أَرَاغُ مِنْهُ بِشَدْرِ  
كُلَّمَا قُلْتُ : « حَاكَ فِيهِ مَلَامِي » نَهَسْتَنِي مِنْهُ عَقَارِبُ تَسْرَى <sup>(١)</sup>  
وَتَرْتَنِي خُطُوبُهُ فِي صَنِيٍّ فَاضِلٍ نَابِهِ - مِنَ الدَّهْرِ - وَتَرٍ <sup>(٢)</sup>  
بَانَ عَنِّي - وَكَانَ رَوْضَةً عَيْنِي - فَقَدْ الْيَوْمَ وَهُوَ رَوْضَةٌ فِكْرِي <sup>(٣)</sup>  
فَكَهْ يُنْهِجُ الْخَلِيلَ بِوَجْهِهِ تَرْدُ الْعَيْنُ مِنْهُ يَنْبُوعَ بَشْرِ  
لَوْ دَعَيْتُ - إِنْ يَيْلُهُ الْخُبْرُ يَوْمًا - أَخْجَلَ الْوَرْدَ عَنْ خَلَائِقِ زُهِرٍ  
وَإِذَا غَاظَلَتْهُ مُقَلَّةٌ طَرَفٍ كَادَ مِنْ رِقَّةٍ يَذُوبُ - فَيَجْرِي <sup>(٤)</sup>

\* \*

يَا « أَبَا الْقَاسِمِ » الَّذِي كَانَ رِدْئِي وَظَهْرِي - عَلَى الزَّمَانِ - وَذَخْرِي

(١) حَاكَ : رَسَحَ أَوْ أَثَرُ فِيهِ ، وَنَهَسَتْ : عَصَتْ ، يَقُولُ : « كَمَا قُلْتُ إِنْ زَمَانِي قَدْ أَرَعَوِي وَأَثَرُ فِيهِ هَتَابِي ظَهَر لِي خَطْئِي فِي ظُلْمِي وَعَصَيْتِي عَقَارِبُ لَوْمٍ تَدْبُ إِلَى تَسْرَى فِي الظُّلُمِ مِنْ عَقَارِبِ دَهْرِي » وَقَدْ دُرَّ أَبُو الْعَلَاءِ إِذْ يَقُولُ فِي الزَّمَنِ :

« وَفِيضُ بَنُوهُ » ، وَفِيضُ مِنْهُمْ فَسَدَ نَبْ سَاكِنِيهِ وَهَدَبُوهُ

وَمَا يَجْنِي الْوَعِيدُ فَيُوعِدُوهُ وَلَا يَرْمِي الْعَتَابُ بِمُتَجَبُّوهُ

أَسَاءَ - بِجَهْلِهِ - أَدْبَا عَلَيْهِمْ فَهَلْ مِنْ حِلَّةٍ فَيُؤَدِّبُوهُ .

(٢) وَتَرٍ : فَذ . (٣) كُنْتُ أَرَاهُ أَمَلِي فَتَنْعَمُ بِهِ صَبَايَ وَالْيَوْمَ لَا أَرَاهُ - بَعْدَ نَابِهِ - فَأَصْبَحَ

بِنَعْمٍ خَاطِرِي بِذِكْرِهِ .

(٤) يَقُولُ إِنَّهُ كَادَ مِنْ رِقَّةٍ يَسِيلُ . وَتَقَرَّبَ مِنْ هَذَا إِلَى قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :

« أَهْضِمْنِي خَشَلًا كَالْمَائِلِ - لَوْضَاً عَنْهُ غَلَاكُ - حَسَابُ الْحَاسِي . »

يَا أَحَقَّ الْوَرَى بِمَمْنُوحٍ إِخْلَا صِي وَأَوْلَاهُمْ بِنَايَةِ شُكْرِي  
طَرَقَ اللَّهُمَّ سَاحَتِي - مِنْ تَنَائِيكَ - بِحَمَمٍ مِنَ الْحَوَادِثِ تُكْرِ

\* \*

لَيْتَ شِعْرِي ! وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ بِمُجْدٍ عَلَى الْفَتَى : «لَيْتَ شِعْرِي» (١)  
هَلْ لِحَالِي زَمَانًا مِنْ رُجُوعٍ ؟ أَمْ لِمَاضِي زَمَانًا مِنْ مَكْرٍ ؟

\* \*

أَيْنَ أَيَّامُنَا وَأَيْنَ لَيَالٍ كَرِيَاضٍ لَيْسَنَ أَفْوَافَ زَهْرٍ  
وَزَمَانٌ كَأَنَّمَا دَبَّ فِيهِ وَسَنٌ أَوْ هَفَا بِهِ فَرَطُ سُكْرٍ  
حِينَ تَعْدُو إِلَى جَدَاوِلِ زُرْقٍ يَتَغَلَّمْنَ فِي حَدَائِقِ خُضْرِ  
فِي هِضَابٍ - مَجْلُوءَةِ الْحُسْنِ - تُحْرِ تَعَاطَى الشُّمُولِ - مُذْهَبَةِ السَّرِّ  
فِي فُتُوٍّ (٢) تَوَشَّحُوا بِالْمَعَالِي عَنْ وُجُوهِ - مِثْلِ الْمَصَائِيحِ - غُرٍّ  
كُلُّ خِرْقٍ يَكَادُ يَنْهَلُ ظَرْفًا زَانَ مَرَأَى بِهِ بِأَكْرَمِ خُبَرٍ (٣)

(١) يقول «ليت شعري»، وإن كنت أعلم أنها غير مجدية، قال ابن الرومي :

« يا ليت شعري وليت غير مجدية إلا استراحة قلب وهو اسوان . »

وقال الشاعر :

« ليت وهل ينفع شيئاً « ليت » ليت شباباً بيع ما اشترى . »

(٢) مطارف - جمع مطرف يضم الميم وكسرهما - مع فتح الراء في كليهما - : رداء مربع من خز

ذو أعلام . (٣) فتو - جمع فتى وهو يجمع على فتيان وفتو وفتى بتشديد الواو والياء .

(٤) الحرق : من الفتيان الطريف في ساحة ونجدة ، وينهل : يربد يكاد يسيل رقة وطرفاً ، وقد جاء

بعد هذا البيت قوله :

« ..... محس حالي فتح لك مرفها طيب هر . »

وقد أبتناه كما ورد ناقصاً بالأصل .

وَسَجَايَا كَأَنَّهُنَّ كُثُوبٌ أَوْ رِيَاضٌ قَدْ جَادَهَا صَوْبُ قَطْرِ  
يَتَلَقَّى الْقَبُولَ مِنِّي قُبُولٌ كُلُّمَا رَاحَ نَفَحُهَا أُرْتَاحَ صَدْرِي  
فَهُوَ يَسْرِي مُحْمَلًا - مِنْ سَجَايَا كَ - نَسِيمًا يُرْتَمَى بِأَفْوَحِ عَطْرِ

\* \*

يَا خَلِيلِي وَوَاحِدِي وَالْمَلَى مِنْ قِدَاحِي <sup>(١)</sup> وَالْمُسْتَبَدِّ بِرِّي  
لَا يَضَعُ وَدِّي الصَّرِيحُ الَّذِي أَرَى صَاكَ مِنْهُ أَسْتَوَاهُ سِرِّي وَجَهْرِي  
وَتَوَالِي أَذِيَّةٍ نَفَطْتَنَا نَفْطَمَ عَقْدِ الْجُمَانِ فِي نَحْرِ بَكْرِ  
لَا يَكُنْ قَصْرُكَ الْجَفَاءَ ، فَإِنَّ الْوُدَّ - إِنْ سَاعَدَتْ حَيَاتِي - قَصْرِي <sup>(٢)</sup>  
وَأَعِذْ - بِالْجَوَابِ - دَوْلَةَ الْأَنْسِ قَدْ تَقَضَّتْ إِلَّا غَلَالَةَ ذِكْرِي <sup>(٣)</sup>  
وَأَكْسُ مِنْ الْقِرْمَاطِ دِيْبَاجَ لَفْظِي يَبْهَرُ الْفِكْرَ مِنْ نَظْمٍ وَشَرِّ  
غُرُرٍ مِنْ بَدَائِعٍ لَا يَشْكُ اللَّهُمُّ فِي أَتْهَا فَلَا تُدْ دُرٌّ  
تَتَوَالَى عَلَى الثُّغُوبِ دِرَاكَا عَنْ فَتَى مُوسِرٍ - مِنَ الطَّبْعِ - مُثَرِّ  
شَدَّ فِي حَلْبَةِ الْبَلَغَةِ حَتَّى بَانَ فِيهَا عَنْ شَاوٍ سَهْلٍ وَصَحْرٍ  
وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْمَلْ جَوَابِي كَانَ هَذَا الْكِتَابُ بَيْنَضَةً عَقْرِي <sup>(٤)</sup>  
فَأَنْتَ - فِي ذِمَّةِ السَّلَامَةِ - مَا أَنْجَا بَ عَنِ الْأَقْفِ عَارِضٌ مُتَسَرِّ  
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَا غَنَّتِ الْوُزُ قُ وَمَالَتْ بِهَا ذَوَائِبُ سِدْرٍ <sup>(٥)</sup>

(١) أي القصد الملئ . (٢) يقول : لا يكن قصارك الجفاء فان قصارى الوداد أي لا تكن ظامك طغياني فان غابني وسلك .

(٣) يقول : أعد عهد الأنس الذي مضى ولم يترك لنا إلا ذكريات تملأ بها .

(٤) إذا لم تعمل بالرسالة الرد على كتابي كان هذا آخر كتاب أبنت به إليك .

(٥) السدر : شجر البقي يقول : « نحبني إليك كلما غنت الحاناً ومالت بها أعضان الشجر » .

## مدح ابن جهور ورثاء أمه

« كثر ابن زيدون في هذه القصيدة أكثر

الآيات السابقة التي ذكرناها في ص « ١٤٠ »

من هذا الديوان . »

هُوَ الدَّهْرُ فَأَصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ      فَنَ شِيمَ الْأَبْرَارِ - فِي مِثْلِهَا - الصَّبْرُ  
 سَتَصْبِرُ صَبْرَ الْيَأْسِ أَوْ صَبْرَ حِسْبَةٍ      فَلَا تَرْضَ بِالصَّبْرِ الَّذِي مَعَهُ وَزُرُ  
 حِذَارِكَ مِنْ أَنْ يُعْقِبَ الرِّزْقَ فِتْنَةً      يَضِيقُ لَهَا - عَنْ مِثْلِ أَخْلَاقِكَ - الْعُذْرُ  
 إِذَا أَسِفَ النُّكْلَ اللَّيْبُ فَشَقَّهُ      رَأَى أَبْرَحَ الثُّكَلَيْنِ أَنْ يَحْبِطَ الْأَجْرُ  
 مُصَابُ الَّذِي يَأْسَى بِمَيِّتِ ثَوَابِهِ      هُوَ الْبَرْحُ لَا لَمِيتُ الَّذِي أَحْرَزَ الْقَبْرُ

\* \*

حَيَاةُ الْوَرَى نَهْجٌ إِلَى الْمَوْتِ مَبْعٌ      لَهُمْ فِيهِ إِضَاعٌ كَمَا يُوضَعُ السَّفَرُ  
 فَيَاهَادَى الْمِنَاجِ جُحْرَتْ فَأَنَّمَا      هُوَ الْفَجْرُ يَهْدِيكَ الصَّرَاطُ أَوْ الْبَجْرُ  
 لَنَا - فِي سِوَانَا - عِبْرَةٌ غَيْرَ أَنَّنَا      نَمُرُّ بِأَطْمَاحِ الْأَمَانِي فَتَفْتَرُّ  
 إِذَا الْمَوْتُ أَضْحَى قَصَرَ كُلُّ مُعَمَّرٍ      فَإِنَّ سَوَاءَ طَالٍ أَوْ قَصَرَ الْعُمُرُ

\* \*

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدِّينَ رِيْعٌ ذِمَارُهُ      قَلَمٌ يُعْنِي أَنْصَارَ عَدِيدِهِ وَلَا وَقُرُ  
 بِحَيْثُ اسْتَقَلَّ الْمَلِكُ ثَانِي عِطْفِهِ      وَجَرَّرَ مِنْ أَدْيَالِهِ الْمَسْكِرُ الْمَجْرُ  
 هُوَ الضَّمِيمُ لَوْ غَيَّرَ الْقَضَاءُ يَرْوُمُهُ      شَاءَ الْمَرَامُ الصَّعْبُ وَالْمَسَلَكُ الْوَعْرُ

إِذَا عَثَرْتُ جُرْدُ السَّوَاخِ فِي الْقَنَا      بِدَلِيلِ عَجَاجِ لَبَسَ يَصْدَعُهُ فَجُرُ  
لَقَدْ بَكَرَ النَّاعِي عَلَيْنَا بِدَعْوَةٍ      عَوَانٍ أَمْضَيْنَا لَهَا لَوْعَةً بِكُرُ

\* \*

أَنْفَسُ نَفْسٍ فِي الْوَرَى - أَقْصَدَ الرَّدَى؟      وَأَخْطَرُ عَلَيَّ - لِلْهُدَى - أَهْلَكَ الدَّهْرُ؟  
هَنِيئًا لِبَطْنِ الْأَرْضِ أَنْسُ مُجَدِّدُ      بِثَاوِيَةٍ حَلَّتْهُ فَأَسْتَوْحَشَ الظَّهْرُ  
بِطَاهِرَةِ الْأَنْوَابِ ، قَاتَةِ الضُّحَى      مَسْبَحَةِ الْآثَاءِ ، غَرَابِهَا الْخِذْرُ  
فَإِنْ أَثْنَيْتَ فَالْنَفْسُ أَنْأَى نَفِيسَةٍ      إِذَا الْجِسْمُ لَا يَسْمُو لِتَذَكِيرِهِ ذِكْرُ  
حَصَانُ - إِنْ النُّقْوَى أَسْبَدَّتْ بِسِرِّهَا -      فَمِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ يُسْتَوْضَحُ الْجَهْرُ  
يُطَاطَأُ سِتْرُ الصَّوْنِ دُونَ حِجَابِهَا      فَيَرْفَعُ - عَنْ مَتْنَى نَوَافِلِهَا - السُّتْرُ

\* \*

لَعَمْرُ الْبُرُودِ الْبَيْضِ فِي ذَلِكَ الثَّرَى      لَقَدْ أَذْرَجَتْ - أَثْنَاءَ هَا - النِّعَمُ الْخُضْرُ  
عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ تَرَى تَحِيَّةً      يُنْسِمُهَا الْفُقْرَانُ رِيحَانَهَا النَّضْرُ  
وَمَاهِدَ تِلْكَ الْأَرْضِ عَهْدُ غَمَامَةٍ      إِذَا أَسْتَبْرَتْ فِي ثَرْبِهَا أَبْنَسَمَ الزَّهْرُ

\* \*

فَدَيْنَاكَ ، إِنْ الرُّزْءَ كَانَ غَمَامَةً      طَلَعَتْ لَنَا فِيهَا كَمَا يَطْلُعُ الْبَدْرُ  
أَلَسْتُ الَّذِي - إِنْ صَاقَ ذَرْعُ مِحَادِثٍ -      تَبْلَجُ مِنْهُ الْوَجْهَ وَالنَّسَجَ الصَّدْرُ  
تَمَزَّ بِحَوَاءٍ - إِلَيَّ الْخَلْقُ نَسْلُهَا -      فَمَنْ دُونَهَا فِي الْمَصْرِ يَتَّبِعُهُ الْمَصْرُ  
نَسَاوِ النَّبِيِّ الْمُصْطَلَقِ أَهْمَاتُنَا      ثَوَيْنَ فَعْنَاهُنَّ - مُذْ حُتِبَ - قَفْرُ  
وَبَازَتْهَا الْحُسْنَى ، فَأَمَّ شَفِيقَةً      تَحْنَى بِهَا ابْنُ كُلِّ أَفْعَالٍ بِرُ

تَمَنَّتْ وَفَاةً - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا  
كَانَ الرَّدَى نَذْرًا عَلَيْهَا مُوَكَّدًا  
تَوَلَّتْ فَأَبَقَتْ - مِنْ حُجَابِ دُعَاهَا -  
تِيمٌ بِهِ الثُّغْمَى ، وَتَنَسَّقُ الْمُنَى ،  
فَلَا تَهْضِي أَلْدُنْيَا جَنَاحَكَ بَعْدَهَا  
وَلَا زِلَتْ مَوْفُورَ الْعَدِيدِ بِقُرْوِ

\* \*

بَنِي «جَهْوَر» أَنْتُمْ سَمَاءُ رِيَّاسَةٍ  
تَرَى الدَّهْرَ - إِنْ يَبْطِشُ - فَنُكْمٌ يَمِينُهُ  
لَكُمْ كُلُّ رَفَرَاقِ السَّمَاحِ كَأَنَّهُ  
سَعَائِبُ نَعْنَى أُبْرَقَتْ وَتَدَفَّقَتْ  
إِذَا تَادُ كَرِيمٌ ، وَأُسْتُشِفَّتْ خِلَالُكُمْ  
طَرِيقَتُكُمْ مُثْلَى ، وَهَدْيُكُمْ رِضَى  
وَكَمْ سَائِلٍ - بِالْغَيْبِ عَنْكُمْ - أَجَبْتُهُ  
عَطَاءً وَلَا مَنٍّ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى  
قَدْ اسْتَوْفَتْ النِّعْمَاءُ فِيكُمْ تَمَامَهَا

لِمَا فِيكُمْ - فِي أَفْقِيَا - أَنْجُمٌ زُهْرٌ  
وَإِنْ تَضَحَكَ الدُّنْيَا فَأَنْتُمْ لَهَا تَمَرٌ  
حُسَامٌ عَلَيْهِ - مِنْ طَلَاقَتِهِ - أَثَرٌ  
فَصَيَّبَهَا الْجَدْوَى ، وَبَارَقَهَا الْبَشَرُ  
تَضَوَّعَتِ الْأَخْبَارُ ، وَأُسْتَمَجَدَ الْخَبَرُ  
وَنَائِلُكُمْ غَمْرٌ ، وَمَذْهَبُكُمْ قَصْرُ  
هُنَاكَ الْأَبَادَى الشَّقْعُ وَالسُّودْدُ الْوَرُثُ  
وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرُ  
عَلَيْنَا ، فَمَا الْحَمْدُ لَهُ وَالشُّكْرُ

## في مدح ابن جهور

« قال يمدح أبا الحزم بن جهور . »

أَجَلٌ ، إِنَّ لَيْلَى حَيْثُ أَحْيَاوَهَا الْأَسَدُ      مَهَاً حَمْتَهَا - فِي مَرَاتِمِهَا - أُسْدُ (١)  
يَمَكَايَةُ تَذْنُو وَيَنَائِي مَرَارُهَا      فَيَسَانٍ مِنْهَا فِي الْهَوَى الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ (٢)  
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهَا تَمَرَّدَ « مَارِدٌ »      وَعَزَّ - فَلَمْ تَنْظُرْ بِهِ - « الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ » (٣)  
تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ أَعْيَادِهَا      وَخَيْلٌ تَمَطَّى نَحْوُ قَائِمَاتِهَا جُرْدُ  
لَحَى لِقَاحٍ تَأَنَّفُ الضَّمِّ مِنْهُمْ      جَحَاجِحَةٌ شَيْبُ وَصِيَابَةٌ مُرْدُ (٤)  
أَبُ ذُو أَعْتَرَامٍ ، أَوْ أَخُ ذُو تَسْرُجٍ      فَشَيْخَانُ مَاضِي الْمَقَمِّ ، أَوْ فَاتِكُ جَلْدُ  
فَاشِيمٍ مِنْ ذِي الْهَبَةِ الصَّارِمِ الشَّبَا      وَلَا حُطَّ عَنْ ذِي الْمَيْعَةِ السَّابِحِ اللَّبْدُ

\* \*

وَفِي الْكِلَةِ الْحَمَزَاءُ وَسَطَ قِيَابِهِمْ      فَتَاءُ كَمَثَلِ الْبَذْرِ قَابِلُهُ السَّمْعُ

(١) الأسد : لغة في الأزد ، والأسد : الأسود ، يقول : نعم إن ليلى من قبيلة الأزد وهي طيبة تحبها الأسود وتذود عنها .

(٢) يقول إن غربها وبسدها بيان لأن وصلها - على القرب ، والبعد - بعيد النال ، وما أجل قول للمرى :

« فبادارها بالهيف ، إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال . »

(٣) الأبلق الفرد : حسن السوءل بن هاديأ بهاء أبوه . قالوا بل بهاء سليمان - عليه السلام - بأرض تيماء ، ونصده الزباء صبرت عنه وعن ملود ، فقالوا : « تمرد ملود ، وعز الأبلق » . وفي هذا الحسن يقول السوءل - من ملايمته الزائلة المشهورة :

« لنا جبل يحمله من نجبه منيع ، يرد الطرف وهو كليل

هو الأبلق الفرد القى شاع ذكره - يمز - على من رماه - ويطول . »

(٤) الحى القحاح : هم الذين لا يدينون للولوك ولا يؤدون لهم الاثاوة ، والجحاجة : جمع - جحجح ، وهو السيد السمح أو هو الكريم وهو وصف حسن بالرجال ، قال الشاعر : « يرض فطاره غلب جحاجة . » ويجمع أيضاً على جحاح ، قال ابن الأثيرى :

« ماذا يسدر القنصل من مرازة جحاح . »

صباية القوم وصوابهم : لبهم .



عَقِيلَةٌ مِرْبٍ لَا الْأَرَاكَ مَرَّادُهُ      وَلَا قَرْنٌ مِنْهُ الْبَرِيرُ وَلَا الْمَرْدُ (١)  
تَهَادَى فَيُضْنِيهَا الْوِشَاخُ غَرِيرَةٌ      تَأَوُّهُ مَهْمَا نَاسٌ (٢) فِي جِيدِهَا الْعِقْدُ  
إِذَا اسْتُخْفِظَتْ مِرَّ الشَّرَى جُنَحَ لَيْلِهَا      تَنَاسَى النُّمُومَانِ : الْأَلُوءَةُ ، وَالنَّدَى (٣)  
لَهَا عِدَّةٌ بِالْوَصْلِ ، يُوعَدُ فِيهَا      مَصَالِيْتُ يُنْسَى - فِي وَعِيدِهِمْ - الْوَعْدُ  
عَزِيزٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَمُودَ خِيَالُهَا      فَيُسْنِفُ مِنْهَا نَائِلٌ فِي الْكَرَى نَعْدُ (٤)  
كَتَبَ لَوَعَةً أَنْ الْوِصَالَ نَسِبَتُهُ      يُطِيلُ عَنَاءَ الْمُقْتَضَى وَالْهُوَى نَعْدُ (٥)  
سَبَّلِيْهَا عَنَّا الشَّمَالُ تَحِيَّةٌ      تَوَافِحُ أَنْفَاسِ الْجَنُوبِ لَهَا رَدُّ (٦)  
فَمَا نَسِيَ الْإِلْفُ الَّذِي كَانَ يَنْتَنَا      - لِطُولِ تَنَائِينَا - وَلَا ضِيْعُ الْعَهْدِ

\* \*

لَنْ قِيلَ : « فِي الْجِدِّ النَّجَاحُ لِطَالِبٍ »      لَقَلَّ عَنَاءُ الْجِدِّ مَا لَمْ يَكُنْ جَدُّ (٧)

(١) المراد : البعن من ثمر الأراك أو ضيقه . (٢) ناس : الغى . بنوس نوساً ونوساً تحرك وتذبذب واضطرب متديلاً ، وسى ذونواس - وهو من ملوك - الذين بذلك لقوا ابن كائنا تنوسان على ظهره .  
(٣) الألوة : عود هندي يتجر به ، وقال أعرابي : حبى من على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يدفن :

« أَلَا جَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَفَطٍ مِنَ الْأَلُوءَةِ أَحْوَى مِلْبَاساً ذَعْباً »

والند : ضرب من الطيب .  
(٤) نعد : قليل ، يقول وهم يستكثرون علينا أن يزورنا خيالها فيسمننا بالوصال في فترات الكرى المنقطعة القليلة . (٥) يقول : كفانا ألماً ألا تمن علينا بالوصال إلا وعوداً ، ووجه يعطينا اقتضاؤها وأداؤها في وواعيدها مع أننا نضعها الهوى عاجلاً غير متعجلين ولا مؤجلين .  
(٦) الشمال : ريح الشمال ، والجنوب : ريح الجنوب ، وفي الأصل نوافح ، والنوافح : السحب الكثيرة المطر ، ويقال نفح الندى القيس نى رقه ونفحت الريح أى جاءت بقوة ، والنوافح - جمع نالفة وهى النسيم .  
(٧) يقول ابن جرير في هذا المعنى :

« لَا يَنْفَعُ الْجِدَّ بِلَا جِدٍّ وَلَا يَعْذُكَ الْجِدُّ إِذَا الْجِدُّ عَلَا »

ويقول الشاعر :

« عَشَّ يَجِدُّ وَلَا يَضُرُّكَ نَوْكُ »

وقد أكثر الشعراء من الاستكلام في الجسود ، ومن أبدع ما قرأناه في ذلك قول ابن الرومي :

« إِنْ لَحِظَ حَكِيمِيَاءُ إِذَا مَا مِنْ كَلْبٍ أَلْهَ إِسْنَانًا »

يَنَالُ الْأَمَانِي بِالْحَظِيرَةِ وَادِعٌ كَمَا أَنَّهُ يُكَدِّي الذِّى شَأْنُهُ الْكَدُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

هُوَ الدَّهْرُ مَهْمَا أَحْسَنَ الْفِعْلَ مَرَّةً فَمَنْ خَطَا ، لَكِنْ إِسَاءَتُهُ تَعْدُ  
حِذَارَكَ أَنْ تَغْتَرَّ مِنْهُ بِجَانِبٍ فَنِي كُلِّ وَادٍ مِنْ نَوَائِيهِ « سَعْدُ »<sup>(٢)</sup>  
وَلَوْلَا السَّرَافَةُ الصَّيْدُ مِنْ آلِ « جَهْوَرِ » لَأَعُوَزَ مَنْ يُعْدِي عَلَيْهِ مَتَى يَعْدُو  
مُلُوكُ لَبِسْنَا الدَّهْرَ فِي جَنَابَتِهِمْ رَقِيقَ الْحَوَائِي مِثْلَ مَا قُوفَ الْبُرْدُ  
بِحَيْثُ مَقِيلُ الْأَمْنِ صَافٍ خِلَالَهُ وَفِي مَنَهْلِ الْعَيْشِ الْعَذُوبَةِ وَالْبُرْدُ  
هُمْ النَّفَرُ الْبَيْضُ الَّذِينَ وَجُوهُهُمْ تَرُوقُ فَتَسْتَشْفِي بِهَا الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ  
كَرَامٌ يَمُدُّ الرَّاعِيُونَ أَكْفَهُمْ إِلَى أَخْرِ مِنْهُمْ هَذَا بِاللَّهِ<sup>(٣)</sup> مَدُّ

وقول المتن :

« هو الجد حق تفضل العين أختها وحق يصير اليوم ليوم سيدا . »

وقول المعري :

« والجدي يدرك أنوما فيرفعهم وقد ينال إلى أن يبعد الجبرا »

وعرفت ذات أنواط قبائلها ولم تباين على ملاتهاد الشجرا .

وقد ذكرنا طرفا من أقوال الشعراء في هذا المعنى في رسالة الفخران « ج ٢ ص ٩٨ » فليرجع إليها من شاء .  
(١) الخطيرة : عى بها هنا الأموال المخطورة يقال : احتظر الرجل وخطر الخطيرة حبس فيها أمواله  
من ضيق ، ويقال للرجل الليل الحير « إنه لنكد الخطيرة » وسببت أمواله خطيرة لأنه خطرهما ومنهما  
عنده ، والوادع : الذى ينال حظا من العيش من غير كفاة ولا مشقة ، يقول : « كثيرا ما ينال الوادع الذى  
هو فى خفس ودعة من العيش أمانيه بأمواله المخطورة عنده كما أنه كثيرا ما ينجى ذو السى والكبد فلا  
يحصل من ثمة وكده على طائل » ، ولعل أبرع ما قرأناه في هذا المعنى قول ابن الرومى :

« إذا كان مجرى كوكب سمى حالة هلاها وإلا اعتاص ذلك مطلبها . »

وقول الآخر :

« سبحانه ربى يسلى ذا ويحرم ذا هذا يصيد ، وهذا يأكل السمكة . »

(٢) يقال « بكل واد سعد » أو « بكل واد هو سعد » يريدون بذلك أن فى كل جهة كفاها من السر  
والأذى . قالوا وأصل اللئى أن الأضيظ بن لريم بن هوف بن كعب بن - سعد بن زيد مائة - رأى من أهل وقومه  
أمورا كرمها ففارتهم : « لا فى القبائل فرأى من غيرهم مثل ما رأى منهم فقال : « فى كل أرض سعد بن زيد . »  
(٣) الأعطيات والمهبات .

فَلَا يُنْعِ مِنْهُمْ هَالِكٌ فَهَوْ خَالِدٌ      يَا تَارِيهَ ، إِنَّ الشَّاءَ هُوَ الْخَالِدُ  
« أَقِلُّوْا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لَا يَكِيْمُ      مِنْ اللُّوْمِ ، أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا »<sup>(١)</sup>  
أُولَئِكَ إِنْ نَمْنَا سَرَى فِي صَلَاحِنَا      سِحَاحٌ عَلَيْنَا كُحْلُ أَجْفَانِهِمْ سُهْدُ

\* \*

أَلَيْسَ « أَبُو الْحَزْمِ » الَّذِي غِيبَ سَعِيهِ      تَبَصَّرَ قَاوِينَا قَبَانَ لَهُ الرُّشْدُ  
أَعْرَى تَهْدَنَا بِهِ الْخَفْضَ <sup>(٢)</sup> بَعْدَ مَا      أَقْضَى عَلَيْنَا مَضْجَعٌ وَنَبَا مَهْدُ <sup>(٣)</sup>  
لَشَمَرَ حَتَّى انْجَابَ عَارِضُ فِتْنَةٍ      تَالَقَ مِنْهَا الْبَرْقُ وَأَصْطَلَحَ الرُّعْدُ  
فَسَالَمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ الْحَرْبُ عَادَةً      وَوَافَقَ مَنْ لَاشَكَ فِي أَنَّهُ ضِدُّ <sup>(٤)</sup>  
هُوَ الْاَثَرُ الْمَحْمُودُ إِنْ عَادَ ذِكْرُهُ      تَطَلَّعَتِ الْعَلَيَاءُ وَأَسْتَشْرَفَ الْمَجْدُ  
تَوَلَّى فَلَوْلَا أَنْ تَلَاهُ « مُحَمَّدٌ »      لَأَوْطَأَ خَدَّ الْحُرِّ أَفْخَمَهُ الْعَبْدُ <sup>(٥)</sup>

\* \*

مَلِيكَ يَسُوسُ الْمَلِكَ مِنْهُ مُقَلِّدٌ      رَوَى عَنْ أَبِيهِ فِيهِ مَا سَنَّهُ الْجَدُّ  
سَجِيَّتُهُ الْحُسْنَى ، وَشِيْمَتُهُ الرِّضَى ،      وَسِيرَتُهُ الْمُثَلَّى ، وَمَذْهَبُهُ الْقَصْدُ

(١) ورد هذا البيت في الأصل :

« ..... عليهم ، لا أبا لأبيكم من اللوم ، أوسدوا المكان الذي سدوا . »

وليس هذا البيت لابن زيدون بل هو أتياس ، وأصل البيت كما أتيته ، وهو من التقييده للشهورة التي يقول فيها الشاعر :

« ولمدلى أبناء سعد عليهم وماتت إلإباقي طلت سعد . »

(٢) الحفص : الفصح . (٣) يقول إنه بدلنا من خوف أمنا ومن سهاد رماذا .

(٤) يقول : وقد سألته أشد الأعداء ولوعا بالحرب ورواه من لاشك في حصوته ولعمدة بعد ما رأوا من شدة بأسه وقوته .

(٥) يقول : لولا أن محمدا قد جلب أبا الحزم لسامت العاقبة ولسادت دولة العبيد على دولة الأحرار فأولوم أدلا وداو خدودهم بأرحلهم .

مُحَامَّ إِذَا زَانَ النَّدَى بِجَبْوَةٍ      تَرْجِعَ فِي أُنْثَاهَا الْحَسْبُ الْمَدُّ  
 زَعِيمٌ لِأَبْنَاءِ السَّيَادَةِ بَارِعٌ      قَلْبُهُمْ بِهِ تُغْنَى الْخُنَاصِرُ إِنْ عُدُّوا  
 بَعِيدُ مَتَالِ الْحَالِ ، ذَانِي جَنَى النَّدَى      إِذَا ذُكِرَتْ أَخْلَاقُهُ خَجَلَ الْوَرْدُ  
 تَهْلَلُ فَأَنْهَلْتُ سَمَاءَ يَمِينِهِ      عَطَا يَأْتِرَى الْأَمَالُ مِنْ صَوْنِهِمَا - جَعْدُ (١)  
 مُحَرَّرٌ لِمَنْ عَادَاهُ إِذْ أَوْلِيَاؤُهُ      يَلِدُ لَهُمْ كَالْمَاءِ شَيْبَ بِهِ الشَّهْدُ  
 إِذَا اعْتَرَفَ الْجَانِي عَفَا عَفْوٌ قَادِرٌ      عَلَا قَدْرُهُ عَنْ أَنْ يُلَاحِظَ بِهِ حَقْدُ (٢)  
 وَمُسْتَعِدٌّ لَوْ زَا حَمَّ الطَّوْدَ حِلْمُهُ      لِحَاجَرُهُ رُكْنٌ مِنَ الطَّوْدِ مُنْهَدٌ  
 لَهُ عَزْمَةٌ مَطْوِيَّةٌ فِي سَكِينَةٍ      كَمَا لَأَنَّ مَتْنُ السِّيفِ وَأَخْشَوْشُنَ الْحَدِّ (٣)  
 يُوَكِّلُ بِالتَّدْبِيرِ خَاطِرَ فِكْرَةٍ      إِنْ اقْتَدَحَتْ فِي خَاطِرِ أَنْقَبِ الزُّنْدِ (٤)  
 ذِرَاعٌ - لِمَا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ - وَاسِعٌ      وَبَاعٌ - إِلَى مَا يُحَرِّزُ الْفَخْرَ - مُتَمَدُّ  
 إِذَا أَشْهَبَ الْمُنُونُ فِيهِ شَأْنُهُمْ (٥)      مَرَاتِبُ عَلِيَا كُلِّ عَنْ عَفْوِهَا الْجَهْدُ  
 هُوَ الْمَلِكُ الْمَشْفُوعُ بِالنَّسِكِ مَلِكُهُ      قَبَا فَضْلَ مَا يَحْتَقِ وَيَا سَرَوْ مَا يَبْذُو (٦)  
 إِلَى اللَّهِ أَوَّابٌ ، وَلِلَّهِ خَائِفٌ      وَإِلَيْهِ مُعْتَدٌ ، وَفِي اللَّهِ مُشْتَدُّ

(١) حمد : ندى .

(٢) قريب من هذا قول صخره :

« لَا يَحِلُّ الْمَقْدُ مِنْ تَلَوِّ بِهِ الرِّبِّ      وَلَا يَنَالُ الْعِلَامُ مِنْ طَعْمِ النُّبِّ . »

(٣) في هذا البيت يقول الشاعر :

« وَكَالَيْفَ - إِلَّا يَهْتَهُ - لَأَنْ حُدَّه      وَحُدَّاهُ - إِنْ غَاثَتْهُ - حَالُ . »

(٤) ألقب الزند : أوردى . (٥) شأنتهم : فأنتم ونصروا فيها عن الدايه .

(٦) يقول هو الملك الذي يجمع إلى سطوة الملك نفسك اوزعين فإا أبدل ما يجره في نفسه وما أبيل وأصرف ما يمله ، يعني أن سره وإعلانه غاية في النبل والفضل .

\* \*

لَقَدْ أَوْسَعَ الْإِسْلَامَ بِالْأَمْسِ حِسْبَةً      تَحْتَ غَرَضِ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ فَلَمْ تَعُدْ  
أَبَاحَ حِمَى الْخَمْرِ الْخَبِيثَةِ ، حَاطِطًا      حِمَى الدِّينِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ لَهُ حَدُّ  
فَطَوَّقَ بِأَسْتِصَالِهَا الْمِصْرَ مِنْهُ      يَكَادُ يُودَى شُكْرُهَا الْحَجْرُ الصَّلْدُ  
هِيَ الرَّجْسُ إِنْ يَذْهَبُ عَنْهُ فَحُسْنُ      شَهِيرُ الْأَيْدِي مَا لَا لَانِيَّ جَحْدُ  
مَظَانَّةُ آتَاكُمْ ، وَأُمُّ كِبَائِرِ      يُقْصَرُ عَنْ أَذَى مَعَايِبِهَا الْعَدُّ  
رَأَى تَقْصَ مَا يَجْبِيهِ مِنْهَا زِيَادَةً      إِذِ الْعِوَضُ الْمَرْضِيُّ إِلَّا يَرْخُ يَعْدُو

\* \*

نَمْنِي ، فَحَسَنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ مَالُهُ      عَزِيزٌ ، فَصُنْعُ اللَّهِ مِنْ حَوْلِهِ جُنْدُ  
نِعَمَ حَدِيثُ الْبِرِّ تُودِعُهُ الصَّبَا      تَبُثُّ نَفَاةٌ حَيْثُ لَا تُوضَعُ الْبُرْدُ (١)  
تَعْلَمُكَ فِي سَمْعِ الرَّبَابِ وَطَالَعَتِ      لَهُ صُورَةٌ لَمْ يَنْعَمْ - عَنْ حُسْنِهَا - الْخُلْدُ  
سَاعَ أَجَدَّتْ زِينَةَ الْأَرْضِ ، فَالْخُصَى      لَا إِلَهَ نَرُّ ، وَالنَّرَى عَنْبَرٌ وَرْدُ  
لَى زَهْرَاتِ الرُّوضِ - عَنْهَا - بِشَارَةٌ      وَفِي نَفَحَاتِ الْمِسْكِ - مِنْ طِيِبِهَا - وَفْدُ

\* \*

بَدَيْتُكَ ، إِنِّي قَائِلٌ فَمَرَّضُ      بِأَوْطَارِ نَفْسِي مِنْكَ لَمْ تَقْضِهَا بَعْدُ  
نَحَى كَالشَّجَادُونَ اللَّهَاهُ (٢) تَعَرَّضْتُ      فَلَمْ يَكُ الْمَصْدُورِ - مِنْ نَفْثِهَا - بُدُ

(١) يقول : لم حديث البر أودعته ربح الصبا لحظته وبكت خبره في الجهات النائية حيث لا توضع البرد  
ي حيث لا تندو خيل البريد إليها ولا تصلها الأخبار لبعدها ، وفي الأصل : « توضع »  
(٢) الهاء : الهمة المشرقة على الخلق ، أو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم ،  
وجمها لهوات ولهيات وهي . قال ابن دريد :

« والناس كالبيت » فنه رائق      غنى فخير هوده من الجسى  
ومنه ما تهتم العين ، قال      سفت جناح الساع عذبا في الهوى .

أَمِنَ غُفْلٌ خَامِلٌ أَلَذَّ كَرِي ضَيَّاعَ الْحُسَامِ الْعَضْبِ أَسْدَاهُ الْعِمْدُ  
أَبَى ذَاكَ أَنَّ أَلْذَهَرَ قَدْ ذَلَّ صَعْبُهُ فَسُئِيَ مِنْهُ - بِالَّذِي نَشْتَهِي - الْعَقْدُ (١)

\* \* \*

أَنَا السَّيْفُ لَا يَنْبُو مَعَ الْهَرِّ غَرْبُهُ إِذَا مَاتَنَا السَّيْفُ الَّذِي تَطْنَعُ الْهِنْدُ  
بَدَأَتْ بِنَعْمَى غَضَّةٍ إِنْ تَوَالَهَا فَحَسُنُ الْآلَى (٢) فِي أَنْ يُوَالِيَهَا سَرْدُ  
لَعْمُكَ مَا لِلدَّالِ أَسْنَى فَإِنَّمَا يَرَى الْمَالَ أَسْنَى حَظَّهُ الطَّبِيعُ الْوَعْدُ (٣)  
وَلَكِنْ لِحَالٍ - إِنْ لَبَسَتْ جَمَاهَا - كَسَوْتُكَ تَوْبَ النَّصْحِ أَعْلَامُهُ الْحَمْدُ

\* \* \*

أَتَتَكَ الْقَوَافِي شَاهِدَاتٍ بِمَا صَفَا مِنْ الْغَيْبِ فَأَقْبَنَاهَا فَا غَرَّكَ الشَّهْدُ  
لِيَحْظَى وَلِيَّ - سِرُّهُ وَفَقُّ جَهْرِهِ - فَظَاهِرُهُ شُكْرُهُ ، وَبَاطِنُهُ وَدُّهُ  
يُمَيِّزُهُ - بَيْنَ سِوَاهُ - وَفَاوُهُ وَإِخْلَاصُهُ ، إِذْ كُلُّ قَانِيَةٍ هِنْدُ (٤)

(١) سئى منه العقد ، أى تيسر الصعب وسهل . قال الشاعر :

« وأعلم علما ليس بالظن أنه إذا لُفَّ سئى فقد أمر تيسرا . »

(٢) الآلى : النعمة جمعا آلاء .

(٣) الطبع : يقال رجل طبع طبع ( بكسر ثانيا ) متدنى المرض ذو خلق ذنى لا يستحي من

سوءه ، والوعد : الخفيف الأحمق الضعيف العقل والبذل الذى الحيس التذل .

(٤) كل قانية هند : مثل يضرب هند تساوى القوم فى فساد الباطن .

## رثاء أم المعتضد

« قال يرثي السيدة الكبرى والدته . »

أَلَا هَلْ دَرَى الدَّاعِي المُنُوبُ - إِذْ دَعَا  
وَأَنَّ الشَّقَى قَدْ آذَنَّا بِفُرْقَةٍ  
لِرُزْنِكَ تَنْهَلُ الدُّمُوعُ ، فِثْلُهُ  
لَقَدْ أَجْهَشَ الإِخْلَاصُ بِالْأُمْسِ بِأَكِيَا  
بِعَيْنِكَ - أَنَّ الدِّينَ مِنْ بَعْضِ مَا نَعَى ؟  
وَأَنَّ الهُدَى قَدْ بَانَ مِنْكَ فَوَدَّعَا ؟  
- إِذَا حَلَّ - وَدَّ القَلْبُ لَوْ كَانَ مَذْمُومًا  
عَلَيْكَ ، كَمَا حَنَّ اليَقِينُ فَرَجَمَا

\* \*

وَدُنْيَا وَجَدْنَا المَبِشَ فِي غَمَلَاتِهَا  
نُعَلُّ فِيهَا بِالمَيِّ فَنُفَرِّقَا  
طَرِيقًا - إِلَى وَرْدِ المَنِيَّةِ - مَهْيَعًا <sup>(١)</sup>  
بَوَارِقُ لَيْسَ الآلُ مِنْهَا بِأَخْذَعَا <sup>(٢)</sup>

\* \*

أَصَبْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ هَضْبَ مَتَالِيعِ  
مَنَارٍ - مِنَ الإِيمَانِ - لَمْ يَعْدُ أَنْ هَوَى ،  
وَحَبَلٌ - مِنَ التَّقْوَى - وَهَى فَتَقَطَّعَا  
وَكَانَ لَهَا المِخْرَابُ فِي المَحْدَرِ مَطْلَعَا <sup>(٣)</sup>  
أَصِيبَ بِهِ لَأَنْتَهَدَّ أَوْ لَتَضْمَضَمَا

\* \*

لَنْ أَتُبِعْتَ مِنَّا غَمَامَةً وَرَحْمَةً  
لَقَدْ ظَلَمْتَ ذَلِكَ السَّرِيرَ المُرْفَعَا

(١) للمهين : الطريق الواسع الواضح اليه .

(٢) الآل : السراب ، يقول إن الأمان تمرنا وتخدعنا كما يخدع السراب . والله ذو مهيار إذ يقول :

« شد ملى غرورا غسه تاجر الآمال في أن يربحا . »

وقوله : « ربما يضر بالظن الكدوب . » ، وفي هذا المعنى يقول ابن نباتة السعدي :

« وأقسم ما الدنيا يدار إفاة ولا هي إلا مثل بسن للنازل

نسير إلى الآجال حوله وجأها ونطوى بها الأيام على الراحل . »

(٣) يقول : أنها شمس أضرقت في خدرها ثم غربت في قبرها .

سِرِّهِ بِأَمْلَاكِ وَزُهْرٍ مَلَاكِ  
لِتَبِكَ الْآيَاتِ وَالْيَتَامَى فَقِيْدَةً  
أَصْلَهُمْ فَقَدَانَهَا ، فَكَأَنَّمَا  
مُسَبَّحَةُ الْآثَاءِ ، قَاتِنَةُ الضُّحَى  
تَبَيْتُ مَعَ الْإِخْبَاتِ <sup>(١)</sup> مُسْتَرَّةَ الْحَشَا  
إِذَا مَا هِيَ اسْتَوَفَتْ مِنَ الْبِرِّ غَايَةَ  
كَأَنَّ قَضَاءَ الْوَأَجِبَاتِ مُخْرَجٌ  
أَصْرَفَ الرَّدَى الْوَأَنَّ لِلْسَيْفِ مَضْرِبًا  
فَلَوْ كُنْتُ - إِذْ سَارَت - رَامٌ مُجَاهِرٌ  
إِذَا لَتَنَاهُ الْجَيْشُ مِنْ كُلِّ أَلْسٍ <sup>(٢)</sup>  
« وَمُعْتَصِدٌ بِاللَّهِ » يَحْمِي ذِمَارَهُ  
وَلَكِنْ عَزَزَتِ الْمَلَكُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَى -  
إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ - رَاحَ مُشِيمًا  
هِيَ الْمُزْنَ أَحْيَا صَوْبُهُ ثُمَّ أَقْشَمًا  
أَصْلَتْ سَوَامَ الْوَحْشِ فِي الْجَذْبِ مَرْتَمًا  
ثَوَتْ فَتَوَى مَنَعَى التَّأْوُدِ بَلَقَمًا  
تَقِيَّةً مَنْ يَحْمِي إِلَى اللَّهِ مَرْجِمًا  
تَأْتَتْ لِأُخْرَى لَا تَرَى نَلَكَ مَقْنَمًا  
تَقَبَّلُهُ إِلَّا بِأَنْ تَتَطَوَّعًا <sup>(٣)</sup>  
لَمَّا رُعْنَا ، أَوْ أَنَّ فِي الْقَوْسِ مَنَزَا  
ذِمَارَ الْهَدَى كَانَ الْمَحْوَطَ الْمُنْعَا  
يُشَايِعُ قَلْبًا فِي الْحِفَاطِ مُشِيمًا  
فَلَا صِرْبَ يُلْفِي - فِي حِمَاهُ - مُرَوَّعًا  
فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِلْحَادِثِ الْحَنَمَ مَذْفَعًا <sup>(٤)</sup>

(١) الإخبات : القوى والخشوع والفتوت ، يقول : هي البقية الباقية من الفناء المالحات تبت من خفية الله مصلية داعية مسرة الحشا خوفاً من لقاء الله ، وفرداً من حول يوم المرحع واللقاء .

(٢) يقول : أنها لحرصها على التطايع وضم النوايل إلى الفرائض كأنها لتنفذ أن في أداء الفرائض وحدها غير مشفوعة بالذلوع حرجاً وإنما لا يحمل عباداً متعبة وعملها متاباً عليه إلا بأن تتطوع ، فهي لذلك تبت ليها قائمة متجدة .

(٣) الأليس : الشجاع الذي لا يبالى الحرب ولا يروعه القتال والجمع ليس ، قال الشاعر :

« نَحَالُ نَسِيهِمْ مَرْضَى حَيَاءٍ وَتَقَاهُمْ غَدَاةَ الرُّوحِ لَيْسَا »

(٤) هزرت : وطئت وزلت ، عن غير هدى وعلم وبلا تمييز ، وهو من قول الله عز وجل : « ولولا رجال مؤمنون - لساء مؤمنات لم تعلموهن أن يأتوهن تنصيبكم منهم مرة بغير علم » ، وقال عمر رضي الله عنه : « اللهم إني أعوذ بك من مرة الجلبش » براء رضي الله عنه من وطأة جيش المسلمين من مرداه به بلا تمييز بين مسلم ومعاهد وكافر وإصابتهم بإيهم في حرمهم وأموالهم وزروعهم بما لم يؤذن لهم فيه من قبل الشرع . يقول : لو كان صرف الدهر شخصاً يواجه مجاهرة لبر عن غرضه ولئله للمعتد الشجاع وجيشه اللائل ولكن صرف الدهر يأتي على غرة فلا يستدعي أحد أن يواجهه ويدبر عائته ، وقد در الثائل :



يَمِيزُ الْعِثَاقَ الْجُرَدَ أَلَا تَرَى لَهَا  
وَتَأْسَفُ بِيضُ الْهِنْدِ أَنْ لَيْسَ تُتَقْنَى،  
عَجَالًا ، فَتَمْنُو فِي الْمَرَايِطِ خُشْمًا  
وَتُنْمِرُ الْقَنَا أَلَا تُهَزُّ وَتُشْرَمَا

\* \*

لَنْ سَاءَ لَكَ الْدَهْرُ الْمُسِيءُ فَلَمْ يَكُنْ  
شَهِدًا : لَقَدْ طَرَزْتَ بُرْدَ بَجَالِهِ  
وَمَا قَعَرُهُ إِلَّا بِأَنْ كَانَ مُضْنِيًا  
أَتَى الْعَثْرَةَ الْمَظْمِي ، فَهَلْ أَنْتَ قَائِلٌ  
وَهَاهُوَ مُنْقَادٌ لِحُكْمِكَ ، فَأَحْكِمِ  
لَعَمْرُ اللَّهِ الَّتِي وَدَّعْتَ أَمْسٍ - مُفَارِقًا -  
تَمَتَّتْ وَفَاةٌ - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا  
فَوَّقَيْتَهَا مَا لَمْ يَدْعُ لِضَمِيرِهَا  
خَفَضَتْ جَنَاحَ الدَّلِّ فِي الْمِرِّ رَحْمَةً  
تَرْوُحُ أَمِيرًا فِي الْبِلَادِ عُمُكُمَا  
عَزَاهُ فَدَنَتْكَ النَّفْسُ ، عَزَمَ مُسْلِمٌ  
بِأَوَّلِ عَهْدٍ وَاجِبِ الْخِفَظِ ضَمِيمًا  
وَقَلَّدَتْهُ عِقْدَ الْبَهَاءِ مُرَصَّمًا  
لِأَمْرِكَ ، إِنْ نَادَيْتَ لَبِي فَأَمْرَمَا  
لَهُ حِينَ أَشْفَى مِنْ كَأَبِيهِ : «لَمَّا؟»<sup>(١)</sup>  
لِتَبْلُغَ مَا تَهْوَى ، وَرُمُّهُ لِيَصْدَقَا  
لَقَدْ وَرَدَتْ حَوْضَ السَّعَادَةِ مَشْرَمًا<sup>(٢)</sup>  
حَشَدَتْ لَهَا الْأَمَالَ : مَرَأَى ، وَسَمَمَا  
إِلَى غَايَةِ مَنْ بَعْدِهِ مُتَطَلَمًا  
لَهَا ، وَعَزِيزٌ أَنْ تَذِلَّ وَتُخَضَّمَا<sup>(٣)</sup>  
وَتَمْدُو شَقِيمًا فِي الذُّنُوبِ مُشَقَّمَا  
لِيَوْقِعَ أَمْرٌ لَمْ يَزَلْ مُتَوَقَّمَا

« اليوم يبقى لوديد بيته يارب وجه حسن رأيته

ومعهم - ذى برء - لويته لو كان الدهر على أجليته

أو كلال قرنى واحدا كفيته . »

(١) أشى : من تولهم أشسى على الهلاك وأشقى على اللوت إذا أشرف عليه ، والكأبة : الحزن ، ولما : كلمة تعال للماء وهي في الابدات دعاء له ، وإذا قيل : لا لاما للماء ، فبناه لا أقال الله عثرته ، يقول : لقد أساء إليك الدهر في هذا الخلل فهل أنت صافح منه ومقبله من عثرته .

(٢) للصرع : كالفرصة والفرصة للكدن الذى ينهدر منه الناس والذواب إلى الماء لوروده .

(٣) يشير إلى قوله تعالى في بر الوالدين :

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحهما كما ربياني صغيرا »

مَتَى ظَنَنْتِ الْيَوْمَ أَنَّكَ جَارِعٌ      أَوْ اسْتَشْمَرْتَ فِي قَلِّ صَبْرِكَ مَطْلَمًا  
فَمَا أَرْبَدَ وَجْهُ الْخَطْبِ إِلَّا لِقِيَّتُهُ      بِصَفْحَةٍ طَلَّقِ الْوَجْهَ أَبْلَجَ أَرْوَمَا  
وَمَا كُنْتَ أَهْلًا أَنْ يُصِيبَكَ حَدِثٌ      فَتُصْبِحَ عَنْهُ مُقْصَدَ الْقَلْبِ مُوجِمًا  
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْمَحْ مِنَ الدَّهْرِ جَانِبٌ      وَلَا أَهْتَزَّ أَغْطَافًا ، وَلَا لَانَ أَخْذَمًا  
فَأَنْتِ الَّذِي لَمْ يَنْتَقِمْ غِيبٌ قُدْرَةٍ      وَلَمْ يُؤْثِرِ الْمَعْرُوفَ إِلَّا لِبَشْفَمَا  
مَتَى تُسَدِّ نَعْمَى - قِيلَ أَنْعَمَ مِثْلُهَا -      يُقَلُّ جَلَلُ حَتَّى إِذَا قِيلَ أَبْدَمًا (١)  
وَإِنْ يَسِلِ الْمَافُورَ جَدْوَاكَ يُعْطِئُهُمْ      جَوَادُ إِذَا لَمْ يَسْأَلُوهُ تَبَرَّمَا  
وَيُغْرِى بِتَوْكِيدِ الْإِسَاءَةِ مُذْنِبٌ      فَيَلْفَاكَ بِالْإِحْسَانِ أَغْرَى وَأَوَامَا (٢)  
خَلَائِقُ مُمَهَّأَةُ الْفِرْنِدِ كَأَنَّهُمَا      حَدَائِقُ رَوْضِ الْحَزَنِ جِيدَ فَايْنَمَا  
تُنَافِحُهَا مِنْهَا أَحَادِيثُ سُودِدِ      تَحَاكُ قَتِيتَ السِّنِّ عَنْهَا تَضَوَّمَا  
تَغْلُغُلُ فِي الْآفَاقِ أَسْرَى مِنَ الْعَصَا      وَأَشْهَرَمِ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ وَأَسْرَمَا  
فَلَوْ صَرَفَتْ صَرْفَ الْمَنُونِ جَلَالَةً      لَكُنْتَ مُحْيَاً مِنْ تَوَدُّ مُمْتَمَا  
فَلَا زِلْتُ نَمْنُوعُ الْحِمَى مُسْتَعَفٍ الْمَنَى      إِذَا كَانَ شَايِكَ الْمَصَابِ الْمُفْجَمَا (٣)  
وَدُمْتُ مُلْقَى أَنْجُمِ السَّعْدِ بَاقِيَا      لِدَيْنٍ وَدُنْيَا أَنْتَ فَخْرُهُمَا مَمَا

(١) يقول كلما أسدبت جيلال الناس : كم لهذا الجبل من أشباه ونظائر فهو - على نظره - ناه عندهم لكثرة ما ألفوه من صنائك ، ولو أبدعت لم يسرع انظارهم إبداعك لطول ما ألفوا من روائك وبنائك .  
(٢) يقول : ان السبي يطعمه غفوك من زلته فهو إذا أولع بتوكيد إساءته وجدك أشد ولو كما بتوكيد إحسانك وغفوك عنه . (٣) يقول : لا زاله الزمن يمر من حاك ويسطك بأمايك على حين يصيب غفوك ويغجمه فيما يجب .

## قل للبغاة

« وما ل ذو الوزارين رحمه الله »

الَّذَهُرُ - إِنْ أُمِّلَى - فَصَبِيحُ أَنْجُمٍ      يُعْطَى أَعْتَابِي مَا جَهِلْتُ قَاعِلُ<sup>(١)</sup>  
 إِنْ الَّذِي قَدَرِ الْخَوَادِثَ قَدَرَهَا      سَاوَى لَدَيْهِ الشَّهْدَ مِنْهَا الْمَلَقَمُ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَلَا أَغْتَرَابُ يَنْقَضِي      كَدَرِ الْمَالِ وَلَا تَوَقُّ بِعَصْمُ  
 كَمْ قَاعِدٍ يَحْطِي فَتَعَجُّبُ حَالُهُ      مِنْ جَاهِدٍ يَصِلُ الدُّوْبَ فَيُخْرَمُ  
 وَأَرَى الْمَسَاعِي كَالسُّيُوفِ تَبَادَرَتْ      شَأْوَ الْمَضَاءِ فُنَنٍ وَمُصَمَّمُ  
 وَلَكُمْ تَسَاعَى بِالرَّفِيعِ نِصَابُهُ      خَطَرُهُ فَنَاصِبُهُ الْوَضِيعُ الْأَلَامُ<sup>(٣)</sup>  
 وَأَشَدُّ قَاجِمَةِ الدَّوَاهِي مُحْسِنٌ      يَسْمَى لِئُمْلِقَهُ الْجَرِيْعَةَ مُجْرِمُ<sup>(٤)</sup>  
 تَلْقَى الْحُسُودَ أَصَمٌّ عَنِ جَرَسِ الْوَفَا      وَلَقَدْ يُصْبِحُ - إِلَى الرِّقَاةِ - الْأَرْقَمُ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

قُلْ لِلْبَغَاةِ الْمُتَنَبِّضِينَ قِسِيَهُنَّ      سَرَّوْنَ مَنْ تُصْنِيهِ تِلْكَ الْأَسْهُمُ  
 أَمْرَزْتُمْ فَرَأَى نَجِيَّ عِيُوبِكُمْ      شَيْحَانُ مَذْلُولٌ عَلَيْهَا مُلْهُمُ

- (١) يقول إن الدهر إن أملى بلسان الحوادث النصيح الأعجم يكسب أعباري وقباصي الحوادث والمريضها بعض علم ما جهلت . (٢) إن الذي فاس الحوادث بمقياس صحيح استوى لديه حلو الحياه ومرها . (٣) وكثيرا ما ينسأى بالذي ارتفع منصبه خطره وشرهه فيناصه العداء . ويح لثم حسدا منه وسبا . (٤) وأشد ما يضرع الانسان من الدواهي محسن يسمى مجرم ليلصق به إساءة وحرمة . (٥) يصيح مضارع أصاح له استمع ، والرقاة جمع راق من الرقية وهي ما ينفث فيه من العوذ ، والأرقم ذكر الحيات وهو أغشها وأظلمها للناس ، أو هو ما به يبيض وسواد ، يقول : إن الحسود أصم عن سماع صوت الوفاء في حين أن الأرقم وهو أغش الحيات وأشدّها عدواة للناس يصيح بسدنه للراق الذي يجلو وينث في العوذ ، وفي الأصل « ولقد يصيح إلى الرقاة الأرقم » .

وَعَبَّائُمُ لِلْفَيْسِ ظُفْرَ سِمَايَةٍ      لَمْ يَعْذُكُمُ أَنْ رُدَّ وَهُوَ مُقْلَمٌ  
وَبَدَّيْتُمُ التَّقْوَى وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ      فَقَدْ بَايَضَكُمْ التِّيُّ الْأَكْرَمُ  
مَا كَانَ حِلْمٌ « مُحَمَّدٍ » لِيُحِيلَهُ      عَنْ عَهْدِهِ ذَقِلُ الضَّمِيرِ <sup>(١)</sup> مُدَمَّمٌ  
مَلِكٌ تَطْلَعُ لِلنَّوَاطِرِ غُرَّةٌ      زَهْرَاءُ يُبْدِيهَا الزَّمَانُ الْأَذْهَمُ  
يَقْشَى النَّوَاطِرَ مِنْ جَهْرِ رُؤَايِهِ      خَلَقَ - يُرَى مِلُّ الصَّدُورِ - مُطْلَمٌ <sup>(٢)</sup>  
وَسَنَا جَبِينٍ يَسْتَطِيرُ شُمَاعُهُ      يُقْشَى - عَنِ الْقَمَرَيْنِ - مَنْ يَتَوَسَّمُ <sup>(٣)</sup>  
صَلَتْ تَوَدُّ الشَّمْسُ لَوْ صِيغَتْ لَهُ      تَاجًا تُرْصَعُ جَانِبَيْهِ الْأَنْجُمُ <sup>(٤)</sup>  
فَصَحَّتْ عَاسِنُهُ الرِّيَاضُ بَكِي الْحَيَا      - وَهَنَا عَلَيْنَا - فَأَغْتَدَتْ تَبَسُّمٌ  
بِالْقَدْرِ يَبْعُدُ وَالتَّوَاضُّعُ يَدْنِ      وَالشَّرُّ يَشْمُسُ وَالنَّدَى يَنْتَعِمُ <sup>(٥)</sup>  
جَذْلَانُ - فِي يَوْمٍ الْوَغَى - مُتَطَلِّقٌ      وَجَهَا إِلَيْنَا وَالرَّدَى مُتَجَهِّمٌ <sup>(٦)</sup>  
بَأْسٌ - كَمَا صَالَ الْهَزْبُ بَرْ - إِزَاءَهُ      جُودٌ كَمَا جَاشَ الْخِصْمُ الْخِصْرُمُ <sup>(٧)</sup>

(١) بصيره حقد مكتم . (٢) الرواء : الحسن ، وخلق مطهم : تام بارع الجمال .

(٣) يستطير : ينتفر ، من القمرين : الشمس والقمر ، والذي أجاز اللبنة مع اختلاف لفظ للمرد السليب كما هو معروف في كتب النحو ، ويتوسم : ينظر إلى وسامة ذلك الجبين للفضاء وحسنه .

(٤) الصلت : صفة الجبين ومعناه الواضح البارز المستوى ، أي تود الشمس لو أنها صيغت تاجاً مرصعاً بآلات النجوم ، ووضع فوق جبين المدح : (٥) في الأصل :

« بالبرر يبعد والتواضع يدن » والبرر شمس والندى ينعيم .

والقى أثبتناه هنا هو ما عطيه للمصنف .

(٦) يقول : أنه يرى يوم الحرب جذلان فرحا طلق الوجهه بلشاً إلى الحرب والردى متجههم طاس

الوجه كره النظر ، وفي الأصل : « والروا متجههم »

(٧) البحر المقطع المطم العظيم .

نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي  
سَدَّدْتَ الْجَمِيعَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ مُنْكَرٌ  
لَا عَزْوٌ أَمْ الْمَجْدُ - فِي بَكْرِ الْحِجَا  
فَاحْصِمِ دَوَاعِيَ كُلِّ شَرٍّ دُونَهُ  
كَمْ سَقَطَ زِينِدٌ قَدْ نَمَّا حَتَّى غَدَا  
وَكَذَلِكَ السَّيْلُ الْجُحَافُ فَلَا نَمَّا  
وَالْمَالُ يُخْرِجُ أَهْلَهُ عَنْ حَدِّهِمْ  
وَأَذْكُرُ صَنِيعَ أَيْكَ أَوَّلَ أَمْرِهِ  
لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَنْ تَوَقَّعَ شَرَّهُ  
فَعَلَامَ تَنْكُلُ عَنْ صَنِيعِ مِثْلِهِ  
وَجَنَابُكَ الثَّبْتُ الَّذِي لَا يَنْتَنِي  
وَالْحَالُ أَوْسَعُ وَالْعَوَالِي جَمَّةٌ  
لَا تَتْرُكُنِ لِلنَّاسِ مَوْضِعَ شُبْهَةٍ  
قَدْ قَالَ شَاعِرٌ كِنْدَةَ فِيمَا مَضَى

كُلُّ الْمُلُوكِ لَهُ الْعَلَاءُ نُسَلَّمَ  
أَنْ صِرْتَ فَذَهُمُ الَّذِي لَا يُنَامُ (١)  
مِنْ أَنْ يُضَافَ إِلَيْكَ صِنُوءٌ - أَعْقَمُ (٢)  
فَالدَّاءُ يَسْرِي إِنْ عَدَا لَا يُحْسَمُ  
بُرْكَانَ نَارٍ كُلِّ شَيْءٍ تَحْطُمُ  
أَوَّلَهُ طَلٌّ ثُمَّ وَبَلٌ يَشْجُمُ (٣)  
وَأَفْهَمُ فَإِنَّكَ بِالْبَوَاطِينِ أَفْهَمُ  
فِي كُلِّ مَتَّهِمٍ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ  
فَصَفَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَلَدَّ الْمَطْعَمُ  
وَلَأَنْتَ أَمْضَى فِي الْخُطُوبِ وَأَشْهَمُ  
وَحُسَامُكَ الْمَضْبُ الَّذِي لَا يَكْهَمُ  
وَالْمَجْدُ أَشْمَخُ وَالصَّرِيْمَةُ أَضْرَمُ (٤)

وَأَحْزَمُ، فَإِنَّكَ فِي الْعَظَامِ أَحْزَمُ  
يَتَنَا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُنَلِّمُ :

(١) الذي لا يكون له توهم وظلم من الملوك .

(٢) لا غرو فان أم المجد عقيم في بكرها للوسوم بالمجبا والقتل قد بشت من أن تنيف إليه صنوا .

(٣) الجحاف : كغراب الذي يذهب بكل شيء .

(٤) الصريمة : العزيمة وأصرم أى أقطع ، وفي الأصل : « والصريمة منينم . »

«لَا يَسْنَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ»<sup>(١)</sup>



فَرَّقَ عَوْتَ، فَرَّزَتْ زَاوَةَ وَاجِرٍ	زَاعَ الْكُلَيْبَ بِهَا السَّبْتَى الضَّيْعُ <sup>(٢)</sup>
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودُ سَفِيهِمُ	أَمْ قَدْ سَمَاهُ النَّبْعُ ذَاكَ الْمَكْمُ؟
لِي مِنْكَ فَلْيَذِبِ الْحَسُودُ تَلْطِيبًا	لُطْفُ الْمَكَانَةِ وَالْمَحَلِّ الْأَكْرَمُ
وَشَقُوفُ حَظٍّ لَيْسَ يَفْتَأُ يُحْتَلَى	غَضَّ الشَّبَابِ وَكُلُّ حَظٍّ يَهْرَمُ
كَمْ تُلِفَ صَاحِبِي <sup>(٣)</sup> لَدَيْكَ مُضَاعَاةٌ	كَلَّا وَلَا خَفِيَ أَصْطِنَاعِي الْأَقْدَمُ
بَلْ أَوْسَعَتْ حِفْظًا وَصِدْقَ رِعَايَةٍ	ذِمَّتْ مُوْتَقَّةُ الرُّمَّا لَا تُفْصَمُ
فَلْيَغْرِقَنَّ الْأَرْضَ شُكْرٌ مُنْجِدٌ	مِنِّي تَنَاقُلُهُ الْمَحَافِلُ مُنْهِمٌ
عَطِرٌ - هُوَ الْمِنْكَ السُّطُوعُ - يَطِيبُ	فَمِ الْعُقُولِ أَرْيَجُهُ الْمُتَنَسِّمُ
وَإِذَا غُصُونُ الْمَكْرُمَاتِ تَهَدَّدَتْ	كَانَ الشَّاءُ هَدْيُهَا الْمُتَرَنِّمُ
الْفَخْرُ تَفَرُّ - عَنْ حِفَاظِكَ - بِاسِمُ	وَالْمَجْدُ بُرْزُ - مِنْ وَفَائِكَ - مُعْلَمُ
فَأَسْلَمَ مَدَى الدُّنْيَا فَأَنْتَ جَمَالُهَا	وَتَسْوَعُ النُّعْمَى فَإِنَّكَ مُنْهِمُ

(١) هذا البيت للطبي وقد انتسبه ابن زيدون في هذه القصيدة .

(٢) الضيعة والضيعة من أسماء الأسد .

(٣) صاحبة الرجل خامسة : الذين يمشون مجله .

## ذكرى قرطبة

سَقَى اللهُ أَطْلَاكَ الْأَحِبَّةَ بِالْحَمْنِ  
وَحَاكَ عَلَيْهَا تَوْبَ وَشِي مُنَمَّنَا  
وَأَطْلَعَ فِيهَا لِلْأَزَاهِيرِ أَنْجَمًا  
فَكَمْ رَفَلَتْ فِيهَا الْخَرَائِدُ كَالْدُمَى<sup>(١)</sup> إِذِ الْعَيْشُ غَضٌّ وَالزَّمَانُ غُلَامٌ

\* \*

أَهِيمُ بِجَبَّارٍ يَمِزُّ وَأَخْضَعُ<sup>(٢)</sup>  
شَدَا السِّنْكِ - مِنْ أُرْدَانِهِ - يَتَضَوُّعُ  
إِذَا جِئْتُ - أَشْكُوهُ الْجَوَى - أَيْسَ يَسْمَعُ  
فَأَنَا - فِي شَيْءٍ مِنَ الْوَصْلِ - أَطْمَعُ وَلَا أَنْ يَزُورَ الْمُقْلَتَيْنِ مَنَامُ

\* \*

قَضِيبٌ - مِنَ الرِّيحَانِ - أَثْمَرٌ بِالْبَذْرِ  
لَوَاحِظٌ عَيْنَيْهِ مُلْبِثٌ مِنَ السَّخْرِ  
وَدِيْبَاجٌ خَدَيْهِ حَكَى رَوْنَقَ الْخَمْرِ  
وَالْفَاظَةُ - فِي النُّطْقِ - كَاللَّوْلُو الثَّرِي وَرِيقَتُهُ - فِي الْإِرْتِسَافِ - مُدَامُ

(١) دمل : حر ذيله وتحت ، قال الشاعر : « يرمطن في سرق الحرير وقره » الخرائد - جمع خريدة - وهي المرأة الحية ، وهي أبدأ الأولوة التي لم تنجب ، هالوا : وكل عنواه خريدة ، والدمى - جمع دمية - وهي الصورة المنقشة الرينة فيها حمرة كالم ، وقيل : هي من الرحم ، وقيل : هي من الباج ، وهي تضرب مثلا في الحسن ، يقال « أحسن من العمية »

(٢) مال الشريف :

« لو حيث يستمع السرار وقتها . لعجبنا من عزة وخفاوى . »

سَقَى جَنَابَاتِ الْقَصْرِ صَوْبُ النَّمَامِ -  
وَعَفَى عَلَى الْأَعْصَانِ وَرَقُ الْحَمَامِ -  
« بِقُرْمُطَةٍ » الْفَرَاءُ دَارِ الْأَكَارِمِ -  
بِلَادَ بِهَا شَقَى الشَّبَابُ تَمَامِي <sup>(١)</sup> وَأُنَجِّبَنِي قَوْمٌ - هُنَاكَ - كِرَامُ

فَكَمَ لِي فِيهَا مِنْ مَسَاءٍ وَإِصْبَاحِ -  
يَكُلُّ غَزَالٌ مُشْرِقِ الْوَجْهِ وَصَنَاحِ -  
يُقَدِّمُ <sup>(٢)</sup> أَفْوَاهُ الْكُؤُوسِ بِتَفَاحِ -  
إِذَا طَلَمْتُ فِي رَاحِيهِ أَنْجُمُ الرَّاحِ - فَإِنَّا - لِإِعْظَامِ الْمَدَامِ - قِيَامُ

وَيَوْمَ لَتَى « النَّبَاتِي » فِي شَاطِئِ النَّهْرِ -  
تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي فِتْيَةِ زُهِرٍ <sup>(٣)</sup> -  
وَلَيْسَ لَنَا فَرْشٌ سِوَى يَانِعِ الزُّهْرِ -  
يَذُورُ بِهَا عَذْبُ اللَّمَّا أَهْيَفُ الْخَصْرِ -  
بِفِيهِ - مِنَ الْخَرِّ الشَّيْبِ - نِظَامُ <sup>(٤)</sup>

(١) النَّمَامُ - جمع نَمِيَّة - وهي حوذة تعلق على الأضغال بحافة العين ، ومنه قول النابغة : « من علق نَمِيَّةً فَلَا أُنْمِ اللَّهُ لَهُ » وقول الشاعر :

« وَإِذَا اللَّيْثُ أَتَيْتُ أَطْفَارَهَا أَلْبَيْتُ كُلَّ نَمِيَّةٍ لَا تَفْعُ . »

(٢) قَدَّمَ فَمِ الْآيَةِ وَأَقْدَمَهَا جَعَلَ عَلَيْهَا الْقَدَامَ أَيْ الْغَطَاءَ .

(٣) زُهِرٌ : مَشْرِقُ الْوُجُوهِ ، وَفَرِيقٌ مِنْ هَذَا - فِي بَابِ الْحَرْكَاتِ - قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

« وَدَارُ نَدَايِ عَطْلُوها وَأَدْبَلُوها بِهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جِيٌّ وَدَارَسُ

مَسَاحٍ مِنْ حَرِّ الزَّفَاقِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْغَنَاتُ رِيحَانٍ حَتَّى وَيَاسُ

حَبَسَتْ بِهَا صَهْبِي جَدَّدَتْ مَهْمَمِي وَإِنِّي عَلَى أَمْتَالِ تَلَكَّ لِحَابِسِ

- بِمَشْرِقِ سَابِطٍ - الْهَيَاكِلِ الْيَاسِ

أَقْبَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَمَا لَنَا وَتَدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَصْفِيَّةٍ

حَتَّى بِأَنْوَاعِ التَّصَايِيرِ فَارَسَ قَرَارَتِهَا كَسْرَى وَفِي جَنَابَتِهَا

فَلَاخِرُهَا زَرَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَالْمَاءُ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْفُلَانِسُ

فَلَاخِرُهَا زَرَّتْ عَلَيْهِ جِيُوبُهَا وَالْمَاءُ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْفُلَانِسُ

(٤) الشَّيْبُ - مِنَ الشَّبَبِ - وَهُوَ رِقَّةٌ أَوْ هُوَ عَذُوبَةٌ فِي الْأَسْنَانِ ، وَقَبْلَ غَطِّ يَشِ فِيهَا .



وَيَوْمَ « بِحُوفِ الرِّصَافَةِ » مُبْهِجٍ  
مَرَزَنَا بِرَوْضِ الْأَقْحُوَانِ الْمُدْبِجِ  
وَقَابَلْنَا فِيهِ نَسِيمُ الْبَنْفَسِجِ  
وَلَا حَ لَنَا وَرَدٌ<sup>(١)</sup> كَعَدِ مُضْرَجِ نَرَاهُ أَمَامَ النُّورِ وَهُوَ إِمَامٌ

وَأَكْرَمُ أَيَّامِ « الْعُقَابِ » السَّوَالِفِ<sup>(٢)</sup>  
وَلَهُوَ أَثَرُ نَاهِ تِلْكَ الْمَاعِطِ  
بِسُودِ أَثِيثِ الشَّعْرِ بِيضِ السَّوَالِفِ  
إِذَا رَفَلُوا فِي وَشِي تِلْكَ الْمَطَارِفِ<sup>(٣)</sup> فَلَيْسَ - عَلَى خَلْعِ الْمِذَازِ - مَلَامٌ

وَكَمْ مَشْهَدٍ عِنْدَ « الْعَقِيقِ » وَجِئِرِهِ  
قَعْدَنَا عَلَى حُمْرِ النَّبَاتِ وَصُفْرِهِ  
وَوَلَّيْنِي يُسْقِنَانَا سُلَافَةَ خَمْرِهِ  
حَكِي جَسَدِي فِي السَّقَمِ - رِقَّةُ خَضْرِهِ لَوَاحِظُهُ - عِنْدَ الرُّثُوثِ - مِيَاهُ

فَقُلْ لِرِزْمَايَ قَدْ تَوَلَّى نَعِيمُهُ  
وَرَثْتُ - عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي - رُسُومُهُ  
وَكَمْ رَقٍّ فِيهِ - بِالْعَشِيِّ - نَسِيمُهُ  
وَلَا حَتَّ لِسَارِي اللَّيْلِ فِيهِ نُجُومُهُ : « عَلَيْكَ مِنَ الصَّبِّ الْمَشُوقِ سَلَامٌ »

(١) في الأصل : « نَجْد »

(٢) السَّوَالِفُ - جمع سَالَفَةٍ - وهي صفحة المنق ، وقيل : ناحية مقدمها من لدن مقام القِرط إلى الترتوة . وقد تقدم في ص ( ٥٤ ) وما يليها شرح أمكنة ومعايد بقرطبة منها ( جوف الرصافة ) و ( العقاب ) فأرجع إليها إن شئت . (٣) المطارف - جمع مطرف - وهو رداء من خز مريح ذو أعلام .



وَمَا سَاءَ ظَنِّي فِي أَنْ يُسَيِّءَ      فِي الْفِعْلِ حُسْنُكَ حَتَّى فَعَلَ  
عَلَى حِينٍ أَصْبَحْتَ حَسْبَ الضَّمِيرِ      وَلَمْ تَبْغِ مِنْكَ الْأَمَانِي بَدَلْ  
وَصَانَكَ مِنِّي وَفِيَّ أَبِي      لِمَلَقِ الْمَلَاقَةِ أَنْ يُتَذَلَّ

\* \*

سَعَيْتَ لِتَكْذِيرِ عَهْدٍ صَفَا ،      وَحَاوَلْتَ تَقْصَ وَدَادٍ كَمَلْ  
فَاعُوَيْتَ مِقَّتِي <sup>(١)</sup> مِنْ أَدَى      وَلَا أُعْفِيتَ ثِقَتِي مِنْ خَجَلْ  
وَمَهْمَا هَزَزْتُ إِلَيْكَ الدِّمَا      بَ ظَاهَرَتْ بَيْنَ ضَرْوَبِ الْعِلَلْ  
كَأَنَّكَ نَازَرْتَ أَهْلَ الْكَلَامِ      وَأَوْتَيْتَ فُهْمًا يَعْلَمُ الْجَدَلْ  
وَلَوْ شِئْتَ رَاجَعْتَ حُرَّ الْفَعَالِ      وَعُدْتَ لِتِلْكَ السَّجَايَا الْأَوَّلْ  
فَلَمْ يَكْ حَظِّي مِنْكَ الْأَخْسَ      وَلَا عُدَّ سَهْمِي فِيكَ الْأَقْلْ

\* \*

عَلَيْكَ السَّلَامُ سَلَامَ الْوَدَاعِ      وَدَاعَ هَوَى مَاتَ قَبْلَ الْأَجَلْ  
وَمَا بِاخْتِيَارٍ تَسَلَّيْتُ عَنْكَ ،      وَلَكِنِّي : مُكْرَهُ لَا بَطْلَ <sup>(٢)</sup>  
وَلَمْ يَذَرِ قَلْبِي كَيْفَ التَّزْوِجِ      إِلَى أَنْ رَأَى سِيرَةً فَامْتَثَلَ  
وَلَيْتَ الَّذِي قَادَ عَفْوًا إِلَيْكَ      أَبِي الْهَوَى فِي عَنَانِ الْغَزَلْ  
يُجِيلُ عُدُوبَةَ ذَاكَ الْمَأَا      وَيَشْنِي مِنَ السُّقْمِ تِلْكَ الْمُقْلْ

(١) مَقَّتِي : حَقِي .

(٢) يقول : اخذ مرغم على السلو وليس لي فيه اختيار وفي اللذل « مكروه أخوك لا بطل » يضرب لمن يهدل على ما ليس من شأنه ، ولا هو داخل في حدود استطاعته .

## في مدح المعتضد

« وقال أيضا مدح المعتضد بالله المنصور بفضل

الله أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد . »

لِلْحُبِّ - فِي تِلْكَ الْقِيَابِ - مَرَادُ<sup>(١)</sup>      لَوْ سَاعَفَ الْكَلِيفَ الْمَشُوقَ مَرَادُ  
لَيَغُرُّ هَوَاكَ فَقَدْ أَجَدَّ حِمَايَةَ      لِفَتَاةٍ نَجْدٍ فَنِيَّةٍ أَنْجَادُ<sup>(٢)</sup>  
كَمْ ذَا النَّجْدُ ؟ أَلَنْ يُسَاعِفَكَ الْهَوَى      بِالْوَصْلِ إِلَّا أَنْ يَطُولَ نَجَادُ<sup>(٣)</sup>  
أَعْقِيلَةَ السَّرْبِ ! الْمُبْحُحُ لِيُورِدَهَا      صَفْوُ الْهَوَى إِذْ حُلِيَ الْوَرَادُ<sup>(٤)</sup>  
مَا لِلْمَصَايِدِ لَمْ تَنْلِكَ بِحِمْلَةٍ ؟      إِنَّ الظَّبَاءَ لَتُدْرَى<sup>(٥)</sup> فَتَصَادُ  
إِنْ يَبْدُو عَنْ سِمَرَاتٍ جِزْعًا سَامِرُ      فِي كُلِّ مَطْلَعٍ لَهُمْ إِزْعَادُ<sup>(٦)</sup>

(١) مكان ارتياد . (٢) ليغر : ليندر إلى الوراء ، والابحاد : جمع بحيد وهو الشجاع ذو النجدة والبأس . (٣) يقول : ما هذا التعلد والصبر ، إنه إن يسهلك الهوى بالوصل ما لم تكن شجاعا طويلا لنجد بحيث يابك الأعداء ، وتستطيع زيارة هذه الحبيبة في حى يومها رغم رثيم ووعيدهم . (٤) العقيلة : الكريمة من النساء المقدرة ، وحلى الوراد : منعوا من ورود الهوى صفوا ، أى بالعقيلة بين سرب من النساء مباح لها ورد الهوى صافيا ممنوع غيرها من ورده ، وجواب الداء في البيت بعده . (٥) المصيد : بلاهز جمع مصيده كعيشة وعطاش ، وتدري : تعتل من ادري الصائد الصيد إذا خله واحتال له ليصيده ، قال الشاعر :

« وماذا يدري الشراء منى وقد جاوزت حد الأربيب . »

وقال أبو نواس في وصف كأس :

« فرارثها « كسرى » وفي جنباتها مها تدويرها - بالقى - الفوارس . »

(٦) سمرة : جمع سرة ( يفتح فضم ) ضرب من الشعر . قال امرؤ القيس :

« كائن غداة البين - يوم ترحلوا - لدى سمرة الحى نافع حنظل . »

وجزعه : أراد به جزع الوادى أى متقطعه الذى يقطعه عرضا إذا أراد زيارتها ، والسامر : مجلس السر يقول : إن يمدنى ويمتنى عن سمرة جزع واديك سمار من قومك لم فى كل ثنية وطلع إرداد وإبراق ووجر وتخوف ، وجواب الفرط فى البيت بعده .

فَبِمَا تَرَفَّقَ لِمُتِمِّ يَنْهَهَا      غَلَّلَ شَقَى حَرَّ الْغَلِيلِ بُرَادُ (١)  
 أَنَا حِينَ أَطْرُقُ لِنَسْ يَفْتَأُ طَارِقُ      شَوْقُ كَمَا طَرَقَ السَّلِيمِ عِدَادُ (٢)  
 يَنْهَى جَفَاؤُكَ عَنْ زِيَارَتِي الْكَرَى      كَيْلًا يَزُورَ خِيَالُكَ الْمُعْتَادُ  
 لَا تَقْطَعِي صِلَةَ الْخِيَالِ تَجَنُّبًا      إِذْ فِيهِ مِنْ عَوَزِ الْوِصَالِ سِدَادُ (٣)  
 مَا ضَرَّ أَنَّكَ بِالسَّلَامِ ضَمِينَةٌ      أَيَّامَ طَيْفِكَ بِالْمِنَاقِ جَوَادُ  
 هَلَّا حَمَلْتَ الشَّقَمَ عَنْ جِسْمٍ لَهُ      فِي كَيْلَةٍ زُرْتُ عَلَيْكَ فُؤَادُ  
 أَوْعَدْتِ مِنْ سَقَمِ الْهُوسَى، إِنْ الْهُوسَى      بِمَا يُطِيلُ ضَنْيَ الْفَقَى فَيَحَادُ  
 إِيهَا ! قُلُوبًا أَنْ أُرْوَعَكَ بِالْشَرَى      لَدَنَا وَسَادُ أَوْ لَطَالِ سِوَادُ (٤)

(١) ترفق : تحرك وجاء وذهب كما يرى في ترفق السراب والماء ومرند السيف ، والمدير في « ينها » حائد على السمات ، والملل : الماء الذي يخال بين الشجر ، والعليل : العطش ، والبراد : البارد ، يقول : إن معنى قومك من الوصول إليك فبمسيل الوادي القوي يخال ماؤه بين سمات الحى ما يشقى غليل ويرد غلى ، يريد أن الوصول إلى هذا المكان يضى حرارة الشوق عنده ، وقد ورد هذا البيت والذي قبله في الأصل على هذه الصورة :

« إن يمدن ثمرات جردك ساسر في كل مطلع لهم لإرهاد

فيها ترفق للمتمم بينها غلل لى جر الليل براد . »

(٢) السليم : المددوغ ، وعداد السليم : احتياج الوجع عنده ، وذلك إذا تمت له سنة من يوم بلغ حاج به الألم ، أو عداؤه أن تمد له سبعة أيام فإن مدت رجوا له البرء ، يقول : أنا حين أطرق برأسى مفكرا يطرقي من ألم الشوق ما يطرقت الدبع حاج به الألم المعاد .

(٣) سداد : بالكر هو كل شيء سددت به خلا ، ومنه سداد الفارورة وهو صمامها الذي يمد به رأسها ، ويقال : سداد من هوز وسداد من عيش وهو مائسد به الحاجة .

(٤) الوساد : الخدة والساد : السرار مصدر سادها مسادة وسواد أى سادها مسارة وسرارا فأدنى سواده من سوادها ، وقيل لابنة الحس : « لم زيت وأنت سبعة قومك » ؟ قالت : « قرب الوساد ، وطول السواد . » وأرادت بطول السواد كثرة المسارة عند النوم لأن المسارة يلزمها قرب السواد من السواد أى ذو شخصها من شخصه ، وهو مثل يضرب للأسرى يلقى صاحبه فيها يكره .

لَفَشَيْتُ سَجْفَكَ فِي مَلَأَةٍ تَنْزَةٍ      فَضُلِّ سِرْوَى أَنْ الْمِطَافَ نِجَادُ (١)  
لِأَمِيلٍ فِي سُكْرِ اللَّامِ قَيِّبَتْ لِي      - بِمَا حَوَى ذَاكَ السَّوَارُ - وَسَادُ  
فَعِدَى الْمُنَى، فَوَعِيدُ قَوْمِكَ لَمْ يَكُنْ      لِيَتَوَقَّ عَنْ أَنْ يُقْتَضَى الْمِعَادُ

\* \*

أَصْبُو إِلَى وَرْدِ الْخُدُودِ إِذَا عَدَتْ      جُرْدُ - تُبْلَغُنِي جَنَاهُ - وَرَادُ  
وَأَزَاحُ لِلْعَطِيرِ السَّقْلُوحِ أَرْيَحُهُ      إِنَّ شَيْبَ بِالْجَسَدِ الْعَطِيرِ جَسَادُ (٢)  
عَزَمُ إِذَا قَصَدَ الْحِمَى لَمْ يَذْنِبْ      أَنْ الْفَنَاءَ - مِنْ دُونِهَا - أَفْصَادُ (٣)  
مَنْ كَانَ يَجْهَلُ مَا الْبَلِيدُ، فَإِنَّهُ      مِنْ تَطْيِيهِ - عَنِ الْخَطُوطِ - يَلَادُ (٤)  
وَفَى الشَّهَامَةِ مَنْ - إِذَا أَمَلَ سَمَا -      نَفَذَتْ بِهِ سُورَى أَوْ اسْتَبْدَادُ (٥)

\* \*

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الْأَجْبَةِ إِذَا بَتَ      ذِكْرَاهُمْ أَنْ يَطْمَنَ مِهَادُ  
لَا يَأْسَ، رُبُّ دُنُو دَارٍ جَاهِجَ      لِلشَّمْلِ قَدْ أَدَّى إِلَيْهِ بِمَادُ (٦)

(١) السجف: الستر، قالوا: أو هو استرنا للقرونان بينهما فرجة، أو هو كل باب ستر يستترن مقروين، فكل شق سيف وسجاف، ويقال: اسجف الستر أي أرسله، والملاءة: الربطة، والنثرة: الدرع السلة لللبس أو الواسعة، والغزل - كالفضة - : الثياب التي تنبذل للنوم، وثوب فضل أي واحد أو هو أن يخالف بين طرفيه فيجعلهما على طاقه ويوشح به، والنجاد: حائل السيف وضعا على طاقه فكانت بدل العطف، يقول: لفشيت سجفك، ودخلت عليك سترك في درع واسعة كالملاءة، فضل أي خالفت بين طرفيها فجعلتهما على طاقتي - من توشحت بها، أو فضل أي واحدة ليس على غيرها سوى ما وضعته على طاقتي كالعطف من نجاد السيف أي حائه.

(٢) الجسد: الثوب المصبوغ بالزعفران أو الصفر، والجساد: الزعفران، قالوا: «والجسد والجساد: الزعفران» ويقال: أجسد ثوب فلان لاجساداً فهو مجسد. يقول: إني أرتاح وأطمع بعذرِكَ الساطع إذا امتزج طيب الزعفران بشوك الأحمر المصبوغ بالزعفران أو الأصفر المصبوغ بالصفر.

(٣) أفضاد: يقال تقصدت الرماح تكسرت ورمح أفضاد متكرر، ورمح أفضاد متكررة يوصف به الواحد والجمع، يقول: إذا اعتزمت زيارتها، وقصدت حياها لم يصرقني من هزبي أن الرماح تكسر دون الوصول إليها، وفي الأصل: «التي» (٤) أطباه: ازدعاه، وشأه: وأعجبه.

(٥) وفي الأصل: «نقدت به سورى أو استبداد»

(٦) وفي الأصل: «لا يأس»

إِنَّ أَغْتَرِبَ فَوَاقِعَ السَّكْرَمِ - الَّذِي فِي الْغَرْبِ شَمْتُ بُرُوقَهُ - أَرْتَادُ  
 أَوْ أَنَا - عَنْ صَيْدِ الْمُلُوكِ بِجَانِبِي - فَهُمْ الْعَبِيدُ مَلِكُهُمْ « عِبَادُ » (١)  
 الْمَجْدُ عُدْرٌ فِي الْفِرَاقِ لِمَنْ تَأَى - لِرَى الْمَصَانِعِ مِنْهُ كَيْفَ تُشَادُ (٢)  
 يَا هَلْ أَتَى مَنْ ظَنَّ بِي - فَظَنُونَهُ - شَيْءٌ تَرَجَّحَ بَيْنَهَا الْأَضْدَادُ -  
 أَنِّي رَأَيْتُ « الْمُنْذِرِينَ » كَلَيْهِمَا - فِي كَوْنٍ مُلْكٍ لَمْ يُحِلَّهُ فَسَادُ  
 وَبَهْرَتُ الْبَارِزِينَ إِرْثٌ « مُحَرَّقٌ » (٣) - لَمْ تَخْلُقَا - إِذْ تَخْلُقُ الْأَبْرَادُ

(١) وفي الأصل :

« أَوْ أَنَا مِنْ صَيْدِ الْمُلُوكِ بِجَانِبِي فَهُمْ الْعَبِيدُ مَلِكُهُمْ عِبَادُ . »

(٢) وفي الأصل : « الْمَجْدُ عُدْرٌ فِي الْفِرَاقِ لِمَنْ تَأَى »

(٣) محرق

هو - كما في شرح العميون - « عمرو بن المنذر بن ماء السماء » وهو « عمرو بن هند » وكان يعرف بأمة هند بنت الحرث بن حجر آكل الرار السكدي ، وكان يقال لعمروء ضرب الحجازة لشدة بأسه ، وسعى عمروا لفصة استوفى أبو العرج شرحها في كتاب الأغانى ، فقال : كن قد عاتد حياطي على ألا ينازحوا ، ولا يفاخروا ، ولا يفرأ ، ثم أنه غرا اليمامة ورجع مبتطاً ومربطاً ، فقال له زرارة بن عدس القيسي ، وكان من خواصه أبيات اللعن أصب من هذا الحى شيئاً ، فقال ويك إن لهم عقداً . قال وإن كان لهم ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأدوا ، فقال في ذلك قيس بن وجرة الطائي :

« أراك ابن هند لم تفك أمانة وما المرء إلا عهد ومواقفه »

ما فستجهدى بالأباطع منى وما خب في بطائن درادنه

لئن لم تغير بعض ما قد فعلته لاتنحى لعظم ذوات فارقه . »

سمى فارما بهذا البيت وبلغ الشعر عمرو بن هند ، فقال له زرارة بن عدس أبيات اللعن أيتوهك ؟ فقال عمرو لربية بن شمار الطائي أهبجوني ابن عمك وجوهدي . قال لا والله ما هبجك ، ولكنه قال :

« والله لو كان ابن جنة جاركم ما إن كساكم منية وهوانا . »

وأراد رمية أن يسلم سميته ، فقال والله لأفعلنه ، فبلغ ذلك فارما ، فقال لمشدأ :

« أيوهدي والرمل بيني وبينه بين رويداً ما أمانة من هند »

فصرت بهد كنت أنت أخذتنا عليه وعر الشيبة الدر بالهد

وقد يترك الدر القى وطعاه إذا هو أسمى جله من دم الفصد . »

فبلغ عمرو بن هند قوله فخر طاعياً فأسرا سرى من بني عدي بن أحزم رط حاتم ، فوفد حاتم عليه وسأله في الأسرى فأطلقهم له ، وكان للمنذر بن ماء السماء أبو عمرو قد وضع ابناً له صغيراً يقال له مالك هند زرارة

ابن حدس ، وأن مالكاً خرج وما يصيد فأخفق ولم يجد شيئاً ، فرجع فرأى بل لرحل من بني عبد الله بن دارم يقال له سويد ، وكان هند سويد ابنة زرار ، فولت له سبعة غلّة ، فأمر مالك بن المنذر بثاقفة سينة منها فنحرها ، ثم اشتوى وسويد قائم ، فلما انقبه شدّ على مالك بمدا فضربه فأتمته ، فأت وخرج سويد هارباً حتى لحى بمكة ، وكانت طلى تطلب عزة بن زرار ، وبني أبيه حتى بلنهم ما صنعوا بأخي الملك ، فقال ثعلبة بن عمرو الطائي :

« من مبلغ عمرو بأن للز لم يخلق صبارهُ  
وحسودن الأيام لا تقى لها إلا المجارهُ  
أن ابن عمرو أمته بالسفح أسفل من أوارهُ  
تقى الرياح خلا كشحهِ وقد سلوا أوارهُ  
فاقتل زراراً لا أرى في القوم أوفى من زرارهُ »

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى وفانت عيناه ، وبلغ الخبر زراراً فهرب وركب عمرو في طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ أسراؤه وحى حيلي ، فقال أذكر في بطنتك أم أئني ؟ فالت لا علم لي بذلك بقدر بطنها ، فقال قوم زراراً لرارة والله ما تلب أحاً الملك فأنه فأصدته الخبر ، فأتاه ففصل إليه ، فقال على سويد ، فقال إنه لحق بمكة ، قال مدلى بينيه ، فأتاه بينيه السبعة وأمرهم بت زراراً غلّة بعضهم دوى بعض ، فأمر يقتلهم ، فضاولوا أحدهم فضرّبوا عنقه وقمل زراراً الآخرين ، فقال زراراً : يا حفي ، ذهبت مثلاً وقتلوا وآلى عمرو بن هند آية لبحرته من بي حنظلة مائة رجل ، خرج يريدكم ، وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائي فوجد النوم قد أخذوا فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلاً بأحية البحرين لحبهم ولحقه ابن هند فضربت قته وأسراهم بأحدود ثم أضرم فيه ناراً ، فلما احتدم وتلظت قدف بهم فيه فاحرقوا فأقبلوا ركب من البراجم وهم بطن من بي حنظلة لا يدري بقى مما كان يصنع بيده فأحد وأتى في النار وأمام عمرو بن هند لابري أحداً ، فقتل له لو تعقت بأسراة منهم قد أحرقت تسعة وتسعين رجلاً ، فدها أسراة من بني حنظلة ، فقال لها من أنت ؟ فالت الحراء بنت سمرة ، فقال إني لأطلك أعجوبة ؟ فالت : ما أنا بأعجوبة ولا ولدتني المعجم :

« إني لبنت صبرة بن جابر ساداً معداً كابرأه كابر »

قال عمرو : أما والله لولا مخافتي أن تلد مثلك لصرفتك عن النار ، فالت : « أما والذي أسأله أن يضع وسادك ويغصص حمادك ، ما تقتل إلا نساء أعاليها ندى » ، وأسألهما دى . « مال أقتنوها في النار فالتت وقالت : ألا فنى يكون مكان مجوز ، فلما أبطلوا عليها قالت : هيات صار القيان حمداً وسى من ذلك اليوم عرفاً ، ومن ملوك جفنة أيضاً المحرق لكنه غير صاحب البردين - فأما أمر البردين لحكى أن الونود اجتمعت هند محرق فأخرج بردين من لباسه يلو الونود وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذها ، فقام طاسر بن أحيير فأخذها فأثّر بالواحد وارتنى بالآخر ، فقال له أنت أعز العرب قبيلة ؟ قال المزكبة في مدد والمدد في مدد ، ثم في زرار ، ثم في مصر ، ثم في خندف ، ثم في تميم ، ثم في سعد ، ثم في كعب ، ثم في بهدلة فبن أنكر هذا فليتنا فرنى فسكت الناس ، فقال حسنه عشيتك كما ترعم فكيف أنت في نفسك وأذل بيتك ؟ قال أما أبو عفرة ، وأخو عفرة ، وهم عفرة ، وخا عفرة ، وما أنا في نفسى وشاهد الز شاهدى ، ثم وضع قدمه على الأرض وقال من أزالها من مكانها فله عفرة من الابل فلم يقم إليه أحداً ، وخرج بالبردين فضربت العرب بهز اللثل ويديده .



وَعَرَفْتُ مِنْ ذِي الطُّوقِ عَمْرُو<sup>(١)</sup> تَأْرَهُ جَذِيْمَةُ الْوَضَّاحِ<sup>(٢)</sup> حِينَ يُكَادُ

(١) عمرو « ذو الطوق »

انظر ص ١٤٥ من هذا الديوان .

(٢) جذيمة الوضاح أو الأبرص

هو حذيمة بن مالك بن طامر التثوني ، وقيل الأردى أول من قاد العرب ومك على قضاة ، وكانت مازله الحيرة والابار وولايته من قبل اردشير بن بابك ، وكان أبرص فعُدل عن هذا الاسم ، فقيل الأبرص والوضاح ، وزعم بعضهم أنه كان يأبى من اسم الأبرص ، ولذلك كنى عنه بالأبرص ، وفي العرب من يفتخر بذلك . قال الرازي يمدح أبرص :

« أبرص يابس السيدين أكلف والبرص أدري بالها وأعرف . »

وهو أول من صنع له الشمع وأدج من الملوك ، وكان ذا رأى ومهة ودية مفرط ، ويقال له ندم الفردين كان إذا حُرِبَ قدحاً صب لها قدحين ولا يتأدم قسيرهما ، وكان سبب ذلك فيما رُوي أنه كان تكهن واتخذ صنيعاً يقال لها المريبان يستقي بها وينتصر على أعدائه ، وكانت أياذ قد خرج قوم منهم من الحجار وانصرفوا فيما بين البصرة والكوفة وتمكنوا على ما يلي الحيرة وكثروا بين أبيات ، فخرج جذيمة غارياً ، وكان في أياذ رجل يقال له عدى بن نصر ، وكان له ظرف وجمال ، وإليه تنسب الملوك من آل نصر ، فنزل حذيمة بإساحتهم ، فبغت أياذ قوماً منهم إلى صنم حذيمة فسقوا مسدثهم الحجر وسرقوها فأصبحوا بها في أياذ ، فمشت أياذ إلى جذيمة تقول : إن صميك قد أصبعا عندنا زهداً فبك ورغبة فبنا ، فإن هامتنا على أن لاأرونا ردديناها إليك ، فقال جذيمة وتعطوني أيضاً عدى بن نصر يكون نندي ففعلوا وانصرف عنهم ، وضم عديا إلى نفسه وولاه شرابه وأمر مجلته ، وكان لجذيمة أخت تسمى رقتش وهي بكر ، فأجبت هدياً وأجبتها ، فسألته أن يعطيهها من جذيمة إذا سكر ففعل ذلك وزوجه بها وأشهد عليه من حضر ، فلما أصبح دخل عليه بباب العرس ، وكان قد دخل بها تلك الليلة ، فقال جذيمة ما هذه الآثار يا عدى ؟ فقال آثار عرس رقتش ، فقال من زوجكها وبك ؟ قال تلك ، فأكب على الأرض فمكراً وهرب عدى فلم يعرف له أثر ولا خبر ، وأرسل جذيمة إلى أخته تقول :

« خبري رقتش لا تكذبيني أبخر زيت أم بيجين »

أم بسد فأنت أهل لعبد أم يدون فأنت أدل لدين . »

فالت بل أنت زوجتي اسراً غريباً ولم تشاورني في شيء ، فكف عنها وآلى أن لايتأدم إلا الفردين وحلت رقتش غلاماً وسخته عمراً ، فلما تهرع إليه ودخلته ودخلت به على خاله ، فلما رآه أجبه وجهه مع ولده وخرج حذيمة متدياً بأهله في سنة خيبة ، فأقام في روضة ذات زهر ونهر ، فخرج ولده وعمرو معهم يبحثون الكمأة ، فمكثوا إذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها وانصرفوا إلى جذيمة يمددون وعمرو يقول : هذا حنأ وخياره فيه ، إذ كلَّ جانَّ يده إلى فيه ، فصه حذيمة إلى صدره وصرَّ بقوله وحلاه بطوق من ذهب ، فكان أول حرب لبس الطوق ، ثم إن الجبن استطارته فطلبه جذيمة في الآفاق زماناً فلم يدر عليه ، ثم أنزل رجلاً من قضاة يقال لها مالك وعقيل ابنا فارج من الشاميريدان جذيمة وأمديا له طرفاً ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى دريان قد تلبد شعره فرفها نفسه فنهضا وغسلا

وَأَتَىٰ فِي الثُّغَمَانِ <sup>(١)</sup> - يَوْمَ نَعِيمِهِ - تَجَمُّعٌ تَلَقَّى مَعَهُ الْمَيْلَادُ  
قَدْ أَلْقَتْ أَشْجَاتُهُمْ فِي وَاحِدٍ إِلَّا يَكُنُّهُمْ أُمَّةٌ فَيَكَادُ <sup>(٢)</sup>

رأسه وأصلها أمره والبهاء ثياباً ، وقالا ما كنا لتهدي جذية أغس من ابن أخته ، وخربا به إلى جذية  
نصر به ورأى الطوق ، فقال شب عمرو عن الطوق مذهب مثلاً ، وقال لك وعقل حكما فلا  
مناد بك ما بقينا وبقيت فكنا من ذلك وهما نديما جذية اللذان يضرب بها للثل وإياهما عن متم بن  
نورة بقوله و رثاء أخيه :

« وكنا كندما جذية حقة من الدهر حق قيل لن يتصدما . »

وقيل إنما عن الفردين ، ويحك أن جذية سكر مرة أخرى قتلها ، فلما أصبح ندم ، وبني عليها الزريقين  
ونادم الفردين وقيل إن صاحب التريب للنفرا الأكبر ، ثم إن جذية أرسل يجذب الزباء ملكة الحضرم الحاجر  
بين الفرس والروم ، وكالها وترعده فأجابه واستدته إليها ، فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالضيغانهم نصير  
ابن سمد ، وكان ليلاً ، وقال : إن النساء يهدين إلى الأزواج نصاه وسار حق إذا كان بمكان يدمي بقة  
استشارهم فأشاروا عليه لما يملون من رأيه فيها ، فقال نصير انصرف ودمك في وجهك فأبي ، وطن  
جذية حق إذا هابن الكاتب قد استقبلته . قال نصير ما الرأي ؟ قال تركت الرأي بقة ، ثم ركب نصير  
فرساً لجذية تسمى المعافجا وأخذ جذية ، فلما أدخل على الزباء أمرت برواحته فقلعت والرواحش  
عروق اليد واستنزفته حق مات في خبر طويل مشهور ، وكان مدة ملكه ستين سنة ، وله أشعار حسنة  
مشهورة فيها :

« أفضى جذية في يربن منزله قد حلز ما حجت من قبله ناد

مصنوع الحير لا تضي زيادته في كل يوم وأهل الحير تزداد . »

### (١) الثغمان

قالوا إن الثغمان كان له نديمان منضبط عليهما قتلها ، فلما أصبح ندم على ذلك أشد الندم ، فبني على  
قريبها ضربيين ، وجعل لنفسه يومين في كل عام يجلس فيها بجوار القبرين أحدهما يوم نعيم ، والآخر  
يوم يؤس . فأول من يطلع عليه في يوم النعم يضيئه مائة من الابل ، وأول من يطلع عليه في يوم يؤس  
يقتله ويطلق يدمه ضريحى نديمه .

وقد ذكروا مثل ذلك عن المنذر بن ماء السماء ، وقالوا إنه لقي « عبيد بن الأبرص » في يوم يؤس قتلها .  
فقال له جلته التي صارت مثلاً فيما بعد وهي قوله : « حال الجربى دون القربى » .

(٢) يقول : قد اجتمع هؤلاء الأعلام الذين أزدانت بهم السير في شخص واحد هو المدوح ، فإذا لم  
يكن أمة مجمعة فيه صفاتهم ومزاياهم فهو يكاد أن يكون .

وقديماً قال الفائل :

« ليس على الله بمستعكر أن يجمع العالم في واحد . »

## فَكَانِي طَالَمْتُهُمْ بِوِفَادَةٍ لَمْ يَسْتَطِعْهَا «عُرْوَةُ» الْوَفَادُ<sup>(١)</sup>

### (١) عروة الوفاء

تلخص هنا طرما من أخباره من كتاب الأغانى منقول :

هو عروة بن الورد بن زيد ، قيل : ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم بن ليم بن حوذ بن غالب بن قطيمة بن عيسى بن نضير بن الريث بن غطفان بن سعد بن ويس بن عيلان بن مضر بن نزار ، شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، وجواد من أحوادها للقدمين ، وكان يجمع المصالح ويعوم بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يصيروا مماشيا ، ولذلك سمي عروة المصالح ووردوا من عبد الله بن مروان أنه قال : ما يبرئ أن أحدا من العرب ولدى من لم يلدني إلا عروة ابن الورد لقوله :

« إلى امرؤ طاق لثاني شركة وأنت امرؤ طاق لثالثك واحد  
أترأى من أن سنف وأن ترى بحسبي من الحق والمحق جامع  
أمرق حسبي في جسيم كثيرة وأحسو مراح الماء وللاء بارد . »

ويقال أيضا : إن عبد الله قال : من دعى أن حاشا أصبح الناس قد ظلم عروة بن الورد . ملوا : وكان إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم الرئيس والكبير والضعيف ، وكان عروة يجمع هؤلاء وأشباهم ثم يحفر لهم الأسراب ، ويضع لهم حظائر يكدها عليهم وؤوبهم إليها ، ومن قوى منهم بأن يرى من مده أو ثابت إليه قوته خرج به معه فأمر ، وجعل لأهل الشعب من أصحابه الثابت نصيبا ، وعن ابن الأعرابي قال : أعجب ناس من بني عيسى في سنة أصابهم فأهلك أموالهم وأصابهم جوع شديد ويؤس ، فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته ، فلما بصروا به صرخوا وملوا : يا أبا المصالح ، أفتنا ، فرق لهم وخرج ليؤوبهم ويصيب مماشيا فتهب امرأه من ذلك لحومها عليه من الهلاك ، فصاها وخرج ماريها ، فربحها بن حمار الفراءى فنحله جرورا فأكل منها هو وأصحابه ، وأشار عليه مالك أن يرجع فصاها ، ومضى حتى انتهى إلى بلاد اليمن فأغار عليهم فأصاب هجعة مادية على شفه وأصحابه وقال في ذلك :

« أرى أم حسان المعانة تلومني تخومني الأعداء والنفس أخوف  
تقول سلبني لو ألق لسرنا ولم تدركني للفقام أطرف  
لعل الهوى خوتنا من أماننا يصادفه في أهل الحلف . »

وقال في ذلك أيضا :

« أليس ورائي أن أدب على العصا فبشت أعدائي وبأمن أجلي  
وهية قمر البيت كل حشبة أليف في الوئان أمدج كالزلال  
أنيوا بني أمي صدور ركابكم فشكل مايا للنفس خير من الخزل  
فانكبوا لن تدوا كل همي ولا أدري حتى تروا منبت الأكل  
لعل أرتيادي في البلاد وحيلي وشدي حيازيم الطيبة بالرحل  
سيفضي يوما إلى رب هجعة يداع منها بالفوق وبالبدل . »

فِي قَصْرِ مَلِكِ كَالْسَدِيرِ<sup>(١)</sup> أَوْ الَّذِي نَاطَلَتْ بِهِ شُرُفَاتُهَا سِنْدَادُ<sup>(٢)</sup>

### (١) السدير

« السدير » قصر - وهو مرب - قالوا « وأصله بالفارسية » سه دل « أى قبة فيها ثلاث قباب  
مداخلة » فمرجه العرب ، وقالوا : « سدير » قالوا : « وهو موضع معروف بالحيرة » وقالوا :  
« هو قصر قريب من « الخورق » كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم .  
وسمى ذكره في شعر الأسود بن يفر عند السلام على « سنداد » في شرح هذه القصيدة .  
وقد ذكره « عبد المسيح بن عمرو » عند غلبة « خالد بن الوليد » والمسلمين على « الحيرة » في  
خلافة أبي بكر فقال :

« أبعد المنفرين أرى سواما      تروح بالخورق والسدير  
تحماء فوارس كحل حى      عفاة أغلب طلى الزئير  
صرنا بدمك « أبى قيس »      كئل الشاء فى اليوم المطير  
تسنا القبائل من « معد »      كأننا بعنى أعماء الجزور »

وفال الخيل فى قصيدته المشهورة :

« فإذا سكوت ، فأنى      رب الخورق والسدير  
وإذا صحت ، فأنى      رب الشوبة والبحير . »

### (٢) سنداد

« سنداد » قصر بالمذنب وهو للقعود هنا ، وسنداد - فى رواية أبى الحسين الأديب : نهر ، وقد  
استدل على ذلك بقول أبى دؤاد الأيادى :

« أقصر النهر بالأجلوح من قو      مى ، فروق ، فرامح ، غفبه  
فتلاح اللا إلى جرف سنداد      د ، فقو ، إلى نفاف طبه  
موحشائتمن الأنيس - بها الوح      ش غناطيل موطن أو بنيه . »

قالوا : وسئل عنه « أبو عمرو » أهو بفتح السين أو كسرهما ، فقال : « بفتح السين » وعن صاحب  
الشكيلة : بفتح اللين وسماى بالكسر .

وفى رواية « السكونى » : « سنداد منازل لا ياد نزلها لما قاربت الريف ، بعد اصاب وشرج وناظرة ،  
وهو أسفل سواد الكوفة ، وراء نجران الكوفة .

قال جزة فى تاريخه : « وكان قد تمك فى القديم من الفرس على مواضع متفرقة من أرض العرب ستة  
عشر مرزباناً ، وقد ذكرهم صاحب معجم البلدان « ج ٥ ص ١٥٠ » إلى أن قال : « ثم تمك سنداد  
على عمل سكت ، ومال مكته فى الريف حتى بنى فيه أبنية : وهو صاحب أقصر ذى الشرفات من « سنداد »  
الذى يقول فيه « الأسود بن يفر » « وأقصر ذى الشرفات من سنداد »

تَتَوَهُمُ الشَّهْبَاءُ فِيهِ كَتِيبَةً      فِيْهَاءُ ، الْيَحْمُومُ فِيهِ جَوَادُ  
يَحْتَالُ مِنْ سَيْرِ الْأَشَاهِبِ وَسَطَهُ      يَبِضُّ كَرَهْفَةَ السُّيُوفِ جَمَادُ<sup>(١)</sup>

\* \*

فِي «آلِ عِبَادٍ» حَطَطْتُ فَأَعَصَمْتَ      هَمِي بِحَيْثُ أَنْفَتِ الْأَطْوَادُ  
أَهْلُ الْمَنَازِرَةِ الَّذِينَ هُمُ الرُّبَا      فَوْقَ الْمُلُوكِ إِذِ الْمُلُوكُ وَهَادُ<sup>(٢)</sup>  
قَوْمٌ إِذَا عَدَّتْ مَعَدُّ عَقِيلَةٍ      مَاءُ السَّمَاءِ ، فَهُمْ لَهَا أَوْلَادُ  
يَنْتُ تَوْدُ الشَّهْبُ فِي أَفْلَاكِهَا      لَوْ أَنْهَا - لِيُنَايَا - أَوْلَادُ

قال ابن الكلي :

وكانت «إباد» تنزل سنداد - وهو نهر فيما بين «الحيرة» إلى «الابلة» وكان عليه قصر منح  
العرب إليه ، وهو القصر الذي ذكره الأسردي بن يفر .  
قالوا : وصر «عمر بن عبد العزيز» بقصر لآل حفنة فقتل «مزاحم» مولاه بقول «الأسود  
ابن يفر التهملي :

«ومن الحوادث - لا أبالك - أني ضربت على الأرض بالأسداد  
لا أعتدى فيها لمذبح تلمسة      بين العراق وبين أرض مراد  
ماذا أوئل - بعد آل عرق -      تركوا منازلهم وبسد إباد  
أهل الخورق والدير وبارق      والقصر ذى الفرفات - من سنداد  
حلوا بأخرة بسيل طليم      ماء الفرات يحمي من أطواد  
أرض تخيرها - لطيب مقيلها -      كتب بن مائة وابن أم دؤاد  
جرت الرياح على عراس ديارهم      فسكنوا كانوا على ميعاد  
والمدفنوا فيها بأفضل هيشة      في ظل ملك ثابت الأرتاد  
فاذا النسيم وكل ما يلحي به      يوماً يصير إلى على وقاد .

فقال له عمر : ألا قرأت : «كم تركوا من جنات وديون وزروع ومقام كريم ، وسعة كانوا فيها فاكهين  
كذلك وأورثاها قوماً آخرين»

(١) يقول يخال القصر من سير الجنادل وسطه متقدمة كيش السيوف للرهمة ، وفي الأصل :

«يحتال من سر الأشاهب وسطه      يبيض كرهفه السيوف جداد .»

(٢) قريب من هذا المعنى قول ابن دريد :

«هم المهاجرون للنفات القري      والثلى فصاح شاب وأضى .»

مَمْدُودَةٌ يَلْمَى <sup>(١)</sup> النَّدَى أَطْنَابُهُ مَرْفُوعَةٌ - بِالْبَيْضِ - مِنْهُ عِمَامُهُ  
مُتَقَادِمٌ إِلَّا تَكُنْ شَمْسُ الضُّحَا لِدُهُ لَهُ ، فَتُجْوِئُهَا أَرَادُ <sup>(٢)</sup>  
نَيْطَتْ «بِعَبَادٍ» لَا لِي تَجِدِهِمْ قَتَلَالَاتٍ - فِي تَوْبِهَا <sup>(٣)</sup> - الْأَفْرَادُ  
مَلِكٌ إِذَا أَفْتَنَتْ صِفَاتُ جَلَالِهِ فَتَقَاصَرَتْ عَنْ بَعْضِهَا الْأَعْدَادُ  
نَسِيَتْ زَيْدٌ <sup>(٤)</sup> عَمْرَ هَابِلٍ أَعْرَضَتْ . . . . .

(١) اللهم : الطلأ :

(٢) أَرَادَ - جمع رَأَى - يقال رَأَى الضحى : أى ارتقاه ورأى الأرض : خلاؤها ، قال الطبراني :

« مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع والشمس راد لدحى كالشمس في الطفل. »

(٣) التوم : جمع تومة وهي الخزولة ، وسيت تومة لأنها تومة نظيرتها في القند أو في الأذن ، والافراد :

جمع فرد وهو ما لا نظير له في القند يقال : فرد وفريد ، ويقال : نادى أخاه أى نادى معه ، فهو تشبة وتومعه .

(٤) عمرو بن معديكرب الزبيدي

ويضرب للثل باقدامه وشجاعته .

انعدام عمر في ساحة حاتم في حلم أخنخ في ذكاء إياس .

هو - كما في سرح الميول - عمرو بن معديكرب بن عبد الله الزبيدي ، وكنيته « أبو ثور » الفارس المشهور صاحب النارات والوفائع المذكورة في الجاهلية والاسلام ، وقد على رسول - صلى الله عليه وسلم - في السنة العاشرة من الهجرة .

قال عمرو :

قمت للمدية ، فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتانا من « بؤك » فأردت أن أدنو إليه ، فنعني من حوله .

فقال : « دعوه » فدوت منه ، فقلت :

« أنعم صباحا أبيت اللعن »

فقال : « يا عمرو أسلم تسلم ويؤمك الله من الفرع الأكبر » فأسلفت

وحاش « عمرو » إلى أيام عتال ، وأبلى في وقائع الاسلام بلاء حسنا مثل وقعة القادسية ، وهو الذي ضرب عظم القليل بالسيف فانهزم وانزمت الأعاجم ، وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها ، قال الخنصعي ما رأيت أشرف من رجل يوم اليرموك خرج له هلع فقلته ، ثم آخر فقلته ، ثم انزموا فتبهم وبيتته ، ثم انصرف إلى خيابه له أسود ففزل فدعا بالفلان ودعا من حوله ، قلت من هذا ؟ قالوا عمرو بن معديكرب ، وحدث بن أبي حاتم . قال مررنا يوم القادسية بيسرو بن معديكرب وهو يحض الناس بين الصعين ويقول : أيها الناس كونوا أشد مناشأ إن هذا الرجل من الأعاجم إذا لقي مرزاهما فأتاهما هو تس ، فبينما هو كذلك يمررنا إذ خرج رجل من الأعاجم فوقف بين الصعين فرماه بفشابة ، فإ غطأت سية قوس كان متكبها فالتفت ، ثم حل عليه فاعتنقه ، ثم أخذ بمنطقته فاحتله فوضعه بين يديه وجاء حتى إذا دنا منا كسر عنقه ،

ثم أسرار الصمامة على حلقه فذبحه وزرع سواريه ومنذقته وألقاه، وقال: «هكذا فاصنعوا بهم» فقلنا: «من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع؟» وحكى أبو عبيدة مال: لما كان فتح القنادسة أصاب السيلون أموالا عظيمة فنزل سعد بن أبي وقاص المجلس ثم قسم البقية فأصاب العارس ستة آلاف وبقي مال دثر، فكتب إلى عمر بما فعل فكتب إليه أن رد على المسلمين المجلس وأعط من الخو بك من لم يشهد بلوثة فضل ذلك، ثم كتب إليه أن أعط ما بقي حلة القرآن، فأناه عمرو بن معديكرب، فقال ما معك من حفظ القرآن؟ مال: لاني أسلمت، ثم شعلت بالدر عن حفظ القرآن، وقبل أناه بصر بن ربيعة، فقال له ما معك من حفظ القرآن؟ مال: سمى الله الرحمن الرحيم، فضحك القوم، فقال سعد مالك في هذا المال من شيء ولا من نصيب؟ فقال عمرو مشدداً:

«إذا قتلنا ولا يكي لنا أحد فالك فريش ألا تترك القادير

تعطى السوية من طعن له فخذ ولا سوية إذ تعطى الدنانير.»

وقال بصر أبياته، وكتب سعد إلى عمر بما قال، فكتب إليه: «أنظروا على بلائها» فأعطاها أربعة آلاف درهم، وحكى المدائني مال: كان عمرو بن معديكرب في سرية أميرها سلمان بن ربيعة فمرض الجليل، فمرّ عمرو على فرس له، فقال هذا هجين، فقال عمرو عتيق. قال فأمر به مضاعف، ثم دعا بقرس، فقلب فيه مائة فدعا بخيل عتاق فشربت لجاء فرس عمرو، فبني يديه وشرب وهكذا يصنع الهدي، فقال له ألا ترى؟ فقال عمرو أحل الهجين يعرف الهجين، فبلغ عمر، فكتب إليه قد بلاني ما قلت لأمر بك، وبلاني أن لك سيفاً تسميه الصمامة وعندى سيف مصدعهم فلقه من وصعته على دماك لا أنزع حتى أبلغ به شراسيفك فإن سرك أن تعلم أحق ما أقول فعد، ويروى أن عمر رضى الله عنه سأله يوماً، فقال ما تقول في الحرب؟ قال مرّة المذاق إذا كشفت عن ساق، فرب صبر حرف، ومن ضعف تلف. قال فما تقول في الرمح؟ قال خليك وربما خذك. قال فالحل؟ قال منايا تهدي وتصيب. قال فالترس؟ قال عليه تدور الدوائر. قال فالسيف؟ قال عبدك فكذلك أمك. قال عمر بل أمك، فقال الحمى أمره عتي، فأناظ له عمر في الكلام، فقال:

«أؤتدني كالك ذو رعين بأعم عيشة أو ذو نواس

فلا تنفر بملكك كل ملك يصير لعله عد العباس.»

فقال عمر صدقت فاقض مني مال يا أمير المؤمنين لولا آية سمعتها لك لحقك بالسيف أخذ منك أم ترك، قال وما هي؟ قال سمعت قرأه من يأت ربه مجزأً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى، والله لو علمت اني إذا دخلتها مت لمعت، وحكى أن صينة بن حصن لما قدم الكوفة أمام أياماً، ثم قال: والله مالي بأبي ثور عهد، ثم ركب فرساً وسأل من علة بن زيد فأرشد إليها وسأل عن عمرو موقف يباه، ثم مال: يا أبا ثور اخرج إلينا نخرج مؤثراً كأننا كسر وجير، فقال له انعم صباحاً أبا مالك؟ فقال أوليس قد بدلنا الله تعالى بهدا السلام عليكم، فقال دعنا مما لا نعرف فإن هندی كبتاً سينتا فنزل ضد إلى الكهش فذبحه ثم ألقاه في قدر وطينه، وجلس يتحدث إلى أن أدرك فتود في جنة عظيمة وأتت القدر عليها وقعدا فأكلتا ثم قال: أي القراب أحب إليك الدين أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية، فقال أوليس حرماً الله تعالى في

الاسلام ، فقال : أنت أقدم إسلاماً أم أنا ؟ قال : أنت ، قال : فاني قد سمعت ما بين دفتي المصحف موافقاً لما وجدت لها تحريراً إلا أنه قال : هل أنتم متهمون . قلت : « لا » ثم جاء بنبيذ وجلسا يعربان ويحدثان ويذكران أيام الجاهلية حتى أسبيا ، فلما أراد عينة الانصراف . قال عمرو إن انصرف أبو مالك بغير حياء إنما نوصية فأمرله بنافذة أرحمة وحله عليها ثم أتى بمزود فيه أوبعة آلاف درهم فوضه بين يديه ، فقال أما لك نوافقه لا آخذه ولا أئسه ، فاصرف وهو يقول :

« جريت أبا ثور جزاء حكرامة فتمم الفتى أنت للزور للضيف . »

وقيل أنه لم يكن في عمرو خلة رديئة إلا الكذب ، حكى أبو عمرو بن العلاء ، قال : وقف عمرو يوماً بالمرید يتحدث - على عادتهم - قال : « فزوت في الجاهلية على بني مالك طرخوا مستدعين بخالد بن الصقبة طعلت عليه بالصمصامة تأخذت رأسه » وكان خالد بن الصقبة حاضراً ، فقال بعض الجماعة : « مهلاً أبا ثور فتيتك يسمع كلامك » وأشار إليه ، فقال اسكت إنما أنت محدث فاسمع أو قم ، ثم التفت إلى خالد وقال : « إنما نرهب هذه المدينة بهذه الأخبار » وعضى في حديثه فلم يقطعه ، فقال له رجل : « لك لشجاع في الحرب والكذب » فقال : « إني كذلك » وحكى أبو عمرو بن العلاء قال : جاء رجل إلى عمرو وهو واقف بالمرید على فرس له وقد أسن فقال لا ظنن ما بقي من قوة أبي ثور فأدخل يده بين ساقه وجنب الفرس فظعن عمرو فحكك بضم وحله وحرك الفرس فجعل الرجل يمدو مع الفرس لا يبعد أن يترج يده حتى إذا بلغ منه صاح به فقال : « يا ابن أخي مالك ؟ » قال : « يدي تحت ساعدك » غلظ منه وقال : « إن في عك بقية يده » ومن كلامه حكى أنه أتى بجاشع بن مسعود فقال : أسألك حلال مثل وسلاح مثلي فأمر له بفرس جواد وسيف صارم وعشرين ألف درهم فر بى حفظة فقالوا : « يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك ؟ » فقال : « لله بنو جاشع ما أشد في المروءة فقاموا ، وأجرل في القربان فقاموا ، وأحسن في الكرمات بنامها ، والله لقد قاتلها فما أجبتها وسألها فما أجبتها ، وهاجبتها فما أجبتها » ومن حيد شعره :

« ولما رأيت الحليل زوراً كأنها حياول ماء أرسلت فاسبطرت

لجاشت إلى النفس أول مرة مردت على مكروها فاستقرت

ظلت كأنى الرماح دويشة أقاتل عن أحساب جرم ومرت

ولو أن قومي أنطقني وملاحهم نطق ولكن الرماح أجرت . »

قوله أقاتل عن أحساب حرم من الهباء للمس ، وذلك أنه ذكر أن قوما مروا وليس هو منهم غير أنه يقاتل غصباً لهم وعصية ، وقوله ولو أن قومي أنطقني ، يعني لو قاتلوا وطاعوا فقلت بخدمهم ، ولكنهم مروا ، فأستثنى عن اللدح ، والأصل في الاجرار أن التفصيل إذا أرادوا نظامه شقوا لسانه فلم يقدر على الرضام وفي القصيدة التي أولها : « أمن رجحانة الداعي السبيح » يقول :

« وقد عجبت أمانة أن رأيتي تفرع لقي شيب مطيع

أشباب الرأس أيام طوال وهم ما تلبثه الصلوع

وزحف كتيبة لقاء أخرى كأن زهاءها رأس صليح



واساد الأسنة نحو نحري وهرّ للصرفية والوقوع  
فان تنب الثواب آل عصم تجد حكاهم فيها رفوع  
إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع  
وصله فالزوع فكل شيء سالك أو سدوت له تزوع.»  
وقوله أيضاً :

« يا أيها الفتاح - جهلاً بنا وولدت عبداً  
ليس الجدل بمشؤر - طاعلم - والرديت برداً  
إنّ الجلال مصادف ومناقب أدرتن مجاً  
أعدت للعدائات ساعة وعداء هلندي  
نهذا وقفا شطب يقد اليمس والأبدان قدأ  
كل امرئ يجرى إلى يوم الهياج بما استعدأ

لما رأيت نساءنا يفضن بالمزاء - شدأ  
وبدت عاسنها التي تحنى ، وهاد الأمر حدا  
فأرك كيفهم ، ولم أر من تزال الكش - بدا  
هم ينفرون دى وانسدر إذ لقيت بأن أشدا  
كم من أخ لي صالح بوأنه يديّ لحدا  
ذهب الذين أحبهم وحيث - مثل السيف - فردأ .»

قلت : « لو لم يكن له إلا هذه القصيدة لاستحق بها التقدم على غير كثير » وأما المصمصة وهي سيفه  
للمههور - قال عبد الملك بن حمير أهدت بلقيس إلى سليمان حصة أسياف ، وهي : ذو الفقار ، وذو النون ،  
ومجنوب ، ورسوب ، والمصمصة . وأما ذو الفقار : فكان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذه  
من منبسه بن الحجاج يوم بدر ، ومجنوب ورسوب : للحرث بن حبة السائي ، وذو النون والمصمصة :  
لمرو بن معديكرب ، وحكى أن عمرو بن الخطاط قال لمرو : إبت لي المصمصة ، فبث به إليه فلم يره كما  
بلغه ، فقال له في ذلك ؟ فقال إني بعت إليك المصمصة ولم أحت لك بالبد إني فخر به ، وحكى أبو صيدة  
أن المصمصة انتقلت إلى سعيد بن العاص ، وذلك أن خالد بن الوليد لما غزا بني زيد ، وكان خالد بن  
سعيد من جلة أمرائه أرتق بهم وأسر رجلاً أخت عمرو بن معديكرب فدأها خالد وأباه عمرو المصمصة ،  
ثم فقد يوم الفار في مقتل عثمان ووجد ، ولم يزل إلى أن صعد المهدي البصرة ، فلما كان بواسطة أرسل  
إلى بني العاص يطلب المصمصة ، فقالوا إنه في السبيل عجا ، فقال حمون سيفاً طعماً في السبيل أفنى من  
سيف واحد وأعطاهم خمسين سبباً وأخذوه ، فلما صار إلى الهادي أحضره وأمر الشراء بوصفه ، فقال  
بعضهم من أبيات :

« حاز مصمصة الزبيدي عمرو من جميع الألام موسى الأمين  
ما يبال من انتصاه لضرب أشبال مسطت به أم بين . »

ثم وصل إلى التوكل فدفعه إلى غلامه « باغزا » التركي فقتله به ، ومن عند « باغزا » قطع خبره .

..... عَنْ وَصِفِ «كَمْب» بِالْمَسَاحِ إِيَادُ  
فَضَحَ الدُّهَاءَ فَلَوْ تَقَدَّمَ عَهْدُهُ لَمَعْنَا «الْمَغِيرَةُ» أَوْ أَقَرَّ «زِيَادُ» (١)

### (١) كَمْب بن مامه

هو كَمْب بن مامه الإيادي ، وكان أحد أجواد العرب يضرب به المثل في الوفاء ، آثر على نفسه وكان مسافراً مع رفيقه فقل عليها الماء فتصافناه ، والتصافن أن يوضع في الماء مقله أي حجر صغير ينثر بالماء لئلا يتناثروا في الفسحة ، فجلل رفيقه يضرب نصيبه ، فإذا جاء دور كَمْب . دل له رفيقه . وقد جهده له ش : « أسقى أخاك » فيؤثره على نفسه حتى جهد كَمْب من العيش وأشرف على الهلاك ، ورمعت له أعلام الماء ، وقيل له رد كَمْب ولا ورود به فبات عطشاً ، وفي ذلك يقول أبو دؤاد الإيادي :

« أرفى على الماء كَمْب ثم قبله رد كَمْب إنك وادفنا وردا . »

ارجع إلى الكامل للبرد « ص ١٣٦ »

### (٢) زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة

كانا من أئذاف العرب وساستهم ودهاتهم وأخبارهما مستفيضة في كتب التاريخ ، ولكننا نجتزئ القول اجتزاء فيما يلي :

قالوا :

وسمى « زياد بن أبيه » أو « زياد بن سمية » لأن أمه كانت جارية لحارث بن كلدة التقي ، فزوجها بعد له روى يقال له : « عبيد » فولدت « سمية » زياداً على فراشه ، فهو ولد « عبيد » شرها . قالوا : وكان « أبو سفيان » قد سار في الجاهلية إلى « الخائف » فنزل على بائع خر يقال له : « أبو صريم » - وقد أسلم نجا بعد - فقال له « أبو سفيان » : « قد اشتبهت النساء » فقال أبو صريم : « هل لك في سمية ؟ » فقال أبو سفيان :

« هاتها على طول ثديها وذفر بطنها »

فأناه بها ، فوقع عليها ، فقال إنرا هلكت منه زياد ، ثم وضعت في السلة التي هاجر فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولشأ « زياد » فصيحاً .

وحضر « زياد » يوماً بمحضر جنازة من الصحابة في خلافة « عمر » فقال « عمرو بن العاص » : لو كان أبو هذا البلام من قريش ، لساقي العرب بماله .

فقال أبو سفيان لابي بن أبي طالب :

« إني لأحرف من وضحه في رحم أمه »

فقال علي :

« فإيتمك من استلحاه »

قال :

« أخلف الأصم ( يعني عمر ) أن يقطع إمامي بالعمرة »

لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ رَجْمَ ظُنُونِهِ      إِنَّ النُّيُوبَ وَرَاءَهَا إِمْدَادُ  
مَلِكٍ - إِذَا مَا اخْتَالَ - غُرَّةٌ فَيَلْقَى      قَدْ أُمِطِيَتْ عِقْبَانُهُ الْآسَادُ (١)  
أَسَدٌ، فَرَأَيْتُهَا الْفَوَارِسُ فِي الْوُغَى،      لَكِنَّ بَرَانِيهَا - هُنَاكَ - صِعَادُ (٢)

فلما كانت قصيدة شهادة اليهود على الميرة بالزنا وجدلهم لعدم ثبوت الزنا عليه - ومنهم أبو بكره أخو زياد لأمه - واحتجاج « زياد » حين كان يؤدي الشهادة عن التصريح ، وكان أحد الأربعة الذين شهدوا عليه - اتخذ الميرة لذلك لزياد بدا .

ثم لما ولى « علي بن أبي طالب » الخلافة ، استعمل « زيادا » على فارس ، فقام بولايتها أحسن قيام ، ولما سلم « الحسن » الأسرى إلى « معاوية » امتنع « زياد » بفارس ، ولم يدخل في طاعة « معاوية » واهتم معاوية بالأسر ، وحاف أن يدعو إلى أحد من بني هاشم ويبعد الحرب ، وكان معاوية قد ولى « الميرة بن شعبة » الكوفة ، فقدم « الميرة » على « معاوية » سنة ٤٢ هـ فشكا إليه « معاوية » امتناع « زياد » بفارس ، فقال « الميرة » :  
« أنادن لي في السير إليه ؟ »

فأذن له ، وكتب « معاوية » لزياد أمناً ، وحوه « الميرة » إليه - لما بينهما من الودّة - ومازال به حتى أحضره إلى « معاوية » وبأيه .

وفي سنة ٤٤ هـ استلحق « معاوية » « زياداً » فأحضر الناس ، وحضر من بعدهم زياد بالنفس ، وكان ممن حضر لذلك « أبو مرجم » نال الجرح الذي أسلفا ذكره - وهو الذي أحضر « سمية » أم « زياد » إلى « أبي سفيان » بالظلمات - فمهد بسبب « زياد » من « أبي سفيان » .

قالوا : « فاستلحقه معاوية » وقد أعظم الناس ذلك وأكروه لاسيما بو أمية لأن زيادا ابن عبيد الرومي قد ألحق به بني أمية بن عبد شمس ، وقد قال « عبد الرحمن الحكم » أخو « مروان » في ذلك :

« ألا أبلغ « معاوية بن صخر » : « لقد ضاقت بما تأتى اليدان »

أتعصب أن يقال : « أبو كعب ؟ » وترضى أن يقال : « أبو كزاني ؟ »

وأشهد أن رجلك - من زياد - كرحم الليل من ولد الأتان .

ثم ولى « معاوية » « زياداً » البصرة ، وأضاف إليه « حراسان » و « سحستان » ثم جمع له الهند والبحرين وعمان .

(١) غفان - جمع غفاب - وهو من سباع الطير التي تميد - قال المتنبي :

« شكوى المريح إلى الغفان والرخم »

وقال المتنبي :

« صاغت بعد أرضها لما رمى ساحلها بتليسل والفرسان »

بغوارس - مثل المقور - وضرب مجدولة ، ككواصر القبان .

(٢) صداد - جمع صميدة - وهي القفاة التي تبت مستقيمة لا تحتاج إلى التحفيف ، والصميدة - من

النساء - المستقيمة القائمة - على التشبيه - قال « كعب بن حميل » بصف امرأة شبه قداما بالقفاة :

« ماذا قامت إلى جاراتها لاحت الساق بخلخال زجل »

صميدة ناجة في حائر أينما الريح تميلها تمل .

خِلْتَ اللّوَاءَ نَحْمَاتَةً فِي ظِلِّهَا قَرْنٌ ، بِفُرَّتِهِ السَّنَا الْوَقَادُ

\*\*\*

شَيْحَانُ مُنْغَمِسُ السَّانِ مِنَ الْعِدَا - فِي النَّعْ - حَيْثُ تَقْلَعُلُ الْأَحْقَادُ  
تَشْكُو إِلَيْهِ الشَّمْسُ نَقْعَ كَتِيبَةٍ مَا زَالَ مِنْهُ لِعَيْنِهَا إِزْمَادُ<sup>(١)</sup>  
جَبَشُ - إِذَا مَا الْأَفْقُ سَافَرَ طَيْرُهُ مَعَهُ - فَنِي ذِمَمِ الصَّوَارِمِ زَادُ<sup>(٢)</sup>  
مُسْتَطَرِفٌ لِمَعْجِدٍ لَمْ يَكُ حَسْبُهُ مَجْدٌ - يَدُورُ مَعَ الزَّمَانِ - تِلَادُ<sup>(٣)</sup>  
مَا كَانَ مِنْهُ إِلَى رِفَاقَةِ رَاحَةِ حَتَّى يُخْلَدَ مِثْلُهُ إِخْلَادُ  
أَرْجُ النَّدَى ، مَتَى تَقْرُ بِجَوَارِهِ يَطْبِ الْحَدِيثِ وَيَعْبِقُ «الْإِنْشَادُ»<sup>(٤)</sup>  
لَوْ أَنَّ خَاطِرَهُ الْجَمِيعَ مَفْرَقٌ فِي الْخَلْقِ أَوْشَكَ أَنْ يُحْسَ جَمَادُ

\*\*\*

نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي زَهَرُ النُّجُومِ - لَوَجْهِهِ - حُسَادُ  
تَبَدُّوعُ عَلَيْكَ - مِنَ الْوَسَامَةِ - حُلَّةٌ يَهْفُو إِلَيْهَا - بِالنَّفُوسِ - وَدَادُ  
لَمْ يَشْفِ مِنْكَ الْعَيْنُ أَوَّلُ نَظَرَةٍ لَوْلَا الْمَهَابَةُ رَاجَعَتُ تَرْدَادُ

(١) النع : العبار ، والكتيبة : الجيش ، يقول : « تشكو إليه الشمس سطوع العبار ، والنع النار لأنه أومد عينها فألحقتها ولم تبصر . »

(٢) يقول : إن هذا الجيش إذا سارته في الأفق غلبان الجوِّ وحوارج الطير ، في ذمة الصوارم من السيوف أن تضن لها الزاد من قتلى الأعداء .

(٣) مستطرف : أي مستحدث لنفسه مجدا طريقا أي حديداً مكسوبا غير موروث ، والخب : بحركة وقد يسكن كما هنا مايمده الانسان من مآخره ، والتلاد : التقديم للوروث عن الآباء .

(٤) الندى : المجلس ، يقول : هو أرج الندى أي عطر ماينبعث عن مجلسه من طيب انقول وطاهر للثناء ، إذا فزت بقربه ودنوت من مجلسه ، يطيب الحديث ، ويبقى في أرواح المجلس غير الانشاد ، وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا :

« أرج الندى ، متى تفر بجوارحه يطب الحديث ويبقى . . . »

والنكمة يعطيها السياق .

مَا كَانَ مِنْ خَلَلٍ فَأَنْتَ سِدَادُهُ      فِي الدَّهْرِ أَوْ أَوْدٍ فَأَنْتَ سِدَادُ<sup>(١)</sup>  
 الدِّينِ وَجْهُهُ أَنْتَ فِيهِ غُرَّةٌ      وَالْمَلِكُ جَفْنُهُ أَنْتَ فِيهِ سَوَادُ  
 لِلَّهِ مِنْكَ يَدٌ عَلَتْ ، تُولِي بِهَا      صَفْدًا فِيْحَمْدُ ، أَوْ يُفَكُّ صِفَادُ<sup>(٢)</sup>  
 لَوْ أَنَّ أَقْوَاءَ الْمُلُوكِ تَوَافَقَتْ      فِيهَا لَوَافِقَ حَظَهَا الْإِسْمَادُ  
 نَقَعَ الْمُدَّةَ الْيَأْسُ<sup>(٣)</sup> مِنْكَ ، لِأَنَّهُ      بَرَدَتْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ الْأَكْبَادُ  
 يَنْصَاعُ مَنْ جَارَكَ مَقْبُوضَ الْخَطَا      فَكَأَنَّمَا عَصَتْ بِهِ الْأَقْيَادُ<sup>(٤)</sup>  
 قَدْ قُلْتُ لِلتَّالِي ثَنَاءَكَ سُورَةٌ      مَا لِلْوَرَى فِي نَصِّهَا إِحْدَادُ :  
 « أُعِيدِ الْحَدِيثَ عَنِ السِّيَادَةِ ، إِنَّهُ      لَيْسَ الْحَدِيثُ يُعْلَى حِينَ يُعَادُ . »  
 كَرَّمْ كَمَا الْمَزْنِ رَاقٍ خِلَالَهُ      أَدَبُ كَرَوْضِ الْحَزْنِ بَاتَ يُجَادُ<sup>(٥)</sup>  
 وَحَاسِنُ زَهَرِ الزَّمَانِ زُهِرَهَا      فَكَأَنَّمَا أَيَّامُهُ أَعْيَادُ<sup>(٦)</sup>

(١) يقول : ما كان من خلل في الزمان فأت سداه الذي يد به ، أو كان من أود به واهو لاج  
 فأت سداد ، أي بك سداه وصلاحه وتوحيده .  
 (٢) الصدف العفاء ، والصفاد : ما يوثق به القيد ونحوه ، يقول : لله ملك يد تولى الجليل وتهب  
 المطاء ، لا يزال نعمدها وشكرها لك إلى أن ينك ما قيدتنا به من أصفاد اللحم ، وقد جالس بين الصدف بمعنى  
 المطاء ، والصفاد بمعنى التمدد ، وحمل الاحسان صفادا وثيقا مستفيض في كلام الشعراء ، قال الشاعر :  
 « ومن وجد الاحسان قيد تهيأ . » وقال ابن الرومي :  
 « ما على الأحرار من ورق إذا قدوا شكرهم مولى أيادي  
 إنما التمسى صفادا فأذا لقيت شكرا ظليت بصفاد . »  
 وقال ابن جبر :  
 « عفتهم بالجليل فاعفوا ربعة أصفادها الصدف . »

أي قيودها المطاء ، وفي الأصل : « تولى بها » صدد .  
 (٣) في الأصل : « اليأس »  
 (٤) يقول : ينصاع ويرجع من مجارته في الجدل كل من جراه ، ويقف حيث اجدا مقبوض الخطا كأنما  
 صنت بيفاته القيود فنته من القى .  
 (٥) للزن : السحاب ويحاذ يعطر بالمود (يبتغ فسكون) وهو المطر الزرير .  
 (٦) يقول : ويضاف إلى هذا السكر الذي وصفه في البيت السابق محاسن أضاء الزمان بزهر نهموها ،  
 فكأنما كل يوم من أيامها عيد .



يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي - فِي ظِلِّهِ - رِيضَ الزَّمَانِ فَذَكَ مِنْهُ قِيَادُ  
يَا خَيْرَ « مُتَعَصِدٍ » بِمَنْ أَقْدَارُهُ - فِي كُلِّ مُعْصِلَةٍ - لَهُ أَعْضَادُ  
لَمَّا وَرَدَتْ - بِوَرْدِ حَضْرَتِكَ - الْمُنَى فَهَمَّتْ لَدُنَى جَاهِهَا الْأَعْدَادُ (١)  
فَأَسْتَقْبَلْتَنِي الشَّمْسُ تَبْسُطُ رَاحَةً لِلْبَحْرِ - مِنْ نَفْحَاتِهَا - أَسْتَمْدَادُ  
فَلَنْ فَخَرْتُ - بِمَا بَلَغْتُ - لَقَلَّ لِي الْأَ يَكُونُ مِنَ النُّجُومِ عِتَادُ  
مِنْهَا أَمْتَدَحْتُ سِوَاكَ - قَبْلُ - فَلَأَمَّا مَدْحِي - إِلَى مَدْحِي - لَكَ أَسْتَطْرَادُ  
يَفْشَى الْيَاكِدِينَ الْفُؤَارِسُ - حِقْبَةً - كَيْمَا يُعْلَمُهَا النَّزَالُ طِرَادُ (٢)  
فَلَأَسْجَبَنَّ ذِيْلَ الْمُنَى فِي سَاحَةِ - إِلَّا أَوْفَ بِهَا الْمُنَى - فَأَزَادُ (٣)  
وَلَيْسْتَ تَفِيدَنَّ السَّنَاءَ مَعَ الْفَنَى عَبْدُ يُفِيدُ النَّصْحَ حِينَ يُقَادُ  
وَلَأَنْتَ أَنْفَسُ شَيْعَةٍ مِنْ أَنْ يُرَى - لِنَفْسٍ أَعْلَاقِي لَدَيْكَ - كَسَادُ  
هِيَ هَاتَ قَدْ ضَمِنَ الصَّبَاحُ لِمَنْ مَرَى أَنْ يَسْتَبَّ لِسَعْيِهِ الْإِحْمَادُ (٤)  
لَا تَعْدَمَنَّ - مِنَ الْحَفُوظِ - ذَخِيرَةٌ تَبْقَى فَلَا يَشْلُو الْبَقَاءُ نَفَادُ

(١) فهت : جواب لما أى سال ، وجاها : جمع جم ( بالفتح ) وجة ( بالضم ) وهو اللاء الكثير والأعداد : جمع عد ( بالكسر ) ، وهو اللاء الدائم الذى له مادة لا اعتناء لها كماء الميون ، يقول : حين وردت فى حضرتك ورد للمنى ، همت جاها ، وسالت ميلها الأعداد ، يريد أنه رأى فيض للمنى يفتق من راحته ، وفى الأمل :

« لما وردت بورد حضرتك لنا فهت لدى جاها الأعداد . »

(٢) هو مطاردة الفرسان بعضهم بعضاً للفران على الحرب .

(٣) فلاسعين من الملى ذيلها فى ساحة جواد إن لم أوف برا ما طمع إليه فنى من الأمانى فأما سآزاد عليها ، يقول : إن أمره دائر بين أن يلى له بما تسو إليه نفسه من الأمانى ، أو يزيده عليها فوق ما يريد ويخفى .

(٤) يشير إلى لئال المهور : « عند الصباح يحمد القوم السرى . » وسيمر بك شرحه فى ص ( ٢١٧ ) من هذا الديوان .

## في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله  
أبا عمرو عاد بن محمد بن عاد ، ويذكر  
بعض مواقف له مع خاصته من أصفائه ،  
والمناوئين له من أعدائه . »

لَيْتَنِ الْهُدَى إِنْجَاحُ سَعْيِكَ فِي الْعِدَا      وَأَنْ رَاحَ صُنْعُ اللَّهِ نَحْوَكَ وَأَعْتَدَى<sup>(١)</sup>  
وَتَهْجُكَ سَبِيلُ الرُّشْدِ فِي قَمْعٍ مِنْ غَوَى      وَعَدْلُكَ فِي اسْتِفْصَالٍ مِنْ جَارٍ وَأَعْتَدَى<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْ بَاتَ مِنْ وَالَاكَ فِي نَشْوَةِ الْغِنَى      وَأَصْبَحَ مِنْ عَادَاكَ فِي غَمْرَةِ الرَّدَى<sup>(٣)</sup>  
وَبُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةٍ الْعَهْدِ طَلْقَةُ      كَمَا ابْتَسَمَ النُّوَارُ عَنْ أَدْمُعِ النَّدَى<sup>(٤)</sup>  
وَدَوْلَةُ سَمْدٍ لَا أَتْنَاهَا لِجَدِّهِ      إِذَا قِيلَ فِيهِ قَدْ تَنَاهَى تَوْلَدَا  
دَعَوْتَ ، فَقَالَ النَّصْرُ : لَيْتَكَ مَائِلًا      وَلَمْ تَكُ كَالِدَاعِي يُجَاوِبُهُ الصَّدَى

(١) السى : التصرف في كل عمل من خير أو شر ، أى أن سبيل الهدى وسبيل المؤمنين جديران بكل  
تهنئة وبشرى حيث أجمع الله سيك في مناجزة أعدائك ولم يزل يجهدك بمجمل صنعه ولطيف إحسانه في الرواح  
والندو ، والصباح والمشي .

(٢) ولين الهدى أيما سلوكك مناهج الرشد ، وإجراؤك سنة العدل في قمع الماوين الفاسدين ، واستئصال  
شأفة الجائرين المعتدين ، واقتلاعهم من أصولهم ، وتذهير الملوك من مفاسدهم وفسورهم .

(٣) والى : اللوالة ضد المعادة ، وقد طابق في البيت بين « بات » و « أصبح » و « والى » و « عادى »  
و « نشوة الغنى » و « غمرة الردى »

(٤) النوار : بضم أوله وتشديد ثانيه النور ، واحده نواره وقد نور الشعر والتبات أى أزهى ، وفي البيت  
تشبيه النوار بالنور الباسم عن تولد الدال .

وَأَتَّخَذْتُ عُنُقِي الصَّبْرَ فِي دَرَكِ الْمُنَى      كَمَا بَلَغَ السَّارَى الصَّبَاحَ فَأَتَّخَذَا (١)

« أَصْبَادُ » يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ بِذِمَّةِ      وَأَرْعَاهُمْ عَهْدًا وَأَطْلُوهُمْ يَدَا  
تَبَايَنْتَ فِي حَالِيكَ : غُرْتَ تَوَاضُعًا      لِنِسْتَوْفِي الْعَلِيَّا ، وَأَتَّخَذْتُ سُودًا (٢)

(١) الدرك : محركا الحاق والوصول إلى الشيء . يقال أدركته إدراكا ودركا ومنه الدرك بالسكون . قال  
سحدر يخاطب الأسد :

« لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَكَانِ مَنِّكَ      كَلَامَا ذُو أَنْفٍ وَمَعِكَ  
وَبَطْشَةً وَصُولَةً      إِنْ يَكْشِفُ اللَّهُ قَتَاعَ الشِّكِّ  
يَنْظُرُ مِنْ حَاجَتِي      وَدَرَكٍ      فَمَا أَحَقُّ مَقُولَ بَرَكِ  
الَّذِي يَسُورِي      وَالْفَرَابِ يَكِي »

والساري : اسم فاعل من السرى وهو سير الليل وأصل اللتل «عند الصباح يحمد القوم السرى» وأول من  
قال ذلك كما في بحر الأمثال عن «الفصل» الأصمى هو «خالد بن الوليد» لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنهما  
وهو «بالجامة» أن سر إلى «المراق» فأراد سلوك المغارة ، فقال له «رافع» الطائي : قد سلكتها في  
الحاملية ، هي خس للابل الواردة ، ولا أظنك تهدر عليها إلا أن تحمل من الماء . فاشترى مائة شارب  
صطفها ، ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم كتبها وكعم أفواهما ، ثم سلك للمغارة حتى إذا مضى يومان وخلف  
المطش على الناس والليل وخفى أن يذهب ما في بطون الابل ، نحر الابل ، واستخرج ما في بطونها من الماء  
وسقى الناس والحيل ومضى لما كان في القبة الزامة ، قال «رافع» : انظروا هل ترون سدرًا نظامًا ؟ قال  
رأيتوها ولا هو الهلاك . فظفر الناس فرأوا السدر فأخسروه فكبر وكبر الناس ثم همجوا على الماء ،  
قال خالد :

« لَقَدْ دَرَّافِعَ أَنِّي أَصْدَى      مَوْزٍ مِنْ قَرَانٍ إِلَى سَوَى  
حَسَا إِذَا سَارَ بِهِ الْجَيْشُ      مَسَارَهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرَى  
عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ      وَتَحْتَلِي عَنْهُمْ فَيَلْبَسُ الْكَرَى »  
يضرب لرجل يمشي للشقة رجاء الراحة .

(٢) غرت : من غار غوراً فهو غائر إذا أتى الغور وهو ما انحدر مسيله ، ويقابله التحد : يقال : غار  
وأحمد وأظفر وأتجد ، قال جرير .

« يَا أَمَّ حَزْرَةَ مَا رَأَيْنَا مِثْلَكُمْ      فِي النَّجْدَيْنِ وَلَا بِهَوْرِ الدَّثَرِ »  
وقال الأعشى :

« نِي يَرَى مَا لَا تَرُونَ وَذَكَرَهُ      أَفَارَ لِمَسْرَى فِي الْبِلَادِ وَأَتَّجِدَا . »

وأنكر الجوهري أمار ، وقال الأسي : أمار وأتجد في بيت الأعشى بمعنى أسرع وارتفع ، على أن النصف  
الثاني من البيت روى غزوما هكذا : « غار لمسى في البلاد وأتجد » ، يقول : بين حالك من التواضع  
والسود إلى مراتب السيادة بون شاسع ، فقد انحدرت إلى غور التواضع فكانت حابة ذلك أن استوفيت حظك  
من العلباء وبلغت أسنى مراتب السود والرفعة .



وَلَمَّا اَعْتَصَدْتَ اِلَهَ كُنْتَ مُوَهَّلًا      لَدَيْهِ لِأَنْ تُحْنِي وَتُسْكِنِي وَتُعْصِدَا  
وَجَدْنَاكَ اِنْ اَلْتَحْتَ سَمِيًا تَتَجَبَّه      وَغَيْرُكَ شَاوِي حِينَ اَنْضَجَ رَمَدًا (١)  
وَكَمْ سَاعَدَ الْاَعْدَاءُ اَوَّلَ مُطْمَعٍ      رَاوِكَ بِمُقْبَاهُ اُحَقِّ وَأَسْمَدَا  
فَلَا ظَافِرٌ اِلَّا - اِلَى سَمَدِكَ - اُعْتَزَى      وَلَا سَائِسٌ اِلَّا بِتَدْيِيرِكَ اُقْتَدَى



صَلَاةً لِمَقْتُونٍ سَمَوْتَ بِحَالِهِ      اِلَى اَنْ بَدَتْ - يَبْنَ الْفَرَايِدِ - فَرَقْدَا  
رَأَى حَطَلًا اَوَّلَى بِهِ ، فَاحْلَمَا      حَضِيضًا بِكُفْرَانِ الصَّغِيَةِ اَوْ هَذَا (٢)  
وَمَا زَالَ - لَمَّا لَجَّ فِي الْبُغْيِ - اَنَّهُ      سَعَى لِلَّذِي اَصْلَحْتَ مِنْهَا فَافْسَدَا  
فَزَلَّ وَقَدْ اَمْطَيْتُهُ نَبِجَ الشَّهَا      وَصَلَّ وَقَدْ لَقِيْتُهُ قَبَسَ الْهَدَى (٣)  
طَوِيلُ عَثَارِ الْجُرْمِ قُلْتَ لَهُ: «لَمَّا» (٤)      يَحْلُمُ تَلْقَى جَهْلُهُ فَتَقَعْدَا (٥)

(١) اَلْتَحْتَ من اَلْتَحَ الفعل الافة ، ولتحت هي ، قال الحرث بن عباد :

« قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّمْلَةِ مَيَّ لَقِيتَ حَرْبَ وَاثِلٍ مِنْ جِيَالٍ . »

والشي : انصرف في الأمور ، وتجنبه : من قولهم تنج دلال الافة إذا دلى تاحها وهي ماخص حتى تضع ، وفي النمل : « هل تمنج الافة إلا إلى لتحت له » ، وكتب عليه صاحب مجمع الأمثال ما لخصته : يقال تنجت الافة على ما لم يسم فاعله ، وأتجنبها إذا أنسها على ذلك ، والناج للوق كالفألة للاسنان ، ولتحت تلفع لها ولها والافة لاتفع ونفوح ، ومعنى النمل : هل يكون الولد إلا لمن يكون له الماء ؟ يضرب في التفتيه ، ويروي « لما لتحت له » أي فاحها أي قبول رجها ماء الفعل ، يشير إلى صدق الشبه ، و « ما » مع « لتحت » المصدر ، وغيره شاعر : أصل النمل « شوى أخوك حتى إذا أضج رمد » والرميد الغاء الشواء في الرماد ، يضرب - كما في مجمع الأمثال للبدائي - لمن يغمد اصطاعه بالإن ، ويردف صلاحه بما يورث سوء الطل ، ويروي عن أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه : أنه سمَّ بدار رجل عرف بالصلاح فسح من داره صوت بعض اللامى فقال : شوى أخوك حتى إذا أضج رمد .

(٢) الحضيض : الفرار من الأرض المنخفض عن سفح الجبل ، وأوهد : أفضل تفضيل من الوعدة وهي الهوة ، يقول : رأى ذلك للمتون انحطاط حاله أول به فأنزله للمدح من مستوى الفرائد إلى أحط قرار من الأرض بسبب كفران النعمة وتكران الجليل .

(٣) تنج السها : أملاه ، والسها : نجم صغير في بنات النش الكبرى يمتنعون به ابصارهم لخفاه ، وفي النمل « أدبها السها وترتقى القمر »

(٤) دعوت له بأن يقيه الله من سقطته . (٥) غطى على جهله وسره .

تَجَنَّى فَأَهْدَيْتَ النَّصِيحَةَ مَحْضَةً ، وَلَجَّ فَوَالَيْتَ الْعِقَابُ مُرَدِّدًا <sup>(١)</sup>  
وَلَمْ تَأَلُهُ بَقِيًّا عَلَيْهِ تَنْظَرًا لِفَيْئَةٍ مِنْ أَكْرَمَتِهِ فَتَمَرَّدَا  
فَاآثَرَ الْأَوَّلَى ، وَلَا قَلَّدَ الْحُجْبَى ، وَلَا شَكَرَ النُّعْمَى ، وَلَا حَفِظَ الْيَدَا  
كَأَنَّكَ أَهْدَيْتَ السَّوَاحِجَ ضَمْرًا لِيَزْكُضَهَا - فِيمَا كَرِهْتَ - فَيَجْهَدَا <sup>(٢)</sup>  
وَأَجْرَزَتْهُ ذَيْلَ الْحَبِيرِ <sup>(٣)</sup> تَأَلَّفَا لِيَخْلُقَ - فِيمَا جَرَّ - حَقْدًا مُجْدَدًا <sup>(٤)</sup>  
سَلَّ الْخَائِنَ الْمُغْتَرَّ : كَيْفَ اخْتِقَابُهُ - مَعَ الدَّهْرِ - عَارًا بِالْعِرَارِ مُحْلَلًا ؟ <sup>(٥)</sup>  
رَأَى أَنَّهُ أَضْحَى هَزَبًا مُصَمَّمًا ، فَلَمْ يَمُدَّ أَنْ أَمْسَى ظَلِيمًا مُشْرَدًا <sup>(٦)</sup>  
دَهَاهُ - إِذَا مَا جَنَّتْهُ اللَّيْلُ - أَنَّهُ أَقَامَ عَلَيْهِ - آخِرَ الدَّهْرِ - سَرْمَدًا <sup>(٧)</sup>

(١) يقول بدأ يتجنى عليك الذنوب ويحفظها خلفا ، فكان جراؤه منك أن تمضه الصبح خالسا بريئا ، طالع و غروره وعصيانه سببت عليه هلاك التوالى لتزجره - على أسأته وتؤديه .

(٢) كأنما أهديته الجياد الضمير ليعاربك بها ويعجده نفسه في توخي أعدائك وتداب ما تكره .

كأن هذا الخائن ظن أنك أهديته الجياد الضمير السوايح ليجهدا ركضا فيما تكره من مناصرة أعدائك .  
(٣) أحرزته ذيل الحبير : حطته يجر ذيل الصمة .

وكأنه ظن أنك تأله بما تخلف عليه من حبير أجززته ذيله ليعلق لك مشاكل ويجدد أحقادا بسبب ماكره من حرائر وجرائم . (٤) وفي الأصل : « للحد مجددا »

(٥) الخائن : الأحمق ، والمغر الفقيه المغرض المعروف من غير أن يسأل ، والاختقاب الادخار ، يقال : اختبب الشيء : ادخره ، واختبب خبيرا أو شرا واختببه : احتمله وجعله خلفه ، واختبب الائم : جمعه ، والعرار - جمع عرة وهي الحلة الغريبة .

(٦) المصم : الماضي في الأمر ممتزما ، والظلم : الذكر من النمام ، قال تأبط شرا :

« أنا الذي نكح البيلان في بلد ما طل فيه سماكي ولا جادا

في حيث لا يمت المادى عمايه ولا الظلم به يعني تبيدا

وقد لهوت بمصقول عوارضها - بكر تنازعني سكاسا وعقدا

ثم اغشى عصرها عني ، وأعقبه عصر الشيب ، قل في صالح نادا .

أى نكح البيلان في بلد لم يظفر بالطل وهو الرذاذ «الطر الحفيف» ولم يظفر فيه الظلم - « فرخ النمام » - بلهيد - وهو الخنظل - لياكله ، وقد لها بنتان من الأبيكار معقولة المارضين تنازعه كثرس الحر وعنايد الغنم ، ثم اتفقى ذلك العصر الصالح وأعقبه عصر الشيب .

(٧) يقول : وقد أصبح يترقب جزأ أن يكون حينه مرتبنا بيومه وصار يوجبى الفم خوفا من أن يكون ليه سمرمدا إذا قتله .

يُحَاذِرُ أَنْ يُبْلَقَ قَتِيلًا مُعْفَرًا - إِذَا الصَّبْحُ وَاقٍ - أَوْ أُسِيرًا مُقْبِدًا

✽ ✽

لَيْسَ الْوَفَاءُ أَسْتَنَّى فِي «ابْنِ عَصِيدَةٍ» عَشِيَّةً لَمْ يُصْدِرْهُ مِنْ حَيْثُ أُوْرِدَا  
قَرِينٌ لَهُ أَغْوَاهُ حَتَّى - إِذَا هَوَى - تَبَرَّأَ يَتَقَدُّ الْبَرَاءَةُ أَرْشَدًا (١)  
فَأَصْبَحَ يَبْكِيهِ الْمَصَابُ بِشُكْلِهِ ، بُكَاهُ «لَبِيدٌ» حِينَ فَارَقَ «أَرْبَدًا»  
فِدَاهُ لِإِسْمَاعِيلَ كُلُّ مُرَشَّحٍ إِذَا جُشِمَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ تَبَلَّدَا (٢)

✽ ✽

أَفَادَ مِنَ الْأَمْلاكِ حَدَثَانٍ فَشَلِيمٍ مَوَالِي، لَمْ يَشْكُ الصَّدَى مِنْهُمْ الصَّدَا (٣)  
أَعَادَ الصَّبَاحَ الطَّلُقَ لَيْلًا عَلَيْهِمْ فَجَاءَ وَأَنْتَى نَاطَرَ الشَّمْسِ أَرْمَدَا  
فَحَلَّ هِلَالًا - فِي ظَلَامٍ عَجَاجَةٍ - تَلَا حِظُهُ الْأَقَارُ - فِي الْأَفْقِ - حُسْدَا  
يُرَاجِمُ مِنْ «صِنْهَاجَةٍ» وَ «زَنَاتَةٍ» - يَمِثِلُ نُجُومِ الْقَذْفِ - مِثْلَى وَمَوْحَدَا (٤)

(١) يقول : أن قرينه زين له الصلال حتى إذا تردى في سوء عمله تبرأ قرينه من عمله ورأى في التخلي عنه وسيلة إلى نجاته .

(٢) المرشح : المؤمل .

(٣) يقول : إن نوال الأحداث والحدوب التي أترها جيشه بالملوك قد أفادته موال غاية في البسالة لا يمتكو المعطشان منهم عطشاً لشدة ما أوتيته من صبر وحل .

(٤) راحم عنه : فاضل ، وراحم في الكلام والحرب بالغ بأشد مساحة ، ونجوم القذف ، أو شهب القذف هي الرحوم ، قال الشاعر :

« كسهاب القذف يرميكم به فارس في كفة الحرب نار . »

يقول : لأنه يسأل بنصرة أهل زفاته وصنْهَاجَةٍ ويقذف بهم الأعداء كما يقذف بالشهب ويرحم بها شائئيه ، وقد اشتهرت صنْهَاجَةُ بَنَكٍ للذبحه الكبرى التي حدثت في القرن الخامس من الهجرة سنة ٤٥٩ هـ وقد ثارت صنْهَاجَةُ على اليهود وقتلوا منهم مئة عظيمة وفيهم الوزير يوسف بن نغزة اليهودي ، وكان سبب هذه الذبحه أن ذلك الوزير - وكان قد استوزره باديس صاحب غرناطة - قد وثى بأبي إسحق الفقيه زاهد البيرة فأقصاه السلطان من بلاده .

قالوا : « وكان ذلك الوزير قد تعرض لتسفيه بعض الآراء الدينية الاسلامية ، وكان عظيم الخطر واسع

## هَمْ الْأَوَّلِيَّاهُ الْمَانُحُوكَ صَفَاءَهُمْ إِذَا أُمْتَاَزَ مُصْنِي الْوُدِّ يَمْنَنُ تَوَدَّدًا

النفوذ - فوجد أبو إسحق من ذلك حائرا إلى إنشاء تصيدته البليغة التي دفعه إلى قولها غيظه من عدوه - ذلك الوزير الخطير - فلما تحريضا وأقصا حجباً ورامين، أطلع في التأخير بها على العامة وحلهم على إغاذل رغباته - وما زال يمتن في ضروب الاحتثات والتضييع حتى اشتمل الجمهور حساسة وحجم على ذلك الوزير قتلته - في نصر السلطان معه - وليس من شك في أن أبا إسحق بدل كل مواهبه في الضرب على النعمة الدينية وإظهار الفجع الشديد على ما انتاب الدين من التهاون به وعرف كيف يوالى فيها اطراد الأدلة وانساقها وتدق للماني وغرارتها مع دقة بحجية في التعبير عن أغراضه وخوالجه بكلام ظم ، يتطير حساسة ويتأجج ناراً ، وسعر صارخ

« خارج من قلب فائه مثلما يزمر بركان . »

وبهذا استطاع أن يوهم ساهميا أن قتل أولئك اليهود - أنصاهم - فرض لا مناص من أدائه وواجب حتم لا يصبغ السكوت معه وأنهم - إن كانوا غفلوا عن القيام به فيما مضى - فهم حليقون أن يتداركوه في الحال ، حتى لا تصب عليهم لعنة الله ، أو يحق بهم غضبه ، فيحسف بهم الأرض ، أو ينزل عليهم الساء ، وكذلك لم يترك فاطما وسسيرة من الوسائل التي تستر أحق المواقف الدينية الكاشنة إلا استتخدمها ، ولا لعنة من نعمات متعصب العقيدة الدينية إلا ضرب على وتيراتها . كل ذلك بأسلوب سهل رشيق كاد يصل - لسهولته - إلى حد الركاكة في سبب الآيات مع أنه من أجل الشعر وأبدعه ، وإن شئت فقل وأروعه ، وإليك هذه القصيدة المريدة في بابها :

« ألق لصنحة أجهين بدور الزمان وأسد المرين

مقالة ذى مفة مشفق يمد المصيبة زلى ودين

لقد دلّ سيديكم ذلة تفرّ بها أهين الشامين

تحير كتابه ككافرا ولو شاء كان من المؤمنين

فر اليهود به وانتدوا وتاهوا ، وكاتوا من الأردلين »

ومنها :

« فكم مسلم راغب راه لأردل فرد من المشركين

وما كان ذلك من سميم ولكن منا يقوم المين

ههنا اقتدى منهم بالأل من القادة الحيرة المتقين

في هذا البيت شيء كثير من الركاكة في قوله « بالأل من القادة الحيرة المتقين » ولكننا ستفرها لما في

ليه من صحة تلك الصورة الشعرية للتضيق البدنية .

وأنزلهم حيث يسألون ورددتم أسفل السافلين

لم يستمعوا بأعلامنا ولم يستطيلوا على الصالحين »

ومنها يخاطب السلطان بلديس :

« أبا ديس ! أت اسرؤل حاذق نصيب بطلك عس القيين

فكيف حتى عك ما يمشون وفي الأرض تضرب منها القرون

وكيف تحب فراخ الزمان وقد بنضوك إلى الصالحين

لَهُمْ كُلُّ مَيْمُونِ النَّفِيَةِ بَازِلٍ <sup>(١)</sup> كَفِيلٍ بِأَنْ يَسْتَمِرِّمَ الْجَمْعَ مُفْرَدًا  
يَسْرُكُ فِي الْهَيْجَا إِذَا جَرَّ لَامَةً وَيُرْضِيكَ فِي النَّادَى إِذَا أَعْتَمَّ وَأَرْتَدَى <sup>(٢)</sup>

\* \*

كَرِهْتَ - لِسَيْفِ الْمَلِكِ - أُلْفَةً غَمْدِهِ وَقَلَّ غَنَاهُ السَّيْفُ مَا كَانَ مَغْمَدًا  
وَلَمْ تَرَ لِلْسَّبِيلِ الْإِقَامَةَ فِي الشَّرَى فَجَدَّ أَفْتِرَاسًا حِينَ أَفْخَرَ لِلْعِدَا  
هُمْ - إِذَا حَارَبْتَ - فَأَرْفَعُ لَوَاءَهُ، قَا زَالَ مَنْصُورَ أُلْوَاهِ مُؤَيَّدًا  
وَيَأْنَفُ مِنْ بَيْنِ الْمِهَادِ تَعَوُّضًا بِصَهْوَةِ طَيَّارٍ - إِلَى الرُّوْحِ - أَجْرَدًا  
وَقَدْ مَا شَكَا حَبْلَ التَّائِمِ يَافِغًا لِيَحْمِلَ رَفْرَاقَ الْفَرِيدِ مُنْهَدًا  
وَلَمْ تَرَ سَيْفًا - بِأَيْتِكَ <sup>(٣)</sup> الْحَدَّ قَبْلَهُ - تَنَاولَ سَيْفًا - دُونَهُ - فَتَقَلَّدَا

وكيف يتم لك الرقي إذا كنت تبي وهم يهدمون  
وكيف استمنت إلى فاسق وفارته وهو بش العرين ؟  
ومنها :

« وإني حلت منراطة فكنت أراهم بها طابى  
وقد تسووها وأعلها فثم بكل مكان لبي »  
ومنها :

« وهم أما كم على سرّكم وكيف يكون أمينا غوون ؟  
ويأكل عسبرهم درهما فيقضى وينتون إذ يأكلون  
وقد نهضوكم إلى ربكم فما ينعون وما ينكرون »  
ومنها :

« ورخم قردهم داره وأجرى إليها نعيم العيون  
وصارت حوافها عنده ونحى - على باب - قائون  
ويضحك منا ومن ديدا فانا إلى ربا راحون »  
(١) البارل : الرجل السكّال ، والبازل أيضا الناقة في طامها التاسع ، قال الشاعر :  
« عفرت البزل إن هي ظالقي فإ بال وبال ابني ليون »

(٢) أي تعجب بشجاعته إذا لبس لامة الحرب كما تعجب بشجاعته التحف رياه وليس عملته في السلم .  
(٣) باتك الحد : طامة مرهقة .



لَبَنُ أَنْجَزَتْ مِنْهُ الشَّمَائِلُ آخِرًا      لَقَدْ قَدَمْتُ مِنْهُ الْمَخَالِلُ <sup>(١)</sup> مَوْعِدًا  
قَرَزَتْ بِهِ عَيْنًا، فَكَمْ سَادَ عِتْرَةً      وَكَمْ سَاسَ سُلْطَانًا، وَكَمْ زَانَ مَشْهَدًا  
وَأَعْطَيْتُمَا - فِيمَا تُرِيدَانِي <sup>(٢)</sup> - الرِّضَى،      وَبُلَغْتُمَا - مِمَّا تُرِيدَانِي - الْمَدَى

### دولة عباد

كَمْ لِرِيحِ الْغَرْبِ مِنْ عَرَفٍ نَدَى      كَالشَّرَابِ الْعَذْبِ فِي نَفْسِ الصَّدَى <sup>(٣)</sup>  
حَيْثُ «عَبَادُ» فَتَى الْمَجْدِ الَّذِي      نَصَّتِ الدُّنْيَا بِهِ نَفْسَ الْهَدَى  
مَلِكُ رَاحَتِهِ بَحْرُ النَّدَى      مِثْلَمَا غُرَّتُهُ بَذْرُ النَّدَى  
أَصْبَحَتْ دَوْلَتُهُ فِي عَصْرِنَا      كَفَرْنِدَ عَادَ فِي سَيْفِ صَدَى <sup>(٤)</sup>

### إلى حبيب

يَا ظَبِيَّةَ لَطُفْتَ مِنِّي مَنَازِلَهَا      فَالْقَلْبُ مِنْهُنَّ وَالْأَحْدَاقُ وَالْكَبِدُ  
حُبِّي لَكَ النَّاسُ طُرًا يَشْهَدُونَ بِهِ      وَأَنْتِ شَاهِدَةٌ إِنْ يَتَنَبَّهُمْ حَسَدُ  
لَمْ يَعْزُبِ الْوَصْلُ فِيمَا يَتَنَنَّا أَبَدًا      لَوْ كُنْتُ وَاجِدَةً مِثْلَ الَّذِي أَجِدُ

(١) الخليل من السحب : اللذرة بالمطر . قال مروان ابن أبي حفصية :

« إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تَخْلَفْ عَجَابُهُ »

وهي هنا بمعنى الدلائل التي تتوسم بها الغنى، والتمائل : الصفات ، قال أبو تمام يرثي طفيلين :

« لَمْ يَلْحَقْ عَلَى تِلْكَ الْخَالِيلِ مِنْهَا لَوْ أَمَلَتْ حَتَّى تَكُونَ شِمَالًا »

لماذا سكونتهما حبا ، وصباحهما عزما ، وتلك الأرمجة نائلا .

(٢) تربيانه : تطلباته ، تقول : أراغ الشيء أى أراده وطلبه ، وقد جاء في الأصل :

« وَأَعْطَيْتُمَا - فِيمَا تُرِيدَانِي - الرِّضَى »

(٣) الصدى : الضالآن .

(٤) أعادت دولته إلى زماننا روقه وبياهه فصار كالسيف ماوده الصقل والرواق بعد أن علاه الصدا .

## في مدح أبي المظفر

« وقال يمدح أبا المظفر سيف الدولة أبا بكر محمد

ابن مسلم صاحب بطليوس . »

هِيَ الشَّمْسُ مَغْرِبُهَا فِي الْكِلَافِ وَمَطْلَعُهَا مِنْ جُيُوبِ الْحُلَلِ (١)  
وَعُصْنُ تَرَشَّفَ مَاءِ الشَّبَابِ ثَرَاهُ الْهَوَى وَجَنَاهُ الْأَمَلِ (٢)  
تَهَادَى لَطِيفَةً طَى الْوِشَاحِ وَتَرَنُو صَنِيفَةً كَرَّ الْقَلِّ (٣)  
وَتَبَرُّزُ خَلْفَ حِجَابِ الْغَفَافِ وَتَسْفِرُ تَحْتَ قَنَابِ الْحَجَلِ (٤)  
بَدَتْ فِي لِدَاتِ - كَرْهَرِ النُّجُومِ - حِسَانِ التَّحْلِى مِلَاحِ الْعَطَلِ  
مَشَيْنَ يَهَادِينَ رَوْضَ الرُّبَا يَابِعِ رَوْضِ الْعَصْبِ الْمُقْتَبَلِ  
فَرْنَ قُضْبٍ تَنْتَنَى بِرِيحٍ وَمِنْ قُضْبٍ تَنْتَنَى بِدَلْ  
وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِمَسْكٍ وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِطَلْ  
تَعَاهَدَ صَوْبُ الْعِهَادِ الْحِمَى وَلَا زَالَ مَرْبُهَا فِي مَلَنِ (٥)

(١) الكل : جمع كلة ، وهي ستر رفيق مربع يتوق به من البعوض ونحوه ، والجيوب : جمع جيب ، وهو من القميص طوله ، والحلل : جمع حلة بالهمز وهي إزار وراية ( برد أو غيره ) ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة ، وللمنى أن هذه المساء شمس تعرب في الكل كما تنيب الشمس في مريها ، وتفرق من جيوب الحلل كما تطلع الشمس من مخرجها .

(٢) وهي غصن غرس في أرض الهوى وارتوى بماء الشباب لاماء السحاب فأجنانا ثمرة الأول .

(٣) تهادى : تسمى مشية في مهل وتناقل ، وترنو : تظفر بؤخر عينها ، يعني أنها تهادى بين أثرها يكاد ينعدم ما انطوى عليه الوشاح من الحصر ، وتكر بسيف لحظها من جفون فائرة مريضة .

(٤) تسفر : مضارع سمرت المرأة سفورا كشفت القناع عن وجهها ، يقول : إذا برزت لرجال برزت وراء حجاب يصونها من صفها وإذا بدت لهم سافرة ستر وجهها قناع من الحياء والحجل .

(٥) العهد : المطر ، وصوه نزوله ، والريح : للوضع الذي ينزلون فيه أيام الريح ، ولا زال مريها في ملل : أى ولا زال المطر يصوب في مريها حتى يميل لكثرة نزوله ، وفي الأصل :

« ولا مل مريها في ملل » وجاء في ابن الأثير : في حديث الاستسقاء فألف الله السحاب وملتنا ، كذا في رواية مسلم ، قيل في من اللل أى كثر مطرها حتى ملتنا . انظر ج ٤ ص ١٠٩ من النهاية لابن الأثير .

مَرَادٌ - مِنَ الْحُبِّ - غَضُّ الْجَنَى ، لَدَيْنَهُ - مِنَ الْوَصْلِ - وَرْدٌ عَمَلٌ  
لِيَاكِلَ مَا أَفْطَكَ يَهْدِي الشَّرُورَ حَبِيبٌ مَرَى ، وَرَقِيبٌ غَفَلٌ  
زَمَانٌ كَانَ الْفَتَى الْمَسْلَمِيَّ تَكَنَّفَهُ عَدْلُهُ فَاعْتَدَلَ  
تَدَارَكَ<sup>(١)</sup> مِنْ حُكْمِهِ أَنْ يُعِيدَ بِهِ عِزَّةَ الدِّينِ أَيَّامَ ذَلٍّ  
وَيُوضِحَ رَسْمَ التَّقَى - إِذْ عَفَا - وَيُطْلِعَ نَجْمَ الْهُدَى إِذْ أَقْلَ

حَمْدُنَا « الْمُظَفَّرُ » لَمَّا رَأَى \*  
مَلِيكَ تَجَلَّى لَهُ غُرَّةٌ تَأْمَلُهَا غِرَّةٌ تُهْتَبَلُ  
أَشْفَى الْوَرَى - فِي النَّهْيِ - رُثْبَةً ، وَأَشْهَرُهُمْ - فِي الْمَعَالِي - مَثَلٌ<sup>(٢)</sup>  
وَأَحْرَى الْأَنَامِ بِأَمْرِ وَنَهْيِ وَأَذْرَى الْمُلُوكِ بِعَقْدٍ وَحَلٍّ  
يَمَاقِبُ لَهُ النَّجَاحُ مِنْ يَتَنِيمُ بِمَا أَوْرَثَ التَّبَعُونَ الْأَوَّلُ  
سَنَامٌ - مِنَ الْمَجْدِ - عَلَى التَّرَا يَفْطُلُ الْعِدَامَةُ تَحْتَ الْأَظْلُ<sup>(٣)</sup>  
تَقِيلُ - فِي الْمَهْدِ - ظِلَّ اللَّوَاءِ وَسِيمَ التَّهْوُضِ بِهِ فَاسْتَقَلَّ<sup>(٤)</sup>  
وَنَيْطَتْ حَمَائِلُهُ الْوَأَفِيَاتُ - مَكَانَ تَمَائِمِهِ - فَاحْتَمَلْنَ  
وَمَا بَلَّتِ الْبُرْدُ تِلْكَ الدَّمُوعُ عِ إِلَّا وَفَى الْبُرْدِ لَيْتُ أَبْلُ<sup>(٥)</sup>

(١) في الأصل : « بَارَكَ »

(٢) وقف على « مثل » بالكون مع أنه منصوب لوقوعه تحيزاً ، وريضة يجررون للنصب في الوقف  
يجرى المرفوع والمجرور فيقفون عليه بالكون ، وقد اضطرت القافية - في غير ما موضع - أن يترك  
الاستعمال العادي من لغة العرب ويلجأ إلى هذه اللفظة الغريبة .

(٣) باطن منسج البعير .

(٤) تقيل : استغل ، وسيم : كلف ، بالغ إلى حد الأفراق لجل للدوح وهو في الهد يقود الجيوش  
ويقبل ظل اللواء ويكلف التهوض بهذا الصب يستغل بحمل اللواء وحده .

(٥) البيت الأبل : الأبل الشديد الحصومة .



صَدَقْنَا الْكَارِمَ فِيهِ مَعَانٍ      تَبَشَّرْنَا فِيهِ مِنْهَا الْجُلْنَ  
تُرَى بَنَدَ بِشْرِ يُرِيكَ الْغَمَامَ      تَهَلَّلَ بَارِقُهُ فَاسْتَهَلَّ  
يُصَدِّقُ مَا حَدَّثْنَا «عَسَى»      بِهِ عَنْهُ ، أَوْ أَنْبَأْنَا «لَمْ»  
فَمَا وَعَدَ الظَّنُّ إِلَّا وَفَى      وَلَا قَالَتِ النَّفْسُ إِلَّا فَعَلْ  
فَلَقَى مُنَاوِقَهُ مَا أَتَى      وَأَعْطَى مُؤَمَّلَهُ مَا سَأَلَ

كَمْ أَسْتَوَفَتِ الشُّكْرَ نَمَّاوَهُ      فَأَقْبَلَ يُنْعِمُ مِنْ ذِي قَبْلِ (١)  
غَمَامٌ يُطْلُ ، وَخُمْسٌ تُذِيرُ ،      وَبَحْرٌ يَفِيضُ ، وَسَيْفٌ يُسَلُّ  
قَسِيمُ الْمُحَيَّا ، خَمُوكُ السَّمَاحِ ،      لَطِيفُ الْخَوَارِ ، أَدِيبُ الْجَدَلِ  
تَوْسَى الْبُلَاقَةَ أَفْلَامُهُ      إِذَا مَا الضَّمِيرُ عَلَيْهَا أَمَلُ (٢)  
يَتَانُ يُيِّنُ - لِلْسَامِعِينَ -      أَنَّ مِنَ السَّحْرِ مَا يُسْتَعْلَمُ (٣)  
أَلَا هَلْ سَبِيلٌ إِلَى الْغَيْبِ فِيهِ      فَكَمْ عَيْنٌ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كَمَلُ (٤)

- (١) يقال : فليت من ذي قبل (بمجتنب وبكسر وجع) أى فيما يستقبل .  
(٢) يقال أمل عليه الكتاب أى أملاه ليكتبه ، وفي الكتاب التوريز : (فليكتب وليمل الله عليه الحق) وفيه أيضا : (وغلوا أساطير الأولين اكتبها فهي تملى عليه)  
(٣) السحر الذى يستعمل هو سحر البيان ، وفيه الإشارة إلى اللئيل للجمهور : إن من البيان لسحرا ، قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - حين وفد عليه ، عمرو بن الأَتم ، والزرقان بن بدر ، وقيس ابن ماض ، فقال عليه الصلاة والسلام عمرو بن الأَتم عن الزرقان : فقال عمرو : « مطاع فى أدبه ، شديد للمارضة ، مابح لما وراء ظهره » . فقال الزرقان : « يا رسول الله ! إنه يعلم منى أكثر من هذا ولكنه حسدى » . فقال عمرو : « أما والله ! إنه زمن للرومة ، ذيق المعطن ، أحق الوالد ، لئيم الحال ، والله يا رسول الله ما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الأخرى ، ولكى رجل وضيت فقلت أحسن ما حدثت ، وسحطت فقلت أبلع ما وجدت » . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لسحرا » ، وإنما سعى البيان سحرا لتأثيره فى سامعه ، وسرعة قبول القلب له .  
(٤) حين : أصيب بالعين ، من حال المحسود بمنه فهو حآن والمحسود حين أصابه بالعين ، يقول : هل من سبيل إلى وجود هيب واحد فيه يقبه شر أعين الماسدين ، فكثيرا ما أصيب بالعين الكامل الذى لا نقص فيه ولا هيب . وهذا قريب من قول القائل :  
« ما كل أحوج ذا الكمال إلى هيب يوقيه من الهين . »

\* \*

لَنْ لَيْسَ الْمَلِكُ رَحَبَ الْمَلَأِ ، فَاخْتَالَ مِنْهُ بِذَيْلِ رَقْلٍ  
قَلْبٌ تَزُوْدُهُ لِمَعَالِي وَإِنْ تَأَهَّبَهُ لِلْجَلِّ  
فَأَخْبَرُ سُوَاسِ هَذِي الْأُمُورِ وَنَاسِكَ أَرْبَابِ هَذِي الدُّوَلِ

\* \*

وَلَيْتَ الثَّمُورَ فَلَمْ تَعُدْ أَنْ رَأَيْتَ الثَّأْيَ (١) وَسَدَدْتَ الْخَلْلَانَ  
سِوَاكَ - إِذَا قُلْتَ الْأَمْرَ - جَارَ ، وَغَيْرُكَ - إِنْ مَلَكَ النَّيْ - غَلَّ (٢)  
حَتَّى لَا يَزَالَ لَيْلٌ حَلَّهُ أَمَانَانِ : مِنْ عَدَمٍ ، أَوْ وَجَلٍ (٣)  
فَأَنْجِمُ دَهْرِهِمْ سَمْدَةً وَشَمْسُ زَمَانِهِمْ فِي الْحَمَلِ (٤)

\* \*

« أَبَا بَكْرٍ » انْتَمَعَ أَحَادِيثَ لَوْ بُتُّ بِسَمْعٍ عَلِيلٍ أَبْلٍ (٥)  
سَأَشْكُرُ أَنَّكَ أَعْلَيْتَنِي بِأَحْطَى مَكَانٍ وَأَذِنَ تَحَلٍّ  
وَأَتَى إِنْ زُرْتُ لَمْ تَحْتَجِبْ وَإِنْ طَالَ بِي مَجْلِسٌ لَمْ تَقْلُ

(١) الثأْي : الساد ، ورأجه أصلحته .

(٢) القى : ما حصل للسلبين من أموال الكفار عفاوا بلا قتال ، وتقسيه غير تقسيم الثنائم ، وغل : خلا ، وخمه بفهم بالنول ( أى الخيانة ) فى القى واللغم ، وهو من قول الله عز وجل : « وما كان لبي أن ينزل » .

(٣) عدم أو وجل : أى فقرأ وخوف .

(٤) سمدة : صفة للأنجيم ، يقال : يوم سمدة و ليلة سمدة ، وفى الأصل : « وأنجم دهرهم أسد » وأسمد وصف للمذكر ، ولا يصح وصف الأنجم به ، وفى السماء كواكب يقال لسلك منها : « سمدة » وسمود النجوم عشرة وحى : « سمدة النابح ، وسمدة بلع ، وسمدة السمود ، وسمدة الأحية ، وسمدة ناضرة ، وسمدة الملك ، وسمدة البهائم ، وسمدة الحمام ، وسمدة البازع ، وسمدة مطر » .

(٥) صح من مرصه .

تَبَسَّمتَ ثُمَّ ثَنَيْتَ الْوَسَادَ فَحَسْبِي مِنْ خَطَرٍ مَا أَجَلٌ<sup>(١)</sup>  
 فَلَوْ صَافَحَ الثَّبَرُ خَدَيَّ لَهَانَ وَلَوْ كَاثَرَ الْقَطَرُ شُكْرِي لَقَلُّ<sup>(٢)</sup>  
 بِأَمْنَاهَا يُسْتَرَقُّ الْكَرِيمُ إِذَا مَطْنَعُ بِسِوَاهُ أَخْلُ<sup>(٣)</sup>



فَلَا تَمْدَمَنَّ الْمَسَاعِي أَلْتِي لِأَمِّ الْمُنَاوِيكَ فِيهَا الْهَبَلُ<sup>(١)</sup>  
 فَأَنْتَ الْجَرِيءُ - إِذَا الشَّبَلُ هَابَ وَأَنْتَ الدَّلِيلُ، إِذَا النَّجْمُ صَلَّ<sup>(٢)</sup>  
 وَمَا أَبْنُكَ إِلَّا جِلَافُ الْعُبُونِ إِذَا نَاطِرٌ - بِسِوَاهُ - اُكْتَحَلَ<sup>(٣)</sup>  
 رَيْبُ السَّيَادَةِ - فِي حِجْرِهَا - تُدِرُّ لَهُ ثَدْيَهَا إِذْ حَفَلَ<sup>(٤)</sup>  
 تَمَكَّنَ يَتْلُوكَ - فِي الصَّالِحَاتِ - فَلَمَّا تَفْتَحُهُ ، وَمَا يَنْلُ

(١) ثنيت الوساد : الوساد للنكاح ، وثنيته أى رددت بعده على بعض ، وذلك لئنه ، أو تدبه جعل له ثانيا ودعته عليه ليحصل الارتفاق ، والاتكا. عليه عند الجلوس ، وهذه الحفاوة إما أن تكون حصلت فعل مباشر من الملك تواضعا منه ومبالغة في إكرام دى الوراثين (ابن زيدون) ، وإما أن تكون حصلت من المدح والاتباع بناء على أسر الملك ، يقول في هذا البيت والبيتين قبله : سأشكرك إلك أعطيت مكانى ، وأدريت على ، وإلى إن روتك لم تحتجب وإن طال بى الجلوس و يملكك لم تسأم ولم تمل ، وأنى إن جئتك زائرا تبست وثنيت الوساد احتفاء بى ، طسي هذا من خطر عظيم وشرف ما أجله وما أعظمه .

(٢) يقال : هلته أمه ثكلته ، ولأمة الهبل أى الثكل . قال الشاعر :

« والناس من يلق خيرا ، قاتلون له ما ينتهى ، ولأم الهطلى الهبل . »

وقال البحتري :

« ولا كم البنى ، ثم الساب نحوكم بالمرية فيها الثكل والهبل . »

وقال المرى :

« دع آدماء - لاشغافه من هل - يكن على وله القول ما يلا . »

(٣) حفل : امتلأ ، حفل البين في الضرع يحفل حفلا وحفولا ، وتحمل واحتل : اجتمع وهذا ضرع فليل أى مملوء لنأ .

## ذكرى قرطبة وإيام الصبا

تَنْشَقُّ - مِنْ عَرَفِ الصَّبَا <sup>(١)</sup> - مَا تَنْشَقُّ

وَعَاوَدَهُ ذِكْرُ الصَّبَا فَدَشَوْقَا

وَمَا زَالَ لَمَعُ الْبَرْقِ - لَمَّا تَأَلَّقَا -

يُهَيِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ حَتَّى تَدْفَقَا ، وَهَلْ يَمْلِكُ الدَّمْعُ الْمَشُوقُ الْمَصْبَا <sup>(٢)</sup>

\* \*

خَلِيلِي - إِنْ أَجْزَعْ - فَقَدْ وَضَحَ الْعُدْرُ

وَإِنْ أَسْتَطِيعَ صَبْرًا فَرَنْ شِيَمَتِي الصَّبْرُ

وَإِنْ يَكُ رُزْءَا مَا أَصَابَ بِهِ الدَّهْرُ

فِي يَوْمِنَا خَيْرٌ ، وَفِي غَدِهِ أَمْرٌ <sup>(٣)</sup> وَلَا عَجَبٌ ، إِنْ الْكَرِيمُ مُرَّأٌ

(١) الصبا : ريح الصبا أى ريح الشمال . والعرف : الطيب .

(٢) يهيب : مضارع أحاب يصاحبه دماه ، أى يدعو الدمع ليتدفق ، والمصبا : دو الصبوة ، والصبوة جهة الفتوة يقال صبا صبوا وصبا وصباء . وصي إليها - كرضى - حن ، وأصبته المرأة ولصبته : شاقبه ودعته إلى الصبا لحن إليها .

(٣) فى اللئل : « اليوم خير وغدا أسوأ » وقد قاله امرؤ القيس - بن بلقة قتل أبيه ، ومماه : اليوم ناهو وتنعم تاركين إلى السداداء ما علينا من الواجبات والفرص . ويرد ، وهو أيضاً لاسرى القيس : « اليوم تعاف ، وغدا تعاف » والتعاف جمع تعب ، وهو إناه يشرب فيه ، والقاف : المائدة من تعف الهامة شفاها عن الدماغ .

\*\*\*

رَمَتْنِي اللَّيَالِي عَنْ قَيْمِ النَّوَابِ  
فَمَا أَخْطَأْتُنِي مُرْسَلَاتُ الْمَصَائِبِ  
أَقْضَى نَهَارِي بِالْأَمَانِ الْكَوَاذِبِ  
وَأَوَى إِلَى لَيْلٍ بَطْلَى الْكَوَاكِبِ ١

\*\*\*

أَقْرُبُتُهُ الْفَرَاءُ أَهْلَ فَيْكِ مَطْمَعُ ؟  
وَهَلْ كَبِدُ حَرَّى لَيْتِكَ تَنْقَعُ ؟  
وَهَلْ لِلْيَالِيكِ الْحَمِيدَةِ مَرْجِعُ ؟  
إِذِ الْحُسْنُ مَرَأَى فَيْكِ - وَاللَّهُ وَمُسْتَعْمُ ٢  
وَإِذْ كُنْتُ الدُّنْيَا - لَدَيْكِ - مُوْطَأً ٣

(١) إشارة إلى البيت المشهور في قصيدة النابغة الذبياني :

« كَيْسَى لَمْ يَأْمِيَةَ نَاصِبٌ وَلَيْلُ أَمَاسِهِ بَطْلَى الْكَوَاكِبِ  
تَطَاوَلُ حَقٌّ قُلْتُ لَيْسَ يَمْتَنِعُ وَلَيْسَ الَّذِي يَرْمِي النُّجُومَ بِأَنْتَبِ  
وَصَدْرُ أَرَاخِ اللَّيْلِ طَازِبٌ مَهْمٌ تَضَانَفِيهِ الْحَرُّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ »

حمل صدره مألفاً للهموم وجعل الهموم كاللايل العازبة بالتهار حتى إذا أتى الليل أراحها الرعاة في أماكنها  
والنابغة أول من حمل الهموم تعرب بالتهار وتزايده بالليل ، وتبعه الشعراء في ذلك ، فقال مجنون ليلى :

« يغم إلى الليل أمثال جكم كما ضم أزوار القيس البناقي . »

وقال ابن النميته :

« نهاري نهاري الناس حتى إذا بدا لي الليل هرتني إليك المضاجع  
أقضى نهاري بالحديث وبلغني ويعجمني والهم بالليل جامع . »

ولهذا السبب ترم الشعراء بتول الليل فقال :

« كواكب ليله طالت وسمت صفدا الصبح راحمة لحوري »

وقال امرؤ القيس :

« فياك من ليل كأن نهمه بكل منار الفتل شعث يذب »

وقد أكثر الشعراء من أمثال هذه المعاني فلنقتصر بهذه الآيات .

(٢) موطأ : ميسر مفلل .

أَلَيْسَ حَيِّياً أَنْ تَشْطَّ النَّوَى بِكَ  
فَأَخِيّاً كَأَنْ لَمْ أُنْسَ نَفْحَ جَنَابِكَ  
وَلَمْ يَلْتَمِمْ شَفِي خِلَالَ شِعَابِكَ  
وَلَمْ يَكُ خَلْقِي بَدْوُهُ مِنْ ثُرَابِكَ وَلَمْ يَكْتَفِنِي مِنْ نَوَاحِيكِ مَنَشَأُ

تَهَارُوكَ وَضَاحٌ ، وَلَيْلُكَ ضُحْيَانُ  
وَتُرْبُوكَ مَضْبُوحٌ ، وَغُصْنُكَ نَشْوَانُ  
وَأَرْضُكَ تُكْمِي ، حِينَ جَوَّكِ عُرْيَانُ  
وَرَبَّالِكِ رَوْحٌ - لِلنَّفُوسِ - وَرِيحَانُ وَحَسْبُ الْأَمَانِي ظِلُّكَ الْمُتَفَيَّأُ (١)

أَأُنْسَى زَمَانَا « بِالْمُقَابِ » مُرَفَّلاً  
وَعَبَسْنَا بِأَكْنَافِ « الرُّصَافَةِ » دَغْفَلَ (٢)  
وَمَنْنَى - إِزَاءَ « الْجَعْفَرِيَّةِ » - أَقْبَلَ  
لَنِعْمَ مَرَادُ النَّفْسِ رَوْضَانَا وَجَدْوَلَا وَنِعْمَ عَمَلُ الصَّبْوَةِ التَّبَوُّأُ

وَيَارُبُّ مَلَنَى « بِالْمَقْبِي » وَجَلَسِ  
لَذَى تَرْعَةٍ ، تَرُنُّو بِأَحْدَاقِ تَرْجَسِ  
بِطَاحُ هَوَاءِ مُطْمِعِ الْحَالِ مُؤَيَسِ  
مَنْعِمٍ وَلَكِنْ مِنْ سَنَا الرَّاحِ - مُشْمِسِ إِذَا مَا بَدَتْ - فِي كَأْسِهَا - تَتَلَأَلُ

(١) ضحيان : أى بارز ظاهر لا يسدّه ظلام ، وذلك لكثرة ما يضاء فى قرطبة من المصاييح والسرير  
باليل ، وعريان : هو يريد أن أرضها مكشوفة بالنبات وجوها وهو صالى الأديم ، المنفيا : الذى يستظل به  
ويستريح فيه الليل . (٢) الدغفل : العيش الواسع المصعب .

وَقَدْ ضَمَّنَا مِنْ «عَيْنِ شُهَدَاةٍ» - مَشْهُدٌ  
 بَدَأْنَا وَعَدْنَا فِيهِ ، وَالْعَوْدُ أَحَدُ  
 يَرْفُ عَرُوسَ اللَّهْرِ أَحْوَرُ أَغْيَدُ  
 لَهُ مَبْنِي عَذْبُ ، وَخَذُّ مُورَدُ ، وَكَفُّ - بِجَنَاهِ الْمُدَامِ - تُقْنَأُ <sup>(١)</sup>

\* \*

وَكَأَنَّ عَدَوْنَا - مُضْعِدِينَ - عَلَى الْجَنْسِرِ <sup>(٢)</sup>  
 إِلَى الْجَوْسَقِ <sup>(٣)</sup> النَّصْرِيَّ يَنْ الرُّبَا الْعَفْرِ  
 وَرُخْنَا إِلَى الْوَعْسَاءِ <sup>(٤)</sup> مِنْ شَاطِئِ النَّهْرِ  
 بِحَيْثُ هُبُوبُ الرِّيحِ عَاطِرَةِ النَّشْرِ عِلَا قُضْبِ الثَّوَارِ ، فَهِيَ تُكَفَأُ

\* \*

وَأَحْسِنَ بِأَيَّامٍ - خَلَوْنَ - صَوَالِحِ  
 بِمُضَيِّقَةِ الثُّلُوبِ ، أَوْ قَصْرِ نَاصِحِ  
 تَهْزُ الصَّبَا - أَثْنَاءَ تِلْكَ الْأَبَاطِحِ -  
 صَفِيحَةً مَسْلَسَالِ الْمَوَارِدِ سَاحِجِ تَرَى الشَّمْسُ تَجْلُو نَصْلَهَا حِينَ يَصْدَأُ <sup>(٥)</sup>

(١) تَقْنَأُ : تَصْغُ بِالْوَنِ الْأَحْمَرِ الثَّقَانِ ، وَدَلَّكَ حِينَ تَمُكُّ بِالْكَاسِ فَيَنْكَسُ عَلَيْهَا مِنْ لَوْنِ الرِّيحِ مَا يَشِبُّهُ  
 الْحَضَابُ بِالْحَنَاءِ . (٢) وَكَمْ حَرِيضًا صَاعِدِينَ عَلَى الْجَسْرِ .  
 (٣) الْجَوْسَقُ : الْقَصْرُ ، وَالرُّبَا : جَمْعُ رِبْوَةٍ ، وَهِيَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَفَرُّ جَمْعُ عَمْرَاءٍ - وَهِيَ أَرْضُ  
 بَيْضَاءٍ لَمْ تَوْطَأَ .

(٤) الْوَعْسَاءُ : رَايَةٌ مِنْ رَمْلِ لَيْتَةٍ تَنْتَبِهُ أَحْرَارُ الْبُقُولِ .

(٥) يَجْلُو : إِذَا رَجَحَ الصَّبَا تَهْزُ خِلَالَ تِلْكَ الْأَبَاطِحِ صَفِيحَةً جَدُولَ سِلْسَالِ الْمَوَارِدِ سَاحِجٍ وَالْأَبَاطِحِ ،  
 وَالشَّمْسُ تَجْلُو لَمْلَمَ هَذَا الْجَدُولِ الشَّبِيهِ بِصَفِيحَةِ السَّيْفِ حِينَ يَصْدَأُ مِنَ الطَّلِ .

\* \*

وَيَا حَبْدَا « الزَّهْرَاءُ » بَهْجَةً مَنْظَرٍ  
وَرِقَّةً أَنْفَاسٍ ، وَحُصَّةً جَوْهَرٍ  
وَنَاهِيكَ مِنْ مَبْدَأِ جَمَالٍ وَمَخْضَرٍ  
وَجَنَّةٍ عَذْبٍ تَطْيِيكَ وَكَوْنٍ بِمَرَايِ زَيْدِ الْعُمَرِ طَيْبًا وَيَسْنَا<sup>(١)</sup>

\* \*

مَعَاهِدُ - أَبْنِكِيهَا - لِعَهْدٍ تَصَرَّمَا<sup>(٢)</sup>  
أَغْضَ - مِنْ الْوَرْدِ الْجَنِيِّ - وَأَنْسَمَا  
لَبَسْنَا الصَّبَا فِيهَا حَيْرًا مُتَمَتِّمَا<sup>(٣)</sup>  
وَقُدْنَا - إِلَى اللَّذَاتِ جَيْشًا عَرَمَرَمًا لَهُ الْأَمْنُ رِذَاهُ<sup>(٤)</sup> وَالْفِدَاؤُهُ مَرْبَاهُ

\* \*

كَسَاهَا الرِّبْعُ الطَّلُقُ وَشَى الْحَمَائِلُ<sup>(٥)</sup>  
وَرَأَحَتْ لَهَا مَرْضَى الرِّيَّاحِ الْبَلَائِلُ  
وَعَادَى بُنُوهَا الْغَيْشَ حُلُوهَ الشَّمَائِلُ  
وَلَا زَالَ مِنَّا بِالضُّحَا وَالْأَصَائِلِ سَلَامٌ - عَلَى تِلْكَ الْمَيَادِينِ - يُقْرَأُ

(١) ططيك : تعجبك وترد عليك ، ينسأ : يؤخر ، أى يطيل العمر ، وقد مرَّ التعريف بأزهارها وغيرها من آثار « قرطبة » في المائة ص ( ٥٤ - ٥٦ ) فارجع إليها إن شئت .

(٢) تَصَرَّم : انقضى وفات :

(٣) الحَيْر : الناعم الجديد ، وضرب من برود النسيم والشمس : اللغوش اللوش .

(٤) رده : ظهر أومعين .

(٥) الحَمَائِل - جمع خيلة - ومع اللوح الكثیر النجر .



أَخَوَانَنَا ١ لِلْوَارِدِينَ مَصَادِرُ  
وَلَا أَوَّلُ إِلَّا سَبْتُلُوهُ آخِرُ  
وَأَنَّى - لِإِغْتَابِ (١) الزَّوْمَانِ - لِنَظَائِرُ  
فَقَدْ يَسْتَقِيلُ الْجَدُّ - وَالْجَدُّ حَايِرُ - وَتَحْمَدُ عُقْبَى الْأَمْرِ مَا زَالَ يُشْنَأُ (٢)

\* \*

ظَلَمْتُ، فَكَانَ الْخُرُ يُخْفِي فَيُظْلَمُ (٣)  
وَأَصْبَحْتُ أَسْلُو بِالْأَمْسِ (٤) حِينَ أَحْزَنُ  
وَقَرَّ - عَلَى النَّاسِ - الْفَوَازُ الْمُوْطِنُ  
وَإِنْ بِلَادًا - هُنْتُ فِيهَا - لَأَهْوَنُ وَمَنْ رَامَ مِنْي بِالْذَّيْقِ أَذْنًا

\* \*

وَلَا يُقْبِطُ الْأَعْدَاءُ كَوْنِي فِي السَّجْنِ  
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَحْصَنُ بِالْذَّجْنِ (٥)  
وَمَا كُنْتُ إِلَّا الصَّارِمَ الْمَضْبُ فِي جَفْنِ (٦)  
أَوِ اللَّيْتِ فِي غَابٍ، أَوِ الْعَقْرِ فِي وَكْنِ (٧) أَوِ الْعِلْقِ يُخْفِي فِي الصَّوَارِ - وَيُحْبَأُ (٨)

(١) الإغتاب : لإرضاء الغائب .

(٢) يستقيل : ينهض ، والجَدُّ : الحظ . ويشْنَأُ : يمس .

(٣) أى رحلت فكان رحبى هذا لأنى لقيت جها فترحلت من مكان الجفوة والحر إذا نبت به أرضه

هاجر إلى غيرها . (٤) الأَمْسِ : جمع أَسْوَةٍ ، وهى التأسى والتجمل ، قال ابن دريد :

« فان عثرث بعدها - إله وألت نفسى من هاتما - فتولا : لالما . »

وإن تكن مدتها موصولة بالمتنفس لطلت الأسي على الأسي .

أى سللت الصبر والتجمل على الحزن .

(٥) العين : النيم . (٦) جفن : جفن . (٧) الوكن : عش الطائر ، لوكنة مثله .

(٨) الصوار : وعاء للسك .

\* \*

يَضِيقُ - بِأَنْوَاعِ الصَّبَابَةِ - مَذْهَبِي  
إِلَى كُلِّ رَحْبِ الصَّدْرِ مِنْكُمْ - مُهَذَّب  
مَقْضُضٍ لَأَلَاءِ الْأَسَاوِيرِ مُذْهَبٌ <sup>(١)</sup>  
يُنَافِسُ مِنْهُ الْبَدْرُ - غُرَّةَ كَوْكَبٍ دَرَى أَنَّهَا أَبْغَى سَنَاءً وَأَصْنَاءً

\* \*

أُسِفْتُ ، فَمَا أُرْتَاحُ - وَالرَّاحُ تُثْمِلُ -  
وَلَا أُسِفْتُ الْأَوْتَارَ - وَهِيَ تَرَسَّلُ -  
وَلَا أَرْعَوِي عَنْ زَفَرَةٍ - حِينَ أُعْذَلُ -  
وَلَا لِي - مُذْ فَارَقْتُكُمْ - مُتَعَلِّلُ سِوَى خَبَرٍ مِنْكُمْ - عَلَى النَّأْيِ - يَطْرَأُ

\* \*

حَدَّثْتُمْ - مِنَ الْأَيَّامِ - لَيْنَ خِلَالِهَا  
وَسَرَّتْكُمْ الدُّنْيَا بِحُسْنِ دَلَالِهَا  
مُؤْمِنَةً مِنْ عَثْبِهَا وَمَلَالِهَا  
وَلَا زَالَ مِنْكُمْ لَابِسٌ مِنْ ظِلَالِهَا يُسَوِّغُ أَبْكَارَ الْمَنَى وَيُهْنَأُ

(١) أساوير الوجه : محاسنه ، والأساوير - جمع أسرار والأمراء جمع سرار وهي خطوط الكف .

## إلى ابن عبدوس<sup>(١)</sup>

« وكتب إلى الوزير الكاتب أبي علي

ابن عبدوس معاتباً . »

(١) كان بين ابن زيدون وابن عبدوس صداقة أصيلة - بعد صداقة أكيدة - وكان من أكبر أسباب تلك الصداقة تنازعهما على «ولادة بنت المستكفي» وقد كانت هذه الصداقة حافزاً لابن زيدون على إنشاء هذه القصيدة ، كما كانت حافزاً له على إنشاء رسالته الهزلية المشهورة التي ستمر بك في هذا الكتاب . وقد كتب ابن نباتة في مقدمة الرسالة كلمة تمهيدية علل بها أسباب هذه الصداقة كما كتب صاحب نفع الطيب وغيره ونحن نختار بما يلي :

كانت بقرطة امرأة ظريفة من بنات خلفاء العرب الأمويين اللذين إلى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالهاخل - من بني عبد الملك بن مروان تسمى : «ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن» اجتمع حجابها - بعد نكبة أبيها وقته ومالك الطوائف - في خبر طويل - ثم صارت تجلس للشعراء والكتاب والمناظرين وتخاصمهم ويهتفون الكبراء منهم ، وكانت ذات خلق جبل وأدب غنى وتواضع عجيبة ، ونظم جيد فمن ذلك ما كتبت به لابن زيدون وهي راضية عنه تقول :

«تترقب - إذا جاز العلام - زيارتي فاني رأيت القيل أكرم للسر

وفي مك ما لو كن بالبدلم يترء وبالليل لم يظلم ، وبالجم لم يسر . »

وقولها فيه وهي عليه غصبي :

«إذ ابن زيدون - على فضله - يلوح بي شتاً ولا ذنب لي

يلعطي شتراً إذا حشبه كالماء جئت لأحصى على . »

تسمى غلاماً له يسمى علياً . وكان سبب قولها فيه هذا الشعر أنه انتهبا بمواصلة الوزير «أبي هاشم بن عبدوس» وكان يلقب بالفار ، فقال فيه وفيها :

« غيرتمونا بأن قد صار مختلفنا - فبين نحب - وما في ذاك من هار

أكل شهيء ، أصبا من أطايبه بسناء ومضا صفعا عنه الفار . »

ومن شعرها ما كتبت به على كها وقيل : على تاجها :

« أنا والله أصلح للسعال وأشئ مشق وأتبع نيا

وأكن طاشق من ثم ثمرى وأعطي قبلي من يشتهيها . »

ومما ينسب إليها وهو عندي كثير على شعر امرأة :

« لحاظكم تجرحنا في المعنى ولطفنا يحرككم في المصنوع

جرح يجرح ، فأجملوا ذا بهذا فما الذي أوجب جرح الصدود . »

وكان ابن زيدون كثير التنف بها ، ولليل إليها ، وأكثر غزل شعره فيها وفي اسمها ، ثم إن الوزير «أبا هاشم بن عبدوس» أيضاً هام بها وكتب بمصرتها ، وكان تصدق الظرف والأدب ، وكانت «ولادة» كثيرة اللعب به ، ولها منه نواذر ظريفة ، ومن نواذرهما الطريقة أنها مرت يوماً بدار «ابن عبدوس» وهو جالس بالباب وحوله جماعة من أصحابه - وأمامه بركة تولد من مراحض وأفذار - فوفقت عليه وقالت يا أبا هاشم :

« أنت الظعيب وهذه مصر فتدققا فكلكما بحر . »

أَثَرَتْ هَزِيزَ الشَّرَى إِذْ رَبَّضَ - وَنَبَّهَتْ إِذْ هَذَا فَأَعْتَمَضَ (١)  
وَمَارِلَتْ تَبْسُطُ (٢) مُسْتَرَسِلًا - إِلَيْهِ يَدَ الْبُغْيِ لَمَّا انْقَبَضَ

\* \*

حَذَارِ حَذَارٍ فَإِنَّ الْكَرِيمَ - إِذَا سَمِ خَسَفًا أَبَى فَأُمْتَمَضَ  
فَإِنَّ مُكُونَ الشَّجَاعِ النَّهْوِ سِ (٣) لَيْسَ بِمَانِعٍ أَنْ يَمَضَّ  
وَإِنَّ الْكَوَاكِبَ لَا تُسْتَرْكَلُ وَإِنَّ الْمَقَادِيرَ لَا تُعْتَرَضُ  
إِذَا رِيغَ فَلْيَقْتَصِدْ مُسْرِفٌ مَسَاجٍ يُقَصِّرُ عَنْهَا الْخَفَضُ (٤)  
وَهَلْ وَارِدُ الْفَمْرِ مِنْ عِدِهِ يُقَاسُ بِهِ مُسْتَشْفِ الْبَرَضُ (٥)

لم يمح جواباً، فضت وحفظ هذه النادرة، واشتغل بها الناس، وهذا البيت لأبي نواس تمثل به وقتله هذا  
القل الحسن من - المدح إلى الهباء - وكان كثيراً ما يمدحها ويبنى التمرد بها ، وفي ذلك يقول ابن زيدون :

« وفرك من عهد ولادة سراب تراءى وبرق ومض  
في الماء يأبى على قابض ويمنع زبدته من مض . »

وكان أزل أمرها معه والباحث لابن زيدون على إنشاء هذه الرسالة : أن « ابن عبسوس » لما سمع بها أرسل  
إليها امرأة من حته لتبليها إليه ويذكر لها غائسه ومناقبه وترغبها في التفرد بمواصلته ، فبلغ ابن زيدون  
ذلك ، فكتب هذه الرسالة البديعة جواباً له من لسانها تتضمن هذه الغرائب من سب أبي طمر والتهمك له  
والهباء له وجعلها جواباً له على لسان ولادة ، وأرسلها إليه بحبيب وجوهر الرأفة قبلت منه كل مبلغ، واشتهر  
ذكرها في الآفاق ، وأسكت « ابن عبسوس » عن التمرض لولادة إلى أن انتقل « ابن زيدون » إلى « اشيلية » وتوفي بها  
تتمده الله برحمته ، وغفر لنا ولهم عنه وكرمه . هذا مع ما ذكره ابن جيان وابن بام وغيرهما من المؤرخين .  
(١) أثرت : هجت ، والمهزبر : من أسماء الأسد ، والشرى : موضع تكثر فيه الأسود ، وربض :  
أوى إلى عرينه ، وهذا : نام .

(٢) يقول : وما رلت تبسط يد البطش والبغى على ذلك الأسد الرايض في مجته على حي است يده  
المنقبضة منك .

(٣) النهوس : المصوص ، والشجاع المذكور من الحيات ، قال الفاضل :

« أتبع له - وكان أفاعيل - شجاع - في الحماقة مستكن . »

(٤) الخفض : الجبل الضعيف .

(٥) اللد : أراد به هنا معين للواء الذي له مادة لا تنقطع ، يقال ماء عد أي كثير دائم لا ينقطع ،

البرض : الغليل . قال ابن دريد :

« أرمق العيش على برض فان ومشاركتها ومتصمب للنسي »

يقال ماء برض (بالكون) أي قليل وهو خلاف النسر ، والمستشف : الذي يأتي على آخره في الآناء عند الهزب .

إِذَا الشَّمْسُ قَابَلَتْهَا - أَرَمَدًا - فَحَطَّ جُفُونِكَ فِي أَنْ تُنْفَضَ<sup>(١)</sup>

\* \*

أَرَى كُلَّ مُجَرٍّ « أَبَا عَامِرٍ » يُسْرِ إِذَا فِي خَالَاهُ رَكَضٍ  
أَعِيدُكَ مِنْ أَنْ تَرَى مِنْزَعِي<sup>(٢)</sup> إِذَا وَتَرَى بِالْمَنَانَا أَنْقَبَضِ  
فَلَأِي أَلَيْنُ لِمَنْ لَانَ لِي وَأَتْرُكُ مَنْ رَامَ قَمَرِي حَرَضِ<sup>(٣)</sup>  
وَكَمْ حَرَكَ الْمُعْجَبُ مِنْ حَانٍ فَقَادَرْتَهُ ، مَا بِهِ مِنْ حَبَضِ<sup>(٤)</sup>

\* \*

« أَبَا عَامِرٍ » أَيْنَ ذَاكَ الْوَفَاءِ إِذَا الدَّهْرُ وَسَنَانُ ، وَالْمَيْشُ غَضُ؟  
وَأَيْنَ الَّذِي كُنْتَ تَعْتَدُ مِنْ مُصَادَقَتِي الْوَاجِبِ الْمُفَرَضُ؟  
تَشُوبُ وَأَنْحَضُ<sup>(٥)</sup> مُسْتَبْقِيَا وَهَيْهَاتَ مَنْ شَابَ يَمُنْ نَحَضُ!

\* \*

أَبْنِ لِي ، أَلَمْ أَضْطَلِعْ نَاهِيضًا<sup>(٦)</sup> بِأَعْيَاهُ بَرَكْ ، فِيمَنْ نَهَضُ؟  
أَلَمْ تَلْشَ مِنْ أَدْبِي نَفْحَةً حَسِبْتَ بِهَا الْمِسْكَ طِيْبًا يُفَضُّ؟

(١) قال المتن :

« قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد » ويكرر الفم طعم الماء من سقم .

(٢) للترج : السهم الذي يرى به أبعد ما يقدر عليه لتقدر به النلوة حال الأعمى :

فهو كالترج للریش من الشو حط هالك به يمين اللحال

(٣) حرَض : ساقط لا يجرى على النهوض .

(٤) الحبض : التحرك والصوت ، والقوة وبقية الحياة ، يقول : كم دفع النور من قرب حينه إلى ..

وأنى فكرته ميلا لأحرك به .

(٥) أى تخرج الصافي بالكدر وأصفيك المعوى خالما من كل شائبة .

(٦) وفي رواية : « ناديا »

أَلَمْ تَكْ مِنْ شَيْعَتِي فَادِيَا إِلَى تُرَيْجٍ صَاكَحَتْهَا قُرْضٌ<sup>(١)</sup> ؟  
وَلَوْلَا اخْتِصَاصُكَ لَمْ أَتُفِتْ لِحَالِكَ مِنْ صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ  
وَلَا عَادَتِي - مِنْ وَفَاءٍ - مُرُورُ وَلَا نَالِي - لِفَافٍ - مَضَضٍ  
يَعْرِزُ اعْتِصَارُ الْفَتَى وَارِدًا إِذَا الْبَارِدُ الْعَذْبُ أَهْدَى الْجَرَضِ<sup>(٢)</sup>

\* \*

عَمَدَتِ لِسْعَرِي وَلَمْ تَتَلَبَّ<sup>(٣)</sup> تُعَارِضُ جَوْهَرُهُ بِالْعَرَضِ  
أَصَافَتْ أَسَالِيبُ هَذَا الْقَرِيضِ ؟ أَمْ قَدْ عَفَا رَسْمُهُ فَأَنْقَرَضَ ؟

\* \*

لَعَمْرِي لَقَوَفَتْ مَهْمَ النُّضَالِ وَأَرْسَلْتُهُ، لَوْ أَصَبْتَ الْعَرَضُ<sup>(٤)</sup>  
وَشَمَرْتَ لِلْخَوْضِ فِي جُلَّةٍ - هِيَ الْبَحْرُ - سَاحِلُهَا لَمْ يُخَضِّ  
وَعَرَاكَ مِنْ عَهْدٍ « وَلَادَةٍ »<sup>(٥)</sup> مَرَّابُ تَرَايَ وَبَرَقَ وَمَضَّ  
تَقَنُّ الْوَفَاءِ بِهَا وَالظَّنُّ نُنْ فِيهَا تَقُولُ عَلَى مَنْ قَرَضَ :  
« هِيَ الْمَاءُ يَأْبَى عَلَى قَابِضٍ »<sup>(٦)</sup> وَيَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مَنْ مَحَضَّ

(١) القرض - جمع قرصة ، والقرصة من النهر تلتقي بسقى منها ومن البحر يحيط السفن .  
(٢) وفي الأصل : « ولكن يمز اغتصار الفتى واردا » ، والجرض معناه المصم بالريق ، يقال  
حرض برقه : اجهله بالجهد . والاعتصار : أن ينس الإنسان بالطعام فيقتصر بالماء ، وهو أن يصر به قليلا  
قليلا ، قال عدى بن زيد :

« لو يميز للماء حلقى شرق كنت - كالنصال - بالماء اعتصاري . »

(٣) ولم نال جهدا . (٤) القرض : المذهب .

(٥) وفي الأصل : « وعراك من عهد فماعة » ولكنه في بقية الروايات : « ولادة »

(٦) وفي رواية : « هي للماء يمز على قابض » .

وَبُنَيْتُهَا بَعْدِي أَسْتُخِمِدَتْ بِسِرِّي إِلَيْكَ لِمَعْنَى غَمَضُ

\* \*

« أبا حَامِرٍ » عَثَرَةٌ فَأَسْتَقِلَّ لِتُبْرِمَ مِنْ وَدْنَا مَا أُنْتَقَضَ  
وَلَا تَعْتَصِمَ ضَلَّةً بِالْحِجَابِ <sup>(١)</sup> وَسَيِّمَ قَرُبًا أَحْتِجَاجِ دُحِضَ  
وَالَا أُنْتَحَتَكَ جُبُوشُ الْعِتَابِ مُنَاجِرَةً فِي قَضِيضٍ وَقَضُ

\* \*

وَأُنْذِرُ خَلِيلَكَ مِنْ مَاهِرٍ يَطِبُّ الْجُنُونَ إِذَا مَا عَرَضَ  
كَفِيلٌ يَطِطُّ خِرَاجٍ قَسَا <sup>(٢)</sup> جَرِيءٌ عَلَى شَقِّ عِرْقٍ نَبَضَ  
يُبَادِرُ بِالْكِيِّ قَبْلَ الضَّمَادِ وَيُسْعِطُ بِالسَّمِّ لَا بِالْحَضَضِ  
وَأَشْعِرُهُ أَنِّي أُنْتَحَبْتُ الْبَدِيلَ وَأَعْلِمُهُ أَنِّي أَسْتَجَدْتُ الْمَوْضِ  
فَلَا مَشْرَبِي - لِقِلَالَهُ - أَمْرٌ وَلَا مَضْجَبِي - لِنَوَاهِ - أَقْضُ  
وَإِنْ يَدَ الْيَمِينِ مَشْكُورَةٌ لِعَارِ أَمَاطٍ وَوَضَمٍ رَحَضَ <sup>(٣)</sup>  
وَحَسْبِي أَنِّي أَطَبْتُ الْجَنَى لِإِبَانِهِ ، وَأُبَحْتُ النَّفْضَ <sup>(٤)</sup>  
وَيَهْنِكَ أَنْكَ يَا سَيِّدِي غَدَوْتُ مُقَارِنَ ذَاكَ الرَّبَضِ <sup>(٥)</sup>

(١) الحجاج : الحاجة والجلد .

(٢) وفي الأصل : « خراج حري . »

(٣) رحض : غسل .

(٤) النفض : ماسط من الورق والتمر وحب الغنق حين يوجد بهمه في بطن .

(٥) الرض : الأعماء ، أو ما في البطن سوى القلب ، وماوى النعم ، ولونك الذي يكتيك من اللون .

## مدح ابن جهور وشكر باديس<sup>(١)</sup>

« وقال من قصيدة طويلة يمدح بها الوزير

الأجل محمد بن جهور . »

سَلِ الْمَعَشَرَ الْأَعْدَاءَ - إِنْ رُمِئْتَ صَرَفَهُمْ - عَنِ الْقَصْدِ إِنْ أَعْيَاكَ مِنْهُ مَرَامُ  
أَتَوَكَّ كَأَسَادِ الشَّرَى فَرَدَّ ذَنبَهُمْ كَمَا أَجْفَلْتَ وَسَطَ الْفَلَاحِ نَعَامُ  
مَضَوْا يَسْأَلُونَ النَّاسَ عَمَّا وَرَاءَهُمْ فَيُخْبِرُهُمْ - بِالْبُكَيَاتِ - عِصَامُ<sup>(٢)</sup>

(١) سقى الكلام عن « باديس » وعن « صنهاجة » في ص ( ٢٢٠ و ٢٢١ ) من هذا الديوان ، فليرجع إليها من شاء .

(٢) يقول النزل : « ما وراك يا عصام ؟ » وجاء في مجمع الأمثال عن الفضل بن أبي نعيم أن أول من قال ذلك الحرث بن عمرو ملك كندة ، وذلك أنه لما بلغه جلال ابنه عوف بن علف الشيباني وكلها وقوة عقلها ، دعا امرأة من كندة يقال لها « عصام » ذات فضل ولسان ، وأدب ويان ، وقال لها : ادعي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف ، فمدت حتى انتهت إلى أمها ، وهي « أمامة » بنت الحرث ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت « أمامة » إلى ابنها وقالت : أي بنية ! هذه خالك أنت لتنظر إليك فلا تستري عنها شيئا إن أرادت النظر ، من وجهه أو خلقه ، وناطقيها إن استعذتك « فدخلت إليها ، فظرت إلى ما لم تر قط مثله ، فخرجت من عندها وهي تقول : « ترك الحداق ، من كشف القناع . » فأولستها مثلا ، ثم الطلقت إلى الحرث فلما رأها مرة ، قال لها : « ما وراك يا عصام . » قالت : « صرح الخفض من الربد . » رأيت حبة كالمرأة المصقولة ، يزيناها شعر حالك كالدنانير الحبل ، إن أرسلته خلته السلاسل ، وإن مسطته قلت هناقيد جلالاتها الوائل ، وحاجين كائنا خطأ بقلم ، أو سودا بحجم ، تقوسا على مثل عين طيبة صبرة ، بينهما ألف كرك السيف الصنيع ، حفت به وجبتان ، كالأرجوان في يافس كالجلان ، شق فيه ثم كالحاتم فقيد البلسم ، فيه ثنايا غير ذات أثر ، تطلب فيه لسان ، ذو فصاحة ويان ، بقل وافر ، وحواب حاضر ، تلتقي فيه شمتان حراوان ، في رقبة ييماء كالفضة ، ركبت في صدر كصدر تمال دمية ، وعصدان مندجان ، يتصل بهما دراهم ، ليس فيها عظم عظم يس ، ولا عرق يحبس ، ركبت فيهما كلفان دقيق فصبها ، لين صصبها ، تعدد إن شئت منها الأنامل ، تنأ في ذلك الصدر ثمان كالزمانين يخرقان عليها ثيابها ، تحت ذلك بطن طوى طوى القباطي المدجة ، كسر عينا كالقراطيس للدرجة ، تحيط بك العن سرة كالدمن الجبل ، خلف ذلك ظهر فيه كالجدول ، ينهي إلى خصر لولا رحمة الله لا بقر ، لها كنل يقدمها إذا نهضت ، ويهدها إذا قدمت ، كأنه دهن الزمل ، لبدته سقوط اللؤلؤ ، يحل غلظان اللاوان ، تحتهما ساقان خدجلتان ،



وَمَا ضَاقَ عَنْهُمْ جَانِبُ الْمَذْرِ إِنَّهُمْ كَمِثْلِ الْقَطَا لَوْ يُتَرَكُونَ لَنَامُوا<sup>(١)</sup>

يحمل ذلك لدمان ، كخنو السان ، فبارك الله مع صغرهما ، كيف تطيقان حل ما فوقهما ؟ . فارسل الله إلى أيها الخطيبا فروجها إليه وبث بصدافها فجهرها إليه ، فلما أرادوا أن يحملوها إلى زوجها قالت لها أمها : أى بنية ! إن الوصية لو تركت لفضل أدب لترك ذلك منك ، ولكنها تذكرة للناظر ، ومعوثة للعاقل ، ولو أن امرأة استمعت من الزوج لى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها ، لكنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال ، أى بنية ! إنك إن فارقت الجو أقدى منه خرجت ، وخلفت المش أقدى فيه درجت ، إلى وكر لم تفرقه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح يملكك عليك رفيقا ومليكا ، فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا ، إلى آخر ما جاء في هذا الخبر ، قال في مجمع الأمثال بعد سياقة هذا الخبر : وروى أبو عبيد ، ماوراءك على التذكير ، وقال : يقال إن المتكلم به النامة القدياني قاله لمصام بن عهير حبيب النعمان وكان النعمان مريضاً ، وقد أرجف بموته ، فسأله النامة عن حال النعمان ، فقال : « ماوراءك يا عصام . » ومضاه ماخلفت من أمر الليل ، أو ما أمائك من حاله ، ووراء من الأضداد . (١) يشير إلى النمل المشهور : « لو ترك القطا ليلالام » يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته . وقد تمثل به الحسين بن علي (رضي الله عنه) في الآية الأخيرة التي تلاها مصرعه ، قال عليّ ابنه :

إني لخالس في تلك المشية - التي قل أني في صبيحتها - ومعنى « زينب » عندى تمرضى ، إذ اعتزل أبي بأصحابه - في خباء له - وعنده « حوى » مولى « أبي ذر » - وهو يعالج - سيفه ويصلحه - وأبي يقول :

« يادهر : أف لك من خليل  
كم لك - بالأخراق والأصيل -  
من صاحب ، أو طالب قتيل  
والدهر لا يمنع بالسبيل  
وإنما الأمر إلى الجليل  
وكل حى سالك السيل . »

قال عليّ بن الحسين :

فأطعما أبي مريين أو ثلاثاً - حتى فهمتها - ففرت ما أراد ، فخطفتني عبرتي ، فرددت دمي وئزمت السكون ، وحملت أن البلاء قد نزل ، فأما حتى فلما سمعت ما سمعت - وهي امرأة - وفي النساء الزفة والجزع - فلم تملك نفسها أن وبنت تجر ثوبها - وإنما لحاسرة - حتى انتهت إليه ، فقالت :

« وانكلاه ! ليت اليوم أمدنى الحياة ! اليوم ماتت « فاطمة » أمى و « علي » أبى و « حسن » أخى . يا خليفة الماضى ، وعمال الباقي . » فظفر الحسين ، فقال :

« يا أخيه ! لا يذهبن حلك الشيطان ! »

قال : « بأى أنت وأى ، يا أبا عبد الله استغثت ، تسمى فداك ! » فردّ نصته ، وترقرت عيناه ، وقال :

« لو ترك القطا ليلالام ! »

\*\*\*

فِدَاءُ « لِبَادِيسَ » النَّفُوسِ ، وَجَادُهُ      مِنْ الشُّكْرِ - فِي أَفْقِ الْوَفَاءِ - غَمَامُ  
فَمَا لَحِقَتْ تِلْكَ الْهُودَ مَلَامَةٌ      وَلَا ذُمَّ - مِنْ ذَلِكَ الْخِفَافِ - ذِمَامُ <sup>(١)</sup>  
وَمِثْلَكَ وَالِي مِثْلَهُ فَتَصَافِيَا      كَمَا صَافَتْ - الْمَاءَ الْقَرَّاحَ - مُدَامُ  
رَسِيْلُكَ - فِي شَأْوِ الْمَعَالِي - كِلَا كَمَا      بِمَيْدِ الْمَدَى صَعْبُ الْهُدُومِ هُمَامُ

\*\*\*

لَعَنَرِي لَقَدْ أَحْظَيْتُهُ بِوِفَادَةٍ      لِأَسْنَى كَرِيمٍ أَنْجَبْتُهُ كِرَامُ  
فَمَا أَنْفَكَ إِلَّا عَدَلَ نَفْسِكَ إِنْ يَسِرْ      فَلِلْجِسْمِ لَا لِلنَّفْسِ مِنْكَ مُقَامُ <sup>(٢)</sup>  
حُسَامُكَ مَهْمَا تَخْتَرِطُهُ لِمِثْلِهَا      فَقَلَّ غَنَاهُ السَّيْفِ حِينَ يُشَامُ

## اسم من أحب

« وقال في مثنوية يؤخذ اسمها بالتوالي من أرض

وسماء وماء ، فيتكوّن من مجموعها « أسماء » . »

إِنْ لِلْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالْمَاءِ      عَلَيْنَا أَذِمَّةٌ لَا تُذَمُّ  
هِيَ بَمَنْزِلِ أَسْمٍ مَنْ أَحَبُّ وَلَاءٍ      وَبِتَكَرُّرِ بَعْضِهَا يَسْتَمُّ

قالت :

« يا ولينا ! ألتصّب عليك انتصاباً ؟ فذلك أفرح قلبي ، وأشدّ على نفسي ! » ولطفت وحبها ، وأهوت إلى حبها وشقتها ، وخرت مفتشاً عليها .

فقام إليها الحسين فصبّ على وجهها الماء ، وعزّاها بكلام طويل يرجع إليه القاري - إذا شاء في كتابنا

« معارج الأعيان » من ص « ٢٥ إلى ٥٦ »

(١) عهد . (٢) وفي الأصل :

« فَا ابْنِكَ إِلَّا عَدَلَ نَفْسِكَ ، إِنْ يَسِرْ فَلِلْجِسْمِ - لَا لِلنَّفْسِ مِنْكَ - مُقَامُ »

## وقال

« كان أبو العطف بن حبي إذ ورد إشبيلية  
رسولا قد سأله أن يريه من شعره ، فطله  
حتى كتب إليه شعرا يستطئه فيه ، فجاءه  
عليه في عروضه وفافيته . »

أَفَذَنْتَنِي مِنْ نَقَائِسِ الدَّرِّ مَا أَبْرَزْتَهُ غَرَائِرُ الْفِكْرِ (١)  
مِنْ لَفْظَةٍ قَارَنْتَ تَطْيِيرَتَهَا قِرَانِ سَقَمِ الْجُفُونِ لِلْحَوَرِ (٢)  
أَبْدَعَهَا خَاطِرٌ ، بَدَائِثُهُ - فِي النِّظْمِ - حَازَتْ جَلَالََةَ الْخَطْرِ  
الْمِطْرِ مِنْهَا سَرَى لَهُ نَفْسٌ ، مِنْ نَفْسِ الرِّوْضِ رَقٌّ فِي السَّحْرِ (٣)



يَا رَاقِمَ الْوُشْيِ - زَانَهُ ذَهَبٌ - رَقْرَقَ إِذْ رَفَّ مِنْهُ فِي الطَّرْرِ (٤)

(١) يقول : أودنى من هائل تلك الشبهة بالدر اشقت عنه الأسدى ما أبرزته غرائر فكرك من  
مكون روائع الحكمة ، ويدائع الحكم .

(٢) سقم الجفون : فتورها ، والمور : في العين شدة سواد الغلظة في شدة بياضها في شدة بياض لون  
المجد ، وقيل المور أن سمود العين كلها كما في عين الظباء والبحر ، وهذا ليس بموجود في الأدبيين ،  
يقول : أكتفى من غائص دروك كل لفظة وافقت قرينتها ، وقارنت نظيرتها ، قران سقم الجفون ،  
لمور الميون .

(٣) يقول : المطر من هذه الكلم البديعة التي أبدعها خاطرك سرى له نفس يحكي في الأرمج والرفة  
من الروض المطر ، سرى به النسيم وقت السحر ، وفي الأصل : « أنظر منها سرى له نفس . » ،  
وما أفتناه هنا ما يرشد إليه السياق .

(٤) الوشي : النقش ، ورفرق : تحرك ولمع وصار له بهيم وتلاؤ ، ورف يخال : رف اللون  
والذهب والبرق يرف : ( بالكسر ) رفيفا برق وتلاؤ ، ورفعت الأسنان كذلك ، وفي الحديث أن  
« الثلاثة » الحمدي أشد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :  
« ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواذر تحصى صفوه أن يكدرها  
ولاخير في جهل إذا لم يكن له حلم إذا ماورد الأمر أصدرها . »

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا يفض الله فاك . فبقيت أسنانه ترف حتى مات ، يقول :  
يا كاتبا يرمي في الكتاب ما يحكي البرد الموشى للذهب الطرر والمواشى ، والذي لونه قرقاق وبهيم ، وفي  
الأصل « قرقاق » وقد وضعتا بدلها « رفرق » ليستقيم المعنى والوزن .

- وَنَاطِلِمَ الْعَقْدِ - نَظْمٌ مُقْتَدِرٌ - (١) يَفْصِلُ بَيْنَ الْمُيُونِ بِالْفَرَرِ  
لِي بِالنِّصَالِ الَّذِي نَشِطَتْ لَهُ عَهْدٌ قَدِيمٌ مَعْجَمُ الْأَثَرِ (٢)  
هَلْ أُفْصِلَ السَّهْمَ فِي الْجَفِيرِ وَقَدْ تَمَطَّلَتْ فَوْقَهُ مِنَ الْوَتْرِ ؟ (٣)

\* \*

- مَا الشَّعْرُ إِلَّا لِمَنْ قَرِيحَتُهُ غَرِيضَةُ النُّورِ غَضَّةُ الشَّمْرِ (٤)  
تَبْسِمُ عَنْ كُلِّ زَاهِرٍ أَرْجٍ مِثْلَ الْكِمَامِ أُنْقَسَمَنْ عَنْ زَهَرٍ  
إِنَّ الشَّفِيعَ الْهُمَامَ سَوَّغَهُ اللَّهُ اتِّصَالَ التَّائِيْدِ بِالظَّفَرِ  
الْفَاصِلُ الْخُبْرُ فِي الْمُلُوكِ إِذَا أَقْصَرَ خُبْرُهُ عَنْ غَايَةِ الْخَبْرِ (٥)  
نَجَلُ الَّذِي نُصْحُهُ وَطَاعَتُهُ كَالْحَجِّ تَتْلُوهُ بَرَّةُ الْعُمَرِ (٦)

(١) العيون : الحيار للتعجب من حبات العقد ، والمرر البيض ، يقول : وبأناطم الشر ظلم قدير يفصل بين أجزائه ، وتؤلف بين مواقع كله ، كما يؤلف أناطم العقد بين خرزه وجباته ، ويفصل بين الحيار للتعجب منها ويرد اللآلئ .

(٢) النصال : الرماة بالسهم وأراد به هنا المساجلة والسابقة في مجل القول ، ومعجم الأثر : مبهم مشكل قد انقضت معالته وآثاره ، يقول : يثبت لى بهذه الكلام الثمينة ، والظلم الرائع تريد بذلك أن تجددهد النصال الذى نشطت له أنت الآن بعد أن طان بى عهدى ، وأسلم على أمره ، واستمعهم أثره .

(٣) أنصل . مضارع أصل السهم جعل له فصلا ، والجفير : جبة السهام ، والفوق : موضع الوتر من السهم ، يقول : هل أجعل السهم الذى فى الجفير فصلا ، وقد تمطلت فوقه أى مشى رأسه فلم تعد صالحة لأن يوضع الوتر فى موضعه منها ، يريد أن آلة الاتصال بطلت عنده وتمطلت أسبابها لطول المهد

(٤) غريضة النور : الفريضة ، والغرض : كلاما اللين الطرى الناضر من الزهر والنبات وغيرها .

(٥) الخبر : (بضم وكسر أوله وسكون ثانيه) العلم بالشىء ، من عيان وخبرة ، والخبر : البأ الذى يأتيك عن طريق السماع ، يقول : هو الملك الذى يفصل ويزيد الخبر والعلم بصفاته وأحواله عن الخبر الذى يملكه عنه فى حين أن غيره من الملوك يقصر الخبر والعلم بأحوالهم عن الخبر الذى يأتيك عنهم .

(٦) برة العمر : أى العمر المبرورة المقبولة جمع عمرة ، وهى فى الأصل الزيارة ، وتتحقق شرعا بالطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة ، والفرق بينها وبين الحج أن الصرة تطوع وأنه يجوز للإنسان أن يصتر فى السنة كلها بخلاف الحج فإنه لا يجوز الإحرام به وأداء مناسكه إلا فى أشهر الحج المعروفة وهى شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذى الحجة ، يعنى أن نصحه وطاعته من أعمال البر التى تقابل من الله الثواب ، وهى لكونها من الطاعة والبر بمثابة الحج الذى تتنزه العمر المبرورة .

شَاهِدْ عَهْدِي لَكَ الصَّحِيحُ بِإِخْلَاصٍ نَأَى صَفْوُهُ عَنِ الْكَذْرِ

\* \*

مَشَيْتُ فِي عَذَلِي الْبَرَّازَ لِمَنْ لَمْ يَرْضَ فِي الْمُدْرِ مِشْيَةَ الْحَمْرِ (١)  
وَقُلْتُ : مَطْلُ الْفَنَى وَرَدُّ مِنَ الظُّلَمِ ، يُبَلِّغُ مَلَاوِمَ الصَّدْرِ (٢)  
وَلِي مَعَاذِيرُ لَوْ تَطَلَّعُ فِي لَيْلِ سِرَارٍ أَغْنَتْ عَنِ الْقَمَرِ  
مِنْهَا اتِّقَانِي لِأَنْ أَكُونَ أَنَا الْجَالِبَ مَا قُلْتُهُ إِلَى هَجَرِ (٣)  
لَكِنْ سَيَاتِيكَ مَا يُجَوِّزُهُ سَرُّوكَ دَابَّ الْمُسَامِحِ الْبَسْرِ  
فَأَكْتَفَ مِنْهُ بِنَظَرَةٍ عَنِّي (٤) لَأَحْظُ فِيهِ لِكِرَّةِ النَّظَرِ

(١) البراز : من الأرض الفضاء الواسع الذي ليس به حر يستره من شجر أو غيره ، والحر : ما يستر الماضي ويوارى العبد من شجر أو جرف أو جبل من حال الزل أو غير ذلك ، يقول : هذلك والملك لوما صريحاً لا واردة فيه ، فكنت فيه كن معنى البراز لا يواريه حر ، ولا يستره ساتر من سرتفع أو شجر ، وهو هذل أطلته لمن لم يرض قبول هفوا أسفر وراءه يجرى عن مجاراته ، وأخى في التماسه ضيق عن مباراته وفي المثل : « معنى إليه البراز » و « معنى إليه الملا والبراح » أى مشى إليه ظاهراً غير مستتر ، وجاء في صد هذا المثل مثل آخر وهو : « معنى إليه الحر ، ودب له الفراء . »

(٢) اللطال : الد يقال مطل الجبل وغيره يعطله مدلاً ، وفي الحديث : « مطل الفنى ظلم . » والملاوم : جمع الملازمة ، والصدر : الانصراف والرجوع عن الشيء .

(٣) في المثل : « كسبتج التمر إلى مصر . » و « ناقل التمر إلى هجر » وهو مثل قديم متداول : يضرب في الخطأ لأن ناقل الشيء إلى مدنه مغلط ويقال أيضاً كسبتج التمر إلى خير . قال الالبانة الجمعدى : « وإن اسراً أهدى إليك قصيدة كسبتج تمرا إلى أرض خيبر . »

وتد ورد هذا المثل في كتاب لبيدنا على كرم الله وجهه ورضى عنه بيت به جواباً إلى معاوية رضى الله عنه وهو من محاسن كتبه ، وذلك حيث يقول عليه السلام في صدر هذا الكتاب : —

« أما بعد » فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفا الله محمداً صلى الله عليه وآله لهبته ، وتأييده إياه بمن أيدته من أصحابه ، فلقد خبا لنا البحر منك عجبا إذ طلقت تخبرنا بلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا ، فكنت في ذلك : « كناقل التمر إلى هجر ، أو دامي مسدده إلى النضال . » إلى آخر ملجاء في هذا الكتاب للذبح ، فارجع إليه في نبح البلاغة إن شئت .

(٤) أى تفترض لك من غير عمل ولا قصد ، يقول : سياتيك نظى هذا الذى يجوزه سرؤك وإفضاؤك عما فيه أعضاء السامع السهل ، فأكتف منه بنقرة على ، فانه لاحظ فيه لمادة النظر ككرة بعد كرة .

## بين ابن زيدون والمعتمد

• وكتب إليه المعتمد على الله المؤيد  
بنصر الله وهو جالس في فصيل من القصر  
تحت غرفة لزومه :

أيها المنحط عني مجلسا  
وله في القلب أعلى مجلس  
بفؤادي لك حب يقتضى  
أن ترى تحمل فوق الأروس  
خاربه ابن زيدون . «

أَسْقِطُ الطَّلَّ فَوْقَ الرَّجَسِ	أَمْ نَسِيمُ الرُّوضِ تَحْتِ الْخُنْدِسِ
أَمْ نِظَامٌ لِلْأَلِ نَسَقِ	جَامِعٌ كُلَّ خَطِيرٍ مُنْفِسِ <sup>(١)</sup>
أَمْ قَرِيبُ جَاءَ نِي عَن مَلِكِ	مَالِكٍ بِالْبِرِّ رِقَّ الْأَنْفُسِ
دَهَلَتْ فِكْرِي مِنْ إِبْدَاعِهِ	حَايِرَةٌ فِي مَنْطِقِي لِي مُخْرِسِ
بِتُّ مِنْهُ يَنْ سَهْلٍ مُطْمَعٍ	خَادِجٌ يُثْلَى بِحَزَنِ مُؤَلِّسِ

\* ■

يَا بَدَى يُعْنَى «أَبِي الْقَاسِمِ» غَمٌ	يَا سَنَا شَمْسِ الْحَيَا أَشْمِسِ
يَا بَهِيحَ الْخُلُقِ الْعَذْبِ أَبْتِمِ	يَا مُهِجَ الْأَنْفِ الصَّغْبِ أَعْبِسِ
يَا جَمَالَ الْمَوْكِبِ الْفَادِي - إِذَا	سَارَ فِيهِ - يَا بَهَاءَ الْمَجْلِسِ
أَنْتَ لَمْ يُقْنِمَكَ أَنْ أَلْبَسْنِي	نِعْمَةً تُذَكِّرُ عَهْدَ السُّنْدُسِ
فَلَطَفْتَ لِأَنْ حَلَيْتَنِي	مَوْلِيَا طَوْلِي مُحَلَّى مَلْبَسِ

(١) يقول : أم هي لآلئ مقدسة في نظام جامع أخص الأعلام وأجلها خطرا .

ذَلِكَ تَنْوِيهِ ثَنَانِي فَخَرُهُ      سَائِي الْأَخْطِ أَشَمَّ الْمَعْطِسِ  
شَرَفَتْ بِكَرِّ الْمَالِي خِطْبَةً      مِنْكَ ، فَأَنْتُمْ بِسُرُورِ الْمَغْرَسِ  
تُمْنَحُ التَّائِيدَ يُجَلِّي لَكَ عَنْ      ظَفَرِ حُلُوٍ وَعِزِّ أَفْهَسِ  
وَأَرْشِيفَ مَعْسُولٍ نَصْرٍ أَشْنَبِ      تَجَنَّبِيهِ مِنْ تَهْجَاجِ الْقَسِ  
وَأَرْتَقَى بِالسَّعْدِ فِي دَسْتِ الْمُنَى      تُصْبِحُ الصَّنْعَ دِهَاقِ الْأَكْوَسِ  
فَاعْتَرَاضُ الدَّهْرِ - فِيمَا شِئْتَهُ -      مُرْتَقَى فِي صَدْرِهِ لَمْ يَهْجِسِ

### وقال

« وقد أصره بدخول حمام القصر وبعث  
إليه بخور وطيب . »

رِضَاكَ لَنَا - قَبْلَ الطُّهُورِ - مُطَهَّرُ      وَقُرْبُكَ مِنْ دُونِ الْبُخُورِ - مُعْطَّرُ  
قَلْوٍ قَزَّ سَحَابُ لَآذِقَانَا ذَرَى      يَفِيضُ بِهِ مَاءُ النَّدَى الْمُتَفَجَّرُ  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ طِيبٌ لَأَغْنَتْ حَفَاوَةٌ      تُمَسِّكُ مِنْهَا حَائِنَا وَتُعْزِرُ (١)  
فَلَا فَارَقَ الدُّنْيَا مَسْنَاءَ مُقَدَّسٍ      بِمِشْكٍ فِيهَا أَوْ ثَنَاءَ مُجَمَّرٍ (٢)  
وَدُمْتَ مُلْقَى - كُلِّ يَوْمٍ - صَبِيحَةً      يُغَادِيكَ فِيهَا - بِالْفُتُوحِ - مَبْشَرُ

### وقال

« مجاوباً له عن شعر خاطبه به . »

أَمْ وَلَايَ بُلَغْتَ أَفْصَى الْأَمَلِ      وَسُوءْتَ دَأْبَ نِسَاءِ الْأَجَلِ (٣)

(١) لو لم نجد الطيب لأغنتنا عنه حفاوتك التي لعطرتنا بالمسك والبنبر .

(٢) النساء : الرمة ، والثنا : اللوح ، والجمر البقي ، يقال : حمر ثوبه : بنجره ، وجر الثنا : مياها .

(٣) نساء الأجل : طول العمر .

وَعُمِّرْتَ مَا شِئْتَ فِي دَوْلَةٍ تَقْصُرُ عَنْهَا طَوَالُ الدُّوَلِ  
فَأَنْتَ الَّذِي غُرُّ أَعْمَالِهِ تَحُلِّي بِهَا الدَّهْرُ بَعْدَ الْعَطَلِ  
يُشْرِفُ بِمُلُوكِكَ الْمُسْتَرْقَ نَظْمٌ مِنَ الْكَلِمِ الْمُتَخَلِّ (١)  
وَرَأَحُ تُعِيدُ إِلَى مَنْ أَسْنَّ طِيبَ زَمَانِ الصَّبَا الْمُقْتَبِلِ (٢)  
فَأَخْجَلَنِي الْبِرُّ مِنْ قَرْطِهِ وَإِنَّ الْجَوَابَ لِيُبْدِي الْخَجَلَ  
وَقَدْ يَقْبَلُ الدَّهْرَ مَوْلَى الْأَنَا مِ جُهْدِ الْعَبِيدِ إِذَا مَا أَقْلُ  
سَعِدْتَ كَمَا سَعِدَ الْمُشْتَرَى وَنِلْتَ غَلَا لَمْ يَنْتَلَهَا زُحَلُ (٣)

## جواب

« وقال مجاوبه أيضا . »

هَلْ يَشْكُرُنَّ «أَبُو الْوَلِيدِ» (١) إِذَا نَأَكَ الْأَمَلِ الْبَعِيدِ  
أَوْ أَنْ تُسَوِّغَ نِعْمَةً لِلدَّهْرِ أَصْهَرْتَ الْحُسُودَ  
إِنْ لَمْ يَدْنُ بِصِيحَةٍ تَرْضِيكَ فَهُوَ مِنَ الْيَهُودِ  
لَا زِلَّ رَافِعَ رَايَةٍ تُضْحِي، السُّعُودُ لَهَا جُنُودُ

## وقال يستهديه خمرأ

يَا بَابِنَا كُلَّ مَجْدٍ وَهَادِمًا كُلَّ وَجْدٍ  
جِسْمُ الشُّرُورِ سَوِيٌّ مِنْ صَوْنِغِ نِعْمَاكَ عِنْدِي  
فَهَبْ لَهُ رُوحَ رَاحٍ يَنْطَلِقُ بِأَحْفَلِ مَجْدٍ

(١) المتخل : للتخيير . (٢) وقد جاء بعد هذا البيت قوله :

« أنت مع اسراء ما يقتدى وأغرب باكورة تلغل . »

(٣) المشتري وزحل كوكبان معروفان . قال أبو العلاء :

« زحل أشرف الكواكب دارا من لقاء الردي على ميعاد . »

(٤) يعني نفسه .



## وقال مجاباً المعتمد

أَفَاضَ تَمَاحُكَ بِحَرِّ النَّدى      وَأَقْبَسَ هَذِيكَ نُورَ الْهُدى  
وَرَدَّ الشَّبَابَ أَعْيَافَكَ بَمَدِّ      مُفَارَقَتِي ظِلُّهُ الْأَبْرَدَا <sup>(١)</sup>  
وَمَا زَالَ رَأْيِكَ فِي الْجَمِيلِ      يُفْتَحُ لِي الْأَمَلِ الْمُوصَدَا <sup>(٢)</sup>  
وَحَسْبِي مِنْ خَالِدِ الْفَخْرِ أَنْ      رَضِيتَ قَبُولِي مُسْتَعْبَدَا <sup>(٣)</sup>  
وَيَا فَرَطَ مَا بَى <sup>(٤)</sup> إِذَا مَا طَلَمْتَ      فَكُنْتُ أَقْبَلُ تِلْكَ الْيَدَا  
وَرَدَدْتُ لَحْظِي فِي غُرَّةِ      إِذَا اجْتَلَيْتَ شَفَتِ الْأَزْمَدَا  
وَطَاعَةُ أَمْرِكَ فَرَضٌ أَرَا      مِنْ كُلِّ مُفَرَّضٍ أَوْ كَدَا  
هِيَ الشَّرْعُ أَصْبَحَ دِينَ الضَّمِيرِ      فَلَوْ قَدْ عَصَاكَ لَقَدْ أَلْهَدَا  
وَحَاشَايَ مِنْ أَنْ أَضِلَّ الصِّرَاطَ      فَيَعْدُونِي الْكَفْرُ هَمَّا بَدَا <sup>(٥)</sup>  
وَأُخْلِفَ مَوْعِدَ مَنْ لَا أَرَى      لِذَهْرِي إِلَّا بِهِ مَوْعِدَا <sup>(٦)</sup>

(١) يقول : رد على شياى بعد أن فارقت ظله الأبرد احتلاقاً بأسبابك والصال بدولك .

(٢) وما زال جميل رأيك في يفتح لي من الأمل كل باب مغلق .

(٣) وكفاني ظمراً خالداً ألمك رضى قبولي ضمن من استعبدتهم بأحسانك ، ومسدودت عليهم ظلم

نصرك الوارف . (٤) في الأصل : « يا فرط باوى . »

(٥) يقول : حشاي أن أضل الصراط وأرفض أول فرض على من طائنتك التي هي الصرع ، ومعتد

الصغير ، فيميدني الكفر مما بدلى من حمة الإيمان .

(٦) في الأصل : « وأخلف بالوعد » وهو لا يصدق بالباء ، فأبدلناه بالوعد ليصح اللفظ ، والسبب

في أنه يتصل هنا من خلف الموعد أن « للتمد » كان قد عرض له سفر لجاء فكتب إلى « ابن زيدون » :

« المين يمدك هذى بعكك هو تراه »

فليجل شخصك عنها ما بالنيب جاء . »

صافت « ابن زيدون » عن الجواب أشغال توالى عليه ، ثم استبطأه « للتمد » فبعث إليه بالصبيحة

التالية مناباً :

وصمت وأخلفتني للوعدا وخلفت بالنتهى البعدا

أَتَانِي عِتَابٌ مَتَى أَذْكَرُ      فِي نَشَوَاتِ الْكَرَى أَسْهَدًا<sup>(١)</sup>  
وَأِنْ كَانَ أَغْتَبَهُ مَا أَقْتَضِي      شِفَاءَ السَّقَامِ وَنَقَعَ الصَّدَى<sup>(٢)</sup>  
ثَنَاهُ ثَنَى فِي سَنَاءِ الْمَحَلِّ زَهَرَ الْكُؤَى كَيْبِلِي حُسْدًا<sup>(٣)</sup>  
قَرِيضٌ مَتَى أَنْغِرَ لِلْقَرَضِ مِنْهُ      أَذَاهُ أَجْدُ شَأْوُهُ أَبْعَدَا  
لَوْ الشَّمْسُ مِنْ نَظْمِهِ حُلِّيَتْ      أَوْ الْبَذْرُ قَامَ لَهُ مُنْشِدَا  
لَضَاعَفَ مِنْ شَرَفِ النَّيْرِ ذِينَ حَظًّا بِهِ قَارَنَ الْأَسْعَدَا

وأطمعني ثم أبتغنى      ويعني الود أن أحدا  
وأضعت بالطلح جبل الرجا      فرت وأهدمه محصدا  
وعاد ضياء ارتداني ظلاما      وأصبح مصباحه أرمدا  
وكان ضالك قبل للقال      فإذا هذا الآن فيما بنا  
وقد كان ظي بها رأيت      به أنه الغيء بل البدا  
وكم قد توكلتها روضة      تهرب لي الأمل الأبعدا  
ينور عليك أرجاءها      ويظهر طبعك فيها ندا  
توكلتها زمتا ناظري      إذا سر يوم عمادي غدا  
على ذاك أمدك من ماجد      تثبت الطرف فيه الهدى  
لجئاً أزور به روضة      وحيناً أحيى به مسجدا  
لك العلم مهما أورد محرمه      لأروى به أحد للورد  
وفيسك تجمت للآثرا      ت طرا قصرت بها مفردا  
شمال تثر شل الهدو      م نترك بالراى شمل العدا  
فتغنى الله بالخط منك      ولا زلتى ، ولا سارمدا  
ودمت ودمت على حالنا      كما يصحب الفرقد الفرقدنا  
ظولك كانت ربوع السرو      رمى تجاوب فيها الصدى

(١) أتاني من قبل المدح عتاب سبب لي ذكره الأرق والهدى كلما ونحني نشوات الكرى وشيئني

أوائل النوم .

(٢) يقول : أسهني وأرتني اذكار حسنا العتاب ، وإن كان أغتبه ما اقتضى شفاء السقام ، وإطفاء

وحر الصدور .

(٣) ثناه ومدح رفعت به علي ، فأثنت زهر النجوم تحمدني عليه .

فَدَيْتُكَ مَوْتِي : إِذَا مَا عَثَرْتُ      أَقَالَ ، وَهَمَّهَا أَرْغَ أُرْشَدَا  
 وَكَنتُ<sup>(١)</sup> إِلَى كَرَمِ الصَّفْعِ مِنْهُ      فَأَمَّنِي ذَاكَ أَنْ يَحْقِدَا  
 وَأَنْتَ سُوقَ أَحْتَالِ ابْنِي      لِمُسْتَبْضِعِ الْعُذْرَانِ يَكْسَدَا<sup>(٢)</sup>  
 شَفِيعِي إِلَيْهِ هَوَى مُخْلِصِي      كَمَا أَخْلَصَ السَّابِكُ الْمَسْجِدَا  
 وَمِنْ وَصَلِي هِجْرَةٌ لَا أَعُدُّ      لِحَالِي سِوَى يَوْمِهَا مَوْلِدَا<sup>(٣)</sup>  
 وَنَعْنِي تَفْيِئَتَهَا أَيْكَةً      فَشَكَرِي سَحَابَ بِهَا غَرْدَا  
 تَبَارَكَ مَنْ جَمَعَ الْخَيْرَ فِيكَ      وَأَشْمَرَكَ الْخُلُقَ الْأَعْجَدَا  
 مَضَاهُ الْجَنَانِ وَظَرْفُ اللَّسَانِ      وَجُودُ الْبَنَاتِ بِسَكْبِ الْجَدَا  
 رَأَى شَيْمَتِكَ لَمَّا نَسْتَحِقُّ      وَقَفَى فَأَظْفَرَ إِذْ أَبَدَا  
 لِيَهْنِكَ أَنْكَ أَزْكَى الْمُلُوكِ      بَقِيءَ وَأَشْرَفُهُمْ سُودَدَا  
 سِوَى نَاجِلٍ لَكَ سَامِي الْهُمُ      مَرَدَانِي الْفَوَاضِلِ نَأَى الْمَدَى<sup>(٤)</sup>  
 هَمَّامُ أَغْرَى رَوَيْتَ الْفَخَارَ      حَدِيثًا إِلَى سَرُودِهِ مُسْتَدَا<sup>(٥)</sup>

- (١) في الأصل « وكنت » وقد وصفا بدلها « وكنت » التي هي كمعورتها في الخط ليستقيم المعنى .  
 (٢) المستبضع : اسم فاعل من استبضع الشيء ، جملة بصاعة ، والبصاعة طائفة من المال ترسل إلى الأسواق للتجارة ، يقول : إن احتاله وإغداؤه من الهوات بمثابة سوق تأتي لمن استبضع إليها الأعداء أن تكسده بصاعته ، وهو مأخوذ من المثل : « كاستبضع التمر إلى حجر . »  
 (٣) الوصل : جمع وصلة بمعنى الاتصال والاسباب والدرائع ، يقول : ومن أسباب اتصاله به وذرائعي إليه هجرة فارقت فيها موطن ، واتصلت على أثرها بدولته ، واعتقلت بحمله وذمته ، تلك الهجرة التي لا أجد أن حال استقرت وولدت ، إلا يوم أن حصلت رزعت .  
 (٤) الناجل : الكريم العدل ، يقول : ليس في الملوك أذكى منك سوى والدك الذي نجحك وأعجبك .  
 (٥) يقول : إن أبك همام أفر مشرق الوجه ، ورويت عنه القصار حديثاً مستنداً إلى سروده ومجده ونيله .

سَلَكْتَ إِلَى الْمَجْدِ مِنْهَاجَهُ فَقَدْ طَافَ الْأَطْرَفُ الْأَتْلَدَا (١)  
 هُوَ اللَّيْتُ قَلَدَ مِنْكَ النَّجَادَ لِيَوْمِ الْوَعَى شِبْلَهُ الْأَنْجَدَا (٢)  
 يُعِدُّكَ صَارِمَ عَزَمٍ وَرَأَى قَرَضِيهِ جُرْدَ أَوْ أُغْمِدَا (٣)  
 وَمَا أُسْتَبْهِمَ الْفَقْلُ فِي الْحَادِيثَا تِ إِلَّا رَاكَ لَهُ مِقْلَدَا (٤)  
 فَأَمْطَاكَ مِنْكَبِ طَرَفِ النُّجُومِ وَأَوْطَا إِنْخَمَصَكَ الْفَرْقَدَا  
 فَلَا زِلْمًا يَرْفَعُ الْأَوَّلِيَا ، مُلْكُكُمْ وَيَحْمُطُ الْعِدَا  
 وَنَفْسِي لِنَفْسَيْكُمْ الْبَرِّيَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُتَوَقَّى الْفِدَا  
 فَمَنْ قَالَ : أَنْ لَسْنَا أَوْحَدَيْنِ فِي الصَّالِحَاتِ فَمَا وَحَدَا (٥)

### وقال

لَعَمْرِي لَنْ قَلْتُ إِلَيْكَ رَسَائِلِي لَأَنْتَ الَّذِي نَفْسِي عَلَيْهِ تَذُوبُ  
 فَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي تَبَدَّلْتُ غَيْرَكُمْ وَلَا أَنْ قَلْبِي مِنْ هَوَاكِ يَتُوبُ

### وقال

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَصَادِفُ خُلُوتَ لَدَيْكَ ، فَأَشْكُو بَعْضَ مَا أَنَا وَاجِدُ؟  
 رَعَى اللَّهُ يَوْمًا فِيهِ أَشْكُو صَبَابِي وَأَجْفَانُ عَيْنِي - بِالْذُمُوعِ - شَوَاهِدُ

(١) الأطراف : الحديث ، والأطد : القديم .

(٢) النجاد : حامل السيف ، والأنجد : الشجاع ذو النجدة واللباس ، يقول : هو أى والدك الملك ليث

قلد شبه الأنجد الشجاع السيف ليوم الوعى والحرب .

(٣) يعدك صارم عزم وعزم في الحرب والسياسة ، فقرضيه في الحايبي : جرد السيف ، أو أغمد .

(٤) استبهم : استمق ، والفقل : ما يعلق به الباب ، واللفل : للفتح ، يقول : لا استنق الحاديات

إلا رآك مفتاحاً لأقفالها الخلفة ، وفي الأصل : « الفسل » فوضنا مكانها « الفقل » ليناسب

الاستبهم واللفل .

(٥) يقول : أن من ينكر أنكم في البر والصالحات أو حدين قد بلغ في الجحد والانكار ، يبلغ من ينكر

التوحيد ولا يقول بوحداية الله .

## تهنئة

« وقال رحمه الله يهيه أيده الله بالقدوم من سفر . »

أَيُّهَا الظَّافِرُ أَبْشِرْ بِالظَّفَرِ وَأُجْتَلِ الثَّايِدَ فِي أَهْنَى الصُّورِ  
وَقَفِيًّا ظِلًّا سَمْدٍ تَجْتَنِي فِيهِ مِنْ غَرَسِ الْمُنَى أَحْلَى الثَّمَرِ  
وَرِدِ الصَّنِيعِ فَكَمْ مُسْتَوْحِشٍ غَرَضٍ<sup>(١)</sup> مِنْكَ إِلَى أُنْسِ الصَّدَرِ  
كَأَنَّ مِنْ قُرْبِكَ فِي عَيْشٍ نَدٍ عَطِيرِ الْأَصَالِ وَصَّاحِ الْبُكْرِ  
كُلَّمَا شَاءَ تَأْتَى أَنْ يَرَى خُلُقِي الْبَرَجِيسِ<sup>(٢)</sup> فِي خَلْقِ الْقَمَرِ

(١) غرض : نصف من الفرض ( محركة ) وهو شدة النزاع نحو الشيء ، والشوق إليه يقال : غرض إلى لثامه فهو غرض اشتاق ، ومنه قول الشاعر :

فمن يك لم يفرض قاتى وقاتى يحسب إلى أهل الحمى غرضان

ممن فبى ما بها من صباة وأخى الذى لولا أنسى لقصاى

وقى الأصل : « عرض » .

## (٢) البرجيس

البرجيس : المشتري وهو أحد الدراري الخمسة : المشتري ، وزحل ، والربيع ، وعطارد ، والزهرة ، ومنه الكواكب الخمسة هي الجنس الكس المذكورة في قوله تعالى : « فلا أقسم بالجنس الجوار الكس . » قالوا : وإنما وصفت بما ذكر في الآية لأنها من الكواكب السيارة التي تجرى مع الشمس والقمر ، وخنوسها رحوها مزهرة بعد اختفائها في ضوء الشمس ، ولتلك تسمى الرواجع ، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس من كس الظهي والوحش إذا دخل كئاسه ، وقى النهاية لابن الأثير من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سئل عن الكواكب الجنس فقال هي البرجيس وزحل وعطارد وبهرام والزهرة ، البرجيس : المشتري ، وبهرام : للريخ . »

والبرجيس : لفظة فارسية تدل على « المشتري » وهو كوكب معروف تطلق عليه القرنحة اسم « جوبيتر » « Jupiter » وهو - في أساطير قدماء الرومان واليونان ، إله الآلهة ، للمهين على كل الكائنات العلوية والسفلية ، قالوا : « وإنما سمي المشتري - من الفراء ، وهو الوضع لضياء لونه وصفائه . » قال الشاعر :

« يارب ليل بت أرى نجمة - حق الصباح - بزفرة وهو على

والمشتري - في الأثر - يخفق لاسما كغم الحبيب بشير بالتفيل . »

فَتَوَى دُونَكَ مَتَوَى فَلْتِي      يَشْتَكِي مِنْ لَيْلِهِ مَطْلَ السَّحَرِ  
 قُلْ لِسَافِينَا: «يَحْزُ أ كَوْسُهُ»      وَلِشَادِينَا: «يَصِلْ قَطْعَ الْوَرْدِ»  
 حَسْبُنَا مَكْرُ جَنَّتُهُ ذِكْرُ      دُونَهُ الشُّكْرِ الَّذِي يَحْنِي السُّكْرُ<sup>(١)</sup>  
 لَمْ يُقَادِرْ لِي سَقَايَ جَلَدًا      مَعَ أَنِّي لَمْ أَزَلْ ثَبَتَ الْمِرْزُ<sup>(٢)</sup>  
 أَيُّهَا الْمَاشِي الْبَرَّازَ الْمُنْجَبِي      لِرِمَانِي إِنْ مَشَى نَحْوِي الْحَمَرُ<sup>(٣)</sup>  
 وَالَّذِي إِنْ مِيمَ مَا فَوْقَ الرَّضَى      وَجَدَ الْأَلْوَى الْبَعِيدَ الْمُسْتَمَرَّ<sup>(٤)</sup>  
 وَإِذَا أُعْتَبَ فِي مَعْتَبَةٍ      لَأَنَّ مِنْهُ جَانِبُ السَّمْعِ الْبَسَرِ  
 نَظْمِي الْمُهْدَى إِلَى أَبْرَجٍ مِنْ      نَظْمِ السَّحَرِ بَيَانًا أَوْ تَنْزَرِ

(١) السكر : الخمر غير الملوخ من ماء التمر المشد ، والشراب التخذ من التمر نوهان : ما يسيل من التمر حين يكون رطباً فإذا اشتد سمي سكرًا ، وما يصفح أى يشق من التمر ثم يبق في الماء يستخرج الماء حلوته ثم يترك حتى يشتد وتذهب حلوته ويسمى فسيخاً وكلاهما مكر . وقد ورد ذكر السكر في قوله تعالى : « ومن ثمرات التينبل والأعناب تتغذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا . » ، ومعنى هذا البيت والذي قبله : قل لسافينا : نوح كؤوسك هنا فقد أغناك السكر الذي تحمده الذكر ، عن السكر الذي يحبه السكر ، وتل لشادينا : صل قطع الورد واغناء ، فبها جلا في السمع من ذكره الكفاية والدناء .

(٢) ثبت : ثابت ، والمر : جمع سره ( بالسكر ) وهي القوة والشدة أى لم يقادر أى لم يقادر إلى السقام جهلًا وصبرًا مع أني لم أزل ذا مرة قويًا ، وورد هذا البيت في الأصل هكذا :

لم يقادر لي شفا من جهل مع أني لم أزل ثبت الفرد

وما أعتناه من الإصلاح هو ما يرشد إليه السياق .

(٣) البراز : المنسج من الأرض الذي ليس به ما يستره من شجر أو غيره ، والخمر : ما يستر الماشي أو الصيد من شجر أو جرف أو جبل رمل أو غير ذلك ، يقول : يا من يداع عنى إذا رأى زمانى معى إلى متكررا يريد خنثى وأخذنى على فرقه . (٤) الألوى : الشدود المحصورة الجدل السليط ، والستر : من استتر استحكم مصدر ميمي يعنى أنه بعيد شأوا المحصورة ، وفي التل : « لتجدن فلانا ألوى بعيد للستر . » وقد جاء هذا التل في قول الراجز :

« إذا تهازرت وما بى من خزر ثم كسرت الطرف من غير عور

وجدتني ألوى بعيد للستر أهل ما حلت من خير وشر . »

أى وجدتني خصما سليط اللسان بعيد شأوا المحصورة .

لِي فِيهِ الْمَثَلُ السَّائِرُ عَنْ جَالِبِ التَّمَرِ إِلَى أَرْضِ هَجَرَ  
 غَيْرَ أَنْ الْعَذَرَ رَمَمْتُ وَاصْبَحْتُ تُنْفَتِ الشُّكُوى إِذَا الشَّوْقُ صَدَرَ<sup>(١)</sup>  
 ثُمَّ قَدْ وَفَّقَ عَبْدٌ عَظُمْتُ نِعْمَةُ الْمَوْلَى عَلَيْهِ فَشَكَرَ  
 لَا عَدَا حَظُّكَ إِبْكَالٌ تَرَى قَاضِيًا أَثْنَاءَهُ كُلُّ وَطَنَ  
 وَأَصْطَبَحَ كَأَنَّ الرِّضَى مِنْ مَلِكٍ سِرَتٍ فِي إِرْضَائِهِ أَزْكَى السَّيَرِ  
 حِينَ صَمَمْتُ إِلَى أَعْدَائِهِ فَأَنْتَحَتَهُمْ مِنْكَ صَمَاهُ الْغَيْرِ  
 فَأَضْ غَمْرٌ لِلْنَّدَى مِنْ قَوَائِمِهِ كَانَ يُرَوِّى شُرْبَهُمْ مِنْهُ الْغَمْرُ<sup>(٢)</sup>  
 سَبَقَ النَّاسَ فَصَلَّى مِنْكَ مَنْ إِنْ رَأَى آثَارَهُ الزُّهْرُ أَقْتَفَرُ<sup>(٣)</sup>  
 زَنْجَمًا الْأَيَّامَ إِذْ مَلَكَكُمْ سَالَ فِي أَوْجُهَا سَيْلُ الْغُرْزِ  
 فَأَبْقِيَا فِي دَوْلَةٍ قَادِرَةٍ بَعْضُ حُرَّاسٍ نَوَاحِيهَا الْقَدَرِ  
 مُسْتَبْدِلِي مَنْ طَعْنِي مُسْتَأْصِلِي شَافَةَ الْبَاغِي مُقْبِلِي مَنْ عَثَرِ  
 عَلَيَّ مَنْ ضَلَّ مَرْزِي مَنْ شَكَا خَلَّةَ الْإِحْمَالِ بَذَرِي مَنْ نَظَرَ  
 تَضَحَّكَ الْأَرْزَمُ عَنْ عَلَيَّا كَمَا ضَحِكَ الرَّوْضَةُ عَنْ تَغْرِ الزُّهْرِ

(١) صدر : أصاب الصدر ، يقال : صدر فلان فلانا يصدره صدرا ( من باب نصر ) أصاب صدره .  
 (٢) الأسر : تدمر صغير خصان به القوم في السفر إذا قل الماء ولم يكن معهم منه إلا اليسير ، والتصاقن  
 أن يلتقا به حماة ثم يصب فيه من الماء قدر ما يضر الحصاة ، ثم يعطى الاتاء كل رجل منهم بحسب دوره  
 وجاء في شعر أصفى بأهله : -

« يكفيه حزة فقد إن ألم بها من الشواء ويروى غيره الشعر »

(٣) اقتفر - من اقتفر الأثر - اقتضاه وتبعه ، والمعنى : « سبق أبوك لجلتك مصلياً وتالياً بعده أنت يامن  
 يغفل آثار أبيه الزهر .

## ذكرى ولادة

« كان يكلف بولادة بنت المهدي هذه وبهيم ،  
ويستغنى بمور تخيلها في الليل البهيم ، وكانت من  
الأدب والطرف ، وتقيم السمع والطرف ، بحيث تختلس  
القلوب والألباب ، وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب ،  
فلما حل بذلك القرب ، وانحل عقد صبره بيد الكروب ،  
كر إلى الزهراء ليتوارى في فواحشها ، ويسلې برؤية  
ما فيها ، فوافها والريح قد خلع عليها برده ، وثر  
سوسه وورده ، وأترع جدولها ، وأطلق بلابلها ، فارتاح  
لرنيح جيل بوادي القرى ، وراح بين روض يانع  
وريح طيبة السرى ، فتنشوق إلى لقاء ولادة وحن ،  
وخاف تلك النوائب والحن ، فكتب إليها يصف فرط  
قلقه ، وضيق أمده إليها وطلقه ، ويحبتها على إغفال  
تعهد ، ويصف حسن محضه بها ومشهده (١) : »

إِنِّي ذَكَرْتُكَ « بِالزَّهْرَاءِ » مُشْتَقًا      وَالْأَفْقُ طَلَقٌ ، وَمَرَأَى الْأَرْضِ قَدْ رَاقَا<sup>(٢)</sup>  
وَالنَّسِيمِ أَعْتَلَلٌ - فِي أَصَانِيلِهِ -      كَأَنَّهُ رَقٌّ لِي ، فَأَعْتَلَّ إِشْفَاقًا  
وَالرَّوْضُ - عَنِ مَائِهِ الْفِضْيَى - مُبْتَسِمٌ ،      كَمَا شَقَقْتَ عَنِ اللَّبَاتِ - أَطْوَاقَا<sup>(٣)</sup>  
يَوْمٌ ، كَأَيَّامٍ لَدَاتٍ لَنَا أَنْصَرَمَتْ ،      بَيْنَنَا لَهَا - حِينَ نَامَ الدَّهْرُ - سُرَاقَا  
نَلْمُو بِمَا يَسْتَعْمِلُ الْعَيْنُ مِنْ زَهْرٍ      - جَالِ النَّدَى فِيهِ - حَتَّى مَالَ أَغْنَاقَا

(١) فلاد العيان . (٢) وفي بعض الروايات : « ووجه الأرض قد راقا » .

(٣) اللبات : جمع لبة ، وهي موضع القلادة من الصدر ، ولأطواق : جمع طوق ، وأراد به ما يطيف  
بالنق من الثوب ، ولذلك أن الهيئة الخاصة من أصياب الماء الفضي في الروض تشبه الهيئة الخاصة من  
الشفاق طوق الثوب عند ترائب النمر والصدر ، وجاء في بعض الروايات : « كما حلت عن اللبات أطواقا » .



كَانَ أَعْيُنُهُ - إِذْ مَآيَنَتْ أَرْقِي - بَكَتْ لِمَا بِي ، فَجَالَ الدَّمْعُ وَفَرَاقَا  
 وَرَدُّ تَالِقَ - فِي صَاحِي مَتَابِتِهِ - فَأَزْدَادَمِنَهُ الضُّحَى - فِي التَّيْنِ - إِشْرَاقَا  
 سَرَى يُنَافِسُهُ نِيلُوفَرُ عَبَقُ - وَسَنَانُ ، نَبَّهَ مِنْهُ الصَّبْحُ أَحْدَاقَا  
 كُلُّ يَبِيعُ لَنَا ذِكْرَى تُشَوِّقُنَا - إِلَيْكَ ، لَمْ يَمُدَّ عَنْهَا الصَّدْرُ إِنْ صَاقَا  
 لَا مَسْكَنَ اللَّهُ قَلْبَا ، عَنْ ذِكْرِكُمْ - فَلَمْ يَطْرُ - بِمَنَاحِ الشَّوْقِ - خَفَاقَا  
 لَوْ شَاءَ حَمَلِي نَسِيمَ الصَّبْحِ - حِينَ سَرَى - وَافَاكُمْ بِفَتَى أَضْنَاءُ مَا لَاقَى  
 لَوْ كَانَ وَفَى الْمُنَى - فِي جَمْعِنَا بِكُمْ - لَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْأَيَّامِ أَخْلَاقَا

\*\*\*

يَا عَلِيَّ الْأَخْطَرَ الْأَسْنَى الْحَبِيبَ إِلَى - نَفْسِي ، إِذَا مَا أَقْتَنَى الْأَخْبَابُ أَعْلَاقَا  
 كَانَ التَّجَارِي بِمَخْضِ الْوُدِّ - مُذْرَمِينَ - مَيْدَانِ أَنْسٍ ، جَرَيْنَا فِيهِ أَطْلَاقَا  
 فَلَاذَ - أَسْمَدَ مَا كُنَّا لِعَهْدِكُمْ - سَلَوْنُمُ ، وَبَقِينَا نَحْنُ عَشَاقَا !

### إلى ولادة

يَا نَارِحَا - وَضَمِيرُ الْقَلْبِ مَثْوَاهُ - أَنْسَتِكَ دُنْيَاكَ عَبْدًا أَنْتَ دُنْيَاهُ  
 أَلْهَتَكَ عَنْهُ فُكَاهَاتُ تَلَذُّ بِهَا - فَلَيْسَ يَجْرِي - يِكَالٍ مِنْكَ - ذِكْرَاهُ  
 عَلَ الْيَلَاكِي تُبْقِيَنِي إِلَى أَمَلٍ ، - أَلْهَرُّ يَنْلَمُ - وَالْأَيَّامُ مَعْنَاهُ

## إلى أبي حفص بن برد

قُلْ لِأَبِي حَفْصٍ - وَلَمْ تَكْذِبْ - يَا قَمَرَهُ الدَّيَّوَانِ وَالْمَوْكِبِ :  
مَا لِأَبِي صَفْوَانَ - مَا لَوْفِنَا - أَزَقَ فِي الْأَلْفَةِ عَنْ خُلْبِ ؟  
وَلَمْ يَعْذُ إِلَّا كَمَا يَتَّقِي مُسْتَرْقِ السَّمْعِ مِنَ الْكُؤُكَبِ ؟

\* \*

عَفْهُ يَا اللَّهِ عَلَى فِعْلِهِ ، وَأَشْتَمَ - وَإِنْ لَمْ يَسْتَعْمِ - فَأَضْرِبْ  
وَعَاطِلِهِ صَهْبَاءَ مَشْ-مُولَةٍ يَرَى لَهَا الْمَفْرِقَ فِي الْمَغْرِبِ  
وَلْيَشْرَبِ إِلَّا كَثَرَ مِنْ كَأْسِهِ وَأَعْمَدَ - إِلَى فَضْلَتِهِ - فَأَشْرَبِ  
عُقُوبَةً ، أَحْسَنَ بِهَا مُنَّةً - فِي مِثْلِهِ - مِنْ حَسَنِ مُذْنِبِ  
وَبَاكِرِ الطَّيِّبِ ، وَرُوحَالَهُ ، فَأَتْنَمَا فِي زَمَنِ طَيِّبِ

## ليل انس

« وبات ليلة باحدى جنات اشيلية فقال : »

وَلَيْلٍ أَدْمَنَّا فِيهِ شُرْبَ مُدَامَةٍ إِلَى أَنْ بَدَأَ الصَّبْحَ - فِي اللَّيْلِ - تَأْتِيرُ  
وَجَاءَتْ نُجُومُ الصَّبْحِ - تَضْرِبُ فِي الدُّجَا - فَوَلَّتْ نُجُومُ اللَّيْلِ ، وَالْأَيْلُ مَقْهُورُ  
فَحَزْنَا مِنْ اللَّذَاتِ أَطْيَبَ طَيْبِهَا ، وَلَمْ يَمُرْنَا هَمٌّ وَلَا عَاقَ تَكْدِيرُ  
خَلَا أَنَّهُ - لَوْ طَالَ - دَامَتْ مَسَرَّتِي ، وَلَكِنْ لِيَايِ الْوَصْلِ فِيهِمْ تَقْصِيرُ

## دواء

« وقد أهدى دواء »

قَدْ بَمَثْنَاهُ يَنْفَعُ الْأَعْضَاءَ      حِينَ يَحُلُّوْ- يُلْطِفُهُ السَّخْنَاءُ<sup>(١)</sup>  
جَاءَ يُزْهِى بِمُسْتَشْفٍ رَقِيقٍ      يَخْدَعُ الْعَيْنَ رَقَّةً وَصَفَاءً<sup>(٢)</sup>  
تَنْفُذُ الْعَيْنُ مِنْهُ فِي ظَرْفِ نُورٍ      مَلَأَتْهُ أَيْدِي الشَّمُوسِ ضِيَاءَ  
أَكْسَبَتْهُ الْأَيَّامُ بَرْدَ هَوَاءٍ      فَهَوَ جِسْمٌ قَدْ صَبِغَ نَارًا وَمَاءَ  
مَنْظَرٌ يُبْهِجُ الْقُلُوبَ ، وَطَعْمٌ      تَشْكُرُ النَّفْسُ عَهْدَهُ اسْتِمْرَاءَ  
لَذَّةُ الْوَصْلِ نَالَهُ - بَعْدَ يَأْسٍ -      كَلِفٌ طَالَمَا تَشَكَّى الْجَفَاءَ<sup>(٣)</sup>  
يَقْضَحُ الشَّهْدَ طَعْمُهُ - كُلَّمَا قَبِيسٌ - إِلَيْهِ وَيُخْجِلُ الصَّهْبَاءَ  
فَضَلَ السَّابِقَ الْمَقْدَمَ - فِي النُّضْجِ - فَازَرَى بِطَعْمِهِ إِزْرَاءَ  
غَيْرَ أَنِّي بَعَثْتُ هَذَا غِدَاءَ      - يَشْتَهِيهِ الْفَتَى - وَذَلِكَ دَوَاءُ  
مُلْطَفٌ يُبْرِدُ الْمِزَاجَ إِذَا جَا      شَ التَّهَابَا ، وَيَقْمَعُ الصَّفْرَاءَ

(١) يشاء : أى الدواء للمعهود بينه وبين مخاطبه ، ومعلوم أن الطب وعلم الكيمياء وتركيب الأدوية والمسيطة والمراحم تخدمت في الأندلس وبخاصة في القرون الوسطى وعند علماء الأندلس كابن رشد ، وأبي القاسم زهرراوى ، وابن زهر ، وأضرابهم من علماء المشرق بفنداء : كان سينا والرازى ، وعلى ابن اللباس أخذ علماء أوروبا علومهم الطبية وغيرها ، وقد مرّ بك كثير من قصائد ابن زيدون التي تتعرض لذكر الطب والعلاج ، وأنت إذا تأملت فيما يمر بك من هذا النوع وأشابهه تجدها فيه آيات الحضارة ، وتتمتع بأشواق المدينة ، والسضاء : من قولهم : إنى لأحد فى نفس سحناء - بلد - وسحوة أى حرارة شديدة من وجع أو حمى .

(٢) يقول : إن هذا الدواء قد جاءك يزهى فى رفته وسيولته بوعاء رقيق تمسكف العين ماى داخله ، ويضجع الناظر ملا يكاد يراه لشدة رفته وصفائه .

(٣) يقول : إن متاعيه يسمره ويحبه فيه لذة الكلف اللشوق ، ظفر بوصل الحبيب بعد يأس وطول جلاء .

وَمُعِينٌ لِّوَاصِلِ الصَّوْمِ، يَنْسِرِي بِرِزْدُهُ فِي الْحَشَاءِ - فَيَرْوِي الظَّمَاءَ  
( فَتَقَبَّلَهُ ) شَافِعًا لِأَيْدِيكَ الَّتِي بَعْضُهَا يَفُوتُ النَّشَاءَ (١)

### حسبي رضاك

إِلَيْكَ - مِنْ الْأَنَامِ - غَدَا أَرْتِيحِي ، وَأَنْتِ - عَلَى الزَّمَانِ - مَدَى أَفْتِرَاحِي  
وَمَا أَقْتَرَصْتَ مُهُومُ النَّفْسِ إِلَّا - وَمِنْ ذِكْرَاكِ - رَيْحَانِي وَرَاحِي  
فَدَيْتُكَ : إِنَّ صَبْرِي عَنْكَ صَبْرِي - لَدَى عَطَشِي - عَلَى الْمَاءِ الْقَرَارِ (٢)  
وَلِي أَمَلٌ - لَوْ الْوَاشُونَ كَفُّوا - لَا طَلَعَ غَرْسُهُ نَمَرَ النَّجَاحِ  
وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَغْلِبُنِي عَدُوٌّ - رِصَاكِ عَلَيْهِ مِنْ أَمْنَى سِلَاحِ  
وَلَمَّا أَنْ جَلَّتْكِ لِي - اخْتِلَاسًا - أَكُفُّ الدَّهْرَ لِلْحَيْنِ الْمُتَاحِ (٣)  
رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ تَقَابِ ، وَغُصْنُ الْبَنَانِ يَرْفُلُ فِي وَشَاحِ  
فَلَوْ أَسْطِيعُ طَرْتُ إِلَيْكَ - شَوْقًا - وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُوصُ الْجَنَاحِ  
عَلَى حَالِي وَصَالِي وَأَجْتِنَابِ ، وَفِي يَوْمِي دُنُوبِي وَأَنْتِزَاحِ  
وَحَسْبِي أَنْ تَطَالِمَكَ الْأَمَانِي بِأَقْنِكَ - فِي مَسَاءٍ أَوْ صَبَاحِ -

(١) وجد هذا البيت في الأصل ناقصاً هكذا :

« . . . . . شافعا لأيديك التي بعضها يفوت للنشأ . »

والفكلة لا يابها السباق .

(٢) يقول : إن صبري عليك كمجري على الماء الفراح لدى تطفئ وشدة ظمئ .

(٣) يقول في هذا البيت والقى بعده : ولما أن جلتك وأبرزتك يد الدهر خلسة لحيي وملاكي الده  
أُتبع وقد رى ، طلعت سافرة كما تطلع الشمس من غاب ، وخطرت مائة كما يرذل غصن البنان في وشاح

وَأَنْ تُهْدِيَ السَّلَامَ إِلَيَّ - غِيًّا - وَلَوْ فِي بَعْضِ أَنْفَاسِ الرِّيحِ (١)  
فَوَادِي - مِنْ أُمِّي بِكَ - غَيْرُ خَالٍ وَقَلْبِي - عَنْ هَوَى لَكَ - غَيْرُ صَاحٍ

### عودى إلى الوصال

بَاعَدْتَ - بِالْإِعْرَاضِ - غَيْرَ مُبَاعِدٍ وَزَهَدْتَ فِيمَنْ لَيْسَ فَيْكَ بِزَاهِدٍ (٢)  
وَسَقَيْتَنِي - مِنْ مَاءِ هَجْرِكَ - مَالَهُ أَصْبَحْتُ أَشْرَقُ بِالزَّلَالِ الْبَارِدِ  
هَلَّا جَعَلْتَ - قَدَتِكَ نَفْسِي - غَايَةً لِلْعُتْبِ ، أَبْلُغُهَا بِجَهْدِ الْجَاهِدِ (٣)  
لَا تُفْسِدُنْ - مَا قَدْ تَأَكَّدَ يَدُنَا مِنْ صَالِحٍ - خَطَرَاتُ ظَنٍّ فَاسِدٍ  
حَاشَاكَ مِنْ تَضْيِيعِ أَلْفِ وَسِيلَةٍ - شَجَى الْعَدُوِّ لَهَا - بِذَنْبٍ وَاحِدٍ (٤)  
إِنْ أَجْنِهَ خَطَأً ، فَقَدْ عَاقَبْتَنِي ظُلْمًا ، بِأَبْلَغَ مِنْ عِقَابِ الْعَامِدِ (٥)



عُودِي لِمَا أَصْفَيْتَنِيهِ مِنَ الْهَوَى بَدَءًا ، فَلَسْتُ لِمَا كَرِهْتَ - بِمَائِدٍ  
وَضَعِي قِنَاعَ السُّخْطِ عَنْ وَجْهِ الرِّضَا كَيْمَا أُخِرَ إِلَيْهِ أَوَّلَ سَاجِدٍ (٦)

(١) وحسي أن تمشي السلام غيا أي يوما بعد يوم ولو مع أنفاس الرياح التي تهب من ناحيتك ، وفي الأصل « وأن تهدي » وقد وصفتها بأنها « تهدي » التي هي كصورتها حتى لا تكون نائية في موضعها ، وقد وجد هذا البيت بعد تأليه ، ولكننا آثرنا تقديمه عليه بحكم العطف على قوله :

« وحسي أن تطالعك الأماني . »

(٢) باعدت في غير ماعد وذلك بإعراضك عنه ، وزهدت في محب ليس بك زاهد .

(٣) يقول كان ينبغي أن تجعلى بنى وبينك نهاية للعتب وغاية أبلغ فيها رضاك ببجهد الجاهد وشرق النفس .

(٤) يقول : حاشاك أن تضيع ألف وسيلة توصلت بها إلى رضاك يراها عدوى كلشجما معترضا في

حلقه بذنب واحد .

(٥) إن أجن ذلك الذنب خطأ فقد ظلمتني بأن عاقبتني عليه بأشد من عقوبة من أتى بالذنب همدا .

(٦) أزيل عن وجه الرضا ما يستره من قناع السخط كما أكون أول ساجد هل لسة رضاك هي .

## أبو القاسم

« وأمره المعتضد أن يعارض قطعاً من أشعار كان

يستحسن ألحانها فعارضها رجه الله بقطع وهي : «

يُقَصِّرُ قُرْبُكَ لَيْلِي <sup>(١)</sup> الطَّوِيلَا وَيَشْنِي وَصَالِكَ قَلْبِي الْعَايِلَا  
وَإِنْ عَصَفَتْ مِنْكَ رِيحُ الصَّهْدُودِ فَقَدْثُ نَسِيمِ الْحَيَاةِ الْبَلِيلَا  
كَمَا أَنْتَنِي <sup>(٢)</sup> إِنْ أَطْلَتِ الْعِثَارُ وَلَمْ يُبْدِ عُدْرِي وَجْهًا جَمِيلَا  
وَجَدْتُ « أبا الْقَاسِمِ الظَّافِرَ الْمُؤَيَّدَ بِاللهِ » مَوْلى مُقِيلَا  
إِذَا مَا نَدَّاهُ هَمِي وَالْحَيَا شَاءَ ، وَعُدَّ الْجَوَادُ الْبَحِيلَا  
وَأَقْلَامُهُ وَفَقُّ أَسْبَافِهِ يَطْلُ الصَّرِيرُ يُبَارِي الصَّلِيلَا

## وقال

أَنْتَ الْمُسَبَّبُ لِلْوُلُوعِ وَمُثِيرُ كَامِنَةِ الدُّمُوعِ  
يَتَمَنِّيَانِ لَوْ أَغْفَا مَهْمَا طَلَعَتْ مِنَ الطَّلُوعِ  
وَالظَّافِرُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ وَاحِدُهُ عَدْلُ الْجُمُوعِ  
الْبَدْرُ فِي سَحْبِ الْبُرِّ وَدِ اللَّيْنُ فِي لَبَدِ الدَّرُوعِ  
عَنْتِ الْأَصُولُ لِأَصْلِهِ وَتَقَاعَصَتْ عَنْهُ الْفُرُوعُ

(١) في الأصل : « الليل »

(٢) في الأصل : « أنتى »

## آلام الحب

مَتَى أَتُبُّكَ <sup>(١)</sup> مَا بِي ؟      يَا رَاحَتِي وَعَذَابِي  
مَتَى يَتُوبُ لِسَانِي      فِي شَرْحِهِ عَنِ كِتَابِي ؟  
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي      أَصْبَحْتُ فِيكَ لِمَا بِي  
فَلَا يَطِيبُ <sup>(٢)</sup> مَنَامِي      وَلَا يَسُوعُ شَرَابِي

\* \*

يَا فِتْنَةَ الْمُتَعَرِّى <sup>(٣)</sup>      وَحُجَّةَ الْمُتَصَانِي :  
الشَّمْسُ أَنْتِ، تَوَارَتْ      عَنْ نَاطِرِي - بِالْحِجَابِ

\* \*

مَا الْبَذْرُ - شَفَّ سَنَاهُ      عَلَى رَقِيقِ السَّحَابِ -  
إِلَّا كَوَجْهِكَ ، لَمَّا      أَضَاءَ تَحْتَ الثَّقَابِ

## كيف السلو ؟

كَمْ ذَا أُرِيدُ وَلَا أُرَادُ ؟      يَا سَوْءَ مَا لَقِيَ الْفُؤَادُ !  
أَضْنِي الْوِدَادَ مُدَلَّلًا ،      لَمْ يَصِفْ لِي مِنْهُ الْوِدَادُ  
يَقْبِضِي عَلَى دَلَالَةٍ      - فِي كُلِّ حِينٍ - أَوْ يَكَاذُ  
كَيْفَ السَّلُو عَنْ الَّذِي      مَثَوَاهُ - مِنْ قَلْبِي - السَّوَادُ ؟

(١) وفي بعض الروايات : « متى أتيتك . »

(٢) وفي بعض الروايات : « لم يهد منامي »

(٣) وفي الأصل : « يا فتنة للمتعرى »

مَلَكِ الْقُلُوبِ بِحُسْنِهِ ، فَلَهَا - إِذَا أَمَرَ - أُتِفِكَادُ

يَا هَاجِرِي كَمْ أُسْتَفِيدُ الصَّبْرَ عَنْكَ ، فَلَا أَفَادُ  
 أَلَا<sup>(١)</sup> رَبَّنَا لَنْ يَبِيدَ وَحْشُو مُقْلَتِهِ الشَّهَادُ ؟  
 إِنْ أَجْنِ ذَنْبًا فِي الْهَوَى - خَطَاً - فَقَدْ يَكْبُو الْجَوَادُ  
 كَانَ الرِّضَى - وَأَعِيدُهُ - أَنْ يُغَيَّبَ الْكَوْنُ الْفَسَادُ

### قسم

أُسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ أَصْنَى الْوَدَادَ لَهُ  
 إِنْ أَلَدَّ غُرُورُ الْوَعْدِ، يَصْنَعُ لِي  
 تَجَلُّو الْمَنَى شَخْصَةً لِي - وَهُوَ مُحْتَجِبٌ  
 يَا بَدْرَ تَيْمٍ بَدَا فِي أَفْقٍ مَمْلُوكَةٍ ،  
 أَفْدَى بَدَائِعِ شَكْلِ مِنْكَ مُضْبِرَةً  
 مُحَضًّا ، وَلَا مَ بِهِ الْوَائِي فَلَمْ أَطِيعْ -  
 عَنَّهُ ، وَيُقْنِمُنِي التَّغْلِيلُ بِالْخُدَعِ  
 عَنِّي - فَأَ شِلْتُ مِنْ مَرَايَ وَمُسْتَعِ  
 فَرَّاقَ مُطْلِمًا مِنْ خَيْرِ مُطْلَعِ  
 لِقَتْلِ نَفْسِي - عَمْدًا - أَشْنَعَ الْبِدَعِ

تَاللَّهِ - أَكْرَمَ مَا أَمْضَى الْيَمِينَ بِهِ  
 مَا لَدَّ لِي قُرْبُ أَنْسٍ أَنْتِ نَارِحَةٌ  
 مِنْ دَانَ فِي حُبِّهِ بِالْصَّدْقِ وَالْوَرَعِ -  
 عَنَّهُ ، وَلَا سَاغَ عَيْشُ لَسْتُ فِيهِ مَعِي

### خداع الأمانى

وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ بِالْضَمِيرِ إِلَى  
 مَبْنَتْ نَفْسِي - مِنْ صِفَاتِكَ - ضَلَّةً  
 وَدَعَوْتُ - مِنْ حَقِّ - عَلَيْكَ فَأَمَّنَا  
 وَلَقَدْ تَرَّرُ الْمَرَّةَ بَارِقَةُ الْمَنَى



## في الغزل

« وله يتغزل ويهاب من يستعطفه ويتزل . »

يا مُسْتَحِفًّا بِمَاشِقِيهِ      وَمُسْتَحِفًّا لِنَاصِيهِ  
وَمَنْ أَطَاعَ الْوُشَاةَ فِينَا      حَتَّى أَطَعْنَا السُّلُوَ فِيهِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ إِذْ أَرَانِي      تَكْذِيبَ مَا كُنْتُ تَدْعِيهِ  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُهْزَمَ النَّسْلُ      وَيَقَابِ الشُّوقُ مَا يَلْبِيهِ

## إلى هاجر

أَوْسَلَبُ مِنْ وَصَالِكَ مَا كَبِيتُ ؟      وَأَعْزَلُ - عَنْ رِضَاكِ - وَقَدْ وُلِيتُ ؟  
وَكَيْفَ - وَفِي سَبِيلِ هَوَاكِ طَوَّعًا -      لَقِيتُ مِنْ الْمَكَارِهِ مَا لَقِيتُ !  
أَمِيرُ عَلَيْكَ حَتْبًا لَيْسَ يَبْقَى ،      وَأَضْمُرُ فِيكَ غَيْظًا لَا يَبِيتُ  
وَمَا رَدَّى عَلَى الْوَاشِينَ ، إِلَّا :      « رَضِيتُ بِمَجُورٍ مَا لِكُنِّي رَضِيتُ . »

## دعاء محب

أَنْتَ أَضْيَعُ عَهْدِكَ ؟      أَمْ كَيْفَ أَخْلَفْتُ وَعْدَكَ  
وَقَدْ رَأَيْتَكَ الْأَمَانِي      رَضَى ، فَلَمْ تَعْدَكَ

\* \*

يَا لَيْتَ مَالَكَ عِنْدِي !      مِنْ الْهَوَى - لِي عِنْدَكَ <sup>(٢)</sup>

(٢) وفي بعض الروايات :

« يَا لَيْتَ شِعْرِي ، وَعِنْدِي مَا لَيْسَ - فِي الْمَحَبِّ - عِنْدَكَ  
هَلْ طَالَ لَيْلِكَ بِعَدِي ؟      كَلُّوْا لَيْلِي بِعَدِكَ ؟ . »

فَطَالَ لَيْسَكَ بَعْدِي كَطُولُ لَيْلِي بَعْدَكَ  
سَلَّيَ حَيَاتِي أَهْبَهَا ، فَلَسْتُ أَمْلِكُ رَدَّكَ  
الَّذِي عَبَدِي ، لَمَّا أَصْبَحْتُ فِي الْحُبِّ عَبْدَكَ

### أنت حسبي

يَا مَنْ غَدَوْتُ بِهِ - فِي النَّاسِ - مُشْتَهَرًا قَلْبِي عَلَيْكَ يُقَالِي أَلْهَمَّ وَالْفِكَرَا  
إِنْ غَيْتَ لَمْ أَلْقَ إِنْسَانًا يُوَسِّنِي <sup>(١)</sup> وَإِنْ حَضَرْتَ ، فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ حَضَرَ  
مَا الَّذِي أَنْكَرُوهُ أَنْكَرُوهُ ؟

قُلْتُ : « أَنْتَ الْعَلِيلُ وَيَمَحَكَ لَاهُو »  
صَاعَقَتْ حُسْنُهُ وَزَادَتْ خِلَاةُ  
جِسْمِهِ - فِي الصَّفَاءِ وَالرَّقَّةِ - الْمَا ، فَلَا غَرْوَ أَنْ حُبَابُ عِلَاةُ

### شوق بعد سلوان

عَاوَدْتُ ذِكْرِي الْهَوَى مِنْ بَعْدِ نِسْيَانٍ وَأَسْتَحَدْتُ الْقَلْبُ شَوْقًا بَعْدَ سُلُوفَانٍ  
مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ ، يَبْدُو بِهَا صَنَمٌ مِنَ اللَّجَيْنِ ، عَلَيْهِ تَاجُ عَقِيَانٍ  
غَرِيرَةٍ - لَمْ تُفَارِقْهَا تَمَامُهَا - نَسِي الْقَوْلِ بِسَاجِي الطَّرْفِ وَسَنَانٍ  
لَا سَتَجِدُنَّ - فِي عَشْقِي لَهَا - زَمَنًا يُنْسِي سَوَائِفَ أَيَّامِي وَأَزْمَانِي  
حَتَّى تَكُونِ لِمَنْ أُحْيَيْتُ خَاتِمَةً ، نَسَخْتُ - فِي حُبِّهَا - كُفْرًا بِإِيمَانٍ

(١) في الأصل « بولس » بابدال الهزة ولوا وهو إبدال مقبوس كما يعلم من علم الصرف ، وهو مضارع  
النسي (بالضعيف) أي أزال وحقق كأنني ، وجاء في كلامهم :  
« إِذَا جَاءَ الْبَلَّ اسْتَأْنَسَ كُلٌّ وَحَقِي ، وَاسْتَوْحَشَ كُلٌّ إِنْشِي » .

(٢) البهرات : واحدها برة كسجدة وسجدات ، وهي خراج صفار تظهر على الوجه ، تنطف جفده ،  
وأغلب ما يكون ذلك في أوان الشباب ، ولذلك يعرف عند العامة في بلادنا ( بحب الشباب ) ، وقد طالع في  
البيت التالي قليلا حسنا ، حيث شبهه بالحجاب يطفو على وجه الماء للشبيه بيشرة وجه الحبيب في الرقة والصفاء .

## أسر الهوى

يَا سَوَّلَ نَفْسِي - إِنَّ أَحْكَمَ - وَاخْتَارِي إِنَّ أَخْيَرَ  
كَمْ لَأَمْنِي فِيكَ الْحَسُو دُ، وَفَنَدَ الْوَائِي فَأَكْثَرَ  
قَالُوا : « تَغَيَّرَ بِالسُّلُوِّ وَبِالْأَلَمَةِ قَدْ تَمَيَّزَ »  
وَتَوَهَّمُواكَ جَنَيْتَ ذَنْبًا بِالتَّجْنِي لَيْسَ يُغْفَرُ  
وَبِرِثْمِهِمْ أَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي الرِّضَى بِاللَّوْنِ يُعَذَّرُ  
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْهَوَى رِقٌّ، وَأَنَّ الْحُسْنَ أَعْمَرُ<sup>(١)</sup>

## معذرة

إِنْ تَكُنْ نَالَتِكَ بِالضَّرْبِ يَدِي - وَأَصَابَتْكَ بِمَا لَمْ أُرِدِ  
فَلَقَدْ كُنْتُ - لَمْتَرِي - فَادِيَا لَكَ بِالْمَالِ وَبِأَخِي الْوَلَدِ  
فَتَقِي مِنِّي بِعَهْدٍ ثَابِتٍ وَصَمِيرٍ خَالِصٍ الْمُتَّقِدِ  
وَلَنْ سَاءَ لِي يَوْمَ فَاغْلِي أَنْ سَبَّحُوهُ سُرُورُ بَقْدِ

## وصف الكأس

أَنَا ظَرْفٌ لِلْهَوَى كُلِّ ظَرِيفٍ أَنَا مُسْتَوْدَعٌ لِعِلْقِ شَرِيفٍ  
أَنَا كَالصَّدْرِ فِي الْإِحَاطَةِ بِالرَّاحِ إِذِ الرِّاحُ كَالضَّمِيرِ الْأَطِيفِ  
سَلَّ عَنِ الطَّبَيَّاتِ فَهِيَ فُتُونُ أَلْقَتْ فِي أَحْسَنِ التَّأْلِيفِ  
أَيُّ حُسْنٍ يَنِي بِحُسْنِي مَحْمُو لَا يَكْفِي وَصِيفَةً أَوْ وَصِيفِ

(١) من قولهم « الحسن أعمر » أي ذو مشقة وبلاء يريدون أن من لمثق الحسن والجمال تحمل و  
سبيله للمشقة وصبر على الأذى ، وإنما يقال ذلك لمن يستتره الهوى ، ويهلبه الحسن على أمره فيبقى في سبيله  
لوقت الأحرار .

## غاية المحيين

لَنْ كُنْتُ فِي السَّنِّ - تَرْبُ الْهِلَالِ ، لَقَدْ قُتْتُ - فِي الْحُسْنِ - بِذَرِّ الْكَمَالِ  
أَمَّا وَالَّذِي نَكَّدَ الْحِظَّ فِي دُنُوِّ الْمَكَانِ يُبْعِدُ الْمَنَالِ  
لَقَدْ بَلَّغْتَنِي دَوَاعِي هَوَاكَ إِلَى قَايَةِ مَا جَرَّتْ لِي بِبَالِ  
قُلْتُ لِلْهَوَى : « يَجْزِمُ الْمَنَانِ » فَيَدَانُ قَلْبِي رَحِيبُ الْمَجَالِ

## صفح المذنب

يَا قَمَرًا مَطْلَعُهُ الْمَغْرِبُ قَدْ ضَاقَ بِي - فِي حُبِّكَ - الْمَذْهَبُ  
أَعْتَبُ - مِنْ ظُلْمِكَ لِي - جَاهِدًا ، وَيَنْلُبُ الشَّوْقُ فَاسْتَشَبُ  
أَلْزَمْتَنِي الذَّنْبَ الَّذِي جِئْتُهُ ، صَدَقْتَ ، فَاصْفَحْ أَيُّهَا الْمَذْنِبُ

## لا يأس

أَيُّهَا الْبَذْرُ الَّذِي يَمْلَأُ عَيْنِي مَنْ تَأْمَلُ  
حَمَلُ الْقَلْبِ تَبَارِيحَ التَّجَنِّي فَتَحَمَلُ  
لَيْسَ لِي صَبْرٌ جَمِيلٌ ، غَيْرَ أَنِّي أَجْمَلُ  
ثُمَّ لَا يَأْسَ ، فَكَمْ قَدْ نِيلَ أَمْرٌ لَمْ يُؤْمَلْ

## عتب

أَوْجَعَنِي - بِإِلَاجِزْمٍ - وَأَقْفَعَنِي بِإِلَازْمٍ ، سَوَى أَنِّي مَحْضُ الْهَوَى صَادِقُ الْحُبِّ  
أَغَادِيكَ بِالشُّكْوَى ، فَأَضْحِي عَلَى الْفَقْلِ وَأَرْجُوكَ لِلْعُتْبَى ، فَأُظْفِرُ بِالْعُتْبِ  
فَدَيْتُكَ ، مَا لِلْمَاءِ - عَذَابُ عَلَى الصَّدَى - وَإِنْ مُتْمَتِي حَسَنًا ، مَحَلَّتْ مِنْ قَلْبِي  
وَلَوْ لَأَكْ ، مَا ضَاقَتْ حَشَايَ - صَبَابَةً - جَعَلْتُ قِرَاهَا الدَّمْعَ سَكْبًا عَلَى سَكْبِ

## تجنى الحبيب

ثِقِي بِي - يَا مُعَذِّبِي - فَإِنِّي سَأَحْفَظُ فِيكَ مَا صَيَّعَتْ مِنِّي  
وَأِنْ أَصْبَحْتَ قَدْ أَرْضَيْتِ قَوْمًا بِسُخْطِي، لَمْ يَكُنْ ذَا فِيكَ ظَنِّي  
وَهَلْ قَلْبُكَ قَلْبِي فِي صَلُوعِي، فَأَسْأَلُو عَنْكَ حِينَ سَلَوْتَ عَنِّي  
تَمَنَّتْ - أَنْ تَنَالَ رِصَالِكَ - نَفْسِي، فَكَانَ مَنِيَّةً ذَاكَ التَّعَنِّي  
وَلَمْ أَجْنِ<sup>(١)</sup> الذُّنُوبَ فَتَحْقِدِيهَا، وَلَكِنْ عَادَةٌ مِنْكَ التَّجَنِّي .

## لا يأس في الحب

أَنْتِ مَعْنَى الضَّنَى وَسِرُّ الدُّمُوعِ ، وَسَبِيلُ الْهَوَى ، وَقَصْدُ الْوُلُوعِ  
أَنْتِ وَالشَّمْسُ صَرَّتَانِ ، وَلَكِنْ لَكَ - عِنْدَ الْغُرُوبِ - فَضْلُ الطُّلُوعِ  
لَيْسَ بِالْمَوَاسِي تَكْلُفُكَ الْعَتَبِ - دَلَالًا - مِنَ الرِّضَى الْمَطْبُوعِ  
إِنَّمَا أَنْتِ - وَالْحَسُودُ مَعْنَى - كَوْكَبٌ يَسْتَقِيمُ بَعْدَ الرُّجُوعِ

## بقية المسواك

أَهْدِي إِلَيَّ بَقِيَّةَ الْمِسْوَاكِ لَا تُظْهِرِي بُخْلًا يُمُودِ أَرَاكِ  
فَلَعَلَّ نَفْسِي ، أَنْ يُنْفَسَ سَاعَةً عَنْهَا بِتَقْيِيلِ الْمُقْبَلِ فَأَكِ  
يَا كَوْكَبًا - بَارِئَ سَنَاهُ سَنَاءُهُ - تَزْهِي الْقُصُورُ بِهِ عَلَى الْأَفْلَاكِ  
قَرَرْتُ وَفَارَزْتُ - بِالْخَطِيرِ مِنَ الْمَنَى - عَيْنُ ثَقَلْتُ لِحْظَهَا فَتَرَكَ

## غرور المني

إِنْ سَاءَ فِعْلُكَ بِي ، فَأَذْنِي أَنَا ؟      حَسْبُ التَّيَمِّ أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَا  
لَمْ أَسْأَلْ حَتَّى كَانَ عَذْرُكَ - فِي الَّذِي      أَبْدَيْتَهُ - أَخْفَى ، وَعُذْرِي أَيْنَا  
وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ - بِالضَّمِيرِ - إِلَى الْهَوَى ،      وَدَعَوْتُ - مِنْ حَقِّ - عَلَيْكَ فَأَمَّنَا  
مَنْبَتُ نَفْسِي - مِنْ وَفَائِكَ - صَلَّةً ،      وَلَقَدْ تَرُّوا الْمَرْءَ بَارِقَةَ الْمُنَى

## صليني

أَفَالَيْتَ عَنِّي ، وَخَاضِرَةً بَعِي ،      أَنَادِيكَ - لَمَّا عِيلَ صَبْرِي - فَأَنْتَمِي  
أَفِي الْحَقِّ أَنْ أَشَقَّ بِحُبِّكَ ، أَوْ أَرَى      حَرِيْقًا بِأَنْفَاسِي ، غَرِيْقًا بِأَذْمِي  
أَلَا عَطْفُهُ تَحِيًّا بِهَا نَفْسُ عَاشِقٍ ؟      جَعَلْتُ الرَّدَى مِنْهُ يَمْرَأً وَمَسْمَعٍ  
صَلِيْنِي - بَعْضُ الْوَصْلِ - حَتَّى تَبَيَّنِي      حَقِيقَةً حَالِي ، ثُمَّ مَا شِئْتُ فَأَصْنِي

## شكوى ضائعة

سَاحِبُ أَعْدَائِي لِأَنَّكَ مِنْهُمْ <sup>(١)</sup>      يَا مَنْ يُصْبِحُ - عِقْلَتِي - وَيُسْقِمُ  
أَصْبَحْتَ تُسَخِّطُنِي فَأَمْنُحَكَ الرِّضَى      - مَحْضًا - وَتَظْلِمُنِي فَلَا أَتَظْلَمُ  
يَا مَنْ تَأَلَّفَ لَيْلُهُ وَتَهَارَهُ ،      فَالْحُسْنُ يَنْتَهَمَا مُضِيٍّ مُظْلِمٍ  
قَدْ كَانَ فِي شَكْوَى الصَّبَا بِعِدَاةٍ ،      لَوْ أَنِّي أَشْكُو إِلَى مَنْ يَرْحَمُ

## وفاء المحب

لَمَّا اتَّصَلْتَ اتِّصَالَ الْحُبِّ <sup>(٢)</sup> بِالْكَبِدِ      ثُمَّ ائْتَرَجْتَ ائْتَرَجَ الرُّوحُ بِالْجَسَدِ

(١) وهذا قريب من قول الفاعل :

« شابهت أعدائي فصرت أجهم » إذ كان حظي منك حظي منهم .

(٢) وفي الأصل : « الحب »

سَاءَ الْوُشَاةَ مَكَانِي مِنْكَ ، وَأَتَقَدَّتْ - فِي صَدْرِي كُلِّ عَدُوٍّ - حَجَرَةُ الْحَسَدِ  
فَلْيَسْحَطِ النَّاسُ لَا أَهْدِي الرِّضَى لَهُمْ ، وَلَا يَفْضَحُ لَكَ عَهْدُ آخِرِ الْأَبَدِ  
لَوْ أُسْتَطَمْتُ - إِذَا مَا كُنْتُ فَايَةً - غَضَضْتُ طَرْفِي ، فَلَمْ أَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ

### غدر الحبيب

يَا لَيْلُ طُلْ ، لَا أَشْتَعِي - إِلَّا بِوَصْلِ - قِصْرِكَ  
لَوْ بَاتَ عِنْدِي قَمَرِي ، مَا بَثَّ أَرْضِي قَمَرِكَ  
يَا لَيْلُ خَبِّرْ : أَنِّي أَلْتَدُّ عَنْهُ خَبْرَكَ  
بِاللَّهِ قُلْ لِي : هَلْ وَفَا ؟ فَقَالَ : « لَا ، بَلْ غَدَرَكَ »

### حذر العاشق

لَنْ فَاتَنِي مِنْكَ حَظُّ النَّظَرِ لَا كَتِفَيْنِ بِسَمَاعِ الْخَبَرِ  
وَإِنْ عَرَضَتْ غَفْلَةٌ لِلرَّقِيبِ ، فَحَسْبِي تَسْلِيمَةٌ تُخْتَصَرُ  
أَحْذَرُ أَنْ تَتَطَلَّى الْوُشَاةُ ، وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهُوَى بِالْحَذَرِ  
وَأَصْبِرْ مُسْتَيْقِنًا : أَنَّهُ سَيَحْطَى - بِنَيْلِ الْمُنَى - مَنْ صَبَرَ

### قناعة المحب

سَأَفْتَحُ مِنْكَ بِلَحْظِ الْبَصَرِ ، وَأَرْضِي بِتَسْلِيمِكَ الْمُخْتَصَرِ  
وَلَا أَمْحِطُ بِالنَّاسِ الْمُنَى ، وَلَا أَمْتَدِّي اخْتِلَامَ النَّظَرِ  
أَمُونُكَ - مِنْ لَحْظَاتِ الظُّنُونِ - وَأَعْلِيكَ عَنْ خَطَرَاتِ الْفِكْرِ  
وَأَحْذَرُ - مِنْ لَحْظَاتِ الرَّقِيبِ - وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهُوَى بِالْحَذَرِ

## كيف السلو ؟

هَلْ لِلدَّاعِيكَ مُجِيبٌ ؟ أَمْ لِشَاكِكَ طَيِّبٌ ؟  
 يَا قَرِييَا - حِينَ يَنْأَى - حَاضِرًا - حِينَ يَغِيبُ - !  
 كَيْفَ يَسْلُوكُ مُحِبٌ زَانَهُ مِنْكَ حَيِّبٌ ؟  
 إِنَّمَا أَنْتَ نَسِيمٌ تَتَلَقَّاهُ الْقُلُوبُ  
 قَدْ عَلِمْنَا عِلْمَ ظَنٍّ ، هُوَ - لَا شَكَّ - مُصِيبٌ  
 أَنْ سِرَّ الْحُسْنِ مِمَّا أَضْمَرْتَ تِلْكَ الْجُيُوبُ

## أنت المني

أَرْخَصْتَنِي - مِنْ بَعْدِ مَا أَعْلَيْتَنِي - وَحَطَطْتَنِي ، وَلَطَّالًا أَعْلَيْتَنِي  
 بَادَرْتَنِي بِالْعَزْلِ عَنْ خُطَطِ الرِّضَى ، وَلَقَدْ تَحَضَّتْ الثَّمَنُحْ إِذْ وَلَّيْتَنِي  
 هَلَّا - وَقَدْ أَعْلَقْتَنِي شَرَكُ الْهَوَى - عَلَّيْتَنِي بِالْوَصْلِ ، أَوْ سَلَّيْتَنِي  
 الصَّبْرُ شُهْدٌ - عِنْدَ مَا جَرَّ عَنِّي - وَالنَّارُ بَرْدٌ ، عِنْدَ مَا أَصْلَبْتَنِي  
 كُنْتَ الْمَنَى ، فَأَذَقْتَنِي غُصَصَ الْأَذَى ، يَا لَيْتَنِي مَا قُوتُ فَيْكِ : يَلِيْتَنِي

## بقاء على العهد

جَازَيْتَنِي - عَنْ تَمَادِي الْوَصْلِ - هِجْرَانًا وَعَنْ تَمَادِي الْأَمْنَى وَالشَّوْقِ سُلُوفَانًا  
 يَا قَبِّ هَلْ كَانَ قَتْلِي فِي الْهَوَى خَطَأً أَمْ جَنَّتُهُ قَامِدًا ظُلْمًا وَعُدْوَانًا ؟  
 عَهْدِي كَعَهْدِكَ ، مَا الدُّنْيَا تُغَيِّرُهُ وَإِنْ تَغَيَّرَ مِنْكَ الْعَهْدُ أَلْوَانًا  
 مَا صَحَّ وَدَى إِلَّا أَعْتَلَّ وَدُكَّ لِي ، وَلَا أَطْعَمْتُكَ إِلَّا زِدْتَ عَصِيَانًا  
 يَا أَلَيْنَ النَّاسَ أَعْطَافًا ، وَأَفْتَنَهُمْ لَحْظًا ، وَأَعْطَرَ أَنْفَاسًا وَأَزْدَانًا  
 حَسُنْتَ خَلْقًا ، فَأَحْسِنِ لَاتَسُوْ خَلْقًا ، مَا خَيْرُ ذِي الْحُسْنِ إِنْ لَمْ يُؤَلِّ إِحْسَانًا ؟



## أين وفاؤك؟

أُثِمَّتْ بِي فِيكَ الْعِدَا      وَبَلَّغْتَ مِنْ ظُلْمِي الْمَدَى  
لَوْ كَانَتْ يَمْلِكُ فِدَايَةَ      مِنْ حُبِّكَ الْقَلْبُ أَقْتَدَى  
كُنْتُ الْحَيَاةَ لِعَاشِقٍ      مُدْخِلْتَ أَيْقَنَ بِالرَّدَى  
لَمْ يَسْلُ عَنْكَ، وَلَوْ سَلَا      لَعَذَّرْتُهُ، فِيكَ أَقْتَدَى  
صَيِّغْتَ هَذَا حَبَّةً      كَالْوَرْدِ سَامَرُهُ النَّدَى  
أَيْنَ أَدْعَاؤُكَ لِلْوَفَا      ، وَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا <sup>(١)</sup>

## صرع الحب

لَوْ كَانَ قَوْلُكَ «مُتَّ» مَا كَانَ رَدَى «لَا»  
أَبْدَيْتَ لِي مِنْ أَفَانِينَ الْقَلْبِ - عِبْرًا،  
لَمْ تُبْقِ جَارِحَةً بِالْمَجْبَرِ مِنْ جَسَدِي  
فَلْيُفْنِ كَفْكَ أُنَى بَعْضُ مَنْ مَلَكَتْ،  
وَلْتَقْضِ مَا شِئْتَ مِنْ مَجْبَرٍ وَمِنْ صِلَةٍ -  
سَقِيًا لِعَهْدِكَ وَالْأَيَّامُ تُقْبِلُنِي  
إِذِ الزَّمَانُ بَلِيغٌ فِي مُسَاعَدَتِي  
إِنْ كَانَ لِي أَمَلٌ إِلَّا رِضَاكَ، فَلَا  
يَا جَانِرَ الْحُكْمِ، أَفَدِيهِ بِنَ عَدَلًا  
أُرْسَلْتَنِي - فِي أَحَادِيثِ الْهَوَى - مَثَلًا  
إِلَّا خَلَعْتَ عَلَيْهَا - بِالضَّنَى - حُلَلًا  
وَلَيْسَ كَفِ طَرَفِكَ أُنَى بَعْضُ مَنْ قَتَلَا  
لَا أَقْضِ مَا عِشْتُ سُلُوفًا وَلَا مَثَلًا  
وَجْهَ الشُّرُوبِ بِهِ جَذَلَانُ مُقْتَبِلًا  
يُهْدِي إِلَيَّ - تَقَارِيقُ الْمُنَى - مُجَلًا  
بُلَّغْتُ - يَا أَمَلِي - مِنْ دَهْرِي الْأَمَلَا

(١) في الأصل : « وما عدا فيما بدا . » وأصل اللؤلؤ كما في مجمع الأمثال للبيداني : « ما بدا مما بدا . » أي ما منك مما ظهر لك أولا ، قاله علي بن أبي طالب للزبير بن العوام رضي الله عنهما يوم الجمل يريدما الذي صرفك عما كنت عليه من البيعة ، وهذا متصل بقوله : « مرهني بالمجاز ، وأكرمني بالراق ، فما عدا مما بدا . »

## وفاء المحب

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الْبَذَرُ الَّذِي كَمَلَا      فِي مَطْلَعِ الْحُسْنِ وَالْفُضْنِ الَّذِي أَعْتَدَلَا  
أَنْ الزَّمَانَ الَّذِي أَهْدَى مَوَدَّتَهُ      إِلَى مُرْتَهِنٍ شُكْرِي بِمَا فَعَلَا  
أَمَّا الْحَبِيبُ الَّذِي أَبْدَى الْجَفَاءَ لَنَا،      فَمَا رَأَيْنَا فَلَاهُ حَادِثًا جَلَلَا  
وَلَمْ تَرِدْ أَنْ ظَفِرْنَا مِنْهُ أَعْيُنَا      بِالْمُشْتَرَى، فَتَجَبَّنَا لَهُ زُحَلَا  
أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي مَارَلْتُ أُلْفُهُ      ظِلَّ الْهَوَى، وَأَسْقِيهِ الرِّضَا عَمَلَا  
هَذِي الْحَقِيقَةُ، لَا قَوْلِي مُخَافَةً :      لَوْ كَانَ قَوْلُكَ «مُت» مَا كَانَ رَدِّي «لَا»

## انت حسبي

لَمْ يَكُنْ هَجْرِي حَبِيبِي عَنْ قَلِي      لَا وَلَا ذَاكَ التَّجَنُّ مَكَلَا  
سَرُّهُ شُكْرِي - إِذْ طَافِي - وَلَمْ      يَذِرْ مَا غَايَةُ صَبْرِي قَابَتَلِي  
أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي يَرْضَى بِهِ      لِي مَنْ لَوْ قَالَ «مُت» مَا قُلْتُ: «لَا»  
مِثْلِي فِي كُلِّ حُسْنٍ مِثْلُ مَا      صَارَ ذُلِّي - فِي هَوَاهُ - مَثَلَا  
يَا قَتِيلَتِ الْمِسْكِ يَا شَمْسَ الضُّحَا      يَا قَضِيبَ الْبَكَانِ يَا رِيمَ الْفَلَا  
إِنْ يَكُنْ لِي أَمَلٌ غَيْرَ الرِّضَا      مِنْكَ، لَا بُلُغْتُ ذَاكَ الْأَمَلَا

## إلى هاجر

أَتَهَجَّرُنِي وَتَقْصِبُنِي كِتَابِي ؟      وَمَا فِي الْحَقِّ غَضَبِي وَأَجْتَنَابِي  
أَيَحْمِلُ أَنْ أَيْحَكَ غَضْ وَدِي ؟      وَأَنْتَ تَسُوْمُنِي سُوءَ الْعَذَابِ  
فَدَيْنُكَ، كَمْ تَفْضُ الطَّرْفَ دُونِي      وَكَمْ أَدْعُوكَ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ  
وَكَمْ لِي مِنْ قُوَادِكَ - بَعْدَ قُرْبِ -      مَكَانَ الشَّيْبِ فِي نَفْسِ الْكَعَابِ

أَعِدْ - فِي عَبْدِكَ الْمَظْلُومِ - رَأْبًا      تَنَالُ بِهِ الْجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ (١)  
وَأِنْ تَبَخَّلَ عَلَيْهِ قُرْبٌ دَهْرٍ      وَهَبْتَ لَهُ رِضَاكَ بِلاَ حِسَابٍ

### لا سبيل إلى السلو

أَذْكَرْتَنِي سَالِفَ الْمَبَشْرِ الَّذِي طَابَا      يَا لَيْتَ فَاتَبَ ذَلِكَ الْمُهْدِ قَدْ آتَا  
إِذْ نَحْنُ فِي رَوْضَةِ الْوَصْلِ - نَعْمَهَا      مِنْ الشُّرُورِ ثَمَامٌ فَوْقَهَا صَابَا  
إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ شَوْقِي يُطَاوِلُنِي      فَكُلَّمَا قِيلَ فِيهِ: «قَدْ قَضَى»، ثَابَا  
كَمْ نَظَرَةٍ لَكَ فِي عَيْنِي هَلَمْتَ بِهَا      - يَوْمَ الزِّيَارَةِ - أَنَّ الْقَلْبَ قَدْ ذَابَا  
قَلْبٌ يُطِيلُ مَقَامِي لِطَاعَتِكُمْ،      فَإِنْ أَكَلَفَهُ عَنْكُمْ سَلَوَةً يَأْبَى  
مَاتُوا تَتَى بِنُصُوحٍ - مِنْ عِبَائِكُمْ -      لَا عَذَبَ اللَّهُ إِلَّا حَاشِقًا تَابَا

### انت الحياة

أَمَّا رِضَاكَ فَمِلَقٌ مَالَهُ تَمَنُّ      لَوْ كَادَ سَاعَتِي فِي وَصْلِهِ الزَّمَنُ  
تَبْكِي فِرَافِكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَظَرُهَا      قَدْ لَجَّ فِي هَجْرٍهَا عَنْ هَجْرِكَ الْوَسَنُ  
إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنٌ      قَدْ حَالَ مَذْغَابٌ عَنِّي وَجْهَكَ الْحَسَنُ  
أَنْتَ الْحَيَاءُ فَإِنْ يُقْدَرْ فِرَافَكَ لِي      فَلْيُحْفَرِ الْقَبْرُ أَوْ فَلْيُخْفَرِ الْكَفَنُ  
وَاللَّهُ مَا سَاوَنِي أَنِّي جُفِيتُ صَنَى      بَلْ سَاوَنِي أَنْ مِرَى - بِالضَّنَى - هَلَنُ  
لَوْ كَادَ أَمْرِي - فِي كَثْمِ الْهَوَى - يَدِي      مَا كَانَ يَعْلَمُ - مَا فِي قَلْبِي - الْبَدَنُ

### ذكرى معاهد قرطبة

عَلَى الثَّغْبِ الشَّهْدِي مَنِي تَحِيَّةٌ      زَكَّتْ، وَعَلَى وَادِي الْعَقِيقِ سَلَامٌ  
وَلَا زَالَ تَوَزُّرِي فِي الرِّصَافَةِ صَاحِكٌ      بِأَرْجَائِهَا يَتَنَكَّى عَلَيْهِ غَمَامٌ

(١) - قريب من هذا قول البحري :

« أَمِيتُ فِي نَظَرَةِ مُسْتَجِيبٍ تَوَخَّى الْأَجْرَ أَوْ كَرِهَ الْأَمَامَا »

مَعَاهِدُهُ لَهْوٍ لَمْ تَزَلْ فِي ظِلَالِهَا  
 زَمَانُ رِيَاضِ الْعَيْشِ خُضِرَ نَوَاصِرُهُ  
 فَإِنْ بَانَ مِنْ عَهْدِهَا ، قَبْلَوَعَةٍ  
 تَذَكَّرْتُ أَيْامِي بِهَا ، فَتَبَادَرَتْ  
 وَصُحْبَةُ قَوْمٍ كَالْمَصَايِحِ ، كُلُّهُمْ  
 إِذَا طَافَ بِالرَّاحِ الْمَدِيرُ عَلَيْهِمْ  
 وَأَحْوَرُ سَاجِي الطَّرَفِ حَشْوُ جُفُونِهِ  
 تَحَالَ قَضِيبُ الْبَكَانِ - فِي طَى بُرْدِهِ -  
 يُدِيرُ - عَلَى رَغَمِ الْعِدَا - مِنْ وَدَادِهِ  
 فِنْ أَجْلِهِ أَذْغُولُ قَرْطَبَةِ الْمُنَى  
 عَمَلٌ غَنِينَا بِالتَّصَايِي خِلَالَهُ  
 فَمَا لِحَقَّتْ تِلْكَ اللَّيَالِي مَلَامَةً ،  
 تُدَارُ عَلَيَا - لِلْمُجُونِ - مُدَامُ  
 تَرَفٍ ، وَأَمْوَاهُ الشَّرُورِ جِهَامُ  
 يَشُبُّ لَهَا - بَيْنَ الصُّلُوحِ - ضِرَامُ  
 دُمُوعٍ ، كَمَا خَانَ الْفَرِيدَ نِظَامُ  
 - إِذَا هَزُّ لِلْخَطْبِ الْمِلْمِ - حُسَامُ  
 أَطَافَ بِهِ يَبِضُّ الْوُجُوهِ ، كِرَامُ  
 سَقَامُ بَرَى الْأَجْسَامِ مِنْهُ سِقَامُ  
 إِذَا أَهْتَزَّ مِنْهُ مَعْطِفٌ وَقَوَامُ  
 سَلَاقًا ، كَأَنَّ الْمِسْكَ مِنْهُ خِتَامُ  
 بِسُقْيَا ضَعِيفِ الطَّلِّ وَهُوَ رِهَامُ (١)  
 قَاسَمُ عَدَنَا ، وَالْحَادِثَاتُ نِيَامُ  
 وَلَا ذَمٌّ - مِنْ ذَلِكَ الْحَبِيبِ - ذِمَامُ

### غدر الحبيب

أَجِدُ ، وَمَنْ أَهْوَاهُ - فِي الْحُبِّ - حَايْتُ  
 حَبِيبُ نَأَى عَنِّي - مَعَ الْقُرْبِ وَالْأَمْنِ -  
 جَفَانِي بِالطَّافِ الْعِدَا ، وَأَزَالَهُ  
 كَفَيْتُ عَنْ عَهْدِي ، وَمَا زِلْتُ وَائِقًا  
 وَمَا كُنْتُ إِذْ مَلَكَتْكَ الْقَلْبَ قَالِمًا  
 فَدَيْتُكَ ، إِنْ الشَّوْقُ لِي - مُذْ هَجَرَ نَفْسِي -  
 وَأَوْفَى لَهُ بِالْعَهْدِ ، إِذْ هُوَ نَاكِثُ  
 مُعِمْ لَهُ - فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ - نَاكِثُ  
 - عَنِ الْوَصْلِ - رَأَى فِي الْقَطِيعَةِ حَادِثُ  
 بِعَهْدِكَ ، لَكِنْ غَيْرُ نَكَاحِ الْحَوَادِثُ  
 بِأَنِّي - عَنْ حَقِّي - بِكَفَى بَاحِثُ  
 مُيْتٌ فَهَلْ لِي - مِنْ وَصَالِكَ - بَاعِثُ ؟

سَتَبِلَى اللَّيَالِي - وَالْوِدَادُ بِحَالِهِ - جَدِيدُهُ ، وَتَفَنَّى وَهُوَ لِلْأَرْضِ وَارِثُ  
وَلَوْ أَنَّنِي أَفْسَنْتُ : إِنَّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَقْتُولٌ ، لَمَا قِيلَ : « حَاثٌ . »

### اصنع ماشئت

يَانَا سِيَا لِي - عَلَى عِرْفَانِهِ - تَلْنِي ذِكْرَكَ مِنِّي بِالْأَنْفَاسِ مَوْصُولُ  
وَقَاطِعًا صِلَتِي - مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبٍ - تَأَلَّهَ : إِنَّكَ - عَنْ رُوحِي - لَأَسْتَوْلُ  
مَا شِئْتَ فَأَصْنَعُهُ ، كُلُّ مِنْكَ مُحْتَمَلٌ ، وَالذَّنْبُ مُغْتَفَرٌ ، وَالْمُذْرُ مَقْبُولُ  
لَوْ كُنْتُ حَظِي ، لَمْ أَطْلُبْ بِهِ بَدَلًا ، أَوْ نِلْتُ مِنْكَ الرِّضَا ، لَمْ يَبْقَ مَأْمُولُ

### أمنية

بِقَاطِعًا حَبْلَ وَدِّي وَوَاصِلًا حَبْلَ صَدِّي  
وَسَا لِيَا ، لَيْسَ يَدْرِي بِطُولِ بَنِي وَوَجْدِي  
لَوْ كَانَتْ هُنَاكَ مِنِّي مِثْلُ الَّذِي مِنْكَ هُنَا  
لَبِتْ - بَعْدِي - مِثْلِي ، وَبِتْ - مِثْلَكَ - بَعْدِي

### نفسى فداؤك

لَوْ تَرَكْنَا بِأَنْ نَمُودَكَ عُدْنَا وَقَضَيْنَا الَّذِي عَلَيْنَا وَزِدْنَا  
غَيْرَ أَنْ الْهَوَى اسْتَطَارَ حَدِيثَنَا ، فَأَتَتْحَتْنَا الْمَيُوتُ لَمَّا حُسِدْنَا  
فَلَوْ أَنَّ النَّفْسَ تَقْبَلُ مِنَّا ، لَسَمَخْنَا بِهَا - فِدَاءُ - وَجَدْنَا

### دين الحب

بَا غَزَا لَا جُمِعَتْ فِيهِ - مِنَ الْحُسْنِ - فُتُونُ  
أَنْتَ فِي الْقُرْبِ وَفِي الْبُعْدِ - مِنَ النَّفْسِ - مَكِينُ  
يَهْوَاكَ - أَلْهَرُ - أَلْهَوُ ، وَبِحَيِّكَ أَدِينُ

مُتِيَّةَ الصَّبِّ : أَغْنَيْتَنِي ، قَدْ دَنَتْ مِنِّي الْمُنُونُ  
وَأَحْفَظِ الْعَمَدَ ، كَلَانِي لَسْتُ - وَاللَّهِ - أَخُونُ  
وَأَرْحَمَنَ صَبًّا شَجِيًّا قَدْ أَذَابَتْهُ الشُّجُوبُ  
لَيْلُهُ هَمٌّ وَغَمٌّ ، وَسَقَامٌ ، وَأَيْنُ  
شَقَّةَ الْحُبِّ ، قَامَسُنِي - سَقَمًا - لَا يَسْتَقْبِلُنِ  
صَارَ - لِلْأَشْوَاقِ - نَهَبًا ، قَبَبَتْ عَنْهُ الْعُيُونُ

### وفاء

يَبْنِي وَيَنْتَكِ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَضِعْ مِرًّا إِذَا ذَاعَتْ الْأَمْرَازُ - لَمْ يَذِجْ  
يَا بَابًا حَطُّهُ مِنِّي ، وَلَوْ بُدِلَتْ لِي الْحَيَاءُ - بِحُطِّي مِنْهُ - لَمْ أَبِحْ  
يَكْفِيكَ أَنْتَ - إِنْ حَمَلْتَ قَلْبِي مَا لَمْ تَسْتَطِعْ قُلُوبُ النَّاسِ - يَسْتَطِيعُ  
تَهَ أَخْتَمِلُ ، وَاسْتَطِيلُ أَصِيرُ ، وَعِزُّ أَهْنُ ، وَلَوْلَ أَفِيلُ ، وَفُلُ أَتَمُّ ، وَمُرُّ أَطِيعُ

### في سبيل الهوى

قَدْ نَأْنِي مِنْكَ مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَى قَدْ نَأْنِي مِنْكَ مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَى  
عَلَّتْنِي بِالْمُنَى - حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ بِالنَّفْسِ - لَمْ أُعْظَمِنْ أَسْبَابَهَا طَرْفًا  
غِيَرْتُ عَنْ خُلُقِي - قَدْ لَانَ لِي زَمَنًا - لَيْنَ النَّسِيمِ ، فَلَمَّا لَدَّ لِي عَصْفًا  
لَا يَجْبُطُنْ مَحَلٌّ - أَرْضَاكَ صَالِحُهُ - فَفِي سَبِيلِكَ أَفْنَقْتُ الْهَوَى مَرَفًا

### صلة المحب

مِرِّي وَبَحْرِي أَنَّنِي هَامُّ ، قَامَ بِكَ الْعُذْرُ ، فَلَا لَأَمُّ  
لَا يَنْهَمُ الْوَالِدِي الَّذِي غَرَّنِي هَا أَنَا - فِي ظِلِّ الرِّضَى - نَأَمُّ  
عُدْتُ إِلَى الْوَصْلِ - كَمَا أَشْتَتِي - فَالْهَجْرُ بَاكِ ، وَالرِّضَى بَلِيمُ

حَسْبِيَ، أَنَا الْمَظْلُومُ - فَيَا جَرِي، وَإِنْ تَشَأْ قُلْتَ: «أَنَا الظَّالِمُ»  
يَا سَائِلًا عَمَّا بِنَفْسِي لَهُ - تَجَنَّبًا - وَهُوَ بِهِ عَالِمٌ  
مَعْنَى الْهَوَى أَنْتَ وَشَخْصُ الْمُنَى، دَغْنِي بِمَا يَزْعُمُ الزَّاعِمُ

### مقيم على العهد

عَذِيرِي مِنْ خَلِيلٍ يَسْتَطِيلُ عَيْلُ - مَعَ الزَّمَانِ - كَمَا يَمِيلُ  
وَرَضَى أَنْ تَضِيعَ سُدَى<sup>(١)</sup> حَقُوقِي، وَبَاعِي فِي الْهَوَى بَاعَ طَوِيلُ  
أَتَمَسَّا أَشْرَقَتْ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ! أَمَّا لَكَ - فِي سِوَى قَلْبِي - أَقُولُ؟  
أَمَّا يُمْنِي عِتَابُكَ كُلَّ يَوْمٍ؟ أَمَّا يُرْجَى - إِلَى وَصْلِ - وَصُولُ؟  
وَلَوْ أَجِدُ السَّبِيلَ لَطَرْتُ وَجَدًا، وَلَكِنْ مَا إِلَى هَذَا سَبِيلُ  
كِتَابِي - عَنْ وَدَادِكَ - لَا يَزُولُ، وَعَهْدِي - مِثْلَ عَهْدِكَ - لَا يَحُولُ

### آلام المحب

يَا مُعْطِي - مِنْ وَصَالٍ كُنْتُ وَارِدَهُ - هَلْ مِنْكَ لِي غَلَّةٌ إِنْ صَحْتُ: «وَاعْطَيْتَنِي»  
كَسَوْتَنِي - مِنْ ثِيَابِ السُّقْمِ أَسْبَغَهَا - ظُلُمًا - وَصَبَرْتُ مِنْ لُحْفِ الضَّنَى فُرْشِي  
إِنِّي بَصُرْتُ الْهَوَى، عَنْ مُقَلَّةٍ كُحِلَتْ بِالسَّحَرِ مِنْكَ، وَخَدَّ بِالْجَمَالِ وَثِي  
لَمَّا بَدَأَ الصَّدْعُ مُسَوِّدًا بِأَنْحَرِهِ أَرَى الْقَسَائِمَ بَيْنَ الرُّومِ وَالْحَبَشِ  
أَوْفَى إِلَى الْخَدِّ، ثُمَّ انْصَاعَ مُنْطَفِئًا كَالْمَقْرَبَانِ أَتْنَى مِنْ خَوْفِ مُحَرِّشِ  
لَوْ شِئْتُ زُرْتُ وَسِلِكَ النُّجْمِ مُنْتَظِمٌ، وَالْأَفَقُ يَحْتَالُ فِي تَوْبٍ مِنَ الْعَبَشِ -  
صَبًّا - إِذَا التَّدَّتِ الْأَجْفَانُ طَعْمَ كَرَمِي جَفَا الْمَنَامِ، وَصَاحَ اللَّيْلُ: «يَا قَرْنِي»  
هَذَا وَإِنْ تَلَفْتُ نَفْسِي، فَلَا تَعْجَبْ، قَدْ كَانَ مَوْتِي - مِنْ تِلْكَ الْجُفُونِ - خُشْيِي

## إلى المعتمد

أَيُّهَا الظَّافِرُ لَا زِلْتَ مَدَى الدُّنْيَا مُظْفَرٌ

### (١) الأحاجي والألفاظ والمعميات

انقن كثير من النظميين والكتاب في طرق الألفاظ والتنمية ليجتنبوا بها الدكا . والفكرة على مك الإطلاع والمعميات ، ويزجوا بها أومات فرائض الطوبى ، وهو عمل شاق مضى لا يقدم عليه إلا من فرغ به من مشكلات الحياة وجدها . وأكثر أواعه تافه لا خطر له ، وسنلم بلاطفة كبيرة منها . وثمة أنواع من التنمية تقوم عند الملوك والأسراء إلى ذلك العهد ، ولم الشفرة ، وتطير الحمام الزاجل وما إلى ذلك من وسائل الخابرة السرية ، ومن يدري ؟ فربما كان ملاديرين ( ابن زيدون ) و ( المعتد ) من هذا النوع لم يكن يقصد به قتل الوقت والتفلية أو امتحان الدكا . لحسب ، وإنما كان يقصد به فوق ذلك المران على بعض ضروب الخابرة السرية التي كانت تسمى إليها حاجة الدولة ، ويستعملها أنصارها المياسيون للتنمية على غيرم من خصومهم . وربما كان للتفلية وحدها وترجبة أومات المرائع الطوبى أيضا . والطريقة التي تبعها للمعتد وابن زيدون هي إحدى هذه المرائع الجديدة ، ولم نمر عليها - فيما قرأناه من كتب الألفاظ على كثرتها - ولم نمر إليها للمعاجم العربية ، ولكننا استنتجناها من الأشار التي دارت بينهما ، ومن قول « المرقى » صاحب « فتح الطب » الذي عزم ما ذهبنا إليه . وخلاصة هذه الطريقة أن يطير أحد المراسلين إلى الآخر بيتا شائما في قصيدة أو بيتين ويرسل لكل حرف من حروفها باسم طائر بينه .

قال المرقى :

« وكتب ابن زيدون إلى المعتد :

« وأفاك نظم لي في طيه معنى مسمى اللفظ مستور

سرامه يصعب ما لم يحج بالسر - قري وشعور . »

قال : « ثم ذكر أياتاً ، فيها أسماء طيور ، مسمى بها عن بيت طيره فيها ، والبيت الطير هو :

« أت - إن تمز - ظافر - دليطع من ينافر . »

فلك « للمعتد » وجاريه :

« جاءني الطير التي سرما نظم به قلبي مسرور . » اه .

وستر بك هذه القصيدة في « ص ٢٩٩ » من هذا الديوان .

ويؤيد هذا الاستنتاج قول للمعتد :

« أرسل طيور الشعر نحوى فقد بث مؤادى شرك النهم . »

وقول ابن زيدون للمعتد :

« وأفاك لطير سرى لديه سر مكم . »

ولا تكاد تخلو قصيدة - من هذا النوع - من ذكر الطيور كما يرى القارى في القصائد التالية ، وستثبت

القصيدة التي نحن بصددنا في المرح وتبها بمجدول نرد فيه على الترتيب أسماء الطيور التي ذكرها فيها ،

وعمر كل طائر بحرف حباته ليتبين القارى استخراج البيت الطير بنفسه ، وهما الأيات :

« فاسأل الشامين ، والمقرين ، والعتاء تخبر



أَنْتَ أَسْنَى ابْنِ لِأَسْنَى      وَالِدِي فِي أَدَهْرِ فَأَفْخَرُ  
إِنْ تُرِدْ شَرَحَ مَعْنَى      هُوَ فِي نَظْمِي مُضْمَرُ

ثم رآل القفر ، والف      سياد ، والنسر العبر  
ثم بعد ذلك حدائق      سر ، وإزال النفر  
ثم صد النسر وإزال      ل ، فكل قد تكرر  
والجباري ، والسماني      والشتراق المهر  
ثم سأل بعدما ألبا      زى - إن حل نصرصر  
معه الطاوس والديك      ك إذا بالصبح بشر  
نلوه القمري مهابا      ردد السجج قفر  
ثم نادى الحق وإزال      ل ، لعل النسر يظهر  
وتعيف ما لدى القلب      جين من خلف سيظهر  
ثم صد النسر وإزال      لهما في الأسر أكثر  
وازجر العتق حق الزجر      ر ، إن الطير يزجر  
وليل الرأل سماني      وشتراق تأخر .

فليس فيها إلا أسماء طيور بعضها ترمز إلى حروف بعضها ، ونحن نبينها لقارئ أن يكون نموذجاً - لمن  
يعنيه حل أمثال هذه اللعبيات ، والبيت للمسمى الذي يستخرج من هذه الأبيات هو :

« صدق لنا قال السمه      تظهر على الكلمه . »

وأنت إذا تقيمت ما فيها من أسماء الطيور تجد أن كل طائر في رقابة حرف من حروف هجاء البيت ونحن  
نضع حروف البيت وأمام كل حرف طائره الذي يدل عليه في الجدول الآتي ليبين للقارئ طريقة الحل ،  
وهذا هو الجدول :

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
ص	شاهين	ا	نسر	ع	هبق
د	صقري	ل	رأل	ل	رأل
ق	عنقاء	س	جباري	ى	قبيجين
ل	رأل	م	سماني	ا	نسر
ن	فياد	ه	شتراق	ل	رأل
ا	نسر	ت	بازي	ك	عتق
ف	ديك	ظ	طاوس	ل	رأل
ا	نسر	ف	ديك	م	سماني
ل	رأل	ر	قمري	ه	شتراق

فَأَسْأَلُ - الشَّاهِدِينَ ، وَالصَّغِيرِينَ ، وَالْمُعْتَقَاءَ - تُخْبِرُنِي  
نَمُّ رَأَى الْفَقْرَ ، وَالْفَيْيَادَ ، وَالنَّسْرَ الْمَعْمَرُ

وللقالري معاني هذه الكلمات :

الشاهدين : ضرب من الصقور أكدر أبنت أى رملدى الهون .

العتقاء : طائر خرقى لاوجود له إلا فى شعر الشعراء .

رأى : ولد النمام ، وسير بك فى « ص ٢٨٤ »

الفياد : ذكر اليوم .

نسر : النسر طائر عظيم من جوارح الطير يسمى بذلك لأنه ينسر الشيء ويقتله ويقتنصه والكثير الريش منه يسمى النداف .

ديك - الديك : ذكر الساج .

رأى : ولد النمام .

حبارى - الحبارى : طائر فى حجم الديك الهندى كثيرة الريش ، ومنها يسماء وكهواء .

صافى : طائر معروف فوق المصفور ، ويجمع على صافيات .

قالوا : وهو ينوص فى البحر بأحد جناحيه ويقم الآخر كالقلم للسفينة ، تندفعه الريح إلى ساحل البحر .

وكثيراً ما يوجد يبلاد السواحل ، وله صوت حسن ومن شأنه أنه يسكت فى الشتاء ، فإذا أقبل الربيع صاح .

شراق : طائر صغير بقدر الحمام أخضر مشع الحضرة ، حسن النظر ، فى جناحيه سواد وعده الجاحظ نوعاً

من الغربان . يألف الروابى وروس الجبال . وله مشى ومصيف ، قال الجاحظ وهو كثير الاستفاة ، إذا

سرت به طائر ضربه بجناحيه وهاج كأنه هو المصفروب .

بازى - البازى : من الصقور الأزرق الأحوى ، والأرقط القصير الجناحيں الفليظ .

طالوس : طائر فى نحو قدر الاوزة ، حسن اللون ، والتذكر منه غاية فى الحسن له فى رأسه ذؤابة قائمة

كالشربوش ، وفى ذنبه ريش أخضر طويل فى أحسن منظر ، وليس للأذى مثل ذلك وفى طبعه الزهو

بنفسه والاعجاب بربشه ، وفى الخريف يلقى ريشه كما يلقى الشجر ورقه ، فإذا بدا طلوع أوراق الأشجار

طلع ريشه .

قبرى سير بك فى « ص ٣٠٤ »

هيق : ذكر النمام ، قال أبو الللاء على لسان جنى فى رسالة الغرغان :

« وأركب الهيق - فى الظلماء - ممتصفاً أو لا ، فذهب وياد يات سرورا . »

تجبين : مثنى قبيح وهو الكروان وسير بك فى « ص ٣٠٤ »

هقيق - المعيق طائر كالغرباب ضمن طويل النشار يحبل حبلاناً ، وهو يدجن ولونه ألبق بيضاء وسواد .

شراق - الشراق : طائر مرقط بخضرة وحررة وياض ويكون بأرض الحرم .

## ثُمَّ - بَعْدَ أَلَدَيْكَ - عُدَّ لِلنَّسْرِ وَالرَّأْلِ الْمُنْفَرِ

### أصل اشتقاق اللفز

وأصل اشتقاق اللفز - كما يروى النويري - من أُنْزِلَ الِيبْرُوع وَلَر ، إذا حفر لنفسه مستقباً ثم أخذ بمنة ويسرة ليوارى بذلك ويمى على طالبه .  
واللفز أساء ، فنها : الماياة ، والوويس ، والرزم ، والماياة ، وآيات الماني ، ولللاحن ، والمرموس ، والتأويل ، والسكاية ، والتتريس ، والاشارة ، والتوجيه ، والمصى ، والمثمل ، ومعنى الجمع واحد ، واختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته .

فالك إذا اعتبرته من حيث إن واضحه كائنه بمايك - أى يظهر إعياهك وهو التمس - سبته : «مماياة» وإذا اعتبرته - من حيث صعوبة فهمه واعتباس استراحه - سبته : «هو مأ .»  
وإذا اعتبرته - من حيث إنه قد عمل على حوجه وأبواب - سبته : «لرا .» وفكك له : «إلغارأ.»  
وإذا اعتبرته - من حيث إن واضحه لم يفسح عنه - قلت : «رزم» وقريب منه الاشارة .  
وإذا اعتبرته - من حيث إن غيرك حاكك - أى استخرج مقدار ثقك - سبته : «محاحه .»  
وإذا اعتبرته - من حيث إنه استخرج كثرة معانيه - سبته : «آيات الماني .»  
وإذا اعتبرته - من حيث إن قلته قد يوهك شيئاً ويريد غيره - سبته : «لحا» وسبب ذلك : «لللاحن»  
وإذا اعتبرته - من حيث إنه ستر عنك ورسم - فهو «المرموس» ، وإرمس القبر .  
وإذا اعتبرته - من حيث أن مناه يؤول إليك - سبته : «مؤولا .» وسبب ذلك : «تأويلا.»  
وإذا اعتبرته - من حيث إن صاحبه لم يصرح بفرسه - سبته «تربماً» ، و «كتايفه .»  
وإذا اعتبرته - من حيث إنه ذو حوجه - سبته : «الوجه» وسبب ذلك : «التوجيه .»  
وإذا اعتبرته - من حيث إنه معطى عليك - سبته : «معصى .»  
طرق التعمية

ومن ضروب التعمية - ما ذكره المفشندي - وهو أن يصطلح الانسان على إبدال حرف معين بحرف آخر معين - حيث وقع في القلم للمرور بالاسم - وهو أن جعلوا مكان كل حرف من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها ، فجعلوا الكاف ميماً وبالعكس ، والألف واوا وبالعكس ، والهمزة واو ، وبالعكس ، والباء هاء وبالعكس ، والفاء ياء وبالعكس .  
فيكتب «محمد» «كط-كر» ، و «علي» «سهب» ، و «مسعود» «كسار»  
وقس على ذلك .

وقد نظم بعضهم ذلك في بيت واحد ذكر فيه كل حرف نحو ما يبدل به ، وهو :  
«كم أو حط صلالة دروسح في بز خش عض ش تدفق .»  
ومنهم من يكتسح حروف الكلمة فيكتب «محمد» «دحم» ، و «علي» «يلع» . ومنهم من يبدل الحرف الأول من الكلمة بثانيه مطلقاً في سائر الكلام ، فيكتب : «محمد أخو هلى» : حدم خاعويل . إلى غير ذلك من التميزات .

## ثُمَّ عُدَّ - لِلْفَسْرِ وَالرَّاءِ لِي - فَكُلُّ قَدْ تَكَرَّرَ

ونهم من يسدل الحروف بأعدادها في الجبل فيكتب « محمد » « ٤٠ و ٨ و ٤٠ و ٤ » وتصل التسمية صفة غاسبة .

ومنهم من يكتب - عوض عدد الحروف - حروفا ، وهو أبلغ في التسمية ، فيكتب « محمد » « لي ، يو ، لي ، اج » لأن اللام والياء بأربعين ، وحى عدد مالميم الأول ، والباء والواو بثمانية ، وحى عدد مالميم واللام والياء أيضا بأربعين ، وحى عدد مالميم الثانية ، والألث والجيم بأربعة ، وحى عدد مالميم ، فكانه قال : « م ح د . »

وإن شاء أن يبين هذه الحروف مما يتضمن غير هذه الأعداد .

ومنهم من يجعل لكل حرف اسم رجل أو غيره . ومنهم من يضع الحروف على منازل القدر الثمانية والمعمرين ، على ترتيبها على حروف « أبجد » :

فيجعل الألف لشرطين ، والباء للبطين ، والجيم لثريا ، وهكذا إلى آخرها : فيكون بطن الحوت لثني من « صفع » .

وربما اصطلاح على الترتيب على أسماء البلدان أو الفواكه أو الأشجار ، أو غير ذلك ، أو صور الطير وغيره من الحيوانات ، إلى غير ذلك من ضروب التماهي التي لا يأخذها حصر .

وأكثر أهل هذا الفن على أن يرسم الحروف أشكالا يختصها فلها مقفلة على ترتيب حروف المعجم ، والطريق في ذلك أن يثبت حروف المعجم ، ثم يرتب تحت كل واحد شكلا لا يمثل الآخر ، فكما جاءه في المقفلة الحرف كنه بحيث لا يقع عليه غلط . ثم يفصل بين كل كلمتين ، إما بخط أو بنقط ، أو بياض ، أو دائرة ، أو غير ذلك .

وأكثر المتقدمين يجعلون الحرف المشدد بحرفين ، وللتأخرون يجعلونه حرفا واحدا .

وقد ذكر الفارسي - في ذلك - فصلا طويلا في الجزء التاسع من صحح الأعشى ، طرجم إليه الفارسي « من ص ٢٢٩ إلى ٢٤٩ » إذا شاء .

### أمثلة من التسمية

ومن الأمثلة التي ذكرها التويري قول الحكيم أمير الدولة - للمروغ بإبن التليذ - ملرا في الميزان :

« ما واحد مختلف الأسماء يبدل في الأرض وفي السماء »

يعصم بالقسط بلا رياء أمي يرى الرشاد كل رائي »

أخرس - لا منة وداء - يثنى عن التصريح بالإيعاء »

يجيب - إن ناداه ذوامتراء - بالرفع والحفض عن النداء »

يفصح إن علق في الهواء . »

هو بقوله : « مختلف الأسماء » يسمى : « ميزان » الشمس ، والاصطربات ، وسائر آلات

الرصد « وهو معنى قوله : « يحكم في السماء . » وميزان الكلام : « النحو » وميزان الشعر : « العروض »

وميزان الماء : « المنطق » وهذه الميزان والذراع والمكيال .

وقول آخر في الميزان :

« ما تحولون : فيها نزل من السماء ، وعلق في الهواء ، له عيب عياء ، وكف شلاء ، ليس له - لإهدل -

## وَالْحُبَّارَى وَالشَّعْرَاقِي الْمَحْبَرِّ

توب ، ولا عليه — إن جار — عقاب . خلق من ثلاثة أجناس ، تضممه الأفاص . جسه فار من غير لباس ، أخرس اللسان ، في أذنه خرصان ، مكرر الذكر في القرآن ، ينطوى — إذا قام — كالصمل ، وفطه المستخيل . مثل ، وله في الآخرة أكبر محل .

وقول ابن الرومي في فتية السراج :

« ماحية في رأسها دودة تسبح في بحر قليل المدي ؟

إن غبيت كاللعي حاضرأ وإن بدت لاح طريق الهدى ! »

وقول السري الزماني في شبكة الصياد :

« وكثيرة الأحداق ، إلا أنها عماية ، مالم تدمس في ماء

وإذا هي انتست أفادت ربها مالا ينال بأعين البصراء . »

وقول آخر في النوم :

« وحلم يحسلى وماله شخص يرى

إذا حصلت فوفه وهو لقيذ المتلى

سريت لا أدري أفي أرض سريت ؟ أم بها ؟ »

وقول المعري في دكان السرج :

« خليلان يطافان جوان مجلس جسداه قدام له ووراء

مق يصح الزجلين مثل عليهما يزل عنه — في وشك — خاف وحفاء . »

قوله : « خليلان » لتشابههما ، واغزل : « السرج » ، وجداداه : « قريوسه » و « رادفته »

والخفا مقصور : « وجع الرجل » وممدود ، من مشى الرجل حائياً بنير ليل .

وقوله في الملح :

« ويصاء — من سر للملاح — ملكنا فلما قننت لاري جوت بها صهي

فباتوا بها مستمتين ، ولم تزل نخثم — بعد الطعام — على القرب . »

قوله : سري : « حاصة » والملاح : جمع ملح ، والارب : الحاجة . وقول آخر في الحرب .

« ما ذات شوك لها جناح يختطف الناس عن قرب

وهي عقيم ، ترى بلبها من بين سرد ، وبين شيب

يأكل كل بعض البنين مضاً طلوع شمس إلى غروب

تصحبها الداء — غير شك — قد يحجم الداء بالطبيب

والداء من مكوسه مكان يصلح للطائر النجيب

يمر بها من يحكون طبا بالشر والنحو والريب . »

فهذا لنز معنى في الحرب ، وشوكها : « السلاح » ، وجناحها : « جابها » ، وقدم لأنها لا تله ،

وبنوها : « رجالها . » وأكلهم : « قتلهم . » ، وتصحبها : « الجرب » وعكسه : « برج »

وقول آخر في التدي :

« وما أخوان مشبهان جدا كما اشتبه القزاة والقزاق »

## ثُمَّ سَأَلْنَ بَعْدَهَا الْبَنَاتُ زَيْنَ إِنْ حَلَّ فَصَرَصَزَ

يضمهما على سر القبال - وما اجتمعا ، ولا افترا - إهاب  
لذاك وذا ، دموع هاملات ، ولكن كل دمهما شراب  
يصونهما من الأبصار - دين يضرب - دون نيلهما - حجاب .  
وهما ثلثا المرأة ، ويضمهما إهاب ، وهو : « الجلد »  
وقول آخر في الفخ :

« وما ميت كفتته ودفتة هام إلى حي صحيح فأوتته . »

وقول آخر في الصدى :

« وساكن يسكن في الفلاة ليس من الوحش ولا الثبات  
ولا من الجن ، ولا الحيات ، ولا الحيام الشمر والأبيات  
ولا ينزى جسم ولا حياة كلا ، ولا يدرك بالصفات  
بلى ، له صوت من الأصوات يسمع في الأحيان والأوقات . »  
وقد ذكر النويري أمثلة كثيرة من هذه الأنواع وأشباهاها ، ثم قال :

### مسائل العويس

وعما يتصل بهذا الباب - مسائل العويس .

فمن ذلك قولهم :

« امرأتان التقتا برجلين ، قالتا لهما : «مرحبا بابنينا وزوجينا ، وابنى زوجينا . »

وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأمر الآخر ، فها ابنها وزوجها وابن زوجها  
وقولهم :

« رجلان كل واحد منهما عم الآخر وابن أخيه . »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأمر الآخر ، ففرز كل واحد منهما ولدا ، فكل من الولدين عم  
الآخر وابن أخيه .

وقولهم :

« رجلان كل واحد منهما خال الآخر وابن أخته »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بابنة الآخر ، ففرز كل واحد منهما ولدا ، فكل من الولدين خال  
الآخر وابن أخته .

وقولهم :

« رجل وامرأتان ، هو خال إحداهما وهي خالته ، وعم الأخرى وهي عمته . »

وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخيها لأمه ، وأخته لأبيها تزوجت بأمر أمه ، فولدتا بنين ، فبنت أخته  
خالته ، وهو خالها ، وبنت جدته عمته وهو عمها .

وهذا أصل الأبيات للنظومة في ذلك :

« ولي خالته وأنا خالها ، ولي عمته وأنا عمها . »

## مَعَهُ الطَّائِفُ وَالَّذِي إِذَا بِالصَّبْحِ بَشَّرَ

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما ابن خال الآخر وابن عمته »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأخت الآخر ، فزوّج كل منهما ولدا ، فكل من ولدهما ابن خال الآخر وابن عمته .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر . »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأب الآخر ، فكل من أولادهما أب الآخر .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما أم الآخر . »

وذلك : أن كل واحد من أبويهما تزوج بأبنة ابن الآخر ، فكل من أولادها أم الآخر .

وقوله :

« رجلان ، كل واحد منهما خال أم الآخر . »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأبنة بنت الآخر فكل من أولادها خال أم الآخر .

وقوله :

« رجلان أحدهما عم الآخر ، والآخر حله » وذلك أن رجلا تزوج أحدهما امرأة ، وتزوج الآخر ابنة ابنها ، فولد لكل منهما ولد فابن الأب عم ابن الابن ، وابن الابن من أم امرأة الأب هو أخوها وخال ابنها .

وقوله :

« رجلان ، أحدهما عم الآخر وخاله ، والآخر ابن أخيه وابن أخته »

وذلك : أن رجلا له أخ لأب ، وأخت لأم ، تزوج أخاه لأبيه ، فأخته لأمه ، فأولادها ولدا ، فهما كذلك . وقد طلب الهمداني من الحواري - أثناء مناظرته للهميرة - أن يكتب كتابا غالبا من الحروف الموحدة ، وآخر أوائل سطوره كلها ميم وآخرها كلها حم الخ « فسمى الحواري ذلك شيعة . وصدق في تسميته كل الصدق .

وما أحدر هذا الوصف بأمثال هذه الألاعيب الكلامية .

ألفاز الحريري

ومن ألفاز الحريري الذي اقتنى أثر الحواري في مقاماته قوله في اللقطة الفرضية - وهي مقامته الخامسة عشرة :

« أيها العالم الفقيه الذي فا ق ذكاء ، فإله من شبيه

أعتنا في قضية ، حاد عنها كل فاض ، وحار كل فقيه :

رجل مات من أخ مسلم حرّ بقي من أمه وأبيه

وله زوجة ، لها - أيها الجيسر أخ خاليس بلا عيوبه

خوت فرضها ، وحلز أخوها مات في بلاد دون أخيه

فأشفا بالمطوب مما سألتنا فهو ليس ، لا خلف يوجد فيه . »

ثم حل هذا اللغز بقوله :

« قل لمن يائز للسائل : إني كاشف سرّها الذي تخفيه

إن ذا الميت الذي قدم المر ع أبا حمسه من ابن أبيه

## تِلْوَةُ الْقُمْرِيِّ مَهْمَا رَدَّدَ السَّجْعَ قَقَرَقَرَزَ

رجل زوج ابنة - من رماه - بحذاء له ، ولا فرو فيه  
ثم مات ابنه ، وقد عقلت منه ، بطأت بآبن يسر ذويه  
هو ابن ابنة - ينير سراء - وأخر حرسه ، بلا تمويه  
واين الابن الصريح أدنى إلى الجسد ، وأولى بارته من أخيه  
فلذا - حين مات - أوجب لزوجه ، ثمن التراث تستوفيه  
وحوى ابن ابنة القى عوفى الأصل أخوها - من أمها بآليه  
وتغلى الأخ الشفيق ، من الارث ، وقلنا : يكفيك أن تبكيه  
هاك من القنيا القى يحذيرا كل قاض يقضى ، وكل قيه .  
المقامة الشنوية

وقوله في المقامة الشنوية .

« عدى أجليب أدوبها - بلا كذب - من النيان - فكنوني : أبا العجب  
رأيت يا قوم ، أنوما غداؤهم بول العجوز ، وما أعنى ابنة السنب .  
» بول العجوز « لين البقرة ، والمحوز أيضاً من أساء الحمر .  
» ومسنين من الأصحاب قوتهم أن يشتوا خرقه منى من السنب .  
» الحرقه « اللطمة من الجراد .

« ومادري - حق ما ساء - صنعهم ، أوقصروا فيه - قالوا : الدنب للخطب .  
» القادر « الطامخ في القدر والقدير المطوخ فيها .  
» وسكاتين وما خطت أناملهم حرماً ولا غرؤاً ماخط في الكتب .  
» السكاتيون « الحرازون يقال كتب السقاء والزادة إذا حرزها وكتب البطة أو الناقة إذا جمع شفرها  
وخطهما . قال الشاعر :

« لا تأمن فراريا حلوت به على قلوبك واكتبها بأسبار .  
» وتأمين عقاباً في مسيرهم على تكبيرهم في البيض واللب .  
» المقاب « الراية وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى المقاب .  
» ومتندين ذوى نسل بدت لهم نيلة فأنشوا منها إلى الحرب .  
» البيلة « الجيلة ومه نبل البعير إذا مات وأروح ينفى عن .  
» وعصبة لم تر البيت العتيق وقد حجت حبشاً بلا شك على الركب .  
معنى « حجت حبشاً » أى غلبت بالحجة مجادلين جابحين على الركب وجئ جمع جئت .  
» ونسوة بسد ما أدجن من حلب صيحن كاطمة من غير ما تعب .  
» كاطمة « في هذا الموضع من كظم النيط .  
» ومدلين سروا من أرض كاطمة فأصبحوا حين لاح الصبح في حلب .  
» في حلب « أى أصبحوا يحلبون اللبن .  
» وبافضاً لم يلامس قط فانيصة شاهده وله نسل من المقب .  
» الذيل « ههنا المدو . قال تعالى - وهم من كل حذب يسلمون - « والمقب » مؤخر القدم .



## ثُمَّ نَادِ الْهَيْقَ وَالرَّا لَ، لَعَلَّ السَّرَّ يَظْهَرُ

- « وشائبا غير محف للشب بدا في البدو وهو فنى السن لم يشب . »  
 « الثائب » هنا مزاج العين و « الشيب » العين المزوج ويقال فيه مشيب ومشوب .  
 « وسرمحاً بلبث لم يفه له رآته في شجار بين الحب . »  
 « الشجار » الحصة ما لم تكن مظلة ، فان ظلت فهو المودج ، واللب هنا الحبل ، ومنه قوله تعالى  
 - فليبدد يهب إلى السماء -  
 « وزارها ذرة حتى إذا حسنت صارت غبراء يهاها أخوالطرب . »  
 « الغبراء » المسكر المتخذ من القدر يسمى أيضا الكركرة ، وفي الحديث : إياهم والغبراء فانها خير العالم .  
 « وراكباً وهو منظور على مرس قد غل أيضا وما ينك من خب . »  
 « المنول » هنا العطشان ، وغل أى عطش .  
 « ودأ يد ملق يقتاد راحلة - مستجلاً وهو مأسور أو كروب . »  
 « للمأسور » الذى يحد الأسر وهو احتباس البول .  
 « وجالسا ماشياً تهوى مطيته به ، وما فى الذى أوردت من رب . »  
 « الحالس » الآلى نحداً والمشي التى كثرت ماشيته ، وعليه صر بعضهم قوله تعالى - أن امشوا كآء  
 دعاء لهم بكثرة للماشية والتماء والبركة .  
 « وحثكأ أحدم الكعبين فاخرس فان محرمكم فى الحق من محرم . »  
 « الحثك » هنا الذى إذا مضى حرك منكبته ولحق بين ركبتيه .  
 « وذا شطاط - كصدر الرمح فامته - صادته ينى يتكبر من الحدب . »  
 « الحدب » ما ارتفع من الأرض .  
 « وساعياً فى سمرات الأنام يرى إمرأهم مائء كالعظم والكذب . »  
 « إمرأهم » يتعاطف بالعين ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يترك فى الاسلام مفرح أى متقل من الدين  
 أو يقضى حقه دينه . »  
 « ومنسوما بمحااة الرجال له وماله فى حديث الحق من أرب . »  
 « الحق » هنا الكذب ، ومنه قوله تعالى - إن هذا إلا خلق الأولين .  
 « وذا دام وقت دلهده مته ولادام له فى مذهب العرب . »  
 « النمام » الثنائى جمع فنة ، ومن الثر الفيلة للماء وصى بالمذهب المسمى أى ماله آثار قليلة للماء فى البدو .  
 « وذا قوى ما استبان قط لبتته ولبتته مذهب غير عجب . »  
 « العين » نخيل الفل ، ومنه قوله تعالى - ما قدمتم من لية -  
 « وساجداً فوق ظل غير مكثرت بما أنى بل يراه أهل القرب . »  
 « النعل » الحصى للبعد من خلال النعل .  
 « وعاذراً مؤلماً من ظل بمنزله مع التظلم بالمندورى صحب . »  
 « الظل » الخافى « والمندور » المحتول .  
 « وبلدة ما بها ماء لمترف ، والماء يحرى عليها جرى منسرب . »

## وَتَصَيِّفُ مَا لَدَى الْقَبْرِ حَيِّنٍ مِنْ خَافٍ سَيَظْهَرُ

- « البلدة » القرية بين المحامين وتسمى أيضاً البلدة .  
 « وقرية - دون القوم - القطة - شجنت » يدلم عيهم من حلة السلب .  
 « القرية » بيت النمل « والديلم » النمل الكثير « وخلة السلب » لحاء الشجر .  
 « وكوكبا » جوارى عد رؤيه الاسان حتى يرى في أمسح الحب .  
 « الكوكب » الكفة البيضاء التي تحدث في العين « والاسان » ههنا إنسان الذي .  
 « ورونة قومت ماله - طر - » وعس صاحبها بالمال لم تلب .  
 « الرونة » مقدم الأب .  
 « وصحة من صار حاس ، شريت - حلالكس - بغير اطمس الذهب .  
 « النصار » هاهنا شعرا له ، ومنه قول يسي التاهين : « لا بأس أن يصر في لدح العمار » هي به هذا .  
 « ومستحيئاً بحت - حاش ليدع ما أطله من أهاديه فلم يح .  
 « الحشاش » الجماعة عليهم دروع وأسلحة .  
 « وطالما سرت في كلب وفي فة ثور ، ولكنه ثور بلا ذب »  
 « الثور » القطعة من الانط ( وهو نوع من الجبن )  
 « وكم رأى خاطرى فيلا على حمل وقد تورك فوق الرجل » متب .  
 « الفيل » الرجل القائل الرأي .  
 « وكم لعيت - مرض الليد - متكباً وما شكى قط في حد ولا لم .  
 « للشكى » للخذ شكوة وهي الحمرة الصميرة .  
 « وكنت أجمرت كرازا راعية - لدهو - يندرم ديين كانهب .  
 « الكرازا » كيش يحمل عليه الراعي أداته .  
 « وكم رأيت مملق ميهين - ماؤها »  
 « الغرب » مجرى الدمع « والعيان » للفتان .  
 « وصادعاً بالقلم من غير أن عقلت »  
 « الفتنا » ارتفاع الأنف وتحجب وسطه « وصدع به » أي كنهه .  
 « وكم نزلت بأرض - لاغيل به - » وبعد يوم رأيت البسر في القلب .  
 « البسر » جمع بسرة وهو الماء الحديت العهد بالطر « وانقلب » جمع قلب .  
 « وكم رأيت - بأقطار الفلا - طبعا » يطير في الجمر متعباً إلى صعب .  
 « الطبق » القطعة من الجراد .  
 « وكم مشاخ - في الدنيا - رأيتهم »  
 « الخلد » الذي أيضاً شبيه .  
 « وكم بداني وحش - يشكن سبنا - » ينطق ذلك أمضى من القصب .  
 « الوحش » الرجل الجالغ .  
 « وكم دعاني مستنج لحادني وماأخل - ولاأحقت - بالأدب .

## نَمَّ عَذُّ لِلنَّسْرِ وَالرَّا لِمُحَا فِي الْأَنْزِ أَكْثَرُ

« للسنتى » الحالس على نخوة وهو المكان المرتفع .  
 « وكم أخت قنوصى - تحت جنبه - تطل ما شئت من عجم ومن حرب . »  
 « الحنبذة » النخلة « والمرب » جمع عروب وهى التجمية إلى زوجها من قوله تعالى - حرباً أثراً -  
 « وكم طهرت إلى من سر ساعته ودمه مستهل العطر كالسحب . »  
 « سر » أى قطع سرده ويحس ما يلقى بعد القطع السرة .  
 « وكم رأيت قيصاً ضرّ صاحبه حتى انقضى واهى الأضاء والمصب . »  
 « القميم » الدابة للكميرة القنوص وهو الوثوب والفقر .  
 « وكم إزار لو أن الدهر أظفه لطف لب حثيت السير مضطرب . »  
 « الإزار » المرأة ، ومنه قول الشاعر : \* مدى لك من أختي ثمة إزارى \*  
 ثم يقول فى حتام قصيدته :  
 « هذا وكم من أفاين محبة عندي ، ومن ملح طلعي ومن نخب  
 فان ططم لحن القول بان لكم صدق ودلكم طلعي على رطبي  
 : إن شعثهم ، فارالمو - به على - من لا يميز بين النع والغرب . »  
 المقامة النجراية

وقوله - فى المقامة النجراية - فى مروحة الجيش ، وهى ثياب خشنه من الكتان تستعمل فى العراق تكون  
 شبه شعاع السفينة ، تطلق فى سقف البيت ، ويصل لها حل منها - تجر به - وتدل بالهاء وترش بباء  
 الورد ، إذا أراد الرجل النوم ، حشد حبلىها ، فيهب منها نيم بارد طيب يذهب أذى الحر ، ويستطاب  
 معها النوم ، وقد ألتز فيها الحريرى بقوله :

« وجاريه فى سيرها - شمشه - ولكن - على إثر السير - قنوها  
 لها سائق - من حبسها - يستحبها - على أنه - فى الاحتشك - رسيها  
 ترى - فى أوان القبط - تنطع بالندى ، ومدو - إذا زلى العيف - قنوها . »  
 وقوله ملزماً فى حاول النذل ، وهو الحل الذى صعد به النذل ، ويتخذ من الهاء أى ليف النذل .  
 « ومنصب إلى أم تنشأ أصله منها  
 بماتقها ، وقد كانت هته - برهة - عنها  
 به يتوصل الجاني ، ولا يلحق ، ولا ينهى . »

وقوله - ملزماً فى القلم - :

« ومأموم ، به عرف الامام كما باحت بصحبته الكرام  
 له - إذ يرتوى - طيشان صاد ، ويسكن حب يعروه الأوام  
 ويدرى - حين يتسقى - دموعا يرقن ، كما يروق الانسام . »

وقوله ملزماً فى المروء الذى يكتمل به :

« وما ناكح أختين جهرأ وخفية ، وليس عليه - فى النكاح - سبيل ؟  
 حتى يشهدنى يش - فى الحال - عنه ، وإن مال بل لم تجده يميل  
 ريدما - عد للثيب - تمها وبرأ ، وهنا - فى البعل - قليل . »

## وَأَزْجِرِ الْمَقْعَقَ - حَقِّ الزَّجْرِ - إِنَّ الطَّيْرَ تُزْجَرُ

وقوله - ملنزا في الدولاب : -

«وجاف، وهو موصول وموصول ليس بالجاف  
غريق بارز، فاجب له، من راسب طاف  
يسبح دموع مضموم وبضم مضم متلاف  
وتخفى منه حذته ولكن قلبه صافي.»

إلى آخر هذه الألفاظ التي تراها في هذه القائمة .

### المقامة الملطية

وانظر قوله - في مقامته الملطية :

«يامن - إذا - أشكل للمسي جنبه أذكاره الغليظة

إن قال يوما لك الخاجي : «خذ تلك» مامته حقية.»

وهو يعني بذلك كلمة : «مايك» وما لتنبه ويعني خذ، وتيك أي تلك .

وقوله : ماذا مثال قولهم : «حار وحش زينا .»

يعني كلمة «فرازين» والفرا حار الوحش .

وقوله : ما مثل قوئك لدى حاكك : «أنفق تنح»

يعني كلمة «منتقم» من : الأمر من ما يعون، تنم مصادق وقم، من الوة. وهو الاذلال .

وقوله : ما مثل قوئك للذي أخفى يخفى : «فقط ملكي»

ومثله : «صنوبر» صن الأمر من الصون، والبور : الملكي .

وقوله : ماذا يمثل قولي : «استنش ريح مدامه»

ومثله : «درواح» روح استنشق الرائحة، والراح : الحر .

وقوله : «سار بالليل مدة» أي شيء، مثله ؟

ومثله : «سراجين» سرى سار ليلا، وحج : مدة .

وقوله : لك البيان، فين، ماثل : «أحب فروقه»

ومثله : «مفلاع» من : الأمر من وسق : أي أحب، واللاع : الجبان .

وقوله : ما مثل قوئك «أصل أب - ريقا يلوح بنير عروة»

ومثله : «أسكوب» أس : الأمر من الأوس، وهو الاعتناء، والكوپ : الأبريق شير عروة .

وقوله : ما مثل قوئك للعا جي ذى الذكاء : «التور ملكي»

ومثله «اللائي» واللائي : ثور الوحش .

وقوله : ماذا مثال : «صغير جعقة» بينه تيبا ما يتم به .

ومثله «مكاشفة» وللكا، الصغير .

وقوله : ماذا يمثل قولي : جوع أمد بزاد ؟

يعني «طوامير» ، ملوى : جوع ومير : من ماره الطعام، وهو مثل قوله : أمد بزاد .

وقوله : ما مثل قول الخاجي : «ظهر أصابه عين ؟»

يعني : «مطاهين» جمع مطمون، ومطما مثل ظهر، وعين - من ماه أي أسابه بالعين .

## وَلَيْلِ الرَّالِ سُمَانِي وَشِقِرَاقِ تَمَازُزِ

- وقوله : ما مثل تولاك لذي حاجيت : صادق جثرة ؟  
ومثله « الفاسقة » وهي الحائقة بين الشيبين سد الواسعة وكله إلى مثل صادق وتكتب بإيلاء لهذا  
انفردت ، وصلة : جائرة أو عطية .  
وقوله : ألا اكذب لي ماثل : « تازل ألف دينار »  
ومثله : « هادنة » تأيت الهادي ، والسق أيضا ، وهي ما : حذ وتناول ، ودية هي ما يعطى لأهل  
القتيل ، وهي من الذهب ألب دينار .  
ونوله : ماثل : « أمهل حاية » بيت هريب - زجل .  
ومثله : « اللشعة » وهي اسم لمن يمشي الرجل من الأسياف ، غاشية السرج ما يعطى به وسن التي  
أعلى وشية : حلية .  
وقوله : ما مثل تولاك لذي أخفى يحاجيك : « اكعب اكعب » .  
ومثله : « منه » وهو الصغراء ، وهي منه : اكعب وتكررها لتأكيد .  
ونوله : « رت دا بيان » ما مثل تولى : « الشقيق ألت »  
ومثله : « اختار » جمع حطر ، وهو ما يؤدي إلى الخلاك ، وإذا فسك كان : « أخ » من معانيه  
الشقيق ، ومار . أمز .  
وقوله : ما مثل تولاك لذي حدي الحجي : « ما اختار فسه »  
ومثله « أنبره » حبريق ، وإذا فسك كان أي ما اختار ، ورقة : اسم من أسماء الفضة .  
وقوله : أوصح لنا ما مثل قو لك الحناس : « دس جلع »  
ومثله : « هابة » وهي ما يطفو على الماء ، وطأ : أمر من ودأ ، والفتة : الجماعة .  
ونوله : أرت اليب ، قل لنا ما مثل قولي : « حل اسكت » .  
ومثله : « حمة » أي خل صه ، ودهاها خل اسكت .  
وقوله في منامه البية في حوار طويل بين قهبي .  
- ما يقول فيس توصاً ثم لمس طهر ليله ؟  
- انقص صوره بصله .  
- هي من لمس زوجته .  
- فان توصاً ثم أنكاه انبرد ؟  
- حدد الوعد . من صد ؟  
- هي بالبرد : اليوم  
- أسمح للنوصي أنيه ؟  
- قد نذب إليه ، ولم يوح عليه .  
- هي : الأديب .  
- أيجوز الوعد مما يقده اسمان  
- وهل أنظف منه لهريل

## لَكَ ذِهْنٌ - بِالَّذِي فِي الشَّعْرِ مِنْ خَبْنٍ - سَيَشْعُرُ

يعنى : جمع ثوب ، وهو ميل الوادى .

- أَيْسْبَاحُ ماء الضَّرِيرِ ؟

- نعم ، ويحب ماء البعير .

يعنى بالضَّرِيرِ : حرف الوادى ، وبالبعير : الحبل

- أَيْحَلُ التَّنُطُوفِ فِي الرِّبْعِ ؟

- يَكْرَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَدْعُو الشَّيْءَ

يعنى بالتَّنُطُوفِ : التَّنُطُوفُ ، وبالرِّبْعِ : النهر العَمِيرُ

- أَيْحَبُّ الْمَسْلُ عَلَى مَنْ أَمَى ؟

- لا ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ .

يعنى : مَنْ نَزَلَ « مَيَّ »

- هَلْ يَجِبُ عَلَى الْخَبْنِ غَسْلُ فَرْوَتِهِ ؟

- أَهْلٌ ، وَغَسْلُ أَرْثِهِ .

يعنى بالعروة - لمدة الرأس ، ودلاية عظم المرقى .

وهكذا إلى أن أسوق مائة مسألة من هذا النوع .

### المقامة النحوية

وقوله في المقامة الرابعة والعشرين :

ها كَاةٌ هـ - إن شئت - حرف شوب ، أو اسم لما به حرف حلوب ، وأى اسم يتردد بين مرد حلزم وجمع ملازم ، وأية هاء - إذا التفت أماطت اشل ، وأطلقت للمنقل ، وأين تدخل السيف تدخل العامل من غير أن تحامل ، وما مصوب أبداً على الظرف ، لا يغفصه سوى حرف ، وأى مضاف أدخل من عرى الاضافة يعمود ، واختلف حكمه بين مساء وغدوة ، وما العامل الذى يمتل آخره بأوله ، ويسهل مكوسه مثل عمله ، وأى عامل نائه أرحب منه وكراً ، وأظلم مكرراً ، وأكثر فقه - تعالى - ذكرأ ؟ وفى أى موطن تلبس الذكران ، برابع السوان ؟ وتبرر ربات الجمال ، بماتم الرجل ؟ وأين يحب حفظ المراتب ، على المضروب والضارب ؟ وما اسم لا يعرف إلا مضافة ككئين ، أو الاقتصار منه على حربين ، وفى وضعه التزام ، وفى الثاني إلام ؟ وما وصف - إذا أردت بالون - تقص صاحبه فى الصبوف ، وقوم بالون ، وخرج من الزبون وتعرض للهوى .

وقد مره بقوله :

« أما الحكمة التى هى حرف شوب ، أو اسم لما به حرف حلوب » هى نعم . إن .

( وأما الحكمة التى هى حرف شوب أو اسم لما به حرف حلوب ) فهى اسم إن أردت بها تصديق الأخبار أو السدة عند السؤال فهى حرف وإن ثبت بها الابل هى اسم ولتتم تذكر وتؤنث ، وتثنى على الابل وعلى كل ماشية فيها إبل ، وفى الابل الحرف وهى اللانة الماهرة سميت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السيف ، وقيل أنها السمكة تشبيهاً لها بحرف الحبل ( وأما الاسم المتردد بين مرد حلزم وجمع ملازم ) فهو سراويل . قال بعضهم هو واحد وجمعه سراويلات ، على هذا القول هو مرد وكى عن ضه الحصر بأنه حلزم ، وقال آخرون بل هو جمع واحدة سراويل مثل شلال وشماليل ، وسرايل وسرايل ، فهو على

## فَتَأْمَلْ مَا أَتَبَرَى فِكْرِي لَهُ ، ثُمَّ تَدَبَّرْ

هذا القول جمع ، ومضى قوله ملازم أى لا ينصرف وإنما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه ألف وبسما حرف مشدد أو حرفان أو ثلاثة أسطها ساكن لفظه وتفرده دون غيره من الجوع بأن لا نظير له فى الأسماء الآحاد ، وقد كنى فى هذه الأحجية عمالا ينصرف باللازم كما كنى فى التى قبلها عما ينصرف باللازم ( وأما الهاء التى إذا التحقت أمامت التثنية وأطلقت للمتثنية ) معى الهاء اللاحقة بالجمع للقدم ذكره كقولك صيامة وصياقة فينصرف هذا الجمع عند الحاق الهاء به لأنها قد أصارته إلى أمثال الآحاد نحو رهاوية وكراهية الخف بهذا السبب وصرف لهذه اللمة ، وقد كنى هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمتثنية كما كنى فى التى قبلها عما لا ينصرف باللازم ( وأما السبب الذى تمزج العامل من غير أن تجامل ) معى الذى تدخل على الفعل المستقبل وتفصل بينه وبين أن الذى كانت قبل دخولها من أدوات السبب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل إلى أن تصير الخففة من التثنية ، وذلك كقوله تعالى - علم أن سيكون منكم مرضى وتقديره علم أنه سيكون ( وأما النصب على الظرف الذى لا يغمص سوى حرف ) فهو عند إذ لا يجره غير من خاصة وقول العامة ذهب إلى ضده لى ( وأما الضاف الذى أدخل من عرى الاضائة بمرودة واختلف حكمه بين مساء وغدوة ) فهو لى ولدى من الأسماء الملازمة للإضافة وكل ما يأتى بعدها مجرور بها إلا غدوة ، فإن العرب سميتها بلى لكثر استعمالهم إياها فى الكلام ، ثم نوبتها أيضا ليلين بذلك أنها منصوبة لأنها من نوع المجرورات التى لا تنصرف ، وعند بعض النحويين أن لى معى عند والصحيح أن بينها فرقا لطيفا وهو أن عند يشتمل مساحا على ما هو فى ملكك ومكتك مما دنا منك وبعد منك ولدى يختص معناها بما حضرك وقرب منك ( وأما العامل الذى يصل آخره بأوله ويسمى معكوسه مثل عمل ) فهو يا ومعكوسها أى وكلاهما من حروف النداء وصلها ما فى الاسم للادى بيان وإن كانت يا أجول فى الكلام وأكثر فى الاستعمال وقد اختار بعضهم أن ينادى بأى القريب قط كالهمزة ( وأما العامل الذى تأتبه أرحب منه وكرا ، وأعظم كركرا ، وأكثر لله تعالى ذكر ) فهو باه القسم وهذه الباء من أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم فى قولك : أقسم بالله ، ولندخلها أيضا على الضم كقولك بك لأفضلن ، وإنما أبدلت الواو منها فى القسم لأنها من حروف الشف ، ثم لتقارب معانيهما لأن الواو تفيد الجمع والباء تفيد الاتصال ، وكلاهما متفق والمعنيان متقاربان ، ثم سارت الواو للسلسلة من الباء أدور فى الكلام وأعلى بالأقسام ، ولهذا ألزمت بأبها أكثر لله تعالى ذكر . ثم إن الواو أكثر موطا من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا تشمل غير الجر والوار تدخل على الاسم والفعل والحرف ونحو تارة بالقسم وتارة بضمها ورب وتنظم أيضا مع نواصب الفعل وأدوات المذهب ، ولهذا وصفتها بجرج الوكر وعظم السكر ( وأما الوطن الذى يلىس به الذى ذكر أن براغم النسوان وتبرز فيه وبات الهجال سنام الرجال ) فهو مراتب المند للضاف ، وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة فانه يكون مع الذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها كقوله تعالى - سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام - والهاء فى غير هذا للوطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة ، وعالم وعالمة ، وقد رأيت كيف انعكس فى هذا الوطن حكم للذكر والمؤنث حتى اختلف كل منهما فى ضد قاله وبرز فى بزة صاحبه ( وأما الموضع الذى يجب فيه حفظ المراتب على المصروب والناوب ) فهو حيث يشبه الفاعل بالمفعول لتصدر ظهور علامة الاعراب فيها أو فى إحداها ، وذلك إذا كانا مفصولين مثل موسى وعيسى أو من أسماء الاشارة نحو ذاك ، وهذا فيجب حينئذ لازالة الياء إقرار

## وَأَعْتَقِدْ أَنِّي فِي «نُتْمٍ» كَمَنْ خَطَّ فَسَطْرًا

كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بقدمه وللفعول تأخره ( وأما الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كلتين أو بلاقتصار منه على حرفين ) فهو منها وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه لقي هي بمعنى أكف ومن ما ، والقول الثاني وهو الصحيح أن الأصل فيها ما فزيت عليها ما أخرى كما تزداد ما على أن ، فصار لفظها ما ما ، فنقل عليهم توالي كلتين بلفظ واحد فأبدلوا من ألف ما الأولى هاء فصارتا مهبا ، ومهبا من أدوات العطف والجزاء ومنى لعظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى إلا بإيراد كلتين بعدما كفو لك مهبا تعمل أفضل وتكون حيثنما ملترما للفعل ، وإن اقتصرت منها على حرفين وهما الهاء التي بمعنى أكف ففهم المعنى وكنت ملترما من خاطبتك أن يكف ( وأما الوصف الذي أردف بالنون بنفس صاحبه في العيون ونوم بالذون وخرج من الزبون وتعرض للون ) فهو منيف إذا لحقته النون استحالة إلى ضمين وهو الذي يتبع الصيف وينزل في التند منزلة الزيف .

ومن ألا عيب الخيري قوله في مقامة أخرى - مما قرأ طردا وعكسا ومقامته المنبرية :

« لم أحل ، كبر رجاه أجبر ربك ، من يرب إذا بر ينم ، سكت كل من تم لك تكسر » وقوله :

« أس أرملنا - إذا همرا ولوع إذا لره أما

أسند أنا نباهة أين آخاه دنسا

أسل حناب طام مشاغبات جلسا

أسر إذا هب مرا وارم به ، إذا رسا

اسكن تنو ، نسي يصف وقت نكسا . »

### المقامة القهقرية

وقوله في مقامته القهقرية :

« أتمرون رسالة أرضها سهاؤها ، وصحبها سهاؤها ، نسجت على منوالين ، وتمحلت في لوزين ، ووصلت إلى جهتين ، وبدت ذات وجهين .

إن بزغت من مفرقها ، فهايك بروقها ، وإن طلعت من منبرها ، فيا لمحبها »

وهذه الرسالة التي تقرأ من أولها كما تقرأ من آخرها هي :

« الإنسان صنعة الأحسان ، ورب الجبل صل التنب ، وشيبة الحر ذخيرة الند ، وكسب الشكر استنثار السعادة ، وعنوان الكرم تباشير البفر ، واستعمال الإدارة يوجب المصافة ، وعقد المحبة يخفضي النصيح وصديق الحديث حلية القسان ، وساحة النطق سحر الأبواب ، وعرك الهوى آفة النفوس ، وملل الخلاق شين الخلاقي ، وسوء الطبع يمين الورع ، والتزام الحزامة زمام السلامة ، وتطلب اللثاب شر للملاييم ، وتلق الثورات يدحض الودعات ، وخلص النية خلاصة العطية ، وتهتة النوال عن السؤال ، وتكلف التكلف يسهل الحلف ، وتيقن المعونة يمسنى للؤونة ، وفضل الصدر ، سمة الصدر ، وزينة الرعاة وقت السعاة ، وجزاء الداعيت النامع ، ومهر الوسائل ، تشفيق المسائل ، ومجلة الفواية استنراق الناية ، وتجاوز الحد ، يكل الحد ، وتضدي الأدب ، يحبط القرب ، وتناسي الحقوق ، يفتي العقوق ، وتعماض الرب ، يرفع الرتب ، وارتفاع الأخطار ، لانتحام الأخطار ، وتنوء الأقدار بمواتاة الأقدار ، وعرف الأعمال ، في تصبر الآمال ، وإطالة الفكرة ، تفتح الحكمة ، ورأس الرأية ، تهذيب السياسة ، ومع العجاجة ، تفتي الحاجة ، وبعد الأوجال تتفاضل الرجال ، ويتفاضل المهم تتفاوت القيم ، ويتزيد السفير ، بين التدبير ، ويخلل الأحوال تيقن الأحوال ، ويعوجب الصبر ثمرة الصبر ، واستحقاقه الاحاد بحسب الاجتهاد ، ووجوب الملاحظة ، كفاء الملاحظة ،



## وَيَقِينُ أَنَّ مَا يَنْفَكُ أَمْرٌ سَوْفَ يَقْدَرُ

وصفاء اللوالب ، بتهد اللوالب ، وتحلى المروءات بحفظ الأمانات ، واختبار الاخوان بتصفيف الأحران ، ووقع الأعداء بكف الأوداء ، وامتحان المغلاء بمقزرة الجبهلاء ، وتبصر المواقب يؤمن للمعاطب ، واتقاء الشبهة ينصر السمعة ، وقبح السمعة ، وقبح الجفاء يثاق الوفاء ، وجوهر الأحرار عند الأسرار .

وقوله من خطبة لألفظ فيها ولا إمام - في مقامته السرقندية :  
« الحمد لله المدوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم اللأواء ، مالك الأمم ، ومصور الرمم ، وأهل السباح والكرم ، ومهلك عاد وإرم ، أدرك كل سرهله ، ووسع كل مصرحله ، وعم كل عالم طوله ، وحد كل مازد حوله ، أحمد حمد موحد مسلم ، وأدخوه دعاء مؤهل مسلم ، وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد ، العادل العبد ، لا ولد له ولا والد ، ولا رد معه ولا مساعد ، أرسل محمداً للإسلام بهذا الخ »  
وفي مقامته المراغية - رسالة ، « حروف إحدى كتيبتها يدها للقط وحروف الأخرى - كما يقول - لم يجمعن قط » وهي :

« الكرم - ثبت الله جيش سمودك - بزئ ، والاثم - غنى الله جفن حسودك - يشين . والأروع يثيب ، وللصور يحجب ، والملاحل يعييف ، والمالحل يخيف ، والسبح يدي ، والحك يقدى ، والعناء ينهى ، واللغالب يشقى ، والدعاء يقي ، والذبح يقي ، والمزج يجرى ، والالطاط يجرى ، وأطراح ذى الحرمة نقي ، ومجرمة بنى الآمال نقي ، وماض إلا صبي ، ولا زين إلا ضبيب ، ولا قرن إلا شقي ، ولا قبض راحة نقي ، وما نقي وعدك نقي ، وأراؤك تنسى ، وهلاك يقي ، وحلك يفضى ، وآلاؤك تنسى ، وأندائك تلي ، وحسامك يقي الخ الخ . »

وله رسالة سينية كتبها - على لسان بعض الأمراء - إلى بعض أصدقائه كتاباً :  
باسم السميع القدوس أستفتح ، وبأسماؤه أستدخ ، سيرة سيدنا الأسفهار ، السيد العباس ، سيد الرؤساء ، سيد السادة ، حرس نفسه ، واستقار شمس ، وانقأ أمه ، وبسق غرسه .  
إلى أن يقول :

« وسيد السلاطين مسأثر بأبس السماع وحجو الكؤوس  
سلاط ، وليس لبأس السلاطين يناسب حسن سيات الفيس  
وسن تناسى خلاصته وأسوا السجالات تناسى الخليلين  
وسر حسودى بطمس الرسوم ، وطس الرسوم كرمس النفوس  
وسقى الحسام بكأس السلاف ، وأسهى يسوس ووس . »

إلى آخر القصيدة .

ورسالة شبيهة ، وهي التي كتبها لأحد أصدقائه يمدحه فيها ، وفيها يقول :  
« بإرشاد المنشى أنفى ، شوى بالشمع شمس اشعراء ، ريش معاشه ، ومشا ريشه ، وأشرق شعابه »  
واعشوشيت شعابه ، يشاكل شفق المنشى بالنشوى ، والمرتنى بالرشوى ، والشادن بمرخ الشباب ، والعطشان إلى شيم الشرب ، وشكرى لتجشمه ومنقته ، وشواهد شمه ، يشاكل شكر الشاهد للشند ، وللمترعد للرشد ، والمتشعر للمبهر ، والمتشيش للجهش للمشر ، وشعارى إنشاد شمره ، وإنشجاء الكاشع والمكاشع بنصره »

ومكنا إلى أن قال :

« فأشعاره مشهورة ، بمشاعره وعشرته مشكورة ، وعشاره  
شأى الشعراء للشعرايين شمرو مشايبه مشجوا الحشا ، ومشاعره  
وشوه ترقيش المرتش رفته ، فأشباعه يشكونه ، ومماشعه »

## إلى المعتمد على الله

« وكتب أيضا رحمه الله إليه أبده الله . »

يَأْيُهَا الظَّافِرُ نِلْتَ الْمُنَى وَلَا يَنْلُكَ فِيكَ مَحْذُورُ  
إِنَّ الْخِلَالَ الزُّهَرَ قَدْ ضَمَّهَا تَوْبُ عَلَيْكَ الْدَّهْرَ مَزْزُورُ  
لَا زَالَ الْمَجْدِ الَّذِي شِدَّتُهُ رُبْعٌ - بِتَعْمِيرِكَ - مَعْمُورُ  
حَتَّى يُؤَوَّى فِيكَ مَا يَبْتَغَى مُعْضِدٌ بِاللَّهِ مَنْصُورُ

\* \*

وَأَفَاكَ نَظْمٌ - لِي فِي طَيْهِ - مَعْنَى مَعْنَى الْأَفْظِ مَسْتُورُ  
مَرَامُهُ يَعْصُبُ ، مَا لَمْ يَبْجُ - بِالسَّرِّ قُبْرِي<sup>(١)</sup> وَعُصْفُورُ  
وَبُلْبُلُ ، ثُمَّ يَكْرَهُ اللَّذَا تَقْدَمَا ، فَالْفَظُّ مَكْرُورُ  
ثُمَّ تَرَى الْبُلْبُلَ قَدْ حَقَّهُ نَسْرٌ ، بِهِ الشَّفَيْنِ<sup>(٢)</sup> مَنَسُورُ  
ثُمَّ الْغُرَابُ الْجَوْنُ ، يَنْلُوهُ قُمْرِيٌّ وَدَرَّاجٌ وَزَرْزُورُ

وشاق الشباب الفم والشب وشبه ، فنشوره بقرى للشوق، وناشره

شماله معشونه - كشموله - وشربه مستبهر، وهماشره .

إلى آخر القصيدة .

(١) القمري : طائر حسن الصوت - ويجمع على قمري - ويقال للذكر منه : الورشان .

قال ابن سيده : « القمري طير صغير » وعده - في انكم - من - ام .

وقد زعمو أن القمري - إذا مات ذكرها - لم تتزوج إناثها .

والورشان - الذي هو ذكر القمري - يوصف بالحنو على أولاده ، حتى أنه ربما تلى نفسه إذا رآها في

يد القائل ، وقد صرَّ بك في « ص ١٠٧ » قول ابن زيدون :

« إن تني البلبل اهتا ج غناه الورشان »

(٢) الشفنين - كما في حياة الحيوان وابن البيطار - نوع من الحمام ، هـوا : « وهو الذي تسميه العامة

بالهيام » وجمعه شفاني .

ثُمَّ يَلِي الدَّرَاجُ<sup>(١)</sup> مِنْ بَعْدُغِرْ نَيْقُ<sup>(٢)</sup> وَمُكَاةُ<sup>(٣)</sup> وَشُرْشُورُ<sup>(٤)</sup>  
وَبَاشِقُ، ثُمَّ إِذَا حَلَقَ الشَّاهِينُ - وَالْمُصْفُورُ مَذْعُورُ -  
ثُمَّ سَلَ الْمَكَاةُ يَصْدُقُكَ، وَالْمُصْفُورُ، وَالْقُمْرِيُّ مَزْجُورُ  
وَأِنْ جَرَى الدَّرَاجُ - فِي إِثْرِهِ الْـ رَزْزُورُ - فَالطَّوِيُّ مَذْشُورُ  
وَتُحْمٌ فَأَعْلَمَ أَنَّ مَوْضُوعَهَا حَرْفُ، لِفَصْلِ اللَّفْظِ مَقْدُورُ  
وَفِي الَّذِي عَمَسَتْ نُصْنَعُ، لِمَنْ جَدَّ - مِنَ الْأَعْدَاءِ - مَشْكُورُ<sup>(٥)</sup>

(١) الدراج - بضم الدال - طائر ظاهر جناحه أبيض ، وباطنها أسود - وحجم القطا إلا أنه ألطف .  
والجناح يمد من حنس الخمام ، لأنه يجمع بيضه تحت جناحه كما يفعل الحمام .  
قالوا : وهو كثير التاج يبيض ، بقدم الربيع ، وهو يصلح بهبوب الشمال صفاء الهواء ، ويسوق له  
بهبوب الجنوب ، حتى لا يقدر على الطيران .  
(٢) الفرنيق أو الفرنوق : طائر مائي ، وقيل هو الكركي أو طائر يشبهه .  
قالوا :

وهو دون الحمام - في القدار - ولونه الحمر مع كورة ، وفي صوته ترجيع وتخمين .  
ومن شأنها أنها تحسن أصواتها - إذا اخلطت - ومن طبعه أنه إذا قد أضاء لم يزل - فيها يزعمون -  
أهزب إلى أن يموت ، وكذلك الأبي إذا فقدت ذكرها .  
قالوا :

وهو شديد الاحتراس ، وفيه ألفة للبيوت .

(٣) المكاة : طائر . (٤) الشرشور : طائر يسمى : « البرقش » وجهه شرابير .

(٥) والبيت الطير في هذه القصيدة هو :

« أنت - إن تتر - ظافر فليطع من ينافر . »

ولم يصح في الجدول التالي أمام كل حرف طائفة على الترتيب الذي ذكره في القصيدة هكذا :

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
أ	قرى	غ	نسر	ف	دراج	ن	عصفور
ن	عصفور	ز	شفنين	ل	فرنيق	ي	مكاة
ت	بلبل	ط	غراب	ي	مكاة	ن	عصفور
ا	قرى	ا	قرى	ط	شرشور	ا	قرى
ن	عصفور	ف	دراج	ع	باشق	ف	دراج
ت	بلبل	ر	رزور	م	شاهين	ر	رزور

## جواب<sup>(١)</sup>

« جابو به ذو الوزارتين رحه الله . »

حَظِيَّ - مِنْ نِعْمَاكَ - مَوْفُورُ      وَذَنْبُ دَهْرِي بِكَ مَمْفُورُ  
وَجَانِبِي - إِنْ زَمَنِي رَأَمَهُ -      حَجَرُ<sup>(٢)</sup> لَنَى ظِلَّكَ مَحْجُورُ



يَا ابْنَ الَّذِي سَرَبُ الْهَدْيِ آمِنُ      مُنْذُ أَنْبَرَى يَحْمِيهِ مَوْفُورُ

ولعلم القارىء أن الشاهين في قوله : « ثم إذا خلق الشاهين . » ساقط ليس له حرف معناه كعبه من طيور القصيدة ، وقد أشار إليه بقوله :

« وتم فاعلم أن موضوعها حرف لفصل اللفظ مفدور . »  
وقد مكه المتمد ، وجابو به بالقصيدة التالية :

« يا خير من يلحظه ناظرى ،      شهادة ما شابها زور  
ومن إذا ما ليل خطب دجا      لاح به - من رايه - نور  
رأيك - إما شنه - صارم      عصب على الأعناء معهور  
جاءتى الطير التى سرّما      نظم به قلبي مسرور  
شمر هو الحر فلا تكروا      آتى به - ماعشت - مسحور  
اللفظ والفرطاس - إن شجها -      قيل هما مسك وكافور  
وإنه لما احدى خاطرى      سائلا جابوب عصفور  
موى لجيش الطير من فكرتى      صفر فولى وهو مقهور  
ملاح لى بيت فؤادى له      دأبا على ودك مقصور  
حظك من شكرى يا سيدى      بما بدا لى منك موفور  
تصرت فى نظمي فاعترفن      صاماك فى التقصير ممدور  
فأنت إن تنظم وتثر فقد      أعوز مظلوم ومشور  
لا يمدكم روض من الحظ فى ال      إكرام والترفع ممدور . »

(١) ست ابن زيدون بهذه القصيدة للمتمد ردا على قصيدته التى ذكرناها فى هذه الصفحة .

(٢) الجبر للكف أو الحرام ، يقال : « هذا جبر عليك » أى حرام و « نشأت فى جبر ملان »  
أى فى كنفه ومنمته وحفظه وستره .

أُجِبْتَ أَمْرِي بِالَّذِي لَمْ يَزَلْ يُضْغِي إِلَيْهِ مِنْهُ مَأْمُورُ  
الْبَيْسِ مِنْكَ الْمَلِكُ أَسْنَى الْخَلَى بِظَافِرٍ يَتَمِيهِ مَنْصُورُ

\* \*

يَا مُرَوِّى الْمَأْمُورِ، يَا نَنْ لَهُ نَجْدٌ - مَعَ الْأَيَّامِ - مَأْمُورُ  
عَبْدُكَ - إِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُكْرِهِ - فَهُوَ عِمَا ثَوَلِيهِ مَشْكُورُ  
إِنْ تَفَتَّ عَنْ تَقْصِيرِهِ مُنْعِمًا فَالَسَّرُو<sup>(١)</sup> أَنْ يُقْبَلَ مَبْسُورُ  
إِنْ حَلَّالَ السَّجَرِ - إِنْ صُفِّتُهُ - فِي صُحُفِ الْأَنْفُسِ مَسْطُورُ  
نَظْمٌ زَهَانٍ مِنْهُ إِذْ جَاءَنِي عِلْقٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَذْخُورُ  
هُوَ إِلَى طَرَبَا خَاطِرِي كَمَا تَلَقَّى الْوَصْلَ مَهْجُورُ  
لَا عَرَوْا أَنْ أَفْتَنَ إِذْ لَاحَظْتُ فِكْرِي مِنْهُ أَعْيُنُ حُورُ  
تَشَفَّ عَنْ مَعْنَاهُ الْفَاطَةُ كَمَا وَشَى بِالرَّاحِ بَلُورُ  
جَهَلْتُ - إِذْ عَارَضْتُهُ - غَيْرَ أَنْ لَا بُدَّ أَنْ يَنْفُثُ مَصْدُورُ

\* \*

يَا آلَ «عَبَادِ» مُوَالَاتِكُمْ، زَائِلٌ - مِنَ الْأَعْمَالِ - مَبْرُورُ  
إِنَّ الَّذِي يَرْجُو مَوَادَاتِكُمْ - مِنَ الْمُنَاوِينَ - لَمَعْرُورُ  
مَكَانَهُمْ مِنْكُمْ كَمَا انْحَطَّ عَنْ مَنَزِلَةِ الْمَرْفُوعِ - مَجْرُورُ  
يَدْنُو إِلَيْكُمْ مَا نَأَى عَنْكُمْ إِنَّ الْعُلَى مِنْ أَنْسِهِ نُورُ  
لَا زَيْلَهُمْ تَشَاوَنَهُمْ مَا انْجَلَى عَنْ فَلَقِ الْإِصْبَاحِ - دَيْجُورُ  
وَلَا يَزَلْ يَجْرَى - بِإِبْرَائِكُمْ أَهْمَارُهُمْ - اللَّهُ مَقْدُورُ

## إلى المعتمد

« وكتب أيضا رجه الله إليه أيده الله . »

يَا مُرْضِيَا كُلَّ خَدَمٍ      وَمُرُوبَا كُلَّ لَهْذَمٍ  
وَيَا سَمِيَّ الْمَصْلَى      عَلَى أَمِيمِهِ وَالْمُسَلَّمِ  
وَيَا ابْنَ أَعْظَمِ مَنْ هَا      بِهِ الْمُلُوكُ وَأَكْرَمِ  
وَأَفَاكَ - لِلطَّيْرِ - سِرْبُ      لَدَيْهِ سِرُّ مُكْتَمِ  
إِنْ نَسَّالِ الطَّيْرِ عَنْهَا      مُسْتَعْلِمًا مِنْهُ تَعْلَمِ  
وَالنَّسْرُ وَالرَّهْوُ <sup>(١)</sup> يُنْبِئُكَ      وَالظَّلْمُ <sup>(٢)</sup> الْمَصْلَمِ

(١) الرهو : الكركي ، وهو - كما جاء في صبح الأعشى - طائر أعبر طويل الساق في قدر الأوزة ، ويجمع على كراكي ، وفي طبعه خور يحمل على التنحارس ، حتى إنه إذا - احتجم جماعة من الكراكي - يحرسها بالنوبة بينها ، ومن شأن الذي يحرس منها ، أن يرفع صوت حر ، كما أنه يدور بأنه حرس . فإذا قضى نوبته قام واحد من كان نائما يحرس مكانه حتى يقضى كل منها نوبته من الحراسة ، ولا تطير متفرقة بل صفا واحدا يقدمها واحد منها - كالرئيس لها - وهي تنبيه ، يكون ذلك حياء ، ثم يخلعه آخر منها مقدما حتى يصير الذي كان مقدما مؤخرا ، وفي طبعها الناصر والأحادد ، ومن خاصتها أن أشاها لا تقعد للنفاد بل يدها - وهي قائمة - ويكون سفاده صريحا كالمصفور .

وقال الفزوي - في مجامع المحاورات :

والكركي لا يمشي على الأرض إلا بأحدى رجليه ، ويعلى الأخرى ، أو يدهما وضعا خفيما محاذة أن تحسف به الأرض .

قال - في « للمسايد والمطارد » :

وهو من أهد الطير صرنا يسمع على أذيال .

قالوا : وكانت الكراكي تأتي إلى مصر من بلاد الترك ، وفي طلبها وصيدها كانت تتنال ملوك مصر تنالها لا يدرك حده ، وتتفق في ذلك الأموال الجمة .

(٢) الظلم - ذكر النعام - وقد جاء في صبح الأعشى - في مفروض الكلام عن النعام - قوله :

« هو طائر معروف ، مركب من صورتين جل وطائر ، ولذلك تسميه الترك « دواش » بمعنى « طير

جل » وتسميه الفرس « اشتر مرك » ومنه « جل طائر » وبسبب ذكر النعامة : الدليم . قالوا :

ومساكنها الرمل ، وتضع بيضا سطرأ مستطिला ، بحيث لو مد عليها خيط لم تخرج واحدة منها من

الأخرى ، ثم تغطي كل بيضة منها نصيبها من الحصن ، لأنها لا تستطيع ضم جميع البيض تحنها .

نَمَّ الْهَدِيدُ <sup>(١)</sup> تَلِيهِ حَمَامَةٌ تَنَزَّيْنُ  
إِلَى عُقَّاتَيْنِ تَذَعُوهُمَا الظِّلِمَ فَيَقْتَمُنَ  
ثُمَّ الْمُقَابُ <sup>(٢)</sup> مَعَ الصَّقْرِ، فَهَوَّ بِالْشَّرْحِ أَنْعَمَ  
وَالرَّالُ <sup>(٣)</sup> وَالرَّهْوُ وَالْقَبْجُ <sup>(٤)</sup> فَالثَّلَاثَةُ حَوْمٌ  
ثُمَّ الْمُقَابُ فَسَلَهُ وَالصَّقْرُ لَا يَتَلَقَّمُ

وإذا خرجت الطعم ، فوجدت يضي نغامة أخرى حصفه ونسبت يضيها فرميا حضنت هذه يضي هذه .  
وذلك توصف - في الطير - بالحق .

ويقال : إنها تقسم يضيها أثلاثا ، فنه ماعضنه ، ومنه ماعمله غذاء لها ، ومنه ما تفتحه وتجهله في الهواء  
حتى يتولد فيه ادود فتندى به أراخها إذا خرجت . فالوا :

« وليس للنعام حاسة سمع ، ولكنه قوى الهم ، يستضي بشبه من سماعه . حتى يقال : أنه يسمع رائحة  
القافس من بعد . وفي أساطير العرب :

أن النعامة ذهبت تطلب قرنين فتطموا أذنيها .

ومن خصائصها أنها ترفع العظم الصلب والمحر فتذيقه معدتها .

(١) الهدبل ذكر الحمام ، قال أبو العلاء في داليته المصهورة :

« يا بنات الهدبل : أسعدن أوهدي قبل البكاء بالاسماد . »

(٢) المقاب : طائر من الجوارح تسيها العرب بالكاس ، قيل المقاب سيد الطيور والنسر هريتها «

وتقول العرب : « أهر من عقاب » قال ابن دريد في مقصوده الزائفة :

« فاستنزل الزياء - قسرا - وهي من عقاب لوح الجو أعلى متنى . »

وقد جاء في صبح الأعشى : أن المقاب مؤنثة لا تذكر ، وتجمع على عقبان وأعقب .

وجاء في « المصايد والمطارد » قوله :

« وهي من أعظم الجوارح ، وليس بعد النسر في الطير - أعظم منها وأصل لونها السواد . »

فنها سوداء دحرجية ، وخداوية - وهي التي لا يبيض فيها - ومنها البقاء - وهي التي يغالط سوادها

يباض - ، ومنها الثقراء وهي التي في رأسها قط يبيض - قال « أبو عبيدة » و « يونس » :

« ويقال لذكر المقاب « القرن » ويقال إن ذكور العقبان من طير آخر لطاف الجرم لانسأوى شيئا ،

تلب بها الصبيان » والمقاب من أسرع الطير طيرا . ( ارجع إلى صبح الأعشى - ٢ ص ٥٣ )

(٣) الرال : ولد النعام ، قال أبو العلاء :

« قد كنت قلت - في كلام لي قديم - إنني قد هجرت الشمر هجر الرال تركته . »

(٤) القنج : والكروان ، معرب « كنج » بالمارسية وهو طائر في قدر الساجدة طويل الرحلين

حسن الصوت لا ينم الليل .

إِلَى حُبَارَى <sup>(١)</sup> وَبَارِ وَحَالِكِ اللَّوْنِ أَغْصَمَ <sup>(٢)</sup>  
ثُمَّ السَّمَاءُ <sup>(٣)</sup> مَعَ الرَّاءِ لِيَكُنْ يَبُوحُ الْمَجْنَمِ <sup>(٤)</sup>  
إِلَى عُقَابٍ وَرَهْوٍ يُفْصِحُ بِمَا شِئْتَ أَسْنَمَ  
وَمَا الظِّلِمُ بِآلٍ فَلَوْ زَجَرْتَ لَتَرْجَمَ  
ثُمَّ الْعُقَابُ سَيُوحِي لِلصَّغْرِ لَا تَتَكَلَّمُ  
وَهَقَقْتُ وَهَدَيْتُ وَالْقَبِجُ فِي ذَلِكَ مُلْتَمِ  
وَتَمَّ فَضْلُ كَمَا قَدْ عَوِذْتَ فِيهَا تَقَدَّمَ  
يَا مُلْبِسَ الدَّهْرِ وَشَيْئَا مِنْ الْجَمَالِ مُنْتَمِ  
إِسْلَمَ سَنِي الْأَمَانِي مُؤَزَّرَ النَّصْرِ مُطْعَمَ <sup>(٥)</sup>

- (١) الحبارى : طائر - يقع على الذكر والأنثى - قالوا : « ويصرب به التل - و البلامة والحنى يقال :  
« هو أبه من الحبارى » قبل ذلك لأنها إذا غيرت عنها ذكاته وحضلت بيض غيرها .  
(٢) الأغمم : الظلي . قال ابن دريد :  
« لو ناجت الأغمم لانهط لها - طوع القباد في مزارع القدرى .  
وجمه صم ، قال الشاعر :  
« واديني حتى - إذا ما فتنني بقول يحل المعص سهل الأباطح  
تأديت حتى حين - لالى حيلة - وعادرت ما عادت بين الجوانح .  
(٣) السماء : ضرب من الطير ، واحده سماء .  
(٤) المهجم : الذى لا يهجم ، قال للمرى :  
« جهم هذا الزمان قولا وكنا يرتجى يانه .  
(٥) « بيت للظهر - في هذا الشعر - هو :  
« لك عدوك ، واسلم ، واظفر بهوك - وانم .  
وقد فسكه المعتمد .



## بيت مطير

وكتب اليه المعتمد أيده الله  
 يا سيدي يا معلمي العلم  
 يا آله للحرب والسلام  
 وجه مطير الشعر عوى قد  
 بث فؤادي شرك الفهم  
 فبث اليه بيت مطير وجاوبه رجه الله . »

أَلْحَقَنِي بِرُكَّ النَّجْمِ	يَا ابْنَ الْبُذُورِ الزُّهْرِ مِنْ نَحْمِ
يَا لَأَبْسَ الْمَجْدِ الَّذِي زَانَهُ	بِالْعِلْمِ زَيْنَ الْبُرْدِ بِالرَّقَمِ
قَدْ لَثِمْتَ كَفِّي الدَّرَارِي مَذْ	شَافَهْتَ تِلْكَ الْكَفَّ بِاللَّثَمِ
قُلْدَ مِنْكَ الْمَلِكُ عَضَبَ الطَّبَا	يَمْنِي مَضَاءَ الْقَدَرِ الْحَمِ
فِرْنْدُهُ الرِّقَاقُ مِنْ بَشِيرِهِ	وَحَدُّهُ مِنْ نَافِذِ الْعَزَمِ

\* \* \*

قَدْ جَاءَنِي النِّظَامُ الَّذِي خِلْتُهُ	مُؤَلَّفَ الْأَوَّلُوْهُ فِي النِّظَمِ
حَلَّتْنِي مِنْهُ بِفَخْرٍ يُرَى	فِي غُفْلٍ حَالِي رَائِقَ الْوَسَمِ
مُسْتَدْعِيَا طَيْرَ الْمُتَمَيِّ لِكَيْ	يَصِيدَهَا فِي شَرَكِ الْفَهْمِ
فَهَاكُمَا تُهْدَى إِلَى خَاطِرِ	يَسْتَخْرِجُ الْإِفْصَاحَ مِنْ عَجْمِ <sup>(١)</sup>

(١) البيت للطير في هذه القصيدة هو :

« أنت - إن تتر ظاير - ملطع من يافر . »

## والبيت المطير

إِظْفَرُ كَمَا أَنْتَ ظَافِرٌ بِكُلِّ غَاوٍ مُتَافِرٍ

وطير له أيده الله يبتين وهما

وشعر من محض وده

لك في علم طيره

فهو مهما زجرتها

لم تخبر بغيره . «

فكهما وجاوبه رحمه الله

أَيُّهَا الْمَاجِدُ الَّذِي خَيْرُهُ وَفَقُّ خَيْرِهِ

وَالَّذِي سَيَرُّ مُشْتَرِي أَفْقًا دُونَ سَيْرِهِ

مَلِكُ صَحٍّ - مِنْ أَدِيمِ الْهَدَى - قَدْ سِيرِهِ

فَهُوَ - الدَّهْرُ - نَفْعُهُ حَاضِرٌ ، دُونَ صَيْرِهِ

\* \* \*

يَا لِلَّيْلِ سَمِعْتُ مِنْ مَهْرِي فِي قَيْرِهِ ؟

عَزَّ - فِي وَهْنِهِ - مَرَا مُمْ عَنَا فِي مَحِيرِهِ

«شِعْرٌ مِنْ تَحْضُ وَدَّهِ لَكَ فِي عِلْمِ صَيْرِهِ

فَهِيَ - مَهْمَا زَجَرْتَهَا - لَمْ تُخْبِرْ بِغَيْرِهِ

## جواب على بيت مطير

« قال يمدح المعتمد على الله أبا القاسم محمد بن  
المعتض بالله وعباد بن محمد بن عباد ، أدام الله  
تأييده ، في حياة أبيه - وكان قد عمى له يثنا :  
« الحاجب الأعلى العضد قرّة عين المعتمد »  
ففسكه - أيده الله - وجاوبه بأربعة أبيات ، وهي :

يا سيدي ، الأعلى ومن  
أعدده أقوى العد  
حلت طيورك بي ، وقد  
قرّبت منها ما بعد  
كاشفتا عن مرّها  
فوشى إلى بها الصرد  
يثنا يدلّ على اعتقا  
دك يا جميل المعتد  
الحاجب الأعلى العضد  
قرّة عين المعتضد  
لجاربّه ذو الوزارتين بقصيدة ، وهي :

لَوْ أَنَّ مَنْ جَارَ قَصْدُ      لَمْ يَحْزَرْ - عَنْ وَصْلِي - بِصَدِّ  
سَيِّئِ عَهْدٍ - أَرْخَصَتْ      عَيْنَاهُ فِي قَتْلِي الْمَمْدُ  
مَالِكُ سُلْطَانِ الْهَوَى      أَمْنَهُ مِنَ الْقَوْدِ (١)  
مُخْلَدٌ خَلَدَ - بَرَّ      حَ الشَّوْقِ - فِي كُلِّ خَلَدٍ  
وَعَزُّ الرِّضَى ، لِحُبِّهِ      نَهَجٌ - إِلَى قَلْبٍ - جَدَدُ

فَلَسِ إِذَا مَا قِيلَ : « أَبْلَى حُلَّةَ الْهَجْرِ » أَجَدُّ  
أَوْ قُلْتُ : « قَدْ هَبَّ نَسِيمُ الْوَصْلِ لِي مِنْهُ » رَكَدُ  
مَا كُنْتُ آبَى صَدَّهُ لَوْ أَنَّ سُلُوفِي صَدُّ

\*\*\*

فِتْنَةُ وَجْدٍ ، هِيَ كَالْفِتْنَةِ فِي الْعِجْلِ الْجَسَدِ  
غَيْرُ مُبِينٍ ، طَرَفُهُ يَعْصِفُ بِالْخَصَمِ الْأَلَدِ  
عَصَفَ « أَبِي الْقَاسِمِ » بِالْقَتْلِ إِذَا الْقَتْلُ مَرَدُ  
الْحَاجِبِ الْأَعْلَى الَّذِي لَوْ مَاجَدَ الشَّمْسَ عَجَدُ  
عَحْضُ الثَّقَى ، عَفَّ الْهَوَى غَمَرُ النَّدَى ، صَدَقُ الْجَلَدِ  
رَكِينُ طَوْدِ الْحِلْمِ إِنْ حُبَاهُ فِي النَّادِي عَقْدُ  
مُؤَفَّقِ الْأَنْحَاءِ مَا دَ فِي أَسَايِبِ الرَّشَدِ  
لَوْ قَصَّ كُنْهَ جُودِهِ لِلْبَحْرِ وَافَى ، فَاسْتَمَدَّ  
مُؤَمِّلٌ - مَعَ الرِّضَا - يُهَابُ فِي حِينِ الْبُعْدِ  
إِنْ قُلْدَ الْأَمْرِ كَفَى وَإِنْ تَوَلَّى الثَّغَرَ سَدُ  
مَاهِ سَمَاحِ فَاضٍ فِي جَمْرِ ذَكَاهِ فَأَتَقَدَّ  
يَا عَصْدَ الدَّوْلَةِ ، يَا مَوْلَى يَارِيهِ أَعْتَصَدُ (١)  
وَمَنْ - بِفَضْلِ اللَّهِ - حَا زَ النَّصْرِ فِي جِدِّ وَجَدُ

أَصْبَحَ أَعْلَى وَالِدٍ فَأَوْقَهُ أَسْنَى وَلَدَ  
حَدَّثَنَا عَنْ سَرُوهِ (١) نَاهِكَ مِنْ قُرْبِ سَنَدِ

\*\*\*

مَلِكٌ - إِذَا نَحْنُ أَعْتَمَدُ نَا مِنْهُ أَوْفَى مُتَمَدِّ -  
تَهَلَّلَتْ شَمْسُ جَبِينِ وَأُسْتَهَلَّتْ مُزْنُ يَدِ  
مُحَمَّدُ الدَّهْرِ الَّذِي أَصْلَحَ مِنْهُ مَا فَسَدَ  
وَمَضَى الدِّينِ الَّذِي قَدْ كَانَ - قَبْلُ - يُضْطَهَدُ  
وَنَاصِرِ الْعِلْمِ الَّذِي نَفَقَهُ لَمَّا كَسَدَ  
مَنْ لَمْ يَبْعِدْ إِلَّا وَفَى، وَلَا وَفَى إِلَّا وَعَدَ  
شَاوَرَيْنِ - فِي أَمْرِهِ - شَيْخَانِ لَوْ شَاءَ اسْتَبَدَّ  
يَخْشَى الْعَدُوَّ مِنْهُ عَزَّ مَقُورٍ شَاكِيَ اللَّيْلِ  
سَمَّحَ لَهُ - مَهْمَا عَنَّا - فَظًا عَلَيْهِ إِنْ عَنَدَ  
كَالسَيْفِ - فِي حَالِهِ - إِنْ رَاقَ فِرْنْدُهُ رَاعَ حَدَّ  
يَا مُهْدِي السَّنَطِ الَّذِي قُلْدَتْهُ فَخْرُ الْأَبْدِ  
أَحْسَنُ مِنْ رَقْمِ عِذَا رِ سَائِلِ فِي وَشِي خَدِّ  
أَوْ مَبْنِيهِمْ حُلُوِّ الْمَا يَقْتَرُ عَنْ عَذَبِ بَرْدِ

## إلى المعتمد

قَدْ قُلْتُ - لَمَّا هَزَنِي مِنْهُ الْبَدِيعُ الْمُفْتَقِدُ -  
« نَسِيمُ أَيْلُولٍ مَرَى أَمْ وَرَدُ نَيْسَانَ وَرَدُ »  
خَاطِرِي السَّهْمُ وَتَنِي بِسِرِّ طَائِرِي لَا الصُّرْدُ  
وَفِطْنَةُ تَأَلَّفَتْ - مِنَ الْمُعَى - مَا شَرَدُ  
شَنِشَنَةُ أَعْرِضَا فِي شِبَلٍ مَلَكَ مِنْ أَسَدُ

يَا آلَ « عَبَادِ » مِثَا لُ لَيْسَ يَمْدُوهُ السَّدُّ  
مَنْ لِي بِشُكْرِ نِعْمَةٍ ، الْحُرُّ عَنْهَا مُعْتَبِدُ  
سُوِّغَتْ مِنْهَا الْعِزَّةُ الْقَفَسَاءُ فِي الْعَبَشِ الرَّغْدُ  
حَيْثُ اسْتَضْيَفَ مَثَلُ صَفَا إِلَى ظِلِّ بَرْدُ  
كَأَنَّمَا لِي جَنَّةٌ خُفَّتْ بِمَكْرُوهِ الْحَسَدُ  
يَحْمِلُهَا مِنِّي وَآ فِي الشُّكْرِ صَافِي الْمُعْتَقَدُ  
كَمْ قَامَ بِالشُّكْرِ إِلَى أَنْ أَفْقَلْتَهُ قَعَدُ  
قَصْرٌ ، لَكِنْ لَمْ يُقْصَرْ مُبْلِغُ الْعُذْرِ اجْتَهَدُ  
وُقِيتَ بَطْنُ الْيَمِينِ فِيكُمْ بِالْمَعَى لَا بِالرَّمَدُ

صرعي الحب <sup>(١)</sup>

أَخَذْتُ ثُلُثَ الْهَوَى غَضَبًا ، وَلِي ثُلُثُ ، وَلِلْحُبِّينَ - فِيمَا يَنْتَهُم - ثُلُثُ  
تَالَهُ ، لَوْ حَلَفَ الْمَشَاقُّ : أَنَّهُمْ مَوْتِي مِنَ الْوَجْدِ - يَوْمَ الْيَمِينِ - مَا حَشَوْا

(١) من شعر ابن زيدون الذي قاله في مدة صباه ، وقد أورده الراكعي صاحب كتاب اللجب في تاريخ أخبار المغرب ، ولم يرد في ديوان ابن زيدون .

قَوْمٌ - إِذَا هَجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا وُصِّلُوا - مَاتُوا ، فَإِنْ حَادَ مِنْ يَهُودِيَّتِهِ بُعِثُوا  
تَرَى الْمُجِبِّينَ صَرَغِي - فِي عِرَاصِهِمْ - كَفَنِيَّةِ الْكَهْفِ ، مَا يَذَرُونَ مَا لَبِثُوا

## ذكرى قرطبة

« وما قاله يشوق ابنه المهدي ومعاهده قرطبة ، وضمنها

بيت أبي الطيب - في أول قصيدته الكافورية :

« بم التعلل ؟ لا أهل ، ولا وطن ،

ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن ؟ »

قصيدة أولها (١) :

هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيبًا عَادَهُ شَجَنُ - مِنْ ذِكْرِكُمْ - وَجَفَأَ أَجْفَانُهُ الْوَسَنُ  
يُخْنِي لَوَائِحُهُ - وَالشَّوْقُ يَفْضَحُهُ - فَقَدْ تَسَاوَى - لَدَيْهِ - السَّرُّ وَالْمَلَنُ  
يَا وَيْلَتَاهُ ، أَيْبَى - فِي جَوَائِحِهِ - فَوَادُهُ ، وَهُوَ بِالْأَحْلَالِ مُرْتَهَنُ  
وَأَرَقَّ الْعَيْنِ - وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفُهُ - وَرَقَاهُ قَدْ شَفَّاهُ - إِذْ شَفَّنِي - حَزَنُ  
فَبِتْ أَشْكُو وَتَشْكُو - فَوْقَ أَيْكَتَيْهَا - وَبَاتَ يَهْفُو أَرْتِيَا حَا يَبْنَتَا الْغُصْنِ

\*\*\*

يَا هَلْ أَجَالِسُ أَقْوَامًا أُحِبُّهُمْ - كُنَّا وَكَانُوا - عَلَى عَهْدٍ - فَقَدْ طَعَنُوا  
أَوْ تَحْفَظُونَ عُهُودًا لَا أَضِيغُهَا - إِنَّ الْكِرَامَ - بِحِفْظِ الْعَهْدِ - تَمْتَحِنُ  
وَمِنْهَا :

إِنْ كَانَ حَادَ كُمْ عَيْدٌ ، قَرُبَ مَقَتِي - بِالشَّوْقِ قَدْ حَادَهُ - مِنْ ذِكْرِكُمْ - حَزَنُ  
وَأَفْرَدَتْهُ اللَّيَالِي - مِنْ أَحَبِّهِ - فَبَاتَ يَنْشِدُهَا - مِمَّا جَنَى الزَّمَنُ - :  
« بِمِ التَّعَلُّلُ ؟ لَا أَهْلٌ ، وَلَا وَطَنٌ ؟ وَلَا نَدِيمٌ ، وَلَا كَأْسٌ ، وَلَا سَكَنٌ ؟ »

(١) ذكرها كتاب المعجب في تاريخ أخبار الغرب ، ولم ترد في ديوان ابن زيدون .

رَسَائِلُ الرِّبِّ دُورِي أَخْبَارُهُ

وَشَعْرُ الْمَلِكَيْنِ

وَأَخْبَارُهُمَا



## الرسالة الهزلية (١)

أَمَا بَعْدُ أَيُّهَا الْمُصَابُ بِعَقْلِهِ ، الْمُرَوِّطُ بِجَهْلِهِ ، الْبَيِّنُ سَقَطُهُ ، الْفَاحِشُ  
غَلَطُهُ ، الْعَائِرُ فِي ذَيْلِ اغْتِرَارِهِ ، الْأَعْمَى عَنْ شَمْسِ نَهَارِهِ ، السَّاقِطُ - سُقُوطًا  
الذُّبَابِ - عَلَى الشَّرَابِ ، الْمُتَهَابِتُ - تَهَابَتِ الْفَرَاشِ (٢) - فِي الشَّهَابِ ، فَإِنَّ الْمُعْجَبَ  
أَكْذَبُ ، وَمَعْرِفَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ أَصَوَّبُ ، وَإِنَّكَ رَأَسْتَنِي مُسْتَهْدِيكَ - مِنْ صِلَتِي -  
مَا صَغِيرَتْ مِنْهُ أَيْدِي أَمْثَالِكَ ، مَتَصَدِّيًا - مِنْ خُلَّتِي - لِمَا قَرِعَتْ دُونَهُ أُنُوفُ (٣)  
أَشْكَالِكَ ، مُرْسِلًا خَلِيلَتِكَ مُرْتَادَةً ، مُسْتَعْمِلًا عَشِيقَتِكَ قَوَادَةً ، كَاذِبًا نَفْسَكَ  
أَنَّكَ سَتَنْزِلُ عَنْهَا إِلَيَّ ، وَتَخْلُفُ - بَعْدَهَا - عَلَيَّ :

« وَلَسْتُ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ (٤) »

\* \*

وَلَا شَكَّ أَنَّهَا فَلَتَنُكَ إِذْ لَمْ تَضَنْ بِكَ ، وَمَلَنُكَ إِذْ لَمْ تَقَرَّ عَلَيْكَ ، فَإِنَّهَا  
أَعْدَرَتْ فِي السَّفَارَةِ لَكَ ، وَمَا قَصَّرَتْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ ، زَائِمَةٌ أَنَّ الْمُرُوءَةَ لَفَقَطُ  
أَنْتَ مَعْنَاهُ ، وَالْإِنْسَانِيَّةَ أَمَمُ أَنْتَ جِسْمُهُ وَهَيْئُولُهُ (٥) ، قَاطِمَةٌ أَنَّكَ أَنْفَرَدْتَ

(١) الفخر ص « ٢٣٧ »

(٢) الفرائض معهود بأنه يطرح نفسه في النار يسترق ، قال الشاعر :

« هل أتم إلا الفراء شراً رأى الشهاب وقد تودع

عدداً ، فأحرق نفسه ولو اهدى يرشد الأعداء »

(٣) قرع الألف أي المعجز والدلة ، والعرب تقول لكف : « هو الفعل لا يقرع أخه » وقد قال

ابن زيدون في إحدى قصائده في « ص ٦٧ » : « وألف الفعل لا يقرع . »

(٤) البيت الثاني ، وهو من قصيدته المشهورة :

« إلام طماعية الماذل ولا رأى في الحب لعاقل

يراد من القلب نياتكم وتأيي الطباع على النازل »

والقصيدة معهوده فليرجع إليها القارئ في ديوانه إن شاء .

(٥) أصله وحقيقته .

بِالْجَمَالِ ، وَأُسْتَأْثَرَتْ بِالْكَمَالِ ، وَأُسْتَعْلِيَتْ فِي مَرَاتِبِ الْجَلَالِ ، وَأُسْتَوَلِيَتْ  
عَلَى عَاسِنِ الْخِلَالِ ، حَتَّى خَيَّلَتْ أَنَّ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَاسِنَكَ فَقَضَضَتْ  
مِنْهُ ، وَأَنَّ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ <sup>(١)</sup> رَأَتْكَ فَسَلَتْ عَنْهُ ، وَأَنَّ قَارُونَ <sup>(٢)</sup> أَصَابَ بَعْضَ  
مَا كَنْزَتْ ، وَالنُّطْفَ <sup>(٣)</sup> عَثَرَ عَلَى فَضْلِ مَا رَكَزَتْ ، وَكِسْرَى <sup>(٤)</sup> حَمَلَ قَاشِيَتَكَ ،  
وَقَيْصَرَ <sup>(٥)</sup> رَغَى مَاشِيَتَكَ ، وَالْإِسْكَندَرَ قَتَلَ دَارَا <sup>(٦)</sup> فِي طَاعَتِكَ ، وَأَرْذَشِيرَ <sup>(٧)</sup> جَاهَدَ  
مُلُوكَ الطُّوَائِفِ بِخُرُوجِهِمْ مِنْ جَمَاعَتِكَ ، وَالضُّحَّاكَ <sup>(٨)</sup> أَسْتَدْعَى مُسَالَمَتَكَ ، وَجَذِيْعَةَ

(١) امرأة العزيز مشهورة بمحبها يوسف الصديق وقصتها معروفة .

(٢) قارون : يضرب به المثل في الثراء والني ، وقد جاء في الكتاب الكريم : « وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ

مَا لَمْ يَمَالِكْهُ لِنُوءٍ بِالْمَعْبِئَةِ أُولَى الْقُوَّةِ . »

(٣) قالوا : إنما عن النطف بن حبيب بن حنظلة البرجمي ، وقد كاد مقبلاً بالبادية مع بني تميم ، وقد نهب  
أهوالاً كان أرساها كسرى إلى عامله وضمباً ومسكا ولآلئ ، فصر به للتل بما أصاب من ثروة طائفة ،  
قال بعض ولده :

«أبي الطيب الباري للشمس، أنى عريق في السباحة والمعال .»

(٤) كسرى : اسم يطلق على كل ملك من ملوك الفرس .

(٥) قيصر : اسم يطلق على كل ملك من ملوك الروم .

(٦) يعني الاسكندر الأكبر المقدوني وقاريحه مشهور ، و « دارا » هو ملك الفرس الذي انتصر

عليه الاسكندر وقتله . (٧) اسم ملك من ملوك الفرس .

(٨) الضحاك يزعمون أنه قتل « جشيد » - سيد الشعاع - وملك الأقاليم السبعة وأول من عمل السلاح  
واستخرج الابريص ، والفقر ، وأزيم أهل الفساد الأعمال الشائنة في قطع المذود ، واستخراج المادن .  
قالوا : وطال عمر « جشيد » وتغير ، وادعى الربوبية ، فخرج عليه الضحاك ، وتبعه خلق كثير من أمهائه  
« جشيد » فظفر به الضحاك ، فهرب « جشيد » بين يديه فظفر به الضحاك وأمر بنشره بمنشار ،  
وقال له : « إن كنت إلها فادفع عن نفسك »

ثم ملك الضحاك - فيما يزعمون - ومنى وتغير وجر ودان بدين البراهمة ، وكان - فيما يقولون - أول  
من غنى له ، وضرب الدراهم والدينار ، ولبس التاج ، ووضع العشور ، إلى آخر ما زعموه له .

الأبرش<sup>(١)</sup> تمنحني مُنَادَمَتَكَ ، وَنَعِيرِينَ قَدْ نَافَسَتْ بُورَانَ فَيْكَ<sup>(٢)</sup> ، وَبَلْقَيْسَ<sup>(٣)</sup>  
فَايَرَتِ الرَّبَاءَ عَلَيْكَ ، وَأَنَّ مَالِكَ بْنِ نُورَةَ<sup>(٤)</sup> إِنَّمَا أَرْدَفَ لَكَ ، وَعُرْوَةَ بْنَ جَعْفَرٍ<sup>(٥)</sup> إِنَّمَا  
رَحَلَ إِلَيْكَ ، وَكُثَيْبَ<sup>(٦)</sup> بْنَ رَيْبَعَةَ إِنَّمَا حَتَّى الْمَرْعَى بِعِزَّتِكَ ، وَجَسَّاسًا إِنَّمَا قَتَلَهُ

(١) جذية الأبرش ، قد سبق الإشارة إليه في « ص ٢٠٢ » فليخرج إليها من شاء .

(٢) شعيرين : هي زوجة كسرى أبروز ، وبوران هي ابنته ، وقد أشار المرى إلى شعيرين إشارة ظريفة في رسالة الغفران فقال :

ولو قالت شعيرين للملك لكسرى : « حملني الله هداهك » لحالته في ذلك - ونافسته ، وإن راتته وواظته ،  
على أنه أخذها من حال دينية ، لجلها في النعمة السنية ، وعنده - في ذلك - الأعباء ، وجرت لهم - في  
ذلك - قصص وأبناء ، وقيل له - فيما ذكر - :

« كيف تطيب نفس الملك لهذه المومس ؟ »

فصبر لهم المثل بالفرح ، جعل في الآء الشعر والدم ، وقال للحاضر :

« تحبب منك لشرب ما به ؟ » فقال : « إنها لا تطيب وهي بالأفحاس قطيب . »

فأراق ذلك القى ، وشغل وهدد وهاه ، وحمل فيه - من بعد - مداما . وعرضه على الندامي ، فكلمهم  
برش أن يشرب ، فقال : « هذا مثل شعيرين » .

(٣) بلقيس هي ملك بلاد سبأ ، وأزباء هي التي قتلها عمر بن عبدى وقتل أباهما جذية بن الأبرش ،  
وقد مر ذكره .

(٤) مالك بن نورة : من مشهورى فرسان العرب وشجعانهم في الجاهلية ، وقد أدرك الاسلام . قالوا  
وارتد وبنت أبو بكر خالد بن الوليد لقتال أهل الردة ، فكان إذا صبح قوماً لمح الأذن فإن سمعهم كف  
عنهم ، وإن لم يسمعهم قاتلهم إلى أن مرَّ بالبتاح وبه مالك وأصحابه ، فقبل إنهم لم يستمعوا أذاناً فقاتلهم ،  
وأثنى بحماك بن نورة أسيراً فأمر حاد بقتله . قالوا : واحتج قوم لحاد في قتله ، وطعن عليه آخرون في  
كلام طويل مشهور ، وقد رثاه أخوه متم رثاء الزائع ، وقد سمعه عمر فقال له زوددت لو رثيت أخى  
زيداً بمثل ملوثيت به أحاك ، فقال له متم : والله لو طلب أن أخى صار إلى ما صار إليه أخوك لم أرته ولم  
أحزن عليه ، ومن آيات متم التي سارت في رثائه مسير الأمثال قوله :

« وقالوا أتبكي كل قبر رأيته لغير نوى بين اللوى ، فالكلاك

قتلهم : إن الأسى يمت الأسى دعوى فهذا حكمة قبر مالك »

(٥) هروة بن جعفر - كان ينتدب إلى جعفر هو وأهل بيته ، وكان يرف بمروءة الرجال لرحلته إلى  
للولك ، وكان هو السبب في حرب الفجار المشهورة .

(٦) كليب بن ربيعة - هو رئيس الميخين من بكر وتغلب ، وقد بلغ من جبروته ونبيه أنه كان يحصى  
مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويقول وكذا وكذا في جوارى دلاتهاج ولا يورد أحد مع أبه ولا توجد  
نار مع ناره ، ولا يخفى في مجلسه ، ولا يحكم إلا بأذنه كما يدك على ذلك قول أخيه ملهبل في رثائه :

« نبئت أن النار - بمدك - أوقدت واستب - بمدك - يا كليب المجلس

بِأَنْفَتِكَ، وَمُتَهَلِّلاً<sup>(١)</sup> إِنَّمَا طَلَبَ ثَأْرَهُ بِهَيْبَتِكَ، وَالسَّمْوَلُ<sup>(٢)</sup> إِنَّمَا وَفَى عَنْ عَهْدِكَ،  
وَالْأَخْنَفُ<sup>(٣)</sup> إِنَّمَا أَحْتَجَى فِي بُرْدَتِكَ، وَحَاتِمًا<sup>(٤)</sup> إِنَّمَا جَادَ بِوَفْرِكَ، وَآقَى الْأَصْيَافَ

وتكلموا في - أمر كل عظيمة - لو كنت حاضر أسرهم لم ينسوا .

وقد قتل جساس بن مرة زوج أخت كليب ، وكان ذلك سبباً في حرب البسوس .

(١) مهلول بن ربيعة - هو أخو كليب والأخذ بثأره في حرب طوية فقتلنا شهرتها عن ذكرها .

(٢) السموءل - هو السموءل بن طايا ، وهو من يهودى يثوب ، ويضرب به التل - في الوفاء - بعد حادثته المشهورة مع امرئ القيس الذي أودع عنده وديعة ومضى ، وحلول المارث بن ظالم أن يأخذها من السموءل مائى ، ثم ظهر المارث بابنه ، فقال السموءل : إن لم تمنحني وديعة امرئ القيس قتل ابنك فأبى . فقتل المارث ابن السموءل وانصرف ، والسموءل هو صاحب اللامية المشهورة التي يقول في أولها :

« إذا للزء لم يدنس من الأؤم - عرضه وكل رداء يرتديه جيسل

ولان حولم يعمل على النفس - ضيها ، وليس - إلى حسن إنشاء - سبيل . »

(٣) الأخنف - هو الأخنف بن قيس ويضرب به التل في الحلم .

(٤) حاتم - هو حاتم الطائي وهو أشهر من ضرب به التل في الجود .

قالوا : « وأجواد العرب في الجاهلية ثلاثة :

« حاتم الطائي ، هرم بن سنان ، كعب بن مامة »

قالوا « وحاتم أشهرهم ذكراً » .

وقد أدرك مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - ومات قبل بيشه ، ومن مختار شعره قوله : -

« أحادل إن المال غسير غلظ وإث التي طارية مزود

وكم من جواد يحمي اليوم جوده وسأوى قد ذكرته أغفر في غد

وكم لي آباء ، فما كف حودهم ملام ، ومن أيديهم خلقت يدي . »

وقوله :

« لما الله صطلوكا مناه وحمه من العيش - أن باقى لبوسا ومطما

وقه صطلوك يساور حمه ويمضي على الأحداث - والهول - وما

إذا ملأوى يوماً مكارم أعرض تيم كبراهن ، ثم صدا . »

وقوله :

« أماوى إن المال غاد ورائع ويبقى - من المال - الأخذيث والذكر

أماوى ما يبنى التراث عن الفتى إذا حفرحت يوما وضاق به الصدر

أماوى إن يصح صدائى بفترة من الأرض - لأماء لى ولاحر

ترى أن ما أمليت لم يك ضررى وأن يدي - مما تملت - به صفر

وقد علم الأفوام لو أن حاتمًا أراد ثراء للمال كان له وفر

وأنى لا آلو - بمالى - صليحة ماؤله زاد وآخره دخر

غنيانا زمانًا بالصممك والنفى وكلا سقانا - بكاسيهما - الدهر

فا زادنا شيئاً - على فنى قرابتنا - غنانا ، ولا أزرى بأحساننا الفقر . »

بِشْرِكَ، وَزَيْدٌ<sup>(١)</sup> بَنُ مَهْلُلٍ إِنَّمَا رَكِبَ بِفَحْذَيْكَ، وَالسَّلْيُكَ<sup>(٢)</sup> بَنُ السَّلْكَةِ إِنَّمَا  
عَدَا عَلَى رَجُلَيْكَ، وَعَامِرُ بْنُ مَالِكٍ<sup>(٣)</sup> إِنَّمَا لَاعَبَ الْأَسِنَّةَ يَدَيْكَ، وَقَيْسُ<sup>(٤)</sup> بَنُ زُهَيْرٍ  
إِنَّمَا اسْتَمَانَ بِدِهَائِكَ، وَإِيَّاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ<sup>(٥)</sup> إِنَّمَا اسْتَضَاءَ بِمِصْبَاحِ ذِكَاكَ،

(١) زيد بن مهمل - أدرك الاسلام ، وكان فارساً مشهوراً ، بيد الميت ، وشاعراً تاهناً ، وكان  
يسمى زيد الخيل لكثرة ماكنه من الخيل ، لما أسلم سباه النبي - صلى الله عليه وسلم - زيد الخير .  
(٢) السليك بن السلكة جامل تميم ، وهو أحد صاليك العرب وأحد لصوصهم المدائين الذين كانوا  
لا يلبثون ، قال ابن الرومي في وصف شهر رمضان :

« يمشي الهويثا ، فأما حين يطلبنا فلا لكليك يدايه ولا لكلكة . »

(٣) عامر بن مالك - المشهور بلعاب الأسنة ، وأمه أم البنين المشهورة التي اختز بها ليد عند النعمان  
في قوله :

« نحن بى أم البنين الأربعة . »

(٤) قيس بن زهير - هو صاحب الحروب المشهورة بين عيس وذبيان بسبب الفرسين (داحس والنبراء)  
وكان يضرب به المثل في الغباء ، يقال : « أدعى من قيس . »

(٥) إياس بن معاوية - هو صاحب المراساة والأجوبة السيدة الزائفة ، وكان قاضي البصرة ، ويضرب  
به المثل في الذكاء . قال أبو تمام :

« أقدام عمرو في ساحة حاتم في حلم أخنفت في ذكاء إياس . »

قالوا : وكان سبب ولايته القضاء أن عمر بن عبد العزيز أرسل رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع  
بين إياس والقاسم بن أبي ربيعة ويولي القضاء أحدهما ، فجمع بينهما ، فكان كل منهما يمتنع من الولاية ،  
فقال إياس للشأى : « سل الحسن البصري عنى وعن القاسم ، وسل بن سيرين . » فلم القاسم أنه إن  
سأل عنهما أشارا به ، فقال للشأى : « لا تسأل عنه ، فوالله الذى لا إله إلا هو إن إياساً لأفصل منى  
وأعلم بالقضاء ، فإن كنت ممن يصدق ، فبئنى لك أن تصدق قولى ، وإن كنت كاذباً فما يحمل لك أن  
أن تولى القضاء وأنا كذاب » ، فقال إياس للشأى : « لك جئت برجل فأنت على شعير جهنم فأتدنى  
نفسه من النار يمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو من النار » فقال للشأى : « أما إذ فطنت لها فاني  
أريدك » فاستنضاه ، فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب . قالوا : « ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن  
البصري فبكى إياس وقال له : « بلغنى أن القضاء ثلاثة : رجل مال به الهوى فهو فى النار ، ورجل اجتهد  
فأخطأ فهو فى النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو فى الجنة » فقال الحسن « إن فيما قضى الله تعالى فى النبي  
داود ما يرد قول مولاي . » ثم قرأ قوله تعالى « فهمتاها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً »

لحمد سليمان ولم يذم داود ، وأخبره كثيرة مشهورة فى كتب الأدب ، فلا حاجة بنا إلى الاضافة .

وَسَحْبَانَ<sup>(١)</sup> إِنَّمَا تَكَلَّمْ بِلِسَانِكَ ، وَعَمَّرُوا<sup>(٢)</sup> بِنِ الْأَهْمِ . إِنَّمَا سَحَرَ بِيَدِيكَ ، وَأَنْ  
الصِّلَحَ - يَنْ بَكَرٍ وَتَقْلِبَ - ثُمَّ بِرِسَالَتِكَ<sup>(٣)</sup> ، وَالْحِمَالَاتِ - يَنْ عَبَسٍ وَذِيَانِ -  
أَسْنَدَتْ إِلَى كِفَالَتِكَ ، وَأَنْ أَحْيَا لِهَرَمٍ - لِمَلَقَمَةٍ وَعَامِرٍ حَتَّى رَحِيماً كَانَ ذَلِكَ عَنْ

(١) سحبان وائل - يضرب به التل في الفصاحة والبيان والقدرة على الخطابة ، أدرك الاسلام ومات سنة أربع وخمسين . قال الأمامي « وكان إذا خطب يسيل عرفاً ، ولا يمد كفة ، ولا يتوقف ، ولا يقدم حق يفرغ » قالوا : « وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم - سعيد بن عثمان - فطلب سحبان فلم يوجد في منزله فالتصّب - من ناحيته - اقتصاباً وأدخل عليه فقال : « تكلم » فقال : « انظروا لي عصا تحوم من أودى . » قالوا : « وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين . » قال : « ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه في يده . » فضحك معاوية وقال : « هاتوا عصا لجاءوا بها إليه فركلها برجله ولم يرضها . » وقال : « هاتوا عصاى » فأتوا بها فأخذها ، ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تتجج ، ولا سمل ، ولا توقف ، ولا ابتداء في ممن طرّج منه وقد بقي عليه منه شيء ، فما زالت تلك حتى أشار معاوية بيده ، فأشار إليه سحبان : ألا تطلع على كلامي ، قال معاوية « الصلاة » قال : « هي أملك ، ونحن في صلاة وتحميد ، ووعد ووعد » ، قال معاوية : « أنت أخطب العرب . » قال سحبان : « والعجم واليمن والاس »

(٢) عمرو بن الأهم - من سادات بني تميم وخطبهم في الجاهلية والاسلام ، وكان - لجلاله - يدمونه : « للسكيل » قالوا : « وودع على النبي - صلى الله عليه وسلم - هو والزريقان بن بدر فأسلموا وأكرمهما النبي - صلى الله عليه وسلم - » « صال النبي - صلى الله عليه وسلم عمرو بن الأهم عن الزريقان بن بدر بحضوره فقال عمرو : « مطاع في أديه ، شديد العارضة في قومه ، مانع لما وراء ظهره » .

قال الزريقان : « يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكنه حدى . » فقال عمرو : « أما والله لئن علمت ما قد علمت ، إنه زمن المروءة ، أحق الأب ، لثيم الحال ، ضيق العطن ، حدث القنى . » فرأى تنبيه النبي - صلى الله عليه وسلم - لما اختلف قوله ، فقال : « يا رسول الله لا تنضب ، لما وضعت قلت أحسن ما علمت ، ولما غضبت قلت أجمع ما علمت ، فوالله ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية . » فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن من البيان لحرأ . » وتوفي سنة ٥٧ هـ - ومن ما تروى حكيه قوله :

« أشجع الناس من رد جله بجله . » وقوله « أنت لخير لو كان شيء يشتري ما كان شيء . » وكان من العقل ، فالحجب لمن يشتري الحق بجماله فيدخله في رأسه فيبقي في جيبه ويصلح في ذيله . وكان من حرّم الخمر - على نفسه - في الجاهلية .

(٣) بكر وائل ابننا وائل - هم الذين أشعلوا حرب البسوس ، وقد دامت سنتين طوية قتل فيها قتلاء الحيين وأخبارها مشهورة .

إِشَارَتِكَ، وَجَوَابَهُ لِعُمَرَاءَ. وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ أَيُّهُمَا كَانَ يَنْفِرُ. وَقَعَ عَنْ إِرَادَتِكَ<sup>(١)</sup>، وَأَنَّ  
الْحَبَّاجَ<sup>(٢)</sup> تَقَلَّدَ وَلَايَةَ الْعِرَاقِ بِمَجْدِكَ، وَتُتَيَّبَةُ<sup>(٣)</sup> فَتَحَ مَآوِزَ النَّهْرِ بِسَعْدِكَ، وَالْمُهَلَّبَ<sup>(٤)</sup>  
أَوْ هَنْ شَوْكَةَ الْأَزَارِقَةِ بِبَيْدِكَ، وَفَرَّقَ ذَاتَ يَنْتُومَ بِكَيْدِكَ، وَأَنَّ هُرْمُسَ<sup>(٥)</sup>  
أَعْطَى بَلَيْنُوسَ<sup>(٦)</sup> مَا أَخَذَ مِنْكَ، وَأَفْلَاطُونَ<sup>(٧)</sup> أَوْزَدَ عَلَى إِرِسْطَطَالِيسَ<sup>(٨)</sup> مَا تَقَلَّ عَنْكَ،  
وَيَطْلَيْمُوسَ<sup>(٩)</sup> سَوَى الْإِمِصْطِرْلَابِ بِتَذْيِيرِكَ، وَصَوَّرَ الْكُرَّةَ عَلَى تَقْدِيرِكَ،

(١) يشير بذلك إلى عمر بن الخطاب حين قال لهرم بن قطبة بعد أن أسلم: «أيها كان الأفضل عندك  
يحيى طامراً وعقبة» قال: «لو قلت الآن فهذا كله أحداث الحرب بين الحيين». فأجيب بذلك القول  
عمر وسر من سياسته وبعد ظره وقال له: «بحق حكمتك العرب»

(٢) الحجاج - هو الحجاج بن يوسف الثقفي ولد سنة ٤١ ولما بالطائف، وولى الكوفة، واشتهر  
بسفك الدماء، وهو الذي حاصر مكة فيها عبد الله بن الزبير وضربها بالسجنيق (انظر ص ١٦ من كتاب  
مصارع الأعيان) وحروبه مع شيبة، وعبد الرحمن بن الأشعث مشهورة، وقد ذكرناها في مصارع  
الأعيان من (ص ٥٧ إلى ص ١١٥) فارجع إليها من شاء، وكان يعجب بسرعة الجواب، وله نوادر كثيرة  
في ذلك، قالوا: إنه قال ذات يوم لأحد بني يونس «مكرت في أمرك فوجدت دمعك وما لك حلالاً» قال:  
«أيها الأمير أشد ما في الفصية أن هذا الرأي بعد الفكر» فضحك وصفا عنه، وقالوا إنه أتى بقوم  
من أصحاب بن الأشعث فأمر بضرب أعناقهم، فقام رجل فقال: «أيها الأمير إن لي عندك يداً» قال  
«وما هي؟» قال «شدك رجل بمصرة ابن الأشعث فرددت عنك» فقال: «من يشهد لك؟» فأشار:  
«هذه» وأشار بيده إلى رجل منهم، قال: «صدق أيها الأمير» فقال «ما منك أن تفعل كما فعل؟» قال  
«بضئ لك»، قال الحجاج «أطلقوا هذا ليده عندما، وهذا لصدقه في مثل هذا الوقت» قال «الله  
ابن دينار: «والله لربما رأيت الحجاج يتكلم على المنبر ويذكر حسن صنعه إلى العراق وسوء صنعه له  
حتى يجيل إلى أنه مظلوم» وقال الحسن البصري «لقد وقفتي كلمة سمعتها من الحجاج» إن امرأاً ذهب  
ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول حسرتة.

(٣) قتيبة - هو قتيبة بن مسلم الباهلي نشأ في الرواية وولى الأمانة، وكان شجاعاً طامراً.

(٤) للمهلب - هو المهلب بن أبي صفرة وهو الذي يمزى إليه الفضل في القضاء على الحوارج (انظر  
ص ٩٢: ٩٧ من كتاب مصارع الأعيان)

(٥) هرمس - هو الذي يزعم نفر من الصائبة أنه نبي مرسل وأنه إدريس عليه السلام ويسندون إليه  
عرائهم في تعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر والغرب إليها بالذبايح وغيرها.

(٦) بليئوس - هو الذي تزعم الصائبة أن رسالة هرمس انتقلت من يده إليه.

(٧، ٨) أفلاطون وإرستطاليس - هما من أعلام فلاسفة اليونان وقادة الفكر المتأخرين.

(٩) بطليموس - هو صاحب كتاب المجسطى، والجغرافيا، والاسطرلاب وغير ذلك، وهو أول من

نمض ذلك والمهندسة.

وَبَقْرَاطٌ <sup>(١)</sup> عَلِمَ الْعِلَلَ وَالْأَمْرَاضَ بِلُطْفِ حِسِّكَ ، وَجَالِينُوسٌ <sup>(٢)</sup> عَرَفَ طَبَائِعَ  
الْحَشَائِشِ بِدِقَّةِ حَدْسِكَ ، وَكِلَاهُمَا قَلَدَكَ فِي الْعِلَاجِ ، وَسَأَلَكَ عَنِ الْمِرَاجِ ،  
وَأَسْتَوْصَفَكَ تَرْكِيبَ الْأَعْضَاءِ ، وَأَسْتَشَارَكَ فِي الدَّاءِ وَالْدَّوَاءِ ، وَأَنْتَ نَهَجْتَ  
لِأَبِي مَعْشَرٍ <sup>(٣)</sup> طَرِيقَ الْقَضَاءِ ، وَأَظْهَرْتَ جَابِرَ بْنَ حَيَّانَ <sup>(٤)</sup> عَلَى مِرِّ الْكِيمِيَاءِ ،  
وَأَعْطَيْتَ النِّظَامَ <sup>(٥)</sup> أَصْلًا أَذْرَكَ بِهِ الْحَقَائِقَ ، وَجَعَلْتَ لِلْكِنْدِيِّ <sup>(٦)</sup> رِشْمًا اسْتَخْرَجَ

(١) بقراط - علم من أعلام الطب واليونان .

(٢) جالينوس - من العلماء المتأخرين الذين كان لهم الفضل في تربية فن الطب ، وقد عرف خواص  
الحشائش ، وفاس أضرحتها وطبائنها ، وعرّح الأعضاء ، ووضع الكتب النفيسة في الطب .

(٣) أبو معشر : كان في أول أمره من أصحاب الحديث بيمداد ، وكان يشنع على الكندي الفيلسوف  
المعروف ويقرى العامة به - قالوا « منس له الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة فأحبها  
ثم عدل إلى أحكام الجوع طفت ومهر واقطع بذلك شره من الكندي لأنه من جنس علومه .

(٤) جابر بن حيان - من أعلام العلماء العرب في الكيمياء .

(٥) النظام - إمام من أئمة المعتزلة ، وكان آية في الذكاء من صغره . قالوا : إنه جاء إلى الحليل بن  
أحمد ليمله ، فقال له الحليل يمتحنه وفي يده قبح زجاج : « يا بني صف لي هذه الزجاجة » قال : « أجمع  
أم بدم » قال « بدم » قال « تريك الفذى ، ولا تقبل الأذى ، ولا تستر ما وراءها » قال « فذمها » قال  
« يسرع إليها السكير ، ولا تقبل الحبر » قال « صف لي هذه النحلة » وأوماً إلى نحلة في داره . قال  
« بدم أم ذم ؟ » قال « بدم » قال « حلو جناها ، يأسق شتها ، فاضر أعلاها » قال « فذمها » قال  
« صبة المرتقى ، بيعة المجنى ، عفوة بالأذى » قال الحليل « يا بني نحن إلى التلم ملك أسوج » ثم اشتل  
على أبي الهذيل الملاط بمذهب الكلام إلى أن برع وظهر في أيام العتصم وتبعه خلق كثير - وحكى عنه قال  
« مات لصالح بن عبد القدوس ولد ، فعفى إليه أبو الهذيل والنظام معه وهو غلام حدث كالتعب له مرآة  
عمرناً ، فقال أبو الهذيل « لأعرف لجرنك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزروع » فقال صالح « يا أبا الهذيل  
إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك » فقال أبو الهذيل « وما كتاب الشكوك ؟ » قال « كتاب  
وضعت من قرأه شك بما كان حق يوم أم لم يكن ، وفيما لم يكن حق بطل أنه قد كان » قال له النظام  
« فشك أنت في موت ابنك ، وأعمل على أنه لم يمت وإن مات ، وشك أيضاً في أنه قد قرأ هذا الكتاب  
وإن لم يكن قرأه » ظهر صالح وكان من مذهب السوسطانية فاتهم يزعمون أن الأشياء لا حقيقة لها ،  
وإن ما نسبته يجوز أن يكون على ما نشاهده ، ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده ، وأن حل اليقنان كحل  
النائم ، وتوفي سنة ٢٢١ هـ وسنة ست وثلاثون سنة .

(٦) الكندي - يعقوب الكندي من كبار فلاسفة الاسلام - اشتل إلى بغداد واشتل بفن الأدب ،  
ثم بعلوم الفلسفة - وحل مشكلات الأوائل وله مؤلفات رائعة - وهو مشهور بالبدل ، وكان يقول : من  
شرف البذل أنك تمول للسائل « لا » ورأسك مرفوع إلى فوق ، ومن ذل المطاء أنك تمول « نعم »



بِهِ الدَّقَاتِ ، وَأَنَّ صِنَاعَةَ الْأَلْحَانِ اخْتِرَاعُكَ ، وَتَأْلِيفُ الْأَوْتَارِ وَالْأَنْقَارِ تَوَلِيدُكَ  
وَأَبْنِدَاعُكَ ، وَأَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى <sup>(١)</sup> بَارِي أَقْلَامِكَ ، وَصَهْلُ <sup>(٢)</sup> بَنِّ هَارُونَ مَدُونُ  
كَلَامِكَ ، وَعَمْرَوُ بْنُ بَجْرٍ <sup>(٣)</sup> مُسْتَمْلِكُكَ ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ <sup>(٤)</sup> مُسْتَفْتِيكَ ، وَأَنْتَ الَّذِي  
أَقَامَ الْبَرَاهِينَ ، وَوَضَعَ الْقَوَانِينَ ، وَحَدَّ الْمَاهِيَةَ ، وَبَيَّنَّ الْكَيْفِيَّةَ وَالْكَمِّيَّةَ <sup>(٥)</sup> ،

وَأَنْتَ مَثِيرٌ بِرَأْسِكَ إِلَى أَسْفَلَ ، وَمَوْثِقَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا ( أَسْمَاءُ الْعَمَلِ الْإِنْسِي ) وَكُتَابُ ( الْجَوَامِعِ الْفِكْرِيَّةِ )  
وَكُتَابُ ( الْفَلَسَفَةِ الْأُولَى ) وَغَيْرُهَا .

( ١ ) هبة الحميد بن يحيى - هو عبد الحميد بن سعيد الكاتب المشهور ، وكان يقال « بدأت الكتابة بعد  
الحميد ، وختمت ببن العميد » ، وكان وأول نسله معلم صبيان بالكوفة ، فلما اتصل بـروان الجمدي قبل أن  
يصل إلى الخلافة صحبه وانقطع إليه فلما جاء الأمر بالخلافة سجد مروان وأصحابه لإعبد الحميد ، فقال له مروان  
« لم لم أجد » فقال « ولم أسجد على أن كنت ممنا فطرت هنا يسمى الخلافة » فقال « إذن فطير ممى »  
قال « الآن طالب السجود » وسجد وطل كاتب مروان طول خللاته .

( ٢ ) سهل بن هارون - من أهل نيسابور - رحل إلى البصرة فاسب إليها وكان شحموييا ، واشتهر  
بالجل . قال الجاحظ : أتى رجل مهمل بن هارون فقال : « هل لي ما لا ضرر به عليك » قال : « وما  
هو يا أخي ؟ » قال : « درهم » قال : « لقد هوأ الدرهم وهو طائع الله في أرضه لا يهوى ، وهو  
عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف عشر دية المسلم ، ألا ترى إلى أين  
انتهى الدرهم الذي وهبته ، وهل يبيت الأموان إلا درهم على درهم » قال : « فاحرف الرجل ولولا  
انصرامه لم يكت » وحكي دجل الخزامى قال : « أقبا يوما عند سهل بن هارون وأخذنا الحديث حتى أضر  
به الجرع فعدا ببدائه فأنى بصحفة فيها مرق غره ديك هرم فأحسد كسرة وتغدد ما في الصحفة فلم يحد  
رأس الديك ففقي مطرأ ثم قال لاسلام : « أين الرأس ؟ » قال : « رميت به » قال : « ولم ؟ » قال :  
« لم أطك تأكله » قال : « ولم طلت ذلك : هو الله إلى لأمت من يرى برحله ، فكيف برأسه ؟ والرأس  
رئيس يتقال به ، وفيه الخواص الجنة ، ومنه صبيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه رقة الذي  
يجرك به ، وعينه التي يضرب شعاعها المثل ، ودماغه عجيب لوجع الكلبة ، ولم أر عينا قط أمش من رأسه  
فإن كان بلغ من خلك أن تأكله بعدنا من يأكله ، أما طلت أنه خير من طرف الحماح والساق ،  
انظر أين ربه فقال : « والله ما أدري » قال : « لكى أدري أنك رميته في بطنك » .

( ٣ ) عمر بن بحر - ذو الكاتب المشهور ويكنى بأبي عثمان ويعرف بالجاحظ وهو من يفخر به البيان  
المرى حتى نبيل : « مما فضل الله به أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على غيرها من الأمم : عمر بن الخطاب  
في سياسته ، والحسن العصري في علمه ، والجاحظ في بيانه » - نشأ ببغداد وتلمذ على الزنهام واتفرد  
بحسن البيان والفصاحة ، وأجاره مشهورة في كتب الأدب فلا داعي للإفاضة فيها -

( ٤ ) مالك بن أنس - هو صاحب المذهب المشهور .

( ٥ ) الماهية - ماهية الشيء . ما يحصل في الدهن من صورة كناية مطابقة له بعد حذف الشخصيات عنه إن  
كان حزنياً . قالوا : وهي أحد حدود العلم عند الحكماء . قال العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام . علم ( ما ) وعلم

وَنَاطَرَ فِي الْجَوْهَرِ وَالْعَرَضِ<sup>(١)</sup>، وَمَيَّزَ الصَّحَّةَ مِنَ الْمَرَضِ، وَفَكَ الْمُسَمَى<sup>(٢)</sup>، وَفَصَلَ  
بَيْنَ الْأَنْثَمِ وَالْمُسَمَى، وَصَرَفَ وَقَسَمَ، وَعَدَّلَ وَقَوَّمَ، وَصَنَّفَ الْأَنْثَاءَ وَالْأَفْعَالَ،  
وَبَوَّبَ الظَّرْفَ وَالْحَالَ، وَبَنَى وَأَعْرَبَ، وَتَنَّى وَتَمَجَّبَ، وَوَصَلَ وَقَطَعَ،  
وَتَنَّى وَجَمَعَ، وَأَظْهَرَ وَأَضَمَرَ، وَاسْتَفْهَمَ وَأَخْبَرَ، وَأَهْمَلَ وَقَيَّدَ، وَأَرْسَلَ وَأَسْتَدَّ،  
وَبَحَثَ وَنَظَرَ، وَتَصَفَّحَ الْأَدْيَانَ، وَرَجَّحَ بَيْنَ مَذْهَبَيْ مَانِي وَغِيلَانَ<sup>(٣)</sup>، وَأَشَارَ  
بِذَنْجِ الْجَعْدِ<sup>(٤)</sup>، وَقَتَلَ بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ، وَأَنْتَكَ لَوْ شِئْتَ خَرَفْتَ الْعَادَاتِ، وَخَالَفْتَ  
الْمَعْهُودَاتِ، فَأَحْلَتَ الْبَحَارَ عَذْبَةً، وَأَعَدَّتْ السَّلَامَ رَطْبَةً<sup>(٥)</sup>، وَتَقَلَّتْ غَدَاً فَصَارَ

(كَيْفَ) وَعَلِمَ (كَمْ) . فاعلم الذي طلب منه ماهيات الأشياء هو العلم الالهي ، والذي يطلب منه كليات الأشياء هو الطبقي ، والذي يطلب منه كليات الأشياء هو الرياضي .

(١) الجوهر والعرض : الجوهر - فيها يقولون - هو الجسم ، كالإنسان والعرض والمحر وشو ذلك . والعرض الحال وانصب للمتابع عليه كالألوان من يابض ، وسواد وحمرته ، والحركات المختلفة من قيام وقعود وانسطجاع ، وجميع ما هذا الجوهر فاسم العرض واقع عليه .

(٢) وك المسمى - وهو الغمز ، أوجع إلى « ص ٢٨٤ »

وكان الجاحظ يقول « ليس للمسمى شيء قد كان كياناً مستقلاً أبى عيدة يسمع خلاف ما يقال ، ويكتب خلاف ما يسمع ، ويقرأ خلاف ما يكتب ، وكان أعلم الناس باستخراج المسمى - هلوا : « وكان النظم على قدرته على أسفاف الملوم - لا يقدر على استخراج أحف ما يكون من المسمى .

(٣) ماني وغيلان - ماني هو الذي تمسب إليه المانوية وهو شوى - نسبة إلى الأنا - بل سرعه أن صانع العالم اثنان ، أحدهما فاعل الخير وهو النور ، والآخر فاعل الشر وهو الظلمة ، وهما قديمتان لم يزلوا ولي يزالا حساسين سميين بصيرين وهما مختلفان في النفس والصورة ، متضادان في الفعل والديور ، فجوهر النور فاعل حسن وير نفسه خيرة قديمة قناعة . منها الخير والنور والصلاح وليس منها من الشر شيء ، وجوهر الظلمة على ضد ذلك جميعه ، وقد أشار المتنبي إلى هذا المنصب بقوله :

« وكم لطام الليل ضدك من يد تخبر أن المانوية تكذب . »

وكان ماني راهباً بخران . قالوا : « وكان مؤمناً بالمسيح ممظاً من أسانفة الصاري ، ثم وشى به حاسدوه فأحدث ديناً ودعا إليه وتبعه كثير من الجوس .

وغيلان هو ابن يونس القندري البمشقي . قالوا كأن أبوه مولى لعمان بن عفان ، وكان غيلان أول من تكلم في القدر ، وخلق القرآن في الإسلام في رأى بعض المؤرخين .

(٤) الجعد - هو مولى بنى الحكم وكان يعلم مروان بن محمد الجهمي ويقطن دمشق ويسب إليه بعض المؤرخين أنه أول من تكلم بخلق القرآن .

(٥) السلام : المجارة الصلبة .

أَمْسَا ، وَزِدْتَ فِي الْمَنَاصِرِ فَكَانَتْ خَمْسًا <sup>(١)</sup> ، وَأَنْتَ الْقَوْلُ فِيهِ :

« كُلُّ الصَّيْدِ <sup>(٢)</sup> فِي جَوْفِ الْفَرَا . » وَ

« لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ <sup>(٣)</sup> . »

وَالْمَعْنَى بِقَوْلِ أَبِي نَعْمَانَ :

« قَلَّ صَوْرَتَ نَفْسِكَ لَمْ تَرِدْهَا - عَلَى مَا فِيكَ - مِنْ كَرَمِ الطَّبَاجِ . »

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

« ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أُنْيَاتِهَا . »

فَكَدَمْتَ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ <sup>(٤)</sup> ، وَاسْتَسَمَنْتَ ذَا وَرَمٍ <sup>(٥)</sup> ، وَتَفَخْتَ فِي غَيْرِ صَرَمٍ <sup>(٦)</sup> ،

وَلَمْ تَجِدْ لِرِيحٍ هَزًّا ، وَلَا لِشَفْرِةٍ مَحْزًّا ، بَلْ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ،

(١) العناصر : هي في رأى القدماء أربعة : النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .

(٢) كل الصيد في جوف الفرا - مثل يضرب في وصف الشيء الذي على غيره قالوا : « وأصله أن قومًا خرجوا للصيد فصاد أحدهم طليًا وآخر أرنبا وآخر فرا ، وهو الحمار الوحشي ، فقال لأصحابه : كل الصيد في جوف الفرا - يعنى أن جميع صيدهم يسير في جيب ما صدته ، وروى بعضهم أن الفرا اسم واد كثير الصيد وهو قول مردود ، وأما قول الشاعر :

« وواد يكجوف المير قمر قطعتة »

فليس من هذا وإنما أراد الوادى المعروف بجوف حمار ، وحمار اسم وحل قديم كان في واد خصيب فظلم عشيرته ، فأرسل الله عليه نارا فأحرقت وأحرق الوادى ظلا وسكتة الجن فقبل : أحلى من جوف حمار ، وحجب يوما أبو سفيان بن حرب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أذن له فقال : « يا رسول الله أكرمت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجاهلين » فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا أبا سفيان

كل الصيد في جوف الفرا » . (٣) هذا البيت من قصيدة لأبي نواس في مدح الفضل بن يحيى .

(٤) كدمت في غير مكدم - عصمت في غير موضع للعص ، وهذا المثل يضرب لمن يطلب ما يسير عنه .

(٥) في هذا إشارة إلى قول الشاعر :

« ملو نارا نقت بها أضواء ولكن أنت تفتح في رماد »

لقد أسمت - لو ناديت حيا - ولكن لا حياة لمن تنادى . »

(٦) يشير إلى قول النبي لسيف الدولة معرضاً بأبي فراس :

« أعينها نظرات منك صادقة أن تحسب للشحم فين له ورم . »

وَتَحَنَّنْتَ الرَّجُوعَ بِخُفْيِ حُنَيْنٍ<sup>(١)</sup> ، لِأَنِّي قُلْتُ :

« لَقَدْ هَانَ<sup>(٢)</sup> مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ . » وَأَنْشَدْتُ :

« عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ<sup>(٣)</sup> ، »

وَنَحَزْتُ<sup>(٤)</sup> وَبَسَرْتُ<sup>(٥)</sup> ، وَعَبَسْتُ فَكَفَرْتُ ، وَأَبْدَأْتُ وَأَعَدْتُ ، وَأَبْرَقْتُ

وَأَزَعَدْتُ<sup>(٦)</sup> وَهَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي ، وَلَوْلَا أَنْ لِلْجَوَارِ ذِمَّةً ،

وَاللِّضَافَةِ حُرْمَةً ، لَكَانَ الْجَوَابُ فِي قَذَالٍ<sup>(٧)</sup> أَلْهُمُسْتُ<sup>(٨)</sup> ، وَالنَّمْلُ<sup>(٩)</sup>

(١) خي حنين - مثل يضرب لمن يرجع بالحيلة - وكان حينئذ هما يقولون إسكافا من أهل الحيرة ساومه أهراب بجنتين ولم يشد منه شيئاً فطافه ذلك فخرج عليه وعلق أحد الحفبين على شجرة في طريقه وتقدم قليلاً وطرح الآخر وكن ، فجاء الأهرابي فرأى أحد الحفبين فوق الشجرة ، فقال « ما أشبه هذا بجنف حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه » ثم تقدم قليلاً فرأى الحف الآخر مطروحاً فزل وعقل بغيره فأخذه ورجع ليأخذ الأول فخرج حنين من للسكن وأخذ بغيره وذهب ورجع الأهرابي إلى أخيه بجني حنين .

(٢) لقد هان من بالت عليه الثعالب - شطر بيت هو :

« أرب يبول الثعلبال برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب . »

قاله رجل من بني سليم كان يبد صنماً ، فرأى ذات يوم ثعلباً يبول على الصنم فكسره وأنشد هذا البيت وذهب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسلم .

(٣) البيت لأبي تمام من قصيدة رثاء ، منها قوله :

وقلت : « أحمي » قالوا « أغذوقابة » ؟ فقلت لهم : « إن الشكول أغارب »

وإن باعدتنا في الأصول المناسبي

عجت لصبري منه - وهو ميت - وكنت اسره أبكى دماً وهو قائم

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب .

(٤) نحزت - التخير صوت الألف عند الضبط .

(٥) والبسر - الاستصحاب بالقياس قبل أوانه . وهو في قوله تعالى : « حبس وبسر » منناه أظهر

البوس قبل أوانه . (٦) الأبراق والأرصاد - كناية عن التيهيد وأصلها من البرق والرعد . قال الشاعر :

« قتل النساء : أروعى وأبرق فانا وصلنا إلى المنزل . »

(٧) أي لفعلت بهذه المرأة التي أرسلتها رسولاً من قبلي - لولا حرمة الصيافة - فذل سيف الدولة بالدمستق ،

وهو لقب يطلق على كل قائد من قواد جيش الروم ، وقد حرمه سيف الدولة وأشار للنبي إلى ذلك بقوله :

« وكنت إذا كاتبته قبل هذه ككبت إليه في قذال الدمستق . »

(٨) مثل نظيره العرب وقد ضمنه أحد الشعراء قوله :

« إن هانت العرب عدنا لها وكانت النمل لها حاضرة . »

حَاضِرَةٌ إِنْ عَادَتِ الْعُقُوبَةُ مُمَكِّنَةً إِنْ أَصَرَ الْمَذْنِبُ ، وَهَبَهَا لَمْ  
تُلَاحِظْكَ بِعَيْنٍ كَلِيلَةٍ عَنْ عُيُوبِكَ ، مَلُوهَا حَبِيبُهَا <sup>(١)</sup> ، حَسَنٌ فِيهَا <sup>(٢)</sup> مَنْ تَوَدُّ  
وَكَانَتْ إِمَامًا حَلَّتْكَ بِحُلَاكَ ، وَوَسَمَتْكَ بِسِمَاكَ ، وَلَمْ تُعِرْكَ شَهَادَةً ، وَلَا  
تَسَكَّلَتْ لَكَ زِيَادَةً ، بَلْ صَدَقَتْ مِنْ بَكْرِهَا فِيمَا ذَكَرْتُهُ عَنْكَ ، وَوَضَعَتْ  
الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقَبِ <sup>(٣)</sup> بِمَا نَسَبْتُهُ إِلَيْكَ ، وَلَمْ تَكُنْ كَاذِبَةً فِيمَا أَثْنَيْتَ بِهِ  
عَلَيْكَ ، فَلَمَعِيدِي <sup>(٤)</sup> تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ :

هَجِينُ الْقَدَالِ <sup>(٥)</sup> ، أُرْعَنُ <sup>(٦)</sup> السَّبَالِ ، طَوِيلُ الْعُنُقِ وَالْعِلَاوَةِ <sup>(٧)</sup> ، مُفْرِطُ الْحُمُقِ  
وَالنَّبَاوَةِ ، جَانِي الطَّنْعِ ، سَيِّئُ الْجَابَةِ وَالسَّمْعِ ، بَيْضُ الْهَيْئَةِ ، سَخِيفُ الذَّهَابِ  
وَالْجَيْئَةِ ، ظَاهِرُ الْوَسْوَاسِ ، مُتَنِّئُ الْأَنْفَاسِ ، كَثِيرُ الْمَعَايِبِ ، مَشْهُورُ الْمَثَالِبِ :

(١) إشارة إلى قول ابنهون :

« أُمَاكِ إِحْلَالًا ، وَمَاكِ قُدْرَةً عَلَى ، وَلَكِنْ مَلَّ عِبْرَ حَبِيبِهَا . »

(٢) في هذا إشارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

وَلَقَدْ قَالَ لَجَارَاتِهَا وَفُتِرَتْ - فَاتِ يَوْمٍ - تَرْدُ

أَكْمَا يَمْنَى تَعْرِى - عَمَرَكَ اللَّهُ - أَمْ لَمْ يَتَصَدَّقْ؟

فَتَصَاحَكْنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا : « حَسَنٌ فِي كُلِّ مَبْنَى تَوَدُّ . »

(٣) الهناء : القطران ، والنف : الجرب ، وهذا المثل يعرب لمن يصعب الأمور في مواسمها ، وهو نصف

بيت لدريد بن الصمة في الحساء وهو :

« مَتَدَلَا تَبْهَوُ عَاسَهُ يَصْعُ الْهَنَاءُ مَوَاضِعَ النُّقَبِ . »

(٤) مثل يعرب لمن يكون شعره خيراً من منظره . فله التمتع لشقة بن مسرة ، وكان يعجبه ما يسمع

منه ، فلما رآه استدري منظره ، فقال للتمتعان : لأن تسمع بالمعدي خير من أن تراه .

فقال له : « أَمَتِ أَشْيَ إِنْ الرِّجَالُ لَيْسُوا بِمَجْرُورٍ ، وَإِنَّمَا يَعْشَى الْمَرْءُ مَأْسُورِيهِ بِلَبِّهِ وَلِسَانِهِ . »

(٥) القدال - جماع مؤخر الرأس ، وهجين اقتدال : أي خسيس الأصل . ملوا : « لأن الذي يعرف

لؤم نسيه إذا ولي طأطأ رأسه حياء ودلا ، فكان الأوم يتبين من فذاله » وقيل « بل لكثرة انهزامه

في الحروب . »

(٦) أوعن : أجمع ، والسال : جمع سبه وهي شعرة الشفة العليا وخست الرعونة بالأنها علامة الرجل .

(٧) العلاوة - الرأس مادام على العنق ، وفي العراصة أن طول العنق والرأس من دلائل الخفاة .

كَلَامَكَ تَحْتَمُّ ، وَحَدِيثُكَ غَمَمَةٌ ، وَيَا نَاكَ فَهَمَةٌ ، وَضَحِكُكَ فَهْمَةٌ <sup>(١)</sup> ،  
وَمَشِيكَ هَزْوَةٌ ، وَغِنَاكَ مَسْأَلَةٌ ، وَدِينُكَ زَنْدَقَةٌ ، وَعِلْمُكَ مَحَرَقَةٌ <sup>(٢)</sup> .  
«مَسَاوِي لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْغَوَايِي - لَمَا أُتِرْنَ إِلَّا بِالْأَطْلَاقِ <sup>(٣)</sup>»

حَتَّى إِنْ بَاقِلًا <sup>(٤)</sup> مَوْصُوفٌ بِالْبَلَغَةِ إِذَا قُرِنَ بِكَ ، وَهَبْتَقَةٌ <sup>(٥)</sup> مُسْتَوْجِبٌ لِاسْمِ  
الْمَقْلِ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْكَ ، وَطَوْبَسًا <sup>(٦)</sup> مَا ثَوَّرَ عَنْهُ يُمْنُ الطَّائِرِ إِذَا قَبِسَ عَلَيْكَ ،  
فَوْجُودُكَ عَدَمٌ ، وَالْأَغْبِيَاطُ بِكَ نَدَمٌ ، وَالْحَيَّةُ مِنْكَ ظَفَرٌ ، وَالْجَنَّةُ مَمَكَةٌ  
سَقَرٌ ، كَيْفَ رَأَيْتَ لَوْ مَكَ لِكَرْبِي كِفَاءً ، وَضَمَّتْكَ لِشَرَفِي وَفَاءً ، وَأَنْتَى  
جَهَلْتِ أَنَّ الْأَشْيَاءَ إِنَّمَا تَنْجَذِبُ إِلَى أَشْكَالِهَا ، وَالطَّيْرُ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى الْأَفْهَامِ ،  
وَهَلَّا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ لَا يَجْتَمِعَانِ ، وَشَعَرْتَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ

(١) دال الحاحط - التهمة : التردد في الباء ، وأما مأه : التردد في الفاء ، والعملة : البواء السان عند  
إرادة الكلام ، والحسنة لعمد الكلام ، والوقف : إدخال حرف في حرف ، والزمه جمع الكلام ، فأذا  
حاء منه بشيء الفصل ، وقيل العجبة به ، والمنة ألا يعدل من حرف إلى حرف ، والمنة أن يشرب الحرف  
صوت الحيشوم والمنة أشد منها ، والاسكة أن يمتدح الكلام حرف أعجى ، والطمطمة أن يكون  
الكلام شبيها بالمعنى .

وأما القدمة فهي أن يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف - المعهنة : التي في الطاق ، والمعنهنة :  
الضحك الشديد يستدلون به على قوة العمل .

(٢) الهزولة : بين المني والعدو ، والمسألة : المقر ، والمحرمة : نوع من الحرق ، الذي هو ضد الرق ،  
ومنه يقال : المحرق وهو شيء يلبس به كأنه يخرج لأطهار الشيء بجلاله .  
(٣) البيت لأبي تمام . (٤) باقل : مضرب للتل في المي .

(٥) هبة : مضرب للتل في الحلى وضبط العقل - قولوا : هجوع قدحاً في هقه علامة لعمه لثلا يضيح  
قالوا : وراقه أخوه إلى أن نام ، فأخذ المقد من هقه وجعل في هقه نفسه ، فلما انبته هبة ورأى أخاه ،  
قال « أنت أنا ، وأنا ياترى ، من هو أنا » وهو جاهلي .

(٦) اللقى الماحس المشهور ، وكان يسكن المدينة ، وهو أول من غي بها تلى الدف بالمعربة ، وبضرب به  
الثل في الشؤم ، لأنه ولد يوم مات النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وولد يوم مات أبو بكر ، وحين يوم  
فل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وكانت أمه تسمى بالنيمة بن لنا ، الأنصار ، وتوادر شؤمه كثيرة  
مشهورة في كتب الأدب .

لَا يَتَقَارَبَانِ ، وَقُلْتُ : « الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ لَا يَسْتَوِيَانِ » وَتَمَثَّلَتْ <sup>(١)</sup> :

« أَيُّهَا النُّسُكُ الثَّرَيَّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ ؟ »

وَذَكَرْتُ أَنِّي عَلِقْتُ لِأَيُّعٍ <sup>(٢)</sup> يَمُنُّ زَادَ ، وَطَارَتْ لَا يَصِيدُهُ مَنْ أَرَادَ ، وَغَرَضُ  
لَا يُصِيدُهُ إِلَّا مَنْ أَجَادَ . مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا كُنْتَ قَدْ تَهَيَّأْتَ لِلْتَّهْنَةِ ، وَتَرَشَّحْتَ  
لِلْتَّرْفِيَةِ ! وَلَوْلَا أَنْ جُرَحَ الْعَجْمَاءُ جُبَارُ <sup>(٣)</sup> ، لَلَقِيتَ مِنَ الْكَوَاعِبِ مَا لَاقَى  
يَسَارُ <sup>(٤)</sup> ، فَمَا هُمْ إِلَّا يَبْعُضُ مَا بِهِ تَهَمَّتْ ، وَلَا تَعْرِضُ إِلَّا لِأَنْتَرِ مَالَهُ  
تَعَرَّضْتَ ، أَيْنَ ادَّعَاؤُكَ رِوَايَةَ الْأَشْعَارِ ، وَتَعَاطِيكَ حِفْظَ السَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ ؟  
أَمَّا قَابَ إِلَيْكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

« بُوْدَارِمِ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ وَتُنْكَحُ فِي أَكْفَائِهَا الْحَبِطَاتُ ؟ »

(١) البت لمصر بن أبي ربيعة ، وعمره الله بالنسب إليها لأنه لم يرد القسم ، وإنما أراد سألت الله أن يطيل عمرك ( بالفتح ) أي حياتك ، وبهذه قوله :

« هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقبل يماي . »

(٢) العلق : النخس وهو من قصبة للعرث بن فطال التميمي كانت له فرس اسمها - سكاب - فأراد بعض ملوك اليمن أخذها منه فهرب بها وقال :

« أبيت اليمن إن سكاب علق نخس لا تمار ولا تباغ »

مفسدة معكرة عاينا تباغ لها المبال ، ولا تباغ

فلا قطع أبيت اليمن فيها ومنعكها شيء مستطاع . »

(٣) العجماء : البهيمة ، والحبار : الحمر ، وللمي : أن البهيمة إذا جرحت لأدية لها ولا فاص ، وهو مثل يضرب ، لمن يستهان به .

(٤) يسار : اسم عبد صميم أسود كان النساء يرينه فيضحكن منه لبعده وعيبيهن لفته  
محببات به حتى نظرت إليه بنت مولاة فضحكت فظن أنها رضيت له ، فقال لصاحبه له أسود : « قد  
وافت صفتي مولائي ، فلا زودنها إليه » فقال له صاحبه « يا يسار ، اشرب لبن العشار ، وكل لحم الحوار  
وليك وبنات الأحرار » فقال له « وافت مارأني حرّة إلا صفتني » فلما أمسى قال لصاحبه « احفظ على  
الابل حتى أصرف ، وأعود إليك » فنها فلم يته حتى دخل على بنت مولاة براودها من نفسها ، فقالت  
له « مكاك فان الحرائر طيباً ، أشمك إياه » فقال لها « ما به » فأنته بطيب وموسى فاطمة ، فأشمت  
الطيب ، ثم أعتت بالوسى على منه قططته ، فخرج هارباً حتى أتى صاحبه ودمه يسيل ، فضرب به المثل .

وَهَلَّا صَبِيتَ وَلَمْ تَنْتَرِي؟ وَمَا أَشْكُ أَنْكَ تَكُونُ وَافِدَ الْبَرَاجِمِ<sup>(١)</sup>، أَوْ  
تَرْجِعُ بِصَحِيفَةِ الْمُتَلَسِّسِ<sup>(٢)</sup>، أَوْ أَفْعُلُ بِكَ مَا فَعَلَهُ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ بِالْجَاهَنِيِّ،  
إِذَا جَاءَهُ خَاطِبًا فَدَهَنَ أَسْتَهُ بِزَيْتٍ وَأَذْنَاهُ مِنْ قَرِيَةِ النَّعْمَلِ، وَمَتَى كَثُرَ تَلَاقُنَا  
وَاتَّصَلَ تَرَائِينَا، فَيَدْعُونِي إِلَيْكَ مَا دَعَا ابْنَةَ الْحَسَنِ إِلَى عَبْدِهَا مِنْ طُولِ السَّوَادِ<sup>(٣)</sup>،  
وَقُرْبِ الْوَسَادِ؟ وَهَلْ فَقَدْتُ الْأَرَاقِمَ<sup>(٤)</sup> فَأَنْكِسِحَ فِي جَنْبِ<sup>(٥)</sup>؟ أَوْ عَصَلَنِي  
هَمَامُ بْنُ مَرْثَةَ قَافُولًا: «رَوْحٌ مِنْ عُوْدٍ، خَيْرٌ مِنْ قُمُوْدٍ؟»  
وَلَعَمْرِي لَوْ بَلَّغْتُ هَذَا الْمَبْلُغَ لَأَرْتَفَعْتُ عَنْ هَذِهِ الْخُطَةِ، وَلَا رَضِيتُ بِهِذِهِ الْخُطَةِ،  
كَالنَّارِ، وَلَا الْعَارِ، وَالْمَنِيَةِ، وَلَا الدَّيْنَةِ، وَالْحَرَّةُ تَجُوعُ وَلَا تَأْكُلُ بِذَيْنِهَا<sup>(٦)</sup>.

(١) وافد البراجم: هو رجل من بني تميم - والبراجم حمة من أولاد حنظلة - والعرب تعمر للثل بواء  
البراجم لأن عمرو بن هند أقرق تسعة وتسعين رجلاً من بني تميم لأثر له عندهم، وكان قد آلى أن يحرق  
منهم مائة فينبأ هو بئس بقية المائة إذ مرّ رجل اسمه عمار فاشتم رائحة القنار فظن أن الملك اتخذ طعاماً  
فدخل إليه قبل له «من أنت» فقال: «أنا وافد البراجم» فألقى في النار.

(٢) شاعر جاهل وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة فنادماه وبينما طرفة  
يهرّب يوماً معه وفي يده جام من ذهب فيه شراب أهرقت أخت عمرو، فراكها طرفة فقال: «ألا بأبي الظبي  
الذي يترق شفتاه، ولولا الملك القاعد ألتقي فاه» فسمعها عمرو فأسرهما في غصه وهم يقتله، ولكنه خاف  
من هباء التلّس، فكتب لها كتابين إلى حامل البحرين، وقال: «إني كتبت لكما بصلة فاقبضاهما  
من حامل البحرين» فخرجا من عنده بالكتابين، وصرّ للتلّس بنلام من أهل الحيرة، فطلب إليه أن يقرأ  
كتابيه فإذا فيه «إذا أتاك التلّس فاقطع يديه ورجليه وأصلبه» فأقبل على طرفة فقال «والله لقد كتب لك  
بمثل هذا، فادفع كتابك إلى النمام يقرؤه» فقال: «كلاما كان ليحترى على قومي بمثل هذا» فألقى  
التلّس صحيفته في نهر الحيرة وذهب طرفة يقتل.

(٣) ابنة التلّس امرأة جاهلية زنت بيد لها، فلما قرعوها وعبروها بغسلتها ولامرها عليها قالت لهم مستنفة:  
«لقد حلّني على ذلك قرب الوساد، وطول السواد» وهي تعني بطول السواد: طول السرار، وفي الحديث:  
«السواد من السر» تقول: سواده أي سارده، أنظر «ص» ١٩٨ (٤) حتى من قلب.  
(٥) حتى من العين، وهو من شعر مهلهل التظلي حين هرب وطالت عليه حرب البسوس فزل في طريقه  
على حتى من العين فخطبوا إليه ابنته فساووا المهر وهو جلود من آدم وغصبوه على الزواج فقال:

«أعزّو على قلب بما لقيت أخت بني الأكرمين من جشم

أنكحها قدحها الأراقم من جنّة ب وكان الحباء من آدم

لو بأبائين جاء خاطبها خرج ما ألفت خاطب بهم.

(٦) هذه أمثلة لمن يفضل الهلاك على قبح الاحدوث.



فَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِي مَنَكْحُ<sup>(١)</sup> وَفَتَيَانِ هَزَانِ الطَّوَالِ الْفَرَاتِقَةِ<sup>(٢)</sup>

مَا كُنْتُ لَا تَخْطِي الْمَسَكَ إِلَى الرَّمَادِ ، وَلَا أَمْطِي النَّوَرَ بَعْدَ الْجَوَادِ ، فَإِنَّمَا  
يَتِيمٌ مَن لَمْ يَحْدِ مَاءٌ ، وَيَرْغَى الْمَشِيمَ ، مَن عَدِمَ الْجِيمَ ، وَيَرْكَبُ الصَّغَبَ  
مَن لَا ذُلُولَ لَهُ ، وَلَمَّا غَرَّكَ مَن عَلِمْتَ صَبَوْتِي إِلَيْهِ ، وَشَهِدْتَ  
مُسَافَقَتِي لَهُ ، مِثْلَ أَقْمَارِ الْعَصْرِ ، وَرِيحَانِ الْمِصْرِ ، الَّذِينَ هُمُ الْكَوَاكِبُ غُلُوْهُمُ  
هِمُ ، وَالرَّيَاضُ طَيْبُ شَيْمٍ :

« مَن تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَا قِيَتْ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي<sup>(٣)</sup> »  
حَنِّ قَدْحٍ لَيْسَ مِنْهَا ، مَا أَنْتَ وَهُمْ ، وَأَنْتَى تَقَعُ مِنْهُمْ ، وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا وَאוْ  
عَمِرُوا فِيهِمْ ، وَكَالْوَشِيظَةِ<sup>(٤)</sup> فِي الْعَظَمِ يَلْتَنُّهُمْ ، وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا بَلَمْتُ قَعْرَ  
تَابُوتِكَ ، وَتَجَافَيْتَ عَنِ بَعْضِ قُوَّتِكَ ، وَعَطَّرْتَ أَرْذَانِكَ ، وَجَرَزْتَ هِمَانِكَ ،  
وَاخْتَلَّتْ فِي مِشْبَتِكَ ، وَحَدَفَتْ فُضُولُ لِحْيَتِكَ ، وَأَصْلَحْتَ شَارِبَكَ ،  
وَمَطَّطْتَ حَاجِبَكَ ، وَرَقَّقْتَ خَطَّ عَذَارِكَ ، وَاسْتَأْنَقْتَ عَقْدَ إِزَارِكَ ، وَجَاءَ  
الْأَكْتَانِ فِيهِمْ ، وَطَمَعًا فِي الْإِعْتِدَادِ مِنْهُمْ ، فَظَنَنْتَ عَجْزًا ، وَأَخْطَأْتَ  
اسْتِكَ الْخَفَرَةِ<sup>(٥)</sup> ، وَأَنَّهُ لَوْ كَسَاكَ مُحْرِقُ الْبُرْدَيْنِ<sup>(٦)</sup> ، وَخَلَّتْكَ مَارِيَةٌ<sup>(٧)</sup> بِالْقُرْطَيْنِ  
وَقَلَّدَكَ عَمْرُو الصَّمْنَامَةَ<sup>(٨)</sup> ، وَحَمَلَكَ الْحَارِثُ عَلَى النِّعَامَةِ<sup>(٩)</sup> ، مَا شَكَّكَتُ فِيكَ ،

(١) اسم قبيلة - والعراصة الشباب ، واللب للأعشى .

(٢) البيت للمهندس أحمد بن بكر بن كلاب .

(٣) قطعة العظم تكون زيادة في العظم الصميم - يقال ملأ وشيطة في قوه أى حشو بهم .

(٤) مثل بصير لمن يلب أسرا فيحطه ولا يناله . (٥) انظر ص « ٢٠٠ »

(٦) ابنة ظالم زوج الحارث الأكبر الساسي - وقد أهدت قرطها إلى الكعبة .

(٧) انظر ص « ٢٠٧ - ٢١٠ »

(٨) مرس الحارث بن عباد التخلي من سادات بني وائل .

وَلَا سَتَرْتُ أَبَاكَ، وَلَا كُنْتُ إِلَّا ذَاكَ، وَهَبَكَ سَامِعَتُهُمْ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ  
وَالْحَسَبِ، وَجَارَتُهُمْ فِي غَايَةِ الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ، أَلَسْتُ تَأْوِي إِلَى يَنْتِ  
قَمِيدَتُهُ لِكَاعٍ <sup>(١)</sup>؟ إِذْ كُلُّهُمْ عَزَبَ خَالِي الذَّرَاعِ، وَأَيْنَ مَنْ أَنْفَرِدُ بِهِ يَمْنُ  
لَا غَلَبَ إِلَّا عَلَى الْأَقَلِّ الْأَخْسَ مِنْهُ، وَكَمْ يَنْ مَنِ يَتَعَمَّدُنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ،  
وَالشَّهْوَةِ الْوَافِرَةِ، وَالنَّفْسِ الْمَصْرُوفَةِ إِلَى، وَاللَّذَّةِ الْمَوْقُوفَةِ عَلَى، وَيَنْ آخَرَ  
قَدْ نَضَبَ غَدِيرُهُ، وَزَحَحَتْ بِيرُهُ، وَذَهَبَ نَشَاطُهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ضُرَاطُهُ،  
وَهَلْ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إِلَّا الْحَشَفُ وَسُوءُ الْكَيْلَةِ <sup>(٢)</sup>، وَيَقْتَرِنُ عَلَيَّ بِكَ إِلَّا  
الْغَدَّةُ وَالْمَوْتُ فِي يَنْتِ سَلُولِيهِ <sup>(٣)</sup> :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحَرْصُ أَغْنَاكَ الرَّجَالِ <sup>(٤)</sup>  
مَا كَانَ أَخْلَقَكَ بِأَنْ تَقْدِرَ بِذَرْعِكَ، وَتَرْبِعَ بِذَلِكَ عَلَى ظَلَمِكَ، وَلَا تَكُنْ  
بِرَافِشٍ <sup>(٥)</sup> الدَّالَّةَ عَلَى أَهْلِهَا، وَعَتَرَ السُّوءَ الْمُسْتَفْتِرَةَ لِحَتْفِهَا، فَمَا أَرَاكَ إِلَّا سَقَطَ  
بِكَ الْعِشَاءُ عَلَى سِرْحَانٍ <sup>(٦)</sup>، وَبِكَ لَا بِظَّيِّ أَعْفَرٍ <sup>(٧)</sup>، أَعْذَرْتُ إِنْ أَغْنَيْتَ شَيْئًا،  
وَأَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا <sup>(٨)</sup> .

(١) القميدة : الروية ، والكاع : الشيعة ، واليب للحيطة يقول :

« أطرف ما أطوف ثم أوى إلى بنت قميدته لكاع . »

(٢) مثل يصرف في الحايين السيئين يمتدحهم . فالوا أنه لعمرو بن مديكرب ، والحشف أردأ التمر ،  
والكيلة مصدر يدل على الهيشة .

(٣) وهي امرأة من سُلَول ، وهو مثل فله طاهر بن الطليل عبد مازود النبي - صلى الله عليه وسلم -  
دعا عليه وقال : اللهم اكفني امرأة بما شئت ، ظهر في رقبته غدة مات بها وجعل يقول : « غدة كغدة  
البعير ، وموت في بنت سلولة . » (٤) الدب لأبي الصامية . (٥) يشير إلى التل (جنت)  
على أهلها رافش (٦) الدب . (٧) مثل يصرب للشهامة بالزل - أي نزل بك السكره ولا  
نزل بطي ، والأعفر الذي لونه لون الدراب . (٨) يشير إلى قول المرعي :

« لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة إن تنادي »

ونار لو سمعت بها أصوات ولكن أنت تفزع فرماد .

ولله اقتبسها في قصيدته من شعر عمرو بن مديكرب .

إِنَّ الْمَصَا قُرِعَتْ لَدَى الْحِلْمِ وَالشَّيْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ بَنَى<sup>(١)</sup>  
وَأِنْ بَادَرْتَ بِالْتِدَامَةِ ، وَرَجَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِالْمَلَامَةِ ، كُنْتَ قَدْ اشْتَرَيْتَ  
الْعَاقِبَةَ لَكَ بِالْعَاقِبَةِ مِنْكَ ، وَإِنْ قُلْتَ جَسَّعَةً وَلَا مِلْحَنَ ، وَرُبَّ صَلَفٍ نَحَتْ<sup>(٢)</sup>  
الرَّاعِدَةَ ، وَأَنْشَدَتْ :

« لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ مُخْدَرَةٍ قَوْلُ تُمْلِظُهُ وَإِنْ جَرَحَا<sup>(٣)</sup> . »

فَعُدْتُ لِمَا نَيْبَتَ عَنْهُ ، وَرَاجَعْتُ مَا اسْتُعْفَيْتَ مِنْهُ ، بَشْتُ مَنْ يُرْجَحُكَ إِلَى  
الْخَضِرَاءِ<sup>(٤)</sup> دَفْعًا ، وَيَسْتَحِثُّكَ نَحْوَهَا وَكَرَاهًا وَصَفْعًا ، فَلِذَا صِرْتُ إِلَيْهَا عَبْتُ  
أَكَارُوهَا<sup>(٥)</sup> بَكَ ، وَتَسَلَّطَ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ ، فَبِنَ قَرَعَةٍ مُتَوَجِّعَةٍ تُقَوِّمُ فِي قَفَاكَ ،  
وَمِنْ فُجَلَةٍ مُنْتَنَةٍ يُرْمَى بِهَا تَحْتَ خُصَّكَ ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ، لِتَذُوقَ وَبَالَ  
أَمْرِكَ ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ :

فَنْ جَهَلْتَ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى<sup>(٦)</sup>

(١) وهما مثلان يضربان في التحذير، وقد نظمهما الحارث بن ودة اليشكري ، وقد قتل بعض سادات قومه أخاه فقال:

« أَتُنْتُكَ سَادَتَا - بَلَاتَرَقَ  
وَوَلَكْنَا وَطْنَا عَلَى جَنْبِ  
وَوَلَدَ الْمَقِيدَ ثَابِتَ الْهَرَمِ  
أَنْ الْمَصَا تَرَعَتْ لَدَى الْحِلْمِ  
وَبَدَأْتِهِمْ بِالْفَرِّ وَالْفَتَمِ  
وَالشَّيْءُ تَحْقِرُهُ وَقَدْ بَنَى  
وَعَضَمْتُ مِنْ نَابِيٍّ عَلَى جَذَمِ  
جَهْلًا تَوْهَمَ صَاحِبِ الْكَلَمِ  
فَإِذَا رَمَيْتَ بِصَيْبِي سَهْمِي  
وَلَقَدْ أَصَبْتُ لِأَوْحَشِ عَظْمِي . »

(٢) الجسعة: صوت الريح، والميلح: البقيق، والصلف: الفخاير والبركة، وسحاب صلف: أي قليل الماء كثير  
البرد، وهما مثلان يضربان لمن يهود من غير أن يعمل . (٣) هذا البيت لبشار بن برد - وبمده قوله:

« عَصَرَ النِّسَاءَ إِلَى مِيسَرَةٍ وَالصَّبْرَ يَرْكَبُ بِمِيسَرَاتِهِمَا . »

(٤) الناحية: الزروعة من البلب، والورك: ضرب الظهر مع الخنق أو الضرب بمجتمع اليدين على التفتن .  
(٥) الأكارون: الزارمون. (٦) البيت للثعلبي - من قصيدة في ذم كافور الأخشيدي وهجاءه، ومنها قوله:

« وَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخَمِ  
فَلَمَّا قَفَرْتُ إِلَى حَقْلِهِ  
وَجَدْتُ لَتَمِيَّ كَمَا فِي الْخَمِ  
فَلَمَّا بَرَقَ رِيَا حُفْلَاهُ . »

## الرسالة الجدية لابن زيدون<sup>(١)</sup>

« كتبها لابن جهور »

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَّادِي لَهُ ، وَأَعْتَادِي عَلَيْهِ ، وَأَعْتَادِي بِهِ ،  
وَأُمْتِدَادِي مِنْهُ ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ مَاضِي حَدِّ الْعَزَمِ ، وَارَى زَنْدٍ<sup>(٢)</sup> الْأَمَلِ ، ثَابِتَ  
عَهْدِ النِّعْمَةِ ، إِنْ سَلَبْتَنِي - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لِبَاسَ نَعْمَائِكَ ، وَعَظَّمْتَنِي مِنْ حُلَى  
إِنْسَانِكَ ، وَأَعْظَمَاتَنِي إِلَى بَرُودٍ<sup>(٣)</sup> إِسْمَافِكَ ، وَنَقَضْتَ بِي كَفَّ حِيَاظَتِكَ ،  
وَعَضَضْتَ<sup>(٤)</sup> عَنِّي طَرْفَ<sup>(٥)</sup> حِمَايَتِكَ ، بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأُمَمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ ،  
وَسَمِعَ الْأَصَمُ ثَنَائِي عَلَيْكَ<sup>(٦)</sup> ، وَأَحَسَّ الْجَمَادُ بِاسْتِحْمَادِي إِلَيْكَ - فَلَا غَرَوُ  
قَدْ يَمُصُّ بِالمَاءِ شَارِبُهُ ، وَيَقْتُلُ الدَّوَاهُ الْمُسْتَشْفَى بِهِ ، وَيُوَثِّقُ الْحَذِرُ مِنْ  
مَأْمَنِهِ ، وَتَكُونُ مَنِيَّةُ الْمُتَعَنِّي فِي أُمْنِيَّتِهِ<sup>(٧)</sup> ، وَالْحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ  
الْحَرِيصِ<sup>(٨)</sup> :

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى وَتَهْوُنُ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحَسَادِ  
وَإِنِّي لَا تَجَلَّدُ ، وَأَرَى الشَّامِتِينَ أَنِّي لَرَيْبٍ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّعُ<sup>(٩)</sup> ، فَأَقُولُ :

(١) ارجع إلى « م ٤٩ » (٢) الزند : الزناد ، وورى الرند هو اقتداحه وحروج النار منه .

(٣) برود : بارد . (٤) فضضت : حففت .

(٥) طرف : عين . (٦) يشير إلى قول المتن :

« أَنَا أَعْيَ نَظَرَ الْأُمَمَى إِلَى أَدَى وَأَسَمْتُ كَلَامِي مِنْ بِهِ صَم . »

(٧) فيما يؤمله ويتناه .

(٨) الحين : الهلاك ، والجلهد : الطاعة ، وهذا مثل من أمثال العرب « جهور » ، قال عدى بن زيد :

« تَدِيدُكَ الْمَطَى مِنْ حَطَّة - وَالْحَيْنُ قَدِيسِقُ جَهْدِ الْحَرِيصِ . »

(٩) يشير إلى قول أبي ذؤيب الهذلي :

« وَجَلَدِي لَشَامِتِي أَرْبَعَم - أَنِّي لَرَيْبٍ الدَّهْرِ - لَا أَتَضَعُّع . »

وقد تامل به معاوية قبيل وفاته .

هَلْ أَنَا إِلَّا يَدٌ أَذْمَاهَا سِوَاهَا <sup>(١)</sup>، وَجَبِينَ عَصًى بِهِ إِكْلِيلُهُ <sup>(٢)</sup>، وَمَشْرِفِي <sup>(٣)</sup>  
الْصَّقَّةَ بِالْأَرْضِ صَافِلُهُ، وَسَمَمَرِي <sup>(٤)</sup> عَرَصَهُ عَلَى النَّارِ مُثَقِّفُهُ، وَعَبْدُهُ ذَهَبَ  
بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يَقُولُ :

« فَقَسًا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ <sup>(٥)</sup> ،  
هَذَا الْقَتْبُ عُمُودٌ عَوَاقِبُهُ، وَهَذِهِ النَّبُوءَةُ <sup>(٦)</sup> غَمْرَةٌ <sup>(٧)</sup> ثُمَّ تَنْجَلِي ، وَهَذِهِ  
النَّكْبَةُ سَعَابَةٌ صَيْفٌ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشُّعُ <sup>(٨)</sup>، وَلَنْ يَرِيَنِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ  
أَبْطَأَ سَيِّبُهُ <sup>(٩)</sup>، أَوْ تَأَخَّرَ - غَيْرَ ضَنِينٍ - غَنَاؤُهُ <sup>(١٠)</sup>، فَأَبْطَأُ الدَّلَاءَ قَيْضًا  
أَمْلُوها <sup>(١١)</sup>، وَأَثْقَلُ السَّحَابِ مَشِيًا أَحْقَلُها <sup>(١٢)</sup>، وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا صَادَفَ <sup>(١٣)</sup>  
جَذْبًا ، وَاللَّهُ الشَّرَابِ مَا أَصَابَ غَدِيلًا <sup>(١٤)</sup>، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ

(١) السوار : نوع من الحلى يلبس في الساعد ، وقريب من هذا قول المتنبي :

« بركب - وما أثرت بهم - يد لم يدعها إلا السوار

لها - من قطعه - ألم ونفس ، وفيها - من جلالة - امتحار . »

(٢) الأكليل : التاج . (٣) للمرفى : السب .

(٤) السهمى : الرمح .

(٥) البيت لأبي تمام ، وقريب من هذا المعنى قول للمعري :

« اضربوا يدك - تأدباً على ريش - ولا تقل هو طبل هو عير شتم

ورب شق برأس جرم مفعلة ، وقس على شق رأس السيب وانقل . »

(٦) النبوة : الجفوة . (٧) الغمرة : الشدة . قال الشاعر :

« وما هي إلا غمرة ثم تحلى سرياً وإلا نبوة تنصرم . »

(٨) مثل عري : يشير إلى أن العسر سيتبعه اليسر بعد قليل .

(٩) سيده : جوده أو عطاؤه . (١٠) غناؤه : خيره أو فقهه .

(١١) مثل عري ، يقولون : « لعل أبطأ الدلاء أملؤها » وقد اشتق هذا المعنى من الحري في إحدى

مقاماته ، ومعناه إن أبطأ الدلاء في الصمود هي الدلاء المتثلة بالماء .

(١٢) أحقلها : أكثرها ماء .

(١٣) الحيا : الفيت أو اللطر .

(١٤) الغليل : شدة العطش .

كِتَابٌ ، لَهُ الْحَمْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ <sup>(١)</sup> ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ <sup>(٢)</sup> :  
« فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ - الَّذِي سَاءَ - وَاحِدًا ، فَأَفْعَالُهُ - اللَّاتِي سَرَزْنَ - الْوُف . »

\* \*

وَأَعُوذُ فَأَقُولُ :

« مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسْعُهُ عَفْوُكَ ، وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ مِنْ وَرَائِهِ حِلْمُكَ ،  
وَالتَّطَاوُلُ <sup>(٣)</sup> الَّذِي لَمْ يَسْتَفْرِفُهُ تَطَوُّلُكَ ، وَالتَّحَامُلُ الَّذِي لَمْ يَفِ بِهِ أَحْتِمَالُكَ ،  
وَلَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا ، فَأَيْنَ الْعَذْلُ ؟ أَوْ مُسِيئًا ، فَأَيْنَ الْفَضْلُ ؟ »  
إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَذْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعٌ <sup>(٤)</sup>  
حَتَّى تَكُ <sup>(٥)</sup> قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ <sup>(٦)</sup> ، وَنَالَ نِي مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَى ، وَمَا أَرَانِي  
إِلَّا أُمِرْتُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ <sup>(٧)</sup> فَأَبَيْتُ وَأُسْتَكْبَرْتُ ، وَقَالَ لِي نُوحٌ <sup>(٨)</sup> :  
« ازْكَبْ مَعْنًا » فَقُلْتُ : « سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ » وَأُمِرْتُ

(١) اهتباله : اغفاهه .

(٢) اغفاله : لغاضيه وتغافل .

(٣) التَّطَاوُلُ : التكبر ، والطول : التفضل ، والتعامل : الكيف بما لا يطاق ، والاحتمال : هو القدرة على الحمل .

(٤) البيت الأول للحمدي ، والثاني مأخوذ من قول الشاعر :

« مَبْنِي طَلُومًا مَلَّيْتُهُ بِمَسَاءَةٍ قَصَاصًا وَأَمِنَ الْأَحْذِياعُ بِالْفِعْلِ ؟ » .

(٥) حَتَّى تَكُ : رَحِمَكَ وهو متى كلمة حنان .

(٦) الزُّبْيُ : جمع زُبْيَةٍ وهي الحفرة في مكان مرتفع لا يملؤه الماء تحفر لاصيد الأسد ، فإذا وصل إليها السيل كان سيلًا عظيمًا لا عهد للناس به ، وهو مثل يضرب للشئ ، يبري على عايد .

(٧) يشير إلى استكبار إبليس عن السجود لآدم حين أمره الله بذلك معصاه وحقت عليه العقوبة ، فعزل نفسه عليه لأنه من نار وآدم من طين ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : « مسجودوا إلا لإبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » .

(٨) يشير إلى قصة نوح حين فاض الطوفان ، وركب السفينة هو ومن معه وحالفه ابنه وعصاه فهلك ، وقد أشار الكتاب الكريم إلى ذلك في قول نوح : « يا بئى أركب معنا ولا تكن من الكافرين » وقوله ابنه : « ساء وى إلى جبل يعصمى من الماء » .

بَيْنَاءِ الصَّرْحِ <sup>(١)</sup> لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ، وَعَكَفْتُ عَلَى الْعِجْلِ <sup>(٢)</sup> ، وَأَعْتَدْتُ فِي السَّبْتِ <sup>(٣)</sup> ، وَتَمَاطَيْتُ <sup>(٤)</sup> فَمَقَرْتُ <sup>(٥)</sup> ، وَشَرَبْتُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أَبْتُلِي بِهِ جِيُوشُ « طَالُوت » <sup>(٦)</sup> ، وَقُدْتُ الْفِيلَ لِأَبْرَهَةَ <sup>(٧)</sup> ، وَفَاهَدْتُ قُرَيْشًا عَلَى مَا فِي الصَّحِيفَةِ <sup>(٨)</sup> ، وَتَأَوَّلْتُ فِي يَمَعَةِ الْعَقَبَةِ <sup>(٩)</sup> ، وَنَفَرْتُ إِلَى الْعَيْرِ يَبْدُرُ ، وَأُنْخَذْتُ ثُلُثُ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ <sup>(١٠)</sup> ، وَتَحَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْمَصْرِ فِي

(١) الصرح : الفصر - يشير إلى قصة فرعون وهي مذكورة في الكتاب الكريم حين قال : « يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا » .

(٢) يشير إلى عجل بني إسرائيل الذي عبده .

(٣) يشير إلى قصة بني إسرائيل حين نبأوا عن العيد في يوم السبت ظالموا ما نبأوا عنه ، خلق بهم العذاب

(٤) تماطيت : أي قتلت على أطراف أصابع رجلي ورفعت يدي وضربت .

(٥) عقرت : قتلت يقال عقر السمير بالسيف أي ضربت قواته به . وهو يشير بذلك إلى ناقة صالح وذنب

من عقرها ، وإلى الآية الكرعة : « فَقَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَدَمَدِمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِدَنِيمِ سِوَاهَا »

(٦) يشير إلى الذنب الذي اقترفه جيش « طالوت » عليه السلام ، وإلى الآية : « إِنَّ اللَّهَ مَبْتَليكُمْ بِنَهَرٍ

فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ بِيَّيَّ وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ يَبْتَليَ إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ » ولكن أكثرهم خالعه وشرب

منه فوقعوا في الأثم ، قال أبو البلاد :

« سَقِيَا لِسُلَّةٍ وَالدُّنْيَا مَفْرَقَةٌ حَتَّى يَمُودَ اجْتِمَاعُ النِّعَمِ تَشْتَقِيْنَا

وَبَعْدَهَا لَا أُرِيدُ الشَّرْبَ مِنْ نَهَرٍ كَأَنَّمَا أَنَا مِنْ أَصْحَابِ طَالُوتَا »

(٧) يشير إلى قصة أبرهة طامع اليمن من قبل النجاشي حين ذهب لهدم الكعبة ومعه الفيلة لضربه عليها

إذ هي كعبة وصناء اليمن ليحج إليها الناس بدل الكعبة فلم ينسأ بها وقطع رجل فيها وأحرقها بمصر نجاش

اليمن ، وغصب النجاشي من ذلك ، وأمر أبرهة طامع اليمن بهدمها وانفصة مذكورة في الكتاب الكريم

« أَلَمْ تَرَ إِلَى رَكِيبٍ ذَلَّ بِأَصْحَابِ الْإِثْمِ \* أَلَمْ تَرَ كَيْدَهُمْ فِي تَصْلِيلِ \* وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ طَائِفًا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ \* أُولَئِكَ

بِحِجَابٍ مِنْ سَجِيلٍ \* فَجَاسُوا بِكَيْدِهِمْ إِلَى الْكَافِرِينَ \* وَكَانُوا يَنْصُرُونَ \* وَكَانُوا يَنْصُرُونَ \* وَكَانُوا يَنْصُرُونَ \* وَكَانُوا يَنْصُرُونَ »

« حديث جاء عن ثابت بن مالك - في النمر - وهابيل

وطير عصفك يوماً على الجيش أبييلاً

مق نرحل عن دنيا تزيد القتل تخيلاً .

(٨) يشير إلى الصحيفة التي كتبها قريش وعلقوها في الكعبة يقررون فيها مقاطعة النبي - صلى الله عليه وسلم -

وإدارة الإسلام بعد أن رأوا إسلام عمر وحزبه الذي اعتز بها الدين .

(٩) تقضى يعة العقبة : مخالفة الأجماع والشذوذ عن :جة الصواب .

(١٠) يشير إلى واقعة « أحد » حين انخذل ابن سلول هو ومن معه من الناقصين ورجعوا

بذلك الجيش .

بَنِي قُرَيْظَةَ <sup>(١)</sup> ، وَجِئْتُ بِالْإِفْكِ <sup>(٢)</sup> عَلَى مَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ ، وَأَنْفَتُ مِنْ  
إِمَارَةِ أُسَامَةَ <sup>(٣)</sup> ، وَرَزَعْتُ أَنْ يَنْعَمَ أَبِي بَكْرٍ <sup>(٤)</sup> كَأَنْتَ فَلْتَةً ، وَرَوَيْتُ  
رُغْمِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ <sup>(٥)</sup> ، وَمَزَقْتُ الْأَدِيمَ <sup>(٦)</sup> الَّذِي بَارَكْتَ يَدَ اللَّهِ عَلَيْهِ ،  
وَصَحَّيْتُ بِالْأَشْمَطِ <sup>(٧)</sup> الَّذِي عُنُوَانُ السُّجُودِ بِهِ ، وَبَذَلْتُ لِقَطَامٍ <sup>(٨)</sup> .

« ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً وَضَرْبَ عَلِيٍّ بِالْحَسَامِ الْمُسَمِّ »

(١) بنو قريظة : طائفة من اليهود وقد أسر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بعد موته من غزوة الحديق أن يصلوا المعمر في بني قريظة يعني بذلك أن يسرعوا في التذباب إليهم .

(٢) يشير إلى جريمة مسلح وحسان في حادثة الافك ، وهي اتهام عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - حين كانت عائدة من غزوة بني المصطلق ونزلت من المهودج لنعاء حاجتها وسار أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من غير أن يتفقوا عائشة ، وكانت قد تخلفت عن الركب ، ومرت بها صفوان وكان متحلفاً عن الركب فأركبها على جمل ، ولما وصلا أشاع أهوان الدوء ضبا ماأشاعوه ، ثم برأها القرآن ، وأظهر طهارتها ، وألجم أهل الافك والبهتان .

(٣) يشير إلى تولية النبي - صلى الله عليه وسلم - أسامة بن حارثة قيادة الجيش الذي ذهب إلى الشام وإلى عمالي بعض المهاجرين ، وأمنهم من إمارته ، وغضب الرسول - صلى الله عليه وسلم - عليهم وتهميه إياهم ، وصودوه للنمر وهو حاسب رأسه لمرضه .

(٤) يشير إلى رأى الشيعة في أن علي بن أبي طالب كان أجدر بالخلافة من أبي بكر وعمر ، وأن أبا بكر قد اختلسها لنفسه اختلاساً .

(٥) يشير إلى ملك أبي شجرة السلمي في بعض حروب الردة بجيش خالد بن الوليد .

(٦) يشير إلى أديم «عمر» أي جلده الذي سرقه أبو لؤلؤة المخومي حين قتله ، ويشير إلى قول الشاعر في رثائه :

«جزى الله خيراً من إمام، وباركت يد الله في ذاك الأديم الدرق» .

(٧) يعني بالأشمت : هبان بن حنظل ، وهو يشير إلى قول حسان بن ثابت في رثائه :

«فصوا بأشمت، منوا بالحدوبه، يقطع القيل نسيباً وقرآناً» .

(٨) قطام : اسم امرأة أقرت عبد الرحمن بن ملجم حنظل علي ومرسته مهرأ لها ، فأجلبها إلى ماطلبت ، وبلى هذا البيت قوله :

«فلامهر أغلى من علي - وإن علا - ولا تنك إلا دون ذلك ابن ملجم» .

وقد أشار البهتري إلى ذلك أبداع إشارة حين قال :

« ولا يجب للأسد إن طفرت بها كلاب الأحادي من فصيح وأنجم

لحربة وحشي سقت حزة الردي ، وموت علي من حسام ابن ملجم » .



وَكَتَبْتُ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ : « أَنْ جَمْعُ<sup>(١)</sup> بِالْحُسَيْنِ » وَتَمَثَّلْتُ عِنْدَ مَا بَلَغَنِي مِنْ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ<sup>(٢)</sup> :

« لَيْتَ أَشْيَاخِي - يَبْذِرُ - عَلِمُوا جَزَعُ الْخَرْجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ »  
وَرَجَعْتُ الْكَعْبَةَ ، وَصَلَبْتُ الْعَائِذَ عَلَى الثَّنِيَّةِ<sup>(٣)</sup> ، لَكَانَ - فِيمَا جَرَى عَلَيَّ -  
مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَسْمَى نَكَالًا ، وَيُدْعَى - وَلَوْ عَلَى الْمَجَازِ - عِقَابًا .  
« وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِيْنَا ! »

\* \*

فَكَيْفَ وَلَا ذَنْبَ إِلَّا نَجِيَّةُ أَهْذَاهَا كَاشِحُ<sup>(٤)</sup> ، وَنَبَأُ جَاءَ بِهِ فَاسِقُ .  
وَهُمُ الْهَمَّازُونَ الْمَشَاءُونَ<sup>(٥)</sup> بِنَعِيمٍ ، وَالْوَاشُونَ الَّذِينَ لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْدَعُوا  
الْعَصَا ، وَالْفَوَاةُ<sup>(٦)</sup> الَّذِينَ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا<sup>(٧)</sup> صَحِيحًا ، وَالسَّعَاةُ<sup>(٨)</sup> الَّذِينَ  
ذَكَرَهُمُ الْأَخْنَفُ بْنُ قَبَسٍ فَقَالَ : « مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ ، الصَّدْقُ عَمُودُ إِلَّا مِنْهُمْ »  
« حَلَقْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً ، وَلَيْسَ - وَرَاءَ اللَّهِ - لِفَرَعٍ مَذْهَبٌ »  
وَاللَّهُ ، مَا غَشَشْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ ، وَلَا أَنْخَرْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاعِيَةِ<sup>(٩)</sup> ، وَلَا  
نَصَبْتُ لَكَ<sup>(١٠)</sup> بَعْدَ التَّشْيِيرِ ، وَلَا أَزْمَعْتُ يَأْسًا مِنْكَ مَعَ ضَمَانٍ تَكْفَلْتُ بِهِ

(١) يشير إلى تحريض عبيد الله بن زياد على قتل الحسين حين أرسل عمر بن سعد اقتله وأتبعه شمر وأمر عبيد الله عمرو بن سعد أن يجمع إليه أي يصيق عليه الخناقي .

(٢) وقعة الحرّة - يشير إلى منعه يزيد بن معاوية حين أرسل عقبة بن مسلم لمحاربه أهل المدينة وإباحتها ثلاثة أيام ، ولما تمّ إيراد ذلك تمثل بقول ابن الربير : « ليت أشياخي ..... الخ . »

(٣) يشير إلى درج الحاج الكعبة بالتحقيق وصلبه عند الله بن الربير وهو يعينه بالمائد أي الملتحي ، رانحنية : طريق العقبة . (٤) الكاشح : المدح .

(٥) الهمازون : الذين يكترون الهمر وهو البنية ، وللشاهون : الذين يكترون السبي بين الناس بالنجاسة . (٦) الفواة : جمع فار وهو السلال . (٧) الأديم الجله .

(٨) السعاة : الذين يسعون بين الناس بالفساد . (٩) الصاعية : صاعية الرجل خاصسته الدين صغون إليه ويفشون بجله . (١٠) ولا نصبت لك : طابتك .

الثِّقَةُ عَنْكَ ، وَعَهْدٍ أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ . فَنِمَّ عَبَثَ الْجَفَاءَ بِأَذْمَتِي <sup>(١)</sup> ،  
وَوَاتَ الْمُقُوقُ فِي مَوَاتَاتِي ، وَتَمَكَّنَ الضَّيَاحُ مِنْ وَسَائِلِي ؟ وَلِمَ صَاقَتْ  
مَذَاهِبِي ، وَأَكَدَتْ مَطَالِبِي ؟ وَعَلَّامَ رَضِيَتْ مِنَ الْمَرْكَبِ بِالتَّغْلِيْقِ . بَلْ  
مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ <sup>(٢)</sup> ؟ وَبِأَنِّ غَلَبَنِي الْمَغْلَبُ <sup>(٣)</sup> ، وَفَخَّرَ عَلَى الْعَاجِزِ الضَّعِيفُ ،  
وَلَطَمَتْنِي غَيْرُ ذَاتِ سِوَارٍ <sup>(٤)</sup> ؟ وَمَا لَكَ لَمْ تَمْنَعْ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُفْتَرَسَ ، وَتَذَرِكْنِي  
وَلَمَّا أَمْرُقُ <sup>(٥)</sup> ؟ أَمْ كَيْفَ لَا تَتَضَرَّمُ جَوَانِحُ الْأَكْفَاءِ <sup>(٦)</sup> حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوصِ  
بِكَ ؟ وَتَتَقَطَّعُ أَفْكَاسُ النُّظَرَاءِ مُنَافَسَةً فِي الْكَرَامَةِ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ وَقَدْ  
زَانَنِي قَدِيمُ خِدْمَتِكَ ، وَزَهَابَنِي وَسْمُ نِعْمَتِكَ ، وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي  
سِمَاطِكَ <sup>(٧)</sup> ، وَقُمْتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ عَلَى بَسَاطَتِكَ ؟

« أَلَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ غَرَّةً قَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ - أَنْجُمًا  
تَنَاهَى يَطْلُ الرُّوْضُ مِنْهُ مُنَوَّرًا ضَمًّا ، وَيَخَالُ الْوُشْيُ فِيهِ مُنَمَّنًا »

(١) الأداة : المهود والحرمات . (٢) وصيت من العيبة بالإياب : مثل ضرب في القناعة بالسلامة  
قال امرؤ القيس :

« لَعْدُفَتِي - الْآفَاقُ - حَقِّي رَضِيْبٌ مِنَ السَّيْبَةِ بِالْإِيَابِ . »

(٣) المغلب : أي الضعيف . قال الشاعر :

« مَا لَكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كِفَاخِرٌ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَطُكْ مِثْلُ مَلَبٍ . »

(٤) في التل « لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي » ، يشير إلى ضعف المعتدي وحفارته والعادة أن السوار  
لا تلبسه إلا الحرمة . قال الشاعر :

« بَلَاءٌ لَيْسَ يَعْمَلُهُ بِلَاءٌ عِدَاوَةٌ غَيْرُ دِي حَسْبِ وَدِيْنٍ »

يبعك منه هرماً لم يهره ويرقع منك في عرض موه .

وقال للمرى : « خَفْ يَا كَرِيمُ عَلَى عَرْضِ نَعْرِهِ لَمَائِبٌ ، ظَلِيمٌ لَا يَقَاسُ بِكَ »

إِذَا زَجَّاجُهُ - لَمَاحِطَتُهُ - سَبَكَتْ وَكَمْ تَخْطُمُ مِنْ دُرِّ فَاسِكَا .

(٥) وتذكرني ولما أمرق : يشير إلى قول للقبلي ، وقد اشتمه به عثمان بن عفان في كتابه إلى علي :

« فَإِنْ كُنْتُ مَا كُولا فَكُنْ أَنْتَ آكِلِي » وإلا فأذكرني ولما أمرق .

(٦) الأكفاء : جمع كفاء وهو التذ أي التليل .

(٧) السباط : الصف ، وقد مر بك قول ابن زيدون في ص « ١٤٤ »

« إِذَا مَا اسْتَوَى فِي الدِّسْتِ مَا فِدْحُوه ، وَقَامَ سِبَاطُ حَفْلِهِ عَلَى الصَّدْرِ . »

أي صفا حفله .

وَهَلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بُرْدًا طَرَزْتَهُ بِفَضَائِكَ، وَتَقَلَّدْتَ الْجَوْزَاءُ إِلَّا عِقْدًا  
فَصَلَّتْهُ بِمَا بَرِكَ، وَأَسْتَمَلَى الرَّيِّعُ إِلَّا أَنْتَاهُ مَلَاتُهُ بِعَاسَمِيكَ، وَبَتَّ <sup>(١)</sup> الْمِسْكُ  
إِلَاحِدِيًّا أَدْعَتْهُ فِي عَامِدِكَ؟ مَا يَوْمُ «حَلِيمَةَ» بِسَرٍّ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكُنْكَ  
سَلِيًّا <sup>(٢)</sup>، وَلَا حَلِيَّتُكَ عَطَلًا <sup>(٣)</sup>، وَلَا وَمَمْتُكَ غُفْلًا، بَلْ وَجَدْتُ أَجْرًا وَجِصًّا <sup>(٤)</sup>  
فَبَيَّنْتُ، وَمَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَقُلْتُ، حَاشَ لَكَ أَنْ أَعْدَمَ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ <sup>(٥)</sup>  
وَأَكُونَ كَالذَّبَالَةِ <sup>(٦)</sup> الْمَنْصُوبَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْتَرِقُ، فَلَكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، وَهُوَ  
- يَكْ وَبِي - فِيكَ أَوْلَى، وَلَمَعْنَى إِنْ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ أَتَحَوَّلَ <sup>(٧)</sup> إِذَا بَلَفْتَنِي  
الشَّمْسُ وَتَبَا بَنِي الْمَنْزِلِ، وَأَصْفَعَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تَقْطَعُ أَغْنَاكَ الرَّجَالِ .  
فَلَا أَسْتَوْطِنُ الْعَجْزَ، وَلَا أَطْمَنُّ إِلَى الْغُرُورِ . وَمِنْ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ :  
« حَامِرِي أُمُّ عَامِرٍ <sup>(٨)</sup> » وَإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ أَنْ أُلْجَأَ <sup>(٩)</sup> سِبَاهَ <sup>(١٠)</sup> وَالْثَقَلَةَ مَثَلَةً <sup>(١١)</sup> :

(١) بَتَّ : نهر ، وقوله « ما يوم حليمة بسر » مثل يعسر - في كل أمر - تعال مشهور ، وأصله أن  
الحارث بن أبي شمر وحده حبشا إلى المنذر بن ماء السماء في الرواة التي قتال فيها ، وأمر ابنته حليمة ما خرجت  
لهم مركبا فيه خلق أي طيب ، فقال حلقهم غرحت إليهم ، فجعلت تحلقهم وهي من أجل سا ، عصرها ،  
ومعنى النوم حتى أتوا المنذر ، فقالوا أتيك من عبد صاحبنا وهو يدين لك بالطاعة ويعطيك حاجتك ، فباهر  
المنذر بذلك ، وغفل المنذر وعكزه حس العفة فلبوا عليه فقتلوه ، وكان الحارث قد أوصاهم بذلك قبل أن  
يوجههم إليه ، فيل : ما يوم حليمة بسر ففهم مثلا .

(٢) السلب : السلوب . (٣) العطل : العاقل . قال الطبراني :

« أسالة الرأي صانع من الخطل وحليمة الفضل زانق في العطل » .

(٤) الآخر : العاين ، والحسر : الحير . وقد تناول الكتاب والشعراء هذا المعنى ، ولكننا لم نقرأ أبدا  
من قول أمير الشعراء في قصة قبيل على لسان وصيفة ملكة فارس :

« إني وصفت ذها في بوتقه ولم أصف - بالطيب - إلا زبقه

وقلت عن شمس النهار : مشرقه . »

(٥) يشير إلى قوله تعالى : « وحده يومئذ حاشية عامة ناصية فصلى نارا حامية . »

(٦) يشير إلى قوله حاس بن الأخنف :

« صرت كالتي ذللت صبت فعوى فتناس وهي تحترق . »

(٧) في المثل « إذا بلغت الشمس تحول » (٨) حامري أم طمر : مثل يضرب لمن عرف

الدنيا وتقلباتها ولم تنمعه معرفته أن يعيل إليها ويتر بها . قال البهاء زهير :

« حذوك فاقول المحال فصع لك أم طمر . »

(٩) الجلاء : النزوح عن الوطن . (١٠) السباه : الأسر . (١١) والثقل : الكمال .

«وَمَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ حَجْرًا وَمَسْحَبًا  
وَتَذَقْنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ، وَإِنْ يُسَى يَكُنْ مَا لَسَاءُ النَّارِ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا»<sup>(١)</sup>  
عَارِفٌ أَنَّ الْأَدَبَ الْوَطَنُ لَا يُخْشَى فِرَاقُهُ، وَالْخَلِيطُ لَا يُتَوَقَّعُ زِيَالُهُ<sup>(٢)</sup>،  
وَالنَّسِيبُ لَا يُخْفَى، وَالْجَمَالُ لَا يُخْفَى، ثُمَّ مَا قِرَانُ السَّعْدِ بِالْكَوَاكِبِ أَهْلِي  
أَتْرًا، وَلَا أَسْنَى خَطَرًا، مِنْ أَقْتِرَانِ غِنَى النَّفْسِ بِوِ، وَانْتِظَامِهَا لِنَسَقَا<sup>(٣)</sup> مَمَّةً،  
فَإِنَّ الْحَاثِرَ لَهُمَا، الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ - أَيْتَمَا تَوَجَّهَ وَرَدَّ  
مَنْهَلَ بَرٍّ، وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولٍ، وَضَوْجِكَ قَبْلَ إِثْرَالِ رَحْلِهِ، وَأُعْطِيَ  
حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ.

وَقِيلَ لَهُ: «أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا هَذَا مَيْتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلٌ»  
فَإِنَّ الْوَطَنَ مَحْبُوبٌ، وَالنَّشَأُ مَأْلُوفٌ، وَالْيَسْبُ يُخَيِّنُ إِلَى وَطَنِهِ، حَتَّى  
النَّجِيبِ<sup>(٤)</sup> إِلَى عَطْنِهِ<sup>(٥)</sup>، وَالْكَرِيمُ لَا يَخْفُو أَرْضًا فِيهَا قَوَائِلُهُ<sup>(٦)</sup>، وَلَا  
يَنْسَى بِلَادًا فِيهَا مَرَاضِعُهُ، قَالَ الْأَوَّلُ :

«أَحَبُّ بِلَادٍ إِلَهُ مَا بَيْنَ مَنَعِجٍ - إِلَى وَسْطَى - أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا  
بِلَادَ بِهَا حَلَّ الشَّبَابِ تَمَامِي<sup>(٧)</sup> وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي ثَرَابُهَا»  
هَذَا إِلَى مُنَا لَاتِي بِمَقْدِ جَوَارِكِ، وَمُنَا فَسَتِي بِلَحْظَةٍ مِنْ قُرْبِكَ، وَأَعْتِقَادِي

(١) كَبْكَب : الحبل . (٢) الزَّيَال : الفارقة .

(٣) النِّسَق : ما كان على نظام واحد . (٤) النجيب : الفعل الكريم من الأهل .

(٥) العطن : مراك الأهل حول الماء .

(٦) القوالب : جمع طابة وهي التي تتلقى اللود عند خروجه (الداية) .

(٧) وفي رواية : «عن الب .» وفي أخرى : «شق الشاب» وفي رواية اللسان :

«بسط على تمامي» والتمام : ما يلقى الطفل ليقبه عن الحسد . قال الشاعر :

«ولذا النية أنجبت أطفالها ألعيت كل تيمية لا تنفع .»

أَنْ الطَّمَعِ - فِي غَيْرِكَ - طَبَعٌ ، وَالْفَنَى - مِنْ سِوَاكَ - عَنَاءٌ ، وَابْتَدَلَ مِنْكَ أَعُورٌ ،  
وَالْعَوْضَ لَفَاةً <sup>(١)</sup> :

« وَإِذَا أَنْظَرْتُ إِلَى أُمِيرِي زَادَنِي ضَنْئًا بِهِ - تَقَرَّرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ »  
وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا <sup>(٢)</sup> ، وَفِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارٌ ، وَأَسْتَمَجِدَ الْمَرْخُ  
وَالْعَفَارُ <sup>(٣)</sup> ، فَمَا هَذِهِ الْبَرَاءَةُ بِمَنْ يَتَوَلَّاكَ ، وَالْمَيْلُ عَمَّنْ لَا يَمِيلُ عَنْكَ ، وَهَلَّا  
كَانَ هَوَاكَ فِيمَنْ هَوَاهُ فَيْكَ ، وَرِضَاكَ لِمَنْ رِضَاهُ لَكَ :

« يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ »  
أَعْيذكُ وَنَفْسِي مِنْ أَنْ أَشِيمَ <sup>(٤)</sup> خُلْبًا <sup>(٥)</sup> ، وَأَسْتَطِيرَ جَهَامًا <sup>(٦)</sup> ، وَأُكْدِمَ <sup>(٧)</sup>  
فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ ، وَأَشْكُو شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعُقْبَانِ <sup>(٨)</sup> وَالرَّخِمِ ، فَمَا  
أُبَسِّنُ <sup>(٩)</sup> لَكَ إِلَّا لَتَدِرَّ ، وَمَا حَرَكْتُ لَكَ الْخُورَ <sup>(١٠)</sup> إِلَّا لِتَحِنَّ ، وَمَا  
نَبِّهْتُكَ إِلَّا لِأَنَامَ <sup>(١١)</sup> ، وَمَا سَرَيْتُ إِلَيْكَ ، إِلَّا لِأَتَحْمَدَ الشَّرِيَّ <sup>(١٢)</sup> . لَدَيْكَ . وَإِنْكَ

(١) لواء : حبيس . قال الشاعر :

« وما أنا بالعصيب وغلغولي ولا حطلي انما ولا الحليس »

(٢) كل الصيد في جوف الفرا : انظر « ص »

(٣) المرخ والعفار : نوطان من الشعر سريما الاتعاد ، وقريب من هذا قول المعري :

« وأصمت بك النخل - والنخل منه - وأعجبي من حك الفلج والمال . »

(٤) أشيم : أراقب السحاب لأرى أين يعطر . (٥) الخلب : البرق الذي لا يصحبه غيث .

(٦) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

(٧) أكدم : أمس - وللعل العربي : « كدم في غير مكدم » - وهو يضرب لمن يريد الشيء من غير أهله .

(٨) يشير إلى قول المتنبي :

« ولا تلتك إلى قوم فتقتهم شكوى الجريح إلى العقبان : الرحم . »

(٩) أبست : رفقت من الرقى . (١٠) الخوار : ولد الناقة . (١١) يشير إلى قول بشار بن برد :

« إذا أيقظتك حروب المدا ضبه لها عسراً ، ثم تم »

وقتي لا ينام على غيرة ولا يضرب لواء إلا بدم . »

(١٢) يشير إلى التل المعهود : « عبد الصباح يحمد القوم السرى » يشير إلى قرب الفرج بعد الصيق .

إِنْ سَنَيْتَ <sup>(١)</sup> عَقْدَ أَمْرِي تَبَسَّرَ، وَمَتَى أَعَذَّرْتَ <sup>(٢)</sup> فِي فَكِّ أَمْرِي لَمْ يَتَعَذَّرْ، وَعِلْمُكَ مُحِيطٌ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ ثَمَرَةُ النِّعْمَةِ، وَالشَّفَاعَةُ زَكَاةُ الْمَرْوَةِ، وَفَضْلُ الْجَاهِ - تَعَوُّدُ بِهِ - صَدَقَةٌ :

« وَإِذَا أَمَرْتُ أَهْدِي إِلَيْكَ صَنِيعَةً - مِنْ جَاهِهِ - فَكَأَنَّهُمَا مِنْ مَالِهِ <sup>(٣)</sup> »  
لَعَلِّي أُلْقِيَ الْعَصَا بِذِرَاكِ <sup>(٤)</sup>، وَتَسْتَقِرُّ بِنِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ، وَأَسْتَأْنِفُ التَّادِبَ بِأَدَبِكَ، وَالْإِحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ، فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ لِحُطَّةٍ <sup>(٥)</sup>، وَلَا أُدَعِّ لِلْقَادِحِ مَسَاحَ لِفُظَةٍ، وَاللَّهُ مُبَشِّرُكَ مِنْ إِبْلَاقِي بِهِذِهِ الطَّلِبَةِ <sup>(٦)</sup>، وَإِسْكَانِي <sup>(٧)</sup> مِنْ هَذِهِ الشُّكُوفِ، بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الْمُنْعَرِ، وَتَسْتَوْدِعُهَا أَحْفَظَ مُسْتَوْدِعٍ، حَسْبَمَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ، وَذَلِكَ يَدِهِ وَهَيْئُ عَلَيْهِ.

وَلَمَّا تَوَالَتْ عِذْرُ هَذَا التَّنَبُّرِ، وَأَنْسَقَتْ دَرَرُهُ، فَهَزَّ عِطْفَ غُلُوَانِهِ، وَجَرَ ذَيْلَ خِيَلَانِهِ، عَارَضَهُ النُّظْمُ مُبَاهِيًا، بَلَنَ كَأَيْدَهُ مُدَاهِيًا، حِينَ أَشْفَقَ أَنْ يَسْتَعْطِفَكَ أَسْتَعْطَافُهُ، وَتَمِيلَ بِنَفْسِكَ أَلْطَافُهُ <sup>(٨)</sup> : فَاسْتَحْسَنَ الْعَائِدَةَ <sup>(٩)</sup> مِنْهُ، وَأَعْتَدَ بِالْفَائِدَةِ لَهُ، فَمَا زَالَ يَسْتَكِدُّ الذَّهْنَ الْعَلِيلَ، وَالْخَاطِرَ الْكَالِيلَ، حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ عَرُوسًا مُجْلُوءَةً، فِي أَثْوَابِهَا، مَنْصُوصَةٌ <sup>(١٠)</sup>، بِحُلِيِّهَا وَمَلَاحِيهَا <sup>(١١)</sup> :

(١) سَنَيْتَ : يَسِرْتُ وَسَهَلْتُ .

(٢) أَعَذَّرْتُ : طَلَبْتُ الْعَدْرَ .

(٣) الْبَيْتُ لِأَبِي تَمَامَ . (٤) ذِرَاكُ : كِفْكُ وَظَلُّكَ .

(٥) لِحُطَّةٍ : نَظَرُهُ .

(٦) الطَّلِبَةُ : لِلْعُلُوبِ . (٧) إِسْكَانِي : إِزَالَةَ شُكَاوِي .

(٨) أَلْطَافُهُ : حَيَرَهُ وَبَرَّهُ .

(٩) الْعَائِدَةُ : الْجَمِيلُ أَوْ الْمَصْبُوحُ .

(١٠) مَنْصُوصَةٌ : مَرْهُومَةٌ عَلَى الْمَصَّةِ لِيَةِ الرِّفَافِ . (١١) الْمَلَاحِي : الرِّعْرَعَانُ .

الهُوسَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ وَالْمُنَى فِي هُبُوبِ ذَلِكَ النَّسيمِ<sup>(١)</sup>  
 سَرَّنا عَيْشُنَا الرِّيقُ الْحَوَاشِي لَوْ يَدُومُ الشَّرُّورُ لِلْمُسْتَدِيمِ  
 وَطَرُهُ مَا انْقَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى زَمَنٌ ، مَا دِمَامُهُ بِالذَّمِيمِ  
 إِذْ خَتَمُ الرِّمَاءِ الْمُسَوِّغِ مِنْكَ وَمِزَاجِ الْوِصَالِ مِنْ تَسْنِيمِ  
 وَغَرِيضِ الدَّلَالِ غَضُّ جَنَى الصَّبْوَةِ ، نَشْوَانُ مِنْ سُلَافِ التَّعْيِمِ  
 طَالَمَا نَافَرَ الْهُوسَى - مِنْهُ - غِرَّةٌ لَمْ يَطْلُ عَهْدُ جِيدِهِ بِالتَّعْيِمِ

\* \*

أَيُّهَا الْمُؤَذِّنِي بِظُلْمِ اللَّيَالِي لَيْسَ يَوْمِي بِوَاجِدٍ مِنْ ظُلُومِ  
 قَمَرِ الْأَفْقِ - إِنْ تَأَمَّلْتَ - وَالشَّمْسُ هُمَا يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ  
 وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْخُو - بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ - نَحْوَ الْعَظِيمِ

\* \*

بِوَأُ اللَّهِ « جَهْوَرًا » شَرَفَ السُّو دَدٍ فِي السَّرْوِ وَاللَّبَّابِ الصَّمِيمِ  
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأَمْرَ ، فَكَانَ الْخُصُوصُ وَفَقَ الْمُؤْمُومِ  
 قَلَدَ الْعَمْرِ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ ، وَأَكْتَقَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ الْعَلِيمِ  
 خَطَرُ يَقْضِي الْكَمَالَ ، بِنَوْعِي خُلُقِي بَارِعٍ وَخُلُقِ وَسِيمِ

\* \*

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ: هَا أَنَا أَشْكُو ، وَالْعَصَا بَذُو قَرَعِهَا لِلْحَلِيمِ  
 مَا عَنَّا أَنْ يَأْتِنَا السَّابِقُ الْمَرْ بَطَ فِي الْعَتَقِ مِنْهُ وَالتَّطْوِيمِ  
 وَبَقَاءِ الْحَسَامِ - فِي الْجَفْنِ - يَفْنَى مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالتَّصْنِيمِ

أَفَصْبَرْتُ مِثِينَ خَمْسًا مِنَ الْآيَا م؟ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ !  
وَمُعْنَى - مِنَ الصَّنَى - بِهَنَاتٍ نَكَاتٌ بِالْكُلُومِ قَرَحَ الْكُلُومِ  
سَقَمٌ لَا أَعَادُ فِيهِ، وَفِي الْعَا يُدِ أَنْسُ يَنْفِي يَبْرُهُ السَّقِيمِ  
نَارُ بَنِي سَرَى - إِلَى جَنَّةِ الْأَنْسِ - لَظَاهَا، فَأَصْبَحَتْ كَالْعَصْرِ -  
بِأَبِي أَنْتَ - إِنْ نَشَأَ - تَكَ بُرْدًا وَسَلَامًا، كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ  
لِلشَّيْعِ النَّشَاءُ، وَالْحَمْدُ - فِي صَوْنِ بِ الْحَيَا - لِلرَّيَّاحِ، لَا لِلْفُيُومِ  
وَزَعِيمٌ بِأَنْ يُدَلَّلَ - لِي الصَّنَبَ - مَثَابِي إِلَى الْهُمَامِ الرَّعِيمِ  
وَوِدَادُ - يُغَيِّرُ الدَّهْرُ مَا شَاءَ - وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ  
وَنَنَا أَرْسَلْتُهُ سَلْوَةَ الظَّا عَنِ عَن شَوْقِهِ، وَلَهُوَ الْمُقِيمِ  
فَهُوَ رِيحَانَةُ الْجَلِيسِ - وَلَا فَخْرَ - وَفِيهِ مِزَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ  
لَمْ يَزَلْ مُغْضِيًا - عَلَى هَفْوَةِ الْجَا فِي - مُصِخَا إِلَى أَعْتَدَارِ الْكَرِيمِ  
وَمَتَى تَبَدَا الصَّبِيغَةُ يُؤَلِّفُكَ تَمَامُ الْخِصَالِ بِالتَّشْمِيمِ  
وَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَبَسٍ :

« لَيْسَ دَهْرِي بِوَاجِدٍ مِنْ ظُلُومٍ وَبَلَاءٍ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمِ  
لَيْسَ يُسْتَنْكَرُ النُّحُولُ لِيْشَلِي، جَسَدِي مُبْتَلَى بِقَلْبٍ مَشُومٍ . »

\*\*\*

هَا كَمَا - أَعَزَّكَ اللَّهُ - يَسْطُهَا الْأَمَلُ، وَيَقْبِضُهَا الْحَجَلُ، لَهَا ذَنْبُ التَّقْصِيرِ،  
وَحَرَمَةُ الْإِخْلَاصِ، فَهَبْ ذَنْبًا لِحُرْمَةِ، وَأَشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ، لِيَتَأَنَّى لَكَ  
الْإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ، وَتَسْلُكَ إِلَى الْفَضْلِ مِنْ طُرُقَاتِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



## إلى المظفر<sup>(١)</sup>

« وكتب إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر بن الأفلح ،

صاحب بطليوس ، وضمها قصيدة أولها .

ليص الطلي ، ولسود اللم

بمقل - مد بن عبي - لم »

لَمَّا لَبِسَ الْحَاجِبُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - رِدَاءَ الْمَجْدِ مُعَلِّمًا ، وَحَمَلَ لَوَاءَ الْحَمْدِ

(١) كان المظفر من أعظم ملوك الطوائف . وكان أحرم الناس - كما يقولون - على جمع علوم الأدب ونوادر الأحبار وعيون التاريخ ، وقد ألصق كتاباً كبيراً - في الأدب - في عنقه أحرأ ضحكة ، وقد ولى « بطليوس » بعد موت أبيه « عبد الله بن مسلمة » المعروف بابن الأفلح وقد استبد « عبد الله » هذا بالملك سنة ٤٣١ هـ - بعد فتنة من أمة بالأندلس - طامات أهله ابنه « أبو بكر المظفر » وعظم أمره ونبه شأنه ، ومارال بها حتى مات سنة ٤٦١ هـ . وحمله عليها ابنه المتوكل حتى دله يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٥ هـ . وقد كان ابن عباد يرميه بقتله - فيما يقولون - وكان المتوكل قدم راسحة في صناعة الظم والنثر مع شجاعة مفرقة ووروية تامة ، وقد رثاه ابن عدون بقصيدته المشهورة ، وهي :

« الدهر يجمع - هـ - العجب - بالثر  
فما البكاء على الأشباح والصور  
أنهاك أنباك لا آلوك موصلة  
من نومة بين ناب الليث والمظفر  
فادهر حرب - وإن أبدى مسألة -  
والبيص والسود مثل البيص والسر  
يد الصراب - وحين الصارم الذكر  
فما ساعة عينها سوى السهر  
فلا تمر تلك - من دباك - نومتها ،  
ما لليلالي - أقال الله عترتنا  
في كل حين لها - في كل جارة  
تسر بالشيء ، لكن كي تمر به  
كم دولة - قدمصت والنصر يندمها -  
موت بدارا ، وفلت غرب فاتله ،  
واسترجعت - من بي ساسان - ماوهبت ،  
وأبتعت أحتها طمها ، وماذ على  
وما أقلت ذوى الهات - من عين -  
ومرقت سباً - في كل فاصية - ،  
وأفندت سقى كليب - حكمها ، ومرت  
فما البكاء على الأشباح والصور  
من نومة بين ناب الليث والمظفر  
فادهر حرب - وإن أبدى مسألة -  
والبيص والسود مثل البيص والسر  
يد الصراب - وحين الصارم الذكر  
فما ساعة عينها سوى السهر  
فلا تمر تلك - من دباك - نومتها ،  
ما لليلالي - أقال الله عترتنا  
في كل حين لها - في كل جارة  
تسر بالشيء ، لكن كي تمر به  
كم دولة - قدمصت والنصر يندمها -  
موت بدارا ، وفلت غرب فاتله ،  
واسترجعت - من بي ساسان - ماوهبت ،  
وأبتعت أحتها طمها ، وماذ على  
وما أقلت ذوى الهات - من عين -  
ومرقت سباً - في كل فاصية - ،  
وأفندت سقى كليب - حكمها ، ومرت

مُئَلَّنًا، فَاسْتَطَارَ بَارِقُ فَخْرِهِ، وَاسْتَضَاءَ فَائِخُ ذِكْرِهِ، وَشَهَرَتْ عَاصِيَتُهُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ، وَسَارَتْ مَا تَرَاهُ مَسِيرَ الشَّمْسِ بِكُلِّ مَكَانٍ، لِمَا سَوَّغَ مِنْ كَرَمِهِ،

ولم ترد - على الليل - محنته  
ودوخ آل ديات وإحوتهم  
والفت سدى - بالراق - على  
وأهلك «أبروذا» بابه، ودرم  
وبلت «يزد حرد» العين واختزلت  
ولم ترد مواضى «رسم» وقا  
يوم القليب بو بدر هوا وسى  
ومررت «مغراً» باليس، واختلست  
وأشرفت بحبيب - فوق فارعة -  
وحصد - بيب عثمان دما، وحط  
وما رعت - لأبى القيقان - محنته  
وأجرت سيب أشقاما أما حسن،  
وليتها - إذ دلت عمراً بجارحة -  
وفي ابن هند وفي ابن المصطفى «حسن»  
فبمنا فائل : «ما اغتاله أحد»  
وأردت ابن رباد الحسین، فلم  
ومحب - بالطنبي - بوى أبى أس،  
وأزلت معها - من رأس شاهقة -  
ولم تراقب مكان ابن الزبير، ولا  
وأعمل - فى لطيم الحن - حيثما،  
ولم تدع - لأبى الدبث - فأسبه،  
وأحرق شلو «زبد» بدماء حترقت  
وأظمرت نالويد - بن اليريد - ولم  
«حباة» حب رمان أتبع لها،  
ولم تمد نصب السفاخ ثانية  
وأسبلت دمة الروح الأوبى على  
وأشرفت جعفرأ - والفصل يطره -  
وأخمرت فى الأمين - العهد، وانتدبت  
وما روت بيهود للستين، ولا  
وأوتقت فى - عراها - كل مستند،

ولا تفت أسداً من ربا حجر  
عبأ، ونصت بى بدر على التبر  
يد ابنه أحر العين والشعر  
يزد حرد إلى «سرد» فلم يحمر  
عنه - سوى المرص - جمع الترك والحرر  
«دى حاد» عه سعداً وابنة المير  
قليب بدر - بمن فيه - إلى سقر  
- من قبله - «حزة» لظلام الجبر  
وألمقت «طلعة» الفياض بالغفر  
إلى الزبير، ولم تستجى من عمر  
ولم تزوده إلا الصبح فى المر  
وأمكن - من حين - راحى شعر  
دلت علماً بى شاة من البشر  
أتت بمفصلة الألباب والفحص  
وسمنا ساكت لم يوت من حصر  
يؤ شمع له - قد طاح - أو ظفر  
ولم ترد الردى عنه فنا «زمر»  
كانت بها مهجة المختار فى وزر  
راحت عيادته مالىب والمجر  
واستوسقت لأبى الدنان ذى البحر  
ليس العظيم لها «عمرو» بمتمر  
- عليه وحداً - قلوب الآلى والصور  
تبقى الخلافة بين الكاس والوتر  
و «أحمد» نظرتة فحسة النظر  
عن رأس مروان أو أشياءه المر  
دم ببح لآل المصطفى هند  
والشبح يحى برقى الصارم الذكر  
لجمر دابته والأعبد الفدر  
بما تأكد المعر من سرد  
وأشرفت - بقضاها - كل مقتدر

وَأَسْبَغَ مِنْ نَعْمِهِ ، وَوَسَّأَ - لِلْأَمَلِينَ - مِنْ أَكْنَفِهِ ، وَهَزَّ - إِلَى الرَّاعِيَيْنِ - مِنْ  
أَعْطَافِهِ ، وَرَفَرَفَتْ أَجْنَحَةُ الْأَهْوَاءِ إِلَيْهِ ، وَاهْتَزَّتْ جَوَانِحُ الْأَمَالِ إِلَيْهِ ،

ودروحت كل مأمول ومؤتمن ، وأسلفت كل منصور ومتمنصر  
وأعترت آل عباد - لما لهم - بذيل زباء لم تنفر من القدر

❦

بى المظفر - والأيام ما برحت مراحلا - والورى منها على سمر  
سحقا ليومكم يوما ، ولا حلت - بثله - لقة في مقل العمر  
من للأسرة ؟ أو من للأنة ؟ أو من للأسنة ؟ يهديها إلى الثغر  
من للظي ؟ وعوالى الحط قد هفتت - أطراف السنها - بالي والحمر  
وطوقت - بالنايا السود - بيعهم فاجب بذاك ، وما منها سوى الذكر  
من للبراعة ؟ أو من للبراعة ؟ أو قنفع والصرر ؟  
أو دفع ككارة ؟ أو ردع آزفة ؟ أو وقع حادثة نسي على القصور ؟  
ويح السباح ويح الياش - لو سلمنا - وحسرة الدين والدنيا على عمر  
سقت ثرى الفصل والماس مامية - ثرى إليهم - سباحا - لا إلى للطر  
ثلاثة ما رأى الصمرات مثلهم - فصلا - ولو عززا بالشمس والقمر  
ثلاثة ما ارتقى النيران حيث وقوا - وكل ما طار - من نسر - ولم يطر  
ثلاثة كمدوات الصمر - منذ تأوا - حتى - مضى النهر لم يبرح ولم يحمر  
وسر - من كل شيء - به أطبه - حق التمتع بالأصال والعسكر  
أين الجلال الذى غضت مهاجته - قلوبا وعبوت الأنعم الزهر ؟  
أين الالباء الذى أرسوا قواعدهم - على دعائم من عز ومن طفر  
أين الوفاء الذى أصفوا اشراقهم - فلم يرد أحد منها على ككدر  
كانوا رداى أرض الله - منذ تأوا - عنها - استطارت بمن فيها لم تخر  
كانوا مصايحها ، قد خبوا عثرت - هدى الحليقة - يا الله - فى صدر  
كانوا شحى النهر ، فاستهوتهم خدع - منه بأحلام عادى خطي الحفر  
ويل الله من ظلوب التار مدركه - منهم بأسد سراه فى الوعى صبر  
من لى - ولانهم - لئلا طلت نوب - ولم يكن ليها يقضى إلى - سر ؟  
من لى ومن جه - إن عظك سفين - وأخفتت ألسن الآثار والسير ؟  
من لى ومن بهم إن طيقت محن - ولم يكن وودها يقضى إلى صدر ؟  
على الفضائل - إلا الصبر - سلام مرعوب للأجر منتظر  
يرحو على ، وله - فى أختها - أمل - والدمر ذو عقب شق وذو غير  
قرطات أذنت من فيها مهاضمة - على المسال حصى الباقوت والدرر .

وَكَثُرَ النَّغَائِرُ عَلَى تَقْيُوثِهِ ، وَالتَّنَافُسُ فِي الإِعْتِلَاقِ بِحَبْلِهِ ، وَكُلُّ اسْتَفْرَغٍ  
جَهْدُهُ ، وَتَرْسُلٍ عَلَى حَسَبِ مَا عِنْدَهُ ، وَلَا غَرَوْ أَنْ يُسْتَمَطَرَ النِّعَامُ ، وَيَكْثُرَ  
- فِي الْمَشْرِبِ الْعَذْبِ - الرَّحَامُ <sup>(١)</sup> .

وَمَازَلْتُ - أُنْقِي اللَّهَ الْحَاجِبَ - أَتَلَقَّى مِنْ مَسَاعِيهِ الْمَشْكُورَةِ ، وَيَقْرَعُ  
تَمِيمِي بِمَآثِرِهِ الْمَآثُورَةِ ، مَا هُوَ أُنْدَى مِنْ مُلُوحِ الْأَمَلِ ، وَأَشْهَى مِنْ أُخْتِلَاسِ  
الْقُبْلِ ، وَأَغْضُ مِنْ جَنَى الزَّهْرِ ، وَمَاهُوَ أَلْطَفُ مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ ، حَتَّى أَتَقَادَتْ  
نَفْسِي فِي زِمَامِ التَّأْمِيلِ وَالْمُودَّةِ ، وَتَازَعَتْ إِلَى الْأَخْذِ بِحِظٍّ مِنَ الإِعْتِلَاقِ  
وَالْمَمَازَجَةِ ، وَتَظَرْتُ إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْبُعْدِ الْمَانِعَةِ ، وَأَمْتِدَادِ  
الثَّانِي الْمُعْتَرِضَةِ ، فَفَضَضْتُ طَرْفَ الْخَيَةِ ، وَطَوَيْتُ كَشْحًا عَلَى الْيَأْسِ مِنْ  
دَرْكِ الْأُمْنِيَةِ ، إِلَى أَنْ نَدَبَنِي الْأَدِيبُ « أَبُو فُلَّانٍ » إِلَى مُحَاطَبَتِهِ ، وَحَرَضَنِي عَلَى  
مُكَاتَبَتِهِ ، وَتَبَهَّنِي عَلَى مَا فِي الثَّقَافِلِ - عَنْ مُدَاخَلَتِهِ - مِنْ التَّضْيِيعِ الصَّرِيحِ ،  
وَالْتَقْصِيرِ الْبَيْنِ الصَّحِيحِ ، إِذْ هُوَ أَسْنَى عَلَيَّ غَوْلِي فِيهِ ، وَأَنْفَسُ ذُخْرِ نُوفَسِ  
فِيهِ ، فَطَرِبْتُ - إِلَى ذَلِكَ - كَمَا طَرِبَ النُّشْوَانُ مَالَتْ بِهِ الْخَمَرُ ، وَاهْتَرَزْتُ كَمَا  
أَهْتَرَزَ - تَحْتَ الْبَارِحِ <sup>(٢)</sup> - الْفُصْنُ الرُّطْبُ ، وَرَأَيْتُ شُكْرَ يَدِ الْعَلِيَاءِ فِيهَا حَتَّى  
إِلَيْهِ ، وَحَضَنِي عَلَيْهِ ، بِمَا فِيهِ حِلْيَةُ الْفَخْرِ ، وَمَكْرَمَةُ الدَّهْرِ ، أَنْ اسْتَفْتَحَ  
بَابَ الْمُكَاتَبَةِ بِالشِّقَاقَةِ ، وَأَنْهَجَ طَرِيقَ الْمُحَاطَبَةِ فِي الْعِنَايَةِ بِهِ ، وَتَبَيَّنْتُ - بَعْدَ  
ذِمَامِ الطَّلَبِ ، وَحُرْمَةِ الْوُدِّ وَالْأَدَبِ - مَا اسْتَقْصِرُ نَفْسِي مَعَهُ أَنْ أَتَقَدَّمَ فِي

(١) يشير إلى التل المعهود : « اللورد المذ كثير الرحم » .

(٢) ربح بارح - ربح شديدة .

خِدْمَةِ رَغْبَتِهِ قَلَمِي ، وَقَدْ تَأَخَّرَ قَدَمِي ، وَبَعْدَ الْإِقْصَارِ بَغِيَّةَ كِتَابِي ، دُونَ  
 أَنْ أَرْمَ إِلَيْهِ رِكَابِي ، وَهُوَ فَتَى نَامَ جَدُّهُ ، وَأُسْتَقْبَلَهُ حَدُّهُ ، فَتَنَكَّرَ الرَّمَانُ لَهُ ،  
 وَأَعْتَرَتْ الْأَيَّامُ لَهُ ، بَيْنَ ذُنَابِ سِمَايَةِ عَوَتْ عَلَيْهِ ، وَعَقَارِبِ وَشَايَةِ دَبَّتْ  
 إِلَيْهِ ، وَأَصْلَى بِنَارِ حَرْبٍ لَمْ يَخْنِهَا ، وَآلَ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى فِرَاقٍ أَحْبَبْتِهِ ، وَالْبُعْدِ  
 عَنْ مَسْقَطِ رَأْسِهِ ، وَمَمْلَقِ تَمَامِهِ ، عَلَى ضَيْقِ خَالِهِ ، وَضَعْفِ إِحْسَانِهِ ،  
 وَأَشْهَدُ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدِ الْحَاجِبَ إِلَّا وِلَاءَهُ ، وَعَلَيْهِ الْإِثْنَا ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ  
 يُعِيدُ شُكْرَهُ وَيُؤَدِّيهِ ، وَيَنْشُرُ نَحْدَهُ وَيَطْوِيهِ ، وَالْحَاجِبُ - أَدَامَ اللَّهُ إِعْزَازَهُ -  
 وَلِيَ بِأَعْدَائِهِ عَلَى زَمَانِهِ الْقُشُومَ ، وَأَمَلَى بِإِنصَافِهِ مِنْ دَهْرِهِ الظُّلُومَ ، بِالْبَاسِ  
 مِنْ جَمِيلِ رَأْيِهِ مَا عَرَى مِنْهُ ، وَإِرَادِهِ مِنْ شَرِيعَةِ رِضَاهُ مَا حُلِيَ عَنْهُ ،  
 وَالتَّخْلِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَفْقِ الَّذِي لَمْ يَرَ كَوْكَبَ سَعْدٍ إِلَّا فِيهِ ، وَلَا تَلَقَى  
 نَسِيمَ حَيَاةٍ إِلَّا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ بِمَا يُؤَلِّفُهُ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَيَأْتِيهِ مِنَ الْفَضْلِ فِي شَانِهِ ،  
 مُسْتَجْزِلُ شُكْرِ مَنْ أَنْفَضَهُ لِسَانُ ، وَأُسْتَقْلَلَ بِهِ بَيَانُ ، وَهُوَ أَهْلُ الْفَضْلِ ،  
 وَالْمَهْجُودُ مِنْهُ كَرَمُ الْعَمَلِ ، وَاللَّهُ يُبْقِيهِ وَيُعْلِيهِ ، وَهُوَ حَسْبُهُ وَحَسْبِي فِيهِ .  
 وَلَمَّا أُطْرِدَ هَذَا التُّرْبُ بِحُسْنِ أَنْصَافِهِ ، وَلَذِيذِ مَذَاقِهِ ، هَزَّتِ النَّظْمُ أَرْيَحِيَّةً  
 جَذِبَ لَهَا بَعَانِيَهُ ، وَعَارَضَهُ بِهَا فِي مِيدَانِهِ ، وَابْتَدَأَ أَنْ يَنْفَرِدَ التُّرْبُ بِإِلْقَاءِ  
 الْحَاجِبِ وَمُشَافَهَتِهِ ، وَتَسْتَبِدُّ بِأَنْ تُلَمَحَ غُرَّتُهُ ، وَتُحْدَمَ بِالْحُضُورِ حَضْرَتُهُ ،  
 فَأَثْبَتَتْ مِنْهُ مَا إِنْ أَنْعَمَ عِنْدَ تَصَفُّحِهِ بِالصَّفْحِ عَنْ الزَّلَلِ الَّذِي يَعْزِضُ فِيهِ ،  
 وَالْخَلَلِ الَّذِي يَبْدُو مِنْهُ ، وَصَلَّ النُّعْمَةَ بِمِثْلِهَا ، وَقَرَنَ الْعَارِفَةَ بِشَكْلِهَا .

لَيْبِضُ الطَّلَى وَلِسُودِ اللَّحْمِ      بَعَثَلِي - مُذْنِبٌ عَنِّي - لَمْ<sup>(١)</sup>

فَنِي نَاطِرِي - عَنْ رَشَادِي - عَمِي ، وَفِي أُذُنِي - عَنْ مَلَامِي - صَمَمِي <sup>(١)</sup>  
 قَضَتْ بِشِمَامِي - عَلَى الْعَازِلِينَ - شُمُوسٌ مُكَلَّلَةٌ بِالْأُفْلَمِ  
 فَمَا سَقَمْتُ لَحَظَاتِ الْمَيُومِ نِ إِلَّا لِتَغْرِيبِي بِالسَّقَمِ  
 يَلُومُ الْخَلِيَّ عَلَى أَنْ أَجَنَّ وَقَدْ مَزَجَ الشَّوْقُ دَمْعِي بِدَمِ  
 وَمَا ذُو التَّذَكُّرِ يَمْنُ يَلَامُ وَلَا كَرُمُ الْعَهْدِ يَمَّا يَدَمُ

وَإِنِّي أَرَاكِ إِذَا مَا الْجَنُودُ \* بُ رَاحَتِ بِرِيًّا جَنُوبِ الْعَلَمِ  
 وَأَصْبُو لِعِرْفَانٍ عَرَفَ الصَّبَا وَأَهْدَى السَّلَامَ إِلَى « ذِي سَلَمِ »  
 وَمِنْ طَرَبٍ عَادَ نَحْوُ « الْبُرُوقِ » أَجْهَشْتُ لِلْبَرْقِ حِينَ أَبْتَسَمَ  
 أَمَّا وَرَمَانِي - مَضَى عَهْدُهُ حَمِيدًا - لَقَدْ جَارَ لَمَّا خَكَمَ  
 قَضَى بِالصَّبَابَةِ ثُمَّ انْقَضَى وَمَا اتَّصَلَ الْأَنْسُ حَتَّى انْقَصَرَ  
 لِيَاكِ نَامَتْ عَيُونُ الْوُشَا فَعِنَّا ، وَعَيْنُ الرِّضَى لَمْ تَنْتَمِ  
 وَمَا لَتْ عَلَيْنَا غُصُونُ الْهَوَا فَأَجُنْتُ غَارَ الْمَنَى مِنْ أَمَمِ  
 وَأَيَّامُنَا مُذْهَبَاتُ الْبُرُودِ رِيقُ الْخَوَاشِي ضَوَائِي الْأَدَمِ  
 كَانَ « أَبَا بَكْرٍ » الْأَنْسَلَمِيَّ أَجْرَى عَلَيْهَا فِرْنَدُ الْكَرَمِ  
 وَوَشَّحَ زَهْرَةً ذَاكَ الزَّمَانِ بِمَا حَارَ مِنْ زُهْرَتِكَ الشِّيمِ  
 هُوَ الْحَاجِبُ الْمُغْتَلِي لِلْعَلَا شَمَارِيحَ كُلِّ مُنِيفِ أَشْمِ  
 مَلِكٌ - إِذَا سَابَقَتْهُ الْمُلُوكُ - حَوَى الْخَصْلَ أَوْ سَاهَمَتْهُ مَهْمِ  
 فَاطُولُهُمْ - بِالْأَيَادِي - يَدَا ، وَأَثْبَتُهُمْ - فِي الْمَعَالِي - قَدَمِ

(١) قَالَ ابْنُ هَانِي الْأَنْدَلُسِي :

« وَفِي بَحْرِي - عَنْ سَوَاكِم - عَمِي ، وَفِي أُذُنِي - عَنْ سَوَاكِم - صَمَمِي . »

\* \*

وَأَرْوَعَ، لَا مُنْعَى فِي رِفْدِهِ      يَحْيَبُ، وَلَا جَارُهُ يُهْتَضَمُ  
ذُلُّ الدَّمَائَةِ صَنِيبُ الْإِبَاهِ      ثَقِيفُ الْعَزِيمِ إِذَا مَا اقْتَضَمُ  
سَمًا لِلْجَبَرَةِ - فِي أَفْقَهَا -      فَجَرٌّ عَلَيْهَا ذُبُولُ الْهَيْمِ  
وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهْرَ النُّجُومِ      وَبَارَتْ عَطَائَاهُ وَطْفَ الدَّيْمِ  
نَهَيْكَ - إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْعَجَاجِ -      مَرَى مِنْهُ فِي جُنْحِهِ بَذَرْتِمِ  
فَشَامَ الشُّيُوفَ بِهَامِ الْكُؤَامَةِ      وَرَوَى الْقَنَّا فِي نُحُورِ الْبُهْمِ  
جَوَادُ ذَرَاهِ مَطَافِ الْعَفَاةِ      وَيُمْنَاهُ رُكْنُ النَّدَى الْمُسْتَلَمِ  
يَهِيْجُ التَّزَالُ بِهِ وَالشُّوَا      لُ لَيْثًا هَضُورًا وَبُحْرًا خِصَمِ  
شَهِدْنَا، لَا وَتِي فَصْلَ الْخِطَابِ      وَخُصَّ بِفَضْلِ النَّهْيِ وَالْحِكْمِ  
وَهَلْ فَاتَتْ شَيْءًا مِنَ الْمَكْرُمَاتِ      جَرَى نَسِيفُ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمِ

\* \*

وَمُسْتَحْمَدُ بِكَرِيمِ الْفَعَا      لِي - عَفْوًا - إِذَا مَا اللَّيْمُ أُسْتَدَمَ  
شَمَائِلُ تُهْجَرُ عَنْهَا الشُّمُولُ      وَتَجْنِي لَهَا مُشْجِيَاتُ النَّعَمِ  
عَلَى الرُّوْضِ مِنْهَا رُؤُوسُ يَرْوُقُ      وَفِي الْمِسْكِ طِيبُ أَرْيَجِ يُسْمَمِ

\* \*

أَبُوهُ الَّذِي فَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ      وَلَا أَمَّ شَعْبَ الْهُدَى قَالَتَانِ  
وَلَا ذَا فِي الدِّينِ مُسْتَقْصِمًا      بِذِمَّةِ أَبْلَجِ وَافِي الدَّمَمِ  
وَجَاهِدَ - فِي أَهْلِ - حَقِّ الْجَاهِ      دِيْمَنَ دَانٍ - مِنْ دُونِهِ - بِالصَّمَمِ

فَلَا سَايَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذَلَّ      وَلَا سَايَخَ الْأَنْفِ إِلَّا رَغَمَ  
تَقِيلُ فِي الْعِزِّ - مِنْ خَيْرٍ -      مَقَاوِلَ عَزُّوا جَمِيعَ الْأَمَمِ  
هُمْ نَعَشُوا الْمُلْكَ حَتَّى اسْتَقَلَّ      وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ  
نُجُومُ هُدًى - وَالْمَالِ بُرُوجُ -      وَأَسْدُ وَغَى وَالْعَوَالِي أَجَمَ

\* \*

« أَبَا بَكْرٍ » اسْلَمَ عَلَى الْحَادِثَاتِ ،      وَلَا زِلْتَ - مِنْ رَيْبِكَ - فِي حَرَمِ  
أَنَادِيكَ - عَنْ مِقَةٍ - عَهْدُهَا      كَمَا وَشَتِ الرُّوضِ أَيْدِي الرَّهَمِ  
وَإِنْ يَمُدُّنِي عَنْكَ شَخْطُ النَّوَى      فَحَطَّيْ أَخْسَ وَتَقْسِي ظَلَمَ  
وَإِنِّي لِأَصْفِيكَ مَحْضَ الْهَوَى      وَأَخْنِي - ائِمْدِكَ - بَرْحَ الْأَلَمِ  
وَفَيْرُكَ أَخْفَرَ عَهْدَ الدَّيَامِ      إِذَا حُسْنَ ظَنِّي عَلَيْهِ أَذَى

\* \*

وَمُسْتَشْفِعِي ، بِشَرَّتِهِ      - عَلَى ثِقَةٍ - بِالنَّجَاحِ الْأَمِّ  
وَقَدِّمًا أَقْلْتَ الْمُسِيءَ الْعِثَارَ      وَأَحْسَنْتَ - بِالصَّفْحِ - عَمَّا أَجْتَرَّ  
وَعِنْدِي لِشُكْرِكَ نَظْمُ الْعُقُودِ      تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي الثُّومِ  
تُجِدُ لِفَخْرِكَ بُرْدَ الشَّبَابِ      إِذَا لَبَسَ الدَّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ  
فَمِنْ مَقْصَمٍ يَفْجَأُ الشُّعُودِ      وَدُمْ نَاعِمًا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ  
وَلَا يَزَلِ الدَّهْرُ ، أَيَّامُهُ      لَكُمْ حَسَمٌ ، وَالْآيَالِي خَدَمِ



هَذَا أَعَزُّ اللَّهِ الْحَاجِبَ مَا أَقْتَنَصَتْهُ الْقَرِيحَةُ مَعَ اقْتِضَائِهَا ، وَأَجَابَتْهَا بِهِ  
 الْبَدِيهَةُ عِنْدَ اسْتِدْقَامِهَا ، وَالنَّهْنُ <sup>(١)</sup> عَلِيلٌ ، وَالطَّبْعُ كَلِيلٌ ، وَالرَّوِيَّةُ فَاسِدَةٌ ،  
 وَسُوقُ الْأَدَبِ - إِلَّا عِنْدَهُ - كَاسِدَةٌ ، وَلَوْ أَنِّي أُوتَيْتُ - فِي النَّثْرِ - غَزَاةَ عَمْرِو ،  
 وَبِرَاعَةِ ابْنِ سَهْلٍ ، وَأَمْدَدْتُ - فِي النَّظْمِ - بِنَظْمِ الْبُحَيْرِيِّ ، وَصِنَاعَةِ الطَّائِي <sup>(٢)</sup>  
 لَمَا رَدَدْتُ - إِلَى الْحَاجِبِ - إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ ، وَلَا أَوْرَدْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مَا صَدَرَ عَنْهُ ،  
 وَلَا أَفْذَنْتُ مَا أَفْذَنْتُ إِلَّا مِمَّنْ أَمَلُ يَنْسُطُ ، وَخَجَلُ يَقْبِضُ ، فَرَأَيْتُهُ مُوَفَّقٌ فِي  
 أَنْ يَمْتَنِعَ مَا بَعَثَ الْأَمَلُ إِسْمَافَا ، وَمَا أَوْجَبَ الْحَجَلُ إغْضَاءً ، لِتَأْتِيَ الْإِحْسَانَ مِنْ  
 جِهَاتِهِ ، وَيَسْلُكَ - إِلَى الْفَضْلِ - طُرُقَانِهِ . وَمُرَاجَعَتُهُ لِي عَنْ كِتَابِي بِمَهْدٍ كَرِيمٍ يَكُونُ  
 كَعَلَا لِعَيْنِ الرِّضَا بِوَحْيَةِ الْقَوْلِ ، أَفُفْ بِهِ مِنْ تَوَالِي النِّعَمِ عَلَيْهِ ، وَأَتَشْتَظُّمُ  
 الْأَحْوَالِ - بِالصَّلَاحِ - لَدَيْهِ - عَلَى مَا تَبَشَّجُ لَهُ نَفْسِي ، وَيَنْتَظِمُ مَعَهُ عَقْدُ أَنْسَى ،  
 يَدٌ عِنْدِي جَنَاحَا شَهْدٌ ، وَشَدَاهَا عَنَبَرٌ وَوَرْدٌ ، وَرِدَاوُهَا الشُّكْرُ الْجَزِيلُ ،  
 وَأَتُبِيهَا النَّوَاءَ الْجَمِيلَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .  
 وَلِيَبْلُغَ مِنِّي سَلَامًا يَهْدِي إِلَيْهِ نَدَاهُ <sup>(٣)</sup> ، وَنَجِيَّةٌ أُولَاهَا عِنْدِي وَآخِرُهَا عِنْدَهُ .

(١) وفي الأصل : « والنهر » .

(٢) يعني أبا تمام .

(٣) الند ( بالفتح ) وبكسر : الطيب أو العنبر ، وفي الأصل : « يهدي إليه نفسه »

## إلى ابن مسleme

« وكتب من قرطبة إلى ابن مسleme بأشبيلية

قبل تحوله إليها : »

يَا سَيِّدِي وَأَرْفَعُ عُنْدِي ، وَأَوَّلَ الدَّخَائِرِ فِي عَدْدِي ، وَأَخْطَرَ عِلْقِي مَلَأْتُ مِنْ  
اِقْتِنَائِهِ يَدِي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي عَيْشَةٍ بَارِدَةِ الظَّلَالِ ، وَنِعْمَةٍ سَابِغَةِ الْأَذْيَالِ ،  
قَدْ تَقَاصَرَ الثَّنَاءُ عَلَيْكَ ، وَتَوَالَى الْحَدِيثُ الْحَسَنُ عَنْكَ ، حَتَّى حَلَّتْ عِلَّ الْأَمَانَةِ ،  
وَكُنْتَ مَوْضِعَ تَقْلِيدِ الْوَطَنِ ، وَثَبَاتِ الطُّوبَى ، وَاللَّهُ يُمَتِّعَكَ بِمَا حَازَهُ لَكَ مِنْ  
الْخَيْرِ ، وَوَفَّرَهُ عَلَيْكَ مِنْ طِيبِ اللَّهِ كَرِ .

فِي عِلْمِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مَا تَقْتَضِيهِ الْمُظْلَمَةُ مِنْ إِظْلَامِ الْخَطِيرِ ، وَصَدَأِ النَّفْسِ ،  
وَيَجْنِيهِ طَوْلُ الْمَقَامِ مِنْ إِخْلَاقِ الدِّيَابِجَةِ وَإِرْخَاصِ الْقَدْرِ ، وَقَدْ أَنْ أُجْتَنِيَ  
ثَمَرَةٌ مِنْ آدَابِ أُطْلُتِ الْإِعْتِنَاءُ بِهَا ، وَأَخْلَاقٍ أَدْمَتُ رِيَاضَةَ النَّفْسِ عَلَيْهَا ، وَلَمَّا  
مَحَضَتْ الْمُلُوكَ وَجَدَتْ عِبَرَهُمُ الَّذِي أَنْسَى <sup>(١)</sup> السَّالِفَ قَبْلَهُ ، وَتَقَدَّمَ الدَّاهِرَ مَعَهُ ،  
وَأَتْنَبَ الْغَابِرَ بَعْدَهُ ، الْحَاجِبَ فَخْرَ الدَّوْلَةِ مَوْلَايَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَكَبَّتْ  
أَعْدَاءُهُ ، مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ سِنَى الْهِمَمِ ، وَتَمَاحَةِ الشِّيمِ ، وَأَنْتِظَامِ أَسْبَابِ  
الرِّيَاسَةِ ، وَكَمَالِ آلَاتِ السِّيَاسَةِ ، وَاجْتِمَاعِ الْمَنَاقِبِ الَّتِي أَفْرَدَتْهُ عَنِ النُّظَرَاءِ ،  
وَأَعْلَنَتْهُ عَنْ مَرَاتِبِ الْأَكْفَاءِ ، فَرَأَيْتُ قَبْلَ أَنْ أُحْتَمِلَ لِعَيْرِهِ نِعْمَةً ، أَوْ لَوْسَمَ  
بِمَنْ سِوَاهُ بِصَنِيعَةٍ - أَنْ أَعْرِضَ نَفْسِي تَمْلُوكَةً عَلَيْهِ ، عَرَضَ مَنْ لَا يَوْمُ لَهَا  
- لِإِجَارَتِهِ - إِلَّا بِالْأَسْتِجَارَةِ ، وَلَا يَطْمَعُ لَهَا - فِي قَبُولِهِ - إِلَّا بِالْمُسَاعَاةِ ، فَلَوْ  
كُنْتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُبَيْدٍ بَرَاعَةً نَظُمَ ، وَجَعَفَرَ ابْنَ يَحْيَى بِلَاغَةً نَثَرَ ، وَإِبْرَاهِيمَ

أَبْنُ مَهْدِي طَيْبَ مُجَالَسَةٍ ، وَإِمْتِنَاعَ مُشَاهَدَةٍ ، ثُمَّ حَضَرَتْ مُجْلِسَةُ الْعَالِي ، لَمَّا كُنْتُ بِسَعَةِ إِحَاطَتِهِ الْإِفْقِي جَانِبِ التَّقْصِيرِ ، وَتَحْتَ غَدْرَةِ النُّقْصَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَتَدَمَّ فِي نَجَابَةِ غَرَسِ الْيَدِ ، وَإِصَابَةِ طَرِيقِ الْمَضْنَعِ ، مِنْ وَلَايَةِ أَخْلَصُهَا وَنَصِيحَةِ أَنْحَضُهَا ، وَشُكْرِ أَجْنِيهِ الْفَضِّ مِنْ زَهْرَاتِهِ ، وَتَنَاءِ أَهْدَى إِلَيْهِ الْمُطَرِّ مِنْ نَفَحَاتِهِ ، مِنْهَا مَا سَوَّغَكَ اللَّهُ مِنَ الْمَوْهِبَةِ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْهَضَكَ بِأَعْيَانِهِ الشُّكْرَ لَهَا ، وَمِنْهَا شَرَفُ مَذْهَبِكَ ، وَكَرَمُ سَجِيَّتِكَ ، وَصِحَّةُ مُشَارَكَتِكَ لِمَنْ لَمْ يَسْتَوْجِبْهَا أُسْتَيْجَابِي ، وَلَا أَسْتَدْعَاهَا بِمِثْلِ أَسْبَابِي ، مِنْ تَدَانِي الْجِدَارِ وَتَصَانِي السَّلَفِ ، وَالْإِنْتِمَاءِ إِلَى أُمَرَةِ الْأَدَبِ ، فَإِنْ وَافَقَتْ الْمُسَاعَفَةُ الْإِرَادَةَ فَحَظُّ أَقْبَلٍ ، وَعَبْدٌ بَلَغَ مِنْ قَبُولِ سَيِّدِهِ مَا أُمِّلَ

وَلَمْ أَقُلْ - عَمَرُكَ اللَّهُ - كَمَا قِيلَ فِي النُّجْمَيْنِ ، بَلْ قُلْتُ : « وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْئَيْنِ » وَإِنْ عَاقَ حَرِّمَا نُحَادَثُهُ أَنْ يُعَوَّقَ عَنِ الظُّفْرِ ، وَيَقْتَرِضَ دُونَ الْأَمْلِ ، فَأَعْلَمُهُ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - أَنِّي فِي حَالِي الْمُطْلَعَةِ مَعَ غَيْرِهِ وَالتَّصَرُّفِ - وَيَوْئِي الْأَنْتِقَاعَ وَالتَّصَوُّفَ (١) ، كَأَلْمَهْدِيِّ بِالنُّجْمِ حِينَ عَدِمَ ذِكَاؤُهُ ، وَمُتَيْمِّمِ الصَّيْدِ حِينَ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ .

فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا غَيْرُهُ أَوْ أَرْزَهُمْ فَكَأَلَوْحَشٍ يُذْنِبُهُ مِنَ الْأَنْسِ الْمَخْلُ وَاللَّهُ يَتَوَلَّاهُ بِالْفُسْخَةِ فِي عُمْرِهِ ، وَالْإِعْلَاءَ لِأَمْرِهِ ، وَيَصْرِفُ الْأَفْذَارَ مَعَ إِشَارِهِ ، وَيَصْرِفُ وَجْهَ التَّوَفِّيقِ إِلَى اخْتِيَارِهِ ، وَلَكَ - يَا سَيِّدِي - فِي أُتْدَابِكَ مَا أُتْدَبْتُكَ لَهُ مَا لِلْسَّامِعِ النُّجْجِ مِنَ الشُّكْرِ ، وَلِلْمُجْتَهِدِ الْبَالِغِ مِنَ الْمُدْرِ ، مِلَاكَ الْأَمْرِ بِتَقْدِيمِ الْمُرَاجَعَةِ بِالْجَوَابِ ، فَأَسْكُنْ إِلَيْهِ ، وَالْجَنَابِ فَأَعْتَمِدْ عَلَيْهِ ، وَأَهْدِي إِلَيْكَ نَدَى الْفَضِّ النَّاصِرِ مِنْ سَلَامِي ، وَالْأَرَجِ الْمَاطِرِ مِنْ نَحْيَتِي .

## رسالة إلى المعتضد

« وكتب إثر ذلك إلى المعتضد رقعة يقول فيها : »

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْحَاجِبِ فَخَرِ الدَّوْلَةَ - مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَمَوْلَى الْمَنَاقِبِ  
الْجَلِيلَةِ، وَالضَّرَائِبِ النَّفِيسَةِ - فِي أَكْمَلِ مَا تَكْفَّلَ لَهُ بِهِ مِنْ عُلُوِّ الْقَدْرِ،  
وَنَفَازِ الْأَمْرِ، وَأَخْطَأَهُ مِنَ النِّعَمِ بِأَسْبَغِهَا سِرًّا بَالًا، وَأَبْرَدَهَا ظِلَالًا، وَأَحْمَدَهَا بَالًا.  
كُنْتُ - أَعَزَّ اللَّهُ الْحَاجِبَ - مَوْلَايَ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي عَامِرٍ  
عَبْدِهِ بِمَا أَقْنَعْتُ أَنَّهُ أَتَمَّ إِلَى إِلَهِي، وَأَشْتَمَلَ عَلَيَّ، فَكَتَبَ الْوَزِيرُ إِلَى بَعْضِ  
أُسْبَاغِي بِمَا يَقُومُ مَقَامَ الْمُرَاجَعَةِ لِي بِمَا يَرْتَفِعُ عَنْ قَدْرِي، وَلَا تَنْسُجُ لَهُ سَاحَةً  
شُكْرِي، لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مِنَ الْحَاجِبِ - أَيْدَهُ اللَّهُ - صَدَرَ، وَبَعْدَ إِذْنِهِ <sup>(١)</sup> فَقَدْ،  
وَالَّذِي عَدَانِي عَنْ أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْحَاجِبِ - أَبْقَاهُ اللَّهُ -  
التَّأْدُبُ بِآدَابِ خِصْيَانِ الْعَبِيدِ فِي الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ، وَتَرْكِ التَّبَسُّطِ وَالْإِفْدَامِ،  
وَقَلَمًا أَسْتَفْنَتْ أَوَائِلُ مَطَالِبِ الْإِتْبَاعِ لِحَضْرَةِ الْمُلُوكِ عَنْ وَسَائِطِ تَهْدُهَا  
وَتَعْتَمِدُ أَوْقَاتِ الْإِمْكَانِ بِهَا، لِأَنِّي مَا اتَّخَذْتُ إِلَى الْحَاجِبِ - أَدَامَ اللَّهُ غُلُوبَهُ -  
غَيْرَ سِيَادَتِهِ ذَرِيعَةً، أَوْ التَّمَسُّتُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ نَفَاسَةٍ نَفْسِهِ شِفَاعَةً، وَأَيُّ  
مَعْدَى لِمِثْلِي عَنْ تَفْيُؤِ ظِلَالِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ بِجَنَابِهِ. وَصِنَاعَةُ الْآدَابِ كَاسِدَةٌ إِلَّا  
عَلَيْهِ، وَطَرِيقُ الْأَمَلِ مُوجِشَةٌ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يَدْعُنِي إِلَى اسْتِطْلَاعِ مَا قَبْلَهُ  
شَاكٌّ فِي كَرَمِهِ، وَلَا سُوهُ ظَنٌّ بِسَمَاحَةِ شَيْعِهِ، بَلْ أُرْوَمُ الطَّرِيقَةَ فِي التَّوَطُّطِ  
لِلْمَطْلَبِ، وَالتَّنَدُّجِ إِلَى إِحْرَازِ الْأَدَبِ، وَحَسْبِي أَنْ أَمْلِيَ قَدْ أَوْتَادَ الْجَنَابَ

الرَّحْبَ، وَالْمَشْرَبَ الْعَذْبَ، وَلَعَلَّ الْحُطُوطَ سَتُكْشَفُ، وَالتَّوَابَ سَتُصْرَفُ،  
إِلَى أَنْ أُبْعَدَ إِلَى أُبْعَدِ غَايَاتِ الْأَمَلِ مِنْ مُشَاهَدَةِ حَضْرَتِهِ الْعَلِيَاءِ، وَالنَّظَرَ إِلَى  
غُرَّتِهِ الزَّهْرَاءِ، فَوَاللَّهِ مَا يَنْصَرِفُ فِكْرِي، وَلَا يَنْصَرِمُ حِينٌ مِنْ عُمْرِي، إِلَّا  
فِي الذِّكْرِ لَهُ، وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ، وَالْمَثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنَا أَقْدَمُ الْأَعْتِدَارِ مِنْ  
مَهَابَةِ تَمَتُّكِ جَنَانِي، وَحَصْرِ يَكَاذُ يَقْطَعُ فِي أَوَّلِ الْمَشَافَةِ لِسَانِي، فَإِنْ  
حَدَّثَ ذَلِكَ فَعُذْرِي عُدْرٌ <sup>(١)</sup> الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ وَقَدْ انْقَطَعَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ،  
فَقَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِنْ قَرَاهَةِ الْعَبْدِ أَنْ تَمْلِكَ قَلْبَهُ هَيْئَةً سَيِّدِهِ» .

وَسَيُفْضَى - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - إِلَى مَا يَسْتَجِيزُهُ الْحَاجِبُ مَوْلَايَ مِنْ إِمْتِنَاعٍ مِنْ  
شَاهِدَ، وَيَسْتَطْرِفُهُ مِنْ أَدَبٍ يَسْتَظْلِمُهُ مِنْ إِيْجَالٍ طَلَبَ، وَجَمَالٍ مَذْهَبَ،  
كَمَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي سَأَصِلُ إِلَى مَا لَمْ أَعْهَدْ مِثْلَهُ مِنْ بَهَاءِ مَنْظَرٍ، وَسَنَاةِ تَجَرِبٍ،  
وَرِفْعَةِ شَأْنٍ - وَعِظَامِ سُلْطَانٍ، وَلَعَلَّ السَّعَادَةَ تَهَيَّأَتْ لِي مِنَ الْخَطِّ مَا أَثْبِتُ بِهِ  
مَا أَدْعِيْتُهُ لِنَفْسِي مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَأُنْجِزُ مَعَهُ مَا قَدَمْتُ عَنْهَا مِنْ هَذِهِ  
الْعِدَاتِ، فَحَوْلُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كَفِيلٌ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، زَادَ اللَّهُ  
الْحَاجِبَ مَوْلَايَ مِنْ سَنَى قِسْمِهِ، وَهَنَى نِعْمِهِ، وَبَلَّغَهُ النُّهَايَةَ مِنْ آمَالِهِ .

### رسالة من قرطبة

« وكتب إليه بعد أن صدر من حضرته إلى قرطبة

رسالة يقول فيها : »

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ لِلنِّعَمِ يُطَوَّقُهَا، وَالْأَمَالَ يُصَرِّفُهَا <sup>(٢)</sup>، وَالْبَنَى يُقَلِّدُهَا  
وَالْأَحْرَارَ يَسْتَعْبِدُهَا .

(١) و الْأَمَلُ : « فمدرى عند الفضل . »

(٢) ولى نسخة الذخيرة المنقولة من النسخة المغربية : « يصدقها »

يَعْلَمُ الَّذِي أَسْأَلُهُ إِعْزَازَ مَوْلَايَ وَإِعْلَاءَ أَمْرِهِ ، وَصِلَةَ تَأْيِيدِهِ ، وَتَمَكِّينَ  
نَصْرِهِ ، أَنِّي - لَمْ أَزَلْ مُنْذُ فَارَقْتُ حَضْرَتَهُ الْجَلِيلَةَ حَضْرَةَ الْمَجْدِ وَالسِّيَادَةِ ، وَحَمَلِ  
الْإِقْبَالِ وَالسَّعَادَةِ - لِهَيْجِ اللِّسَانِ بِمَا حَبَانِي مِنْ ثَمَارِ الْحِكْمَةِ وَالنِّعْمَةِ ، وَأَفَادَنِي  
مِنْ عَقْدِ الْآدَبِ وَالنَّسَبِ ، فَمِنْ كَيْدِ حَاسِدٍ تَصَدَّعَتْ ، وَأَنْفَاسٍ مُنَافِسٍ  
تَقَطَّعَتْ ، وَنَاعِمِ الْبَالِ أُكْسِفَتْ بِآلِهِ ، وَمُتَمِّنٍ لِحَالِي طَالَمَا تَمَيَّنْتُ حَالَهُ ، وَقَلَمًا  
أَتَاكَ أَذْنِي مَكَانَةً مِنْهُ ، وَأَرْزَقُ أَوَّلَ دَرَجَةٍ مِنَ الْخُصُوصِ بِهِ ، تَحْسُدُهُ  
الْكُوكِبُ فِي إِشْرَافِهَا ، وَتَنْحَسِدُ إِلَيْهِ الْأُمَانِي مِنْ أَطْرَافِهَا ، لِعَبِيدِهِ الَّذِينَ  
أَنَا آخِرُهُمْ فِي الْخِلْدَمَةِ ، وَأَوَّلُهُمْ فِي شُكْرِ النِّعْمَةِ ، وَيَرْفَعُ مِنْ هَمِيمِهِمْ مَا  
أُنْخَفِضَ ، وَيَنْسُطُ مِنْ آمَالِهِمْ مَا أُنْقَبِضَ ، وَلَا يُعْدِمُهُمُ التَّقَلُّبُ فِي نِعْمَتِهِ ،  
وَالْإِعْتِلَاقُ بِأَسْبَابِ ذِمَّتِهِ ، بِعَجْدِهِ وَكَرَمِهِ ، وَكَانَتْ مِنْ مَوْلَايَ - أَعَزُّهُ اللَّهُ -  
إِشَارَةٌ بَلَّ عِبَارَةً أَعَدَّزْتُهَا طَلِيعةً لِسُعُودِ تَوَافِي طَلَقًا ، وَمُقَدِّمَاتٍ لِمَسَرَّاتِ  
تَوَالِي نَسَقًا ، فَلَمَّا لَحِقَ الْجَنَمُ بِمَدِّ رُكْبَةِ النَّفْسِ لَدَيْهِ ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا إِلَيْهِ ،  
بِالْوَطَنِ الَّذِي أَسْلَانِي عَنْهُ ، وَأَسْنَى لِي الْعَوَظَ مِنْهُ ، تَأَيَّنْتُ مِنْ طَاعَتِهِ  
الْمُقْتَرَنَةِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي نَفْسِي تَمْلُوكَتِهِ لِمَا أَنَا مُهْتَأٌ بِهِ مُنَافَسٍ فِيهِ ، فَسَاعَفَتِ  
الْمَآرِبُ ، وَأَتَمَّحَتِ الْمَطَالِبُ ، وَلَمْ يَرِنِّي تَعَذُّرُ وَجْهِ حَاوِلَتِهِ ، وَلَا عَدَانِي تَبَسَّرِ  
أَمْرٍ تَنَاولْتُهُ ، وَلَمْ تَبْقَ عِلَّةٌ تُسَوِّغُ بِإِعْتِرَاضِهَا الْإِعْتِدَارَ إِلَّا مَا يَتَرَاخَى مَا يُعَاوَدُ  
أَمْرُهُ ، وَيَتَجَدَّدُ فِي الْحَرَكَةِ إِذْنُهُ ، وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ لَأَنْ الْإِذْنَ بَعْدَ عَهْدِهِ ، وَلِأَنَّ  
الْبِعَادَ لَمْ يُنْخَكَمْ عَقْدُهُ ، بَلْ تَجَنَّبْتُ أَنْ أُدِلَّ بِتَرْكِ الْمُشَاوَرَةِ ، أَوْ أُخِلَّ بِرَسْمِ  
الْمُوَازَةِ ، فَلَمَوْلَايَ الطَّوْلُ فِي أَمْرِ الْوَسَاطَةِ عِنْدَهُ بِمِرَاجَعَةٍ أَعْتَمِدُ عَلَيْهَا ، وَأَجْتَهِدُ  
فِي الْإِشْبَاءِ إِلَيْهَا ، وَأَهْلُهَا يُبَلِّغُنِي الْأَمَالَ مِنْ وَفْقَةٍ بِحَضْرَتِهِ ، وَنَظَرَةٍ إِلَى غُرَّتِهِ ،  
وَتَقْيِيلِ لِرَاحَتِهِ ، وَتَصَرُّفٍ فِي سَاحَتِهِ ، فَهُوَ الْمَالِكُ لِلذِّكِّ ، الْقَادِرُ عَلَيْهِ .

## من رسالة

« وله من رسالة حذف أبو الحسن هنا أكثرها ولم يذ كر إلا قطرة من وابل ، أو نفثة من سحر بابل ، وها أنا مثبتها على تواليها ، إشارة لحسن معانيها ، واستفادة من سنى أدبه فيها ، وهى <sup>(١)</sup> : »

يَا سَيِّدِي الَّذِي كُنْتُ أَرَاهُ أَعَدُّ عُدْدِي ، وَأَخْصُّ جُنَّتِي ، مِنْ زَمَنِي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي أَصْلَحِ الْأَحْوَالِ ، وَأَفْسَحِ الْأَمَالِ .

أَبْدَيْ جَزَى كِتَابِي إِلَيْكَ بِشَرْحِ الضَّرُورَةِ الْحَافِزَةِ إِلَى مَا صَنَعْتَ بِمَا بَلَغَنِي أَنَّكَ صَدَّكَ اللَّاعْمَانِ بِنِ عَلَيْهِ ، وَأَوَّلِ السَّفِيهَانِ الرَّأْيِ فِيهِ ، وَمِنْ أَمْنَاهُمَا وَيَلُ الشَّجْبِ مِنَ الْخَلِي ، وَهَانَ عَلَى الْأَمَلْسِ مَا لَاقَى الدُّبُرُ .

وَأَوْسَطُهُ بِمُعَايَنَتِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَنْفِصَالِكَ غَنَى ، وَبَرَاءَتِكَ مِنْ آكَدِ الْمِحْنَةِ مِنِّي ، وَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ فِي وَرْدٍ وَلَا سَدَرٍ مِنْ مُشَارَكَتِي فِيهَا ، وَلَا كَانَتْ لَكَ نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ فِي مَظَاهِرَتِكَ لِي عَلَيْهَا ، مَعَ الْقُدْرَةِ لَكَ عَلَى تَهْوِينِ خَطْبِهَا ، وَتَذْلِيلِ صَعْبِهَا ، وَتَكْلِينِ شَدِيدِهَا ، وَتَقْرِيبِ بَعِيدِهَا ، فَأَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ وَمَا ذَاكَ بَخْلًا مِنِّي لِخُلِّي عَلَيْكَ بِالْإِعْضَاءِ أَنْتَ عَيْنِي ( وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي ) غَضُّ أَجْفَانِيهَا عَلَى الْقَدَى <sup>(٢)</sup> وَإِنَّمَا يُعَاتَبُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشَرَةِ <sup>(٣)</sup> ، وَالْمَثَلُ السَّائِرُ : يَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ ، وَقَالَ الْآخَرُ :

(١) ابن بسام . (٢) جملة « وليس من حق عيني » ساقطة من الأصل ، وقد أُنْتُهِنَا لَأَن السَّيَاقَ يَضْمِيهَا ، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ ابْنِ الرَّزْمِيِّ :

« أَنْتَ هِيَ ، وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي غَضُّ أَجْفَانِيهَا عَلَى الْأَفْدَاءِ . »

(٣) اللَّامَةُ : الْمَاعُودَةُ وَبِصَرَةِ الْأَدِيمِ : ظَاهِرُهُ الَّذِي عَلَيْهِ الشَّرْعُ ، أَيْ إِنَّمَا يُعَادُ إِلَى الدِّبَاغِ مِنَ الْأَدِيمِ مَا سَلَسَتْ بَشَرَتُهُ ، وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ إِلَى كَالِ الْفَرَاخَةِ وَالِاسْتِغْتَابِ ، وَفِي الْأَصْلِ « وَإِنَّمَا يُعَاتَبُ الْأَدِيمُ عَلَى الْبَشَرَةِ . »

أَبْلَغُ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغْلَقَةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ  
وَأَخْبِئْهُ بِتَكْلِيفِكَ مَا كَانَ سَبَبَ الْكِتَابِ ، وَالِدَّاعِي إِلَى الْخِطَابِ ، عَسَاكَ أَنْ  
تَتَلَاَفَى عَوْدًا ، مَا ضِيعَتْ بَدْءًا ، وَتَهْتَبِلَ آخِرًا ، مَا أَغْفَلْتَ أَوَّلًا ، فَيَعُودَ عَيْنُ  
مَا أَفْسَدْتَ ، وَإِنْ كُنْتَ فِي ذَلِكَ : « كَذَابِنَا وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ » <sup>(١)</sup> فَتَمَتَّه  
الْفَوْتَ قَبْلَ الْعَطَبِ .

وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ اتِّبَاعًا  
فِي عِلْمِكَ أَلَّا تُجَنِّتَ مُعَايِلَةً بِالْهَوَى ، وَهُوَ أَخُو الْعَمَى ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنِ  
اتِّبَاعِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ إِذَا يَقُولُ : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ  
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتَّبِعِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ . »  
دُونَ تَأَنٍّ تَذَرُكَ بَعْضُ الْحَاجَةِ بِهِ ، أَوْ اسْتِنْبَاتِ ثَوَمَنْ مُوَاقَعَةُ الزَّلَلِ مَعَهُ ،  
بَلْ : « أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ . » وَشَهِدَ ابْنُ الْمُسَارِ الْعَارِي عَنِ النِّقَةِ  
وَالْأَمَانَةِ ، الْبَعِيدُ مِنَ الرَّغِيَةِ وَالصِّيَانَةِ ، النَّاشِرُ لِأَذْنَيْهِ طَمَعًا ، الْآكِلُ  
بِيَدَيْهِ جَشَعًا ، فَكَانَ : « الْقَوْلُ مَا قَالَتْ حَدَّامٌ . » وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى أَنْ الْحَقَّ  
بِالشُّهُودِ ، وَهُوَ وَأَوْ غَمْرٍ وَفِيهِمْ ، وَتَوْنُ الْجَمْعِ الْمُضَافِ مَعَهُمْ ، دُونَ أَنْ يُلْحَقَ  
بِحُزْنِهِ ذِي الشَّهَادَتَيْنِ ، وَيَتُوبَ مُنْفَرِدًا عَنْ أَتَذِينِ .

« لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ . »

(١) ضرب للأمر الذي اضحى مساده ، وذلك أن الجهد إذا حُلِمَ أي فسد إمامه وارتفع فيه دود فتتعب  
لم يرج له إصلاح ، ويروى عن الوليد بن عتبة أنه كتب إلى معاوية :  
« فإني والكتاب إلى على كذابة وقد حلم الأديم . »



وَلَيْتَنِي مَعَ مَنْ لَا يَحِلُّ قَوْلُهُ عَلَىَّ ، أُعَذِّرُ فِي شَهَادَتِهِ إِلَيَّ ، وَلَمْ يَقْتَرِنِ الْمَشْفُ  
مَعَ سُوءِ الْكَيْلَةِ ، وَيَسْتَضِيفَ لِي النَّدَّةُ إِلَى الْمَوْتِ فِي يَنْتِ سَلُولِيَّةٍ ، خُطْنَا  
خَسِيفٌ لَمْ أَرِ النَّجَاءَ مِنْهُمَا إِلَّا أَنْ رَكِبْتُ الْحَوَلِي الْأَشْمَبَ ، وَرَأَيْتُ خُرَاسَانَ  
مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبُ ، وَكَانَ الْمُتَوَلَّى سِجْنِي بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ إِنْقَاذِهِ ، لَهُ  
مَجْلِسٌ حَضَرَهُ فُقَهَاءُ الْحَضَرَةِ وَمَنْ أَكْلَمَ بِسِيَّاهُمْ ، وَجَرَى فِي غَشْيَانِ الْحُكَّامِ  
مَجْرَاهُمْ ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ أَتَمَّتْنِي بِالْمَغِيبِ عَلَى عَهْدِ الْمُتَوَلَّى مَوْلَايَ - كَانَ - نَقَعَ  
اللَّهُ صَدَّاهُ ، وَبَلَّ ثَرَاهُ ، وَثَبَّتَ عِنْدَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنِّي مِمَّنْ تُعَامِلُهُ الْهَيْمَةُ ، وَلَا  
رَتَفِعُ عَنْهُ الظَّنُّ ، فَكَلَّمْتُهُمْ أَفْنَى بِالْإِعْذَارِ إِلَيَّ ، فِيمَا شَهِدَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ عَلَىَّ ،  
ثُمَّ سَجَّيْتُ أَنْ لَمْ آتِ بِعَدَقَةٍ ، أَوْ أَصْدَعُ مِنَ الْحُجَّةِ بِمَقْنَعٍ ، فَاخْتَاطَ وَاجْتَهَدَ ،  
وَتَحَرَّى وَاقْتَصَدَ ، وَصَالَحَنِي مِنْ هَذِهِ الْفُتْيَا عَلَى النَّصِيفِ بِتَأْخِيرِ الْإِعْذَارِ ،  
وَتَقْدِيمِ الصَّلَاحِ ، وَالصَّلَاحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ <sup>(١)</sup> ، ثُمَّ أَظْهَرْتُ إِلَيْهِ عَقْدًا كَانَ  
الْمُتَوَلَّى قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ ، وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ ، قَدْ أَشْهَدَ فِيهِ أَنْ لَا مَالَ لَهُ ، وَأَنَّ  
جَمِيعَ مَا تَحِيطُ بِهِ الدَّارُ الَّتِي تُؤْتِي بِمَعْدَ هَذَا الْإِشْهَادِ فِيهَا ، إِنَّمَا هُوَ لِلْعَانِيَةِ الَّتِي  
فِي عِصْمَتِهِ ، حَاشَا دَفَائِقَ يَتَنَبَّهَا ، وَمُحَقَّرَاتٍ عَيْنَهَا ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ أَشْهَدَ بِهَذَا عَلَى  
نَفْسِهِ ، وَتَقَيَّدَ مِثْلُهُ مِنْ لَفْظِهِ ، فَحَالَ أَنْ يُخْلَفَ عَهْدًا ، وَيَهْلِكَ مِنْ وَصِيَّةٍ ،  
وَسَأَلْتُهُ الشُّورَى فِيمَا أَتْبَعْتُهُ مِنْ هَذَا الْعَهْدِ ، فَلَمْ يُجِِبْنِي إِلَى ذَلِكَ ، وَلَوْ لَمْ  
تَكُنِ الشُّورَى مِنْ أَدَبِ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ : « وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

(١) جاء في رسالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجليلة لأحكام القضاء التي أرسلها إلى أبي موسى الأشعري  
قوله : « والصالح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً . » وفي الأصل : « والسجن  
جائز بين المسلمين »

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . لَوْ جَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا لِقَاحُ الْقَمَلِ ، وَرَأَيْدُ الصَّوَابِ ، وَأَنَّ لِلْمُشَاوِرِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ، صَوَابًا يَفُوزُ بِمَحْمَدِيَّةٍ ، أَوْ خَطَأً يُشَارِكُ فِي مَذْمَتِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

«وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً مَكَانُ الْخَوَافِ عُدَّةٌ لِلْقَوَادِمِ<sup>(١)</sup> . »  
قَدْ قَرَعْتُ لَهُ الْعَصَا وَنَبَّهْتُ عَلَى أَنَّ الَّذِي دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ ، لَا يَسُوعُ دَفْعِي عَنْهُ ، وَلَا يَجُوزُ مَنَعِي مِنْهُ<sup>(٢)</sup> ، فَحِينَئِذٍ عَلَّلَنِي بِمَوَاعِيدَ : كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُوقٍ لَهَا مِثْلًا ، إِذَا قَطَعْنَا مِنْهُ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ ، وَكَانَ آخِرُهَا - الَّذِي نَسَخَ بِهِ مَا قَبْلَهُ - أَنْ تُدْرَجَ الشُّورَى إِلَى أَبْنَاءِ الشُّورَى لِلْوَرْتَةِ ، فَتَوَيْتُ أَرْقُبُ هَذَا الْحَيْنَ ، وَأَرْجُو أَنْ يَحِينَ ، كَمَا يَرْجُو أَخُو السَّنَةِ الرَّيِّعُ : وَكَمَا فِي بُطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءٌ .

« فَكُنْتُ وَإِيَّاهُ سَحَابَةً مُمَحِلٍ رَجَاهَا ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ أَسْتَهْلَتْ »

ووصل منها :

وَلَمْ أَفْصَ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي مِمَّا أَجْلَبَتْهُ إِلَّا مَا شَهَرَ شُهْرَةً الْإِنْسَمِ ، وَعُرِفَ مَعْرِفَةَ النَّسَبِ ، وَمَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ حَبْسِي قَدْ وُضِعْتُ مِنَ السَّجْنِ فِي مَوْضِعٍ قَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِوَضْعِ مَسْتُورِي النَّاسِ ، وَذَوِي الْهَيْئَاتِ مِنْهُمْ فِيهِ ، وَفِي الشَّرِّ خِيَارٌ ، وَبَعْضُهُ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ ، فَمُنِيتُ مِنْ مُطَالَبَةٍ بِبَعْضِ مَا يَهْتَمُّ النَّاطِرُونَ فِي السَّجْنِ لَهُ وَيَسْمَعُونَ إِلَيْهِ - بِمَا أَقْتَضَى نَقْلِي إِلَى حَيْثُ الْجَنَائِدَةِ الْمُفْسِدُونَ ، وَالْأُصُوصُ الْمُقِيدُونَ ، وَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى الْحَكَمِ الْحَابِسِ لِي فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَضَى ذِكْرُهُ بِمَشْهَدٍ مَنْ تَقَدَّمَ

(١) البيت لبشار بن برد . (٢) في الأصل : « وَبِهِ هَلْ اتَى دَعْوَتُهُ إِلَيْهِ ، لَا يَسُوعُ لِي دَفْعِهِ عَنْهُ ، وَلَا يَجُوزُ مَنَعِي مِنْهُ . » وما أفتناه هنا هو ما يمكن أن يستقيم به للمعنى .

وَصَفُهُ، فَأَتَتْهُ مِنَ الرِّصَا بِهِ، وَأَظْهَرَ الْأَمْتَاعَ مِنْهُ، وَتَقَدَّمَ إِلَى الْمُوَكَّلِ  
بِالسَّجْنِ فِي اخْتِيَارِ مَجْلِسِ أَتَابِنُ فِيهِ مَنْ لَا تَلِيْقُ بِي مُلَابَسَتُهُ، وَأَتَبَذُّ عَنْ  
لَا تُرْضَى لِي مُجَالَسَتُهُ، ثُمَّ لَمْ أَتَبَثْ أَنْ أَخْضَرَهُ مَجْلِسَ نَظَرِهِ، وَأَمَرَ بِتَأْدِيهِ،  
عَلَى أُمْتِثَالِهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَأَتَيْتَاهُ إِلَى مَا حَدَّثَ لَهُ، وَأَسْتَأْنَفَ الْعَهْدَ فِي  
التَّضْيِيقِ عَلَى، وَمَنْعَ مَنْ أَعْتَادَ صَلَاتِي مِنَ الْوُصُولِ إِلَيَّ، فَأَصْعِدْتُ إِلَى غُرْفَةٍ  
فِي السَّجْنِ أَقْتَعْنِي بِهَا مَعَ خَسَاسَتِهَا، وَأَسْلَانِي مِنَ الْمُصِيبَةِ بِالْكَوْنِ فِيهَا  
- عَلَى مَضَاصَتِهَا - أَفْقَرَادِي مِنَ لَقِيفِ الْأَخْلَاطِ، وَمَنْ صَنَعَهُ السَّجْنُ مِنَ السَّفَلَةِ  
وَالسَّقَاطِ، فَحِينَ اسْتَوَاتِي إِلَيْهَا عَهْدَ يَحْطِي إِلَيْهِمْ، وَخَلَطِي بِهِمْ، وَوَضَعِي  
بَيْنَهُمْ، فَتَمَلَّيْتُ وَدَخَلْتُ إِلَيَّ فِي هَذِهِ الْحَالِ مَنْ أَبْلَغَ إِلَيَّ عَنْ ابْنِ أَخِي الْحَكَمِ  
رِسَالَةً جَامِعَةً مِنَ السَّبِّ الْفَاحِشِ فُتُونُهُ، مُشْتَمِلَةً مِنَ الْوَعِيدِ الْمُرْهَبِ عَلَى  
ضُرُوبِهِ . فَلَوَذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي .

« وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَآخِرٍ ضَعِيفٍ، وَلَمْ يَفْلِكْ مِثْلُ مُغْلَبٍ »  
فَلَمْ أَسْتَطِعْ صَبْرًا، وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ أَتَيْتُ عُذْرًا، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُعَذِّرَ لِي لَيْدِي  
وَكَادٌ<sup>(١)</sup>، وَرَأَيْتُ أَنَّ الْعَاجِزَ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ . فَأَلْمَزُو يَعْجِزُ لَا عَمَّالَهُ، وَلَمْ أَسْتَجِزْ  
أَنْ أَكُونَ ثَالِثَ الْأَدْلَيْنِ الْعِزِّ وَالْوَدِّ ، وَذَكَرْتُ أَنَّ الْفِرَارَ مِنَ الظُّلْمِ

(١) يشير إلى قول ليد يحاطل ضيقه :

فوقما قولاً بالذي قد علمتها ولا تخدشا وجهاً، ولا تخلفا الشعر

وقولا : « هو المرء الذي لا خليه أضع ولا خلاصديق ولا عذر »

إلى الحول، ثم اسم السلام عليكما ومن بك حولا كاملا قد اعتذر

واهتذر كأعذر أن يعذر ، فهما سد تمام الحول إذا أمكننا عن النوح والبكاء على أيهما فلها العذر .

وَالْهَرَبَ يَمَّا لَا يُطَاقُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَعَزَّزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ » . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« لَا عَارَ لَا عَارَ فِي الْفِرَارِ ، فَقَدْ فَرَّ نَبِيُّ الْهُدَى إِلَى النَّارِ »

وَنَظَرْتُ فِي مُفَارَقَةِ الْوَطَنِ ، وَالتَّيْنِ عَنِ الْأَحِبَّةِ . فَتَيَّنَ لِي أَنَّ إِحْمَاشَ نَفْسِي بِإِنْسَانِي أَهْلِي ، وَقَطْعَهَا فِي مُوَاصَلَةِ وَطَنِي ، غَبْنٌ فِي الرَّأْيِ ، وَخَوَرٌ فِي الْعَزْمِ ، وَوَجَدْتُ الْحُرِّيَّاتُ عَلَى الثُّكُلِ ، وَلَا يَنَامُ عَلَى الذَّلِّ ، وَأَذِنْتُ إِلَى قَوْلِهِمْ : لَيْسَ يَتَنَكَّ وَيَتَنَ الْبِلَادُ نَسَبًا ، وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنَزِلُ فَتَحَوَّلَ ، وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

« أَرَى النَّاسَ أَحْدُوثةً فَكُونِي حَدِيثًا حَسَنًا

كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى وَمَا قَدْ مَضَى لَمْ يَكُنْ

إِذَا وَطَنُ رَأَيْتِي فَكُلُّ مَكَانٍ وَطَنٌ »

وَلَمْ أَسْتَعْرِبْ أَنْ أُسَامَ بِمَثَلِ هَذَا الْخَسَفِ فِي مَسْقَطِ رَأْيِي ، وَمَعْقُ<sup>(١)</sup> تَعَامِي ، وَأَوَّلِ أَرْضٍ مَسَّ رِجْلَهَا جِلْدِي ، فَفَقْدِي صَاعَ الْمَرْءِ الْفَاضِلُ فِي وَطَنِهِ ، وَكَسَدَ الْعَلِقُ الْغَيْطُ فِي مَتْنِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

« أَضِيعُ فِي مَعَشَرِي ، وَكَمْ بَلَدٍ يَعُودُ عُودَ الْكِبَاءِ مِنْ حَطْبَةٍ »

فَأَسْتَعَرْتُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَاصِحَ وَجْهِ الْعُذْرِ ، ثَابِتَ قَائِمِ الْحِجَّةِ ، عِنْدَ مَنْ غَضَّ عَيْنَ الْهَوَى ، وَخَرَّنَ لِسَانَ التَّعَسُّفِ ، وَاللَّهُ يُصِيبُ غَرَضَ الصَّوَابِ بِرَأْيِي ، وَيُقَرِّبُ غَايَةَ النُّجَاحِ عَلَى سَمْعِي ، حَسْبَمَا ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ أَنِّي مَظْلُومٌ مَبْنِي

(١) اللق : للوضع الذي تقع أي تقع فيه عن الصبي التمام ، ومنه قوله :

« بلاد بها من التسلب تعامى وأول أرض مس حلدى زراها . »

عَلَيَّ، مَنْسُوبٌ مَا لَمْ آتِهِ إِلَى، فَهُوَ الْمَوْمِلُ لِذَلِكَ، وَالْمَرْجُو لَهُ، وَلَعَمْرُكَ يَا سَيِّدِي  
 إِنَّ سَاحَةَ<sup>(١)</sup> الْمَذْرِ لَتَضِيْقُ عَنْكَ، وَمَا تَكَادُ تَنْسَعُ لَكَ، فِي إِسْلَامِكَ تَلْمِيزُكَ  
 وَابْنَ جَارِكَ وَشَيْخَكَ الَّذِي لَمْ تَرَكَ مُتَابِرًا عَلَيْهِ آخِذًا عَنْهُ مُقْتَبِسًا مِنْهُ مَعَ  
 إِكْتَارِكَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا، وَالْإِعْتِدَادِ بِهِ، وَأَدَمَاءُ الْحِفْظِ لَهُ، وَقَدْ رَوَيْتَ أَنَّ  
 حَسَنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَصِمْتَ النِّلَ: «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا.»  
 فَالْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ، وَلَا أَقَلٌّ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْجِدِّ، وَاسْتِغْرَاقِ الْجَهْدِ، فَيُبْلَغُ  
 نَفْسِ عُدْرَتِهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ، وَلَا لَوْمْ فِي أَمْرِي بَلَّغَ الْمَذْرُ، وَلَكِنْ مِنْ لَكَ  
 بِأَخِيكَ كُلِّهِ، وَمَا حُمَّ وَاقِعٌ، وَلَا حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ،  
 وَتَقَدَّمَ مِنْ فِئْلِي مَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ، وَأَنَا الْآنَ بِحَيْثُ أَمِنْتُ بَعْضَ الْأَمْنِ، إِلَّا  
 أَنْ رَزَا<sup>(٢)</sup> مِنْ وَعِيدِ سَقَطَ إِلَى بَأْنِ السَّغَى لَمْ يَرْتَفِعْ، وَأَنْ مَادَّةَ الْبُغْيِ لَمْ تَقْطَعْ،  
 وَأَنْ الْبَصِيرَةَ مُسْتَحْكِمَةً فِي اسْتِرْجَاعِي مِنَ الْأَفْقَى الَّذِي أَحْلَى بِهِ، وَالْجَنَابَ الَّذِي  
 أَحْطُ فِيهِ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِي ظَنِّي مَا كَانَ أَشَارَ لِي إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ كُنْتُ آوِي  
 إِلَى الثَّقَةِ بِعَهْدِهِ، وَأُتْبِي عَلَى الْوِثَاقَةِ مِنْ عَقْدِهِ، مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمُسَوِّمِينَ بِالْأَثَرَةِ  
 عِنْدَ الْحُكْمِ الْمَذْكُورِ وَالْمَكَانَةِ مِنْهُ، وَقَدْ قَابَلْتُهُ عَلَى تَأْخِيرِهِ عَنْ مُطَافَرَتِي  
 وَتَقْصِيرِهِ فِي مُوَازَرَتِي، فَاعْتَذَرَ بِأَنْ ذَلِكَ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، وَلَا مَتَفَذَّ لِلْحِيلَةِ فِيهِ، إِذِ  
 الْمَحْرَضُ عَلَى لَا تَتَأْتِي مُمَارَضَتُهُ، وَلَا يَتَهَيَّأُ الْإِسْعِيدَادُ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ وَصَفَنِي  
 بِالْبَذَاءِ وَمَا بَنِي بِالنَّسْلِطِ عَلَى الْأَعْرَاضِ، وَوَاللَّهِ مَا اسْتَجَزْتُ هَذَا بَعْدَ أَنْ هَتَكَ

(١) في الأصل: «ان ساعة المذر.» وفي هامش الأصل «لعلها سه» وقد أجهتنا مكاتها «ساحة»

التي هي على صورتها في الخط ليستقيم المعنى. (٢) الرز والركر الصوت الحقي تسعه من حميد.

مِنْ سِتْرِي مَا هَتَكَ ، وَأَتَتْكَ مَا أَتَتْكَ ، إِنْ كُنْتُ أَقُولُ مَعْدُورًا ، وَأَنْفُتُ  
مَعْدُورًا ، فَكَيْفَ قَبْلَ ذَلِكَ إِذْ لَمْ يَحْدُثْ سَبَبٌ ، وَلَا غَرَضٌ مُوجِبٌ ، وَمَالِي  
وَهَذَا الْمُجْتَنَى ثُمَّ مَالِيَا ، وَ « سَتُكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ » وَلَيْسَتْ هَذِهِ  
بِيَكْرٍ مِنَ التَّمَاهِمِ الَّتِي دَخَلَ بِهَا بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَاهُمَا :

« فَلَا تَرَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا لِي لَا يَتَرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا »

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَاسِئِينَ تَسْلَقُ <sup>بِهِ</sup> مَسَامِيهُ بِالْسِنَةِ حِدَادٍ  
وَيَا سَيِّدِي :

لَوْ بَنَى الْمَاءُ حَلْقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالظُّلْمَانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي  
وَوَاللَّهِ مَا تَوَحَّشْتُ أَنْ أُوتِيَ يَمْنٌ أُوتِيَتْ مِنْهُ مَعَ انْقِصَالِي بِهِ ، وَأَنْفِطَاعِي إِلَيْهِ ،  
وَأَسَايِي بِالتَّأْمِيلِ لَهُ ، وَالتَّغْوِيلِ عَلَيْهِ . إِنْ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمَّتُمْ .  
وَلَكِنْ :

إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ - لِلْعَرَةِ - عُدَّةً أَتَتْهُ الرِّزَايَا مِنْ وَجْهِ الْقَوَائِدِ  
لَقَدْ كَانَ مِنْ عَاسِمِ الشَّيْمِ ، وَشُرُوطِ الْمَرْوَةِ وَالْكَرَمِ ، أَنْ يَهَبَ لِي مَا أَنْكَرَ  
لِمَا عَرَفَ ، وَيَقْفِرَ مَا سَخِطَ لِمَا رَضِيَ ، وَيَذْفَعَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَيُؤْوِزَ  
الَّذِي هُوَ أُنْجَلُ وَأَرْفَقُ ، وَيَتَوَقَّفَ عِنْدَ مَا نَصَّ لَهُ مِنْ سِعَايَةٍ ، وَزُفَ إِلَيْهِ مِنْ  
وِشَايَةٍ ، فَإِنْ كَانَ بَاطِلًا أَلْقَاهُ ، وَفَضَحَ الْمُخْبِرَ الْمُتَقَرَّبَ بِهِ وَأَقْصَاهُ ، وَإِنْ كَانَ  
حَقًّا صَبَرَ صَبْرَ الْحَلِيمِ ، وَأَغْضَى إِغْضَاءَ الْكَرِيمِ ، وَقَبِلَ إِنَابَةَ الْمُعْتَبِ ، وَأَقْتَصَدَ  
فِي مُوَاخَذَةِ الْمُذْنِبِ ، فَقَدَّمَ التَّوْقِيفَ ، قَبْلَ التَّقْذِيفِ ، وَالتَّائِبَ ، قَبْلَ التَّأْدِيبِ  
فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ ، وَالْحُرْمَ بِالْمُخِي وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَنَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ؟  
وَهُوَ يَرَى وَيَسْمَعُ أَنَّ بِالْحَضْرَةِ قَوْمًا لَا يَحْضُرُهُمُ الْعَدُوُّ تُحْتَمَلُ سَقَطَاتُهُمْ ،  
وَتُتَقَرُّ هَفَوَاتُهُمْ ، وَتُقَالُ عَثَرَاتُهُمْ :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أَمْ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا<sup>(١)</sup>  
وَمَا أَعْلَمُ أَنَّهُمْ يُدْلُونَ بِوَسِيلَةٍ إِلَّا شَارَكَهُمْ فِيهَا ، وَلَا يَمْثُونَ بِذَرِيعَةٍ يَنْفَرِدُونَ  
دُونِي بِهَا :

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا  
فَإِنْ كَانَتْ مُسَاعَمَتُهُمْ لِسَابِقَةٍ سَكَلَتْ فَقَدْ أَحْزَنْتُ مِنْهَا الْحِظَّ الْأَعْلَى ، أَوْ لِكَمَالِ  
أَدَبٍ فَقَدْ ضَرَبْتُ فِيهِ بِالْقِدْحِ الْمَعْلَى ، أَوْ لِلطُّفِّ تَوَدُّدٍ فَاقْصَرْتُ فِي الْأَجْتِهَادِ  
غَيْرَ أَنِّي حَرَمْتُ التَّوْفِيقَ ، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ ، رَبِّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدَ .  
فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ فِيهِ سُوءُ الْقَضَاءِ لِي الْعُدْرُ  
وَاللَّهُ لَقَدْ أَظْهَرْتُ مَذْحَهُ ، وَأَضْمَرْتُ نُصْحَهُ ، وَتَمَتَّتْ عَلَى الصَّاعِيَةِ لَهُ ، وَجَرَيْتُ  
مِلءَ الْعِنَانِ إِلَى الْإِعْتِلَاقِ بِهِ ، أَسْقِيهِ السَّائِفَ مِنْ مِيَاهِ وَدْيٍ ، وَأَكْسِيهِ السَّابِغَ  
مِنْ بُرُودِ تَحْدِي ، وَأُجْنِيهِ النُّصَّ مِنْ ثَمَرَاتِ شُكْرِي ، وَأَهْدِي إِلَيْهِ الْعَطِيرَ  
مِنْ نَفَحَاتِ ذِكْرِي لَا يُفِيدُنِي التَّحَبُّبُ إِلَيْهِ ، إِلَّا ضَيَاعًا لَدَيْهِ ، وَلَا يَزِيدُنِي  
التَّقَرُّبُ مِنْهُ ، إِلَّا بُعْدًا عَنْهُ :

كَأَنِّي أَسْتَدْنِي بِهِ ابْنَ حَيَّةٍ إِذَا التَّرْعُ أَذْنَاهُ مِنَ الصَّدْرِ ابْتَدَا  
وَالَّذِي أُجِئُهُ مِنْكَ ، وَاتَّقِ فِي الْمُسَارَعَةِ إِلَيْهِ بِكَ لِقَاءَهُ مُجَارِيًا ذِكْرِي ، مُفَاوِضًا

(١) أى ليس هرة الثلاثة يا أم عمر الذى لا تسميته الصبوح بصاحبك ، وى الأصل :

« وما شرُّ الثلاثة - أم عمرو - لصاحبك الذى لا تصبحينا . »

فِي أَمْرِي ، مُعْلِمًا لَهُ بِالَّذِي لَا يَذْهَبُ عَنْهُ - مِنْ أَنَّ الَّذِي اخْتَرْتُهُ لِنَفْسِي قَايَةً  
مَا يُسِيءُ الْعَدُوُّ بِهِ ، وَيُسَاءُ الْمَوْلَى مِنْهُ - فَالْجَلَاءُ أَخُو الْقَتْلِ ، وَالْفُرْبَةُ أَحَدُ السَّكَايِنِ  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَخُوسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ  
دِيَارِكُمْ مَا فَسَلَوْهُ إِلَّا لَقِيلٌ مِنْهُمْ . » وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« وَمَنْ يَفْتَرِبَ عَنْ قَوْمِهِ لَا يُزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ حَجْرًا وَمَسْحَبًا  
وَيُذْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ ، وَإِنْ يُسِيءُ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا »  
وَقَدْ هَجَرْتُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ ظِلِّي ، وَالذَّارَ الَّتِي كَانَتْ مِهَادِي ، وَغَبْتُ عَنْ أُمِّ  
أَنَا وَاحِدِهَا ، تَحْتَدُّ أَنْفَاسُهَا شَوْقًا إِلَيَّ ، وَتَنْفُضُ أَجْفَانَهَا حُزْنًا عَلَيَّ ، وَاللَّهُ يَرَى  
بُكَاءَهَا ، وَيَسْمَعُ لِي - عَلَى مَنْ ظَلَمْتَنِي - نِدَاءَهَا ، فَلَا اسْتِجَابَةَ مَضْمُونَةَ الْمُخْلِصِ  
وَالْمَظْلُومِ ، وَقَدْ حَمَلْتُ السَّمْتَيْنِ ، وَأُسْتَوْجِبْتُ الصَّفَتَيْنِ ، وَلَتَكُنْ بُعَيْتُكَ الَّتِي  
تَذْخِرُهَا عَلَيْهَا كَلِمَةً تَأْمِينٍ ، وَإِشَارَةً إِلَى تَأْنِيسٍ وَتَسْكِينٍ ، تُرَاجِعُنِي بِهَا  
فَأُظْهِرُ بِحَيْثُ أَنَا آمِنًا ، وَأَلْقِي الْعَصَا مُطْمَئِنًّا ، فَإِنْ وَجَدْتَ عِزَّ الشَّقَرَةِ ،  
فَالْعَوَانُ لَا تَعْلَمُ الْخِمْرَةَ <sup>(١)</sup> ، فَإِنْ أَشْبَهْتَ اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ ، أَعْلَمْتَنِي بِذَلِكَ ، فَطَلَبْتُ  
الْأَمْنُ فِي مِظَانِهِ ، وَتَقَرَّرْتُ السَّلَامَةَ فِي مَوَاطِنِهَا ، وَصَبَرْتُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ لِي  
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ، كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، وَلِكُلِّ حَالٍ  
مُعَقَّبٌ ، وَلَرُبَّمَا أَجَلِي لَكَ الْمَكْرُوهُ هَمًّا تَحْتَدُّ ، وَلَكَ يَا سَيِّدِي فِي اتِّدَابِكَ لِمَا  
نَدَبْتُكَ إِلَيْهِ الْفَضْلُ ، وَالْأَيَادِي قُرُوضٌ ، وَالصَّنَائِعُ وَدَائِعُ :

« لَا يَذْهَبُ الزُّرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ . »

وَالنَّجِيَّةُ الطَّيِّبَةُ وَالسَّلَامُ الْمُرَدَّدُ عَلَى سَيِّدِي .

(١) الخمر : اسم للهبة من الاختيار أى وضع الحمار على الرأس ، وهو مثل يضرب لمن حذق الأشياء  
وجرب الأمور .



# شعر الملكين

(١)

## شعر المعتضد

« قال المعتضد بالله للنصور بفضل الله أبو عمرو  
عباد بن محمد بن عباد رجه الله . »

إذا قام أقوام من الجهد - صفة -  
أسعد عبي أنت تمام في الحال  
وإن راق أقواماً من الناس - منطق -  
يروق ، بدا من مقال وأفعال . «  
( وقال )

« أقوم - على الأيام - خير مقام ،  
وأزنى في الأعداء - شر ضرام  
وأحق في كسب العالم - ميثاق ،  
ولو كان في الذكر الجليل - حمى  
وأبلغ من دنياي - منى سؤلها ،  
وأضرب - في كل الملا - بهام  
إذا صح الأملك - غص ، فانه  
يبته عند الأمام - غملى . «

( وقال )

« من كان يلو عن نوال فأنا الذي لست يسال  
الجل حين عيسة ، والجود حين الحسبال  
أبصر رشدي في الندى ، فالجل - عندي - كالضلال  
هنا زهف طمعه ، والجود حلو كالزلال . «

( وقال )

« لو كان قلبي من الاضلال - متزحاً ،  
نادى لقد حبب النفس : واحرباً  
لكتبا شظه بالجهد - مجتهداً -  
يلعبه من حبه إن بان أو قرباً . «

« لقد بسط الله للكريم من كفى  
فلست على العلات منها - أخاكف  
تنادى بيوت المال - من فرط بلها -  
يمى : « قد أسرفت ظالتي كفى »  
أفترى ييمى بالسباح فنهى  
ولا ترقى خلا يقول لها : يكو  
لعمرك ، ما الاسراف في طية ،  
ولكن طبع الجبل عندي كالخشب . «  
( وقال )

« من تشجاعة والكريم إلا الظالموم الظلم  
من لست تميم عنده غير التبدل والتمدم  
أجيا للكريم والملا وأقام ما آد المدم  
يلقى العناء ، وسيفه قد قط حاميات الجهم . «

( وقال )

« لعمرك إني - بالمدامة - قوال ،  
وإني - لما يهوى التنداءى - لفعال  
وإني - للخل الحليل - لتاعش ،  
وإني - لقتل الماوى - لتقال  
قسمت زماني - بين كد وراحة -

ففرأى أسحوه ، وقطيب آمال  
فأسمى على القنات والقهر - ما كفا  
وأخفى - بساحات الرئاسة - أختال  
ولست - على الإحمال - أغفل بغي  
من الجهد ، إني - في المال - لحتال

( وقال )

« هذى السعادة قد قامت هل تقدم  
وقد خلفت لها في مجلس الكرم  
فان أردت - إلى - بلورى حسناً  
فلصكتي زمام الدهر والأمم  
فاني لا عدك الدهر من حسن ،  
ولا عدك بهم من أكرم الشيم  
أفارع - الدهر - ضهم كل ذي طلب  
وأطرد - الدهر - عنهم كل ذي دم . »

( وقال )

« عن القصد قد جاؤا ، وما جرت من تصد  
إذا خفيت طرق المرائس عن أسد  
إذا اترضوا للبحل أهرضت عنهم ،  
وإن من أقوام كتبت التي أسدى  
فقه ما أخفى من البذل والندى ،  
ولله ما أبدى من الفضل والمجد  
ولا ألتقي سبي ينير بشاشة  
إذا نحدث الله مروفه هدى . »

( وقال )

« ألام ، وما لوى على الحب - واجب ،  
وقد صادني طرف كليل وحاجب  
أنحب هنى - والفرود يحجب -  
لفد عز عجب تمامه حاجب  
أروم فؤادي - في الغرام - لينني  
وكيف وما دون الآية حاجب . »

( وقال )

« زهر الأستى في الميحاء فدت زهرى  
غرس أشجارها مستجول البحر  
ما إن ذكرت لها من ممرك جلال  
إلا تحلته بالعارم الذكر  
حق غدوت وأعدائي تخاطبني  
يا فاني الناس بالأجناد والفكر . »

( وقال )

« وإذا توهرت المساك لم أود  
فيها السرى إلا برأى مقمر

وإذا طلبت عزيمة ففانحني  
فيها الزيمة والسنان السهرى . »

( وقال )

« كلام - كئل الدر - تنزه نرا  
ووصل - كظل الروض - تعطيك نرواً  
ولو لم تشب وصلي بهجر خلتي  
أشاهه منها الشمس أو ألتهم البدوا . »

( وقال )

« أنك الليل مكثرأ ياقصه سنا البدر  
فد الساطع تبسطه سنبصه يد الفجر . »  
( وقال في القاضي أبي القاسم أبيه )

« ألا يا مليكا يرغى ويهاب  
وبجراً له - في المكارم - حباب  
ومولى عدني - ذننات - مكارم ،  
يهوب بها - من راحته - سحاب  
أطمنك في سري وجهرى - هدا ،  
فلم يك لي - إلا اللام - ثواب  
وأعملت هدى في رثاك - مشرا

ومن دون أن أفعي إليه حجاب  
ولما كبا حدى إليك ولم يسع  
لنسى - على سوء المقام - شراب  
وقل اصطباري ، حين لالي عندكم  
من العطف - إلا قسوة وتباب  
فررت بنصي أبتى فرجة لها  
على أن حل العيش صدك صاب  
وما هزني إلا رسوك أن جرت

إلى به عم الهضاب وكاب  
قال مقالا لم أحد عن مقاله  
مناباً ، ومن مض الأود مناب  
دعاك أمير المؤمنين مثوباً  
قلت : « أمير المؤمنين بخاب »  
لجف أغذ السير ، حتى كأنما

يلعب بسيري - في الفلاة - غراب  
وما كنت - بعدالين - إلا موماً  
بزمي على ألا يكون لياب

ولسكنك الدنيا الى حبيسة

فاحك لي - إلا إليك - ذهاب

وفضلك في ترك اللام ، فانه

- وحكك - في قلبي ظلاً وحراب

إذا كانت النعسى تكسر بالأذى

فأمرى إلا عمة وعداب

ولا تقبض بالمتع كفى فانه

- وحدك - نفس للعلا وخراب

فوالله ما أبى بذلك غير أن

تعلى بحدوى راحتك رقاب

ويهدى إليك الناس دون تصع

شبه صدق لم يشبه كذاب

مكل نوالى ، إليك انتباه ،

وأنت عليه - بالثناء - مثاب

بقيت مكى الأسماء ، ما ذر عارق ،

وما لاح في أفق السماء شهاب .

( وقال )

« يا قاتل الصب ولا واق »

لا ترمس مائه بانفاق

عينك قد قادت إلى الردى

فالقلب شتاج إلى راق

لولا والرحمن ما كنت من

يعجب في جملة عشاق

قد لدغت صدفاك قلبي فحل

نعم للذغ بدرياق . »

( وقال )

« رجمي الله من يصلى مؤادى بحبه »

سعيأ ، وصي منه في جنة الحله

غزالية المئين شعبة السنا

كثيية الرديج غصنية اللند

شكوت إليها حبها بمدمى

وأعطتها ما قد لقيت من الوجد

ضاد قلبي قلها - وهو سالم -

فأعدى ، ودو الشوق للمرح قد يمدى

لجأدت - وما كادت - على بخدها

وقد يلج الماء النير من المله

قلت لها : « هاتى ثيابك إننى »

أفضل نوار الألقى على الورد

وميل على جسى بحبك » فاشتت

تعيد لقي أملت منها كما تبدى

هناقاً ولثما أرويا للشوق بيننا

- فرادى ومثنى - كالفرار من الزند

بإساعة - ما كان أقصر وقتها

لدى - فقتضت غير ملحوءة المهد .

( وقال )

« يتادون قلبي ، وللمرام يحيب ،

والقلب - في حين النداء - وجيب

شوق دهاه الشوق والوجد والهو

يجيب نداء الحب وهو يحيب

يقاسى مؤادى الوجد والحب واصل -

فكيف تراه إن جفاه حبيب ؟

إذا أخطأ الأحباب ترتب حلم

فانت مؤادى - دائماً - ليعيب

علم بأسرار الغرام ، لأنه

صير - بأدواء الحسان - طيب

يواصلنى سرأ ، ويعرم ظاهراً ،

وذلك - من أصاها من - عجيب . »

( وقال )

« يبيض الهند والأسل الحداد »

أرجمي أنت يجم لي مرادى

فأبلغ بختي ، وأريج نعى ،

وتحمد حالى في كل نادى

لفنى الدهر في قتل الأمدى ،

وحسم رقابهم في كل وادى

ففاك الفرض والرحمن - عندى

كثل النرض في حل الجهاد . »

( وقال )

« وليل ظفنا فيه لعل كأسنا »

إلى أن بدت الصبح فى القيل - أعمال

( وقال )

« ذكرك في في قدشيت بتسبحي  
أفديك يا فتنة الجنان والروح  
الله يعلم أني لست أهرع  
دهري ولا تنقضي فيكم تباريحي  
إن كنت أهرج معي جكم شطاً  
فإن سرّك عندي غير مفروح . »

( وقال )

« يا جاهل الحب إن الحب ذو سند  
مهما أهرجته يوماً سوف أهدد  
أيهمل الحب من أخص به حرق  
تكاد من حرّما الأشتاء تنقد  
الله يعلم أني شيق أبداً  
لا يقضي الشوق حتى ينقضي الأبد  
إن يهرج الجسم رد الوصل متمشاً  
يهدى إليه دوايدي حرماً مجد . »

( وقال )

« لله درّ الحب ماذا يصنع  
يعتو له ملك الزمان ويخضع  
لحجب سلطات عظيم شأنه  
مهما يقل قولاً فقلبي يسمع  
إن يهرج بالهجران ماك مهتج  
أقبل إليه بحالتي أضرع  
ماذا انتفعت بحالتي عند الهوى  
حال الهوى أبداً أجل وأرفع . »

( وقال )

« لله ما خلد الأعاض في خلدي  
لمن غدا والذي كالروح والجسد  
للأوحدي أبي الحيش الذي ظفرت  
منه بأهس علق في الأمام يدي  
موفق الرأي في الرايات لدته  
في الجدة والجود لاقى العيشة الرغد  
إذا رآه الصلا نأته مفصحة  
يا قرّة العين بل يا فلة الكبد . »

وولت نجوم الليل تهرى حزينة

وجاء مع الاصباح - نضروا قبل  
نقضت - من هنا وذاك - لينة

وتمّ لنا فتح ميين وآمال . »

( وقال )

« وليل أدمنا فيه شرب مدامة  
إلى أن بنا الصبح في الليل تأخير (١)  
وجاءت نجوم الصبح تضرب في الدي  
نولت نجوم الليل والليل مفهور  
لخرنا - من اللغات - أطلب طيبها  
ولم يمدنا هم ولا طاق تكدير  
خلا أنه - لو طال - دامت سره  
ولكن ليالي الوصل فيهنّ تقصير . »

( وقال )

« أنلم أن قلبي غير صاح ؟  
وأن من سلوك في انتزاع  
وكنت الدهر - أستاذ المال  
قد أصبحت من صيد الملاح  
تسقى البجيلة كأس صد  
وتزجها - لتطلي - براح  
ولو شاءت حياتي الدهر - سقت  
حرور القلب من شمع قراح  
وكانت تصنع الحسى جيلا  
ولكن ليس تلقى غير لاح  
تسقى - فديك - من عقار  
ونادى : هلم إلى اصطباح . »

( وقال )

« يطول على الدهر إن لم ألقها  
ويقصّر - إن لاقتها - أطول الدهر  
لها غرة كالبدل - عند تيممه -  
وصدفا غير غفا صفحة البدر  
وقد كئيل الحسن - مالت به الميا -  
ولفظ كما انحلت الظلام من الدرّ

(١) هذه المقطوعة أدرجت سهواً ضمن شعر

ابن زيدون .

( وقال )

« أترى اللقاء كما نعت يوق  
مظلل صبح بالسرور ونسق  
حتم تطلعي اليالي قرب من  
قلبي له ممشوق مشوق  
ملك أغتر أطار أن تحظى به  
لسواي الحلاط ولحظي يملق  
أمدى أبا الجيش الوق أنه  
للحكومات ميسر وموق  
ماهي به الزمن البعي كأنه  
نشر على وجه الزمان وروق  
ملك إذا هنا بطيب ثائه  
طلت به أمواتنا تملق  
حس الرئاسة أرعدت مرادته  
ببناء فهو التاج وهي للفرق »  
( وقال )

« عرفت عرف الصبا إدمع عائلته  
من أدق من أنا في قلبي أشاطره  
أراد تحديد ذكره على شحط  
وما تيق أني الدهر ذا كره  
ينأى المرار به والدار دايمة  
يا جبد الله لو سحت زواجره  
دخري أبا الجيش هل بقي اللقاء  
يشقني ملك حفن أنت ناظره  
نصاره قيسر إن فم منعراً  
لله أوله مجد وآخره »  
( وقال )

« كأننا ياسينتنا الحسن  
كرواك في السماء تبييض  
والطرب الحر في حواء  
تكدت عذراء ناله المص »  
( وقال )

« تنام ومدنها يسمر وتصر عنه ولا يسبر  
لئن دام هذا وهذا به سبهك وجداً ولا يسمر »

( وقال )

« أنتم وما ظني من الجيد فأنم  
وإن قدمت بي علة من طلابها  
فان اجتهد في الطلاب فأنم  
يمز على نفسي إذا رمت راحة  
براح مثنين الطباع الكرام  
وأسهر لي مفكراً غير طام  
وغيري على العلات شبعان فأنم  
ينادي اجتهد إن أحس بفترة  
ألا أين يا عباد تلك الزمان  
تتهتر آمالي وتغوى عرائمي  
وتدكرني لذاتهن المرام »  
( وقال )

« أنا في الحب مفرغ مستقبل  
كل نيل أناله لي قليل  
لي جبان من يطن صيحاً  
وفؤادي من الغرام عليل  
(١) أعطى بحقي  
إن صبري - على التجني - جميل  
لذهن - مثل المسام - مستقبل  
هو من كثرة التحني قليل »  
( وقال )

« إني على ألقى بالسهد والكبد  
أدعوك يا مصي الأجسام بالسهد  
قطعت قلبي الذي أعطاك جوهره  
إني وهبتك محض النفس والكبد  
يا دوة لم تلج في كب فأنصها  
إلا أهل إليها آخر الأبد  
تلي بكفك لا أرجو الفكك له  
مثل الفرسة حلت في يدي أسد »

(١) هكنا وجد ناصاً بالأصل

( وقال )

« غصن من التبر بوجه ورق  
كأنه المصح تحته شفق  
يا أبداع الناس في عاصفه  
رق على من أذابه الأرق  
مددت كفى رجاء رأفتكم  
لا تتركوا ينالني الفرق  
بحر دموي مغرق جسدي  
تداركوا مهجتي وبى رمق . »

( وقال )

« رمي الله حاليا حديثاً وماضيا  
وإن كنت قد جردت عزمي ماضيا  
فأليالي لا تزال ترومى  
ويرمين منى صائب السهم قاضيا  
وقد علمت أن الخطوب تطيعني  
وما زلت - من لبس الدنيا - طاريا  
أجسد في الدنيا ثيابا جديدة  
يعبد منها الجود ما كان باليا  
فأمر لي بجل بخاطر مهجتي  
ولا أمر بجل الناس قط بياليا  
ألا حبنا في الجبد لإتلاف طارفي  
وبذل عند الحمد نفسى وماليا . »

( وقال )

« يجور على قلبي هوى ويمير  
ويأسرني إن الحبيب أمير  
أطوع لأمر الحب طوع . سلم  
وإن كان من شأني أباً وهور  
أغار عليه من لحاظي صيانة  
وأكرمه إن الحب غيور  
أخف إلى لثيما الحبيب واني  
لمسرك في كل الأمور وقور . »

( وقال )

« يا غرة تسخر باليد  
وملقة تفت بالسر  
ومبما نظم من جوهر  
وماؤه من أطر الجهر  
ومنطقاً أوتيت من سحره  
أحر في قلبي من الجهر  
وشادنا يبق شـ منه  
وكل الأجنات بالسهر  
تاجر بي الله فز بالرضى  
وترخ الجنة في التبر . »

( وقال )

« يا درة قلبي بها همتون  
يلو، وإن سئل السلوسنين  
الله يعلم أن قلبي محرم  
من كان ذا صبر فليس يكون  
أو أن من يشرى رضاك بوزنه  
بالحد قلنا: إنه للمنيون . »

( وقال )

« يا قرا أصبح لي مالكا  
لا تركني مكنا مالكا  
وملقة الكبد التي ضدها  
ميتها الدهر بأوجالكا  
رق على قلب المعيد الذي  
يود أن يجرى على بالك  
حسنت في خلق وخلق فلم  
رضيت بالفتح لأمالكا . »

( وقال )

« بصبرني أمل للودة دائما  
وإن فؤادي والاله صبور  
أغار على معنى الرئاسة لاني  
على كل حسن في الزمان غيور  
أصرف ذهني في أمور كثيرة  
وأعلم أن البائرات تدور . »

( وقال )

« أملت ظار المجد بالبيض والسر  
وتصرت أعمار المادة على قر  
ووسعت سبل الجود طبعاً وصنة  
لأشياء - في الملياء - صلوها صدرى  
فلا مجد للإنسان ما كان ضده  
يشاركة في البحر بالنهي والأمر . »  
( وقال )

« كان عمى الفطر في شاطئ النهر  
وفد رهوت فيه الأراهر كالزهر  
ترش بماء الورد رشا وتلقى  
لتغليظ أفواه بطيئة الجر . »

( وقال حين دخل على المعتمد مآلقه )

« أرى أنت فائدة الزمان  
فقد قتت الملك في ممان  
وقد رمتك من بلد بعيد  
مأذتك الإله بلا توات  
بذلنا جهدنا عنهما وحزما  
ووطننا الكماء على الطمان  
وأجهدنا العزائم والمسامي  
وأملنا الحسام مع السنان  
ليبقى أهل مآلقه انتصاري  
وإعزازي لهم بعد الهوان  
سيتقدم وينسجم جيما  
رضاع الخير إن دوت لباني  
وأرقبهم فدا دوج للمالي  
كما أجنهم عمر الأمانى

وأضاف الذى يدي لسانى  
إليهم ما يمن لهم جنانى  
خلق عليهم شكر امتاضى  
وما خلق امتنان بامتنان  
ولكن الحقائق مخبرات  
وكم خير ينوب عن العيان  
ألم أعتهم من ذل كفر  
جرى في ضميرهم مله النان  
وتوراة عسرة أعزّت  
فطالت ذلة السبع اللثاني  
إلى أن تار بي عزم يئلا  
فأدرك سؤله العضب اليماني  
وأغضيت الصوارم خاطبات  
فكان قضاؤهما سحر البيان  
فضاد البرّ مصور للماني  
وآب الفسق مهدوم الباني  
وقام إمام جامعهم يصل  
وآنست الماسع بالأذان  
وكان ذور الهدى مابين ثاو  
قتيل أو قعيد القل فاني  
مذ اقترنت ببربرم يهود  
أباح حاسمهم حسن القران  
حناد جر ما أوليت فيهم  
- من التكتات بكر أو عوان  
وحسي في سبيل الله موت  
يكون ثوابه خلد الجنان . »

(٢)

شعر المعتمد

(الدرجة) الله حين خرج من مائة مستتباً لأبيه :

« سكن فؤادك لا تمذهب به الفكر  
ماذا يمسد عليك البث والحذر  
وازجر جفونك لا ترضى البكاء لها  
واصبر فقد كنت عند الخطب مصطبر  
وإن يسكن قدر قد عاق عن وطر  
فلا صرد لها يأتي به الفسور  
وإن تكن خيبة في الفهر واحدة  
فكم غدوت ومن أشياعك الطفر  
إن كنت في حيرة من حرم مجرم  
فان عذرك - في ظلماتها - قر  
كم زمرة - في شفاف القلب - صاعده  
وهيرة من شئون العين تنحدر  
فوض إلى الله مما أنت خائفه  
وثق بمقتضد بالله ينتصر  
ولا تترك خطوب إن عدا زمن  
فأله يدفع والنصور ينتصر  
واصبر ، فألك من قوم أولى جله  
- إذا أصابهم مكروهة - صبروا  
من مثل قومك - والملك الهام أبو  
صبرو أبوك - له مجد ومقتخر  
سيديع يهب الآلاف مقتدراً  
ويستل عطاياه ويعتر  
له يد كل جبار يقبلها  
لولا نداء لفلنا إنها « الحبر »  
يا ضيفاً يظل الأبطال مفترسا  
لا - وهنئ فاني الناب والظفر  
وفارسا تحذر الأقران صوته  
من هبكت الآن فهو الصارم الذكر

هو الذي لم تقم بينك صفحته  
إلا تأتي مراد واقفي وطر  
قد أخلقتني صروف - أنت تملها -  
وقال موردها : « مالي بها صدر »  
فالنفس جازعة ، والعين دامعة ،  
والصوت مرتفع ، والسر منتشر  
وزاد هي ما بالجسم من سقم  
وشبت رأساً ، ولم يلبث الكبر  
وذبت إلا دماء في يدي  
أني همدك تدفو حين تهتدر  
لم يأت همدك ذنباً يستحق به  
هجاباً ، وها هو قد ناداك يستنر  
ما الذنب إلا على قوم دوى دغل  
وفي لهم عهدك اليهود إذ غدروا  
قوم نصيحتهم غش ، وصدقهم  
مين ، وندهم إن صر فواسخرو  
يميز البغض في الألفاظ إن نهخوا  
وهرف الحقد في الألفاظ إن نظروا  
إن يحرق القلب نكت من معالهم  
فإنما ذاك من نار القلي شرور  
مولاي دعوة مملوك به ظناً  
برحوق واحتيك السلسل الحصر  
أجب نداء أمني قلب تملكه  
أسي وذي مقلة أودي بها السهر  
لم أوت من زمي شيتا أسر به  
فلمت أمهد ما كاس ولا وتر  
ولا تملككي دل ولا خير  
ولا سي خلفي غنج ولا حور



بقيت مؤيدا ما لاح برق  
وماغنى الحلم على تضبيب .  
( وله إليه )

« ألا ليلىكا ظلى الحطيم حفزا  
ويلاوحداً فاق الحلاتى أجمعا  
ترقى بعبد وده لك شبيبة  
إذا كان ذو ودّ سواء تصنعا  
لئن كنت من جبل فديتك فافرا  
فكم عاتراتك حلاك له : « لنا »  
أفلى نُخل عبدا شكورا وصارماً  
يجر من الأعداء ليتنا وأخذنا  
علتى من السخط الأليم سحابة  
فأغر بهارمخ الرضى كي تفسحا .  
( وله إليه )

« مولاي أشكركم إلى كدء أصبح قلبي به قريحا  
إن لم توجه رساك عني فلت أدري له مريحا  
سخطك قد زادني سقاما  
فأبث إلى الرضى مسيحاً .  
( وله إليه )

« ياليت حرب ذاق الأعداى  
طمين مسه أريا وسما  
هذا إذا تلبسوه حربا  
وفا إذا استوهبوه سلما  
لا غرو أن هم مك جسم  
فعادة الأسد أن تحما  
وليحنى أن طلعت بئراً  
لأهين الحق مستهما  
لا زلت تلقى البداة بؤسى  
مك وتلقى الولاة نسي  
ولتجز من قال من حود  
إن يكن الحق قد ألسا .  
( وله )

« يا بدر تم تجسلى فالأرض تشرق منه  
العجز خلق ذميم فلا تحدث عنه .

رضاك راحة نفسى لا نجت به  
فهو الخاد الذى قد نهر أدخر  
هو اللدام الذى أسلو بها فإدا  
عدمتها عبت فى قلبي الفسكر  
ما تركي الجرم من زهد ولا ورع  
فلم يفارق لعمري سسى الصخر  
وإنما أنا ساع فى رضاك فإن  
أخفقت فيه فلا يفسح لى الصخر  
ما سرى وأحاشى صخر عطفكم  
يوم أخل به فى عيني القصر  
أجل ولى راحة أخرى علفت بها  
نظم الكلى فى القنا والهيام تفتثر  
كم راحة لى فى الأعداء واخفجة  
تفى الليالى وما يغنى لها الجبر  
سارت بها الميسرى الآفاق فانتصرت  
فليس فى كل حى غيرها سر  
لا زلت ذا عزّة قساء شامخة  
لا يبلغ الوهم أدناها ولا البصر  
ولا يزل وزر من حسن رأيك لى  
آدى إليه فعم الكهف والوزر  
أليك روضة فكرى جاء منبتها  
ندى يمينى لا طلل ولا مطر  
حملت ذكراكى أرجئتها تحرا  
فكسل أوقاتها للمحق ثمر .  
( وله إليه )

« أيا ملكا يحل من الغريب  
ومن يلتذ غفران الذنوب  
ومن فى كفه بؤسى ونفسى  
تصرف فى السدو والمجيب  
تسخطك المش أهل نسي  
ومالى غير مفوك من طيب  
ولست بمتكر ذنبى ولك  
خنى قد جئت فى حال للريب  
فان عافيتنى لجراء مثل  
وإن تصفع طيس من الريب

## ابن عمار<sup>(١)</sup>

« وكتب ذو الوزارين أبو بكر بن عمار  
إلى المعتد على الله حين تهبض النصراني  
على الرشيد ابنه إذ حاول أسر صهيبة . »

« أصدق ظلي أم أصبح إلى صهي فأمضي عري أم أعوج مع الركب

### (١) ابن عمار

الوزير أبو بكر « محمد بن عمار » ذو النفس الصامية - كما يقول المراكشي - كان أحد الشعراء  
المجيدين على طريقة أبي القاسم « محمد بن هاني الأندلسي » وربما كان أحلى منزهاته - في كثير من شعره .  
ولشعره ديوان يدور بين أبيدي أهل الأندلس ولم أر أحدا ممن أدركته سبي من أهل الآداب الذين أخذت عنهم  
إلا رأيتهم مقسما له مؤثرا لشعره ، وربما تغالى بعضهم بشبهه بأبي الغيب ودييات . فن قصائده المشهورة التي  
أجاد فيها ما أراد ، قصيدته التي كتبها من سرقطة حين فرق المعتد بالله بينه وبين المعتد لأنه شمله عن  
كثير من أسره ففاه وهي : -

« على والا ما بكاء المائم وفي ولا ما نواح الخائم

وعى آثار الرعد صرخة طالع لثأر ، وهز البرق صعقة صارم

ومالبت زهر النجوم حدادها لتنير ، ولا قاتله في مآتم . »

وفي هذه القصيدة يقول يمدح المعتد بالله :

« أبى أن يراه الله إلا مقلدا حية (١) سيف أو حيلة عارم . »

ومن جيد نسيبه قوله في قصيدة يمدح بها المعتد بالله :

« جاء الهوى فاستشعروه طاره ونسيبه فاستمذبه أواره

لا تطلوا - في الحب عزاء ، إنما عباده في حكمه أحراره

قلوا أضرب بك الهوى فأجيته : يا حبذا وجذا أضراوه

قلبي هو احتار القام لجسه زيا ، غلوه وما يغتاره

عبرتموني بالنحول ، وإنما هرف الهند أن ترق شفاره

وشتم لفرار من آفته ولربما حجب الحلال سراره

أحببت السلوان هب نسيبه ؟ أو انذاك النوم عاد غراره ؟

إن كان أعياء القلب من حرب الجوى خذله من دمي إذ أنصاره . »

ولابن عمار هذا مع المعتد أخبار عجيبة عن مجيها أهل الأندلس ، وأنا - إن شاء الله - مودد منها ما لا ينخل  
بالفرط الذي التزمته ، ولا يخرج من الحد الذي رسمته ، حسب ما بقي على خاطري من ذلك ، لأنني كنت في

ولاني تهوى في إليك مودة يسترها ما قد تعرض من ذنبي  
إذا هتفت فرأى مشيت مع الهوى وإن ألقه نكست على حقي

حداثة سنى قد صرفت عنايتي الى أخبار ابن عمار هذا مع المتعدد لما تضمنته من الآداب . وقد فلتت خزائنه  
حفظي ظم ألف فيها إلا نبذة بسيرة وأنا موردها إن شاء الله عز وجل :

فابن عمار هذا هو محمد بن عمار يكنى أبا بكر أصله من « شلب » من قرية من أعمالها يقال لها : « شنبوس »  
مولده ومولده آتاه بهاء كان غافل البيت ليس له ولا لأسلامه في الرياضة في قديم الدهر ولا حديثه - حفظه - ولا زكا  
منهم بها أحد . ورد مدينة شلب طفلا منشأ بها وتعلم علم الأدب على جماعة منهم أبو الحجاج يوسف بن عيسى  
الأهلم ، ثم رحل الى قرطبة فتأدب بها ومهر في صناعة الشعر فكان قصاراه التكبس به فلم يزل يحول  
الأندلس مستقفا لا يخشع بمدحه الملوك دون غيرهم بل لا يبالى ممن أخذ ولا من استعطف من ملك أو سوقيه ،  
وله في ذلك خبر ظريف ، وذلك أنه ورد في بعض سفراته شلب لا يملك إلا دابة لا يحد عليها فكتب بشعر  
الى رجل من وجوه أهل السوق فكان قصره عند ذلك الرجل أن ملأ له الخفلة شعيرا ووجه بها إليه ، فركبها  
ابن عمار من أجل الصلات وأسنى الجوائز - ثم انفق أن علت حال ابن عمار وساعده الجدد ونهض به البخت  
وانتهى أمره أن ولده للمتعدد على الله مدينة شلب وأعمالها أول ما ألقى الأمر إليه فدخلها ابن عمار في  
موكب ضخم وجملة عبيد وحشم وأطهر نخوة لم يطهرها للمتعدد على الله حين ولها أليم أبيه للمتعدد بالله ،  
فكان أول شيء سأل عنه الرجل صاحبه صاحب الشعر ، فقال : ما صنع فلان أموحى ؟ قالوا : نعم  
فأرسل إليه بمحلاته يعنيها به أن ملأها دراهم وقال لرسوله : « قل له لو ملأها ببرا ملأها ببرا » ولم يزل  
ابن عمار على الحال التي ذكرناها من التقلب في بلاد الأندلس للاستجداء والاستعطاف إلى أن ورد على  
المتعدد بالله أبي عمرو فامتدحه بقصيدته للشهيرة التي أولها :

« أدر الزاجحة فالنسيم قد انبرى وللنجم قد صرف الصانع السرى  
والصبح قد أهدى لنا كافوره لما استرد الليل منا المنبر »

وفيها يقول بمدح المتعدد :

« عباد المختصر نائل مكفه والحو قد لبس الرداء الأغبر »

قداح زبد اغمد ، لا ينفعك من نار الوحي إلا إلى نار القرى

بختار أنت يهب الحريدة كاعاء والطرف أجرد ، والحسام مجرما

وفي هذه القصيدة يقول في وصف وقعة أرضها للمتعدد بالبربر :

« شقيب بسيفك أمة لم تستقد إلا اليهود ، وإن سموا بربرا

أثمرت رحك من رؤوس كجائهم لما رأيت المصن عشق مشرا

وخضبت سيفك من دماء محورم لما عهدت الحس يلبس أجرا »

ومن أبيات هذه القصيدة بيت لم أسمع لمقدم ولا متأخر بمثله وهو قوله :

« السيف أفصح من « زياد » خطبة في الحرب إن كانت بسيفك منبرا »

ولما ألتفت للمتعدد هذه القصيدة استحسنها وأمر له بحال وثياب ومركب ، وأمر أن يكتب في ديوان الشعراء  
فكان كذلك ، ثم تعلق بالمتعدد على الله سهواً ذاك شاب فلم تزل حاله معه تنزيد وموات خدمته له تهوى

وما أغرب الأيام فيما قضت به ترى بمدى عنك آس من ترى  
أما بك الحق الذى لك فى دى وأرجوك للحب الذى لك فى قلبى

وتأكد إلى أن صار ابن عمار ألقى بالعمد من شمرات قصه (١) ، وأدى إليه من حل وريده. كان العمد لا يستغنى عنه ساعة من ليل ولا نهار ، ثم اعتق أن ولي للعمد على الله شلب من قبل أبيه فاستوزر بن عمار هذا فى تلك الولاية وسلم إليه جميع أموره فطلب عليه ابن عمار غلبة شديدة ، وساءت السمعة عنهما ، فانضى نظر العمد للتريق بينهما وولى ابن عمار عن بلاده حسب ما همموا الإيحاء إليه ، فلم يزل ابن عمار متربا فى أقصى بلاد الأندلس إلى أن توفى للعمد بالله ، فاستداه للعمد وقربه أشد تقرب حتى كان يشترك فيما لا يشارك الرجل فيه أخاه ولا أباه . وله بعد أيام كرمها بئس خبر عجيب ، وذلك أن العمد استداه لية إلى مجلس أنه على ما كانت العادة جارية به إلا أنه فى تلك الليلة زاد فى التثنى به والبر له على المعتاد ، فلما جاء وقت النوم أقسم للعمد عليه : « لنصن رأسك مى على وساد واحد » فكان ذلك . قال ابن عمار : فهتف بى هاتف فى النوم يقول : « لامتزأ أيها المسكين إنه سيفتك ولو بعد حين » قال : « فالتفت من نوى فزها وقمذت ثم عدت » فهتف بى الهاتف على حاله الأولى فالتفت ، ثم عدت فسمعت نائكة فالتفت فخرت من أنوابى ، والتفت فى بعض الحضر وقصدت دهليز القصر مستتبيا به ، وقد أزمعت على أنى إذا أصبحت مستحميا حتى أتى البحر فأركبه وأقصد بلاد البصرة فأكون فى بعض جبال البربر حتى أموت ، فانقب للعمد فانقدنى فلم يجدنى فأمر بطلي فطلبت له فى نواحي القصر وخرج هو نفسه يتوكأ على سيفه والشعلة تحمى بين يديه ، وكان هو الذى وقع على مكانت مى حركة فأحس بى وقال : « ما هذا يحرك فى هذا الحضر ؟ » ثم أمر به فمضى ، فخرجت شريفا ما ليس على الا سراويل . فلما رآنى فاضت عيناه دموما وقال : « يا أبا بكر ما الذى حرك على هذا ؟ » فلم أر بدا من أن صدقته ، قصصت عليه قصتى من أولها إلى آخرها ، فصحك وقال : « يا أبا بكر ، أسأت أحلام هذه آثار الحجار » ثم قال لى « وكيف أتتكم ، أرايت أحدا يقتل نفسه ؟ ما أنت إلا كفى » فشكر لى ابن عمار ودعاه بطول البقاء ، وتناهى الأمر عنيه ، وصرت على ذلك الأيام والليالى إلى أن كان من أمره ما سبأنى الإيحاء إليه ، صدقت رؤيا بن عمار وقل للعمد نفسه كما قال .

ولما ألقى الأمر إلى العمد سأل ابن عمار ولاية شلب وهى كانت بلده ومنشأه كما تقدم ، فأجابته العمد إلى ذلك وولاه إياها وأنه جعل إليه جميع أمورها خارجها وداخلها ، فاستمرت ولاية ابن عمار عليها إلى أن اشتد شوق للعمد إليه وصنف من احتمال الصبر عنه ، فاستداه وعزله عنها واستوزره ، فكانت حاله معه شبيهة بحال جعفر بن يحيى مع الرشيد ولم يزل للعمد يمد له لكل أمر جليل ويؤمله لكل رتبة عالية ، وكان ابن عمار مع هذا لا يئط به أمر إلا اصطلع به ، وكان فيه كالمسكة المهداة ، واشتهر أمره ببلاد الأندلس حتى كان ملك الأذنى إذا ذكر عنده ابن عمار . قال هو رجل الجبرية ، وكان ابن عمار هو الذى رده من قصد اشيلية وقرطبة وأعمالها ، وذلك أنه خرج فى جيوش ضخمة يقصد بلاد للعمد طالما فيها ، فخانته الناس ، وانتلأت صدور أهل تلك الجهات رعباً منه ، واتفقوا ضمهم من دفعه ، فتولى ابن عمار رده بالطف حيلة وأيسر تدبير ، وذلك أنه قام سفرة شطرنج فى غاية الإقتان والابذاع لم يكن عند ملك مثله ، جعل صورها من الأبوس والعود الرطب والصندل ، وحلها بالذهب ، وحمل أرضها قاية فى الاتقان فخرج من عند للعمد رسولا إلى الأذنى طلبه فى أول بلاد المسلمين فأعظم الأذنى قدره وبالع

(١) القى : فتح أوله وتثديده ثانياه أراد به رأس الصدر وهى العظام التى تتلاقى فى وسط الصدر حيث ينبت الشعر.

ولي حسنات لوأمت يبضها إلى الدهر لم يرمع ثنائة سربي

في إكرامه وأمر وجوه دولته بالتردد إلى خبائه والسارعة في حوائجه فأظهر ابن عمار تلك السفارة فترأما  
بعض خواص الأذفئش فقتل خبرها إليه وكان الملحج ( الأذفئش ) مولوا بالشرطيخ فلما لقي ابن عمار سأله  
« كيف أنت في الشرطيخ ؟ » وكان ابن عمار فيه طبقة طالية فأخبره بمكانه منه ، فقال له بلى أن عندك  
سفرة في غاية الاتقان ، قال ابن عمار نعم ، فقال كيف السبيل إلى رؤيتها ؟ فقال ابن عمار لترجانه قل له أنا  
اتيك بها على أن ألب منك عليها ، فإن غلبتي فهي لك ، وإن غلبتك فلي حكمي ، فقال له الأذفئش هلها  
لتنظر إليها ، فأمر ابن عمار من جاء بها ، فلما وضعت بين يدي الملحج صلب وقال ماطلت أن اتقان الشرطيخ  
يبلغ إلى هذا الحد ، ثم قال لابن عمار كيف قلت فأعاد عليه الكلام الأول ، فقال له الأذفئش لا ألب منك  
على حكم مجهول لا أدرى ماهو ، ولله شيء لا يمكنني ، فقال ابن عمار لا ألب إلا على هذا الوجه وأمر  
بالسفرة فطويت وكشف ابن عمار سر ما أراد له لرجاله وثني بهم من وجوه دولة الأذفئش وجعل لهم أموالا  
هظيمة على أن يوازروه على أمره فعملوه فتملكت نفس الملحج بالسفرة وشاور خاصته فيما رسمه ابن عمار  
فهمروا عليه ، فقالوا له : « إن قلبته كان عندك سفرة ليس عند ملك مثلها وإن غلبك فما عساه أن يحتكم  
وتجها عنه إظهار الملك العجز عن شيء يطلب منه ، وقالوا إن طلب ابن عمار ما لم يمكن فنعن لك برده  
من ذلك ، ولم يزالوا به حتى أحب ، وأرسل إلى ابن عمار ، فجاء ومعه السفارة ، فقال له : « قد قبلت  
مارسسته . » فقال له ابن عمار : « فاجعل بيني وبينك شهوداً يساهم له ، فأمر الأذفئش بهم فحضروا  
وافتتحا بلبان ، وكان ابن عمار كما ذكرنا طقة في الأندلس لا يقوم له أحد فيها ، فطلب الأذفئش غلبة  
ظاهرة لجميع الحاضرين لم يكن الملحج فيها مطمئن . فلما حققت الغلبة . قال له ابن عمار : « هل صح أن لي  
حكمي ؟ » قال « نعم » قال : « أن ترجع من هاهنا إلى بلادك » فأسود وجه الطع وقام وقد  
وقال لحواصه « قد كنت أخاف من هذا حتى هو تنموه على في أمثاله لهذا القول » وهم بالنكت والتماذى  
لوجه . فقبضوا ذلك عليه وقالوا له : « كيف يحمل بك الفدر وأت ملك ملوك التصارى في وقتك » فلم  
يزالوا به حتى سكن وقال : « لا أرحم حتى آخذ أتاوة طامبي خلاف هذه السنة ، فقال ابن عمار « هذا  
كله لك » وجاءه بما أراد فرجع ، وكف الله بأسه ، ودمعه بحوله وحسن دفاعه عن المسلمين ، ورجع  
ابن عمار إلى إشبيلية ، وعند امتلائت نفس المتمد سروراً به ، ثم إن المتمد حدث له أدل في التفل على  
مربية وأعمالها ، وهي التي تعرف بتهيمر ، وكانت بيد أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر كان هو المتطلب عليها  
والمدبر لأسرها ، فجهز المتمد جيوشا عظيمة ، وتكفل له ابن عمار بأخذها وإخراج ابن طاهر عنها فلحق  
ابن طاهر حين خرج من مربية بيبي عبيد العزيز بلمنسية ، فكان بها إلى أن مات رحمه الله ، ولما قلب  
ابن عمار على مربية دار ملك بني طاهر كما ذكرنا حدثته عنه ، وسؤل له سوء رأيه أن يستد بأمره ،  
وأن يضبط تلك البلاد لنفسه ، فلم يزل يصرف الحيلة في ذلك إلى أن تم له بعضه ، ودانت له مربية  
وأعمالها ، وطلع في ملك بلمنسية إلى أن قام عليه رجل من أهل مربية ، يقال له ابن رشيق كان أبوه من  
من عرفاء الجند بها ، وكان ابن عمار قد خرج لبعض أمره فدعا ابن رشيق ههنا إلى نفسه ، وقامت معه  
العامية ومن الجند ، فجاء يركن حتى المدينة وقد غلقت أبوابها دونه فحاصروها بمن معه أياماً ، فاستنعت

وكم قدرت يتلانا بي من صرية فلا غرو يوما أن نقتل من غربي

عليه ولم يقدر على دخولها ، فبقى حائرا لا يدري ما يصنع ولا أين يتوجه ، وقد كان بلغ للمتمد قيامه عليه وخلق يده من طاعته ، فلم ير إلا الحروب ملجأ مهرب حتى لحق بيني هود بمرقطة فأقام عندهم حتى قتل عليهم وخافوا غائلته ، وبغضه في عيونهم ما نفل مع صاحبه وولى لصلته ، فأخرجوه عن بلادهم ولم تزل البلاد تتنازله وملوكها تمشاه ، إلى أن وقع في حصن من حصون الأندلس في غاية اللمة يدعى شقورة ، كان للقتل عليه رجلا يقال له ابن مبارك مأكرم وغادته ، وأحسن نزل ، ثم بداه بعد أيام قبض عليه وقيده وجعله في سجنه . فلما رأى ابن مبارك ذلك منه قال له لاهليك أن تكتب إلى ملوك الأندلس بكوفي عندك ، وتعرض عليهم لما منهم إلا من يرغب في ، فمن كان أشدهم رغبة جعل لك مالا ووجه بي إليه ، ففعل ابن مبارك ذلك فما عرض على أحد من ملوك الأندلس إلا رغب فيه ، وكتب فيمن كتب إلى للمتمد ، وفي ذلك يقول ابن مكار :

« أصبحت في السوق بتادي على رأسى بأنواع من اللال

والله ما جار على ماله من ضنى بالتمن الغالى . »

وفي هذا السجن يقول ابن مكار وقد استدعي نورة يستنظف بها فتعزرت عليه فاستدعي موسى فأتى بها ، فقال في ذلك :

« جوسى شقورة عندى أوبت على كل جوسى

فصعدت هارول فيها فظلت أطلب موسى . »

وبعث للمتمد على الله من رجاله من سلم ابن مكار من يد ابن مبارك بعد أن بعث إليه بجمال وخيل ، وأمر للمتمد الذين تسلموا ابن مكار أن يزيدوا في الاحتياط عليه وتحميده ، فخرجوا به حتى وادوا قرطبة ، ووافق ذلك كون للمتمد بها ، فدخلها ابن مكار أشنع دخول وأسوأه على بدل بين عدلى بن قيوود ظاهرة فتناس ، وقد كان للمتمد أمر بإخراج الناس خاصتهم وعامتهم حتى ينظروا إليه على تلك الحال ، وقد كان قبل هذا إذا دخل قرطبة اهتزت له وخرج إليه وجوه أهلها وأعيانهم ورؤسائهم ، فالتسجد منهم من يصل إلى تقبيل يده أو يرد عليه ابن مكار السلام وغيرهم ، لا يصل إلى تقبيل ركبته أو طرف ثوبه ، ومنهم من ينظر إليه على بعد لا يستطيع الوصول إليه ، فسبحان عجل الأحوال ، ومديل الدول ، فدخل ابن مكار قرطبة كما ذكرنا بعد المزة القمصاء ، والملك الشامخ ، والرياسة الفارعة ، ذليلا ، خائفا فقيرا ، لا يملك إلا ثوبه الذى عليه ، فسبحان من سلبه ما وهبه ، ومنه ما كان به أتمته ، وأخبر بعض الموكلين به ما اتفق لهم معه من فرط ذكائه وسرعة فطنته قال : « لما قربنا من قرطبة بحيث يرانا الناس ، خرج فارس من البلد يركض يقصدنا ، فلما رآه ابن مكار وكان معتما أزال العمامة عن رأسه ، فجاء الفارس حتى وصل إلينا ، فنظر إلى ابن مكار ودخل معنا في الصف ففى ، فسالناه فيم جاء فقال « الذى جئت فيه صنعه هذا الرجل قبل أن أصل إليه » فلفنا أنه أرسل ليزيل عمامته ، فأدخل على للمتمد على الله على الحالة التى ذكرت يرسف في قيوده ، فجعل للمتمد يسدد عليه أياديه ونمسه ، وابن مكار في ذلك كله مطلق الرأس لا ينس إلى أن انقضى كلام للمتمد ، فكان من جواب ابن مكار أن قال : « ما أنكر شيئا مما يذكره مولانا - أباه الله - ولو أنكرته لمهدت على » به الجملادات فضلا ممن ينطق ، ولكن عزت فأقل ، وزلت فاصنع » فقال للمتمد : « هيات لنا عترة لا تقال » وأمر به فاحضر في النهر إلى إشبيلية فدخل به اغبيبية على الحال التى دخل عليها قرطبة وجعل ، في غرة على باب قصر للمتمد للمروف بالفضل المبارك وهو باقى إلى وقتنا

ولا بد ما بيني وبينك من تنا يطبقها ما بين شرق إلى غرب

هذا مطال سجنه هناك . كنهت عنه في هذا السجن قصائد لو توسل بها إلى البحر لئلا عن جورته ، أو إلى الفلك لكف من دوره ، فكانت رق لم تنجح ، ودعوات لم تسمع ، وتعلم لم تنفع ، فنها قوله :

«سجانيك إن عانيت - أئدي وأسبح ،  
وإن كان - بين الخططين - مزية ،  
حنانيك أني أخذي برأيك ، لا قطع  
فإن رحتي أن عندك غير ما  
ولم لا وقد أسلفت ودا وخدعة  
وهي قد أعقت أعمال مفسد  
أفني بما بيني وبينك من رضى  
ودع على آثار جرم سلكتها  
ولا تلتفت قول الوشاة ورأيهم  
سيأتيك في أسرى حديث وقد أتى  
وما ذاك إلا ما علمت ما أنى  
كانى بهم - لا در لله درهم -  
وقالوا : « سيجزيه ملان بسطه »  
ألا إن بطشاً للؤيد يرمنى  
ولماذا صى الواشون أن يتريدوا  
نعم لى ذنب غير أن لحله  
عليه سلام كيف دار به الهوى  
وبهنيه إن مت السلو فإني  
وين صلومي من هواه تيمية

وهذرك إن عانيت - أجل وأوضح  
فأنت - إلى الأدنى من الله - تنجح  
صدى ولو أنتو عليك وأنصوا  
يفرض عدوى اليوم فيه ويمرح  
يكران في ليل الخطايا فيصبح  
أما تفقد الأعمال تحت تصليح  
له - نحو روح الله - باب مفتوح  
بهية رحى منك تمحو وتصح  
مكل لئنا بالذى فيه يرشح  
يزور بين عبد العزيز موشح  
إذا ثبت لا أنك آسو وأجرح  
أشاروا تهاى بالتمات وصرحوا  
قلت : « وقد يفولان ويصيح »  
ولكن حلما للؤيد يرجع  
سوى أن ذني واضح متصح  
صفاء يزل الذنب عنها فيسفع  
إلى فيدنوا أو على فينزع  
أموت ولى شوق إليه مبرح  
ستفح لو أن الحلم يجلح .

ولما بلغت المتمد هذه القصيدة وأنشدت بين يديه كان محضرته رجل من البعاديين ، فجعل يزدى على البيت وبين صلومي ويقول ما أراد بهذا المعنى ، فكان من جواب المتمد رحمه الله أن قال : أما لئن سلبه الله المروءة والوفاء ، لما أعدمه الفطنة والذكاء إنما نظر إلى بيت المفضل من طرف خفى وهو -

« وإذا المنة أنشيت أظفارها الفيت كل تيمية لا تنفع . »

ولم يزل ابن مزار هذا بسجن المتمد إلى أن قتله صبرا في شهر سنة ٤٧٩ ، وتلخيص خبر قتله أنه لما طال سجنه كتب إليه بالقصيدة التي تقدم إنشادها ، فأدركت المتمد بعض الرقة ، فوجه إليه ليلاد هو بعض مجالس أنه مآنى به يرسف في قيوده ، فجعل المتمد يسدد منته عليه ، وألأديه قبله ، فلم يكن لابن مزار جواب ولا هذر غير أنه أخذ إلى البكاء ، وجعل يترقق للمتمد ، ويسح عطفيه ، ويستجلب من الألفاظ كل ما يقدر أنه يزرع له الرقة في قلب المتمد فتم له بعض ما أراد من ذلك ، وصطلت المتمد سابقته وقديم حرمته ، عبهه ، مكتب ابن مزار من فوره بما دار له للمتمد إلى ابنه الراضى بالله ، فواهاه الكتاب - وبمحضرته قوم كانت بينهم وبين ابن مزار حقد قديم - لما قرأ الراضى الكتاب قال لهم : « ما أرى ابن مزار إلا سجنخلص » فقالوا له « ومن أين علم مولانا ذلك » فقال : « هذا كتاب ابن مزار يخبرنى فيه أن مولانا المتمد قد

ولاشك أن الطومك سبجة ظميق إلا أن تخف من حي .

( لجاربه المتمد على الله )

« ندم إلى ما عتدت عندي من الرحب ورد تلك العتي حباباً من الحب  
مى تلقى تلقى الذى قد يلونه صفوا من الجاني رء وفا على الصحب  
سأوليك مى ما عهدت من الرضى وأمرض مما كان إن كان من ذنب  
لما أشمر الرحمن ظلى قسوة ولا صار لبيان الأذمة من شمي  
نككته أسمى به لك سـلوة فليس يمانى الشعر مشترك الحب . »

( وللمتمد على الله إلى ذى الوزاريين أبى بكر )

« قد زارنا النرجس النكى وقد عطشنا وم رى  
ونحن فى مجلس ندى وإن من يومنا المنى  
ولى حبيب غداً سـمى ياليت ساعد السـمى . »

( وللمتمد إلى الوزير أبى عمر بن عطش )

« نديت أباً عمر من نى مى يختبر غيبه محمد  
وداد صبح ، وخلق مليح وخلق فصيح ، لدى للمهد  
أتنى البديهة تندى بدما وأبدع ما فى الرياض القدى  
أزاهر : لم تنشق بالأنو ف لطفاً ، ولا جيت باليد  
خجلت لشكواك فى طيا فاكدت أسع للنفسد  
وقد غبرت لك تلك الرؤى ليشع طلو ويروى صدى  
فهون عليك من التائبات إذا كان نصرى بالمرصد  
وكن مخبرى أنى سائل سؤال مدلى على مسعد  
لجاءك صفراء عند لنا م سرى من الأفق الأبد  
لجيك بالنفس النرجسى ولا لك باللبس السجدى  
وعطسك بالرى لو أنه أيج قى الزهد لم زهد . »

وصدده بالملام « فأظهر القوم الفرح وم يطنون غيره ، فلما قاموا من مجلس الرضى دعروا حديث  
ان حمار أفع لشر ، وزادوا فيه زيادات قبيحة صنت هذا الكتاب عن ذكرها فبلغ المتمد ذلك فأرسل  
إلى ابن حمار ، وقال له : « حل أخبرت أحداً بما كان بيني وبينك البايحة » فأفكر ابن حمار كل  
الأنكار ، فقال للمتمد الرسول « قل له الورقان اللان استمعتهما كبت فى إحداهما القسيمة ، فافلت  
بالأخرى ؟ » فادى أنه يض فيها القسيمة فقال للمتمد « لم للردة » فلم يمر جواباً ، فخرج المتمد حفا  
ويده الطبرزين حتى صمد الفرقة اتى فيها ابن حمار ، فلما رآه علم أنه فاته ، لجلى ابن حمار يزحف ويهوده  
تقله حتى انكب على قدمى المتمد قبلهما وللمتمد لا يغيه مى ففلا بالطبرزين الذى فى يده ولم يزل يضربه  
به حتى برد ، ورجع المتمد فأمر بنسله وتكفنه وصلى عليه ودفنه بالقصر المبارك ، فهذا ما انتهى إلينا من  
خير ابن حمار ملخصاً حسب ما بقى على خاطرى . « للمعب فى تلجيس أخبار الغرب »



( وله رحمه الله )

« كتابي وعندي من فرائدك ما عندي وفي خلدي ما فيه من لوعة الوجد  
وما خطت الأقلام إلا وأدعى تخط كتاب الشوق في صفحة الوجد  
ولولا طلاب الوجد زرتك طيبه عبيدا كما زار الندى ورق الورد  
هبت ما تحت الثام من اللها وعاشت ما فوق الوشاح إلى القدر  
أفأبسة هي وحاضرة هي لئن هبت عن عيني فأبك في كبدي  
أقبي على الهدى التي كان يبتنا فأز على ما تعلمين من المهد . »

( ولوزير الكاتب أبي الوليد بن العلم )

« أيك الله إنه يوم تحجب فيه الصلاة والصوم  
وتحضر الزاح غير وانية لأغار في حزمها ولا لوم  
فانشط إليه فانه أمل يملئه في نديك القوم  
لازلت مستيقظ السعد لنا وعك في أعين الزدى نوم . »  
( مأجابه أيده الله )

« حث بخفاة الجناح وقد أمكن ورد فلا يمل حوم  
وسمت في الطيب والسرور فني لم يزرو يوما بطيبه سوم  
وحامو المجلس المد لكم فادخل إليه وليدخل القوم  
إلى كؤوس لو شاء شاربها سوم فيها لأمكن الموم . »  
( لجوابه رحمه الله )

« ليك ليك من مناد له الندى الحب والندى  
ها أنا بالباب جد فن ذبته وجهك السقى  
صرفه والفاء باسم صرفته أت والني . »

( وقال )

« سلى قلبي إن كنت غير طيبة بأن ليس في حي لنبرك مطيع  
وأن لي القلب الذي ليس خاليا من الوجد والجن الذي ليس بهج  
بذكر نيك للمصنعه عند ما يهب نسيم ، والفزاة قطع  
فواقه لا أفك أذكر موضعي لديك ولا أفك نحوك أنزع . »  
( وقال )

« ألكم إلى المص الشحي ماد تفك عنه للأسي أسفاد  
رحل اصطباري إذ رحمت فأتلا أوب الأجابة يبتنا للبياد  
يا من نسكت دنوم ووصالم فدا على من الشوب حداد  
كم بت منكم هي غصني بأفة كاليف تضبط منه الأحماد . »

(وقال في ممشوقة اسمها « اعتياد » يؤخذ حروف اسمها من أوائل هذه الأبيات . )

«أغابته الشخص من ناظري وحاضرة في صميم المراد  
عليك السلام بقدر الشجون ودمع الشجون وقدر السهاد  
تملكت مني صعب المرام وصادفت ودي سهل القياد  
مرادى لثياك في كل حين ميا ليت أني أعطي مرادى  
أقبي على العهد ما بيننا ولا تستحيي لطول انبئاد  
دست اسك الملو في طي شعري وألعت فيه حروف اعتياد .»

( وقال )

« قلبي موال لماديه وعاشق من لا يباله  
خلى الظلوم كلما زده مودة زاد تحننه  
يا غفر الله له دنبه في ظلم صب هائم فيه  
يا حسن الوجه بحق الهوى لا ترض قبح المحر والثنيه .»

( وقال )

إني رأيتك في المنام ضجيتي وكان ساعدك الوثير وسادى  
وكأنما عاهتني وشكوت ما أشكوه من وجدى وطول سهادى  
وكأننى قبلت ثورك والطللى وتلوجتني وثلت مك مرادى  
وهواك لولا أن طيفك زائر في السلى ما ذقت طعم رداد .»

( وقال يستدعي الوزير للمصرى الحكيم )

« أياها صاحب الذى فارقت عبي وحسى منه السنا والساء  
نحن في المجلس القى يهب الراحة وللسمع الذى والعناء  
تصايطى التى تمنىك في اللذفة والرقصة الهوى والهواء  
فأه تلف راحة ومحيا فدأصداك الحيا والحياه .»

( وله )

« لما نأت نأى الكرى عن ناظري وصرفت له انصرفت طيبه  
طلب البشرير بشارة يحزى بها موهبت قلبي واعتذرت إليه .»

( وله )

« الجود أحلى على قلبي من الطفر ومن مثال قصي السؤل والوطر  
ومن غناء أروى في الصبح لنا يا طلة الشمس في الأصال والبكر  
وقد حننت إلى ما اعتدت من كرم حين أرض إلى مستأخر للطر  
وقد تنامت يدي عن كآبها غضبا وبجت الأذنل أهما فنة الوتر  
حتى أمك مسننى ما تجود به وأوسع الحد بالأخرى على الأثر  
فهاها « خلنا أرض السباح بها عقوقه في أكف الصرب باليد .»

(وله)

« من الملوك بنأو الأصيد الطل  
خطبت قرطبة الحناء إذ منعت  
وكم غدت طاطا حق عرضت لها  
معرض للملك لنا في قصرها عرض  
فراقبوا عن قريب لا أبا لكم  
هجوم ليت بدوع البأس منتبل . »

(وله إلى المتضد بالله)

« مولاي ياذا الأبادى  
أنا عبيد مدّ لحلم داء الأبادى  
واعتادت النفس مى نصيب الآساد  
لانى عليها مقبم لرائح أو لناد  
أكر بالضرب فيها والظمن عند الجداد  
حق أبحث حاما بمزفلات حداد  
إن لم تكن أسد غيل تكتن جاذر واد  
بحق لحلم وطى وكنته ومراد  
ملكنت من أرض حص إلى قرى سنداد . »

(وله رحمه الله)

« نظن بنا أم الريح سامة  
أأسام ظييا في ضلوعي كناسه  
وروسة حسن أجنى من ثمارها  
إدا شئت كل نوالا تقيضه  
ألا غمر الرحمن ذنباً تواضعه  
وبدر تمام في فؤادى مطالعه  
وبارد ظلم لم تكسدر عرائسه  
على مفتيها أو عدواً تقارعه . »

(وله)

« أمطلع زهر نجوم الكلام  
أنا قريضك والهم حى  
ومسرقه من خلال الحك  
لدينا فأسمى به قد حك  
فهاك موارد ود مسعت  
يطك فيها ألقى أنك . »

(وله)

« درا بشت مفعلا بجمان  
لا بل عروساً قد زفت تولنت  
أما الكؤوس قد جبرت ما بيننا  
خنت يمين اللدام بطرقة  
فلا لعبرك لم أكن لأضيحه  
لأعجبنا من بنى سهوان . »

(وله)

« إن كان تصريدا لير تمد فلا جطن مكانه وردا  
من قهوة ضمنت أكوشها نارا تكون على الحتاب بردا . »

(وله)

« اضرِب الكأس في وداد ودادك وتأنس بذكرها في افرادك  
فر غلب من جنوك سرآ . وسكتاه في سواد فؤادك . »

(وله)

« حسنت كتابي على فوزي بإبصاره النيرة الزاهرة  
ميا ليت شخصي يكون الكتاب فتلطفه للقة الساحرة . »

(وله في اعتياد أيضا)

« بكرت تلوم في الفؤاد بلايل سفها وهل يثني الخليم الجاهل  
يا هذه كنى فإني عاشق من لا يرد هواي منها غافل  
حب « اعتياد » في الجوانح ساكن لا القلب ضاق به ولا هو راحل  
يا طيبة سلبت فؤاد محمد أو لم يروك الهزبر الباسل  
من شك أني هائم بك مفرم فصل هواك له على دلائل  
لون كته صفره ومدامع هطلت سحائبها وجسم ناحل . »

(وله في اعتياد أيضا)

« أدار التوى كم دار فيك تلهدي وكم عقق عن دار أهيف أغيد  
حلفت به لو قد تعرض دونه كجاة الأهادى في النسيج المرّد  
لجودت لفرب الهند فاعضى مرادى وعزما مثل حد الهند  
فأحل خل من فؤاد خليله محل « اعتياد » من فؤاد محمد  
ولكنها الأقدار تردى بلا ظبا ونصبي بلا قتل وترى بلا يد . »

(وله)

« مشك أفوح في معطى ووجك أملح في ناظري  
ظفرت بقربك بعد امتناع فن ذاك سميت بالطافرة . »

(وله)

« يأبها النفس التي ظلي لها أحد البروج  
لولاك لم أك مؤثرا فرش الحرير على السروج . »

(وله)

« أباح لطيف طيفها في الكرى الحدا مضى به تفاحة واجتنى وردا  
والتمنى ثمرأ شملت نسيمه غيل لي أني شملت به ندا  
ولو قدرت زادت على حال يقظه ولكن حجاب العين ما بيننا منا

أما وجدت عنا الشئون ممرجا ولا وجدت منا خطوط النوى بدا  
سقى الله مروب القطر أم عيدة كما قد سقت قلبي على حره بردا  
هى الظبي جيبدا ، والفراثة سة وروض الربا فوجاء وغصن النفاقداء .

( وله )

« من عاشق يشكو صلاته إلى عجب هائم مثله  
كلامها صب إلى لاله حرا ن ظنان إلى ومسه  
يا رب مجل جمع هذا بدا وقرب الشكل إلى شكله . »

( وله )

« قلبي لبدك هى غاسل فتشوق صبيح وجسى عليل  
وودى على حب ما تملين تزول الجبال وما إن يزول  
ملا تستجلى لبد الديار فاني مع البعد لا أستجلى . »

( وله )

« القلب قد لح فما يقصر والوجد قد جل فما يستر  
والدمع جار قطره وابل والجسم نال ثوبه أصفر  
هكذا ومن أعشقه واصن كيف به لو أنه يهجر  
لكن عدتي نائبات النوى في دوحه والتادن الأحور  
والسكوكب الوفا تحت الدنى في أفقه والقمر الأزهر  
والرحس الفواح غب لدى في روضه وللبل الأذفر  
قد خبرت هى أنى اسرو في شعوب وصى يظهر  
وأبنت الإشفاق من حالى ومثل ما تديه ما تقصر  
واستفهمت أن كنت داعة أو دا اشتياق ناره تسر  
سعدتى لم تصق عاشقا أخشى كما أخبرك القهر  
إدقت : هل من ألم طائف ما بك أو شوق فما تصبر  
طلت بالشك هواى القى بعرضه الليب والمقر  
والله ما سقى إلا هوى كل هوى فى حبه يصبر  
عسير جسسى فاعلى أنى أروم لفيك ولا أقصر  
فاستغنى الله من العظم لى فإن من يظلم يستغفر . »

( وقال )

« يا طيبة لطف من منازلها فالقلب منهن والأحداق والكبد (١)  
حي لك الناس طرا يشهدون وأنت شاهدة إن ينهم حسد  
لم يعزب الوصل فيما بنتا أبدا لو كنت واحدة مثل الذى أجده . »

(١) نسبت هذه الأبيات خطأ لابن زيدون انظر « ص ٢٢٣ » .

( وقال )

« هل راكب ذاهب عنهم يحسني إذ لا كتاب يواليني فيحسني (١)  
قد متّ إلا نماء في يمسكه أن القواد بقيامهم يرجيني  
ما سرح النعم من عيني وأطلقه إلا اعتياد أسي في القلب مسجون  
صبراً لعل لذي بالبعد أضرني بالقرب يوما يداويني فيشفيني  
كيف استطاري وفي كاتون فارغني قلبي وما نحي في أعصاب ثمرين  
شخص يذكرني فاه وضرته شمس النهار وأفاس الرياحين  
لحي عطشت إلى ذاك الرضاب لكم قد بات منه يسقيني فيرويني  
وإن أفاس دموعي نوح باكية فكم أراء يفتني فيشجيني  
وإن بعدت وأشتني الموم لقد عهده وهو يدنني فيسليني  
أوحل عقد عزائي تأيه فلكم حلت عن خصره عقد الثمانين  
يا حسن إضرأق ساعات التوبيت كواكباً في ليالي بسده الجوت  
والله ما فارغوني باختيارهم وإنما النهر بالكروه يرميني  
وما تبدلت حبا غير جهنم إذن تبدلت دين السكر من ديني  
أفدى الحبيب القى لو كان مقتدرأ لكان بالفس والأهلين يفتدني  
يارب قرب - على خير - ثلاثينا بالطالع السعد والظير اليامين . »

( وقال )

« ولما التفتنا للوداع فدية وقد خفت في ساحة القصر رايات (٢)  
وقرنت الجرد العناق وصفت طبول ولاحت الفراق علامات  
بكيتنا دعا حتى كأن حيونا لجرى الصنوع المخرقها جراحات  
وكنا نرعى الأدب بعد ثلاثة فكيف وقد كانت عليها زيادات »

( وقال )

« أهلا بكم محبتكم - نحوى - الديم وحان أن يقسنى لي بكم حلم  
حشو للطنى ولو ليلاً بجمعة فلن تفلوا ومن بعري لكم حلم  
لائم القوم إن خطوا يجمد قلم وأن يقولوا بسب فصل الخطاب ظم  
لاخرق - إنرقوا كتباً - ولا حصر إذ يفتدون ولا جور إذا حكموا  
انغمم أبا الأصبح المبوب تلقى حق حش للودة لا يزرى به سام  
هذا فؤادى قد طار السرور به إذ كنت تملك الوخلة الرسم  
سأكتب الأبل ما أشكوه من بعد واسأل الصبح عنكم حين يتم . »

(١) وردت هذه القصيدة في « م ٦١ » وقد نسبت خطأ لابن زيدون .

(٢) وردت هذه القصيدة في « م ١٠٩ » وقد نسبت خطأ لابن زيدون .

( وقال )

« الشمس تخيل من جلاك فتنب مسرعة لنك  
والنيت يمي أن يصوب لما يراه من نواك  
والبدر يطلع ناصراً حتى يتم من كالك . »

( وقال )

« وشادن أسأله لهوة لجاد بالهوة والورد (١)  
فبت أسقى الراح من ريحه وأجنى الورد من الحد . »

( وله )

« يا علالا إذا بدالى تيجك من فؤادى دجنة الكربات  
وغزالا لفتيته بشلي فتكات مكانها فتكات  
تبت إذ حزت بلوصال وبلمجر حياتى تملكا ومما  
مترقى بمولف أنت منه فى سواد القلوب والحدقات  
أنا أخشى عليك ياساكن القلب الملى بالصد من نفرات »

( وله )

« أنا فى عذاب من فراقك سكران من حر اشتياك  
صب الفؤاد إلى لقا لك وارثاك واحتناك  
لا تحصى أنى سلت لما توالى من فراقك  
هذى جفونى أقمت لا تلتقى ما لم تلاقك  
فصلى جميل الطن بى وثقى ظلى فى وثاك . »

( وقال )

« وشمة تنى ظلام الدجى نبي لعدم عن الناس  
قد جبل الرحمن من لطفه حياتها فى القطع لراس  
ساعدتها والكأس يمسى بها من ريقه أشهى من الكاس  
ضياؤها لاشك من وجهه وحرها من حر أغلى »

( وله )

« يا بديع الحسن والإحسان يا بدر الدياس  
يا غزالا صاد مسمى بالطللى لى المياج  
قد غنينا بسنا وجهك من ضوء السراج »

( وله )

« تم له الحسن بالندار واقتل اليل بالندار  
أخضرى أبيض بديى فك آسى وذا بهارى

قد حوى مجلسي تماما إلى بك من ريقه هاري . «

( وله )

« لله در أبي السنان من فارس فهم الجنان  
تخشا آساد الرجا ل كما تريم به القيات  
فيأسه يمشى المنا ويمته يمشى المنان . »

( وله )

« يقاتل بالخط محبوبنا وبالسيف والرمح أمضى قتال  
فطورا يصيد ظباء النساء وطورا يصيد أسود الرجال . »

( وله )

« إذا ما اتحت الوغى دارما وقتت وجهك بالنفسر  
حينما ياك شمس النحي عليها سحب من المنبر . »

( وله )

« يا قرا ظمي له مطلع وشادنا في مهجتي يرفع  
والله ما أطمع في العيش مذ أصبحت وصلك لأطمع  
ليت كما يرفع في مهجتي أنى في ريقته أكرم . »

( وله )

« وأغن يلب بالمعوم كافت أرماع قوى بالمدة لواعبا  
ذى لغة يسي القول بها رشا من عند وضوان أمانا هاربا . »

( وله )

« بمن حكى صافوه السما لتصر عنه طوال الرماح  
وصافوا مثال الثريا عليه كواكب تهمي لنا بالبحاح  
وتزدانت أطواقه بالنجوم كالبس الأقق توب الصباح . »

( وله )

« يا أعس لانغزى واسبرى فإن الهوى ما به منصف  
حيب جفاك وقلب عصا ك ولاح لحاك ولا ملطف  
شجون منن الجفون الكرى ووضنها أدمعا تخرق . »

( وله )

« أهرت طرفك عند مشتجر القنا فبسدا لطرق أنه ذلك  
أو ليس وجهك فوقه قرا يجلى بنير نوره الحلك . »

( وله )

« فكك مقلنا بالقلب منى وبكت مقلناى شوقاً إليه



لحک لحظه لنا سیف جا د ودمی له سحاب یدیه .

( وله )

« یا قرا اھه فؤادی مقاله لم تشب بایک  
ومن غدا مسترق حر الکلام قد حلّوه بیک  
نثرت در اقریش نثرا بقوم ذهنی له بیک  
قلک لله درّ ذهن یخرج درا من بحرک  
وجادت الطیر مودعات سرک یا سرکل ملک  
یتان دلا علی وداد عضنه لی بنیر شک . »

( وله )

« بهشت بالرسل انبساطاً من علی خلقک الجلیل  
نرراً حقیراً فبیه یأتی فضک فی السفر والقبول  
لو أنه مهجی لکانت تصیر فی قدرک الجلیل . »

( وله )

« ترفاً یا ابا یحیی ومن ظفرت کوی به فدائی فضله الظافر  
إن حل ما بینا ریحاتنا الناضر مناظر انتلب حقا نعوک ناظر  
أحی مکاک من قلبی وأمنسه کاحی الحاجب الإسلام بالآثر . »

( وله )

« أخلفنی وهدک لی وعظماً أههدک  
فد بان تھجری واجر علی ماد تکا . »

( وله )

« وردت أبا الفتح یاسیدی ورود الکری بمدلول السهاد  
ولما احتلت بنا لم تحل من البین والقلب غیر السواد  
ودونک منا طیوراً غنت تلیر إلیک بریش الوداد . »

( وله )

« أبا الولید تجاوز وھب لنا التفضیض  
واقبل جواباً علی فظسک الصبح مرسماً  
زفت نغوی مروساً تجتاب روضاً أرضاً  
جلوتها فی سواد تجلو للمانی بیضا  
وقد منحتک نرراً لا حکک للفروضا  
وسوف أرفج جھدی من قدرک المحفوضا . »

(وله إلى أبيه رحمه الله)

« يا متبع الإكرام إماما ومتبع الإلغام إماما  
وحادلا في الناس لكنه أصبح للأموال ظلاما  
قرنت في كفك بحر الندى بدارم أسكته الهاما  
وجمت فيك خصال النورى وحررت آراءه وإقداما  
فالموت والعيش يمتناك قد صرنا أسيافا وأعلاما  
أتملت بالإلغام ظهري، فقد ألحمت عن شكرك إلظاما  
سقتك إفضالا دى كي ترى تزيد في عمرك أموااما  
تاسلم لاهراق دماء العدا ما طرد الإصباح إظلاما . »

(وله إليه يطلب مجنا)

« أيا ماجدا لم يرم شاعرا من الجند فاحتل غير الفتن  
سألتك صفراء بكمرا نجد على بها شاعرا للسنن  
ترد اللسانان إذا أمها شيا حده من قوم السنن  
وإن كنت من معشر في الوغى أقاموا القلوب مقام الجنن . »

(وله إليه يطلب جوادا)

« ألا يا غرة السعد ورقة نذر أعد  
ومولاي الذي ما زل بسحب حلة الجند  
لمبدك همه هامت بركنى الصر الجند  
ويرغب ضارعا منها إلى هلياك في الورد  
وإن قبضه من عبد تمن به على عبد . »

(فبت إليه مرجا فكتب إليه)

« خلعت ثوب الصق على العبيد الوقي  
يا مستترقا بنما كل حر سري  
أنى على الورد سرج كل هدى فوق الهدى  
فسوف أورد دعى عليه قلب الكمى . »

(وله إليه)

« يا أبا لك الذى كفاه بخت السحاب  
ألصمت بالبيض الكما ب على والحيل العرب  
وغدوت نخشى العفا ب كما تربى لثواب  
برضاك أبصر تائي ال آمال منى إذا اقترب  
وبطيب أباى لديك عرفت أليم الشلاب  
فشكرت ما أو لينيه من أيدىك المناب  
بشا ستانى في الطما ن وحسنى في الضراب

وشبا لسانى فى الها غل بالتمتر لا يشاب  
لازلت تلتل النجو موخذتلك فى القراب  
(وله إليه)

« يا أيها الملك الذى لم يزل يبرى إلى غرته السارى  
وجلسا فى كفه بالندى والبأس بين الماء والتار  
امنا قد نلت الذى تشتهى نفسك واشكر نعم البارى .  
(وله إليه يطلب الإذن بالصيد)

« امقع على جرد رجاك بساعة يرتاح فيها باصطياد أرانب  
حتى يصيد بمعدك الأبطال فى يوم الوغى بأسنة وقواضب .  
(وله إليه)

« وساعة لازمان مسقة قنصت فيها أرانبنا وحمل  
فلا أراى إلا إله منك رضى إن لم أصد من عداك كل يعلى .  
(وله إليه)

« أوجه البدر يشرق فى الظلام وسخر الله مد على الأنام  
وليت العاب إقداما وبأسا ووب الفضل والنعم الجسام  
ميدك مولع بالصيد قدما وحب الصيدين شيم الكرام  
فاذلك فيه واسلم للأعداى تدير عليهم كأس الخلم .  
(وله إليه)

« أيا ملكا مى ضله ولم ألب فى بحر لعاه زجرا  
مهت البعار لجزر ومدّ وتأتى بحار أياديك جزرا  
دعونا الأمانى لما وضيت لجاءت توالى علينا وتبرى  
لم يبق لى أمل أرغبه سوى أن أقوم بنمائك شكرا  
بقيت ولا ملك إلا غدا غدا ملكك كملك قهراً وقسرا

(وقال)

أمتضدا بالله دعوة آمل رجاك على بعد فأصبح ذا قرب  
فأمم مأمولا وأم ميسا وحملت أمانيه على مورد عذب  
موارد ما حلل عنهن حائما ولا قادته غير مستناب العرب  
وما أنا ظان لثبل وردكم وحى موقوف على وردكم حسي  
أفرباى أملت مذ كنت آملا وتحتل من هلياء فى اللؤلؤ الرحب  
لجئت أغذ السر حق كائى لإفراط اغذاى على ظهر الخجب  
فألبيت أعلى الناس قهرا وسؤدا وعدلا فذنه النفس صدها لا كنف  
يمن لى راجيه كالواقى الصب ويهر للمعروف كالصارم الضب  
والى لما تولى وأوليت شاكر فن شكر النماء فال رضى الرب .

وقال (١)

« لما تماسكت النموع وتنهى القلب الصديق  
قالوا الخضوع سياسة فليد منك لم خضوع  
والآء من طعم الخضوع ع على فى الم التقيع  
إن تسلط على الدنيا ملكى وتسلمى الجوع

(١) جاء فى كتاب المراكشى قبل هذه الآيات الرائعة ما يلى :

قال يوسف بن تاشفين لبعض قحاته من وجوه أصحابه : « كنت أظن أنى ملكت شيئاً ، فلما رأيت تلك البلاد صرت - فى عيني - مملكتى ، فكيف الحيلة فى تعميلها ؟ » فالتقى رأيها ورأى أصحابه على أن يرأسوا الممتد بتأذنته من رجال من صلحاء أصحابهم وغبوا فى الرباط بالأندلس ، ومجاهدة العدو والكول بعض الحصون المصافية لروم إلى أن يموتوا فقلوا ، وكتبوا إلى المتمد بذلك ، فأذن لهم بعد أن وافق على ذلك ابن الألفس للتوكل صاحب الثنور ، وإنما أراد يوسف وأصحابه بذلك أن يكون قوم من شيعتهم مبنوئين بالجزيرة فى بلادها ، فإذا كان أمر من قيام يدهوتهم أو إظهار لمسلكتهم وجدوا فى كل بلد أمواتاً ، وقد كانت قلوب أهل الأندلس كما ذكرنا قد أفرقت حب يوسف وأصحابه ، فلهز يوسف من خيال أصحابه رجلاً اختبئهم ، وأمر عليهم رجلاً من قراجه يسمى « بلجين » وأمره إليه ما أراد ، فجاز بلجين المذكور وقصد المتمد من ملوك الجزيرة ، فقال : « أين تأمرنى بالكول ؟ » فوجه به المتمد من أصحابه من ينزله بعض الحصون التى اختارها لهم فترل حيث أئزله هو وأصحابه ، وأقلوا هناك إلى أن ثارت الفتنة على المتمد ، وكان مبدؤها فى شوال من سنة ٤٨٣ بأخذ جزيرة طريف للقابة لطنجة من المدوة دول مقدمة ظاهرة توجب ذلك ، فلتصبت جوده وأموالها ملثمة ، وانتزعت بلاده وقلوب أهلها على محبة منتظمة ، ولما أخذ المرابطون جزيرة طريف واندادوا فيها بدعوة أمير المؤمنين اقتصر ذلك فى الأندلس ، وزحف القوم - الذين قدمنا ذكرهم - الكاثولون فى الحصون إلى قرطبة لمأصروها وفيها عباد بن المتمد للقلب بالمأمون ، وقد تعدم ذكره ، وهو من أكبر ولده ، فدخلوا البلد وقتل جاد هذا بعد أن أبلى عفرأ ، وأظهر فى النطاق من نفسه جلدا وصبرا ، وذلك فى مستهل صفر الكائن فى سنة ٤٨٤ فزادت الإحنة والحنة ، واستمرت فى غلوائها الفتنة . وأجمت على الثورة بمحضرة اشيلية طائفة ، فأعلم المتمد بما اعتقدته الطائفة المذكورة وكشف له من مرادها ، وأثبت عنده سوء اعتقادها ، وأغرى بجزى أدبها ، وسفك دما ، وحض على حتك حرمها ، وكتف حرمها ، فأبى له ذلك عمده الأمل ، ورأى الأصيل ، ومنعج الجبل ، وما جباه الله من حسن اليقين ، ومحة العقل والدين ، إلى أن أمكنتهم الفرة يوم الثلاثاء متصفر جرب من السنة المذكورة فقاموا بجيش غير مستنصر ، واستنصروا بناتاً غير مستنصر ، فبرز هو من قصره ، سيفه يديه ، وغلافه ترف على جسده لادوة له ولا درع عليه ، فلقى على باب من أبواب المدينة يسمى باب الفرج فارساً من الداخلين مشهور النجدة شاكى السلاح ، فرماه الفارس برمح قصير أنابيب القنادة ، طويل شفرة السنان ، فالتوى الرمح بثلاثته وخرج تحت إبطه ، وعصمه الله منه ودفعه بفضل عنه ، وصب هو سيفه على عاتق الفارس نفسه إلى أضلاعه ، فترى صريماً ، وانتهزت تلك الجوع ، ونزل للسنمون للأسوار منها ، ووطن أهل اشيلية أن الحناق قد تنفس ، فلما كان عصر ذلك اليوم ، عاودهم القوم ، فظهر على البلد من واديه ،

فألقب بين ضلوه لم تلم القلب الضلوع  
لم أطلب حرف الطبا ع أطلب الشرف الرفيع ؟  
قد رمت يوم نزالهم إلا تحصننى المددوع  
وبرزت ليس سوى القبيص من الحشى شىء مدفوع  
وبذلك نصى كى تبي بل إذا ميل بها النجيع  
أحلى تأخر لم يحسن بهوى ذلى والمشعوع  
ما سرت قط إلى القنا ل وكان من أمل الرجوع  
شيم الألى أما منهم والأصل تبعه الفروع .

وبش من سكنى نادية ، وبلغ فيه الأمل حاسده وشائيه ، وشبت النار فى شوائيه ، فاطلع عندما الصل  
والقول ، وذهبت القوة من أيدى أهلها والحول ، وكان الذى ظهر عليها من جهة البر رجل من أصحاب  
يوسف أمير المسلمين والتوت الحال أياما يسيره إلى أن ورد الأمير سير ابن أبي بكر بن تاشفين وهو ابن أخى  
أمير المسلمين بساكره متظاهرة ، وحشود من الرهبة واهرة ، والناس فى خلال هذه الأيام قد خافهم  
الجزع ، وغالط قلوبهم الملح ، يقطعون السبل سياحة ، ويمرون النهر سباحة ، ويجهلون مجارى الأفقار ،  
ويترامون من شرفات الأسوار : حرصاً على الحياة والموفون بالعهد ، القبيصون على صريح الود ، تاجون إلى  
أن كان يوم الأحد لإحدى وعشرين خلت من رجب من السنة المذكورة ، وهذا يوم الكائنة المظلى والطامة  
الكبرى فيه حم الأمر الواقع ، واتسع الحرق على الراقع ، ودخل البلد من واديه ، وأصاب حاضره وباديه ،  
بعد أن جد الفريخان فى القتال ، واجتهدت الفئتان فى الزلزال ، وظهر من دفاع للمعد - رحمه الله - وبأسه ،  
وتراميه على الموت بنفسه ، مالا يزيد عليه ، ولا تناه خلق إليه ، وفى ذلك يقول للمعد بعد ما نزل بالعدوة  
أسيراً حبيراً :

« لما تماسكت الضلوع ونهت القلب الصديق » . . . الخ

فشنت الفارة فى البلد ولم يترك البربر لأحد من أهلها سبدا ولا ليداً ، وانتهت قصور للمعد نهياً قبيحاً ،  
وأخذ هو قبضاً باليد ، وأجبر على مخاطبة ابنه للمعد بالله والراضى بالله ، وكانا يعمقان من مائل الأندلس  
المشهورة لو شاء أن يمتنا بهما لم يصل أحد إليهما . أحد الحصين يسمى رندة ، والآخر مارتقة ، فكتب  
رحمة الله ، وكتبت السيدة الكبرى أمهما مستطافين مسترحين مطلبين أن دم السكك منهم مسترحين ببقوتها  
فألقا من الذل وأيا وضع يديهما فى يد أحد من الناس بعد أيها ، ثم عطفتها عواطف الرحمة ، ونظرا فى  
حقوق أوبرها المقترة بحق الله عز وجل ، فتسك كل منهما يديته ، وبذ دنياه ، ونزلا عن الحصين بعد  
عهود مبرمة ومواثيق محكمة . فأما للمعد بالله فإن القائد الواصل إليه قبض عند نزوله على كل ما كان يملكه  
وأما الراضى بالله ففند خروجه من قصره قتل غيلة وأخفى جسده ، ورحل للمعد وآله بعد استئصال جميع  
أحواله ، ولم يصحب من ذلك كله بلغة زاد ، فركب بالسفين ، وحل بالعدوة عمل الدين ، فكان نزوله  
من العدوة بطبعة .

( وقال )

« قل لمن قد جمع الملك سموماً أحصى صوابه (١) »

(١) قال الراكعي في كتاب اللجب :

« أقام المعتد بطنجة أياماً ، ولفيه بها المصري الشاعر ، فجري معه على سوء عاداته من قبح الكدية وإفراط الخلف ، فرفع إليه أشماراً قديمة كان قد مدحه بها ، وأضاف إلى ذلك قصيدة استجدها عند وصوله إليه ولم يكن عند المعتد في ذلك اليوم مما زود به فيها بلقي أكثر من ستة وثلاثين مثقالاً قطع عليها ، وكتب معها بقطة شعر يمتنر من قلتها سقطت من حطى ووجه بها إليه فلم يحاوبه عن القطة على سهولة الشعر على خاطره وخفته عليه كل هذا الرجل أعنى المصري الأعمى أسرع الناس في الشعر خاطراً إلا أنه كان قليل الجيد منه ، فحركه المعتد على الله على الجواب بقطة أولها : قل لمن قد جمع الخ »

وأقام للمعتد بطنجة رحمه الله أياماً على الحال التي تقدم ذكرها ، ثم انتقل إلى مدينة مكناسة ، فأقام بها أشهراً إلى أن نفذ الأمر بسيرهم إلى مدينة اغمات ، فأقاموا بها إلى أن توفي للمعتد رحمه الله ودفن بها بقبره معروف هناك ، وكانت وفاته في شهر سنة ٨٧ وقيل سنة ٨ فالفه أعلم ، توفي وسنه إحدى وخمسون سنة ، فن أحسن ما سري مما روي به للمعتد على الله مقطوعة من شعر ابن الجبابة أولها :

« لكل شيء من الأشياء - ميعات ،  
واللنى - من مئامهن - غايات  
والبحر في صفة الحرياء منفس  
ألوان حالته فيها استعالات  
ونحن من لب التطرنج في يده  
وربما قرت باليصدق الشاة  
فانفض يدك من الدنيا وساكنها  
فالأرض قد أقرت والناس قد ماتوا  
وقل لعلها الأرض قد كتبت  
مريرة العالم العلوى « اغمات »  
طوت مظلها لأجل مسذلتها  
من لم تزل موقه للجزايات  
من كان بين الندى والبأس أصله  
هنسية وعطايه هنيذات  
أنصكرت إلا التواء للقيود به  
وكيف تنكر في الروضات حيات  
وقلت هن ذؤابت فلم عكست  
من رأسه نحو وجليه التؤابت  
رأوه ليشاً غافوا منه عادة  
هذرهم فلهوى الليث عادات .»

وله من قصيدة يرثيهم بها وهي كثيرة الجيد أولها :

« مرهبة دخلتها النابات على  
أساود لهم فيها وآساد  
وكعبة كانت الآمال تنصرها  
فاليوم لا حاكف فيها ولا باد  
تلك الزماح وراح الخط تنفها  
خطب الزمان تنافا غير متاد  
والبيض ييض الظبا فلت مضاربها  
أيدي الردى وثقتها دون إغداد  
لما ذا الوقت لم تنح له عدة  
وكل فيه ليلقات وميعاد  
كمن درارى سمع قدموت ووعت  
هناك من دور للمعد ارراد  
تور وتور فذا بعد نصته  
قوى وذلك خبا من بعد إغداد  
يا صيف أقر بيت المسكرات مخذ  
في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

كل في العرة شعر      فننظرنا جوا به  
قد أثبتناك فهلا      جلب الشر ثوابه .

ويا مؤمل وادهم ليسكنه      خف القطيع، وجف الزرع بلوادي  
منك سبيل الندى، وابن السبيل، قسر      لنير قصد، فإيهديك من هاد .

وفيها يقول :

« أسيئت - الأعداء النهر - كونهم      في اللشكت كأموات بألحاد  
والناس قتلوا العبرين، واعتبروا      من لؤلؤ طائيات فوق أزباد  
حط القناع، فلم تشر مخدرة      ومنزت أوجه تخرق أبراد  
تفرقوا جيرة، من بعد ما نشأوا      أهلا بأهل، وأولاداً بأولاد  
حان الوداع فضجت كل صارخة      وصارخ من مفداة ومن فاد  
سارت سفائنهم والنوح يلبها -      كأنها ليل يحدو بها الحادي  
كم سأل في الماء من دمع، وكم حلت      تلك القطائع من قطرات أكباد  
من ليل بك - يابى ماء السماء - فإذا      ماء السماء أبى سقياك الصادي .

وهي طويقة جينا هذا ما اخترت له منها .

« ولما انفصل بزاعة الشراء وملح أهل الكدية، ما صنع المتد رحمة الله مع المصري تمرضوا له بكل طريق، وقصدوه من كل فج حبيب، فقال في ذلك رحمة الله .

« شعراء طنجة كلهم والمغرب،      ذهبوا من الاغراب أبعد منجب  
سألوا السير من الأمير - وإنه      بؤالهم لأحق، فأعجب وأعجب  
لولا الحياء وهزة الخبيسة      - طلى الحشا - ساواهم في المطلب  
قد كان - إن سئل الندى - يجزل، وإن      نادى الصرخ يباه اركب يركب»

وله في هذا للمنى رحمة الله :

« قبح النمر، فإذا صمنا      كما أعطى غيبا نرما  
قد هوى - ظلماً - بمن طوته      أن يتأذى كل من يهوى لما  
من إذا البث همى منهراً      أجبها كفه فاعطها  
من غمام الجود من راحته      صفت ريح به فاقشما  
من إذا قيل الختام وإن      نطق المافون مما سطا  
قل لمن يطعم في فائله      قد أزال اليأس ذاك الطما  
راح لا يملك إلا وصوة      جبر الله الطاعة الضجما .

## معارضات الشعراء لابن زيدون<sup>(١)</sup>

سرکم الوصل ظناً لا قدتکم  
فکان بالوهم موجوداً ومظنوناً  
سرى من السلك عن مسراکم خبر  
بُئیدَ عهد هواکم سَیرُهُ فینا  
أَیَّامَ بدرکم یجول لیلینا  
نوراً وطیبکم یرعى بوادینا  
مهلاً فلم نعتقد دین الهوى تبعا  
ولا قرأنا بصحف للس تلقینا  
قد نصرف العلل بغوینا ویرشدنا  
وتترك النار تسلینا وتشجینا  
وتتبع الحیَّ والأشواق محرقه  
تحوم بالماء والأرحام تحمینا  
کواکب بسماء النقع قد جعلت  
لنا رجوماً وما کنا شیاطینا

## معارضات أمير الشعراء

اندلسية

« نظم أمير الشعراء هذه القصيدة الرائعة وهو  
منفاه بإسبانيا وفيها يحن للوطن المور ووصف  
كثيراً من مشاهد ومغامره .

« أولع كثير من الشعراء من قديما وعتدين  
بمعارضات ابن زيدون ، ولو أودنا أن نتجت  
معارضاتهم الكثيرة لفصائله المشهورة لاحتجنا إلى  
سفرنخ ملنجرى قصيدة « أبو بكر بن اللع »  
التي ذكرها « ابن بسام » في كتاب الفخيرة من  
القدماء ، وقصائد أمير الشعراء أحمد شوق بك التي  
عارض بها ابن زيدون . »

## معارضة أبي بكر

قال ابن بسام بعد أن ذكر نونية ابن زيدون التي أولها :  
« أضحى الساقى بديلاً من تمايلنا » (٢)  
« وهذه القصيدة بجملتها مريدة ، وقد عارضه  
فيها جماعة قصروا عنه منهم « أبو بكر بن اللع »  
نازعه فيها الراية ، فصرح الياية حيث يقول من  
قصيدة أولها . »

هل يسمع اربع شكواوا فيشكينا  
أو يرجع القول مفناه فيغنيينا  
ثم استمر في غزلها إلى أن قال :

يا باخلين علينا أن نودعكم

وقد بسدعم عن اللقيا غيونا  
قعوا نزرکم وإن كانت قرأتکم  
نزرأ ، ومنکم بالوصل ممنونا

(١) انظر « ص ٤١٧ » (٢) انظر « ص ٤ »



يأتهم «الطلح» أشباه عوادينا  
 نشجى لواديك أم نأسى لوادينا ؟  
 ماذا تقص علينا غير أن يداً  
 قصت جناحك جالت في حواشينا !  
 رمى بنا البين أيكاً غير سامرنا  
 أخا الغريب : وظلاً غير نادينا  
 كل رمته النوى اريش الفراق لنا  
 سهماً ، وسلّ عليك الين سكيننا  
 إذا دعا الشوق لم نبرح بمضدع  
 من الجناحين عى لا يلبينا  
 فإن يك الجنس - يابن الطلح - فرقنا  
 إن للصائب يجمعن المصاينا  
 لم تال ماءك تحناناً ولا ظمأ  
 ولا أدّ كاراً ، ولا شجواً أفانينا  
 تجمّر من فن ساقاً إلى فن  
 وتسحب الذيل ترتاد للؤاسينا  
 أساءة جسمك شتى حين تطلبهم  
 فن لروحك بالنطس للداوينا !  
 \*  
 آهّا لنا ! نازحى أليك بأندلس  
 وإن حللتنا رفيقاً من رواينا  
 رسم وقفنا على رسم الوفاء له  
 نجيش بالسمع ، والإجلال يثنينا

لفتية لا تتال الأرض أدمعهم  
 ولا مفارقهم إلا مصلينا  
 لو لم يسودوا بدين فيه منبهة  
 للناس ، كانت لهم أخلاقهم ديننا  
 لم نسر من حرم إلا إلى حرم  
 كالحرم من «بابل» سارت «لنارينا»  
 لما بنا الخلد نابت عنه نسخته  
 ثنائيل الورد «خير يا» و «نسرينا»  
 نسقى تراهم ثناء ، كلما ثرت  
 دموعنا نظمت منها مراثينا  
 كادت عيون قوافينا تحركه  
 وكدن يوقظن في الترب السلاطينا  
 لكن مصر وإن أغضت على معة  
 عين من الخلد بالكافور تسقينا  
 على جوانبها رفّت تماعننا  
 وحول حافاتنا قامت رواقينا  
 ملاعب مرحت فيها مآربنا  
 وأربع أنست فيها أمانينا  
 ومطلع لسعود من أواخرنا  
 ومغرب لجودود من أوالينا  
 بنا فلم نخل من روح يراوحنا  
 من برّ مصر وريحان يفاديننا  
 كأثم موسى ، على أسم الله تكفلنا  
 وبأسمه ذهب في اليم تلقينا

ومصر كالكرم ذى الإحسان : فأكهة

لحاضرين ، وأكواب لبادينا

\*\*\*

ياسارى البرق يرمى عن جوانحنا

بعد الهدوء ويهيم عن مآقينا

لما تفرق فى دمع السماء دماً

هاج البكا فخصنا الارض باقينا

الليل يشهد لم تهتك دياجيه

على نيام ولم تهتف بسالينا

والنجم لم يرنا إلا على قدم

قيام ليل الهوى للعهد راعينا

كزفرة فى سماء الليل حائرة

مما تردد فيه حين يضوينا

بالله إن جيت ظلام العباب على

نجائب النور محدواً ( بجزينا )

ترد عنك يداه كل عادية

إنسا يثن فساداً أو شياطينا

حتى حوتك سماء النبل عالية

على الفيث وإن كانت ميامينا

واحرزتك شغوف اللازورد على

وشى الزبرجد من أفواف وادينا

وحازك الريف أرجاء مورجة

ربت خائل ، وأعتزت بسائنا

قف إلى النبل واهتف فى خائله

وانزل كما نزل الطل الرياحينا

وأس ما بات ينوى من منارلنا

بالحادثات ويضوى من مغانينا

\*\*\*

ويامعطرة الوادى سرت سحراً

قطاب كل طروح من مرامينا

ذكية النبل لو خائنا غلاتها

قيص يوسف لم نحسب مغالينا

جشمت شوك السرى حتى أتيت لنا

بالورد كتباً ، وبالريا عناوينا

فلو جزيناك بالأرواح عالية

عن طيب مسراك لم تهض جوازينا

هل من ذبولك مكى نخمله

غرائب الشوق وشياً من آمالينا

إلى الذين وجدنا ود غيرهم

دنيا وودهمو الصافى هو الدينا

\*\*\*

يا من تغار عليهم من ضمائرا

ومن مصون هواهم فى تناجينا

ناب الحنين إليكم فى خواطرنا -

عن الدلال عليكم فى أمانينا

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا

- فى البائبات - فلم يأخذ بأيدينا

وما غلبنا على دمع ولا جلد  
حتى أتتنا نواكم من صياصينا  
ونابض كائن الحشر آخره  
تمتينا فيه ذكراكم وتحيينا  
نطوى دجاء بهرج من فراقكمو  
بكادى غلس الأسرار - يطوينا  
إذا رسا النجم لم ترقا محاجرنا  
حتى يزول ، ولم تهدأ تراقينا  
بقنا قاسى الدواهي من كواكبه  
حتى قعدنا بها : حسرى تقاسينا  
يسدو النهار فيخفيه تجلدا  
للثامتين ، ويأسوه تأسينا  
\*  
سقيالهد - كأكناف الزبي - رقة  
أنى ذهبنا ، وأعطاف الصبا لينا  
إذ الزمان بنا غينا زاهية  
ترف أوقاتنا فيها رياحينا  
الوصل صافية ، والعيش ناعية  
والسعد حاشية ، والدمر ماشينا  
والشمس تختال في العيان تحسبا  
« بلقيس » ترفل في وشى الياثينا  
والنيل قبل كالدينا إذا احتفلت  
لو كان فيها وفاء للمصافينا

والسعد لودام ، والنمى لوأطردت ،  
والسيل لوعف ، وللتقدار لودينا  
ألقي على الأرض حتى ردها ذهبها  
ماء - لسنابها إلى كبير - أوطينا  
أعداه من عنه « التابوت » وارتسمت  
- على جوانبه - الأنوار من سيننا  
له مبالغ مافى الخلق من كرم  
عهد السكرام وميثاق الوفييننا  
لم يجر للدر إعذار ولا عرس  
إلا بأيمنا أو فى ليالينا  
ولا حوى السعد أطفى فى أعتنه  
منا جياداً ، ولا أرخى مياديننا  
عن البواقيت خاض النار جوهرا  
ولم يهن بيد التشتيت غالينا  
ولا يحول لنا صبيغ ولا خلق  
إذا تلوت كالحرباء شائنا  
لم تنزل الشمس ميزانا ولا صعدت  
فى ملكها الضخم عرشاً مثل واديننا  
ألم توله على حافاته ، ورأت  
عليه آبناءها الفر الياثينا ؟  
إن غازلت شاطئيه فى الضحى لبنا  
خائل السندس للوشية النينا  
وبات كل مجاج الواد من شجر  
لواظف التز بالخيطان ترمينا

وهذا الأرض من سهل ومن جبل  
 قبل (القيصر) دنأها (فراعينا)  
 ولم يضع حجراً بان على حجر  
 في الأرض إلا على آثار بانينا  
 كأن أهرام مصر حائط نهضت  
 به يد البحر لا بنيان فأنينا  
 لإوانه الفخم من عليا مقاصره  
 يفنى للوك ولا يبقى الأواوينا  
 كأنها ورمالا حولها التطلعت  
 سفينة غرقت إلا أساطينا  
 كأنها تحت لألاء الضحى ذهباً  
 كنوز (فرعون) غطين للوازيना  
 ۞  
 أرض الأبوة والليلاذ ، طيها  
 مر الصبا في ذبول من تصاينا  
 كانت محجلة فيها مواقنا  
 غرا مسلسلة للجرى قوافينا  
 فآب - من كورة الأيام - لآعينا ،  
 وناب - من سنة لأحلام - لآهينا  
 ولم ندع للبال صافياً ، فدعت  
 « بأن نقص فقال البحر : آمينا »  
 لو استطلعنا : لنخضنا الجوّ صاعقة  
 والبر نار وغى ، والبحر غسلينا

سعيأ إلى مصر قضى حق ذا كرنا  
 فيها إذا نسى الوافى وبأ كينا  
 كثر (بحلوان) عند الله نطلبه  
 خير الودثع من خير للؤدينا  
 لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا  
 لم يأنه الشوق إلا من نواحينا  
 إذا حملنا لمصر أوله شجنأ  
 لم ندر أى هوى الأيمن شاجينا  
 زحلة  
 « وقال معاصراً نصيدة ابن زيدود التى أوها :  
 « ما للدماء نديرها عيناك »  
 شيعت أحلامي بقلب باك  
 ولحت من طرق الللاح شباكى  
 ورجعت أدراج الشباب وورده  
 أمشى مكاهما على الأشواك  
 وبجانبى واه كأن خفوقه  
 لما تلقت جهشة للتباكى  
 شاكى السلاح إذا خلا بضلوعه  
 فأذا أهيب به فليس بشاك  
 قد راعه أنى طويت حباتى  
 من بعد طول تناول وفكالك  
 ويح ابن جنبى كل غاية لذة  
 بعد الشباب عزيزة الإدراك

لم تبقَ منا يا فؤاد بقيةً  
لفتوة أو فضلة لعراك  
كنا إذا صفت نبتق الهوى  
ونشد شد العصبة الفتاك  
واليوم تبعث في حين تهزنى  
ما يبعث الناقوس فى النساك  
❦

يا حارة الوادى طرت وعادنى  
ما يشبه الأحلام من ذكراك  
مثلت في الذكري هواك وفي الكرى  
والذكر يأت صدى السنين الحاكى  
ولقد مررت على الرياض بربوة  
عنا كنت حياهما ألقاك  
ضحكت إلى وجوها وعبونها  
ووحدت فى أنفاسها رباك  
فذهبت فى الأيام أذكر رفقا

بين الجدول والميون حواك  
أذكرت هرولة الصبابه والهوى  
لما خطرت يقبلان خطاك  
لم أدر ما طيب المناق على الهوى  
حتى ترفق ساعدى فطواك  
وتأودت أعطاف بانك فى يدى  
واحرر من خفريهما خداك

ودخلت فى ليلين فرعك والهجى  
ولت كالصبح للنور فاك  
ووجدت فى كنه الجوانح نشوة  
من طيب فيك ومن سلاف لماك  
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت  
عيني فى لغة الهوى عيناك  
ومحوت كل لبانة من خاطرى  
ونسيت كل قاتب ونشاكى  
لا أمس من عمر الزمان ولا غد  
جُمع الزمان فكان يوم رضاك  
❦  
لُبَّان رَدَّتْنى إِلَيْكَ من النوى  
أقذار سَسير للحياة دراك  
جمعت نزيلى ظَهرها من فرقة  
كرة وراء صوالج الأفلاك  
نمشى عليها فوق كل فجاة  
كالطير فوق مكانم الأشراك  
وَلَوْ أَنَّ بالشوق للزار وجدتنى

ملقى الرحال على ثراك الهاكى  
❦❦❦  
بنت البقاع وأم برَدُونِيَّهَا  
طبيى كجلى واسكبى برداك  
ودمشق جنات النعم وإعما  
القيت سدة عنهن ربك

كالغيد من ستر ومن شباك  
 وكأن كل ذؤابة من شاقق  
 ركن الحجر أو جدار سماك  
 سكنت نواحي الليل إلا أنه  
 في الأيك أو وترأ شجى حراك  
 شرقاً عروس الأرز كل خريدة  
 تحت السماء من البلاد فذاك  
 ركز البيان على ذراك لواءه  
 ومنى ملوك الشعر في مفناك  
 أداؤك الزهر الشموس ولا أرى  
 أرضاً تمخض بالشموس سواك  
 من كل أروع علمه في شعره  
 ويراعه من خلقه بلاك  
 جمع القصائد من رباك وربما  
 سرق الثمائل من نسيم صباح  
 (موسى) يبابك في المكارم والعلا  
 وعصاه في سحر البيان عصاك  
 أحللت شعري منك في عليا الذرا  
 وجعته برواية الأملاك  
 إن تكرمي يا زحل شعري لائق  
 أنكرت كل قصيدة إلاك  
 أنت الخليل بديعة وغريبه  
 الله صاغك والزملن رواك

قسما لو انتمت الجداول والربا  
 لتهلل القردوس ثم نمناك  
 مراك مرآه وعينك عينه  
 لم يا زحيلة لا يكون أباك  
 تلك الكروم بقية من بابل  
 هيهات نسي الباطل جنك  
 تبدى كوشى القوس أفن صبغة  
 لناظرين إلى ألد حياك  
 خرزات مسك أو عقود الكهربا  
 أودعن كافوراً من الأسلاك  
 فكرت في لبن الجنان وخرها  
 لما رأيت الماء مس طلاك  
 لم أنس من هبة الزمان عشية  
 سلفت بظلك واقضت بذراك  
 كنت العروس على مذمة جنحها  
 لبنان في الوشى الكريم جلاك  
 يمشى إليك المحظ في الديباج أو  
 في العاج من أى الشاب أذاك  
 ضمت ذراعها الطيبة رقة  
 «صين» و«الحرمون» فاحتضناك  
 والبدر في تبيج السماء منور  
 سالت حلاه على الثرى وحلاك  
 والنيرات من السحاب مطلة

## وقال

« وقال معارضا كافية ابن زيدون التي أولها :

« ودع الصبر عب ردعك (١) »

ردت الروح على للضنى معك

أحسن الأيام يوم أرجعك

مرّ من بعدك ما روئى

أترى يا حلو بدي روئعك

كم شكوت البين بالليل إلى

مطلع القمر عسى أن يطلملك

وبشت الشوق في ريح الصبا

فشكا الحرقه بما أستودعك

يا نيمى وعذابى فى الهوى

بنولى فى الهوى ما جمعك

أنت روحى ظلم الواشى الذى

زعم القلب سلا أو ضيعك

موقى عندك لا أعلمه

آه لو تعلم عندى موقعك

أرجفوا أنك شاك موجع

ليت لى فوق الضنا ما أوجعك

نامت الأعين ، إلا مقلة

تسكب الدمع وترعى مضجعك



## صفحات من كتاب الذخيرة لابن بسام

وبرع أدبه ، وجاد شعره ، وعلا شأنه ، والطلق لسانه ، فغلب به الحب كل منعب وهون منه كل مطلب ، وكان علقه من عبد الله بن أحمد بن الكرى أحد حكام قرطبة ظفر أحن ، أداه إلى السجن ، فألقى نصه يومئذ على أبي الوليد بن جهور في حياة والده أبي الحزم فشفع له وانتقل من تكبته وصيره في صناعته ، ولما ولي الأمر - صدق الله - نوه به وأسنى خطه وقدمه في الدين اصطنع لدولته ، وأوسع راتبه وجاهه كرامة لم تنته فيما زعموا ، وافق أن عن له مطلب بمحضرة إدريس الحسني بمالقة ، فأطال التواء هناك ، واقترب من إدريس ، وغلب على نفسه ، وأحضره مجالس أنه ، فغلب عليه ابن جهور ، وصرفه في السفارة بينه وبين أمراء الأندلس مما يجري بينهم من التراسل والمداخلة ، فاستغل بذلك لصل ما أوتي من اللس والعارضة ، فاكتم الجاه واللمعة ولم يحده ذلك من التهاوت في الترق لبعد الهمة ، فهو يوما قليل إلى جباد صاحب إشبيلية اجتذبه إلى ذلك جابر بن وطه إليه ، وتزل على كنفه ، وصار من خواصه ومحبائه ، يجالس في خلواته ، ويرسل له في مهم رسائله على حال من التوسعة ، وكان ذهابه لصادقة سنة ٤٤١ هـ إحدى وأربعين وأربعمائة . قال أبو الحسن : « فأما سعة ذمعه ، وتدفق طبعه ، وغرارة بيانه ، ورقة حاشية لسانه ، فالصبح الذي لا ينكر ولا يرد ، والرمال الذي لا يحصى ولا يمد . »

### بدايته وتصرفه بقنون القول

أخبرني من لأدفع خبره من وزراء إشبيلية قال : « عهدي بأبي الوليد قائما على جنازة بعض حرمه واللس يمزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سح يجيب بما أجب به غيره لسعة ميدانه ، وحضور جنازه . » وقد أخرجت من أشعاره التي هي حبول وغرر ونوادير أخباره التي هي مأثر وأثر ، ورسائله

فصل في ذكر دي الوزارتين الكاتب أبي الوليد ابن زيدون واجتلاب عيون أخباره ، وفضوص رسائله وأشعاره .

قال أبو الحسن كان أبو الوليد عاية مشور ومنظوم وغاية شعراء غزوم ، أحد من خبر الأيام خيرا ، وفاق الأنام طرا ، وصرف السلطان فما وضرا ، ووسع البيان نظما ونثرا ، إلى أدب ليس البحر تدفقه ، ولا ليدمر تألقه ، وشعر ليس السحر يباه ، ولا لتجوم الزهر اقتارنه ، وحظ من النشر غريب اللباني ، شمرى الألفاظ واللماني . أخبرني غير واحد من وزراء إشبيلية قال : جلس ابن عبد العزيز من يد جباد ، خلوص الفرزدق من يد زياد ، وبقيت حضرته من أهل هذا الشأن ، أمرى من ظهر الأفعوان وأخلى من صدر الحيلان ، فهم باستجلاب ( محمد بن الباسي ) المشهور أمره ، الآتي في القسم الثاني من هذا الديوان ذكره ، فكانت أبا الوليد نفس بذلك وواظما أبا محمد بن الجدل على الإشارة بالاستثناء مما هناك ، فكانت الكتب تنفذ من إنشاء أبي الوليد إلى شرق الأندلس ، يقال تأتي ماشيلية كتب هي بالنظم الخطير ، أشبه منها بالمشور .

### حظوته عند ابن جهور

وقد أجرى ذكره أبو مروان بن حيان في وصف من كان اصطنع ابن جهور من رجال دولته ، فقال « ونوه بفتي الآداب ، وصدقة الطرف ، والشاعر البديع الوصف ، أبي الوليد أحمد بن زيدون ذي الأبوة السنية بقرطبة ، والوسامة ، والقدراية ، وحلاوة للنظوم ، والسلطنة ، وقوة العارضة ، والانتقاد في المعرفة ، وقدمه لتنظر على أهل القمة لبعض الأمور المعترضة وقصره بمد مكانه من الخاصة والسفارة بينه وبين الرؤساء ، فأحسن التصرف في ذلك ، وغلب على قلوب الملوك » قال أبو مروان وكان أبو الوليد من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة في أيام الجماعة والفتنة



ككاهن إن عض يوما  
أبان فضل الكريم .



وأبو الوليد بن زيدون - صلى كثرة إحسانه - كثير  
الاعتدال في النثر والنظام ، وكتب إلى أبي بكر مسلم  
وهو مخفف بحرطبة سعد فزاده من السحن ، فضلا  
من رقة :

« ولعل أباك أحد اللاميين ومن أمثالهم  
ويل للشحن من الحلى ، وعان على الأملس ملاقي  
البر واعتبك على انصافك هي وترى أنك أحد  
الجنة من لم أستطع صبرا ، وعلب أن العاجر من  
لا يستند فالمرء يسر لاءله ، ولم أستبر أن أكون  
ثالث الأذليين الغير والوند ، وتذكرت أن الفرار  
من الظلم والحرب مما لا يذوق من سنن المرسلين ،  
وقد قال تعالى على لسان موسى : ففررت منكم لما  
حفتكم . مطرت في مفارقة الوطان هديما ضاع  
الفاضل في وطه ، وكسد الملق السيط في معدته  
كأمال :

« أضحى في معشرى وكم بلد  
يكون هود الكباء من حطبه »

فاستحرت الله في إغاذ العزم ، وأنا الآن حيث أمنت  
بمس الأمن إلا أن السعى لم يرتفع ومادة البني لم  
تنقطع ، وختم رسالته بهذا النظم :  
« شحطنا وما بالدار نأى ولا شحط  
وشط - بمن هوى - للزاد وما شطوا . »



.....  
كأن أول هذه القصيدة ناظر إلى قول راشد أبي حكيمة  
حيث يقول :

« ومستوحش لم يعض في أرض غربة  
ولكنه من يحب غريب .  
ويناسبه أيضا قول المتنبي :  
« إذا ترحلت من قوم وقد قدروا  
أن لا تقارهم فلأرحلوت هم . »

قوله هربت وما للشيب البيت ناقص عن قول المتنبي :

التي أخرست الحفل ، واستوفت أمد اللطيف الجزل .

.....  
.....  
.....

وله في ابن جهور ، وكتب بها من السجن :

« ما جال ببدك لحظي في سنا القفر  
إلا ذكرتك ذكر المين بالثر . » الخ

وله أيضا قصيدة مريدة خاطب بها ابن جهور وهو  
في تلك الحال من الاعتقال أولها :

« ألم يأن أن يكي القنم على مثلي  
ويطل نأري البريق منصلت النصل . »

وفي بني جهور يقول :

« بني جهور أحرقتهم بجفائكم  
جنائي ، فما بال المدايح تعبق  
تعدوني كالعنبر الورد إنما  
تطيب لكم أغاسه حين يحرق .  
وأراه توارد في مدين البيت مع أبي علي بن رشيق  
القيرواني حيث يقول :

« أراك اتهمت أحك الله

وعندك مفت وضدتي معه

وأني عليك وقد سؤتي

كأطيب العود من أحرقة . »

وأخذه مما من قول أبي تمام :

« لولا اشتعال النار فيما حاورت

ما كان يعرف فضل طيب العود . »



وأنشدني بعض أهل وقتنا ، وهو أبو سهوان بن  
شماخ نفسه :

« نواب قاتني ، فأبدت فضائلي  
وكانت وكنت النار والعنبر الورد . »

ولديه :

« إن مست النار جسمي

أبدت طيب نسيم

وقوله لا يكن عهدك ورداً من قول الباس بن الأحنف :

« لا تجعلى وصلنا كالورد حين مفي »

دا طرفة وأدعى الورد ككأس . »

كرره الباس في موضع آخر ، فقال :

« ولكنى شئت بالورد عهداً »

وليس يدوم الورد والأس دائم . »



ما أخرجه من شعر ابن زيدون في النسب وما يناسبه من قصيدة :

« بتم وبنا فما ابتلت جوانحنا »

شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا (١)

لم ننتد بحدكم إلا الوفاء لكم

وأياً ولم تنقل غميره دينا

نكاد حين تناحيكم ضامراً

يقع علينا الأسى لولا تأسينا

حالت لقدمكم أياماً صفدت

سوداً وكانت بكم يمساً ليالينا

إذ جانب العيش طلق من تألفنا

ومورد اللهو صاف من تصافينا

وإذ هصرنا غصون الأس دانية

قتلواها فجينا منه ما شينا

ليس عهدكم عهد السرور فما

كتم لأيماننا إلا رياحينا

لا تحسبوا تأيكم عنا بنينا

إذ طالما غير النأي المهيئا

والله ما طلب أهواؤنا بدلاً

منكم ولا انصرف حكم أمانينا

ياسارى البرق غاد الفصر فاسق به

من كل انصرف الهوى والود يستقينا

ويا ليم السبا بلغ تحينا

من لو على البعد حيا كان يحينا

ربيب ملك كأن الله أشأه

مسكا وقدر إنشاء الورى طيناً

« إن لا يشب فلقد شابت له كبدي »

شيب إذا حجبته سلة ضللا . »

وقد كرر هذا للمنى أبو الطيب في مواضع من شعره وكلف به وشب الكلام فيه فتصرف ، وقد تقدم إنشاءه ، ومنه أيضاً قول عبد الجليل المرسي للمعتمد ابن هباد :



« أتك على خلافتها جياذى »

وإن كان الصباغ لها شكلاً . »

وكتب أيضاً أبو الوليد بن زيدون من عبه ذلك إلى أبي حفص بن برد هذه الأبيات :

« ماعلى طيبى باس يجرح البهرو باسو (١)

ربما أشرف الممر على الآمال باس

ولقد ينحكى إغفا ل، ويردك احقراس

والخاثير سهام والقادر قياس

يا أبا حفص وما سا واك في فهم باس

من سنا وأبك لى فى غنى الخطب اقتباس

ودد ادى لك نص لم يحالفه القياس

أذوب هات بلحمى ماتهم وانتهاس

يلد الورد السبق وله بمسد افتراس

إن أكن أصمت سبو ساً طلبت احتاس

تأمل كيب همى مقلة المجد الحاس

ويغت المسك فى الترب ميوما ويداس

لا يكن عهدك ورداً إن عهدى لك آس

وأذرد كرى كاساً ما امتعت كففك كاس

مضى أن يسبح الدهر فقد طال القماس . »

قوله يلد الورد السبقى البيت كقول النابغة :

« وقت يا قوم إن اليت متعبس »

على برائته للوثبة السارى . »

وأخذه ابن الرومى قال :

« سكنت سكناً كان وهناً بوثبة »

عماس كذاك اليت لوثب يلد . »

(١) أنبتنا هذه الأبيات هنا لاختلاف روايتها عن رواية الديوان .

(١) أنبتنا هذه الأبيات هنا لاختلاف روايتها عن رواية الديوان .

إذا تأود آدته - وفاهية -

توم المقود وأدته البرى لينا  
كانت له الشمس ظلا في أكلته  
بل ما نجسلى لنا إلا أحينا  
يا روضة طال ما أجت لواحنا  
وردا جلاء الصبا غضا وسرينا  
ويا حياة تملينا بزهرتها  
مى ضروا وقداث أفانينا  
لنا نسبك إجلالا وتكرمة  
وقدرك الملتى من ذاك يفتينا  
يا جنة الخلد أبدنا بسلها  
والكوش المذبذوقا وغسلنا  
كأنتا لم نبت والوصل ثالنا  
والسعد ففض من أجفان واشينا  
سران في خاطر الظما. يكتنا  
حق يكاد لسان الصبح بفشينا  
إنظر أنا الأسي عند النوى سورا  
مكتوبة ، وأخذنا الصبر تلقينا  
أما هواك فلم نسل بميله  
فريا وإن كان يظينا يروينا  
لم نجف أفق جلال أنت كوكبه  
- سالين عنه - ولم نهره قالينا  
ولا اختيارا تجبنناك من كشب  
لكن عدتنا على كره - هوادينا  
ناسى عليك وقد حثت مشعمة  
فينا الشول ، وغنا منينا  
لا أكوش الراح تبدى من شيالنا  
سما ارتياح ، ولا الأوتار تلينا  
دوى على الوصل عادم - عاقطة  
فالمر من دان أنصافا كما دينا  
فما استفدنا خيلا لك يصرنا  
ولا استفدنا حيا عنك يسلنا  
ولو صبا نحونا من علو مطله  
بدر الدجى لم يكن حاشاك يسينا  
أبدى وفا ، وإن لم تبد لى صلة  
فالتكر يحننا ، والطف يكتينا

وفى الجواب متاع إن شفت

ييض الأيادى ألقى ما زلت تولينا  
عليك منى سلام الله ما بقيت  
صباة بك تحفيا فتحنينا .  
وهذه القصيدة بحملتها مريدة وقد طارضة فيها  
جماعة قصروا عنه (١) .....  
وله من أخرى أثر ترحة كانت له بمينة الزهراء :  
« إني ذكرت بك بالزهراء مشتاقا  
والأفق طاق ووجه الأرض قدراق .  
وله من أخرى ، وكنت بها من بطليوس أيام تكرره  
عليها ومى من هرر ظلامه وجر كلامه :  
« يا دمع صب ما شئت أنى تصوبا  
ويا مؤادى آل أن ندوبا .  
وله :  
« وصح الحق المين وبني الشك البقين .  
وماه :  
« صحت صبح بها السقيم ربح مطرة الذنيم .  
وقوله :  
« يا ليل طل لا أنتهى إلا كسرى قمرى قمرى  
لو بات عندى قرى ما بت أوعى فرك .  
وقوله :  
« ودع الصبر محب ودعك  
ذائع من سره ما استودعك .  
وقال :  
« ببقى وبيلك ما لو شئت لم يضع  
سر إذا دامت الأشياء لم يدع .  
ومها يقول :  
ته أحمل واستطل أصبر وعز آمن  
وول أفيل وقل اسبع وسر أطع .  
أراه أحضى هذا البيت مذهب أنى الميثل الأهرابى :  
« فاصدق وصف وهه والصف وأحمل  
واصلح ودار وكاف واحلم واسمع  
والطف ولن وتأن وارضى واتد  
واحرم وجد وحلم واحمل وادفع .  
كقولك الجني :  
« أحل واقدر وضر واقع ولن واخن  
ورش وابن واتدب للمالى .  
وهذا البيت صنعه اللولون وعدوه تهسبا  
(١) وقد أبتاهض ههنا لوصات فرس « ١٠٤ »

**وله من آخری فی ابن جہور :**

« هذا الصباح على سراك رقيقا

## فصلی بفرعك ليك الغريبيا . «

وقال ابن زيدون أيضاً :

« أما والحفاظ مراض صحاح

تمی و اعطاف نشاوی صواح .»

وفی بی جہور یقول عند نکبة بی ذکوان :

• لولا بنو جهور ما أشرق هم

هد السوالف فى أجادها تلح . «

قوله في هذه القصيدة إن السيوف إذا ما طاب

جوهرها في أول الطبع لم يعلق بها الطبع ، ينظر

بلخظ مریب الی قول حبیب :

« والسيف مالم يلف به صيقل

من سنعه لم يتفع بصقال . «

وله من أخرى يروي المتضد بن عباد بزيادة ابنه

اسماعيل لابن الأنطس وقتل ولد اسحاق بن عبدالله

في تلك الحرب :

«لهم الهدى إنمأح سبك فى العدا

وَالرَّاحُ صَنَعَ اللَّهُ نَحْوَكُ وَاعْتَدِي .»

## وفات ابن زیدون

ومما يخلق بذكر وفاة ذى الوزارتين رحمة الله

عليه فصل من تاريخ الشيخ أبي مروان بن حيان

رأيت إثباته لنيل مساقه ، وحسن انسابه . يقول

نفسه ، وفي يوم الاثنين ثلاث عشرة ليلة خلت من

ذی الحجة سنة اثنين وسبعين وأربمئة سار

الحاج سراج الدولة هادي بن محمد إلى إشبيلية الحاضرة

لأثيرة لمطالمتها ، وتأنيس أهلها من وحشة خاضعت

عامتہم من: أحل عدوان رجل منهم على يهودي جاء (۱)

عليه، إذ كان منهم متصبا له، هاويا إليهم، حديبا عليهم  
وليعة خير بينهم وبين سلطانهم الحديث الولاية،  
فصار صاه كفا فيه من تأييدهم والبقاء لمن تفرد  
به وحده لآرب غيره ولاجرم إذا أمر الله إخوانه  
باجساد بقاء فتاة اللندب أبي بكر ولده ساد أمثله  
ساميا مساه عاتلا هده عاتلا متناه بأبوة صدق  
يجرى إلى العلى بنيفه من ساحة ودعاة وحصاة  
وزراه ومعرفة ووفور حظ من أدب بلاغة وكتابة  
وشركة في التنايل العلية واشتداد في رعاية متقدم  
المنة لم يفقد إخوان أبيه معا إلا غيبته خلال  
حرر كن حله مما قبل بعد أبيه عند سلطانه قسطنطس  
السياسة فاستصر في استحضاره وأذناه من اجتهاده  
ورقاه في مراب والده متفلا له في درجاتها راضيا  
بلاده فيما ناطه به منها حق موع فروتها مما قبل  
فأحظاه بالوزارة وصيره وزيرا لحضرته الأئيرة  
اشيلية، وجمع له أعظم خططها العلية معاطس التناس  
من قوام الماسكة خطة ولاية المدينة وواته الزمان،  
والله يؤتي صله من يشاء له الفصل والامتنان .

وقال :

« لا طار لي حظ إلى غاية

إن لم أكن ملك مريش الجناح

وهناك بسيد القرب آمنة

مال على البحر سواها اقتراح

لم يثنى عن أمل ما جرى

قد برع الحرق وتؤسى الجراح

فاجهد بحمي الرأي عن يرج

منه العدا بكل شاكى السلاح

واشفع فللتافع نسى بما

تمر من فقد وثيق الفواح

إن سحاب الألق منها الميا

والحد في تأليفا للرياح . »

وكان القاضي أبو بكر بن دكوان أجل من اشتغل  
عليه أو أن مجدا وعرفا وتفتنا في العلم وتظرفا مع  
دعاة حين خلواته تحمل حي المحتفي ورفاقه ضد  
شواته كالتنوخ والمهلي، فإذا أصبحوا بكر أبو بكر  
إلى مصادرة ما يتجه عليه الحكم ومواجته وأذكر

كثيف من نخبة غلمانه ووجوه رحله لشاردة القصة  
والاحتياط على المامة، تغفوا معه وسط هذا اليوم  
وأخذ معه ذا الوزيرين أبا الوليد بن زيدون أحد  
الثلاثة أكبر وزراءه الثقات وزارتهم حمد دولته  
أزمه النفوذ مع الحاجب على بقية وطك متألما منه  
ولم ينفذه في التوقف لأجله، فقص لطيته مساقا إلى  
منيته وخلف ولده أبا بكر الفد الوزارة للرسة  
بالكتابة، وراء سادا مكانه بالحضرة، فأقر فيها  
ألياما، ثم أمر بالمسير وراء والده لأمر كلفه أجل  
بالإطلاق له، فقص نجبه غداة يوم السبت لثمان  
خلون من المحرم سنة ثلاث وستين بعدها، غلت  
منهم منازلهم بقرطة وصيرت إلى سواهم، فتحدث  
الناس بسبق مكان الأدب ابن زيدون لدى السلطان  
وإن استساكه لعل مرتبة بمدحهم المتضد بالله .  
كان من المتد على الله رعاية لخصوصية أبيه به  
يمس باستمرارها فتناه التخصان به الخطيان لديه  
الاستهان لحاصته ابن مرتين وابن عمار إلى أن عملا  
في إصاده وإبعاد ابنه الرقيب بعده فأمضى خلفه،  
فصدها استساغا غصته، واستهلا مكانه، واحتويا  
على خاصة السلطان، وتدير دولته، ولكل دولة  
رجال، ولكل مكتب إبدال، ولم يطل الأمد لابن  
زيدون بعد لحاق ابنه به، ووجدانه إياه مترايبا  
في سره، نازعا عن الآفة على جهده في استدائها  
على انتهاء اللدة، واشتاك القوة، فاستقر به وجهه  
إلى أن قفى نجبه، وهلك بدار هجرته اشيلية  
صدر وجب سنة ثلاث وستين، فدفن بها مشهودا  
مفتقا، واحتوى ترابها عليه، فياجد ما بين قبره  
وقبر أبيه لديا رحمة الله عليهما فقد تولى من أبي الوليد  
كهل لن يغلف الدهر مثله جلالا وديانا وبراعة وسلطانا  
وظرفا وحوللا من مراتب البلاغة فظنا وثرا يجرية  
لم يغلف لها سده عاتلا بقراته بين الكلايين وبراعة  
في الفنين إلا أن يكون عند أولى التحقيق والتحصيل  
في النظم أمد طلاء، واث عقاء فلا يلحقه فيه قصير  
ولا يغنى رهقا شهوده في الفنين مسدول مقانع  
حضور همد أهل المعرفة، ولما اتصل خبر هلكه  
بشيرة أهل قرطبة شيعوه وبكوا لنفده وحزنوا

رحله غر لباد من رؤوسهم مائة وخمسين رأساً  
ومن خيلهم مئتي ألفاً فقتل جناح قرنه وألقي حماره  
ثم إن عباد أترذك جمع حلفاء خيله وقود عليها ابنه  
إسماعيل مع وزيره ابن سلام ، وخرج نحو بلاد  
ابن الأطلس يابرة وقد استدعى أيضاً ابن الأطلس  
خليفته إسحاق بن عبد الله فلقحت به خيله مع ابنه  
أبي الزيد بعد أن جمع ابن الأطلس بقايا جيشه من  
هزيمته المتقدمة الذكر ، وأخرج كل من قدر على  
ركوب دابة من البياض يده وحشد من رجال البوادي

بمنه خلقاً كثيراً وأقل بعجمه هذا للنحوب ليدفع  
خيل ابن عباد من بلده يابرة ، وقد كان برابرة  
خليفته إسحاق في حركه قالوا له لا تقم فلتست  
تعرف قدر من زحف نحوك ونحن رأيناكم وسعنا  
بجمعهم بأشيبيلة فلم يسمع منهم ومضى ، فالتقى  
المرقان من غير نزول ولا تمكبة فاختلفوا واجتلدوا  
عليها لحق الباديون الضراب ، وتابوا الشدات لحاد  
البرابرة ضد أصحاب إسحاق ، وانهمز ابن الأطلس

وحمل السيف على جميع من معه ، فاستأصلهم القتل  
وقتل ولد إسحاق وجز رأسه وبنت إلى أشيبيلة  
مع رأس ابن عم ابن الأطلس صاحب يابرة  
يدي سيد الله الحرار ونجا ابن الأطلس في خله  
إلى يابرة . قال أبو سروان وأقل ما سمعت في  
إحصاء قتلى هذه الوقعة ثلاثة آلاف فأزيد  
وأخبرني من أتى به أن بطيوس بقيت خالية  
الذكاكين والأسواق من استئصال القتل لأهلها  
في وقعة ابن عباد هذه يقتل أعمار الباء الشيوخ  
السكحول الذين أسيروا يومئذ فاستدلت على مشو  
العصبة ، وجرع إسحاق بن عبد الله بصاب ابنه  
ولم يستجر لشدته عباد في طلب رأس ابنه ، فإن  
عباداً أضافه إلى رأس جده عمه بن عبد الله بأشيبيلة  
انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بشار ولم يزل الرأس عند آل عباد مع هذه  
رؤوس أعدائها الفتنة للميرة حتى حشداً أشيبيلة على الأمير  
الأجل سمر بن أبي بكر لحي . بجواني مقلل غنوم عليه ،  
مأسر بقتله ، لا يملك أنه مال أو ذخيرة فاداً هو ملوه

ما كان عليه من فكاهته فكأنه في بردية الامام  
وكأنه وقار يديل أو شام مع حله في قضائه وإعاض  
الحكم بمقتضى الحق وإماماته حتى إذا راح الزواح  
عادوا إلى القصف وتجاروا في ميدانهم كل وصف  
لأن أن اختلس أبو بكر منها وتجلس ذيل مؤانسته  
عنها ، فامتاز منه بسواه وأفاضاً فيما كانوا فيه  
وما تمدوا ، واتفق أن سر يوماً بقره في لمة من  
إخوانه وجماعة من عمار ميدانه فطعموا عليه مسلين  
ووهوا عليه متألين ، فقال أبو الوليد :

« يا قبره الطر الذي لا يمدن

حلو من التفتياك فيك حلال »

وله :

« على داره الشرق مى تمية

زكت وهى وادى العتيق سلام »

وله :

« خليلى لانظر يسر ولا أخصى

فأحلام من أمسى مشوقاً كما أخصى »

وله يرثي :

« أعباد يا أوى الملوك لقد حدا

عليك زمان من سحيته النذر . »

ونلع من خبر هذه الواقعة بلحة . قال أبو سروان  
في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة أوقع ابن عباد  
بأبن الأطلس إلى جنب يابرة ، وكان سبب هذه  
الحرب أن فتح ابن يحيى صاحب لبة يومئذ خليفة ابن  
الأطلس وإلى آل عباد الضرورة فكاشفه ابن الأطلس  
وخانه فيما كان اتشته عليه من ماله الصامت عند  
ما حله إليه ودية عند تورطه في حرب ابن عباد قبل  
فأبقت بينهما العصمة ، وأرسل ابن الأطلس في  
ذلك الوقت خيله للضرب على ابن يحيى فاستثارت عباد  
فأرسل إليه خيلاً منتقاة فلقحت الحيل الأفضلية وهى  
قد شذت الفارة على لبة ، فكرت عليهم إذ كانوا  
منهم واسترسلوا في اتباع البادين ولا يشعرون ،  
فإذا بباصد محملته في كمين قد خرج أترم فدهشوا  
وولوا الأدبار ، فركبهم السيف ، وبذل عباد للال  
في رؤوسهم ، وكانت قتلة خيل ابن الأطلس وأبطال

ولصالح ابن هيب في ذلك :

« ليس همي ولا طويل انتحاي

لمثيب أوال عني شيباني . »

روح ومال ابن زيدون يرى :

« انظر لخال السرو كيف تحال

ولدولة العلياء كيف تمال . »

وله من أخرى مما وجدته بخط ابن حيان يرى

أبا الحرم ابن جهور :

« ألم تر أن الشمس قد ضياء القبر

وإن قد كفنا نأقدنا القبر البدر . »

وله من أخرى في هذا المروض ، وقد تكرر فيها

بعض أبيات القصيدة الأولى ورثي بها أم أبي الوليد

ابن جهور يقول فيها :

« هو الدهر فاصبر للذي أحدث الدهر

فمن شيم الأحرار عفى مثلهما - الصبر . »

إلى أبيات غير هذه من سائر أبيات القصيدة استمر

فيها بالتقديم والتأخير والتأنيث والتذكير رثي بها

آخرها عبادة للمتصد ، وجعل أول قصيدته قوله :

« هو الدهر فاصبر للذي أحدث الدهر . »

ثم أتبعه بقوله :

« حياة الوري نهب إلى اللوت مهيج

لهم فيه إضاع كما يوضع السفر . »

يتلاعب أبو الوليد بهذه القصيدة يتلاعب الحليفة بنسبه ،

ويتصرف تصرف أبي حنيفة في مذهبه ، فأنت وذاك

وقدم فيه وآخر . قال أبو الللاء :

« رب لحد قد صار لحدا مرارا

صاحبا من تراحم الأصدقاء . »

وبلغني أنه وجد لابن زيدون أثر موت عبادة شعر

يقول فيه :

« لقد سرنا أن النني موكل

بطائفة قد حم منه حمام

تجانب صوب للزن من ذلك الصدى

وسر عليه الليث وهو جهام . »

وقال مخاطب الوزير أبا حامر بن عبدوس من

قصيدة أولها :

من الرؤوس ما عظم ذلك وماله ، وأسر برغ كل رأس

منها إلى من يق من عقبه بالحفرة . حدثني من رأى

رأس يحيى بن علي الحمودي ثابت الرسم غير متكلم

الشكل فدفع إلى بعض ولده فدعه .

وقال ابن زيدون في ابن جهور من قصيدة أولها :

« أجل إن ليلى حيث أحيأوها الأزد

مهاة حتما في صرايبها الأسد »

وكان ابن جهور يومئذ كسر ذنان الجر ، وكان

أيضا يومئذ مثل ذلك عبد الرحمن بن سعد للصخر

شعر أوله :

« كسرت لجبر الدين أوعية الجر

فأحرزت خصل السبق في الكسرو الجبر

صعدت إلى القمر الذي جموا

ففرقت منه فاسترحنا من المر . »

في أبيات غير هذه استبردت جلتها وإنما ذهب

إلى عكس قول من تقدم من أحيان الشعراء من ذم

صب العرب ، ومن أشهره قول بكر بن حارثة

الكوفي وقد رأى من سلطان وقته مثل ذلك فقال :

« يا لقومي لقد جى السلطان

لا يكن للذي أهان الهوان . » الخ

وبلغني أن الجاهل أخذ هذه الأبيات ، فقال للشهد

من حق الفتوة أن أكتبها دائما وما أقدر إلا أن

يسعدني لمرس به ، قال المحدث فأحمدته ، وقام

بكتبتها ، وكان بكر بن حارثة هذا مولى بني أسد

طيب الشعر حليما ملجنا ، وكان يألف مدمدا يأتيه

كل يوم في موضع يمينه شرابا فلا يزال يشرب على

مسبته إلى أن يسكر ، وكان أيضا يهوى غلاما

فصرانيا وهو القاتل :

« زناره في خصره مقود

كأنه من كبدي مقود . »

وبكر القاتل :

« قلبي إلى ما خرتني دامي

يكتر أسقامي وأوجامي

كيف احترامي من عدوى إذا

كان عدوى من أسلامي . »

« أثرت هزبر الشرى إذ ريش

ونبهته إذ هذا فاقتمض . »

ومما أغفله ابن بسام من نيب أن الوليد الصحيح  
الأقسام ، التنازع من الاطماع والأوهام ، المصدق  
قول الجفريه فيما ينس من الإلهام قوله :

« لنن قصر اليأس فيك الأمل

وحال تخنك دون الحيل . »

وقوله أيضاً :

« فديتك ليس لي قلب فأساو

ولاخر فأف إن جفيت . »

وقوله :

« أنى أسيح عهدك

أم كيف أخلف وعده ؟ »

ولأبي بكر بن محار يخاطب أبا الوليد بن زيدون  
رحمهما الله :

« كيف اهتزت على الدليل

وقطعت أسباب الوصول

وقطعتني ، وزعمت أن

الدب من القتييل

وعليك حادت المدا

واليك ملت عن المفلول

يا قاتلي ومدمامي

في صفحتي أهدى دليل

ما ألقى الفعل الجلي

ل بذلك الوجه الجليل

فبرزت في خلق الكريه

م وراه خلق البخيل

ودعوتني حتى أجي

سك ثم حنت من السيل

جد بالقليل فإت قد

س منك تنهج بالليل

واذكر حتى زمن قتلنا

ه صافية شمول

إذ لسحب الأذيال ما

بين الخليج إلى النخيل

وتحل من سيف الخدير

فيشة القتل الطليل

والروض ممتور ثم

(م) عليه أخماس القبول

والشمس نرمقها خلا

ل اليم عن طرف كليل

ابان يحدو الرعد من

ورق السحاب كالخول

ويتركف البرق في الـ

آفاق مرهقة النصول

زمن سبكه الحما

م مي وتذل من حديل

يا برق أودية اللئ (١)

تديك نقي من رسول

عرج يشلب عيا

ما شئت من تلك الطلول

والع على صفات حم

س قرارة العرف الأليل

فاذا جلاك أبو الوليد

سد بناظر اليعق التليل

فاقرأه من قبلي سلا

ما يقتضى حسن القبول

يا غرمة الزمن البهم

(م) وعزّة الأدب القليل

وعصكم المسلم القمص

سير على شبا الرمح الطويل

أعلت أنى خادم

ذكراك بالسكر الجليل

لم أستحل عما عهد

ت مع الزمان المستحيل

شنع ضابطك الجلي

سعة بلى لك الجليل

(١) وفي الأصل : أودية اللئ .



وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطبة منتدى  
لأحرار المصير ، وفناؤها ملعباً لحياد النظم والنثر  
يسمو أهل الأدب إلى منزه غريبها ، وبها تلك أفراد  
الشمراء على حلاوة عصفربها ، إلى سهرلة حجابها ،  
وكثرة متابها ، تغلغل ذلك بملو صاب ، وكرم  
انساب ، وطهارة أثواب ، على أنها سمح الله لها ،  
وقصد زهائها طرحت التحصيل ، وأوجدت إلى القول  
فيها السيل ، لئلا مبالانها ، ومجاهرتنا بلذاتها ، كتبت  
- زعموا - على أحد عاتق ثوبها :

« أنا والله أصلح للمعالي

وأمنى مشيقي وأنيه نيا . »

وكتبت على الآخر :

« أمكن عاشقي من ثم خدي

وأعطي قلبي ، من يشتهيها . »

هكذا وحدث هذا الخبر ، وأبرأ إلى الله من عهدة  
نأفليه ، وإلى الأدب من غلط انحلل كان وقع فيه ،  
ولها مع أبي الوليد أخبار طوال وقصاري فوثب إحصاؤها  
ويشقى استقصاؤها - وأما ذلك عاظرها ، وفزارة  
نوادرها ، فأية من آيات فاطرها - صرت بالوزير  
أبي حاتم بن عبدوس التقدم الذكر ، وكان بقرطبة  
أحد أعيان المصير ، وبعض من هذى بأسها ، وقصر  
على حكمها ، وأمام داره بركة تتولد على كثرة  
الأمطار ، وربما استمدت بقى ، مما هناك من الأنداز  
وقد لمر أو حاسركيه ، ونظر في عطفيه ، وحضر  
أصواته إليه ، فقال له أبا حاتم :

« أنت الحبيب وهذه مصر

تقتدنا ، فكلنا كما بمر . »

فتركته لا يمحير حرقا ، ولا يرد طرفا ، وظل عمرها  
وعمر أبي حاتم حتى أديا على الثمانين وهو لا يدع  
مراسلتها ، ولا يفل مواسلتها - ونحيف هذا  
الامر للمستطيل حال ولادة ، فكان يحمل كلامها ،  
ويرقع ظلمها ، على خوف واديه ، وحمود رواحه  
وغواديه ، أنراجيلا أقباء ، وطلقا من الظرف جرى  
إليه حتى استوفاه - وكانت زعموا - تعرض أيات آمن  
الشعر ، وقد قرأت أشباه منه في بعض التماثيل  
أضربت من ذكره ، وطوبته بأسره ، لأن أكثره

ولئن أجت لزأغب

وأقلت عثرة مسـ

يا أنس بدر في الطلا

م وبدر ظل في القليل

ظلمكم أبيت بثلها

- وهو الصنيفة - في مثيل . »

ولابن زيدون ينزل في ولادة :

« يا نازحا وحير القلب منواه

أنسك ديباك عبدا أنت مولاه . »

وله ينشوق إليها :

« غريب بأرض الشرق يشكر الصبا

نحمله من السلام إلى الغرب

وما ضر ألقاس الصبا في احتلالها

سلام ففي يديه جسم إلى طلب . »

وله :

« أيوحشى الرماد وأنت أسي

ويظلمى النهار وأنت شمسى . »

وله :

« ولقد شكوتك بالضمير إلى الهوى

ودعوت من حلق عليك فأمننا . »

وله ينزل ويعاتب ويهطمف ويستزل :

« يا مستحشا بياشغيه ومستشنا لنا صميه . »

وكتب من اللغز إلى صهره الموفق أبي الجيوش

ابن مجاهد :

« عرفت عرف الصبا إذهب عاظره

من أنق من أنا في قلبي أشاظره

أراد تهديد ذكرها على شحط

وما يبق أنت النمر ذا كره

نأى المزار به والغار دانية

يا حبذا الفال لو صحت زواجره

خلى أبا الجيش هل يقضى القاء لنا

فيشقى منك قلب أنت عاجره . »

قال ابن إسلم : وأما ولادة التي ذكرها ابن زيدون  
في شعره فإنها بنت محمد بن عبد الرحمن بن هيب الله  
الناصري ، وكانت في نساء زمانها واحدة أو أنها  
حضور شاهد ، وفزارة أوابد ، وحسن منظر ومخير

طاسر الملوحة ضد القتيل عبد الرحمن المستظهر في  
الأدب والفرقة ، وكان افتتح هذه السنة للزوجة  
القاسم بن حود بخلاته وأخبرها محمد هذا المذكور  
وكان بينهما عبد الرحمن المستظهر تسمى السنة  
المسكرة على ثلاثة حلقاء ، وهذا من خريب الأنباء  
ولله البقاء المرمدي ، ولقد عمد هذا الأمر ولم يكن  
من أهله ، فأتى جميع الناس بالإيثار واستمالهم  
بالأهوية ، ورأى أن المال عزيز ، وأن الشر  
رخيس يقوم مقامه ، ويؤوب منابه ، فكان يقول  
لناس أجهل ، ارفتموا كيف شتمتم ، وارتسموا بما  
أحستم من الخطأ فليس بالوزارة في آياه مفردة  
وخاة أروافل الفائرة ، وأما الطار فصلا من  
رعات العكتاب والحمة ، وأما الفرطة العليا  
ومادونها من رفيع للمازل ، لحاها أكثر من التتار  
والعامة ، وأثال الناس على ابتناء هذه للمازل عبد  
السلطان الحاصية في كرة الدولة ففسوا بأهه وعمرها  
عاهه ، وعلفوا بالتي ، فلما استبانوا ضعفه رفعوا  
خططهم ، وتبرأ كثير منهم منها ، وأسم أهله  
يتخللها ولا سيما عند تكرار التسيط عليهم للرامة  
عند إلحاح الإضافة ، فجرت لبعضهم عد الانتفاء من  
تلك الخطط نوادر طريقة مصححة وانتهى هذا  
التوجه العام بهذا السلك الهام إلى أن فصله أيضا  
في طبقات أهل العلم بأسهم منهم الفقهاء ، فآثر العلية  
منهم للشاوير أصحاب الصون بلارعا إلى خفة  
الوزارة خالفا لهم فيها بما ذكرناه من رعات  
الحمة وكبار الفائرة ، وجاء في ذلك بطلان لم تسمع  
في الأصغر الحالية فأخطأوا وألفوا بالدين وصحت ،  
وطلبوا زيادة للعتلى على العامة ، فانتقوا بهذه  
الخطه وشدوا أيديهم عليها ، وهجروا من حطهم في  
المطاب عنها مفرطين بما يجب من ذلك إلى أن  
مضوا ليليلهم ، وارتقى للمستكن أجنباً بكثير من  
يحمل الحابر ، ويدرس مسائل الفائرة ، من أصغر الطبقة  
المعيرة إلى ما بلغت عليهم من منزلة النورى ، فوسم  
كلهم بوسم الفتوى فأسرف في ذلك حتى بلغ عددهم

ليس له حصى إعادة ولا إبقاء ، ولا من كتابي  
في أرض ولا ساء . ونفسر هنا بعض من أخبار  
أيها المستكن مدا لأطباب الآداب ، ووفاء بمرط  
الكتاب ، نسخته من كتاب ابن حيان :  
هو محمد بن عبد الرحمن بن حيدلناصرى ، بيع يوم  
قتل عبد الرحمن المستظهر يوم السبت ثلاث خلون من  
ذى القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة ، فليس  
بالمستكن بالله ، أسما ذكر له فاختاره لدهه ، وحكم  
سوء الاتحاق به لما كتبه لبد الله المستكن العباسي  
أول من تسمى به في اسمه ووجهه وتخلقه وضغه  
بل كان هذا زائداً عليه مقصراً عن خالده ملوكة  
كانت والمستكن سبيه لم يحسنها محمد هذا لفرط  
تخلقه على اشتباههما في سائر ذلك كله من نوبتهما  
بالفتنة واستظهارهما بالشفقة ، واعتدائهما كل منهما  
على ابن عم دى رحم ماسة ، وتوسط كل منهما  
في شأنه بأمرأة خبيثة ، فذلك حسناء الشيرازية ،  
ولهذا ابنة عسرى للروزبة ، فأصبحت في ذلك على  
فرط التباين عبرة ، وفاله صاحب قط العروس :  
ومن يجب اتقائهما في الأخلاق ، وفي السر والعلف  
وأن كل واحد منهما خلق من الأمر ، وكل واحد  
منها تركه أبوه صغيراً ، ولم يمكن محمد من هذا  
الأمر في ورد ولا صدره ، إنما أمره الله على الأمة  
حمة وبلية ، إذ كان منذ عرف غفلا صلا مقطعا إلى  
البطلة ، مجبولا على الجهالة ، حاطلا من كل خلة تدل  
على فضيلة ، عضته الفتنة فأملق حتى استجاز طلب  
الصدقة ، وعال حتى أمأه أمه على ما لم من الله  
وأيته . أيام الحسف بأهل بيته في الدولة الحمدوية ، ولم  
يكن من لحفه الاعتقال منهم لركا كته - بمعد أهل  
الغلاة يومئذ بقرطبة أوائل ضمهم لفلانهم بمأهم  
من زكاتها تكليفا ومخاطبة ، وبالجملة في تخمين  
التصريف بأمره أن أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس  
في الإمارة منذ تلك الفتنة أسقط منه ولا أقص إذ  
لم يزل مروحاً بالتخلف والركاكة ، مشتهراً بالعرب  
والبطالة ، سليم للوالدية ، أمير القهودة ،

فلما طوى النهار كافوره ، ونشر صيره ، أبلت بعد  
كالقميص ، وردف كالكتيب ، وقد أطلعت نرجس  
القل ، على ورد الحبل ، فلنا إلى روض مديح ، وماء  
سحح ، قد قامت رايات أشجاره ، وقامت سلاسل  
أنهاره ، ودرّ الطلّ منثور ، وجيب الراح منور  
فلما شبتنا نارها ، وأدركت فينا نارها ، برح كل منا  
بجبه ، وشكا إليه ما يقبله ، وبتنا ليلة نعي الحوان  
التنور ، وتطفئ رمان الصدور ، فلما أخلصنا منها  
صباحاً ، أنشدتها ارتياحاً :

« ودع الصبر عجب ودعك

ذائماً من سره ما استودعك . »

قال أبو الوليد وكانت عتة قد غشيت :

« أحببتنا إلى بلغت مؤملى

وساعدنى دهرى وواصلنى حي

وحاء يهينى البشير بحيره

فأعطيتنى نفسى ورددته قلبي . »

سألها الإعادة بسيز أمر ولادة ، فجفا منها برق

التيسم ، وبدا طارض النجم ، وعانبت عتة :

« وما ضرت حتى لقب أنت به

ولكننا ولادة اشتيت ضرى

فقامت جهر الدبل عائرة به

وتحسح طل النجم بالنم الرطب . »

فبتنا على اللعاب ، من غير اصطحاب ، ودم اللدام

مسفوك ، وما بدا فهو متروك ، فلما قامت خطباء

الأطيار ، على منابر الأشعار ، واهت من الاعتراف

وبأكرت إلى الانصراف ، وشت بمسك الأفاص

على كافور الاطراس :

« لو كنت تتمف في الهوى مايتنا

لم تنو جلتى ولم تمنير

وتركت غصناً مشراً بجماله

وجنحت للضن الثرى لم يشر

ولقد علمت بأننى بذر السبا

لكن دهمت لست فوقى سبالشترى . »

قرطبة يوسف الأرمين ، وذلك مما لم يهد في  
الما برن ، وكثر الإيجاف بتغير رجال الأثرة ،  
فاضطرت قرطبة لكثرة ما فيها من الردة ، فقبض  
على جماعة من بني عمه وحاشيته منهم على بن أجد  
ابن حرم وابن عمه عبد الوهاب الثقفي الذكر  
سعدوا بالمطلق ، ثم عاجل المستكى ابن عمه عبدالعز  
المرافى خلق وأمسى بيتاً وساء إلى الناس فلم يسهل عليهم  
اغتياله ، وفي أيام المستكى هذا استؤصل بقية قصور  
حده الناصر بطراب ، وطست أعلام قصور  
الرهراء ، واقتلع نحاس الأبواب وروصص القى

وتغير ذلك من الآلات ، وطوى بخرابها ساط الدنيا ،  
وتغير حسنها إذ كانت له جنة الأرض فعدا عليها قبل  
تمام المدة من كان أصعب قوة من فارة الملك ،  
وأومن بيتاً من بقية الخرد ، والله يسلط جنوده على  
من يشاء له المرأة والخبروت ، فلما كابسة  
ست عشرة وتحرك يحيى بن جود إلى قرطبة ، وضمف  
أمر المستكى ، اتفق الملائ على خلمه ودخلوا عليه  
وقالوا : لقد علم الله اجتهدنا في شيتك ، فاعتص  
ذلك علينا ، واضطررنا إلى مقاربة عدونا وهانن  
حارجون إليه ، ولا ندرى ما يحدث عليك بعدنا  
فإن لك الكرة فلا تيأس ، فع اليوم غد ،  
فأجمل الرد ، واستشعر اللد ، واهتبل  
الرة ، وعزم على الحرب ، فخرج على وجهه  
وتد لبس ثياب القانيات ، منتقباً بدم اسرأين لم يميز  
منهم لمراسه على التحيت ، وخرج عن قرطبة ،  
فكانت باقليش ، فكانت دولته تسعة عشر شهراً  
صماباً فكلمات سحوداً مشوّهات مشوّهات انتهى  
ما لحصته من كلام ابن حيال . قال أبو الوليد :  
كنت في أيام الشباب ، وغمرة التصابي هاثمًا بنادة  
نسمى ولادة ، فلما قدم الغناء ، وساعد القضاء  
كنت إلى :

« ترقب إذا جن الظلام زيارى

فإني رأيت القيل أكرم للسر

وبى ملك ما لوكن باليد ما بدا

وبالنفس لم تطلع ، وبالنجم لم يسر . »

## صفحات من كتاب نفع الطيب

وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب (التيبين) في خلفاء بني أمية بالأندلس على مترج كتاب (التيبين) في خلفاء الفرق للسودى .  
ومثل ابن زيدون في تصديده التي لم يقل مع طولها في النسيب أرق منها وهي التي يقول فيها :

« كأننا لم ننت والوصل ثالثا

والسعد قدس من أجمال واشفيا  
سران في خاطر الطلاء يكتسا

حتى يكاد لسان الصباح يشتينا .

وهل نشأ عندكم من النساء مثل ولاده الرواية التي تقول مدحبة للوزير ابن زيدون ، وكان له غلام اسمه علي :

« ما لابن زيدون على ضله

يتأبى طلقاً ولا ذنب لي

ينظر لي شراً إذا جتسه

كأنما حث لأحصى على . »

ومن حكايات أهل الأندلس في خلق الصنار والطرب والظرف وغير ذلك كسرمة الارتحال ما حكاها صاحب (بدائع البداة) قال :

أخبرني من أتى به بما هذا مناه -

قال : « خرج الوزير أبو بكر بن حماد والوزير أبو الوليد بن زيدون ، ومعهما الوزير ابن خلدون من إشبيلية إلى مطرة لبي عباد لموضع يقال له (الفتن) تحف به مروج معرفة الأنوار ، متسمة الاتحاد والأفوار ، متسمة من شور النوار ، في زمان ربيع سفل الأرض السحب فيه يوسسها ووليها وجتها في زاهر مليها وباهر حليها ، وأرداب الربى قد تازدت بالأرز الحضر من نباتها وأحياد الجداول قد نظم النوار فلانة حول نباتها ، وبجاسر الزهر مطر أردية النساء عند حياتها ، وهناك من للهار مايزرى عل مدامن النصار ، ومن الفرجس

الريان ، مايزر أبناها من الأجنان ، وقد نووا الأبراج فهو والطرب والنتزه في روضي النبات والأدب .  
ومثوا صاحباً لهم يسمى ( خليفة ) هو قوام لشهم وظام مسرتهم لينتهم بييد يدهيون لهم بدسه في لجين زجاجة ، ويزونه منها بما يقتضى تحريكه هرب من اقلوب وإزطاحه ، وجلسوا لاهفاه ، وترق عوده على آكاره ، فلما صروا به مقلا من أول الفتح بادروا إلى قتاله ، وساروا إلى نحوه وفتلته ، واتفق أن عارساً من الجند رك مرسة صدمه ، ووطأ عليه فهشم عظمه ، وأجرى دمه وكسر قصال التبيذ الذي كان معه ، ومرتق من شلمه ما كان الفجر جمه ، ومضى على غلوانه راکساحي غي عن العين حائفاً من منطلق به تيجن بدلقه الحلي ، ووجى وصل انوراء إليه تأسعوا عليه ، وأماسوا في ذكر الزمان وعدوانه والخلف وألوانه ، ودخله بطوام المضرات على تمام للسرار وتمكيد الأودت للصلات بالألمات للؤلؤ . مثال ابن زيدون :

« أظهور والختوب بنا مطيعه

ورأس والمون لنا عيغه . »

فقال ابن خلدون :

« وفي يوم وما أدراك يوم

دمي قصالا ومغى حليمه . »

فقال ابن حماد :

« هما غطارتا راج وروح

تكرتا فاشقاق وجيهه . »

وكتب الوزير الشهير أبو حاد ابن زيدون إلى الوزير أبي عبد الله بن عبد العزيز اثر صدوره عن بلنسية .

« راحت فصيح بها السيم . . . . . » الأيات

ولما ورد إشبيلية نزل بدار الوزير الراكب دى



## ابن جهور

دل في المظلمح :

الوزير الأجلّ أبو الحزم جهور بن محمد ابن جهور ، و هو جهور أهل بيت وزارة اشتهروا كاشتهار ابن هيرة في فزاره ، وأبو الحزم هذا أعجدهم في المكرمات ، وأنجدهم في الملمات - ركب متون الفنون فراضها ، ووقع في بحور المحن غفضا ، منسط غير منكمش ، لا طائش اللسان ولا رعش ، وقد كان وزير في الدولة العاصرية فشرفت بجلاله ، واعترفت باستقلاله ، فلما انقرضت ، وعاقبت العاتق واعترضت ، تحيز من التدبير مدتها ، وخلق لأخلاقه تدبير الرياسة وشقتها ، وجعل يقل مع أولئك الوزراء ويدبر غير مظهر للانفراد ، ولا متصرف في ميدان ذلك الطراد ، إلى أن بلغت الفتنة مداها ، وسوَّغت ما شامت رداها ، وذهب من كان يبعد في الرياسة ويحب ويسعى في الفتنة ، ولما ارتفع الوبال ، وأدبر ذلك الاقبال راسل مستمدا بهم ومعتمدا على بعضهم تخيلا منه وتمويهها وتدهاها على أهل الخلافة وذوئها وعرض عليهم تقديم المعتمد هشام وأومض منه لأهل قرطبة برق خلبه يشامقة بسرعة التباها ، وتجميل انتكاتها ، وأنابوا إلى دعائه ، وأجابوا إلى استدعائه ، وتوجهوا مع ذلك الامام ، وألوا بقرطبة أحسن المام ،

فدخلوها بعد فتن كثيرة ، واضطرابات مستتيرة والبلد مقفر ، والجلد مسفر ، فلم يبق غير يسير حتى نبذ واضطرب أمره نطع ، واختطف من الملك وانتزع ، واهضت الدولة الأموية ، وارتفعت الدولة العالوية ، واستولى على قرطبة عند ذلك أبو الحزم ، ودبرها بالجد والعزم ، وضبطها ضبطا آمنا حافظها ، وروع طارق تلك الفتنة وطائفها ، وخلا له الجوق فطار ، واقتضى اللبانات والأوطار ، فعادت له قرطبة على أكل حالها ، وانجلى به نور جلالها ، ولم تزل به مشرقة ، وغصون الآمال فيها مورقة الى أن توفى سنة ٤٣٥ هـ فانتقل الأمر الى ابنه أبي الوليد ، واشتمل منه على طارف وتليد ، وكان لأبي الحزم أدب ووفار وحلم سارت بها الأمثال وعلم المثل ، وقد أثبت من شهره ماهر لائق ، وذلك قوله في تفضيل الورد . .

« الورد أحسن ما رأت عيني وأذ

كي ما سقى ماء السحاب الجائد

خضعت نواوير الرياض لحسنه

فتذللتن نقاد وهي شواهد

واذا تبتدى الورد في أغصانه

يزهو هذا ميت وهذا حاسد

واذا أتى وفد الربيع مبشرا

لطالع صفحته فنعم الوافد

ليس البشر كالنفس باسمه  
خبر عليه من النبوة شاهد  
وإذا قرى الورد من أوراقه  
بقيت عوارفه فهو خوالده .

✽

وقال صاحب كتاب المحجب :

ولما انقطعت دعوة بني أمية كما ذكرنا  
بالأندلس ، ولم يبق من عقبهم من يصلح  
للامارة ، ولا من يليق به الرياسة استولى  
على تدبير ملك قرطبة جمهور بن محمد بن  
جمهور ، ويكنى أبا الحزم ، وقد تقدم ذكر  
نسبه في ترجمة هشام ، وأبو الحزم هذا  
قديم الرياسة شريف البيت كان آباءه وزراء  
السولة الحكيمة والعامة ، وهو موصوف  
بالهياء ، وبعد العور ، وحصافة العقل ،  
وحسن التدبير ، ولم يدخل من دهائه في النفاق  
الكائنة قبل ذلك وكان يتصاون عنها ، ويظهر  
الزهادة والتدين والعفاف ، فلما خلا له الحق  
وأصفر الفناء ، وأقفر النادى من الرؤساء  
وأمكنه الفرصة وثب عليها فتولى أمرها ،  
واضطلع بحمايتها ، ولم ينتقل إلى رتبة الامارة  
ظاهرا جريا على ما قمتنا من إظهار سنن  
العفاف بل دبرها تدبيرا لم يسبق إليه ، وذلك  
أه جعل نفسه ممسكا للوصع إلى أن يجيء  
من يتفق الناس على إمارته فيسلم إليه ذلك  
ورب البوايين والحشم على تلك القصور  
على ما كانت عليه أيام الدولة ولم يتحول عن  
داره إليها ، وجعل ما يرتفع من الأموال

السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو  
الشرف عليهم ، وصبر أهل الأسواق جندا له  
وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم  
محصة عليهم يأخذون ربحها ورؤوس الأموال  
باقية محفوظة يؤخذون بها ويراعون في كل  
وقت كيف حفظهم لها ، وورق السلاح  
عليهم ، وأمرهم بفرقة في الدكاكين والبيوت  
حتى إذا دهمهم أمر في ليل أو نهار كان  
سلاح كل واحد معه حيث كان من بيته أو  
دكانه ، وكان أبو الحزم هذا يشهد الجائز ،  
ويعود المرضى جارا على طريقة الصالحين ،  
وهو مع ذلك يدبر الأمور تدبير الملوك  
المتعنين ، وكان آمنا وادعا وقرطبة في أيامه  
حرما يأمن فيه كل خائف ، واستمر أمره على  
ذلك إلى أن مات في عزة صفر سنة ٤٣٥ هـ  
فكانت مدة تديره منذ استولى إلى أن  
مات أربع عشرة سنة وأشهرها ، ثم ولي  
ما كان يتولى من أمر قرطبة بعده ابنه  
أبو الوليد محمد بن جمهور ، فخرى في السياسة  
وحسن التدبير على سنن أبيه غير مخجل بشيء  
من ذلك إلى أن مات أبو الوليد المذكور في  
سنة ٤٤٣ هـ فعمل عليها بعد  
أمور جوت - الأمير الملقب بالمأمون ابن ذى  
النون صاحب طليطلة فديرها مدة يسيرة  
إلى أن مات ، وخلف فيها بعده من البربر  
رجل يعرف بابن عكاشة أطلق اسمه موسى ،  
فكان بها إلى أن غلب عليها وأخرجه منها  
الأمير الظاهر بحول الله أبو القاسم محمد بن

عباد على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .  
فهذا آخر أخبار قرطبة وكونها دارا للملك  
ويصدقها المتمد عليها صارت بها لاشييلة .

### جهور (١)

جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله  
ابن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد القافر بن  
أبي عبدة رئيس قرطبة ، يكنى أبا الحزم .  
روى عن أبي بكر عباس بن الهمداني ،  
وأبي محمد الأصيلي ، والقاضي أبي عبد الله بن  
مفرج ، وأبي القاسم خلف بن القاسم ،  
وأبي يحيى زكريا بن الأشج وغيرهم . وسمع  
منهم وأخذ العلم عنهم ، وقد أخذ عنه  
أبو عبد الله محمد بن عتاب الفقيه ، فقال  
حدثنا ثقة من الشيوخ الأكابر ، وهو يعني  
أبا الحزم هذا ، ثم صار تدير أهل قرطبة إلى  
أبي الحزم هذا فأثقاها بالرياسة فيها ، إلى أن  
توفي يوم الخميس لسبع بقين من المحرم من  
سنة ٣٥٥ هـ ودفن بداره ، وصلى عليه ابنه  
أبو الوليد محمد بن جهور متولى الأمر من  
بعده ، وكان سنة يوم وفاته إحدى وسبعين  
سنة ، وكان مولده أول المحرم سنة ٣٦٤ .

أما قرطبة فاستولى عليها أبو الحسن  
جهور بن محمد بن جهور ، وكان من وزراء  
الدولة العاصرية ، موصوف بالدهاء والعقل ، ولم  
يدخل في شيء من الفتن قبل هذا بل كان  
يتصاون عنها ، فلما خلا الجو وأمكنه الفرصة

وثب عليها فتولى وفام بحمايتها ، ولم ينتقل  
إلى رتبة الأمانة ظاهرا بل رتبها ودبرها تدييرا  
لم يسبق إليه ، وأظهر أنه حام للبلد إلى أن  
يحيى من يستحقه ، ورتب البوابين والحشم  
على أبواب قصور الامارة ولم يتحول عن  
داره إليها ، ودعا ما يتحصل من الأموال  
السلطانية بأيدي رجال رتبهم له .

وكان جهور يشهد الجارة ، ويهود المرضى ،  
ويحضر الأفراح على طريق الصالحين ، وهو  
مع ذلك يدبر الأمور تدير الممالك ، وكان  
مأمون الجانب فأمن الناس في أيامه ، وبقي  
كذلك إلى أن مات سنة خمس وثلاثين  
وأربع مائة ، وقام بأمرها بعده أبو الوليد  
محمد بن جهور على هذا التدير إلى أن مات .

### بنو عباد

أما أحوال إشبيلية فانها كانت في طاعة  
الفاطميين أعني علي بن جود ، والقاسم بن  
جود ، ويحيى بن علي بن جود أيام كان  
الأمر دائرا بينهم على ما تقدم ذكره . فلما  
زحف يحيى بن علي بالبربر إلى قرطبة وهرب  
القاسم بن جود منها ، وقصد إشبيلية ، وقد  
كان ابنه محمد والحسن مقيمين بها أجمع أمر  
أهل إشبيلية ، واتفق رأيهم على إخراج محمد  
والحسن عنها قبل وصول القاسم أيهما  
فأخرجوهما ، وجاء القاسم فغصوه دخول البلد  
أيضا ، واتفقوا على تقديم رجل منهم يرجع  
إليه أمرهم ، وتجمع به كمنهم فتوارد

(١) من كتاب الصلة لابن بتكوال .



وأجابه إلى ما أراد ، ولم يزل يدبر أمر  
إشبيلية ، وهؤلاء المذكورون من وزرائه ،  
وكان له من الولد إسماعيل وهو الأكبر يكنى  
أبا الوليد وعباد يكنى أبا عمرو ، فأما إسماعيل  
فخرج إلى إثناء البربر بعد أن حدث لأبيه  
أمل في التغلب على ما كان البربر يملكونه  
من الحصون القريبة من إشبيلية بمسكن من  
جند إشبيلية ، فالتقى هو وصاحب صحابة ،  
فأسلمت إسماعيل عساكره ، وكان أول قتيل  
وقطع رأسه وسير به إلى مالقة إلى إدريس  
ابن عليّ الطاطمي كما تقدم ، وبقي الأمر  
كذلك ، والقاضي أبو القاسم يدبر الأمور  
أحسن تدبير ، وكان صالحا مصلحا إلى أن  
مات في شهر سنة ٤٣٩ .

اختيارهم بعد محض الرأي وتنقيح التدبير  
على القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن  
عباد اللخمي لما كانوا يعلمونه من حصافة  
عقله ، وسعة صدره ، وعلاوة همته ، وحسن  
تدبيره ، فعرضوا عليه ما رأوه من ذلك ،  
فنهيب الاستعداد ، وخاف عاقبة الافراد أولا  
وأبى ذلك إلا على أن يختاروا له من أنفسهم  
رجالا ساهم لهم يكونون له أعوانا ووزراء  
وشركاء لا يقطع أمرا دونهم ، ولا يحدث  
حدثا إلا بمشورتهم ، وهؤلاء المسمون هم  
الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ،  
ومحمد بن يريم الاطاني ، وأبو الأصح عيسى  
حجاج الحضرمي ، وأبو محمد عبد الله بن عليّ  
الطوزني ورجال آخرون ذهبت عن أسمائهم  
ولا أعرف قائلهم ويوتهم ، ففعلوا ذلك

### صفحات من كتاب العيني (١)

عن مقاومته فأخرجوه ، فاستدعاه القاضي  
أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد  
إليه بإشبيلية ، وأذاع أمره ، وقام  
بنصره ، فسار إليه وقام بواجبه ، وكتب  
بظهوره إلى ملوك الأندلس فأجاب أكثرهم  
وخطبوا له ، وجرت بيعته في المحرم سنة  
تسع وعشرين وأربعمائة ، ثم إن عباد سير  
جيشا إلى زهير العامري بأنه يخطب للوئيد  
فاستنجد زهير حيوس بن مكر الصنهاجي

وأما إشبيلية فاستولى عليها فاضها محمد  
ابن إسماعيل بن عباد اللخمي ، وهو من  
ولد النعمان بن المنذر ، وفي هذا الوقت  
ظهر أمر المؤيد هشام بن الحكم ، وكان  
قد اختفى وانقطع خبره ، وكان ظهوره بمالقه  
ثم سار منها إلى المريّة ، فغفاه صاحبها زهير  
العامري وأخرجه منها ، وقصد قلعة رباح  
فأطاعه أهلها ، فسار إليهم صاحبها أول  
إسماعيل ذي النون ، فخار بهم وضعفوا

وتلاحق بحريز أصحابه وأشياعه ، وترك  
الظافر ملقى على الأرض ، فرّ عليه بعض  
أهل قرطبة فأبصره على تلك الحالة فزعم  
رداءه وألقاه عليه ، وكان أبوه إذا ذكره  
يتمثل بهذا البيت :

« ولم أدر من ألقى عليه رداءه .

سوى أنه قد سل عن ماجد محض . »

ولم يزل المعتمد يسعى في أخذها حتى عاد  
ملكها إليه وترك ولده المأمون فيها فأقام بها  
حتى أخذها يوسف بن تاشفين وقتل فيها بعد  
حروب كثيرة يأتى ذكرها إن شاء الله تعالى  
وأخذت إشبيلية من أبيه المعتمد ، وبقي  
مسحوما في أغمات إن أن مات بها ، وكان  
هذا وأولاده جميعهم - الرشيد ، والمأمون ،  
والراضى ، والمعتمد ، وأبوه ، وجدته علماء  
شعراء -

## ملوك الطوائف (١)

بقلم الأستاذ نيكلسون

تفرقت إمبراطورية عبد الرحمن الثالث  
العظيمة ، وظهر على أنقاضها عدة ممالك  
صغيرة « دويلات » أنشأتها الظروف  
والمصادفات ، وكان يحكمها بعض القادة  
المظفرين .

وقد أحسن نيكلسون في تشبيه تاريخ  
إسبانيا في القرن الحادى عشر الميلادى

صاحب غرناطة ، فسار إليه بجيشه فعادت  
عساكر ابن عباد ، ولم يكن بين العسكرين  
قتال ، وأقام زهير ببأسه ، وجاء حيوس إلى  
مائلة فأتى وولى بعد . ابنه ناديس ، واجتمع  
هو وزهير ليتفقا كما كان زهير وحيوس فلم  
يستقر بينهما قاعدة واقتتلا فقتل زهير ، وجمع  
كثير من أصحابه ، والتقى عسكر ابن عباد  
وابنه إسماعيل مع باديس بن حيوس ،  
وعسكر إدريس البلى صاحب سبتة بطليحة  
واقتتلوا قتالا شديدا فقتل إسماعيل ثم مات  
بعده القاسى أبو القاسم بن عباد وولى  
بعده ابنه أبو عمرو ، ولقب المعتمد بالله فسيط  
ما ولى وأظهر وفاة المؤيد ، واشتمل بأمر  
إشبيلية وبقي كذلك إلى أن مات وولى بعده  
إنه أبو القاسم محمد ولقب بالمعتمد على الله ،  
فأصبح فى ملكه ، وشمخ سلطانه ، وملك  
كثيرا من الأندلس ، وملك قرطبة أيضا ،  
وولى عليها ابنه الظافر بالله فلغ خبر ملكه  
لها إلى يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة  
فخسده عليهما فضمن له جرير بن عكاشة ،  
وسار إلى قرطبة ، فأقام يسى فى ذلك وهو  
ينتظر الفرصة ، فاتفق أن فى بعض الليالى  
جاء مطر عظيم ومعه رج شديدة ورعد برق فثار  
جرير ففرج الظافر فيمن معه من العبيد والحرس ،  
وكان صغير السن فحمل عليهم ودفعهم عن  
الباب ، ثم إنه عثر فى بعض كراته فسقط  
فوثب عليه شخص فقتله ولم يبلغ الخبر إلى  
الأجناد وأهل البلد إلا والقصر قد ملك

(١) فصل مختار من كتاب نظرات فى تاريخ

الأدب الأندلسى للشارح .

كل جهة فتحوها فعاث أولئك المسيحيون في كنف المسلمين ، وأحسفت الحكومة معاملتهم ، ومنحتهم الحرية الدينية وكثيرا مارفتهم إلى مناصب عالية في الجيش وفي بلاط الملك . فاعتق كثير منهم الحضارة الاسلامية وافئذ بها افتنا .

حتى رأينا « القارذ » كاهن قرطبة في أواسط القرن التاسع ليلاد بولول في أوائل ذلك العصر شاكيا من أبناء دينه انصرفهم إلى مطالعة أشعار العرب وأساطيرهم وحياتهم بدراسة كتابات لاهوت نبي المسلمين وفلاسفتهم لا يقصدون بذلك إلى تفنيدها بل يقصدون إلى النعير عن خوالجهم بأسلوب عربي رائع صحيح .

وكان القارذ يقساو .

أى يتاح لانسان في هذه الأيام أن يقابل واحدا من أبناء جنسنا يقرأ التفاسير اللاتينية للكتب المقدسة ؟ ومن ذا الذى يدرس منهم فصول الأنجيل وسبر الأنبياء والحواريين ؟ واحسرتاه :

إن كل الشبان المسيحيين ذوى المواهب لا يعرفون الا العربية والا كتابات العرب فهم يقرءونها ويدرسونها بحماسة باغة منتهاها كما أنهم ينفقون المال الطائل لاقتنائها في مكاتبهم وتراهم أتى وجدوا يذيعون أن تلك الآداب جديرة بالاعجاب .

فاذا تجاوزت عن ذلك وأخذت تحدثهم عن الكتب المسيحية أوزوجانهم وأجابوك

بتاريخ إيطاليا في القرن الخامس عشر ، فقد كان وجه الشبه - كما يقول - كبيرا جدا بينهما .

وكان هؤلاء القادة الذين اقتسموا بلاد الأندلس أشبه بأولئك القادة الذين كان يطلق عليهم في إيطاليا اسم : « Condottieri » وكان من بينهم ملوك العبادية الذين قطنوا لإشبيلية ، وهم أقوى ملوك ، وقد أطلق عليهم كتاب المسلمين اسم : « ملوك الطوائف » وعلى الرغم من أن ذلك كان عصر قدهور سياسى ، وعلى الرغم من أن إسبانيا تشكو عجز مواردها الاقتصادية ، فقد وصل المجتمع في تلك الأيام إلى مستوى لم يصل إلى مثله من قبل .

وهنا يجدر بنا أن نقف لحظة علنا نستطيع أن نستعرض فيها أماما الشوط البعيد المدى الذى قطعته الآداب والعلوم في طريق النجاح في ذلك العصر الذى يعد أزهى عصور الاحتلال الاسلامى في أوروبا .



فيما ترى العرب الفاتحين في آسيا - كما بينا ذلك - قد سحرتهم حضارة قديمة تفوق حضارتهم بما لنهاية له فآذعنوا لها وظهر أثرها فيهم إذ تراهم لم يكادوا يعبرون مضيق جبل طارق - في العرب - حتى انعكست الآية تملما .

وذلك أهم بعد أن تطلبوا على شبه الجزيرة وقع في أيديهم آلاف المسيحيين من



وقد كان للشعر العربي - في أوروبا -  
على الاجال الخصائص التي رأيناها في الشعر  
المعاصر له في الشرق .

فان الأوزان المصطلح عليها والقيود التي  
لم يستطع أساطين بنداد أن يحرّروا أنفسهم  
من ربقتها ظلت بحذافيرها في قرطبة واشبيلية .  
وكما تأثر الشعر العربي في الشرق بالأدب  
الفارسية ، فقد تأثر في اسبانيا كذلك بالتحاد  
الآريين والساميين واندماجهم شيئا فشيئا .  
فكان ذلك سببا في ادخال عناصر  
جديدة ظهرت في آدابها ، ولعل أمتع ميزات  
الشعر الأندلسي هي ذلك الوجدان العاطفي  
الراقي الذي يندر وجود مثله في النسب  
والذي ظهر كثيرا في أغانيهم عن الحب وهو  
وجدان لا يقصر على تصوير فروسية القرون  
الوسطى بل يتخطى ذلك إلى حد أن تحسبه  
إحساسا جديدا بمحاسن الطبيعة التي جلته .  
ولهذه الميزة سهل فهم ذلك الشعر على  
الكثيرين من الآريين الذين قد لايسهل  
عليهم تفهم روح المملكات أو قصائد المتنبي .

بإزدراء أنها أسفار تافهة لا خطر لها .

واحسرتاه عليهم ! لقد نسي المسيحيون  
أنفسهم حتى ليند العثور بين آلاف منا على  
على فرد يستطيع أن يجرى إلى أحد أصدقائه  
رسالة لاتينية بأسلوب لا بأس به على حين  
ترى جهرتهم قادرة على الابانة عما في نفوسهم  
بأسلوب عربي رائع ، وعلى حين ترى حذقهم  
في قرض الشعر العربي قد وصل إلى حد فاقوا  
معه العرب أنفسهم .

ومهما يكن في كلام هذا السكاهن من  
اغراق فما يترفع عن الجدل والتشكك أن  
الثقافة الاسلامية قد أخذت بألباب  
المسيحيين الاسبان ، كما افتن بها اليهود  
الذين خدموا الشعر والفلسفة بمساعداتهم  
العديدة وكتاباتهم التي أنشئوها بلغتهم وبلغه  
أبناء همهم العرب .

أما المولدون والصابثون من الاسبانيين  
الذين لانوا بالاسلام فقد استعربوا تماما بعد  
أجيال قليلة ، ومن هؤلاء نبغ أشهر من  
ازدان بهم الأدب العربي .



## دراسات الكتاب لابن زيدون

« أثبتنا في هذه الصفحات أهم الدراسات

التي كتبت - في العصر الحديث - عن

ابن زيدون إعمالاً للفائدة . »

### — دراسة الدكتور أحمد ضيف<sup>(١)</sup>

اقتربت الوزارة في الأندلس بالأدب ، فكان الوزير كاتباً وشاعراً ، وكان أشهر الكتاب والشعراء وزراء ، وكانت العمرة بالكتابة والشعر ، وفنون الأدب ، ومروج العلوم من وسائل الوصول إلى امتلاك الوزارة ، فكان للوزراء أثر عظيم في سير البلاغة والأدب ، وأصبحت منزلة الأدب كمنزلة الوزراء أنفسهم في الدولة ، وظهر في الأندلس طائفة من الرجال الذين تربصوا في مناصب الملك ، وتعلموا في صحراكم الدولة ، وتعلموا على شئوننا ، وهم جميعاً من الأدباء والعلماء والكتاب والشعراء وأصحاب الشورى ، وأعلام الحياة العقلية .

ومن أشهر هؤلاء الوزراء الأدباء والشعراء المجيدين ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون المروسي الأندلسي القرطبي ، أشهر من عرف في حلبة الأدباء ، وأظهرهم ميمزة في موان الكلام وأساليب الشعر والبيان ، لأنه مصورة من صور الأدب في الأندلس ، وصحيفة من صحف البلاغة هناك ، وثمرة من ثمار غرس العرب في بلاد المغرب .

ولد ابن زيدون بمدينة قرطبة في سنة ٣٩٤ هـ وتوفي بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ وهو ثالث ثلاثة سموا بابن زيدون : أحدهم أبو بكر عبد الله بن أحمد بن غالب والده ، والثاني أبو بكر ابنه وكان وزيراً للمعتد بن عباد ومات مقتولاً ، وهم من أصل عربي كما أشرنا إلى ذلك في كلامنا على القبائل التي نزلت الأندلس من العرب . كان أبوه قاضياً مشهوراً بين قضاة قرطبة ، وعالماً وأديباً . مات سنة ٤٠٥ هـ فكان عمر ابنه إذ ذاك إحدى عشرة سنة ، وكان أبو الوليد منذ حداثة ميله إلى العلم والتعلم ، فاندفع يطلب لنفسه الكمال العقلي ، وكانت نشأته في قرطبة ساحة العلوم والآداب ، فانكب على الفرس والبحث ، وأخذ الأدب عن رجاله للعرويين ، وكان له ميل شديد لعلوم العرب وفنون اللغة لحفظ منها شيئاً كثيراً ، كما وعي كثيراً من أخبار الأدباء والشعراء ، وأمثال العرب وحوادثها ، ومسائل اللغة ، حتى أصبح في مقدمة الشعراء والأدباء ، واندمج في مجالس الأدب ، نصار طعناً من أعلامها ودعامة من دعائمها ، وكانت قرطبة لا تزال في أوج صلاحها على الرغم من أفول شمس بني أمية بها ، وأهلها في رخاء من العيش ، أكثرهم يميل إلى العلم والأدب ومجالسة الأدباء ، فامتلات الحافل والجامع بضروب الفنون والطرب ، وكان لابن زيدون خفة روح ودعابة ويميل إلى الجون ، فساعده ذلك على أن يسبق غيره ، وأن يتال فهرة

(١) من كتاب بلاغة العرب في الأندلس للدكتور أحمد ضيف .

واسعة بين أثرابه . وكان لفساد أثر عظيم في هذه الناس ، فأنهم الناس إلى الاجتماع فيها واستندبوا هذا المورد ، وانصرفت هم الأدباء إلى التفوق في هذا الميدان ، فكان ذلك أثر عظيم في أخلاق الأدباء وصورة البلاغة من نظم ونثر ، وكأنما ضاعت كل صبغة جيدة في الجامع الأدبية لجرى الوزراء على المجاهرة بالبحر ، وكان ابن زيدون أحد أحوال هؤلاء لجناب إليه الأنظار .

وكان لولادته بنت للمستكى الحليفة الأموى شهرة عظيمة في قرطبة لجمالها وعلوها وأدبها ، فوقع ابن زيدون في حرمها ووقت في شركها ، واشتغل كل منهما على صاحبه ، حتى حصد عليا وحسدها الناس عليه ، وكان من بين هؤلاء الحساد الوزير أبو طاهر بن عبدوس وهو كبير المحول وال طول ، فحرب إلى ولادة حتى أملاها إليه ، وكانت ولادة ملت صداقة ابن زيدون واتهمته كما اتهمها بذلك أيضا ، فهدت طاصفة من الجفاء بينهما شلت من شغلها وحالت بين قلوبهما ، فذلك غلب ابن عبدوس ابن زيدون على أمره ، واستولى على قلب ولادة ، ثم حدث أن رجعت إلى ابن زيدون فكف عن لسانها لأن عبدوس رساله الشهيرة المرسلة ، ثم استأثر بها ثاية ابن عبدوس ، فكانت هذه الحال سبب اضطراب في حياة ابن زيدون العقلية والسياسية وهكذا كانت حال الوزراء وأرباب الفنون وقول الأدباء . وأصحاب الأقلام والفكرين ، وهذه المادته من أكبر الحوادث في حياة ابن زيدون . عاش ابن زيدون في بيئة كلها اضطراب ودساتس ، وترى ودرج في ذلك وتقلد لورارة فيها ، لأه اشترك في حوادث الاضطراب التي كانت على أثر زوال دولة بني أمية ، فكان من أشيع ابن جهور أحد ملوك الطوائف الذي ادعى لنفسه الملك في قرطبة بعد انحلال الدولة الأموية سنة ٤٢٣ . ولدت منزلة ابن زيدون هناك ، فانغمض ابن جهور وزيرا له فلك أزمة الأمور ، وكان أقرب الناس إلى سببه الذي استحل به كثيرا في المسائل السياسية ، وتأييد الصلة بينه وبين الأمراء الآخرين فدكانه ودعائه ، فكانوا يمحسون ابن جهور على الاختصاص به ، وحدثت حوادث أوجرت عليه صدور كثير من منازيسه والحاسديه على فضله ومنزله ، فحلوا عليه عند ابن جهور حتى أمر بسجنه فسجنه طويلا ، فاستمر واستعطف بما يلين من أجله الحديد ، فلم يفلح في إرضاء الأمير فمزم على إعمال الحيلة والحرب من السجن . واختفى بقرطبة إلى أن استدفع بأبي الوليد بن حمور عند أبي الحرم حتى شفع له ، وجهه أبو الوليد بمسد موت أبيه من المقدمين في دولته ، ولكن ابن زيدون لم يأمن على نفسه من بقاءه في قرطبة ، فهاجر إلى إشبيلية سنة ٤٤١ . ودخل في حاشية للحمض بن عباد وصار وزيرا لابنه للحمض وبقي هناك إلى آخر عمره . هذه حياته وأخلاقه ، وقد ذكرها في شعره ونثره ومنها يرى أن حركاته كانت تتحرك في خطوة بخطوة ، فكانت حياته العقلية نتيجة هذه الحياة ، فذلك يمكن أن نسم آثاره الأدبية إلى أصنام ثلاثة : عشقه لولادة وأثر ذلك في نفسه وما كتبه في هذا ، ثم مدحه لابن حمور وابن عباد ثم أثر السجن في حياته العقلية .

### شعر ابن زيدون

كان لأخلاق ابن زيدون والبيئة التي عاش فيها وميول الناس إلى الأمور أثر عظيم في شعره ، فقد كان للبحر مسمحة خاصة في النظم والنثر ، فبرع ابن زيدون في النزل ، وكثير من شعره في ذلك كان منبسطا من نوران في نفسه وغيايل ميوه وأموائه ، أذكر ذلك كله حبه لولادة ، فإن عشقه هذا فتح له بابا واسعا

من الخيال قال فيه ما شاء وشاءت هواطه أن توحى إليه ، كذلك كانت آلامه وما لاقاه في السجن باحثاً من بواش استهاش ملكة النحر فيه وإلهامها من إلهاماته الفنية .

وفي به أمداؤه وحاسدوه إلى ابن جهور ، وكاد له منافسوه في حب ولادة حق تلوا منه ، وشفوا غلتم بحمل ابن جهور على سجنه بعد أن أحله منزلة الوزير بدبر ملكه ، وبعد أن اتسبه وعرف له رأيه السيد وبراهته في إدارة الأمور وسله زلم الدولة ، ولم يكن لابن جهور أن يخطئ في نظره لما اشتهر به نفسه من سداد الرأي وصحته ، فإذا ناله ابن زيدون مكانة في نفس ابن جهور ، فقد كان ذلك من جنابة واستحقاق ، ولكن أمداؤه تمكنوا من ابن جهور منصب عليه وأمر بسجنه ، فأنار هذا السجن من نفس ابن زيدون عاصفة فنية جديدة رقت من خياله التشرى أنارتها آلامه فأخذ يش أنبأ جيلا ، ويغن في آلامه ووصفها والتصير منها مرة شعراً ومرة نثراً . . . والفني يمزج فنه دائماً بكل ما يرى ويسمع ويشعر ، ولقد كانت نفس ابن زيدون من النفوس البقية الادراك ، التي إذا أتت تنش أين الموسيقى ، وإذا شكت تشكو شكاة القلوب للملوءة شعوراً الواسعة التصور والإدراك الدقيق ، التي يجعل الشكوى جيلة والكلام فيها جيلا . كتب ابن زيدون من السجن إلى صديقه أبي حفص بن برد يشكو ويئن من بلواه وهو ينهض الأمل مرة ويقعده اليأس أخرى ، ولا يترك شاردة تمر بخاطره إلا هدأ بها نفسه ، وتسل بها عن آلامه . يستسلم أحياناً إلى القضاء فيشعر في نفسه براحة واطمئنان ، ويقب أماءه صفات الأيام فلا يصب من الحوادث التي آلت به ، ويرجع إلى صديقه فيسليه هو بنفسه ، ويسأله ألا يكف عن مجونه وتسلته ، لأن السعادة خلة ، ثم يرد فيذكر أمداءه ويثلمهم ويبن أن ذلك ليس بالسبب لأنه :

إن قسا الدهر فلقساء من الصحر انبحاس

وبرى أنه حسد لمكانته ، ويمزج ذلك بالمر والحكم والسخرية والتهكم من أحوال العالم وحوادث الحياة ، ويرجع أئينه وآله وحده على الناس ، ولا سيما حاسديه ، ويضرب المثل كي يسكن من نفسه ، وهو في ذلك كعادته في الشكوى : يربط مرة إلى الدرك الأسفل من اليأس ، ويرفع أخرى إلى ذروة الرجاء ، وكأنه في شجار مستمر بينه وبين نفسه وشعوره ، كل هذه الماني في آيات قليلة بأسلوب جبل رقيق ، يكاد يلجح الإنسان فيها خاطره المضطرب المتناوج . حيث يقول :

« ما على ظني بأس يجرح الصخر واسو » الخ

هذه نقحات القلوب ، وهذا هو الشعر الفني يستولى على النفس ويملؤها الحكمة والعبرة ، وهذا هو جمال القول ، ليس ذلك لأنه مطرب مرسى بوزنه وعايته ، بل لأنه ساحر بمعانيه وجماله ، كل معنى فيه يحتاج إليه النفس في مثل هذه المواقف ، ولقد كانت هذه الماني سائمة للنفس لأن الشاعر صادق في قوله ، مبر عن شعوره يرسم صوره من نفسه الحزينة المتألدة ، لهذا كان الشعر جيلا .

وقد بدأ قصيدة من قصائده في هذا الشعر بنفسه ، وأمين في ذلك ، وكأنما كان يبكي حظه ويندبه بهذا الأسلوب الغمري ، وكأنما كل معنى من هذه الماني كانت تهدي خاطره وترج نفسه ، فلما مدح ابن جهور مدحه في قالب استعطاف ، وتوسط بين اللوح الحامس والتب الجدي ، وقد ظهر بنفس كبيرة وأق أم حتى أنه مدح نفسه أكثر من ابن جهور ، فكان مادما أشد منه طائبا ، لأنه كثيراً ما كان في مثل هذا الموقف لا يبنى الشعر بنفسه ، ولا يريد أن يعلى عليها ولو همسا أنه في موقف مثله ، وكأنه كان يتسلى بهنا ، لأنه يرى أن أمداءه لم يتلوا منه إلا لأنه فاتهم بملء فضله حتى إنه قال متكبها :

« ولو أني أسطيع كي أرضي الصدا شريت بيض الملم حظاً من الجبل . »  
وكل قصائده التي أرسلها يستعطف بها ابن جهور هي أثر ذلك الشفاء الذي تلقى في سجنه ، وصورة من صور  
اليؤس الذي حرك شعوره وفتح من لسانه ، وأثار في نفسه عواطفه الشعرية المدهلة للبلوة هماً وغمماً .  
ولكن أسلوبه في التكوى والاستعطاف واحد في نظمه ونثره ، وما أشبه قصائده في ذلك وما فيها من  
من اللاماني برسلاته الجديدة ، وكأنما كان فكره سجيناً مثله من شدة تأله في السجن ، فانه لم يخرج من  
عادته في ضرب الأمثال والفخر بنفسه ، وأنه أفضل إنسان وأكرم من دب على وجه الأرض .  
غير أن كلامه مع ذلك عند المذاق ، وقيق الحاشية ، جناب خلاب ، تدهر عليه سيما الابتكار  
والصدق في التعبير ، فانه ليس من الخيالات الشعرية العفوية ، بل به كثير من الحقائق التي كان يملئها عليه  
شعوره كما قال :

« ما جل صدك لخطي في سنا القدر إلا ذكرتك فذكر العين بالأثر . »

وكتب إلى أحد أصدقائه وهو مخفف بمرطبة بعد فراغه من السجن ، فقال :

« ... وبلقي أنك أحد اللاميين في الخ »

إلى أن قال :

« شحطنا وما بالدار مأي ولا شحط وشط بمن نهوى الزار وما شطوا . »

إلى آخر مقال في هذه القصيدة التي هي من أبداع قصائد التكوى وأجمعها لذكر الماضي والحاضر والاستفهام  
والاستعطاف ، والسرور بذكر ما اتقى والكاء على الحاضر ، وهي أيضاً أظهر في لهجتها الجديدة من  
كثير من شعره ، ولذلك كانت أحف في أسلوبها ومعانيها ، ليس بها تلك الرقة للمهودة في كلامه ، كل ذلك  
هاحه السجى وما تذوقه من الآلام ، فرسمه في شعره ، لأنه رجل في يعرف كيف يصور ما يشعر به ويظهر مما  
يعمل بخافه . ولقد يلاحظ الانسان أن آراء ابن زيدون آراء عامة ليست ناشئة عن تفكير طويل أو  
علم واسع ، وإنما هو خيالي أكثر منه مفكراً ، وشاعر أكثر منه عالماً ، وهذه كل حال شعره ونثره .  
أما مدحه ورنائه بمعاني الرتبة الأخيرة من شعره ، لأنه على جمال أسلوبه في ذلك ، وحسن تصرفه في اللاماني  
لا يكاد يمتزج الاساذبه على معنى حديد ولا رأى خاص ، بل يكاد يكون كل ما جاء من اللاماني من قيل معارضة  
غيره من الشعراء والأخذ بمعانيهم بمزجاً ذلك بما له من البراعة والصناعة والافتنان .

ومن أجل قصائده كلامه في المعضن بن عباد وابنه للتمند ، ومن أرق كلامه في التكوى ، وأقرب  
مباراته وصولاً إلى القلوب بكأوه على الماضي ، والتقليد بذكره وما كان فيه من النعيم كقوله :

« الهوى في طالع تلك السجوم وإلى في هبوب ذاك النسيم . »

ولهذا كان ينظر إلى أطلمه الماضية فيمن إليها حنيناً مؤلماً ، فإذا قرأت شعره في ذلك رأيت نفسك كأنك  
واقف على أطلال سعادته البالية ، فيكي وبكيت معه ، كما قال :

« ألا هل إلى الزهراء أوبة نارج تحضت مبانها معامه ترما . »

### الغزل في شعر ابن زيدون

ينين من أحوال الاجتماع في الأندلس ، وميول النفوس ، واختلاط النساء بالرجال ، واندماج كثير من  
الأدبيات في مجالس اللهو والطرب ، أن المرأة شملت جزءاً عظيماً من أوقات الرجال للفكرين ، وملأت



وهو منهم ، كما أن مجالس الغرب كان لها سلطان عظيم على نفوسهم ، فكانت المرأة تحرك المواطن والشعور ، والمجر تدر العقول ، وتبلى عليها القبول ، وتفتح أمامها طرق التصور والخيال ، والقول ثمة بنشوة الغرام والرهوس متفلة بحمارة اللذام ، والناس لا يفوتهم الطرب ، ولا يريدون أن يتواروا عنه لملقته بنفوسهم ، حتى في أشد المحن ، فقد رأينا أن ابن زيدون كتب وهو في سجنه لصديقه أبي حمص بن برد يقول :

« وأدر ذكرى كاساً ما انتظت كملك كاس

واغتم صنفو الليالي إنما العيش اختلاس . »

وقع ابن زيدون في شرك ولادة بنت المستكفي بالله ، وكانت خلية ماجة بأربعة ربيعة بين الأدباء « تناضل الشعراء ، وتساجل الأدباء ، وتفوق البرعاء . . . خرجت على نهاية في الأدب والطرف ، حضور شاهد ، وغزارة أوابد ، وحسن منظر ومجهر ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطة متندي لأحرار العصر ، وفناؤها ملياً بلياد النظم والنثر ، يمشو أهل الأدب إلى ضوء قمرتها ، ويتهاك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عفرتها ، وسهولة حجابها ، وكثرة منابها ، تحفظ ذلك بانور لصاب ، وكرم أنساب ، وطهارة أثواب ، على أنها أوجدت لفقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ، وبجاءتها بلباها . . . » وقالوا « إنها كانت بالمغرب كملية بالشرق ، إلا أن هذه تزيد الحسن ، وأما الأدب والشعر والنادرة وخفة الروح فلم تكن تنصر عنها ، وكان لها صنعة في البناء ، وكان لها مجلس يشاء أدباء قرطبة وظرفاؤها ، فيمرّ فيه النادر والشاذ كثير مما اقتضاء عصرها . . . . . وكانت من الأدب والطرف ، وتمتيع السمع والطرف ، بحيث تغلس القلوب والألباب ، وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب » فقال ابن زيدون رضاها ، ووقع من نفسها كما وقعت من نفسه ، حتى كتبت إليه تفريغ له موعداً فقالت :

« ترقب إذا جنّ الظلام زيارتي فاني رأيت القيل أكنم لمر

وي منك ما لو كان بالنفس لم تلح وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يمر . »

قال أبو الوليد : « فلما طوى النهار نوره ، ونصر القيل دنائره ، أقبلت بعد كالتغيب ، وردف كالكتيب ، وقد أطلعت نرجس الليل ، على ورد الحبل ، فلنا إلى روض مديح ، وظل سجع ، قد قامت رهايات أشجاره ، وفامت سلاسل أنهاره ، ودرّ الطلّ منثور ، وجيب الراح مزبور . فلما شبتنا نأرها ، وأدركت منا نأرها ، صرح كل ما يحبه وشكا ما يغلبه . . . وأنشدتها :

« ودع الصبر محب ودملك ذائع من سرّ ما استودعك . »

وكتبت إليه بعد ذلك تقول :

« الأمل لنا من بعد هذا التفرق سبيل فيشكو كل صب بما لقي . »

إلى أن قالت :

« تمرّ الليالي لا أرى البين ينقضي ولا الصبر من رق التشوق معني

سقى الله أرواً قد غدت لك منزلاً بكل سكوب هائل الويل مفدى . »

ولا نريد الآن أن نتكلم في المتن وأثره في النفس وما يوحيه من روائع القول وجمال الفكر حتى عند عامة الناس ، فإن تاريخ الإنسانية حافل بموادته . ولكننا نقول : إن المشق في كلام العرب أو شعر الغزل كما يسمونه ، ليس من المسائل الخزلية . لأن الشعر الذي هو وحى النفوس وجمال الإدراك الإنساني ، أكثر ما يكون ظهوراً في التعبير عن الحب ، ووصف هذا الضعف الإنساني الذي نسميه عشقاً ، فإن المشق إدراك

أكبر مظاهر الجلال في الحياة ، ومن لم يفتح قلبه يوماً ما ، لم ير غير ظواهرها ولم يقترب إلى نفسه بصميم ضوء من جلال مظاهر الحياة وأسرار النفوس في التألف ، وكثير من آمال الناس في تلك الصلة النفسية ، والشوق وما فيه من سعادة وجمال سر كامن في الشعر ، لأنه مصدر الشعر الحياتي الجميل . لذلك كان أجل الشعر ما يكشف عن سر من أسرار النفوس ، ويقتنع القلوب . ويظهر مكنونات الإنسان وأخلاقه وآلامه وآماله . لأن النساء منبع من منابع الشعر ، والشعراء مدينون لها بأفضل الصفات لديهم وهي وصف شعور الناس ، والشاعر الذي يشعر بالحلم لا يتكلم عن نفسه بحسب ، وإنما يجمع آلام العشاق وأنينهم فينالهم ويثقل مهمهم ، وليس أعذب من هذه الآلام ولا أحب للنفس من سماع هذا الأنيب . لأن الشاعر يصوغ بكلماته امتزازات القلوب ورنات مايجول من المعاني ويدفعها إلى النفوس فتصير إليها ، ويدعها بين المعاني فيرى كل قلبه وكأنه ينظر في امرأة يرى فيها صورته ، وذلك لا يكون إلا في الشعر .

فإذا أخطأ العرب في إعطائهم في هذا النوع والاكثار منه ، فقد أخطأوا من جهة واحدة : وهي تكرار المعاني وتقليد بعضهم بعضاً في ذلك ، وظلمهم أن كل قلب يجب بشكل واحد ، وإن صلة الحب بتظاهر الجسم قوية متينة ، وأن المعاني محصورة في ذلك . ولكن ابن زيدون ليس من هؤلاء المقلدين ، بل من الذين كانوا يجولون جولات واسعة في الحيات ، فكان فياً مبدعاً . أرابت شعراء العرب كيف يطنون في وصف الأمكنة التي احتسوا فيها مع صديقاتهم ، وهم يتخفون ذلك وسيلة لأمرين : الأول إحياء ذكرى تلك الأيام والأمكنة وما فيها ، إذ كل شيء هناك كان يشهد حبهم ويصف على عشقهم ، وتلك الأمكنة جيلة لأنها احتوت عليهم ، والأضواء التي سطع عليهم والأشجار التي كانت تظله ، والكواكب التي كانت تجسس أخبارهم ، جديرة بأن لا تنسى ، لأنها أثر من آثار العشق . الثاني أن الشاعر الذي يمر من التكرار ، ويعرف أن معاني العشق والحب سر طافد ، فهو يتجامل على شيء من المعاني الأخرى التي لها صلة بذلك ، كي يتسنى له أن يجول في ميدان أوسع ليصل إلى التعبير عن مراده ، أو يمنع العقول من أن يدركها الملل . فهو يستعين بذلك كما يستعين المصور الماهر بالألوان لإظهار الصورة التي يريد أن يرزها . كذلك كان ابن زيدون من هؤلاء الفنانين أو قرياً منهم . فقد التحا إلى مدينة الزاهراء الجلية في أيام الربيع ، يريد أن يسلي نفسه ويخفف عنها من أثر حبه ولادة ، فذكر في شعر أرسله إليها كل ما كان يحيط به إذ ذاك وأبدع أبجاً إبداع ، وافتتحتا عظيماً في ذلك ، فقال :

« إنى ذكرتك بالزاهراء مشتتاً والأفق طلق ووجه الأرض قدردا »

وإذا كان لابن زيدون ميزة في شعره الغزلي فليس ذلك في ابتكار المعاني التي لم يسبق إليها ، وإنما في طريقة تصويرها بعبارة تلك النفوس وتستولى على القلوب وكان الإنسان لم يقرأ مثلها ولم يسمع بها يشعها بلودة الافتتان في التعبير والاسلوب . كما في قوله :

« إليك من الأنامل هذا ارتياحى وأنت من الزمان مدى اقتراسى . »

وقد يسمع الإنسان أنينه في شعره ، ويرى أنه الحزينة من خلال كلامه ، وكأنه يرى تلك الحيرة وذلك الفلق النفس الذين يملآن نفوس العشاق ويمتنان منهم راحة الحياة ولذاتها . على أنه يلحظ لذكر محبوبه ويدوق الآلام بسببها . فيقول :

« متى أنيك ما بي يراحتي وعذابي . »

ولقد بلغ درجة من التعبير يحمل بها القارئ على الاعتقاد بأنه محض كل الإخلاص في حبه ، وأن حبه هذا هو كل أميته ، وأنه يرى في سبيل المشق ما لا يراه غيره ، ويهون عليه كل شيء في سبيل لإرضاء حبيبه حتى حياته ، وهو غرور بهذا كما قال :

« أنى تصيح عندك أم كيف تخلص عندك . »

على أن لا نرى ابن زيدون من التصنع أحياناً مما يقول لأنه كان كبيره من الشراء بهو من خير شعور ، فإن تمكنه من الصاعقة كان يفتق لسانه قول الشعر ، كما قالوا إن السلطان أمره أن يحارض قطعاً كان يفتق بها ، واستحسن الخلفاء ، فأشأ أحياناً كأنها صادرة من طاشق مقيم ، وضربها مدح السلطان ، فقال :

« يقصر تركك لبلى الطويلا ويهتق وصايت قلبي اللبلا . »

وفي محس كلامه ، ما يدل على أنه كان يصيد الألفاظ والمثاني التي قيلت في المشق ، فينظمها ويلبسها ثوباً جديداً وكثيراً ، وقد برع براعة عظيمة في ذلك كما قال :

« يا غزالا أسأري موثماً في يد المحي . »

وهو في كل كلامه مبدع مجيد متفوق على غيره ، خفيف الروح ، ضيق الألفاظ ، سهل الأسلوب .

أما توبيته التي أرسل بها إلى ولاده وبها كثيراً من شؤره وآرائه المختلفة ، فهي على شهرتها وجلالها كمثل شعره ولها لم نذكرها .

## نثر ابن زيدون

اشتهر ابن زيدون برساليه الجدية والمزلية . أما الأولى فهي التي كتبها في سنة يستطع بها ابن جهور وأما الرسالة المزلية فكانتها على لسان ولادة يتكلم على ابن عديس ويذل منه لمشاركته في غرامه .

اشتهر ابن زيدون بأبي الرسائل لحودة أسلوبها انشاداً للمثالي ، واحتوائها على كثير من الأسباه التاريخية والأمثال العرابة ، واقتباس أبيات من الشعر معروفة وقت في صوغ الكلام وكأنها حملت من أجله ، أو قيس على سمته ، وليس من المحل اقتباس المثل في أمثله ، ولا من الجب أن يخوض الإنسان فيقول الأدب انوسع ويسهل عليه الاختيار منه ، ويحفظ نفسه من الضلال في نواحيه ، ويميز بين الجيد وغيره ، ويختار ما ياسب القام ، ويكون ذلك مقبولا لدى النفس ، ثم يصوغ ذلك كله في قالب واحد ويضم بعض أجزائه إلى بعضها ، ويعدده كما يحض الزبد ، فلا يتأخر منه جزء مع آخر .

إن الكلام على هذا النحو لا يصعب من الابتكار في التأليف للبدء ، وكما قرب إلى القارئ الأسلوب وصعب عليه معرفة تأليفه ، شعر بسمة اطلاع الكاتب ، وأجبه وكبريت في هذه منزله ، وكما فاجأه اسم لم يكن يحط له به ، أو رأى جانب من ذهنه ، أو يجمع إلى قصة لا يظن أن تذكر في مثل هذا الكلام ، أو هارة تمرك من نفسه حب الاستطلاع ، أو مثل القطة ، أو ذكر رجل شهير يحمده ، أو نكتة تتر بها فسه ، أو مسألة منية يرتاح لها ويشتد بدكرها ، زاد إعجابها بالكاتب وما كتب ، ورأى أن كل إنسان غير قادر على ذلك ، وأن حسنه صفة يختار بها الكاتب عن سواء . كل ذلك في نثر ابن زيدون ، وهو من دواعي الإعجاب بأسلوبه في رسالته ، فقد عرف كيف يأتي في كتاباته بالناسق في المعاني والألفاظ ، بل عرف أن يأتي بهذا الناسق في التأليف والجمع ، وكيف يصيد كلام غيره وبرصه رصداً جيلاً ، كما أمكنه أن يرسم لنفسه منجماً جمع فيه كل معلوماته ، واختار منها ما يناسب حاجته وموضوعه ، فكانت رسالته أيقنة

جميلة ، وكان كالمهندس للناظر الذي يعرف كيف يجمع بين الحبر والحجر ، والمصور الفنان الذي يؤلف بين اللون واللون . وقد حلول ابن زيدون في رساليه الرسول إلى غرضه ، فلم يدع وسيلة ما يمس بها اللحن في نفس القارئ فنهل عليه المعاني ويكون غرضه أوضح ، ورأيه أظهر ، إلا فلها ، فكل ما ذكره من الأمثلة اللطيفة والمعاني المختارة قصد به توضيح ما يريد .

في رسالته الجديدة أراد أن يستعطف ابن جهور ، ويرى نفسه مما اتهم به ويشكل بأعدائه ، فبدأ رسالته بالاستعطف وهو يستنقل نفسه تارة ، ويمدح ابن جهور ويظهر لإحلامه له ويشلق إليه أخرى ، ويعتذر عنه فيما وقع منه في حقه ، ثم يبين له شدة آله من شهادة أعدائه ، فقال :

« يا مولاي وسيدى الذى ودادى له . الخ . »

ثم أخذ يحلل بالأمال ، ويضرب في ذلك الأمثال ، ليسل نفسه ويهين منها عبارات شمرية يريد أن يؤثر بها في نفس للرجو ويحمده على كل شيء ، كما يحمد الله على السراء والضراء ، فقال :

« هذا القتب محمود عواقبه ، وهذه النبوة ثمرة ثم تنجى . »

ثم وقف موقف اللذة وكأنما يسبح الإنسان بكاءه في كلامه ، واستصغر ذنبه في ساحة هو سيده ، وفي جوار ما ارتكبه غيره من الذنوب الكبيرة ، فقال :

« وأعود ما أقول : ما هذا الذنب الذى لم يسه عهوك . الخ »

وللحجب في ذلك من حمور فحده مما يدل على ثقافته الشديد ، ثم أخذ يسه ذلك يرى نفسه ، ويجب من سيده الذى يسي إلى أعدائه ، على ما كان له من اللزلة التي لم تدفع عنه ذلك ، وأخذ يلوم ابن جهور لو ما لا يظهر إلا من خلال عباراته ، لشدة تمكنه من مصرف الكلام واختراعه فيما يقول :

« فكيف ولا ذنب إلا نعمة أهداها كاشح . الخ »

ثم ذكره بإخلاصه له ، ومدحه إياه ، وأخذ يرجع إلى استعطائه وبخله ، فقال :

« وقد زاني رسم خضعتك . الخ »

ثم حاده مرة نفسه فأعقل تلك أخرى ، مبن له أن مثله لا يصير على الموان وأنه يستطيع لفرائه ومعر بله إلى مكان آخر ، ويخطو من حبرته هذه بما صي أن يلاق من الآلام مستأناً بأدبه وفضله ، فقال :

« ولعمرك ما جهلت أن صريح الرأى أن أهول إذا بلغت الشمس الخ . »

وكأنه شمر بأن هذا يدعو ابن جهور إلى أن يلقى استعطائه لما يطن في هذا الكلام من حجب ابن زيدون بنفسه ، فأخذ يلفت من حده ، ويمكن من حياجه ، ويظهر تمكنه بجوار سيده لأنه أفضل شيء له في الحياة ، فقال :

« خير أن الوطن محبوب ، وللتأ مألوف . الخ »

ثم أخذ يحوى أمه في إجابة طلبة ، ويضرب الأمثال في ذلك ، ويمدح البدء في جوار سيده بقوله :

« أميذك وهى من أن أشيم خلبا وأستطر جما . الخ »

هذا أكثر ما في هذه الرسالة الجديدة ، وأعظم ما فيها تأليفها الذى يرى من خالصة تلك النفس الحائرة للضربة التي تسبج مرة وتحمده أحياناً ثم ترجع وتلين ، وكأنما الكاتب في نزاع مستمر بين نفسه وأهوائه ، أو كأنه هو وهذه قرنان : يفتقد كل منهما عند ما يخاف قوة صاحبه .

هذه صورة نفس ابن زيدون يراها القارئ إذا وقف من كعب ونظر إلى حركاته وهو يكتب أو

ينكر في هذه الرسالة . يرى هذه الآية وهو يفر بها ويطن أنه من أهل الفضل ، ويرى هذه التهمة ، وهو يحسب ويسد القنوب الكبيرة التي تستحق مثل طوبه ، لا يريد أن يقول هذا ظم ، ولكن يريد أن يقول هذا حق وخرق في الرأي ، ويرى هذه الكتيبة التي أحبتها الأكارم فذلك وأخذت تستطف وتستنفع وتتملق ، يرى الإنسان كل ذلك في هذه الرسالة ، ومن هنا جلتها وإبداءها . لا ما بها من الأسلوب المبلغ أو العبارات المحاذرة لا غير .

أما رسالته الثانية التي كتبها لابن جدوس من لسان ولادة ، فقد دلّ فيها على اطلاع واسع بالأمثال والأخبار ، وعلى طبع أوسع في المعاد ، لأنه أفنّع في ذم ابن جدوس إقذاها ، وتكلم به تكلماً لا مثيل له حتى إنه ليحيل إلى الإنسان أنه جمع كل ما يمكن أن يقال في الذم والتكلم وأفرغه على ابن جدوس واستعمل أسلوباً جليلاً يبدل على تمكنه من التصرف في الكلام ومعرفة امتلاكه عقول القراء ، لأن هذه الرسالة على ضوئها وكثرة الانقباس فيها الذي يستغرق أربعة أحاسيس أو أكثر ، وعلى ما فيها من الأمثال والمعروفة والآيات المعبورة ، والأطباء في ذكر الأسياء التي يكنى منها القليل ، ليس فيها ما يدعو إلى اللال ، ولا ما ينسر بالاستهجان والافتعال . دلّ أن بها شيئاً كثيراً من تلك الصيوب ، فقد ذكر أكثر من خمسين اسماً لمشهورى الرجل ، مردها سرداً ، وكان يكنى عفرها ، وأكثر أيضاً من صفات القم مما كاد يكون ثروة ولو ، ولكنه ستركب ذلك يبراحته في المتعة ، وليس أدل على جفاء الطبع ولغظه من هذه الرسالة ، فقد ابتدأها بسماعة فادرة ، ولكنها سفاضة أدبية فنية فقال :

« أما بعد أيها المصاب بطله . الخ »

وسار على هذا النحو وأكثر من ذكر هذه الأسياء ، ثم أفنّع في القم والحس في صمته قال :

« ومهما لم تلاحظك بين كاتبة من هؤلاء ملؤها حبها حسن منها من تود . الخ »

واستمرّ على هذا النحو إلى آخر الرسالة يفر بالأمثال للاستهزاء والتكلم ، ولقد كشف ابن زيدون في هذه الرسالة عن نفس حقودة محبة للاهتام وأنه شديد الحفيظة ، ودل على غلظة في طبعه ، وخشونة في أخلاقه مع ذلك فهي رسالة تمتاز بأسلوبها ، وتناسق عباراتها ، ولعلّ ابن زيدون أخذ هذا الأسلوب من الجاحظ في بعض رسائله ، كما في رسالة الترميع والتدوير .

## ٢ - دراسة الأستاذ السكندري<sup>(١)</sup>

علمه وأدبه وبديعته :

نشأ ابن زيدون في عصر اختلف فيه نظام ملك بني أمية لجأه بحيرة البربر للثبوت ، وكانت هذه الثورة وآثار الحضارة في كل شيء من علم وأدب وفنون ضاربة بجرانها في قرطبة ، فكانت غنية بالماء والنفاء والعبيد والسنمراء والمهندسين في كل صناعة ممن يتقوا في عصر النصور المعنى ، فصادف ابن زيدون من قبل من علمهم وكرم من أدبهم ، وكان أبوه وعشيرته من أهل الفقه والأدب فلم يكن لإبائه على ما أخذ به أهلهم أنفسهم بدءاً من نفسه ، وإعما جرى في مفاهمهم فزعم طاماً وأدباً ، وبعد صيت وطور ممة .

(١) مختصة من بحث طويل معجم للأستاذ السكندري لغيره مجلة الجمع العربي .

## كتابة ابن زيدون

### (١) طريقته فيها :

كانت طريقة كتابة الأندلسيين منذ عصر الناصر والمستنصر جارية على أسلوب ابن العميد وحلته من أمثال صاحب بن عباد والبيديع والخوازمي والصابي ومن تابعهم من أمثال الحريري والصاد والاصمغاني ، وكان الكتاب الأندلسي الذي ينسج على منوالها ، وإن حلّ للأثر من النظم وضمن بعض القرآن والحديث لا يلبث ذلك على قوله تنقذ فيه صورة نفسه وخاصة طبعه ، بل كانت تكون له التشبيهات الرائعة والتعليقات الحسنة ثم هو لا يخرج عن التزام السجع غالباً . وابن زيدون رعى هذه الطريقة من بعض الوجوه وخالفها من بعض ، فأما ما رعاه في كتابته منها فهو :

- ١ - حل للنظم من مشهور الآيات .
  - ٢ - الاحتجاج والاستمهاد بكثير من هذه الآيات - متصلاً لها استعمال الأمثال فلا ينسجها إلى قائلها .
  - ٣ - الاتنباس من القرآن الكريم أو الحديث بلفظهما أو تغيير بعض نظمهما .
  - ٤ - تضمين الحكم والأمثال بلفظ أصحابها أو تغيير في نظمها .
- وأما ما خالف فيه فهو :
- ١ - عدم التزام السجع .
  - ٢ - الاستكثار من أمثال العرب القديمة استكثاراً كاد يمسد قوله الحاصل بجانبه زائماً وبخاصة العرب من هذه الأمثال .
  - ٣ - الاستكثار جداً من ذكر أسماء رجال التاريخ المشهورين .
  - ٤ - الاستكثار جداً من أسماء الوقائع الشهيرة في التاريخ .
  - ٥ - الاستكثار من الجمل المترادفة على مثال واحد في المعنى الواحد حتى يتكوّن منها فصل طويل يشغل فراغاً كثيراً من الرسالة لو اقتصر على فقرة واحدة من الفقر المتكررة في المعنى لترك الرسالة إلى خصلها أو سدسها . وهذه الطريقة غلبت على كتابته وعلى رسائله الجدية والمرلية أغلب ولاسيما المرلية .

### (ب) منزلته فيهما :

اشتهر ابن زيدون عند المعاصرة والمشاركة بأنه من بناة الكتاب والشعراء ، فأما الشعر فلا جدال في استعماله ، فلاستحقاقه ذلك الصيت الناتج فيها تأويل وتعليل يخرجان عن حدّ بلاغة الكتابة في ذاتها إلى أمور خلوجة عن جوهر الابداع ، وذلك أن كتابته اشتهرت بين الناس لأسرین :

أولاً : أنها ليست على منوال كتابة الأندلسيين في عصره بل هي مخالفة لها في بعض الصور ، وصدر العمل المخالف لصل الناس من رجل متوسط في الحال لانت بداهة للأفكار ، باهر للفنوس ، فكيف به لو صدر من ذي شأن ليه بمنصب رفيع ونسب مهيب ، وصيت ذائع في السياسة والأدب والشعر وحسن المحاضرة والتأدية .

وثانياً : أنها باهرة لاجتماعها وروعة أساليبها وشدة حوكها في نفس قارئها بل بما اشتملت عليه من وفرة التضمين والاستمهاد والوقائع وأسماء الرجال ، مما يكبر من شأن كاتبها في الصدور ، ويهيئ له

بطول الباع ، وسعة الاطلاع ، ويكبر من شأنها هي ، إذ تكون بمثابة مجموعة أدبية حافلة بما تورد الأقوال ، مرمّعة بكثير من حوادث التاريخ وأسماء الأبطال ، بحيث إذا حفظناهم متأدب الرسالة فيها أودعت صدره زبدة اطلاع كثير وبخت طويل ، فكان شهرته آتية من طريق انتشيف والتعليم ، فتكون في الأدب أشبه بمن من متون العلم كثير المسائل والاحكام وجيز المبالغة ، وهذا السبب بعينه هو سبب شهرة مقامات الحريري ، وبعض القصائد المختوية على كثير من أسماء الرجال وحوادث التاريخ والحكم والأمثال ، كقصيدة ابن دريد ورائية ابن عبدون في رثاء دولة بني الأفطس ، ونونية الرندي ، ولامية ابن الوردى ، ونونية البستي ونحوها ، وكلها عطية الأثر في التعليم والتأديب وسرعة التوقيف على أكثر ما لا يسع الأديب جهله في لفظ يسير وزمن قصير ، لاقى بلاغتها ذاتها وحسن تأثيرها في النفس حتى لتستجيب النفس لهاهبها ، وتميل على قائلها ، ولذلك تحد رسالة ابن زيدون الجديدة التي استمطف بها جهوراً لم تؤد ما وضعت له . ولا نفي بعلامتنا هذا أن الرجل كان قليل الحاطر ، أو ضعيف الارتجال ، فكل من تعرض لذكر أخباره يصفه بقوة المارسة ، وسرعة البديهة والارتجال ، وأنه كان في مجلس ولادة يرتمل القطعات الشعرية البليغة ، ومحاضر بالكث التاددة والأجوبة المسكتة ، ودفن بعض حرمه فوقف الناس بمرّونه على اختلاف طبقاتهم فما أحاب أحداً بما أجاب به غيره ، وذلك غاية لاندرك .

ولما خلق الرجل شاعراً مطبوعاً ، واضطرته الوزارة إلى الترسل والكتابة فكانت كتابته بالشعر أشبه منها بالثر ، وأكثر الغاربة لا يتحدثون إلا في شعره على عكس المشاركة .

### رسائله الجديدة

هذه الرسالة أشهر رسائله وأجلها ، وأكثرها فائدة على المتعلمين الذين يحفظونها لذوّع فصولها وتعدد الأغراض التي رمت إليها ، والمعاني التي لوحت بها على ما أبانت من أمل كاتبها ، وما حوته من روعة التأثير في النفس . وهذه الرسالة بثت بها من الصحن إلى جور يستمطفه بها ولكنه مزج الاستمطاف بكثير من الزهو والامتنان ، واستفظاع العقب على ذنب متوهم على طرقة الكتاتبية التي وصفناها آنفاً . وإذا قلنا هذه الرسالة إلى حاصر الأغراض التي تألفت منها وجدنا أنها لا تعدو عمدة أغراض تؤدي إلى عمدة أسطر إلا أن كثرة الجمل التزادة الأسلوب والصورة زادت في ذرعها طولاً .

وذلك أنه ناداه باللفظ السيادة أولاً ، ثم اعتذر له عن نكته إياه بمد ما أسجد الجاد به الإنسان بصدق خدمته له وثباته عليه ، بأن عمل الخير قد يمد على صاحبه بالشر ، وأول هذه اللقطة بأنها صادرة عن حسن نية وقصد تأديب ، ثم أخذ يسرّط الطوف ، ويستقطع هذا العقب الذي كان يهذه كائناً روع الأبالسة وكبار الفتاك والخارجين على الأنبياء والأئمة والدين ، مع إن المسألة لا تتخرج عن وشاية حساد سمع جهود لهم فتكى وليه الذي نوه بذكره ، ثم أخذه الزهو فذكر أنه كان في مكتته أن يستبدل بخدمته خدمة من يرحب بمن الملوك ، غير أنه من عليه مفارقة وطنه ومولاه القديم ، ثم عودته من أن يكون معه كالشبي من الرمضاء بالنار ، وتناشده المتي حتى توقع المكاف ، ثم استملح نثر هذه الرسالة ورأى أن يستلطفه بقصيدة ، فكانت هذه في وأينا آقى لفظاً ، وأهذب مورداً ، وأطج الساقا .

« ثم أورد القصيدة وقال : »

## محاسن هذه الرسالة ومعاييرها

لا ريب أن مكان هذه الرسالة من الأدب العربي مكان المشهور المأثور المعطوط في الصدور المجلد في السطور وذلك لأمرين :

الأول : أنها جراب أدب حلو لجة بمناذج مختلفة من هيون مواد الأدب بما ضمنت من اقتباس القرآن والحديث ، والأمثال ، والحكم ، والآيات المشهورة ، وحل نظم الكثير منها والإشارة إلى ما فيها من وقائع التاريخ الشهيرة التي يجدر بالأديب معرفتها والاستمهاد بها .

الثاني : حسن ملائمتها بين هذه الصنوف وجودة وصلها وجمع شتاتها في موضوع واحد مما يسر على غير حافظ التوفيق بين متباينة ، ويجعل نطقها غريباً ونسجها جيداً .

الثالث : حسنة جوارتها وجرالة لغتها في كثير من مواضعها وخاصة ما استقل به كاتبها معنى وإنشاء . ولعلنا إذا نظرنا إليها بعين الناقد وأمسنا البحث في بلاغتها أي مطابقتها في معانيها ومبانيها لمتن الغرض الذي وضعت له ، وهو الاستعطاف ، وجدنا أنها تهر دون بلوغه لجة أمور :

الأول : كثرة ما رددته كاتبها فيها من عبارات الامتنان على مولاه بطول ثناء عليه وحسن سابقته عنده وعظيم بلائه في إقامة دولته مما يبعد الرئيس عادة تمييزاً ونحياً .

الثاني : تهديد مولاه بأنه لولا حب الوطن لكان له أرفع مقام في خدمة غيره من الملوك الذين يقارون إلى الترحيب به ، ويتنافسون في استخدام أمثاله .

الثالث : أن وضعها بهذه الصورة يجعلها غير كافية بانجاح الغرض الذي وضعت له ( وهو تحريك عاطفة الرحمة والشفقة ) بما يعرف نفس قارئها عن أن يتأثر بيلافتها ويشغلها بتذكر الحوادث والنقص التي أتت عليها ، وأسماها الناس ، ومضرب الأمثال ، فلا يفرغ القارئ من تعرف اسم رجل حتى يقع في مضرب مثل ، ولا يخلص من تفهم شاهد حتى يتحتم في أوامر منه ، فيتشم فحسه ، ويقنط تأثره ، وإنما يأتي التأثير من اصحاب حمرة من الانخداعات المتكررة ، بذكر المباريات البليغة المؤثرة ، فتحدث بمحبوها أكرأ كياً في النفس ، فتجيش بالشفقة ، وتهش للمعروف ، ويمثل ذلك كالإنشاء المبرقش بكثير من أنواع اللبديع غير مؤثر بيلافته ، لشغل الذهن عن التأثير ، وصرفه إلى تمهم البديعية .

ومن هذه الوجهة نرى أن رسالة ابن زيدون ليست مثالا يحتذى للإنشاء البليغ للوثر في النفس .

الرابع : وقوع بعض هفوات له ذكرها الصفي كاحتياج نظارها إلى ذكر قارئ بعد تتم معناها وتلثم بها مع ما يهدمها ( وهذه نصرب صعباً عن ذكرها ) وكبعض أخطاء في المعنى والوقائع ( وهذه تشبه إلى بعضها ، ومن أراد مراجعة الجميع فليطه بمرح الصفي ) .

فن هذه قوله ( وتأولك في يعة العبة ) وسياق كلامه في هذا الفصل يقتضي ذكر أسماء أناس منكرات يرا هو أن يكون مثلهم ، ولم ينقل أحد من أهل الأثر أن أحداً من تابع فيها تأولها أو نكتها .

ومنها قوله « وتخلقت عن الصلاة في بني قريظة » ولم يعلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنكر على من تخلقت عن صلاة الصلوة في بني قريظة وصلاًها في الطريق بل أقر الجميع على عملها وحد ذلك من اجتهد الصعابة .

ومنها قوله « وزعمت أن يمة أبي بكر كانت قلعة » مع أن قائل هذه الكلمة عمر بن الخطاب ، ولم يقلها من إرادة سوء فلا ينبغي أن يشتمل به في أعمال الجناة .



ومنها قوله « وكتب إلى عمرو بن سعد أن جميع الحسين » مع أن المكتوب إليه الحرث بن يزيد التيمي لا عمرو بن سعد .

وقد أتى المصنف على عيوب آتية من تصحيف أو سوء تأويل منه هو ، أمرنا عنها خوف التناول .

### رسالة الهزلية

كان الوزير أبو طاهر بن هبندوس ينافس ابن زيدون في حب ولادة ، فاتفق أن حدث نبوة بينهما ، فأرسل ابن هبندوس إليها امرأة من صواحنه لتسليمها إليه ، وتذكرها بعضه وأدبه ، فردت ولادة للمرأة بالحيلة ، وكتب ابن زيدون إلى ابن هبندوس عقب رجوع المرأة هذه الرسالة على لسان ولادة ، يرد عليه ويتهكم ويهجو ويوعده . وفي ظنا أن ابن زيدون كتبها من نفسه تشفياً من ابن هبندوس لا عن رأي ولادة ورمائها مما ألحس فيها وأقنع .

والرسالة كما بعثها في ثفة أغراضها وتكرار أساليب فصولها ، وذلك أنه بدأها بوصف ابن هبندوس بأوصاف الخلق والجهلاء منكرأً منه إرسال خليفته إلى ولادة ، ثم أخذ يهجو بأوصاف في الخلق والخلق ، وإن ولادة لو أرادت الرجل لكان لها من الأكفاء من قومها وأميان زمانها من بعضه سنأً وحرماً وجلالاً الخ .

### ٣ - دراسة الأستاذ علام سلامه<sup>(١)</sup>

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن خالد بن زيدون الحروري القرطبي كان من أبناء وجوه الفقهاء قرطبة وبرع في الأدب والفنون ، فم عليه فضله ، ودفع صيته ، وارتفعت مكانته ، واختص به أبو الوليد ابن جهور أحد ملوك الطوائف واتخذ وزيراً وادتمت عليه في السفارات بينه وبين ملوك الأندلس ، فأعجب القوم به ، وتغنوا بميله إليهم لبراهته ، وحسن سيرته ، واتفق أن تم عليه ابن جهور وحجبه ، فاستعطفه برسالة الساجدة وبأثامها فلم يبن ذلك عنه شيئاً فتجبل لنفسه حتى تسلم من حبه وأعمل بالمتعمد بن عباد صاحب إشبيلية سنة ٤٤١ خل من عمل السوءاء من الخوادم ، واستخلصه استعلاص للمتمم لابن أبي دؤاد يجالسه في خلواته ، ويركن إلى إشارته ، ولم يزل صده وعند ابنه المتعمد فأم الجاه وافر الحرمة حتى توفي سنة ٤٦٣ وكان له ابن يقال له أبو بكر تولى وزارة المتعمد ، وقتل يوم أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة سنة ٤٨٤ وقد أتى عليه ابن بسام في النخبة بقوله : كان أبو الوليد غاية منثور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني غزوم ، فاق الأنعام طراً ، ووسع البيان ظلاً وثراً ، إلى أدب ليس البحر تدقه ، ولا لبدر تألقه ، وشعر ليس لسحر بيان ، ولا لنجوم الزهر اقتداته ، وحظ من لنثر غريب اللباني ، شمري الألفاظ والمعاني .

ومما يحكى عنه في سمة البيان والقدرة على التفنن في أساليب الكلام أن ابنته توفيت فوقف للناس عند منصرفهم من الجنائز ليتشكروا لهم ، فما أعاد عبارة قالها لأحد ، وهذا عجيب للغاية ، ولا سيما من عزون فقد قدامة من كبده :

« ولكنه صوب القول إذا انبرت سحائب منه أعطت بسحاب . »

## كتابه

كان ابن زيدون مع صفاء قريحته ، وقوة سليقته في البيان يؤثر الرواية والثاني لنسج القول ، وكان مع سمة روايته الثنون الأدب علماً بأخبار المجمع والعرب ، متمسكاً من كل ما يميز الأدب بسبب ، وليس بدءاً أن يكون لكل أولئك آثار في كتابه ، وليس بدءاً أن لم تكن كتابه عفو الخاطر السامع ، ولا وحى البديهة البادحة ، ولا عصاره عصر الجبين ووليدة التكلف ، فقد جاءت خلاصة الرواية المصيفة تؤيدها قوة الطبع ومصاصة التنقيح السديد ، يؤازره لطف التوق ، كما جاءت سبكاً راتمة صاغها صانع من مبتكر للمعاني الساحرة ، ومستلب الأمثال السائرة ، ومقتبس الآيات النادرة ، وروصها بخرائد من أخبار الناس وتوارد الحوادث . ولئن كان البدع قد فاته في استرسال الطبع ، ولطف الخيال ، ورشاقة المعاني ، لقد فاق هو البدع في متانة اللباني ، وانتظمت في توحى للمعاني ، والصرح بواضع الاختباس ، وتوشية الرسائل بأخبار الناس . أما أوضح عيونه فنعابة الألفاظ في غير كرازة ، وطول الأسلوب في غير اعتساف ، ورصانة المعاني في غير جفاف ، والتأليف بين جمال الخيال وجلال الحقيقة .

ومن عاين رسائله ورسائله الحدية والمزلية وكتابه غرة في جبين الآداب العربية ، وقد عني بفرحها كثير من الأدباء . أما شعره فله دياحة راتمة ، وصياغة بارعة كما هو سبائك النصار ، أو حناقي الأزهار ، إلا نسب ألسان صاحب بئنة ، وإن مدح خلته شاعر مزينة ، من مقطعاته التي تشهد له بمجودة الطبع ، وإتقان الصنعة قوله :

« يبي ويملك ما لو شئت لم يصع سر إذا ذاعت الأسرار لم يدع . »

ومن شعره الذي يخلط بالروح رقة ، وبالخواه لطفانة قصيدته التي كتبها إلى ولادة التي كان شديد الكلف بها والهام مجبها يستمدع عهداً ، ويؤكد ودّاً ، وفيها يقول :

« أنصبي الثأني بدلاً من تدانينا وزب من طيب ثياباً تحابينا . » الخ

وقد سقنا أكثر هذه القصيدة لبراعتها ، وقد حزن سنن شطورها ابن الزكي في موشحة ، وسدسها بعض أدباء المغرب .

## ٤ - دراسة الأستاذ أحمد زكي باشا

### أولسة ابن زيدون

كان في جة القبائل التي ذهبت إلى الأندلس رهط من بني مخزوم توطنوا في جهات قرطبة وما إليها ، وناهيك بهذه القبيلة ذات الشرف الصميم ، والسان القويم .

فكان بنو زيدون من رجالهم للمعروفين ، خصوصاً في الفقه والأدب ، واشتهر منهم ثلاثة حفظ لنا التاريخ أسماءهم ، وهم :

(١) أبو بكر غالب بن زيدون .

(٢) أبو الزيد أحمد بن زيدون .

(٣) أبو بكر بن زيدون .

كان مولد الأول في سنة ٣٠٤ ومات سنة ٤٠٥ بعد أن بلغ من العمر مائة سنة . توفى في ضيعة له . ثم نقلوا تابوته إلى قرطبة ، فدفن بالريش ( أي الضاحية ) .

وهناك رثاء أبو بكر عبادة الشاعر الأندلسي بما يمررنا بمقامه في قوله :

«أي ركن من الرياسة هبنا وجوم من المكادم هبنا  
جلوه من بلدة نحو أخرى كي يوافوا به ثراء الأرضنا  
مثل حل السحاب ماء طيباً لتداوى به مكاناً مريضاً .»

وأما ثانيهم فهو واسطة العقد ، والذي يدور عليه كلامنا . والثالث هو الذي نقله بعد أبيه ( أبي الوليد ) وزارة للضد بن عباد ، وانتم لأبيه من ذي الوزراء ابن عمار ، وكان أبو بكر هذا هو الذي تولى السفارة من ابن عباد إلى يوسف بن تاشفين صاحب المغرب الأقصى حينما تنمر الاسبانيون مع ملكهم الإدوفش ( الفرنس السادس ) لملوك الطوائف ، وخصوصاً لبني عباد في طلب بطول شرحه ، ولا يسع المقام تلخيصه .

### من هو ابن زيدون ؟

هو ذو الوزراء أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخرومي الأندلسي . كان مولده بقرطبة في سنة ٣٩٤ أمضى في الوقت الذي سرى فيه الانحلال في جسم الخلافة المرورية بالأندلس بعد أن بلغت من الجهد نهاية النهايات ، وأدركت من الفجأة ما لا تصدق منه الروايات . في ذلك الوقت نحتت عرى الدولة ، فانهم للمليون على أنفسهم ، وتحاذقوا ، واستقصروا أعداءهم على بعضهم بعضاً ، وسلبوا البلاد والقلاع والمحصون واحداً تلو الآخر إلى أهدائهم وأمددهم بالمعونة على إخوانهم ، وهكذا حتى أودت تلك الفواج بذاك الملك الكبير ، ثم أنت على القوم بأكلهم فأصبحوا خيراً بعد عين . فسادل عنهم بقولنا كيف وأين ؟ في تلك الأيام استظهروا على شهرتهم بجر ذيلها ، وامتروا بطالاتها من أخلاف أباطيلها . حتى انتشت عصاهم ، ودارت بدائرة السوء . على الجبهة راحم .

كان ابتداء الاضطلال والانحلال من أول يوم جلس فيه المستعين على عرش الخلافة في منتصف ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ .

قد كانت أيامه كلها كما وصفها ابن حيان الأندلسي « شعاداً تكرات ، صاعباً مشروعات ، كربات للبدا والفتاحة ، قبيحات للتعلى والحاجة ، ما عقد فيها حيف ، ولا ورق خوف ، ولا نيم سرور ، ولا نقد غنور مع نير البرية ، وخرق الهيبة ، واشتمال الفتنة ، واحتلاء الصبغة ، وظلم الأمن وطول المحامه ، دولة كلها ذماً أنها تمحضت عن الفاقة الكبرى ، وآت من التي يسدها إلى ما كان أعزل وأدى . مما طوى بساط الدنيا ، وعفا رسمها وأهلك أهلها ، وإذا أراد الله شيئا أمصاه . »

وكذلك لم يكن في المستكن أدنى كفاية للخلافة . وإنما أرسله الله على الأمة عنة وبليّة . لئلا كان منذ عرف منقطعاً إلى البطالة ، مجبولاً على الجبهة ، عاطلاً عن كل حلية تدل على فضله ، مضته الفتنة فأملق ، وحال حتى أماته أمه ، وقد رآه أبو حيان مؤرخ الأندلس للجمهور أيام الحسف بأهل بيته في الدولة الحودية ولم يكن من لحقه الاحتفال منهم لركا كته . كان يقصد أهل الفلاحة يومئذ بقرطبة أو أن مضهم لعلهم يسألهم من زكاتها . قال « وقد أجمع أهل التحصيل أنه لم يجلس في الامارة منذ تلك الفتنة أسقط منه ،

ولا أفسد . إذ لم يزل معروفًا بالتحلف والركاكة ، مشتهراً بالشرب والبطالة ، سقيم السر والملاية ، أسير الشهوة ، عامل الخلوة . »

ذلك الوقت هو الذي أشار إليه ابن حزم بقوله :

« ضيعة لم يقع في الدهر مثلاً ، أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها ، يسمى كل واحد منهم بأمير المؤمنين ، ويخط له في زمن واحد : أحدهم خلف المصري بإشبيلية على أنه حشام بن الحكم المؤيد . والثاني محمد بن القاسم بن حود بالجزيرة الخضراء ، والثالث محمد بن علي بن حود بمدينة مالتة ، والرابع إدريس بن يحيى بن علي بسبته ، تلك هي الأيام التي بين العرب والبربر فيها في خصام مستديم ، وكان كل من الفريقين منتصباً على نفسه ، وكان الجميع في خلاف مع أهل للمرب الأقصى من الجنوب ، وفي حروب وخطوب مع بقايا الأمم الاسبانية من الشمال والعرب . في ذلك الوقتصيب تهرق أهل الأندلس مرعاً . وقتل في كل جهة منها منتصب . وهم الذين هرفهم التاريخ باسم — ملوك الغزوات — وقد أرادوا أن يفحوا أنفسهم وممالكهم فتقسموا ألقاب الخلافة ، كما تناهبوا أشلاءها . فكان منهم المعتضد ، والمأمون ، والمؤتمن والمستين ، والمقتدر ، والمدهم ، والمعتد ، والموفق ، والتوكل . إلى غير ذلك من الألقاب الخلافة . حتى قال في ذلك أبو علي الحسن بن رشيق ببين سارا سير الشمس ، وبقياء الدهر ، وهما :

« مما يزهدي في أرض أندلس سباع مستبد فيها ومستعد

ألقاب عملة في غير موضعها كالمزحكي انتصاخاً صولة الأسد . »

فكانت طرطوش ، وسرقطة ، وإغرافه ، ولاردة ، وقلة أيوب في يد بني حود . وكانت بلنسية في يد عبد الملك بن عبد العزيز ، وكان الشتر أي مانوق طليطلة في يد بني ذي النون وكانت قرطبة في يد أبناء جهور ، وكانت اشبيلية في يد بني هباد ، وكانت مالتة والجزيرة الخضراء وغرنامة في يد بني رزال من البربر ، وأما الرية فكانت في يد زهير العاصري الحادم ، ثم خيران العاصري الحادم ، ثم ابن صبادح وكانت دانية وأعمالها والجزائر المرسية ( الباليار ) في يد مجاهد العاصري ، وكانت بدليوس وإبيرة وشترين في يد بني الأطلس ، فلابج إذا كثرت الوزراء في تلك الأيام ، ولا عجب إذا كثرت أيضاً ذوات الوزراء ، فالناس على دين ملوكهم ، فكان كل من امتك مائة كيلو متراتياً في مثلها يد نفسه سلطاناً كبيراً . ويتخذ من الحاشية ما يضارع به أهبة الخلافة وقد كان هدمهم بها قريباً — فكثرت هدمهم الوزراء ، وكثرت بينهم الذين يدبون أنفسهم بذى الوزراء .

ومن الطبيعي أن الرياسة إذا انحطت من جلالها نحا الرؤوس في السقوط ، فلما تعدت الخلافة في الانحلال صارت الوزارة أيضاً في درجات الهوان . فإن السعدين الذي ذكرناه قال بعد أن جالس على عرش الخلافة قناس أجمين . ارتعوا كيف شتم ، وارتسموا بما أحببت من المخطط ، فنسبى بالوزارة مفردة وهتانة أراذل الدائرة ، وأغاب النظار ، فضلاً عن زعاطف الكتاب والخدمة ( من ابن سام ) وصارت هذه الرتبة تنحط مع انحطاط الدول ، حتى نزلت في أواسط القرن الثامن الهجرة إلى البرجة التي وصفا لنا ابن فضل الله العمري حيث قال :

« سألت الشيخ العلامة ركن الدين أبا عبد الله بن القويح ربة الوزير بالمرغ ، فقال : ليست بطائل ، ولا لصاحبها شيء من الأسر . بل هو كالجلاويش يخرج من قدام السلطان يوم الجمعة : حقيقة دون السمعة » وقد استبد هؤلاء الرؤساء جديراً ما تغلبوا عليه من الجهات ، وانحطت الدعوة للخلافة ، فلم يبق لخليفة

هاشمي أو أموي ذكر على منابر الأندلس خلا أيام يسيرة دعي فيها بإشيلية لمقام للؤيد بن الحكم (أو لشخص شبه له) حسبما اقتضته الحيلة، واضطر إليه التديير. ثم انقطع ذلك، فأشبهت حال ملوك الأندلس بعد الفتنة حال ملوك الطوائف من الفرس بعد قتل دأرا. وحال قواد الاسكندر بعد وفاته. ولم يزل هؤلاء الرؤساء في اقتتال وتخاذل، يستمينون بدموهم جيماً فيبيل تارة إلى هذا وطورا إلى ذلك حتى اختلت الأحوال إلى أن تولاها الضعف فاستقصروا بالرايعين فانظلم السمل، وعادت المياه لأربها. ولكن إلى أجل معين. ثم عاد الانشقاق والاضرام، فأعنت كلمة الاسلام، وانطلق ذلك النور، وباد القوم من آخرهم في سنة ٨٩٧ هجرية. بعد أن أقاموا فيها ثمانية قرون. لأن دخولهم كان في سنة ٩٢ هجرية على يد طارق يد زياد.



رسمت الستار عن هذا المنظر المزن ليكون لكم ولألم للشرق تذكرة وهجرة. خصوصاً في الأوقات الحاضرة، والآن أقول لكم إنه على الرغم من توالي الفتن. واضطراب الأحوال كانت سوق الأدب رابحة وبصاعته نافعة. فكل أمير، وكل وزير، وكل كاتب، وكل وجيه كان له من الأدب نصيب وافر. عرفنا من تقسيم الأندلس بين ملوك الطوائف أن سى جهور استبدوا بقرطبة وأن بن هباد استأثروا بإشيلية، في المملكة الأولى درج دو الزاريتين ابن زيدون وترقي وظهر فضله. وفي الثانية قضى بقية أيامه في التور والكرامة. وكانت بها وفاته في محرم سنة ٤٦٣ على التحقيق الدقيق كما نس عليه مفاصره ابن بسام ولاهجرة بالأقوال الأخرى من وفاته. لأن الذين قالوا بوفاته في سنة ٤٠٥ خلطوا بينه وبين أبيه غالب ابن زيدون.

اشتغل ابن زيدون بالأدب، ولطس عن نكته، وتعب عن دقائقه. إلى أن برع وبلغ من صناعات النثر والنظم المبلغ الطائل. حتى قال فيه ابن بسام :

« كان أبو الوليد غاية منتور ومنظوم وخاتمة شعراء بني مخروم . . . الخ. »

وما هم أن أصبح في الأندلس « مع ذلك الحى، وعاشق ولادة لأمى، زاد على مجنون ليلى، ونيس لبي، وابن أبي ربيعة صاحب الثريا، تركه هواه أنحف من قلم، وأشهر من نار على علم. وله مع ولاده أخبار ما حكى مثلها ابن أبي عتيق، ولا الاسفهاى من سكان وادى القيق، ولا الأصمى عن أمل ذلك للفريق، أندى من نسيم الصباح، وأرق من دوى النوادى في ثنور الأفاح »

ولإذا تصفنا دواوين الأدب عند الأمم الأخرى لا نجد له شبيهاً سوى تيبولس شاعر الرومان. وتقسيم حياة ابن زيدون إلى قسمين صبيين (١) في قرطبة، (٢) في إشيلية.



أولاً - في قرطبة : برع ابن زيدون في الأدب، حتى كان أبو الوليد في الأندلس شبيهاً ومثيلاً لأبي الوليد في دولة المتوكل العباسي، وقد سباه الناس بحترى الأندلس، ولقد صدقوا.

فمن جهة المحفوظة في صباه قوله :

أخذت ثلث الهوى نصيباً ولّى ثلث . . الخ

ثم هام بعد ذلك بحب ولاده بنت المستكفي الخليفة الأموي بالأندلس، وكانت أدبية، شاعرة، جزة القول حسنة الشعر، تناضل الشعراء. وتساجل الأدباء. ومهرت عمراً طويلاً ولم تزوج قط. جاءت على خلاف

أيها في كل أوصافها . فكانت مصداقاً لقوله تعالى « يخرج الحي من الميت » وقد اجتذبه حجابها بهد نكبة أيها وقته ، فصارت تجلس للشراء والكتاب وتماثرهم ، وتماضرهم ، ويصنعها الكبراء منهم . وكانت على خلق جميل ، وأدب فصن .

وكان لابن زيدون معها أخبار تطرف القلوب ، وتشتف السامع ، لأنه خلق في هواها المذرى عذاره ، وقد شهد المؤرخون كلهم لها بالعمة والصيانة . ولكن الشراء في كل واديهم ، فكيف لا يهيم بولاده أبو الوليد بن زيدون .

والمقام لا يتسع لاشعاره فيها وإشعارها إليه . ولكي آتيكم براموز ومثال ، وأترك الباقي لغير هذا المجال . ودعها ذات يوم فأنشدنا مرثعها :

« ودع الصبر محب ودعك . . . الخ »

ثم قال :

« يا نازحا وضير القلب القلب مثواه . . . الخ »

ولما كان مجلس ولادة بقرطة متسدى لأحرار المر . وفناؤها ملمباً لبياد النظم والنثر . يمشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، وينهايت أرماد الشراء والكتاب على حلابة مسامرتها ، وهي مع ذلك عافطة على علو النصاب ، وكرم الأنساب ، وطهارة الآثواب ، ولقد طبع مصهم في الاستتار بها دون ابن زيدون فتنازعه على حبها وزاخره في دمه رجل من رجالات عصره ، وهو أبو عبد الله البطليوسي ، فكتب إليه ابن زيدون يزجره بهذا الزجر :

« أيا عبد الإله اسع . . . الخ . »

ومنها الوزير أبو طاهر ابن هيدوس اللقب بالفار . وكان من أكابر رجالات قرطبة ، فاختلط ابن زيدون وبهت إليه بهذه الآيات :

« أثرت هزبر العرى لذ رهى . . . الخ »

ثم كتب له رسالته المشهورة على لسان ولادة ، وقد عبث فيها به كما عبث الجاحظ في رسالته « التزييع والندوير » بأحمد بن عبد الوهاب الكاتب في بغداد ، فاشتهرت رسالة ابن زيدون في المشرق والمغرب وهي التي شرحها كثير من أدباء المصارفة ، كابن نباتة والصفدي .

وشرح ابن نباتة قد طبع في مصر مراراً . وهو في غاية الحسن ونهاية الفائدة . وأما شرح الصفدي لهذه الرسالة فلم يصلنا . على أن ابن هيدوس لم يبق من محاولته . حتى تمكن من إيقاع الجفوة بين ابن زيدون وولادة ، واستأثر بها دونه ، فاختلط ابن زيدون والنجب إلى قريضة الفارس ، فلع الرجل بقوله :

« أكرم بولادة ذخرا لمدخر لو فرقت بين يطار وعطار

فلما أبو طاهر أفضى يلم بها قلت الفراشة قد تدلو من النار

هيتومونا بأن قد صار يخلقتنا فيمن نحب وما في ذاك من طار

أكل شهي أسبنا من أطايه بضاً وبضاً صفنا عنه الفار . »

والقد فاز ابن زيدون بتمامه . من إقصاء الفار من حواء . بل أن ولادة أخذت تمبث بذلك الوزير . حتى إنها صرت به ذات يوم في تربها وسريها ، وكان الوزير ابن هيدوس جالساً على داره يستششق الهواء العليل ، وكانت أمام داره بركة تجمع فيها مياه المطر ، وانساق إليها شيء من أبقار الفار . وكان الوزير

جالسا في أبيته وعظمته وقد انعمت عليه ، ونظر في عطفيه ، وحضر أعوانه إليه . فلما قربت منه ولادة فادته  
باسمه ، فحش إليها وبش ، واقرب من البدر ظالت له وهي تنير إلى البركة : يا ابن جدوس :

« أنت الحبيب وهذه مصر تسدقا فكلما بحر . »

ثم نزلت كالظي الشارد وتركته حثرا بأثرا . باهتا صامتا ، لا يحير جوابا ، ولا يهي خطأ ولا صوابا ،  
وهذا البيت لأبي تواس تملت به ولادة وتقلته هذا القل الحسن من الملح إلى المعباء .

غير أن هذا الوزير صبر حتى خلا جو قرطبة من ابن زيدون فاستأثر بولاده وعاش وطاشت حتى بلغا  
الشيخاين وهما يتراسلان ويرسمان في بداين الأدب ورياض الصفاق .



لم يبلغ ابن زيدون الحلمة والعشرين من عمره حتى نبه ذكره ، وهم صيته . اصطفته أبو الحزم بن جهور  
المنقلب على قرطبة ونواحيها ونواحيها ونوه به لأنه رآه في الآداب ، وعمدة الطرف . والشاعر البديع  
الوصف . ولما له بقرطبة من الأنوة السلية ، والوسامة والدرابة ، وحلاوة المنظوم ، وقوة العارضة ،  
والافتنان في المعرفة ، فكانت الكتب تنفذ من إنشائه إلى هرق الأندلس يقول : تأتي اشبيلية كتبها بالنظم  
الخطير ، أشبه منها بالنثور . ثم ترقى وظايف الدولة القرطبية حتى صار إليه النظر على أهل الدولة . ثم رآه  
ابن جهور أهلا للوزارة فرقاه إليها . بل جعله ذا الوزارتين ، فكان منه بمنزلة السيم والوزير والمشير  
والسير . فكلم أفنده إلى ملوك الطوائف لأمور سياسية . ولهابرات تتضمنها المعاملات والمعاملات التي  
التي يوجبها ، أو يدعو إليها علاقاتهم أو مع ملوك الأسبانيين الذين كانوا يقرعون به وبهم دوائر السوء .  
فأحسن ابن زيدون التصرف في ذلك . وغلب على قلوب الملوك . حتى كان كل ملك يخطب وده . وبنى أن  
يقيم عنده . ولكنه بعد انهاء مهمته يرجع إلى صاحبه بقرطبة وإلى مجالس أنسه بها . وهو به بأهلها في  
ذلك الوقت المضطرب بالته الداخلية والخطوب الخارجية . كانت الجاسوسية لها أثر في مصالح الدولة ، وفي  
أحوال الأفراد .

ترك أمور الدولة وسياساتها جانبا . وعتصر على الدائرة التي ارتفعتنا لأنفسنا الجولان فيها وهي  
ميدان الأدب .

ونذكر حكاية تدل على الجاسوسية الفردية في تلك الأيام .

كانت بقرطبة جارية تمشق قى من الفرشيين . وكانت لوجدها كاتمة . ولكن الخبر وصل إلى الوزير  
ابن زيدون ، فلم يعبأ به لأن القوم كلهم كانوا يتفلقين في هذه السيل .

وكانت الجارية تقول الشعر لجاشت نفسها بيت فذ وامتنع عليها ما تريد . وهذا البيت هو :

« يا مسطعي عن وصال كنت واردة هل ملك لي لغة إن سمحت : واعطني . »

لجأت إلى كبير الوزراء . وأمير الشعراء . وسأله أن يزيد عليه شيئا . وهي تظن أنه لا يلم بما هي فيه  
من التفرام . فأسأله القترطاس واغتم فرصة الروى ، وما يعله من السر اللطوى ، فكتب :

« كـهـ وتنى من ثياب السقم أسبغها ظلما وصيرت من لحف الضنى فرهى . »

.....

« جنى إذا التذت الأجنان طيب كرى جفا المنام وصاح الليل يا قرهى . »

ومن تأمل أحوال الأندلسيين رأى أنهم كانوا يبالغون في التشبه بالفرقيين في كل ما اشتهروا به أو اشتهر

من أحوالهم ، فدائهم ومخائهم وتصورهم ومنازعهم سموها بما اختاره الشرقيون في بلادهم كذلك حاكمهم في مجالس أسهم . وأما أقصر على ما يتعلق بابن زيدون ومحبه ، وأمهذ لذلك مما كان في بغداد . كان في دار السلام الوزير الهلبي للصور ، والداخي التنوخي ، وقد بلما من الكبير سناً عالياً . ولهما ذفون بيضاء تنهال على صدورهما ، وكانا يتمايلان في النهار أمور الدولة بباية الحشمة والوقار . حتى إذا جن الليل اجتمعا في مجلس المقار ، فكأما يفران في أواني من البلور والنضار ، ولا يكتفیان بلقة الغراب ، بل يفسان أذنانهما في الأواني ، ثم يرش كل منهما الشراب بذك الرشاشات الفريسة على صاحبه لثم لها لذة السكر حسا ومنى . فأطناً وظاهراً ، ويستمرآن على ذلك طرماً من الليل . حتى إذا جاء الصباح عادا إلى أشغالهما ، الوزير في تدبير الدولة ، وفاضي التفتاة في النظر في المحصومات ، والمحكم على منقضي الشرع ، واستمرأ على هذه الحال في مفاخرة للدام ، حتى وافاهما الحلام .

فاسموا نظير ذلك في فرطية . كان القاضي أبو بكر بن ذكوان ، من الجلالة باسمي مكان ، أدركته حرة الأدب ، وله في العلم باع طويل ، وكان يقننه في خلوته مع ابن زيدون ، بالداخي التنوخي مع الوزير الهلبي ، وهناك عاشت من دعات ورفعات ، وما غفلت من فكاهات ومجانات ، حتى إذا أصبعا ، ذهب دو الوزايرين إلى شأنه في ديوانه ، وبكر أبو بكر إلى مجلس المحكم بمقتضى الحق ، ومتى اقترب المساء عادا إلى التصف ، وتجاوزا في ميدانها كل وصف ، إلى أن سطا الدهر على أبي بكر .

واتفق أن مر ابن زيدون يوماً بدير ابن ذكوان في لمة من إخوانه ، وجاءه من محار مبداه ، فطفوا عليه مسلين ، فقال أبو الوليد بن زيدون سرتملا :

« انظر لخال السرو كيف تحال . . . الخ »



في أدب حر يصل إلى هذه المسكاة قبل أن يصل إلى الثلاثين من العمر ، فكيف لا يكون كالك المتني حرب الزمان والدهر . نعم قد دبت عقارب الفيرة بينه وبين حاسدي نعمته وسعادته ، والمناظرين والأنداد فتألبوا عليه وتآسروا حتى انتهوا بإياعه في هراكم ، ونجموا لدى الأمير ابن جهور لحبسه حبساً طالت مدته ، فكانت تلك السجون مثارا لشجونه ، فبعد أن صاغ لبن حور ولاسيما لأبي الحزم قلائد وخرائد ، كتب إليه من السجن أشجاراً ورسائل غنطاره ، فاضت بها نفسه في التتمل والاعتذار والاستشفاع والاستعطاف ، ولكن المزاحين له على مركزه في الدولة ، وعلى حب ولادة كانوا دائماً يفرزون ، فبقى في السجن مدة تنيف على الحسامة يوم .

كتب لابن جهور تلك الرسالة البديعة التي طبعها أحد المستشرقين في سنة ١٨٨٩ . وهي التي شرحها العلامة صلاح الدين الصفدي .

ولقد زارته أمه في سجنه . فظانها دمنها ، فقال يخاطبها من تصيدته اللامية التي وجهها إلى ابن جهور مستطفاً :

« ألم يأن أن يكي القمام على مثلي . . . الخ »

وما أظف وصفه لنفسه ولوشاته في إحدى قصائمه اللطانة :

« كال الوشاة - وقد منيت بأفكمهم - أسباط يقترب وكنت الذيبا . »

هذه الأحوال مضافة إلى مس كبيرة تنب في مراددا الأبدان ، شيت رأس ابن زيدون وجهه هراً قبل



الأول ، قد رأى النيب في رأسه وطرسه . فبكى على نفسه وقال من قصيدة أخرى يستصطف بها ابن جهور أيضاً :

« لم تطو برد شبابي كبرة وأرى برق المشب اعلى في طارش القمر  
قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كشب ولشيبه غصن غير مهتر . »  
وفيها يقول بما يرمي بأنه طوف قدومه :

« أجن رف على الآفاق من أدنى غرس له من جناح بألح الثمر ؟  
وسية سبيا إن لا تكس لبنا هو الوداد صفا من غير ما كثر . »

فدلنا بذلك على أن الشب ألم برأسه وبلغته ، قل أن يسل إلى الثلاثين من عمره . وذلك مصداق لما ذكرناه من أنه بلغ مراتب اللام وهو في سن الفتوة وريان الصبا ، وذكر الصلدى أنه كان يحنن بالسواد . ثم أنه تحيل والمرب ونجح . فلما خرج من السجن اختفى بقرطبة وأقام فيها متوارياً ، ثم نظم قصيدة طويلة يخاطب فيها ولادة ويستهم الأديب أبا بكر بن مسلم القضاة ويستزل أبا الحرم بن جهور وفيها يرميها أن مدة حبسه بلغت خمس سنين . قال :

« سنون من الأليم حس قطعتها أسيراً ، وإن لم يبد شد ولا ربط . »

والقصيدة طويلة جيدة جلية ، ثم إنه مازال بأبي الوليد بن جهور يستشعب به إلى أبيه أبي الحرم ، حتى شفع له وأقشعه من كعبته وصبره وصنائه ، ولما ولي الأمر سعد والده توه به وقسمه في الدين استطاع لدولته وجهه كرامة لم تحته ، رموا . فلا غرابه إذا بكى واستبكى حين مات أبو الوليد بن جهور الذي أنقذه من الحبس والشداب ألوا . مد وحد ابن سام يحط ابن حيان هذه المربية الديمة لابن زيدون وأبي الحرم :

« ألم تر أن الشمس قد صبا التبر . . . . . الخ »

ولكننا نمود إلى ولادة وتصادف هل نرى أبو الوليد ولادة ؟ كلا . بل عاد إلى التودد إليها والتعرب منها ، وكان يذكرها في قرطبة ويراسلها بأشعاره الزائفة القائمة .  
ذهب سرّاً إلى الزهراء بتأمل وعاشتها بوصفها بوله :

« إني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً . . . . . الخ »

ثم أرسله أبو الوليد بن جهور سفيراً إلى حضرة إندريس الحسي بمائة . فأطاع الثواء هناك واقترب من إندريس وخف على نفسه ، وأحضره مجالس أئمة ، صف عليه ابن جهور وصرفه عن السخاوة بينه وبين أسراء الأندلس فيما يحرق بينهم من القرائل والمداخلة . إلى هنا انقضت أجله وقرطبة ، فلقد خشي أبو الوليد أن يلاقى من الوليد مالا من والده . وحينئذ صحت عريته على الهجرة من قرطبة والذهاب إلى المضند بن عباد بإشبيلية .  
فلامه بعض إخصائه على ما اعتزمه من التحول عن وطنه وهجر أهله وخلاته ، فكتب إليه رسالة ضافية يستنفر فيها نفسه ويقول من جملتها ما نصه :

« وكنت أول حسي قد وضعت من السجن في موضع قد جرت العادة بوضع مستورى لباس . . . الخ . »

ولكن ابن زيدون كان قد ذاق من المجر حلوه وسرّه لم يرض لنفسه بالذهاب إلى إشبيلية دون أن يكون على ثقة من أمره . لذلك كتب رسائل بديعة إلى بعض المربين من المضند ، ثم إلى المضند نفسه ، يمهّد السبيل إلى الهجرة . حتى إذا تحقق أنه سيتزل في إشبيلية على الرحب والسة أزعج الرجل إليها ، وكان ذلك في سنة ٤٤١ هـ .

واقف في وقت فراره من قرطبة إلى إشبيلية أن صادفه عيد الأضحي ، رأى الناس يتجهون باليد ، وهم يتزاوون ويتبادلون التهانى ، وهو هريد طريد ، فقامت معه بوصف حاله :

« خليل لا فطر يسر ولا أمنحى . . . . . الخ »

فلما وصل لإشبيلية . نزل على كنف المتصد ، وأصبح من خواصه وصحابه يحالسه في خلواته ، ويرسله في مهم ورسائله ، وولاه الوزارة وحفظ له لقبه « ذا الوزيرى » .

كان المتصد جل مجلسه مسطاً من مجلس ابنه وولى عهده المتعمد بن عباد مكتب للمتصد لابن زيدون :

« أيها المسطح عى مجلسا وله في السى أعلى مجلس

بؤزادى لك حـ بخفى أن ترى تحمل فوق الأروىس .»

فأجاب ابن زيدون بتركه :

« أسقيط الظل فوق الترجس أم نيم الروض تحت الحديس ؟ »

ولكن هل أساء ذلك ولادة وعاشها . أم قرطبة وماكنها ؟ كلا لم يزل صاحبها شغوفا بهذه وجلك وأشعاره أكبر دليل على ذلك . فكما كانت له فرصة ، أو مرتبة نشوة ، قال فيها أقوالاً تذيب المواد .

فقد تنوّق إلى قرطبة وساكنها بحصيدة تدل على حنينة لها ولبن فيها ، فقال :

« طلى اشب الشهدى منى تحية . . . . . الخ »

وكان يلفتة من بنى جهور ما يسوده في نفسه وقرائه في قرمة ، فقال مخاطبهم :

« بنى حور أرفقوا بجناتكم بؤزادى ! فإنا مال للمناخ تمبق

تسدوني كالسبر الورد إنما تروح لك ألقاسه حبر عرق .»

وأما أمداحه في للمتصد بن عباد فعلى كثير جليل .

وقد كتب عنه إلى صهره اللوزق أبى الحيش بن مجاهد العاصرى صاحب داب . والجزائر الشرقى للمروية الآن بمرائر البليار :

« عرفت عرف الصبا أذنب طاهره . . . . . الخ . »

قلت فيما تقدم إن ملوك الخواص كانوا متقربين على أعينهم ، وإن الحرب كانت دائرة بينهم فإليكم مثالا واحداً مما يخلق بين زيدون ، وذلك أن الحرب وقعت بين للمتصد صاحب إشبيلية ، وبين

ابن الأفطس صاحب بطليوس ، فارتزم ابن الأفطس هزيمة هزيمة ، وغسر خساره جسيمة ، هال ابن زيدون حين للمتصد :

« لبن الهدى إنماح سبك في الندا . . . . . الخ . »

هذا مع أن ابن زيدون سبق له مدح ابن الأفطس بمسحة غراء في نصيده التى يقول فيها :

« لينس الطلى ولورد القلم . . . . . الخ . »

ولا غرابة في ذلك ، فإليك عليم ، وتمازيف السياسة تسمى بالتبذير من حال إلى حال . خصوصاً إذا اقتضت أمة من الأمم على نفسها وخاضت في غمار المخطوب والفتن ، وفوق ذلك ، أظن انقلب من مدح إلى

هزاء ومن ملام إلى سلام ، هو سجية من سجيلا الثمراء الكرام وغير الكرام .

فلما مات للمتصد بن عباد وتولى الملك ابنه للمتصد بن عباد كان لابن زيدون عنده تلك الكرامة وهذه الحفاوة ، تدل على ذلك شهادة التاريخ ويؤيدها قول ابن زيدون نفسه في رثاء للمتصد ومخاطبته روحه

بعد دفنه :

«أعبد! يا أرقى الملوك لقد عدا ، عليك زمان من سجيته الفدر» الخ

ومن العلوم أن ابن زيدون هو الذى دبر دولة المتضد وأظهر صوته وأغراه بأعدائه ، وزين له الإيقاع سناله ووزرائه . فذا شحنا فى صدورهم ، ونكنا فى سرورهم . فلما آل الأمر إلى المتضد ، قام حساده وخصومه وسعوا لديه فى النكايه به ، ثم رموا إليه برقة فيها قصيدة طوية أولها :

« يا أيها الملك العلى الأعظم انتلع وريدى كل ماغ يثم !

واحسم بسيلك داء كل منافع يدى الجليل . وعند ذاك يكتم !»

وهى قصيدة طوية تألفت من ٢٧ بيتاً كلها اغواء لابن زيدون على سبيل التصريح الفهم . ولكن للمتضد كان أعدل من ابن حور . فلم يصغ لنفك السببة ، ولم تنفع لديه تلك السعايه ظال فى سدم وردكيدم فى عرم :

« كذبت مناكم : صرحوا أو جصوا . . . . . الخ .»

طما بلغ ابن زيدون ما راجعهم به ، وتحقق حسن مذهبه ، وعلم أن حيلتهم قد أخفقت ، وسمايتهم مانقت ، وسهامهم تبرعت ، ومكائدهم تدوت وتوزعت ، قال يمدح المتضد ويبرض بأباده بقصيدة طوية مطلعها :

« الدهر إن أملى فصيح أجم . . . . . الخ .»

واستقر المتضد به فى وزارته ، فكان أحد وزرائه الثلاثة الأكبر المشاة وزارتهم . ( أى أحد الثلاثة الذين يلقب كل واحد منهم بدى الوزاريين ) والآخرا هما ذو الوزاريين ابن عمار ، وذو الوزاريين ابن خلدون ( جد صاحب التاريخ المشهور ) .

خرج الثلاثة فى أحد الأيام من إشبيلية إلى منظره ( قصر خلوى ) لى هاد بموضع يقال له التنت ( تقريباً لفظ اسانى ) وهو منزه تحف به مروج مشرق الأنوار ، متفسه الأنعام والأغوار ، متبسمة هن ثمر التوار . . . فى زمان ربيع سقت الأرض السحب فيه بوسيتها ووليا ، وجعلتها فى زاهر ملبسها وياهر حليها ، وأرداف الربى قد تآزرت بالآذر الحضر من نباتها ، وأجيايد الجداول قد نظم الوار فلانده حول لباتها ، وبجاسر الزهر أردية النسيم هند هباتها ، وهاك من البهار ، مايزرى على مداهن النصاره ومن الأندلس الريان ، مايزأ بنواهس الأبحان ، وقد نواوا الاشراف للهو والطرب ، والتنزه و روضى النبات والأدب ، وشوا صاحباً لهم يسمى «خليفة» هو دوام لقتهم ، ونظام مسترهم ، ليأبئهم بنبيذ يدمبون لهم بذجه فى لحين زجاجه ، ويرمون به بما يقضى بتحريكه الهرب عن الدلوب وإزطاحه ، لجلسوا لانتظاره ، وترقب عوده على آثاره ، طما بصروا به متبشراً من أول الفج بادروا إلى لقائه وسارحوها نحوه . واتفق أن فارساً من الجند رك فرسه صمده ، ووطئ عليه فتم أظله ، وأحرى دمه ، وكسر قصال (١) التبيذ الذى كان معه ، وفرق من شملهم ما كان الدهر جمه ، ومضى على غلوائه واكفاً حتى خفى عن البين ، خافاً من متعلق به يحين بقلقه الحين ، وحين وصل الوزراء إليه تأسفوا عليه وأفاضوا فى ذكر الزمان وهذوانه والمطرب وألوانه ، ودخوله بطوام المفرات ، على تمام المسرات ، وكثيره الأوقات المنعمات ، بالآفات المؤلمات ، فقال ابن زيدون :

« أظهو والحتوف بما مطيعه وثأمن والنول لنا عفيفه »

فقال ابن خلدون :

« وى يوم وما أدراك يوم مضى قما لنا ومضى خليفة »

(١) الاتصال كلمة يستعملها المناوبة والأندلسيون بمعنى جرة التبيذ ، وهو لئاء من الفطار .

قال ابن عمار :

« ما ظفرتا راح وروح تكثرنا شفاف وجيفه »

ولابن زيدون مدائح في المعتمد بن عباد كلها درر وغرر ، وآيات بينات ، وله معه مدهابات ومطلحات ومسجلات ، فتارة يشوقه إلى عظامي الحيا في قصوره اليدبة ، وتارة يرسل له التماس ويكتب عليه الأشعار ، يدعوهم إلى تناول الفغار ، وتارة يهينه ، وأخرى يمدحه ، وله بيتان قد بلغا حد الإبداع في هذا الباب . قال يخاطبه :

« مها امتدحت سواك قبل فاما . دعى إلى مدحى لك استطراد »

يفنى الميادين الفوارس حقبة كنها يطها التزال طراد »

لما أحسن هذا التتصل بالتمرن على المدح ، حتى إذا أجاد وبلغ المراد أهدى ثمرته إلى ابن عباد . هذه قطرة من بحر شعرك الغرد ، وأما نثره ففيه عيد حصره ، وما يجمله كثيرون أنه ألب كتابا في التاريخ وجمله ابن حرم من مفاخر الأدلس ، وقال إن أبا الوليد بن زيدون ألب كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس على منزع كتاب التبيين في خلفاء المشرق للسعودي ، وقد نقل صاحب مع الطيب سطرأ أو سطرين عن هذا الكتاب الذي لم يبق له أثر ولا عين .

وما زال ابن زيدون يشوق لقرطبة ولمن فيها ويعمل لدى المعتمد بن عباد حتى جعل قرطبة متعيا أهله . فسي في مداخلة أهلها . ومواصلة ذوى الكرم فيها لأنه رأى عدم العائلة والمكايده لاستمساك أهلها بدعوة الخلافة وأشتهم من زوالها عنهم واضطاس رسومها في بلادهم ، فلما فاز بالمرام وانتظمت تلك العاصمة الضخمة وملكه ، ذهب إليها مسرعا وأهم بتدبير شؤونها ، هناك انجاشت نفسه بالعز على سائر ملوك الطوائف مال : « من الملوك بشأوا الأعياد البطل . . . الخ . »

أما ابن زيدون ، فقد عاد قرر العي إلى وطنه وأهله ، وكانت له شبيه كبيرة في قرطبة ، فارتفع جده ، وزاد إقبال الدنيا عليه وبلغت حظوته عند المعتد درجة لا يطعم فيها .

حينئذ سعى و هلاكه صاحبه ، ابن مرتين وابن عمار ، وتلطفا وإساده وإبعاد ابنه من بعده ليعلو لها الجو ، ولينردا بالاستئثار بابن عباد ، ولقد ساعدتهما الظروف .

قد وقعت فتنة في إشبيلية واضطر ابن عباد للتجبل بإرسال جيش كثيف إليها تحت قيادة ابنه سراج الدولة بن عباد ، فسول ابن مرتين وابن عمار لابن عباد أن يرسل ابن زيدون مع سراج الدولة وتلطفا في تفهيم السلطان أن دهاب ذى الوزارتين فيه حق للدماء ، وحفظ للنظام ، لما له من المسكاة العالية والجاه الرميح ، ولأنه محبوب لدى جميع القلوب ، ثم وسوسا له بأن المصلحة كل المصلحة هي وجود ابن زيدون الوزير القائل المذهب المحبوب بجانب سراج الدولة الذي هو قرعة عين الملك ، ومطبخ الأنظار لبقاء البيت الببادي ، وما زال الرجلان ينسجان على هذا المنوال حتى أعلما خصوصا لياق ابن زيدون في مرض أزمه البيت .

صدر إليه الأمر بالذهاب ولم يمدروه السلطان في التوقف لما به من الآلام ، فخرج منها مع الحجاب سراج الدولة بن عباد والجيش متوجهين إلى إشبيلية ، وكان ذلك يوم ١٣ ذى الحجة سنة ٤٦٢ ، وحلف في قرطبة ابنه الوزير الكاتب أبا بكر بن زيدون ، ولكن صاحبنا ( ابن مرتين وابن عمار ) مازالا يصلان لدى ابن عباد حتى صدر الأمر إلى أبي بكر بن زيدون أيضا باليلقى بابيه في إشبيلية .

حينئذ خلا لها الجو فاستأثرا بالأمر كلها وانردا بتدبير الدولة بلا مشارك لهما في أمورها ولا مراض

لها في انحراسهما ، وكان روال دولة ابن عباد كن مقداراً على يد هذين الرجلين فان مرجين ، يمكن في التمرير بمراميه أنه ابن مرجين أي أنه من أصل غير عربي ، فان جده رجل إسباني ، وأما ابن عمار فقد أنكر فضل ابن عباد ، وشق عصا طاعته ، وسمى في أنساد والخراب ، وخرق اليهود ، وغلب وأغلب ابن عباد حتى أوعى دولته ، على ماهو معروف مشهور .

أما ابن زيدون وهو في إشبيلية ، فلم يزل لأبيه به مدحاً حتى أبه به ، فكأنه جاء ليكشفه ، ويذهب به في صدره حب سا ٤٦٣ ، حيث تولى منه كهل أن يحلف النهر منه جلا وياناً وروعه وظرفاً . وهو عند أول التحقيق في التتبع أمد طمعا ، وأحت عناء ، فلا يلحقه تهمير ، ولا يبعثه وهناً ، ولما وصل خبره إلى قرطبة ، وله فيها شجرة كبيرة وأشياء كثيرة ، تازعوه وحرثوا عليه لأنه كان منهم ، هاوياً إليهم ، حذا عليهم ، وليح خير بينهم وبين سلطنتهم لأحدث الولاية .

فأراد السلطان أن يترسام أوصل لابنه ( أي أن بكر ابن زيدون ) وقره إليه ، ورفاه في مراتب والده حتى أحفاه بلوراة وقد اغتم هذا موصى ماوقع من ذي الوراثة ابن عمار من الخروج على ابن عباد فأوفر صدر ابن عباد عليه ، وما زال يعمل لديه حتى كان سبياً في هلاك ابن عمار على ماهو معروف مشهور .

## انتهى الكتاب



تم طبعه « بشركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده » في يوم الخميس ٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥١ ( ٤ أغسطس سنة ١٩٣٢ ) م

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

## فهرس

القوافي من ديوان ابن زيدون<sup>(١)</sup>

صفحة	حرف الألف	صفحة
٢٥٣	لأنت الذي نفسي عليه تذوب	٧٥
٢٥٩	يا قمر الديوان ، وللوكب	٧٧
٢٦٤	يا راحتي وعذابي	( ٧٧ )
٢٦٩	قد ضاق بي - في حبك - للذهب	٢٢٩
٢٦٩	سوى أني محض الهوى صادق الحب	٢٦٠
٢٧٣	أم لساكيك طيب	( ٢٨٥ )
٢٧٥	وما في الحق غصبي واجتناني	( ٣٨٧ )
٢٧٦	يا ليت غائب ذاك المهدي قد آبا	
( ٢٨٦ )	يختطف الناس عن قريب (	حرف الباء
( ٢٨٧ )	وما أجمعا ولا أفرقا إهاب (	١٩
( ٢٨٩ )	عن الديان فسكنوني أبا العجب (	٣٤
( ٣٢٥ )	فقلت لهم إن الشكول أقارب (	٤٠
( ٣٧٠ )	نادى لفقد حبيب النفس واحربا (	( ٤٠ )
( ٣٧١ )	رقد صاذني طرف كليل وحاجب (	٦٠
( ٣٧١ )	وبجر له في المكرمات عياب (	٦٩
( ٣٧٢ )	والقلب في حين النداء - وجيب (	٩١
( ٣٧٨ )	ومن يلتذ غفران الذنوب (	( ٩٦ )
( ٣٧٩ )	فأمضي عزمي أم أعوج مع الركب (	( ١٧١ )
( ٣٨٥ )	زود قللك العتي حجابا من العتب (	( ٢٣٠ )

(١) كل ما وضناه بين قوسين هو لمير ابن زيدون .

صفحة

فهز - من الموى - عطف اوتياحي ١٥٨  
وَأَنْتَ عَلَى الزَّمانِ مَدَى أَقْترَاحِي ٢٦١  
(وَلَا فِي سُلُوكِ فِي انْتِزَاحِ) (٣٧٣)  
(أَمْدِيكَ يَا فِتْنَةَ الْجَنَانِ وَالرُّوحِ) (٣٧٣)  
(أَصْبَحَ قَلْبِي بِهِ قَرِيحًا) (٣٧٨)  
(وَعَنْدَرُكُ لِمَنْ عَاقَبْتَ - أَجْلِي وَأَوْضَحَ) (٣٨٤)  
(لِنَقْصَرِ عَنْهُ طَوَالَ الرَّماحِ) (٣٩٣)

### حرف الدال

(لَجَادَ بِالْقَهْوَةِ وَالْوَرْدِ) (٣٩٢ و ٦٠)  
(فَكَانُوا هَا وَلَكِنْ لِلْأَعْدَى) (٦٨)  
وَلَمْ تَجْعَلْ مَحَلَّكَ مِنْ فَوَادِي ٧٤  
فَقَدْ مَنَّا أَجَلَ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ٧٨  
(قُلْتُ : أَمْرَانِ هَيْنَ وَتَتَدِيدُ) (٨٦)  
وَقَدْتُ خَيْرَ وَافِدِهِ ١٦٥  
مِهَاتَ حَمْتَا - فِي مَرَاتِمَا - أَسَدِ ١٧٧  
لَوْ سَاعَفَ الْكَافَ الشُّوقَ مَرَادِ ١٩٧  
(وَأَنْتَ أَمْرٌ عَاقِي أَنَاكَ وَاحِدُ) (٢٠٤)  
(ضَرَبْتَ عَلَى الْأَرْضِ بِالْإِسْدَادِ) (٢٠٦)  
(جَهْلًا بِنَا وَوَلَيْتَ عَيْدًا) (٢١٠)  
(يَضْحَكُنَّ بِالْمَرْءِ شَدَا) (٢١٠)  
(وَلِنْ رَاحِ صَنَعَ اللَّهُ نَحْوَكِ وَأَغْتَدِي) (٢١٦)  
(مَاطِلٌ فِيهِ سَمَاكِي وَلَا جَادَا) (٢١٩)  
كَالشَّرَابِ الْعَذْبِ فِي نَفْسِي الصَّدَى ٢٢٣

صفحة

(أَرْمَاحُ قَوْمِي بِالْمَدَاةِ لَوَاعِبَا) (٣٩٣)  
(كَفَاهُ بَخْلَتِ السَّعَابِ) (٣٩٥)  
(يَرْتَاحُ فِيهَا بِاصْطِيَادِ أَرَانِبِ) (٣٩٦)  
(رَجَاكَ عَلَى بَعْدِ فَأَصْبَحَ ذَا قَرَبِ) (٣٩٦)  
(وَمَا أَحْصَى مَوَابِهِ) (٣٩٩)  
(ذَهَبُوا مِنَ الْأَغْرَابِ أَبْجَدُ مَذْهَبِ) (٤٠٠)

### حرف التاء

وَقَدْ خَفَفْتُ فِي سَاحَةِ الْفَصْرِ رَيَاتِ ٣٩١ و ٦١  
وَأَعَزَلُ عَنْ رِضَاكَ وَقَدْ وَلَيْتَ ٢٦٦  
(جَدَاوِلُ مَاءِ أُرْسَلَتْ فَاسْطُرَتْ) (٢٠٩)  
(لَيْسَ مِنَ الْوَحْشِ وَلَا النَّبَاتِ) (٢٨٧)  
(عَنْ فَوَادِي دَجَنَةِ الْكَرْبَاتِ) (٣٩٢)  
(وَلَلْفِي مِنْ مَنَائِمٍ غَايَاتِ) (٣٩٩)

### حرف الثاء

وَأَوْفَى لَهُ بِالْمَهْدِ إِذْ هُوَ نَاكثُ ٢٧٧

### حرف الجيم

(قَلْبِي لَهَا أَحَدُ الْبُرُوجِ) (٣٨٩)  
(يَا بَدْرَ الْبَيَاحِي) (٣٩٢)

### حرف الحاء

فَإِ حَالٍ مِنْ أَمْسِي مَشُوقًا كَأَنْضَى ٥٤  
نَصْبِي ، وَلِإِعْطَافِ نَشَاوِي مَوَاحِ ٨٩  
(وَأَخَذَنِي الْحَدُّ بِالتَّمَنِ الرِّبِيْعِ) (٩٦)

صفحة	صفحة
(٣٩٠) (فالقلب منهمن والأحداق والكبد)	٢٢٣ فالقلب منهمن والأحداق والكبد
(٣٩٤) (ورود الكرى بمد طول السهاد)	٢٤٩ ادناك الأمل البعيد
(٣٩٥) (وقرة ناظر المجد)	٢٤٩ وهادما كمل وجد
(٣٩٩) (أسود - لهم فيها - وآساد)	٢٥٠ وأقبس هديك نور الهدى
(٤٠٠) (خف القطين وجف الزرع بالوادي)	٢٥٣ لديك فاشكو بعض ما أنا وأجد
	٢٦٢ وزهدت فيمن ليس فيك بزاهد
	٢٦٤ يا سوء ما لقي القواد
	٢٦٨ وأصابك بما لم أرد
	٢٧١ ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد
(٣٣) (ملكاً يحسنه الخليفة جعفر)	٢٧٤ (وبلفت من ظلمي للدى
٣٨ لما جرت بالذى تشكوه أقدار	٢٧٨ (وواصل جبل صدى
٥٨ كمثل هوى فى حال الجوار	(وإن النوى طارية فتزود)
٦١ وأمرضت حسادى، وحاشاك أن تبهرى	(وتعرت ذات يوم تبترد)
٩٢ إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر	(إذا خفيت طرق المرائس عن أسد)
(٩٢) (لما من الطول أو من القصر)	(متى يختبر غيبه يحمد)
٩٨ وقاضح الرشا الوسنان إن نظرا	(وفى خلدى ما فيه من لوعة الوجد)
١١٩ مضمخة الأنفاس طيبة النشر	(فتفك عنه للأسى أصفاد)
١٤٠ فن شيم الأبرار - فى مثلها - الصبر	(وحاضرة فى صميم القواد)
١٥٠ وأن قد كفانا فقدان القمر البدر	(وكان ساعدك الوثير وسادى)
١٥٢ عذارى دونه ريق العذارى	(كوا كفات القوادى)
١٦٨ واطلع كما طلع الصباح الزاهر	(فلاجلن مكانه وردا)
١٧٠ غصن أثمرت ذراه بدر	(وكم عفى عن دار أهيف أغيد)
١٧٤ فن شيم الأبرار فى مثلها الصبر	(فعض به فتاحة وأجتى وردا)
(٢٠١) (بأن للره لم يخلق صباره)	(ولا وجدت منا خطوب النوى بدا)
(٢٠٥) (تروح بالخورنق والسدير)	



صفحة

(وقصرت أعمار العداة على قصر) (٣٧٦)

(وقد زهرت فيه الأزاهر كالزهر) (٣٧٦)

(ماذا يفيد عليك البعث والحذر) (٣٧٧)

(والنجم قد عرف العنان على السرى) (٣٨٠)

(ومن منال قصى السؤل والوطر) (٣٨٧)

(بابصاره الشرة الزاهرة) (٣٨٩)

(ووجهك أملح في ناظري) (٣٨٩)

(والوجد قد جل فما يستر) (٣٩٠)

(وأقرن الليل بالنهار) (٣٩٢)

(وقنعت وجهك بالغفر) (٣٩٣)

(كنى به فدعاني فضله الظافر) (٣٩٤)

(يسرى إلى غوته السارى) (٣٩٦)

(ولم ألف في بحر نماء زجرا) (٣٩٦)

### حرف السين

يخرج الدهر ويأسو ١

(للاشب عذرا في النزول براسي) (٩٣)

وقد آن أن تترع الأكؤس ٩٨

أطول عمر يهيج الأنفا ١٠٦

ويظلم لى النهار وأنت شمسي ١١١

(بها أثر منهم جنى ودارس) (١٩٣)

(أم نسيم الروض تحت الخندس) (٢٤٧)

(وارع إذا المرء أسا) (٢٩٧)

صفحة

٢٤٤ ما أبرزته غرائز الفكر

٢٤٨ وقر بك من دون البخور معطر

٢٥٤ واجتل التأيد في أبهى الصور

٢٥٩ إلى أن بدا للصبح في الليل تأثير

٢٦٧ قلبي عليك يقاسى الهم والفكرا

٢٦٨ واختيارى إن أخير

٢٧٢ لا كتفين بسمع انظر

٢٧٢ وارضى بتسايمك المختصر

٢٨١ مدى الدنيا مظفر

(وعشرته مشكورة وعشائره) (٢٩٨)

(حرف لفصل اللفظ مقدور) (٣٠١)

(ويبقى من المال الأحاديث والذكر) (٣١٧)

(غرس أشجارها مستعجل الثمر) (٣٧١)

(فيها السرى إلا برأى مقمر) (٣٧١)

(ووصل كظل الروض تعطيكه نورا) (٣٧١)

(يناقضه سنا البدر) (٣٧١)

(إلى أن بدا للصبح في الليل تأثير) (٣٧٣)

(ويقصر أن لاقيتها أطول الدهر) (٣٧٣)

(من أفق من أنا في قلبي أشاطره) (٣٧٤)

(وتصبر عنه ولا يصبر) (٣٧٤)

(ومقلة تنفث بالسحر) (٣٧٥)

(وإن فؤادى - والإله - صبور) (٣٧٥)

(ويأمرنى ، إن الحبيب أمير) (٣٧٥)

١٨٤	بنميك أن الدين من بعض ما نعى	٢٨٠	هل منك لى غلة إن صحت «واعطشى»
(٢٠٩)	(تفرغ لى شيب فظيع)	(٣٩٢)	(نهى للعلم عن الناس)
(٢١٠)	(وهز للشرية والوقوع)		• حرف الشين
٢٦٣	ومثير كائمة السموع		حرف الصاد
٢٦٥	محضا ولا م به الواشى فلم أطمع	(٦٨)	(فى غير ذاك من الأمور أرخص)
٢٧٠	وسبيل الهوى وقصد الولوع		حرف الضاد
(٢٧١)	أناديك لما عيل صبرى فاسمعى	٨٢	نش وافر ، وحاه عريض
٢٧٩	سر إذا ذاعت الأمرار لم يذع	٢٣٧	ونبهته اذهدا فاعتصم
(٣٧٨)	(ويا واحدا فاق الخلائق أجما)	(٣٧٤)	(كراكب فى السماء تبيض)
(٣٢٨)	(فيس لا تمار ولا تباع)	(٣٩٤)	(وهب لنا التغميضا)
(٣٧٣)	(يمنوله ملك الزمان ويغضخ)		حرف الطاء
(٣٨٦)	(بأن ليس فى حى لغيرك مطعم)	١٣	وشط - بمن نهوى - المرار وماشطوا
(٣٨٨)	(ألا غفر الرحمن ذنبا تواقه)		حرف العين
(٣٩٣)	(وشادنا فى مهجتي يرتع)	(٢٢)	(يوما وصلنى ساءه)
(٣٩٧)	(وتنه القاب الصديق)	(٦٦)	وخذ - فىا ترى - أودع
(٤٠٠)	(كلما أعطى تبأ نزا)		ذهب القواد فليس فيه براجع
	حرف الفاء	(٩٧)	(فيس لا تمار ولا تباع)
٢٣	لنا، هل لذات الوقف - بالجزع - موقف	١١٨	عارض كرب بلطفه رفعه
(٢٠٤)	(تخوفنى الأعداء والنس أخوف)	(١١٨)	(ببقى الدواء مطامه)
٢٦٨	أنا مستودع لعلق ثريف	١٣٠	أم فى الثبات التى قدمت منتفع
٢٧٨	ذكرك متى بالأفاس موصول	(١٤٥)	(من الدهر حتى قيل لن يتصدعا)
٢٧٩	يا من تناهيت - فى الطافه - نجفا		

صفحة	صفحة
(٣٨٨) (ومشرقة من خلال الحائك)	(٢٩٣) (وصول ليس بالجاني)
(٣٨٩) (وتأنس بذكراها في انفرادك)	(٣٧٠) (فلست على العلات منها أخاكف)
(٣٩٢) (فتغيب مسرعة لذلك)	(٣٩٣) (فإن الهوى مابه منصف)
(٣٩٢) (سكران من خمر اشتياقك)	حرف القاف
(٣٩٣) (فيدا لطرفي أنه فلك)	(٤٩) (على الصديق والمصدق)
(٣٩٤) (مقالة لم تشب بإفك)	جناني ، ولكن للدأخ تعبق ٦٠
(٣٩٤) (ومخلنا أعهدكا)	(وما للراء إلا عهده وموائقه) (٢٠٠)
(ولحت من طرق لللاح شباكى) (٤٠٥)	والأفق طلق ومرأى الأرض قدراقا ٢٥٧
(ردت الروح علي المغني معك) (٤٠٨)	(فنظل نصبح بالسرور ونعبق) (٣٧٤)
حرف اللام	(كأه الصبح تحت شفق) (٣٧٥)
(رحال عن الباب الذي أناداخله) (٣٢)	حرف الكاف
فديتك واعتزرت على ذليل ٥٧	فيميل - في سكر العبا - عطفاك ٩
أم عهدنا البدر يجتاب الحلال ٦٢	ذائع من سره ما أستودعك ١٢
(سهام العدا عني فكنتم نصالها) (٦٨)	بكل السننا جلاك ١١١
وموردهم حيث الدماء مناهل ٩٩	واطلب فسمك يضمن الإدراك ١٣٦
(تهال وأسباب للنايا نهالها) (٩٩)	دعهم فشانهم غير شانك ١٤٧
تخالط لون الحب الوجل ١٠٥	(كلاهما ذو أنف ومعك) (٢١٧)
(لَوَ أبصره الوائى لقرت بلابه) (١٠٨)	أم كيف أخلف وعذك ٢٦٦
ويطلب ثأرى البرق منصلت النصل ١١٢	لا تظهرى بغلا بمود أراك ٢٧٠
(فلا تتمصر ماء الصنمية بالطلل) (١١٥)	الا بوصل قصرك ٢٧٢
وحلى - في رجائك - الكايل ١٢٠	(لا تتركنى - هكنا - هالكا) (٣٧٥)
لا تخش منى نسيانا ولا بدلا ١٣٩	

صفحة		صفحة	
( ٣٧٤ )	( كل نيل أناله لى قليل )	١٤٩	وحز المنى وتنجز الآمالا
( ٣٨٨ )	( هيات جاءتك مهديـة الدول )	١٥٣	ولسولة العلياء كيف تدال
( ٣٨٩ )	( سفها وهل يثنى الحليم الجاهل )	١٦٥	فى المنظر الحسن الجليل
( ٣٩٠ )	( إلى محب هأم مثله )	( ١٦٦ )	( والراء يعجز لا الحويل )
( ٣٩٠ )	( فشوق صحيج وجسمى عليل )	١٦٧	كم لها من ألم يذنى الأمل
( ٣٩٣ )	( وبالسيف والرمح أمضى قتال )	١٦٩	قد لفتح التشوق عن حيال
( ٣٩٤ )	( منى طلى خلتك الجليل )	١٩٥	وحال تمنيك دون الحيل
( ٣٩٦ )	( قنصت فيها أرانا وحجل )	٢٢٤	ومطلعها من جيوب الحلل
	حرف الميم	( ٢٤٢ )	( يادهر أف لك من خليل )
٣٥	ريح معطرة النسيم	٢٦٩	لقد قتت - فى الحسن - بدر الكمال
٥٠	وللى فى هبوب ذاك النسيم	٢٦٣	ويثنى وصالك قلبى العليلا
٧٦	وعلى أنت بها عالم	٢٤٨	وسوغت دأبا نساء الأجل
١٢٢	بقلى - مذنب عنى - لم	٢٧٥	يا حائر الحكم أفديه بمن عدلا
١٨٨	يعطى اعتبارى ماحمات فأعلم	٢٧٥	لا ولا ذاك التجنى مللا
١٩٢	إذ العيش غضى والزمان غلام	٢٦٩	يملا عيني من تأمل
٢٤١	عن القصد إن أعيالك منه مرام	٢٨٠	يميل - مع الزمان - كما يميل
٢٤٣	علينا أذمة لا تنم	( ٢٩٢ )	( ولسكن على أثر المسير قفوها )
٢٧١	يا من يصح بتقلتيه ويسقم	( ٢٩٢ )	( وليس عليه فى النكاح سبيل ؟ )
٢٧٦	زكت ، وطلى وادى العقيق سلام	( ٣٧٠ )	( ولإنى لما يهوى الندامى لفعال )
٢٧٩	قام بك العذر فلا لأئم	( ٣٧٠ )	( فأنا الذى لست ببال )
( ٢٩٢ )	( كما باعت بصحبته السكرام )	( ٣٧٢ )	( إلى أن بدت للمصبح فى الليل أعمال )
٣٠٣	ومرويا لكل لمنم		

صفحة	صفحة
(٢٢١) (بدور الزمان واسد العرين)	(٣١٧) (من العيش أن يلقى لبوساً ومطعماً)
٢٦٥ ودعوت من حنق عليك فأمننا	(٣٢٩) (أخت بني الأكرمين من جشم)
٢٦٧ واستحدث القلب شوقاً بعد سلوان	(٣٣٢) (إلا لتوهن قوة المظلم)
٢٧٠ سأحفظ فيك ما ضيعت مني	(٣٧٠) (إلا الظالوم المظلم)
٢٧١ حسب للتيم أنه قد أحسننا	(٣٧٠) (وأوقد في الأعداء شر ضرام)
٢٧٣ وحططتني ولطالما أعلتني	(٣٧١) (وقد خلقت لها في مجلس الكرم)
٢٧٣ وعن تهادى الأسى والشوق سلوانا	(٣٧٤) (فان فؤادي بالمعالي لهائم)
٢٧٦ لو كان ساعحنى في وصله الزمن	(٣٧٨) (طمعين منه زري سما)
٢٧٨ وقضينا الذي علينا وزدنا	(٣٧٩) (وفي والا مانواح الحاتم)
٢٧٨ من الحسن فنون	(٣٨٦) (يجب فيه الصلاة والصوم)
(٣٧٥) (يسلو - وإن سئل السلو - ضنين)	(٣٨٦) (أمكن ورد فلا يطل حوم)
(٣٧٦) (قد ققت الممالك في معان)	(٣٩١) (وحان أن يتسنى لى بكم حلم)
(٣٨٨) (أوروضة مسكية الريحان)	(٣٩٥) (ومتبع الانعام اتاماً)
(٣٩١) (إذ لا كتاب يوافيني فيحييني)	(٣٩٦) (وستر الله مد على الأنام)
(٣٩٣) (من فارس شههم الجنان)	
(٣٩٥) (من المجد فاحتل غير القنن)	حرف النون
(٤٠١) (أويرجع القول معناه فيفتيننا)	وناب - عن طيب لفيانا - تجافينا ٤
(٤٠٢) (نشجى لواديك أو نشجى لوادينا)	وننى الشك اليقين ٣٩
	بت ودى بلا ثمن ٦٨
حرف الهاء	فى حلى الظرف الحسان ١٧٠
٢٥٨ انستك دنياك عبدا أنت دنياه	موثقاً فى يد الحنن ١٠٨
٢٦٦ ومستغشاً لنا محبه	(١٠٨) (أمرحنا بذكرك أم كنيننا)
(٢٨٨) (فاق ذكاء فاله من شبيه)	(١٠٩) (إذ لا كتاب يوافيني فيحييني)

صفحة	حرف الياء	صفحة	
		(٣٣٢)	( أن الرؤوس محل النهى )
		(٢٧٨)	( فالأرض تشرق منه )
٥٩	فلتسناها هذه التالية	(٣٧٩)	( ونعيمه فاستعذبوه أواره )
(٢٠٥)	( فروق ، فرامح ، فحقه )	(٣٨٧)	( وعاشق من لا يباله )
(٢٧٥)	( وإن كنت قد جردت عزمي ماضيا )	(٣٨٧)	( وحرفته لما انصرفت عليه )
(٣٨٥)	( وقد عطشنا وثم ري )	(٣٩٣)	( وبكت مقلتاى شوقا إليه )
(٣٨٦)	( له الندى الرحب والندى )		حرف الواو
(٣٩٥)	( على المبيد الوفى )	(٢١٧)	( فوز من قراقر إلى سوى )



# مَحْنَا الشَّعْرَ الْجَاهِلِيَّ

يتضمن هذا الديوان عيون الشعر الجاهلي

لستة من غول الشعراء

وهم

- |                                |                   |
|--------------------------------|-------------------|
| (١) أمروء القيس                | (٤) طرفة بن العبد |
| (٢) النابغة الذبياني           | (٥) عنزة بن شداد  |
| (٣) زهير بن أبي سُلي المُزَنِي | (٦) علقمة الفحل   |

صحح روايته، وشرح غريبه، وضبطه

## مُصْطَفَى السَّقَا

مدرس اللغة العربية وآدابها بمدرسة الخديو إسماعيل الثانوية بالقاهرة  
مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد وحرف جميل مضبوط بالشكل ومصحح  
بغاية الاعتناء ومجلد بالقماش المذهب .

يطلب من مكتبة :

مصطفى البابی الحلبي وأولاده بمصر

ص . ب . الفورية رقم ٧١

التي تقدم الفهرس الحاوى للكتب الأدبية وخلافها لمن يطلبه مجاناً .













